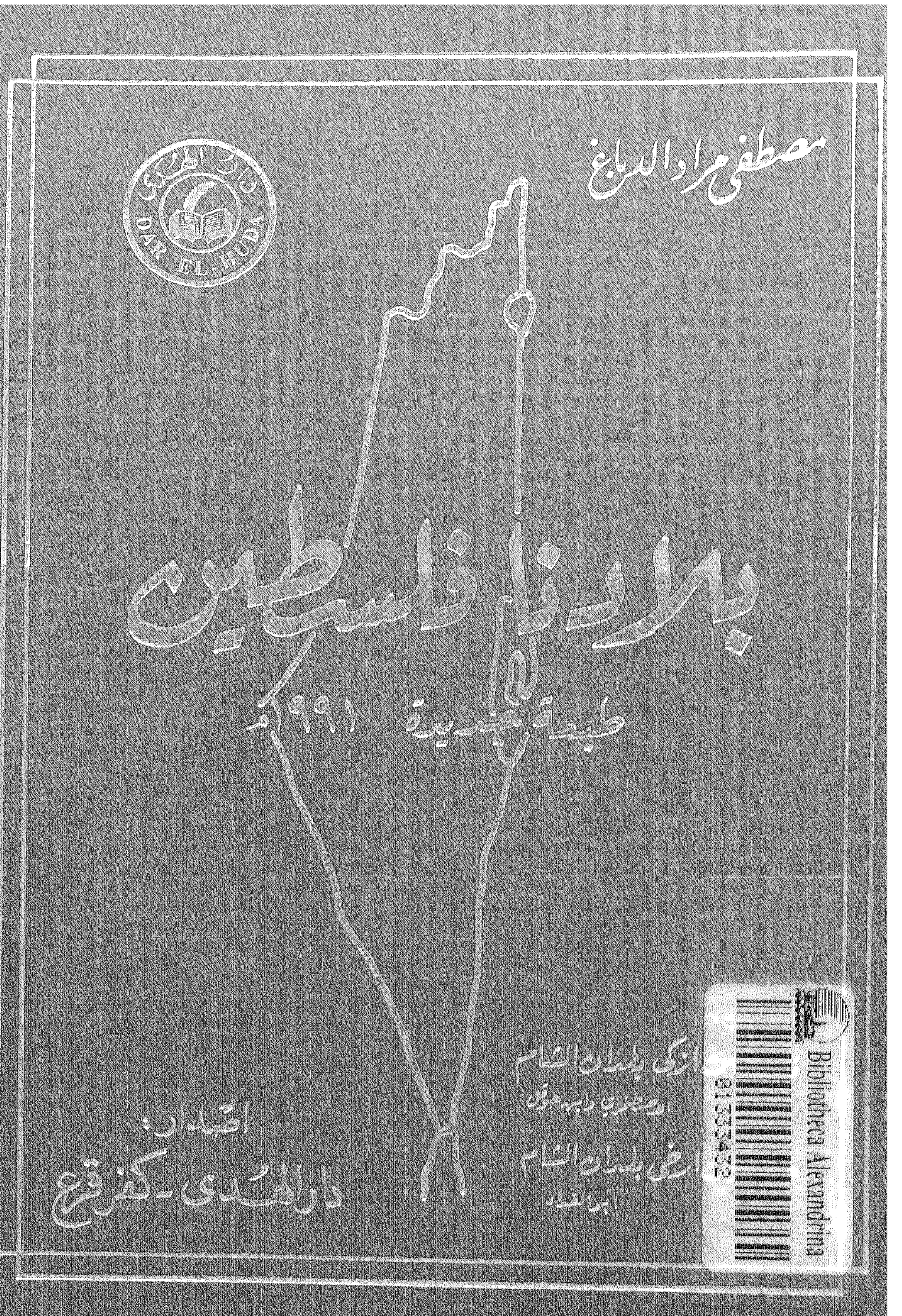

مصطفى مراد الدباغ
دار الهدى
DAR EL-HUDA
بلادنا فلسطين
طبعة جديدة ١٩٩١م
اصدار:
دار الهدى - كفر قرع
Bibliotheca Alexandrina
01333432







مصطفى مراد الدبّاغ

بلادُنا فِلَسْطين

الجزء الأول القسم الأول

« سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ » .

« قرآن كريم »



بسم الله الرحمن الرحيم

الأهـــداء

الى الذين جاهدوا للابقاء على عروبة فلسطين !

المؤلف







مقدمة

ما كنت لأتصور ، يوم أصدرت « الجزء الأول ـ القسم الأول » من هـذا الكتاب في عام ١٩٤٧ بأنه النكبة ستحل بالوطن بعد ذلك بسنة، وتطيح بأهله وتنثرهم كما تنثر العواصف الرمال !

فعندما احتل اليهود ، في اواخر نيسان من عام ١٩٤٨ « حي المنشية » بيافا بدأوا يزحفون بقواتهم المتزايدة على بقية احياء البلدة . وكان المجاهدون ، رغم قلة عددهم وهزال أسلحتهم يقاومون بشجاعـة فائقة ، الا انهم لم يقدروا على صدهم .

ثم اشتدت الحالة سوءاً فقطع النور والماء ونفد ما لدي من الخبز ... وأخيراً جاءني ابن عمي ،وكان قد استأجر مركباً صغيراً من مصر ليافا لينقل فيه أخواته، فلم يدعني حتى نزلت على رأيه بالسفر معه ، ولم أحمل معي سوى حقيبتي الصغيرة وبها مخطوطة كتابي عن تاريخ فلسطين وجغرافيتها البالغ عددها أكثر من ٦٠٠٠ صفحة ، كتابي الوحيد نتاج عمري الذي سلخت أكثر من عشرة أعوام في جمع وثائقه وتبويبه وكتابته . وحمدت الله على انني ارسلت زوجي وولديّ قبـل ذلك بأيام الى أهلهم في بيروت .

اتخذت مع أبناء العم والأصدقاء مكاناً في السفينة الصغيرة بين جمع من النازحين أمثالنا . كان البحر هائجاً تتلاطم أمواجه وتتسع لججه ، والرياح فوقه تعصف والأمطار تهطل بشدة . واخذ الماء يدخل المركب من جميع أطرافه . وأخـذ صوت الربان يرتفع آمراً بتخفيف الحمل والا فالغرق أمر محقق !

احتضنت حقيبتي التي فيها كتابي ، ولكن يد بحار قوية ، تساعده موجة دخلت ظهر السفينة ، انتزعت الحقيبة وقذفتها إلى الماء. وهكذا ضاع الكتاب، وضاع معه جهود السنوات الطويلة التي قضيتها في جمعه وتنسيقه .

وبعد ان مرت سنوات التشرد ، ومرحلة الذهول التي خلفتها النكبة رأيت أن أعود الى كتابي لأجمعه من جديد وأقدمه لأبناء العروبة عامة وابناء فلسطين خاصة ، ليذكروا وطنهم المُنْتَهب ويعملوا على انقاذه ... عدت الى كتابي ، الكتاب الذي تشدني اليه ذكريات الوطن الغالي بجاذبية لا تقاوم ، وتسيطر على وجداني فلا أملك الانصراف عنها .

لقد أتممت « الجزء الأول – القسم الأول » منه – على غير المنهج الذي سرت عليه في عام ١٩٤٧–وهو يبحث في جغرافية فلسطين وتاريخها منذ أقدم الأزمنة حتى دخول العرب المسلمين اليها . وسأواصل البحث والتنقيب عن بقية تاريخ الوطن ، وتاريخ وجغرافية مختلف مدنه وقراه وبقاعه . وسأعمل جهدي لإكمال هذا المجهود حتى نهايته . وأسأله تعالى أن يمدني بعونه وتوفيقه .

* * *

يتضح من قراءة هذا الجزء أن دعوى اليهود في حقهم التاريخي في فلسطين ليس لها مبرر ، وهي دعوى باطلة وفاسدة ليس لها مثيل في التاريخ ، وافتراء واضح عليه . فإنهم لم يعرفوا فلسطين الا في بعض عصورها القديمة ، ولم يملكوا الا جزءاً منها لمدة وجيزة ، كانت سيادتهم فيها هزيلة متقطعة، امتلأت أخبارها بالفظائع . وبعد أن مزقهم الرومان شر ممزق في اوائل العهد المسيحي ، اختفت اليهودية من فلسطين اختفاء كاملاً ، وخلت البلاد من اليهود خلواً يكاد يكون تاماً حتى أواخر القرن الماضي .

فاليهود دخلوا وطننا وخرجوا منه كما دخله وخرج منه غيرهم من الأمم الغابرة.

وأما صلة العرب بفلسطين وحقهم التاريخي فيها فخالد وصريح لا جدال فيه. فإنهم متصلون فيها ، وسكنوها منذ فجر تاريخها ومن قبل أن يوجد يهود في العالم ، ولم ينقطعوا عنها ، واستمروا فيها الى يومنا هذا . كما وان صبغتهم

وسيادتهم فيها كانت كاملة . فالعرب لا اليهود أصحاب تلك الصلة وأصحاب ذلك الحق . فإرجاع اليهود الى فلسطين وتمكينهم من إقامة دولة يهودية فيها أمر ينافي التاريخ ، وبدعة لم تعرف الدنيا لها مثيلاً .

واما الذكريات اليهودية في وطننا فلا توازي في شيء ذكريات ومقدسات المسيحيين والمسلمين أصحاب البلاد وسكانها .

ففي مسارح الجمال الطبيعي الالهي لفلسطين ُولد المسيح وُرفع الى السماء ؛ وأسري بمحمد النبي العربي من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي بورك حوله . ثم عرج منه الى السماوات العُلى .

في هذه الجنان المُتقَهِّبَة ، بشّر المسيح بديانته ، وفيها ُفرضت على محمد ، ليلة الإسراء ، الصلوات الخمس اليومية : ثاني أركان الاسلام .

من هذه الأرض الطاهرة خرج الحواريون ، تلاميذ المسيح وُرُسله يبشرون برسالته ، وفيها ُرفات الكثيرين من أصحاب محمد وجند محمد .

فالروابط التي تشد المسيحيين والمسلمين (١٬٣٣٨٬٠٠٠٬٠٠٠ مليون نسمة [1]) الى فلسطين أكثر بكثير مما يزعمه اليهود (١٢٬٨٠٠٬٠٠٠ نسمة [1]) من الروابط التي تربطهم بها .

لم يبق لليهود من الأماكن التي يزعمون بتقديسها في فلسطين سوى « حائط المبكى » أو « حائط البراق » وهو الجدار الغربي للحرم الشريف الذي يعتقد المسلمون بأن « جبرائيل » ربط فيه « براق النبي » ليلة الإسراء .

ويذكر اليهود ان القسم السفلي من الجدار الخارجي لحائط البراق هو آخر قطعة باقية من معبد « هيرودوس » الذي بني عام ١١ ق . م على موقع « هيكل سليمان » .

و « هيرودوس » غير يهودي ، فهو آدومي اعتنقت عائلته الديانة اليهودية لأسباب سياسية ! كما وان « هيكل سليمان » بعد وفاة بانيه ، لم تقدسه إلا القلة اليهودية التي أسست مملكتها في جنوبي البلاد .

---

١ ـ احصاءات عام ١٩٦١ م .

وقد سمح المسلمون لليهود ، كرماً منهم ومِنّة ، بزيارة الحائط المذكور فكانوا يقومون بتلك الزيارة بين آونة وأخرى ذاكرين هيكلهم ، ناحبين خرابه .

وفي عهد التسلط البريطاني الغادر على فلسطين تحدى اليهود المسلمين فاحتشد الألوف من شبانهم وشاباتهم ومشوا في شوارع القدس ، بنظام مدبر وفوق الرؤوس علمهم الصهيوني ملفوفاً بالسواد ، حتى اذا بلغوا البُراق نشروا العَلَم ، وأنشدوا النشيد الوطني اليهودي بحماسة ، وعلت أصواتهم بالهتاف : « الحائط حائطنا ، الويل لمن يدنس أماكننا المقدسة » . وهذا الاستفزاز أدى الى وقوع الاضطرابات التي عمّت البلاد في آب من عام ١٩٢٩ م .

وقد قضت لجنة التحقيق التي ألفتها عُصبة الأمم – وكانت مؤلفة من سويدي وسويسري وهولندي – للبحث في ملكية هذا الحائط ، بأنه ملك للمسلمين بصفته جزء من الحرم القدسي . على أن يسمح لليهود بزيارته زيارة عادية فقط دون أن يكون لهم أي حق ثابت باعتبار أن هذا كان منحة من سلطان المسلمين وتسامحاً منه في الماضي .

فهذا الحكم الدولي شجب دعوى اليهود بامتلاك فلسطين استناداً الى آثار بالية وأطلال دارسة .

وقد حارب اليهود بعد ذلك كثيراً للاستيلاء على بقعة « هيكل سليمان » ، التي يقوم عليها الحرم الشريف ، عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ولكن جميع هجماتهم باءت بالفشل بفضل جولات الدفاع العربية الباسلة . وبالتالي لم يتمكنوا من إعادة بناء معبدهم على أنقاض المسجد الأقصى الذي بورك حوله .

وهكذا أصبحت مقدسات اليهود في فلسطين غير ذات موضوع .

وأما ما يذكره اليهود مما لهم من معابد ومقابر انتشرت في بعض بقاع فلسطين فللمسيحيين والمسلمين من كنائس ومساجد وشهداء ورفات آباء وأجداد ، وعهود ذهبية على عموم فلسطين ، ما يفوق العد .

ففلسطين ، هدية السماء الى الأرض ، هي اليوم مهوى أفئدة المسلمين والمسيحيين – أي نحو نصف سكان البسيطة – والصراع القائم فيها ليس بين

المسلمين واليهود فقط ، بل هو بين المسيحية والإسلام من جانب ثم الصهونية من جانب آخر . فجرائم ‏ في الأرض المقدسة استهدفت المساجد والكنائس ، كما استهدفت المسلم والمسيحي على السواء .

* * *

وغني عن البيان ان ‏ ، تعتبر حدودها الحالية موقتة ، لذلك فهي ترمي الى استئصال شأفة العرب بفلسطين ، ومحو اسم فلسطين من خريطة العالم، واستبداله باسمهم التقليدي ‏ » فقط . لأنها تعلم بأنها لو انكمشت في حدوها الحالية فلن تقوى على البقاء وستنتهي عاجلاً أم آجلاً ، بل إنها تنتظر الفرصة السانحة لتتسع بها مرحلة إثر مرحلة حتى تبلغ المدى الذي تحقق به أحلامها بإنشاء امبراطورية يهودية عالمية ، لا تنبسط رقعتها من النيل الى الفرات ، ومن المدينة المنورة الى الكويت فحسب ، بل ان هدف اسرائيل الحقيقي هو استلاب معظم أقاليم الوطن العربي الذي يعدونه مجالهم الحيوي .

إن ازمة فلسطين التي يعيشها العرب اليوم تهيىء لهم الفرصة ليظهروا ما يتحلون به من صفات في مقدمتها الصبر والمقاومة والشجاعة والمثابرة وتحمل الشدائد وانعدام الأنانية والسهر على مصالح الشعب ، والوعي والتأهب المستمر وانتزاع النصر في مختلف الظروف ... وغيرها من الصفات الحميدة والرفيعة التي تميز بها العربي على مر الدهور والتي جعلته يقهر الأزمات .

[لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم ، وتُقسِطُوا اليهم ، ان الله يحب المُقسِطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوْهُم ، ومن يَتَوَلَّهُمْ فأولئك هم الظالمون](1) .

— صدق الله العظيم — .

٢٧ رجب ١٣٨٤ هـ .

١ كانون الأول — ديسمبر — ١٩٦٤ م . مصطفى مراد الدباغ

---

١ — سورة الممتحنة : ٨ و ٩ .



القسم الجغرافي

بلادُنا

فلسطين

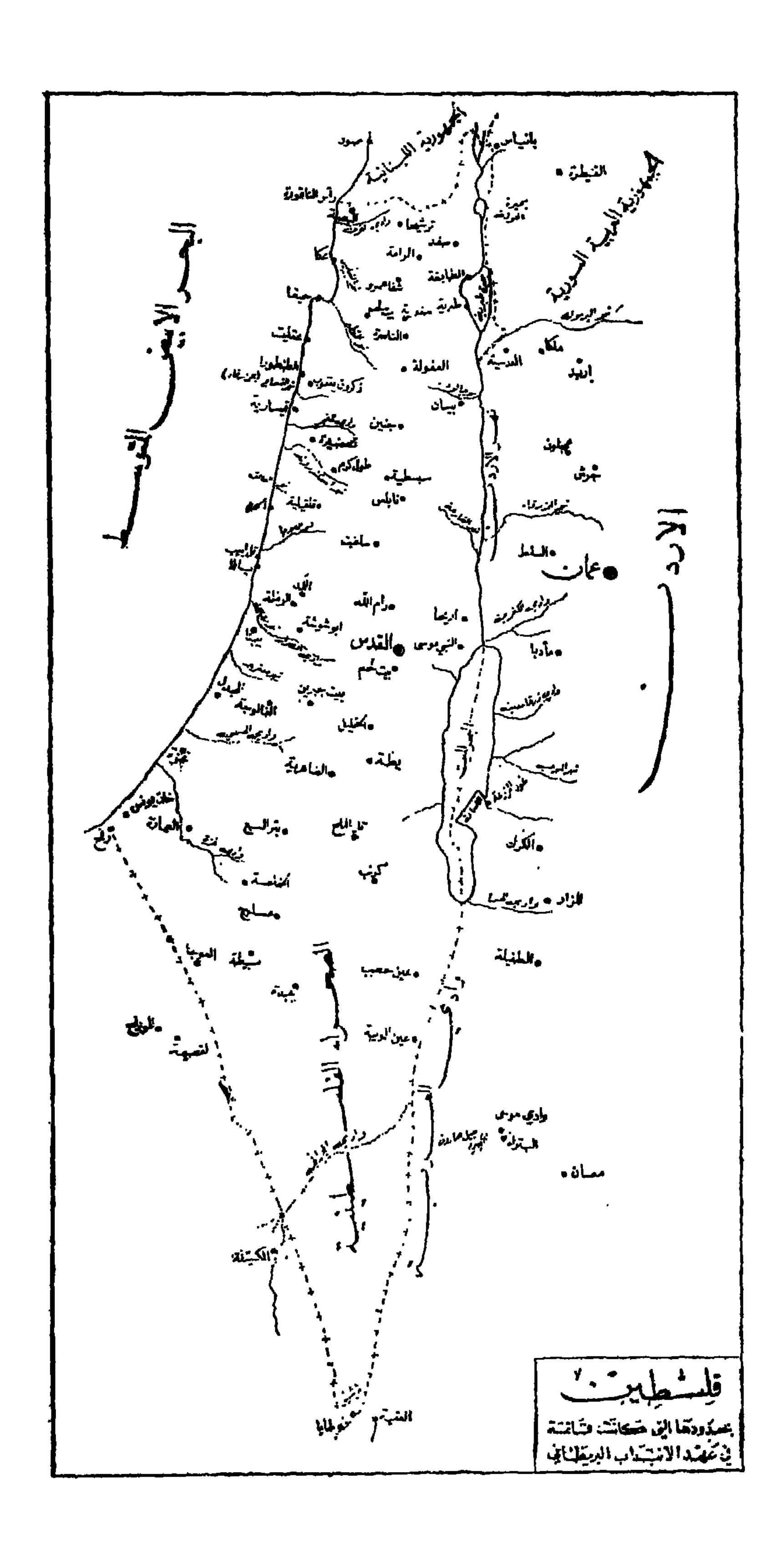
فلسطين ، بلادنا العزيزة ، من أقدم ممالك التمدن الشرقي القديم . تقـــع في الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠َ ٢٩° و ١٥َ ٣٣° شمـالاً وبين خطي طول ١٥َ ٣٤° و ٤٠َ ٣٥° شرقي غرينتش . وهي القسم الجنـــوبي الغربي من بلاد الشام .

ذكرها جغرافيو العرب ومؤرخوهم « فِلَسطين: بالكسر ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون » . وأما الدكتور جورج بوست فقد ذكرهـا في مؤلفه « قاموس الكتاب المقدس » بفتح الفاء والـــلام أو بكسرهما . والرأي الأول هو المعول عليه .

ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط ، على ساحل طوله نحـــو ٢٢٤ كيلومتراً [١] ؛ ومن الشرق سوريا — ويبلغ طول الحـدود بين القطرين ٧٠ كيلومتراً — والأُرْدُنّ على حدود طولهـا نحو ٣٦٠ كم ؛ ومن الشمال الجمهورية اللبنانية — على حدود طولهـــا ٧٩ كم — وسوريا ؛ ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة . ويبلغ طول الحدود المصرية — الفلسطينية بين رأس طـــابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠كم. هذا وطول الساحل الفلسطيني

---

١ — منها ١٨٨ كيلومتراً تقع في القسم المغتصب من الوطن الحبيب . وبهذه المناسبة نذكر بأن طول الساحل السوري يبلغ ١٧٣ كم والساحل اللبناني نحو ٢٢٤ كيلومتراً .


البحر الأبيض المتوسط
الجمهورية اللبنانية
الجمهورية العربية السورية
الأردن
بانياس
القنيطرة
رأس الناقورة
صفد
عكا
حيفا
عتليت
قيسارية
الناصرة
العفولة
بيسان
إربد
جرش
جنين
طولكرم
سبسطية
نابلس
قلقيلية
سلفيت
السلط
عمان
اللد
الرملة
رام الله
أريحا
النبي موسى
القدس
بيت لحم
مادبا
بيت جبرين
المجدل
الفالوجة
الخليل
يطة
الظاهرية
غزة
خان يونس
رفح
بئر السبع
الكرك
الطفيلة
عين حصب
عين الويبة
وادي موسى
معان
العقبة
فلسطين
بحدودها التي كانت قائمة
في عهد الانتداب البريطاني

الواقع على خليج العقبة (١) عشرة كيلومترات ونصف الكيلومتر (٢) .

تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ولبنان وسورية من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي – البريطاني المنعقد في ١٩٢٠/١٢/٢٣ وفي عام ١٩٢٢ – ١٩٢٣ عدلت هذه الحدود فأدخلت ضمن حدود فلسطين بعض الاراضي السورية القريبة من نهري بانياس والحاصباني وكذلك بعض القرى اللبنانية القريبة من نهر الليطاني . وبموجب هذا الاتفاق تسير الحدود من « رأس الناقورة(٣) » الواقع على البحر الأبيض المتوسط باتجاه

---

١ – خليج العقبة : طوله نحو ١٦٠ كم . وعرضه يتراوح بين ٥ كم في اضيق نطاقه الى ٢٤ كم في أوسعها . والفرق بين المد والجزر فيه ستة أقدام . تشرف على شاطئيه جبال غرانيتية شاهقة . وفيه كثير من السمك الطيار والأرش . والأرش حيوان مفترس لا يؤمن الاستحمام في الخليج بسببه .

وفي خليج العقبة ثلاث جزر :

الأولى – جزيرة فرعون: وتقع على بعد ثمانية أميال من بلدة العقبة . محيطها نحو ألف متر. بينها وبين شاطىء سيناء نحو ٢٥٠م . بها خرائب قلعة قديمة . يعتقد انها صليبية من بناء بلدوين الأول ٥٠٩ هـ : ١١١٦ م . ثم رممت بأمر من صلاح الدين الأيوبي .

الثانية – جزيرة تيران؛ تبعد مسافة أربعة أميال عن شاطىء شبه جزيرة سيناء . طولها نحو سبعة أميال وعرضها خمسة . ويبلغ ارتفاع أعلى قممها ٧٠٠ قدم .

الثالثة – جزيرة صنافير ، وهي صغيرة . تقع على مسافة ميلين للشرق من تيران .

وبعد وصول اليهود الى خليج العقبة في عام ١٩٤٩ م أضحى لهذه الجزر أهمية استراتيجية كبرى .

وقد عرف هذا الخليج قديماً باسم «خليج لحيان» نسبة الى «بني لحيان» – بكسر اللام – الذين كانت لهم السيطرة عليه وعلى جواره منذ القرن الخامس حتى القرن الثالث قبل الميلاد .

٢ – إن طول الساحل الأردني الواقع على الخليج المذكور يبلغ نحو ستة كيلومترات وهو بذلك أقصر ساحل تلكه دولة عربية ويليه ساحل الجمهورية العراقية الواقع على الخليج العربي لمسافة نحو ٦٠ كيلومتراً .

وفي صيف ١٩٦٥ اتفق الاردن والسعودية على تعديل الحدود بينهما وبذلك أصبح للأردن ساحلا على البحر الأحمر طوله ٢٦ كيلومتراً .

٣ – رأس الناقورة ؛ يقع هذا الرأس في فلسطين . يبعد عن عكا بنحو ٢١ كم وعن القدس بـ ١٩٧ كم . كما يبعد عن صور بنحو ٢٤ كم وعن بيروت بـ ١٠٦ كيلومترات . دعي بذلك نسبة الى قرية « الناقورة » وجبالها الواقعة ضمن الجمهورية اللبنانية وتبعد القرية مسافة اربعة كيلومترات عن الحدود الفلسطينية اللبنانية .

والناقورة كلمة سريانية بمعنى « حفر » و « ثقب » . ذكر الأدريسي المتوفى عام ٥٦٠ هـ : ١١٦٥ م هذا الموقع باسم « النواقير » . « وهي ثلاثة جبال بيض شاهقة مطلة على ضفة البحر » – بلدانية فلسطين العربية ص ١١٨ . جمع نصوصها الأب ا . س . مرمرجي الدومنيكي . بيروت ١٩٤٨ . =

خليج العقبة

بلاد التيه

الأردن

المرشرش

العقبة

جزيرة فرعون

البرج

جبال التيه

الحقل

المملكة العربية السعودية

الحجاز

الجمهورية العربية المتحدة

سيناء

دهب

النبق

شرم الشيخ

جزيرة صنافير

البحر الأحمر

الشرق الى قرية « يارون »[1] في لبنان . ومن ثم يسير باتجاه الشمال الشرقي الى « َقدَس » و « المطِلّة » في فلسطين ، وعبر وادي الأردن الى « تل القاضي » في فلسطين ،-والى « بانياس » في سورية .

وبعد ذلك يسير خط الحدود باتجــاه الجنوب الغربي الى « جسر بنــات يعقوب » ، ومن ثم يسير باتجاه الجنوب على طول نهر الأردن حتى بحيرة طبرية ، وساحلها الشرقي الى نقطة تكاد تكون الى الشرق منمدينة طبرية حيث ينحرف خط الحدود في اتجاه الجنوب الشرقي الى أن يصل محطة « الحَمَّة » الواقعة على سكة حديد درعا — سمخ .

وحسب هذا التحديد تقع جميع « بحــيرة الحولة » وحوضها ، « وبحيرة طبرية » بأكملها في فلسطين .

ويتألف القسم الفلسطيني الواقع شرقي البحيرتين من قطاع ضيق يمتــد على طول ساحل بحيرة الحولة الشرقي ، وقطعة ضيقة تقع شرقي بحيرة طبرية يتراوح عرضها بين ١٠ — ٢٠٠٠ متر على أكثر تعديل .

وأما الحدود مــع شرقي الأردن فقد حددهــا المندوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الأردن في ١/ ايلول / ١٩٢٢ . وهي تبــدأ من نقطة اتصال اليرموك بالأردن فتسير جنوباً من منتصف مجرى نهر الأردن وبحيرة لوطووادي

= وقال ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦ ﻫ : ١٢٢٩ م « النواقير ، فرجة في جبل بين عكا وصور على ساحل بحر الشام ، زعموا ان الاسكندر أراد السير على طريق الساحل الى مصر ، أو من مصر الى العراق فقيل له ان هذا الجبل محيل بينك وبين الساحل فتحتاج ان تدوره ، فأمر بنقر ذلك الجبل واصلاح الطريق فيه فلذلك سمي بالنواقير — معجم البلدان : ٣٠٦/٥ بيروت ١٩٥٧ .

وفي وقت ما دعيت ناحية الناقورة باسم « مرقاة صور ladder of Tyre » .

والناقورة ايضاً قرية صغيرة من أعمال نابلس .

وفي القطر المصري جبل يعرف باسم (جبل الناقورة ٩٣٣ متراً)، على مسيرة ٢٠ كم للشرق من ميناء (سفاجة) الواقع على البحر الأحمر .

١ — بلدة قديمة أسسها الكنعانيون العرب . وهي اليوم قرية في محافظة الجنوب من أعمال قضاء (بنت جبيل) في الجمهورية اللبنانية .

العَرَبة حيث تنتهي في ساحل خليج العقبة على بعد ميلين غربي مدينة العقبة .

وكانت الحدود بين فلسطين ومصر قد حددت بموجب الاتفاقية المعقودة في ١٢ شعبان ١٣٢٤هـ . أول اكتوبر – تشرين الاول – ١٩٠٦م بين خديوية مصر والحكومة العثمانية . وتمتد الحدود من « تل الخرائب » في « رفح » على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتنتهي في « رأس طابا » على خليج العقبة . وخط الحدود هذا يكاد يكون ، في امتداده مستقيماً .

كان العثمانيون يعتبرون هذه الحدود حدوداً ادارية تفصل بين (خديوية مصر) – التي كانت لهم عليها سيادة إسمية – وبين ولاية سورية ومتصرفية القدس .

* * *

ومما هو جدير بالذكر ان طول الحدود البرية بين «فلسطين المغتصبة» والأقطار العربية المجاورة اليوم تبلغ نحو ٩٥١ كيلومتراً توزع كما يلي :

القسم المغتصب – سوريا : ٧٦ كم

» » – لبنان : ٧٩ كم

» » – الأردن : ٥٣١كم يضاف اليها (٥٦) كم ، وهي الحدود البحرية الواقعة على ساحل البحر الميت .

» » –الجمهورية العربية المتحدة: ٢٦٥كم . بما في ذلك حدود قطاع غزة .

المجموع ٩٥١ كيلومتراً [١]

و « فلسطين » مستطيلة الشكل فطولها من الشمال الى الجنوب ، وهو يوازي حدها الشرقي ، نحو ٤٣٠ كم[٢] واما عرضها ففي الشمال يتراوح بين ٥١ و ٧٠كم. ان النتوء الأرضي الفلسطيني الواقع بين سوريا من الشرق ولبنان من الغرب لا يزيد طوله عن ٢٢ كم وعرضه عن ١٤ كم .

---

١ – ص ٣٤١ من الكتاب السنوي لسلطات القسم المغتصب لعام ١٩٥١ – ١٩٥٢ . طبع في القسم المنتهب من بيت المقدس .

٢ – اقصى طول للقسم المغتصب هو ٤١٦ كم .

وفي الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ و ٩٥ كم . هـــذا وطول الخط المستقيم الممتد بين الساحل ونهر الأردن ، والمار بمدينة نابلس هو ، ٧٢كم . وطوله الممتد بين البحر الميت والساحل ، والمار بالقدس ، هو ٨٢ كم .

وأما في الجنوب فإن العرض يتسع حتى يصل الى نحو ١١٧ كم .

إن أقل عرض في القسم المُنْتَهَب لا يزيد عر ١٤،٥كم. وهي المسافة الواقعة بين طول كرم و « ناتانيا [1] » على ساحل البحر . واما في شمالي القسم المغتصب فإن اعظم عرض له لا يزيد عن ٦٦كم. وفي الجنوب لا يزيد العرض عن١٠٨،٥كم.

مساحة فلسطين السطحية :

تبلغ حوالى (٢٧،٠٠٩) كيلومترات مربعة : ١٠٤٢٩ ميلاً مربعــاً . من هذه المساحة (٧٠٤) كيلومترات مربعة : ٢٧٢ ميلاً مربعاً ، مساحــة بحيرة الحولة وبحيرة طبرية ونصف مساحة البحر الميت . ولا يمكن اعتبار أرقـــام مساحة البلاد صحيحة ونهائية ، وذلك لعدم تعيين الحدود في « وادي عَرَبَة » بين فلسطين وشرقي الأردن . فقد جعل الحد في وسط الوادي ولكنه لم يُعين حتى نهاية الحكم البريطاني البغيض فضلاً عن أن مجرى نهر الأردن الذي يفصل بـــين البلدين ، عرضة للتغيرات الكثيرة ، الأمر الذي يؤثر في خط الحدود ، وبالتالي في مساحة البلاد .

وللمقارنة نذكر مساحة بعض الأقطار بالأميال المربعة :

مساحة بلجيكا : ١١،٧٧٩

« ألبانيا : ١٠،٦٢٩

مساحة ولاية « ماريلند Maryland » في : ١٠،٥٧٧
الولايات المتحدة الامريكية

مساحة « ويلز » من المملكة المتحــدة : ٨،٠١٧
(بريطانيــا)

---

١ ـ مستعمرة أنشأها اليهود في عام ١٩٢٩ م ابان الانتداب الانكليزي المشؤوم . تقع بين يافا وحيفا وعلى مسيرة نحو ٤٥ كيلومتراً من الأولى .

مساحة الكويت : ٦،٠٠٠

مساحة لبنان : ٣،٩٧٧

« قطر : ٣،٩٧٠

وقد احتل اليهود اليوم ٧٧٪ من مساحة وطننا الحبيب أي « ٢٠،٧٠٠ كم٢: ٧٩٩٣ مم٢ » (١) .

* * *

إن الوكالة اليهودية تذكر في صفحة « ٤٣٥ » من احصاءاتها المطبوعة في عام ١٩٤٧ بأن ما يملكه اليهود من اراضٍ في فلسطين ، في نهـــاية شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٦م بلغ ١،٨٠٧،٠٠٠دونم أي ما يعادل ٦،٨٪ من جميع أراضي البلاد . وتوزع الدونمات ، حسب الحصول عليها كما يلي :

١٧٥،٠٠٠	أجرتها الحكومة للوكالة اليهودية .
٣٢٥،٠٠٠	منحتها الحكومة للوكالة اليهودية وهي من أمـلاك الدولة .
٤٢٠،٦٠٠	ما حصل عليه اليهود في عهد الدولة العثمانية — حسب احصاءات الوكالة اليهودية — وذلك بعـد جهود عظيمة بذلت خـلال خمسين عاماً في العهـد المذكور . وهذه الدونات تعادل نحو١،٦٪ من مجموع مساحة البلاد باع العرب هذه المساحة في وقت لم يعلموا فيه شيئاً عن الغايات الصهيونية .
٢٦١،٤٠٠	مساحة الأراضي التي اشتراها اليهـود من عرب فلسطين . وبعضها نتيجـة لقانون نزع الملكية وتنفيذاً لأحكام أصدرتها المحاكم المختصة ، أو لظروف اقتصاديـة بالغة القسوة والشدة .

١ — ص ٣١ من Statistical Year Book 1959 الصادر عن هيئة الامم المتحدة في نيويورك .

	ما باعــه الإقطـاعيون من بعض (اللبنانيين) و (السوريين) من غير أهل فلسطين وتفصيلها كما يلي :	
	٤٠٠،٠٠٠ دونم في مرج بني عامر .	
٦٢٥،٠٠٠	١٦٥،٠٠٠ « اراضي امتياز بحيرة الحولة .	
	٣٢،٠٠٠ « « « وادي الحوارث .	
	٢٨،٠٠٠ « من أراضي أقضية النـاصرة وصفد وعكا وبيسان وجنين وطول كرم .	

المجموع العام :

١،٨٠٧،٠٠٠ من الدونمات

ويتضح من هـذه الأرقام بأن الفلسطينيين باعوا ، ومعظمهم تحت ظروف قاهرة ، أقل من ١٪ من مجموع مساحة البلاد البرية .

وفي آخر احصاء للأعداء أنهم كانوا يملكون في نهاية الانتداب البريطاني في ١٩٢٣ كيلومتراً مربعاً من فلسطين أي ٧،١٥ ٪ من مجموع مساحة البلاد.

هذا والدونم يساوي ألف متر مربع أو $\frac{1}{10}$ من الهكتار . والفدان الواحد — Acre — يساوي ٠،٤٠٥ من الهكتار .

سكان فلسطين :

قدّر العثمانيون سكان فلسطين في عام ١٩١٤ م ، العام الذي أعلنت فيـه الحرب العالمية الأولى ، بـ « ٦٨٩ ، ٢٧٥ » نسمة[1] ٨٪ منهم من اليهود . وكان عـدد سكان فلسطين حسب التقدير الرسمي ، في سنة ١٩٢٠ م « ٦٧٣،٠٠٠ » نسمة منهم ٥٢١،٠٠٠ من المسلمين و ٦٧،٠٠٠ من اليهود و ٧٨،٠٠٠ من المسيحيين و ٧٠٠٠ من المذاهب الأخرى . وفي الإحصاء الذي أجراه البريطانيون في ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٢٢ م بلغ عـدد السكان ٧٥٧،١٨٢ نسمة بينهم ٨٣،٧٩٤ يهودياً ، والباقي عرب يعودون في اصولهم الى العناصر العربيـة

١ - ص ٣٨ كتاب : The Handbook of Palestine And Transjordan تأليف لوك وكيث روتش . لندن ١٩٣٠ .

التي هاجرت قديماً من الجزيرة العربية وسكنت في هذه البقعة المقدسة من الوطن العربي . وهؤلاء العرب يوزعون كما يلي :

المسلمون	:	٥٩٠٬٨٩٠
المسيحيون	:	٧٣٬٠٢٤
الدروز	:	٧٬٠٢٨
بهائيون	:	٢٦٥
سامريون	:	١٦٣
شيعة (متاولة)	:	١٥٦
آخرون	:	١٨٦٢
المجموع		٦٧٣٬٣٨٨ نسمة .

وفي الإحصاء الذي قامت به حكومة الانتداب في ١٨ تشرين الثاني(نوفمبر) من عام ١٩٣١ م بلغ عدد السكان (١٬٠٣٥٬٨٢١) نسمة بينهم « ١٧٤٬٦١٠ » يهود والباقي عرب يوزعون كما يلي :

مسلمون	:	٧٥٩٬٧١٢	
مسيحيون	:	٩١٬٣٩٨	
دروز	:	٩٬١٤٨	يقطنون في بعض قرى الجليل وجبل الكرمل .
بهائيون	:	٣٥٠	معظمهم يقيمون في حيفا وقليلهم في عكا .
سمرة	:	١٨٢	يقطنون نابلس .
لادينيون	:	٤٢١	
المجموع	:	٨٦١٬٢١١ نسمة .	

وفي ٣١ آذار من عام ١٩٤٧م قدر عدد سكان البلاد بنحو « ١٬٩٣٣٬٦٧٣ نسمة »[1] على حساب ان عدد بدو بئر السبع هو « ٤٧٬٩٨١ » كما جاء في إحصاء

١ – ص ٥ من General Monthly Bulletin Of Current Statistics. الصادر في كانون الثاني – شباط ١٩٤٨م. وهي ، على ما نعلم ، آخر نشرة شهرية من نوعها أصدرتها حكومة الانتداب قبل خروجها من فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨م .

عام ١٩٣١م . ولما كان عدد هؤلاء البدو بلغ في احصاء في سري دقيق، أجرته الحكومة عام ١٩٤٦م « ٩١،٩٣٤ » نسمة فيكون عدد سكان فلسطين هو : ١،٩٣٣،٦٧٣ – ٤٧،٩٨١ + ٩١،٩٣٤ = ١،٩٧٧،٦٢٦ نسمة . بينهم « ٦١٤،٢٣٩ » يهودياً ، وهذا يعادل نحو ٣١٪ من مجموع السكان وفي آخر احصاء للاعداء ان عددهم بلغ عند نهاية الانتداب حوالي ٦٥٠٠٠٠ نسمة الا ان معظم هؤلاء اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد بالقوة ، وخلافاً لرغبات سكانها الأصليين واعتراضهم المستمر عليها . ولذلك فلا يمكن اعتبارهم كالسكان العرب مواطنين فلسطينيين شرعيين بأي حال من الأحوال . وعليه فإن النسبة المذكورة أكثر من الواقع بكثير .

والباقي من السكان عرب يوزعون حسب دياناتهم كما يلي :

مسلمون : ١،٢٠١،٣٧٦

مسيحيون : ١٤٦،١٦٢

آخرون : ١٥،٨٤٩ ومعظمهم من الدروز بينهم قليل من البهائيين.

مجموع العرب في فلسطين في ٣١/٣/١٩٤٧ : ١،٣٦٣،٣٨٧

وهكذا يصيب الكيلومتر المربع الواحد ٧٣٫٢ شخصاً أو الميل المربع الواحد ١٨٩٫٦ شخصاً .

وبهذه المناسبة نذكر ان احصاءات المغتصبين قدرت سكان القسم الذي اغتصبوه في نهاية عام ١٩٤٨ بـ ٨٧٩،٠٠٠ بينهم ٧٥٨،٧٠٢ من اليهود . وفي نهاية عام ١٩٦٣ بلغوا ٢،٤٢٩،٥٠٠ بينهم ٢،١٥٥،٠٠٠ يهودي .

أقسام فلسطين الطبيعية

تنقسم بلادنا ، فلسطين ، من الوجهة الطبيعية الى الأقسام التالية .

(١) المنطقة الساحلية ؛ وتشمل السهل الساحلي الممتد من « رأس الناقورة » الى « رفح » .

(٢) المنطقة الجبلية ، بما فيها السهول التي تتخللها .

(٣) الغور ، بما فيه وادي العَرَبَة .

(٤) منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية .

المنطقة الساحلية

إن الساحل الفلسطيني الذي يمتد من « رأس الناقورة » الى « رفح » ، اذا استثنينا خليج عكاء ، – وطوله ١٢ كيلومتراً طرفه الشمالي عكا وطرفه الجنوبي حيفا – يكاد يكون مستقيماً قد لا تجد لاستقامته مثيلاً في سواحل الأرض ، ليس فيه موانىء طبيعية صالحة لرسو السفن وخاصة إبان العواصف والأنواء مما جعل الغزاة والفاتحين ، منذ أقدم الأزمنة ، يكتسحونه من البر . فالمصريون القدماء واليونان والرومان والصليبيون والعثمانيون ونابوليون وابراهيم باشا المصري والبريطانيون دخلوه إما من الشمال أو من الجنوب حتى ان ريكاردوس افتتح ، في الحملة الصليبية الثالثة ، القلاع التي في جنوبي الكرمل من البر .

واما السهل الذي يلي الشاطىء ، ويعرف باسم « السهل الساحلي الفلسطيني» ، وتقدر مساحته بنحو ٣٢٤٤ كيلومتراً مربعاً [1] ، فقد أجمع الجيولوجيون على أن شواطىء البلاد وما يليها من سهول كانت تغمرها مياه البحر حتى الجبال ، وبفضل تقلصات القشرة الأرضية يذكر العلماء بأن شواطىء بلاد الشام – ومنها فلسطين – أخذت تعلو شيئاً فشيئاً على طريقة ثابتة في مدة العصور الطويلة ؛ ويبرهن العالمان « لارته – Lartet » و « هول – Hull » بأنهما فحصا البطحاء الممتدة من وراء يافا فاستدلوا على امتداد البحر الى الرملة واللد . وذلك لأن تركيب هذه السهول من الرمل الحمر المختلط بالحصباء ، واذا اقتربت من الرملة وجدت الأرض

---

١ – فلسطين : تقرير عن الهجرة ومشاريع الإسكان والعمران . جون هوب سمبسون . ص ٣٥ و ٢٢٨ . القدس ١٩٣٠ .

المجاورة لها تتكون من الحصى المستدير الشكل وهو متلبد ذو أحجام مختلفة ، ومن ثم جمع العالم «لارته» أنواعاً من الأصداف التي لا تزال الى يومنا هذا تكتشف في بحر الشام، فتبين من هذه الملاحظات أن ما أحاط بيافا من السهول كانت تغمره مياه البحر سابقاً ثم ارتفعت هذه الأراضي مع الزمن وانحسرت عنها المياه .[1]

ومما يدل على صحة هذا القول ان معدل امتداد الرمل في البحر ، بين مدينتي يافا وغزة يبلغ متراً على الأقل كل سنة .

هذا والقسم الشمالي من « السهل الفلسطيني » يعرف باسم « سهل عكا » ويمتد من شمالي جبل الكرمل الى رأس الناقورة على مسافة نحو (٤٠) كيلومتراً . وتبلغ مساحته نحو ٣١٦ كيلومتراً مربعاً .

ويختلف اتساع السهل الساحلي ، فعرضه في سهل عكاء يتراوح بين ٨ — ١٦كم وفي رأس الكرمل يبلغ أقل اتساع له حيث لا يكاد يبلغ عرضه ١٨٠ متراً . وفي جنوبي الكرمل يتراوح بين ١٠ — ١١ كيلومتراً ومن ثم يتسع بغير انتظام حتى يصير عرضه عند يافا وجوارها ٢١ كم ويزيد عند غزة وأطرافها، حيث يتداخل مع منطقة بئر السبع فيبلغ عرضه نحو ٣٢ كم .

ويتخلل السهل في بعض أماكنه تلال يتراوح ارتفاعها من ٢٠٠ — ٣٠٠قدم: ٦١ — ٩١ متراً . ومن أهم الصعوبات التي تعترضه انتقال الرمال الى داخله حتى أنها ، في بعض الأحيان تغمر الأراضي الساحلية لأكثر من ستة كيلومترات ونصف الكيلومتر للشرق .

كان العرب الكنعانيون يسمون الساحل الخصب من يافا الى حيفا باسم « صازون » و « شارون » ، بمعنى « سهل » و « مرج خصب » . وعنهم أخذ اليهود هذه التسمية .

كانت غابات السنديان ، كما ذكر « يوسيفوس [2] » و « استرابو [3] » تملاء

---

١ — مجلة المشرق ، السنة الأولى: ص ٥٥٢ للأب لويس شيخو اليسوعي. بيروت ١٨٩٨. المطبعة الكاثوليكية .

٢ — مؤرخ يهودي . توفي عام ..

٣ — رحالة ومؤلف . توفي عام ٢٤م .

قديماً هذا السهل الا انه لم يبق لها أثر اليوم .

ومن أشهر غابات فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري — القرن السابع عشر الميلادي — [غابة عَسْقلان ، وهو حرج كبير يمتد الى نواحي الرملة . ومن الغابات غابة أرسوف بالقرب من نهر العوجاء يمتد الى عكا وكان يقال له غاب قَلَنْسَوَة وهذا الحرج يمتد من « قاقون » الى « عيون التجار »][1] .

ويروي هذا السهل نهران :

(١) نهر المُقَطَّع :

ويعرف أيضاً باسم « نهر حيفا » . وقديماً ذكر باسم « قيشون » بمعنى « منحن » . وعرفه الرومان باسم « نهر باسيدا - Rivus - Pacida » . وهو ثالث انهار فلسطين ، إذ يبلغ طوله ١٣ كم . ويتألف من مياه « مرج بني عامر » التي تتجمع مع بعضها البعض في شمال شرقي « تل المُتَسَلِّم » . ثم تتخذ مجراها سائرة ببطء ، ومتقطعة أحياناً (ومنها اسمه) ، نحو الشمال الغربي الى أن ينتهي في خليج عكا ، على مسافة نحو أربعة كيلومترات شرقي حيفا .

وذكر الجوالة الإنكليزي (ماك كريكور) الذي ارتاد نهر المقطع ومجراه على زورق في عام ١٨٦٩ م انه طلع عليه بغتة من الماء تمساح كاد يقلب الزورق مما لم يكن في الحسبان[2] . ولم نسمع بعد ذلك شيئاً عن وجود التماسيح في هذا النهر .

---

١ — خطط الشام لمحمد كرد علي . ١٧١/٤ . مطبعة الترقي دمشق ١٩٢٦ م . و « عيون التجار » موقع يعرف اليوم باسم « خربة سوق الخان » للقرب من قرية « كفركنا » من أعمال طبرية . وهي خربة عبارة عن « خان وحصن » . كان « سنان باشا » احد ولاة الشام وأكثر وزراء آل عثمان نفعاً وآثاراً في سورية قد أقام في « عيون التجار » هذه ، وفي « سعسع » و « عكا » مساجد وحمامات وخانات ينزلها المسافرون . توفي سنان باشا عام ١٠٠٤ هـ .

٢ — تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار . للأب هنري لامنس اليسوعي ٢٠٥/٢ . بيروت ١٩١٤ .

(٢) نهر العَوجاء :

تأنيث الأعوج . وهـو اسم لعدة مواضع في مختلف أقطار الوطن العربي ونهر العوجاء هذا ، ويعرف أيضاً باسم نهر يافا ، ينبع من « رأس العـين » على مسيرة عشرين كيلومتراً للشمال الشرقي من يافا . وهو ثاني أنهار فلسطين اذ يبلغ طوله ٢٦ كم.ويبلغ مقدار تفريغه $\frac{١}{٢}$ ٨ متراً مكعباً في الثانية . يصب في شمالي يافا وعلى بعد نحو ستة كيلومترات منها .

وتسير في العوجاء الزوارق البخارية بين قرية « جَريشه » ، متنزه أهـل يافا ، وبين مصبه .

وفي عام ١٩٣٥ م تم جر مياه ينابيع العوجاء الى القدس ، بواسطة أنابيب مدت تحت سطح الأرض لمسافة ستين كيلومتراً. وقد بلغت نفقات هذا المشروع « ٣٦٠،٠٠٠ » جنيه فلسطيني[١] .

وعند مصب النهر تقع محطة « ريدنغ » لتوليد الكهرباء وتزويد تـل أبيب ويافا بالقوة الكهربائية .

وتنتهي في العوجاء مياه الأمطار التي يحملها :(١)وادي قا نا، الذي يبدأ على مسيرة ستة أميـال للجنوب من نابلس مـاراً بالقرب من قرى « دير إستيا » و « سِنْجِرِيَة » و « جَلْجُوليا » وغيرهما . (٢) وادي جَرْيوت ، الآتي من قرية « بِيتُونيا » من أعمال رام الله ، ويمر بقرى « المِديه » و « الحَديثَة » و « كفرعانه » و « سَاقِيَة » و« الخَيْرِيَّة» و« الجَمَاسِين» وينتهي في العوجاء قبالة قرية « الشيخ مُوَنِّس » .

ومن القبائـل المستقرة على اطراف نهر العوجاء « عـرب المُوَيلِح » و « أبو كِشك » و « السوالمة » .

وبعد النكبة قام اليهود بجر مياه هذا النهر بواسطة أنابيب ضخمة الى شمالي قضاء بئر السبع والناحية المجاورة له.وقد احتفل بافتتاحه في صيف عام ١٩٥٥م.

---

١ - الجنيه الفلسطيني يعادل الجنيه الأسترليني .

كلف هذا المشروع (٤٥) مليون دولار ، كانت حصة أمريكا منها (٤٠) مليون دولار[١] . والمنطقة التي ترويها هذه المياه واسعة تصلح للزراعة والسكن .

كان الكنعانيون يسمون نهر العوجاء باسم « مياه اليَرْقون » بمعنى « المياه الصَفْرَة » ، وعنهم أخذ اليهود هذا الاسم . ولعل هـذه التسمية تعود الى التربة الصفراء التي كانت تجرفهـا مياهه أثناء جريانها فتصبغها باللون المذكور . ودعاه الرومان باسم « Mê Pîga » والعرب باسم « نهـر أبي فُطْرُس » بضم الفاء وسكون الطاءوضم الراء وسين مهملة – تحريف لكلمة «أنتيباتريس»، المدينة التي بناها « هيرودوس » الآدومي عنـد منابعه . وخرائبها تعرف اليوم باسم « قلعة رأس العين » .

وفضلاً عن هذين النهرين فهناك ، في « السهل الساحلي الفلسطيني » عيـون وجداول صغيرة تقوى أو تخف – وقد تجف – وفقاً لما يكون عليه فصل الشتاء من عطاء أو جفاء ؛ ووديان وسيول تجري في الشتاء. وكل هذه لو خزنت مياهها لكانت تكفي لري سهولها . وها هي اسماء أهم هذه الجداول والعيون والوديان من الشمال الى الجنوب :

١ – **وادي كَرْكَرَة** : دعي بذلك نسبة الى « خربـة كَرْكَرَة » . ينتهي في البحر ، على مسيرة كيلومترين للجنوب من « رأس الناقورة » .

٢ – **وادي القُرَيْن** : يبتدىء من ملتقى واديـين منحدرين من قريـتي « البُقَيْعَة » و « بيت جَنّ » . يمر بقلعة « القُرَيْن[٢] » . – قلعة « مونتفورت Montfort » الصليبية . ، وينتهي في البحر شمال قرية « الزّيب » ، على بعـد نحو خمسة كيلومترات من الحدود الفلسطينية – اللبـنانية . وقد وصف شيخ الربوة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصـوفي الدمشقي المتوفى عام ٧٢٧ هـ : ١٣٢٧ م هذا الوادي بقوله : [وادٍ نزه معروف من أنزه

---

١ – مؤامرات حول مياه نهر الأردن . ص ٧٠ دمشق ١٩٦٠ .

٢ – القرين تصغير قرن . ومن معاني القرن « الحصن » و « رأس الجبـل » و « الجبل الصغير » . وتكاثر الأماكن المسماة بهـذا الاسم « قرن » و « قرين » في مختلف أقطار الوطن العربي .

البقاع . وبه من الكمثرى المِسْكي المعطر الرائحة ، الطيب الطعم ما لا بغيره ، ومن الأترج ما تكون الثمرة الواحدة نحو ستة أرطال دمشقية [1]] .

ويعتبر « وادي القرن » الحد الجنوبي لجبل عامل . واما حده الشرقي فيقع عند « بحيرة الحولة » واطرافها . ولهذا فإن القسم الشمالي من فلسطين ، الملاصق للبنان ، هو في الواقع جزء من جبل عامل .

وقلعة « القُرَين » أو « مونتفورت » هذه – كما يسميها الصليبيون – بناها التيوتون ، من الصليبيين ، في عام ١٢٢٨م وفي عام ١٢٧١ م استولى عليها الظاهر بيبرس ، بعد أن هدّمها وما زالت خراباً الى يومنا هذا . وبقاياها الحالية تتألف من أنقاض القلعة ومن مدافن وبقايا سد في وادي القرن .

٣ – **الكابري** : عيون تقع على مسافة ٨ أميال للشمال من عكا . تسقي الكثير من البساتين المجاورة . سحبت مياهها الى عكا في عهد حاكمها «احمد باشا الجزار» الذي امتد حكمه من عام ١٧٧٥ – ١٨٠٤ م .

٤ – **وادي المفشوخ** : يقع جنوبي الكابري . عرفه الرومان باسم « ماء جعتون – Mè Ga'atôn » . وفي الشهر العاشر من عام ١٩٤٨ أقام اليهود مستعمرتهم « جعتون Ga'aton » للشرق من نهاريا . كان في المستعمرة (١٢٥) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

٥ – **نهر النعامين** : عرفه الكنعانيون باسم « نهر بعل[2] » . ثم حرفه اليونان الى اسم « بيلوس – Belus » . وكثيراً ما ذكر باسم « نهر عكا » حيث يصب في جنوبها الشرقي ، على بعد كيلومترين منها . ينبع من « تل الكُرْدانا » وينتهي في البحر بعد مسيرة نحو ٨ كيلومترات . تبلغ غزارته السنويه ٢٠١و٦ من مليون المتر المكعب .

والمعروف ان « النعامين » كان يزود الكنعانيين (الفنيقيين) بالكثير من أصداف « موركس – Murex » التي كانوا يستخرجون منها صباغ الأرجوان

---

١ – بلدانية فلسطين العربية ص ١٨٩ .

٢ – بعل ، كلمة عربية كنعانية بمعنى « رب » أو « سيد » .

لاستعماله في صبغ الأقمشة المختلفة .

ويروي المؤرخ الروماني « بلينـــوس – Plinius ٢٣ – ٧٩ م [١] » ان الكنعانيين استنبطوا صناعة الزجاج عند رمال هذا النهر كما سنذكر ذلك في مكانه .

ولعل اسم « النعامين » يعود الى ان جماعة من عشيرة « النعــامين » من « الحنـاجِرَة » ، في قضاء بئر السبع ، نزلته فنسب اليها . والعشيرة المذكورة هي من أعقاب « قبيلة النعـــيم » التي كانت تسكن جنوبي فلسطين في العصور الماضية .

٦ – نهر الدّفلة : واد صغير ينتهي في البحر جنوبي « الطنطورا » . عرفه الرومان باسم « Chorseus » .

٧ – نهر الزرقاء : يصب في البحر بـين « قِيسارِيّة » و « الطَّنطُورا » وعلى مسيرة ستة أميال من الثانية . عرفه الكيعانيون باسم « شِيحُور لِبْنَة » بمعنى «النهر الأبيض الموحل » .وذكره الرومان «باسم Crocodilon - Flumen - نهر التمساح » . وفي عهدهم كانت بلدة « Crocodilon Polis » تقوم عند مصبه .

ولما مرّ الجوّالة الفارسي نصري خسرو في هذه الجهات ، في القرن الحـادي عشر الميلادي ، ذكر هذا النهر باسم « وادي التماسيح » . ولما خَيَّم « ريكاردوس قلب الأسد » ملك الانكليز عند نهر الزرقاء ، في اواخر القرن الثـــاني عشر ، افترس التمساح اثنين من جنوده [٢] . وقد شهد هــذه التماسيح السائحون الذين نزلوا هذه الجهات في القرن الثالث عشر والرابع عشر .

ويرى بعض العلماء أن المصريين هم الذين نقلوا هذا الحيوان الى فلسطين التي كانت لمدة طويلة تحت حكم الفراعنة . فلا يبعد ان يكون بعض المصريين الذين نزلوا هذه البلاد قد أحبـــوا جوار هذا الحيوان ، الذي هو من معبوداتهم فاستصحبوه [٣] .

---

١ – كان هذا العالم من رجال الادارة والجيش . قتل بغازات بركان « فيزوف » حينما كان يحاول دراسة البركان . ومن كتبه المهمة « Naturalis Historia » في سبعة وسبعين فصلاً .

٢ – تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ٢/٢٠٣ .

٣ – نفس المصدر ٢/٢٠٦ .

وفي اوائل هذا القرن عثروا في نهر الزرقـاء على تمساح طوله ٣٫٢٠ متراً ؛ والراجح ان هذا كان آخر العهد بهذا الحيوان في النهر المذكور .

وعلى أطراف نهر الزرقاء تقيم قبيلة « الغوارنة » .

٨ – نهر المَفْجَر : بالفتح ثم السكون وفتح الجـيم . اسم المكان من فَجَرْتُ الحوض وغيره اذا أسلته . ويعرف أيضاً باسم « وادي الخضيرة » . يصب في جنوبي « قيسارية » . وتنتهي فيه مياه الأمطار التي تحملها الوديان الآتية من مرتفعات قضائي جنين وطول كرم .

عرفه الصليبيون باسم « النهر الميت » .

٩ – نهر اسكندرونة : يصب في البحر عند ميناء « أبو زابورة » ، جنوبي المفجر وللشمال من قرية أم خالد . وقد جففت « بصة الشيخ حسين » التي كانت تحدثها مياهه في اول مجراه . وينتهي في نهر اسكندورنة « وادي زِبِمَر» الذي يحمل مياه الأمطار الآتيـة من جبال نابلس ماراً بقرى دير شرف وعَنَبْتا وغيرهـــا .

وعلى اطراف النهر الشمالية استقرت قبيلتا « النفيعات » ، كما استقرت في جنوبه قبيلة « الحوارث » . وبعد أن باع اللبنانيون الذين يملكون الأراضي التي كانت تقيم فيها هذه القبيلة ، منذ مئات السنين ، لليهود في عهد الحكم البريطاني المشؤوم تشرد نتيجة لهذا البيع نحو ١٥ الف حارثي . ولما أبى بعضهم أن يترك أرضه ومرابعه سقط شهيداً برصاص الانكليز .

عرف الرومانيون نهر اسكندرونة باسم (Bdellopotamus) والصليبيون ذكروه باسم « النهر المالح » .

١٠ – نهر الفالق : وادصغير يصب في شمالي قرية « الحَـرَم – سيدنا علي» . وقد جففت مستنقعات « بركة رمضان » و « بصة الفالق » التي كان يحدثهـا في أول مجراه .

ذكره الصليبيون باسم « Rochetaillé »ويذكر أحياناً باسم «نهر ارسوف» التي تقع خرائبها في شمالي قرية « سيدنا علي » .

وفي صيف عام ١٩٤٨م أقام اليهود بالقرب من مصب « الفالق » مستعمرة « عوديم – 'Udim » . بلغ عدد ساكنيها في نهاية عام ١٩٥٠ (٧٣) يهودياً .

١١ – نهر روبين : عرفه الكنعانيون أيضاً باسم « نهر بعل » . ثم حرف الى « بيلوس – Belus » . يصب جنوبي يافا على بعد ١٤ كم منها . وهو مشهور بموسمه المعروف . ففي كل سنة يؤمه خلق كثير من يافا والرملة واللد وقراها لزيارة مقام « النبي روبين » الذي عمّره ولي الله الشيخ شهاب الدين بن أرسلان [1] . ويمكثون هناك مدة الصيف يقضونها في الخيام .

وينتهي في روبين « وادي الصرار » الآتي بمياه الأمطار من جبال القدس . وتقع « ميناء روبين » ، التي كانت تصدر مزروعات هذه الجهات ، في الجنوب من مصب النهر . وتقيم على أطرافه عشيرة « النبي روبين – اللالحة » .

وتذكر الخرائط التي أصدرتها سلطات المغتصبين في فلسطين نهر روبين باسم « سورق – Sorek » نسبة الى « وادي سورق » الأسم القديم لوادي الصرار . كما تشير هذه الخرائط الى ان السلطات المذكورة انشأت عند مصب النهر مستعمرة دعوها « بالماهيم – Palmahim » .

١٢ – نهر صُقْرير : يصب شمالي « أُسْدُود » . ويرجح ان اسمه تحريف لبلدة « شَكْرُون » الكنعانية ، التي تعرف بقعتها اليوم باسم « خربة صُقْرير » . وعند مصبه يوجد مقام يعرف باسم « النبي يونس » .

تقيم عشيرة « عرب صقرير » على اطراف هذا النهر .

قام المغتصبون بانشاء ميناء عند مصب هذا النهر في عام ١٩٦٠ م . وذلك لتخفيف الضغط على ميناء حيفا – الذي ينقل أكثر من ٨٠٪ من تجارة المغتصبين الخارجية – ، ولتعمير جنوبي البلاد وتسهيل نقل منتجات المنطقة الى الخارج

---

١ – ذكره صاحب الأنس الجليل (٣٧٩ – ٣٨٠) بقوله : (شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الفقيه أمين الدين حسين بن حسن ... بن أرسلان الرملي ثم المقدسي الشافعي الإمام الحبر العالم العارف بالله تعالى ، ذو الكرامات الظاهرة .) ولد بالرملة في نحو ٧٧٣ أو ٧٧٥هـ . وأصله من عرب كنانة . وقد عمر رحمه الله برجاً على البحر بيافا ، كان يقيم به كلما نزل هذا الثغر . توفي في القدس عام ٨٤٤ هـ .

وخصوصاً الحمضيات .

وقد تمّ في الآونة الأخيرة إيصال أنابيب البترول الى هـــذا الميناء من بئر السبع. وبهذا يصبح ميناء سكرير أو ميناء أسدود Ashdod yam أحد الموانيء التي تصدر البترول .

وتنتهي في « صقرير » مياه الأمطار التي يحملها :

(١) وادي السّنْط ؛ ويبدأ في غربي بيت لحم ويمر بقرى « بيت نَتّيف » و « عَجوُّر » و « زَكريّا » و «تل الصّافي و «تل التّرْمُس» و «القَسْطِينَة» و « بَرْقَة » وغيرهـــا . (٢) وادي الخليل ويبدأ في غربي الخليل ويمـــر بقرى « تَرْقومْيا» و «إِذْنا» و «القُبَيْبَة» و « زيتا » و «جسَيْر» و « الجَلَدِيّة» و « السوافير » و « بيت داراس » وغيرها . وعند السوافير تلتقي بـــه مياه الأمطار الآتية من « الدوايمة » و « الفالوجَة » وغيرها .

وتسمي خرائط المغتصبين « نهـــر صقرير » باسم « نهر لخيش » نسبة الى مدينة « لخيش » الواقعة خرائبهـــا امام قرية « القبيبة » . و « لخيش » هذه ، الآتي ذكرها ، من أقدم مدن البلاد ، وتعود بتاريخها الى الكنعانيين . كما تشير هذه الخرائط الى ان هؤلاء الناهبين أنشأوا فضلاً عن ميناء « Ashdod Yam — اشدوديام » المار ذكرها مستعمرتي «نير غاليم — Nir Gallim» و «بني داروم— Benci Darom » على جانبي صقرير .

١٣ — **وادي الحِسِي** : واد تتجمع فيه الأمطار المنحدرة من جبال الخليل وسهول قضاء غزة مـــارة في قرى « بُرَيْر » و « سِمْسِم » و « دير سُنَيْد » وينتهي في البحر عند قرية « هربيا » .

و «الحِسِي » هو الينبوع الذي يمكن الوصول اليه على مسافة قريبـــة من الأرض . والجمـــع « أحْساء » ومنه مقاطعة « الأحساء » في المملكة العربية السعودية .

١٤ — **وادي غزة** :عرفه الكنعانيون باسم «وادي البَسُور » . وادٍ تتجمع فيه مياه الأمطار المتساقطة في اراضي بئر السبع . ويلتقي به «وادي الشريعة»

قبل أن ينتهي في البحر بين غزة ودير البلح .

مناخ السهل الساحلي

قول مجمل في مناخ فلسطين :

تقع فلسطين في « اقليم البحر الأبيض المتوسط » . ولهذا فأن المناخ الذي يسودها يتألف من فصلين : فصل ممطر وفصل جاف .

والفصل الممطر في البلاد يمتد عادة من تشرين الثاني حتى اوائل نيسان . وهناك اعوام يبدأ المطر فيها في تشرين الأول وينتهي في أيار . ولا يأتي المطر في الغالب الا اذا هبت عليها الرياح العكسية — الريح الجنوبية الغربية — فأن هذه الرياح تهب من صحارى افريقية حارة جافة وتمر على مياه البحر الأبيض المتوسط فتمتص بخاراً غزيراً منه . وباتصالها بسواحل البلاد وجبالها يهطل المطر . إن عدد الايام المطرة يبلغ من ٤٠ — ٦٠ يوماً في السنة . والاشهر التي يبلغ فيها المطر حده الأعلى هي كانون الأول وكانون الثاني . وتؤلف امطارها ٤٠ — ٥٠٪ من مجموع أمطار الفصل . كما تشكل نحو ٤٠٪ من عدد الأيام المطرة .

وتسقط الأمطار عادة في فلسطين لمدة تدوم من يومين الى أربعه أيام وتليها فترة صحو تمتد من ٥ — ١٠ أيام . وأيام الصحو هذه جميلة وسطوع الشمس يزيد في جمالها .

ويهب على جميع البلاد « رياح الخَمَاسين » أو « الشلوق » وهي رياح شرقية مزعجة ، جافة وحارة جداً تهب بين نيسان ومنتصف حزيران وبين منتصف أيلول ونهاية تشرين الاول . ومنها ما يكون ضاراً بالنبات . وريح الشمال باردة ، وريح الجنوب حارة والريح الجنووبية الغربية تقبل بالمطر .

* * *

تتراوح كمية المطر في الساحل بين ٣٥٠ ميليمتراً في الجنوب و (٦٥٠) ميليمتراً في الشمال . وهاك معدل سقوط الامطار ، بالمليمترات ، للمدة الواقعة بين عامي ١٩٠١ — ١٩٤٠ في بعض مدن هذا الساحل : (عـكا ٦١١,٤) ،

(حيفا ٦٣٥,٤) ، (يافا ٥٤٩,٦) و (غزة ٣٧٢,٧) .

ومتوسط درجات الحرارة في السهل الساحلي في فصل الامطار – الشتاء – معتدلة . فأنهـا تتراوح بين ١٣° – ١٨° مئوية : ٥٦° – ٦٥° ف. ونسبة الرطوبة فيه لاتختلف عن الرطوبة المسجلة في فصل الصيف . وصفوة القول إن مناخ الساحل الفلسطيني في الشتاء دافيء ولطيف .

وأما الفصل الجـاف ، فصل الصيف ، فأنه يمتد عادة بين منتصف حزيران ومنتصف ايلول . ودرجات الحرارة فيه ترتفع نسبياً ومتوسطها يتراوح بـين ٢٤° – ٢٧° مئوية : ٧٥° – ٨١ ف° ونسبة الرطوبة فيه حوالي ٧٠٪ .

والجدول الآتي يبين معدل درجات الحرارة في ثلاث مدن من مدن الساحل المذكور :

	حيفا ف° : س	يافا ف° : س	غزة ف° : س
معدل درجات الحرارة لسنين عديدة	٦٩ : ٢٠,٦ [١]	٦٩ : ٢٠,٦ [١]	٦٨ : ٢٠,٣ [٢]
معدل درجات الحرارة العظمى لسنين عديدة	٧٧ : ٢٤,٨ [١]	٧٨ : ٢٥,٣ [٣]	٧٨ : ٢٥,٣ [٧]
معدل درجات الحرارة الصغرى لسنين عديدة	٦٢ : ١٦,٤ [١]	٦٠ : ١٥,٦ [١]	٥٨ : ١٤,٥
معدل نسبة الرطوبة المئـوية	٦٦,٢ [٥]	٧١,٨ [٣]	٦٩ [٦]

وبهذه المناسبة نذكر ان معـدل درجة الحرارة في كانون الثاني لمدة ثمـاني سنوات (من عام ١٩٢٨ – ١٩٣٥) كان في حيفا ١٣,٨° س : ٥٧ ف° ، وفي

---

١ – لمدة تسع سنوات . (٢) لمدة سبع سنوات . (٣) لمدة ١١ سنة . (٤) لمدة ١٠ سنوات . (٥) لمدة خمس سنوات . (٦) لمدة ٤ سنوات . (٧) لمدة ٨ سنوات .

يافا ١٢٫٦°س : ٥٥ف° . بينما كان متوسط الحرارة للسنوات نفسها في شهر آب ٢٨٫٥°س : ٨٣ف° في حيفا و ٢٦٫٩°س : ٨٠ف° في يافا .

كان شهر شباط من عام ١٩٤٣م أبرد اشهر السنة في حيفا ويافا حيث بلغ معدل الحرارة فيه ١٠٫٩٨°س : ٥١ف° في حيفا و ١٢٫٦°س : ٥٥ف° في يافا . وأما في غزة فقد كان كانون الثاني أبرد أشهر تلك السنة حيث بلغ معدل الحرارة فيه ١٢٫٦°س : ٥٥ف° . وفي الصيف كان شهر آب أشد حرارة أشهر تلك السنة في يافا وغزة حيث بلغ المعدل في الأول ٢٥٫١°س : ٧٧ف° و ٢٥٫٧°س° : ٧٨ف° في الثانية . وأما في حيفا فقد كان أيلول أشد حرارة أشهر تلك السنة حيث بلغ المعدل ٢٤٫٨° مئوية بينما بلغ في آب ٢٤٫٧°س : ٧٦ف° .

ويلطف جو سهل فلسطين الساحلي ، في الصيف ، نسيم البحر الذي يبدأ هبوبه بعد شروق الشمس بساعات قليلة . وقد تصل سرعته بعد الظهر ٢٠—٣٠ كيلومتراً في الساعة. وفي الليل يهب نسيم البر الذي يُساعد أيضاً على تلطيف الجو.

* * *

ومياه السهل الساحلي غزيرة ويمكن الوصول اليها في أعماق تتراوح من ٢٠ — ٣٠ ومن ٣٠ — ٤٠ متراً حسب البعد عن الشاطىء . وتربته خصبة تتألف من الغِريَن ومعظمه من الصلصال والرمال التي جرفتها المياه في الأدوار الجيولوجية المتأخرة من الجبال المجاورة . وتزيد السيول والجداول المائية هذا الغِريْن في كل سنة .

ويعد السهل المذكور من أهم حقول الحنطة في البلاد . لأن التربة تحت سطحه رطبة دائماً بسبب المطر والندى اللذين يسقطان شتاءً وربيعاً . والأهراء [1] ليست ضرورية لأن الحبوب تُدرس وتجمع في الصيف الذي لا يسقط فيه المطر. وقد بلغ محصول القمح في فلسطين في عام ١٩٤٤م (٥٧٬٤٥٦) طناً منها (٥٥٠٠) أنتجته الأراضي اليهودية أي بنسبة تقل ١٠٪ من محصوله العام والباقي

١ — جمع «هري» بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء وهو بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه .

كان من إنتاج الأراضي العربية . [١]

وفي السنين الأخيرة غرس قسم عظيم من مساحات السهل الساحلي الواسعة بأشجار الحمضيات وخاصة البرتقال . وقد بلغ مجموع مساحة الأراضي المغروسة بالحمضيات في فلسطين ، قبيل نهاية الحكم البريطاني الظالم (٢٨١،٤٤٨) دونماً يملك اليهود منها ١٣٩،٧٢٨) دونماً أي ما يقرب من نصف حمضيات البلاد .

واذا قدر للشجرة الواحدة أن تشغل مساحة ٤ × ٥ أمتاراً مربعة أي (٥٠) شجرة للدونم الواحد ، فيكون عدد الأشجار في فلسطين ، من كل أنواع الحمضيات والاثمار (١٤،٠٧٢،٤٠٠) شجرة .

وقبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ بلغ ما صدرته البلاد في عام ١٩٠٨ — ١٩٠٩ (٧٤٤،٤٦٣) صندوقاً . ثم أخذت صادرات البرتقال تزداد في السنين التالية . ففي عام ١٩١٠ — ١٩١١ بلغ ما صدر من البرتقال (٨٦٩،٨٥٠) صندوقاً بقيمة (٢٣٥،٦٠٥) جنيهات استرلينية ، كما بلغ في عام ١٩١٢ — ١٩١٣ م « ١،٦٠٨،٥٧٠ » صندوقاً . — والصندوق عادة يحتوي على ١٤٤ حبة — .

ويعتبر محصول ١٩٣٨ — ١٩٣٩ أكبر محصول أنتجته فلسطين. اذ بلغ ذلك نحو ١٦ مليون صندوق . صدر منها نحو ١٥،٢٦٤،٧٧٦ صندوقاً بقيمة « ٤،٣٥٥،٥٨٣ » جنيهاً استرلينياً .

وقد اختلف الباحثون في تحديد المنطقة التي نشأ فيها البرتقال ، ولكنهم أجمعوا على انها تقع في الصين وفي شمالي الهند ؛ وان العرب هم الذين نقلوها في العصور الوسطى الى غربي آسيا وما جاورها من بلاد البحر الابيض المتوسط . ثم دخل اوروبا عن طريق اسبانيا .

كما يزرع في السهل الساحلي المذكور :

---

١ — ص ٢٥ من Statistical Abstract Of Palestine 1944 - 1945 التي كانت تصدرها الحكومة البريطانية . والاحصاءات الزراعية الأخرى الوارد ذكرها في هذا البحث مأخوذة عن الكتاب المذكور . وهي آخر نشرة من نوعها أصدرتها حكومة الأنتداب فيما نعلم .

البطيخ : بلغ محصوله في عام ١٩٤٤م « ١٠٢،٥٠٢ » من الأطنان . منها « ٦٥٢٢ » طناً أنتجتها الأرض اليهودية أي بنسبة ٦،٣٪ من محصوله العام . والباقي كان من انتاج الأراضي العربية .

الشعير : الذي بلغ محصوله في عام ١٩٤٤ « ٤١،٤٨٢ » طناً . منها نحو ٦٠٠٠ طن من محصول اليهود أي بنسبة تقرب من ١٤،٥ ٪ من محصوله العام .

القطاني : كالفول والعدس والحمص والذرة والسمسم . وقد بلغ منتوجاتها في عام ١٩٤٤ (٤٥،٠٦٥) طناً . منها ١٣٥٠ طناً أنتجتها المزارع اليهودية . أي بنسبة ٣٪ من المجموع العام .

الكرسنة : بلغ منتوجها في العام المذكور ١٠،٢٨٣ طناً منها نحو (٢٠) طناً أنتجتها المزارع اليهودية.

الخضر : وقد بلغ محصولها في فلسطين في عام ١٩٤٤ (٢٧١،٣٢٩) طناً أنتج اليهود منها ٧٥٠٠ طن . أي بنسبة تقل عن ٣٪ من منتوج البلاد العام .

والفواكه ومنها الموز [١] والنخيل وغيرها . وأما القطن الذي كان يزرع في السهل الساحلي وخاصة في ناحية عكا فلم يزرع منذ أمد طويل .

وفي الساحل أيضاً أشجار الجميز الذي يعتبر من فصيلة التين ، والصبّير والترمس وغيرهما .

وعلى كل فإن أراضي هذا القسم من وطننا السليب ملائمة جداً لأحداث ازدهار زراعي باهر فيها .

* * *

ويصطاد على الساحل الفلسطيني الكثير من السمك . وأشهر مصايده في « الزيب » و « عكا » و « حيفا » و « الطنطورا » و « يافا » و « الجورة » و « غزة » . وجميعها ، كما ترى ، مصايد عربية .

وقد بلغ مقدار ما صيد من الأسماك في عام ١٩٣٧ « ٢٠٤٨ » طناً توزع كما

---

١ – أصله من بلاد الملايو في جنوبي آسيا حيث الجو حار ورطب ملائم لنموه . والعرب هم الذين أدخلوا الموز الى العراق والشام وغيرها أثناء الفتوحات الإسلامية .

يلي[1] :

٧١٧	طناً ما اصطيد في حيفا والزيب وعكا والطنطورا .
١٠٥٤	« « « « يافا والجورة وغزة .
٠٠٤٧	« « « من بحيرة الحولة .
٠٢٣٠	« « « « بحيرة طبرية .
٢٠٤٨	المجموع .

وبلغ مجموع ما صيد من الأسماك، في مختلف مصايده، في عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ « ٤٢٩٨٠ » طناً . ٦٩٪ منها اصطيدت في الساحل و ٩٪ من بحيرة طبرية و ٢٪ من بحيرة الحولة و ٢٠٪ من البرك الصناعية . ومن المجموع المصيد (١٥) طنـــاً اصطيدت في العقبة على البحر الأحمر .

ويستخرج الفلسطينيون ، وخاصة سكان السواحل الشمالية ، الملح من بحرهم.

* * *

يخترق هذا السهل اليوم طريق حديـدي يمتد من حدود لبنان الى رفح يصل فلسطين بسكك حديد الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اللبنانية ، كما يتفرع من الطريق المذكور خط حديدي يصل يافا بالقدس ماراً باللد .

بدأ انشاء السكك الحديدية في فلسطين عام ١٨٨٩م حينما نالت شركة فرنسية امتياز خط حديدي يربط يافا بالقدس وقد تم انشاؤه في عام ١٨٩٢ م طوله ٨٧ كيلومتراً . هذا ويبلغ طول الخطوط الحديديــة في فلسطين نحو ٥٢٠ كيلومتراً واليك أهم أقسامها :

خط رفح ـ حيفا	:	وطوله ٢١٢ كم[2]
خط حيفا ـ رأس الناقورة	:	« ٣٨ كم[3]

---

١ ـ النظام الاقتصادي في فلسطين لسعيد حمادة ص ٨٧ بيروت ١٩٣٩ .

٢ ـ طول خط رفح ـ القنطرة في سيناء (٢٠١) كم . (٣) طول الخط الحديدي الساحلي من رأس الناقورة الى طرابلس ١٩١ كم .

خط حيفا – الحمّة : وطوله ٩٦ كم

خط العفولة – جنين – نابلس – طول كرم : « ٨٠ كم وقد أهمل في عهد التسلط البريطاني المظلم .

وبعد النكبة أنشأت السلطات اليهودية في فلسطين المغتصبة خطين حديديين آخرين . احدهما يبدأ بالقرب من المستعمرة اليهودية الخضيرة وينتهي في تل أبيب، ماراً بالمستعمرات الساحلية . وهو ، بوجه عام، يسير بموازاة القسم الذي يقابله من خط حيفا – رفح . والثاني يبدأ من جوار «النّعاني» وينتهي في بئر السبع عن طريق قرية « عراق المنشيه » .

وتخترق السهل الساحلي أيضاً طرق معبدة من رفح الى رأس الناقورة على حدود لبنان طولها ٢٦٣ كيلومتراً توزع كما يلي :

حدود سيناء – غزة : ٣٨ . غزة – يافا : ٧٩ . يافا – حيفا : ١٠٢ . حيفا – عكا : ٢٣ . عكا – الحدود اللبنانية ٢١ .

وهناك شبكة طرق أخرى تصل قراه ومدنه ببعضها، كما تصلها بمدن المناطق الفلسطينية الأخرى .

بوشر بإنشاء الطرق المعبدة الحديثة في فلسطين في القرن الماضي . وأقدم هذه الطرق ، على الأرجح هي طريق يافا – القدس التي أنشئت عام ١٢٨٤ هـ . ١٨٦٧ م . والمسافة بينهما اليوم ٦٢ كيلومتراً . وطريق القدس – نابلس التي تمّ تعبيدها عام ١٩٠٧ . ثم انشئت طريق القدس – أريحا والقدس – الخليل .

وفي نهاية عام ١٩٤٤ بلغ طول الطرق الفلسطينية التي تصلح لسير السيارات عليها ، طيلة أيام السنة ٢٦٦٠ كيلومتراً . بينما بلغ طول الطرق التي تصلح لسير السيارات في الفصول غير المطرة ١٥٦٥ كيلومتراً .

* * *

وموانىء فلسطين هي : غزة ، يافا ، تل أبيب – الذي بوشر العمل فيه ، بتشجيع من الانكليز ، عام ١٩٣٦ م – ، حيفا وعكا . وأهمها حيفا . وجميعها باستثناء غزة في القسم المُنتَهَب . إن أهم موانىء الوطن الحبيب هي حيفا ويافا

وتل أبيب . وأما غزة وعكا فهما مرسيان للسفن الشراعية . ويرسو فيهما أحياناً عدد من السفن التجارية الصغيرة . وقد بدأت الحكومة البريطانية في عام ١٩٢٩ م بتحويل ميناء حيفا الى ميناء عصري كبير . وقد تم العمل فيه في عام ١٩٣٣ م . ومساحة هذا المرفأ « ٣٨٧ » فداناً ، منها « ٢٧٩ » فداناً مغطاة بالماء . وبلغت نفقاته ما يقرب من [١٬٢٥٠٬٠٠٠] جنيه فلسطيني . وبذلك أصبحت حيفا الميناء الرئيسي الأول في فلسطين بعد أن كانت الصدارة لميناء يافا . وقد بلغ عدد السفن الشراعية والبواخر التي دخلت ميناء حيفا وأفرغت حمولتها فيه ، في عام ١٩٣٩ « ٢٠٠١ » حمولتها « ٣٬٩١٣٬٦٧٧ » طناً . وبلغ عددها في عام ١٩٤٤ « ١٤١٢ » حمولتها « ٢٬٤٨٠٬١١٧ » طناً . كما بلغ عدد السفن والبواخر التي دخلت مينائي يافا وتل أبيب المتجاورتين وأفرغت حمولتها فيها ، في عام ١٩٣٩ ، « ٨٥٠ » حمولتها « ٨٤٦ ، ٤٩٢ » طناً . و « ١٣٨ » في عام ١٩٤٤ م . حمولتها ١٢٬٨٥٤ طناً .

وفي عام ١٩٥٩ بلغت الحمولات الصادرة والواردة إلى ميناء حيفا ، عدا الوقود ، (٢٬٤٢٧٬٠٠٠) طن[١] .

وفي عام ١٩٥٩ — ١٩٦٠ بلغ مجموع البضائع التي دخلت ميناء يافا وخرجت منه (٢١١) ألف طن مقابل (١٨٢) ألف طن في العام السابق ؛ وان البضائع التي مرت بميناء تل أبيب بلغت (٢٢٩) ألف طن مقابل (١٨٩) ألف طن في العام السابق[٢] .

وأقام البريطانيون في السهل الساحلي ، مطارات متعددة لأغراض مدنية وعسكرية ، أهمها مطار اللد ، على مسافة ١٩ كم . للشرق من يافا . وقد بلغ مجموع الطائرات التي هبطت فيه في عام ١٩٤٤ (١٨١٥) طائرة . وأما مطار حيفا فقد هبطت فيه ، في العام المذكور ١٧٥ طائرة .

---

١ — اسرائيل والشرق الأوسط . علي محمد علي . الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة . ص ٤٤٣ .

٢ — المصدر نفسه ص ٤٥٠ .

وفي العشرة الأشهر الأولى من عام ١٩٤٦ (من كانون الثاني – تشرين الأول) بلغت الطائرات التي هبطت في مطار اللد ٢١١٨ طائرة وبلغت ، في المدة نفسها من عام ١٩٤٧ ، ٣٣٦٢ طائرة . بينما بلغ عدد الطائرات التي هبطت في مطار حيفا ، في المدتين المذكورتين ، ٥٦٨ و ٩٦٧ على التوالي .

* * *

ولسهل فلسطين الساحلي ، شأن كبير في تاريخ الوطن الحبيب . ففي أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد نزل الفلسطينيون سواحله الجنوبية ثم دعيت البلاد بإسمهم . ولهذا السهل مركز ممتاز إذ يعتبر الممر الحربي أو الجسر الذي يصل آسيا بأفريقيا . فمنه مرّت جيوش الفراعنة ، وجنود آشور وبابل ، ومن بعدهم الفرس واليونان والرومان. وعليه رفعت أعلام العرب نتيجة للمعارك التي وقعت في « داثِن [1] » و « عَسْقَلان » و « أجنادَيْن [2] » و « قيسارية » وغيرها . وكان لمعاوية بن أبي سفيان ، في فتح هذا الساحل أثر كبير . وكم التحم فيه الشرق مع الغرب في العصور المتوسطة . وفيه أيضاً ، منذ أكثر من ١٦٠ عاماً أضاع نابوليون – كما قال – مستقبله .

وعسى أن يتحقق الأمل بأن تشهد شواطئه قريباً قذف مغتصبيه بقاع البحر .

---

١ – هي خربة « الدميثة » اليوم . تقع شرقي دير البلح وعلى مسيرة (٥) كم منها . كما تقع على أمد (١٦) كم للجنوب الشرقي من غزة .

٢ – أجنادين يجوز لفظها بكسر الدال وفتحها . وتقع بقعتها في ظاهر قرية « عجور » من أعمال الخليل .

المنطقة الجبلية

قدرت مساحتها بنحو « ٨٦١٢ » كيلومتراً مربعاً[1] وتمتد في وسط البلاد مؤلفة عمودها الفقري وتشغل نحو ٢/٣ عرض فلسطين . وتبدأ الجبال بعد السهل الساحلي مباشرة بسلسلة من الآكام الطباشيرية والكلسية التي يفصلها عن القمم وسفوح الجبلية أودية عريضة غير عميقة . والمنطقة الجبلية الفلسطينية امتداد لجبال لبنان باتجاه الجنوب . وهي هضبة كبيرة تنتهي في شمال منطقة بئر السبع . وتتألف من ثلاثة أقسام : القسم الشمالي ويعرف باسم «جبال الجليل» التي تنحدر بالتدريج الى « مرج بني عامر » الذي يفصلها عن جبال القسم الجنوبي . والقسم الجنوبي وهو النجد المتوسط الممتد الى جنوبي البلاد وينقسم الى قسمين : جبال نابلس وجبال القدس . وهما متحدان اتحاداً طبيعياً مستقلاً وليس من حدود تفصلهما بل كل منهما متصل مع الآخر . وتنحدر سفوح جبالها بالتدريج نحو الغرب . ولكنها تنحدر بشدة نحو الشرق وخصوصاً ناحية البحر الميت .

وأقسام كثيرة من جبال الجليل مكون من صخور نارية سوداء (بازلت) بينما الأقسام الاخرى منها ، وكل الجبال الجنوبية مؤلفة من الحجر الكلسي في درجات متفاوتة من الانحلال .

---

١ – منها (٧٢٦) كيلومتراً مربعاً مساحة السهول التي تتخلل هذه الجبال . واذا أضيفت اليها مساحة الاراضي الجبلية الواقعة في الصحراء الفلسطينية « ٨٢٩٤ » كيلومتراً مربعاً تصبح مساحة المنطقة الجبلية في فلسطين ، بما فيها مساحة السهول المار ذكرها ، « ١٦٩٠٦ » من الكيلومترات المربعة .

– احصاءات الوكالة اليهودية ، المطبوع عام ١٩٤٧ ص ١٢٨ –

وكانت جبال فلسطين، في الزمن القديم، مغطاة بالأحراج مما كان له تأثير حسن على مناخ البلاد، ولكن على توالي القرون أخذت هذه الأحراج بالتقلص شيئاً فشيئاً حتى خلت منها المساحات الواسعة، وما بقي منها قليل، حتى لم يكد يبقى فيها أشجار ضخمة باسقة للاستفادة من أخشابها. فهنالك (٧٦) ميلاً مربعاً فقط مغطاة بأشجار الأحراج القديمة والحديثة. أو بنسبة ٧٥و٠٪ من مجموع مساحة فلسطين مع العلم بأن النسبة العادية بين مساحة الأحراج وبين مجموع مساحة أية بلاد هي ١٥٪.

(ولا تقتصر الجبال على مناطق صخرية جرداء وسفوح عارية من الأشجار والغابات بل تشتمل على وديان وأحواض خصبة تزرع فيها الحبوب، وقد تم التوصل فضلاً عن ذلك الى نتائج باهرة في زراعة الزيتون والكرمة وأشجار الفاكهة غرست في قطع صغيرة من الأراضي ذات « حبلات » اقترن انشاؤها وصيانتها بنصيب وافر من الصبر والمهارة، وأما التلال فتكون جافة في الصيف، ويؤدي هطول الأمطار الغزيرة في الشتاء الى انجراف التربة من سفوحها التي لم تصن بالمحافظة عليها باقامة « سنابل » فيها على شكل «حبلات» أو غرس أشجار الغابات لوقايتها، ولا بد من بذل جهود دائمة للحيلولة دون انجراف التربة[1]).

جبال الجليل :

الجليل، لفظ سامي قديم. مفاده « الاستدارة »، و « الدائرة ». ويراد بها « المنطقة » و « التخم ». ويقابلها « المحافظة » أو « اللواء » وغيرها من المصطلحات العصرية. وتقدر مساحة جبال الجليل بنحو « ٢٠٨٣ » كيلومتراً مربعاً. وأعلى قممها :

(١) جبل الجرمق : يقع شمال غربي صفد، حيث يبلغ ارتفاعه ١٢٠٨ أمتار : ٣٩٦٣ قدماً. وهو أعلى قمم البلاد[2]. ومن الجرمق تتفرع عدة أودية

---

١ – تقرير لجنة التحقيق الانكليزية الأمريكية ص ٢٤.

٢ – تعتبر « القرنة السوداء » الواقعة في الجنوب الشرقي من طرابلس أعلى قمم بلاد الشام على الأطلاق، حيث ترتفع ٣٣٦٠ متراً : ١١٠٠٢٤ قدماً عن سطح البحر.

مخصبة لجهة الشمال الغربي والشمال الشرقي والشرق . وليس من واد يمتد الى الجنوب . قال ياقوت : « ووادي الجرمق ، كثير الأترج والليمون ... قتل فيه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن جميع الغساني أخو أبي الحسن ، بعد سنة ٤٥٠ هـ[١] » .

دُعي « الجرمق » نسبة الى « الجرامقة » القبيلة العربية التي تركت منازلها في اليمن ونزلت شمالي فلسطين وجنوبي لبنان في العصور الماضية . وخلدت اسمها في جبل الجرمق هذا ، وكذلك في اسم الجبل (١٠٣٠ متراً) الواقع بناحية الريحان في جنوب لبنان .

٢ – **جبل كنعان** : أحد الجبال التي اقيمت عليها مدينة صفد . علوه ٣١٠٠ قدم : ٩٣٦ متراً .

٣ – **جبل حيدر** : يقع شمالي قرية « الرّامَة » من أعمال عكا يبلغ ارتفاعه (٣٤٣٥ قدماً : ١٠٤٧ متراً) .

٤ – **جبل عَدَاثِر** : يقع بالقرب من قرية « سَعْسَع » من أعمال صفد . يبلغ ارتفاعه : ٣٣٠١ قدماً : ١٠٠٦ أمتار

ومن قمم جبال الجليل أيضاً :

٥ – **جبل تابور (طابور) أو (الطور)** : يقع شرقي الناصرة . يرتفع ١٨٤٤ قدماً : ٥٦٢ متراً عن سطح البحر . ومناظر قمته من أجمل ما تقع عليه العين في فلسطين الشمالية . فيظهر منها جبل الشيخ وجبال شرقي الأردن الشمالية وبحيرة طبرية ومرج بني عامر والكرمل والبحر الأبيض المتوسط .

كان الملك « المعظم عيسى بن محمد(العادل) أبي بكر الأيوبي ٥٧٦ – ٦٢٤هـ: ١١٨٠ – ١٢٢٧م » سلطان الشام،بنى عليه قلعة حصينة أنفق عليها أموالاً جمة وأحكمها غاية الإحكام .

ذكر ياقوت جبل الطابور (معجم البلدان ٢ /٥٢٠) بقوله : « مشرف على

---

١ – معجم البلدان المجلد الثاني ص ١٢٩ . بيروت ١٩٥٦ .

الغور ومرج اللّجون وفيه عين تنبع بماء غزير كثير . و « الدير » مبـــني من الحجر وحــوله كروم يعتصرونها ، فالشراب عندهم كثير .. والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه ، وموضعه حسن يشرف على طـــبرية والبحيرة وما والاها وعلى اللجون) .

٦ – جبل الدّحي : ويقع جنوبي الناصرة ، وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات شرقي العفولة . دُعي بذلك نسبة الى قرية « الدّحي » ، وبها قـــبر الصحابي الجليل « دِحيَة الكَـلْبي » المتوفى عام ٤٥هـ : ٦٦٥ م. وهو دِحْيَة بن خَليفة بن فروَة الكَـلْبي » ، بعثه رسول الله برسالة الى قيصر الروم يدعوه للاسلام وكان يضرب به المثل في حسن الصورة . شهد كثيراً من الوقائع كما شهد معركة اليرموك . واسم القرية ، كما ترى ، تحريفاً لاسم هذا الصحابي .

يبلغ ارتفاع جبل الدّحي ٥٥٠ مــتراً : ١٨٠٤ أقدام . ويعرف ايضاً باسم « حرمون الصغير » . وذكره الكنعانيون باسم « جبل مِصْعَر » .

٧ – جبل النبي سَعين : ٥٠٠ م ١٦٤٠ قدماً . احدى القمم التي تحيـــط بالناصرة . والراجح انه تحريف « جبل ساعير » المذكور في المصادر القديمة . وغيرها .

يَقسم وادي الشاغور « جبال الجليـــل » الى قسمين : القسم الشمالي ويعرف باسم « الجليل الأعلى ، وهو بوجه عام صخري ووعر ذو مناظر جميلة تطلّ على البحر غرباً، وجبل الكرمل وجبال نابلس جنــوباً وعلى الغور وإنجاد حَوْران وعجلون شرقاً بينما يرتفع « جبل الشيخ » شمالاً . والقسم الجنــوبي يعرف باسم « الجليـــل الأدنى » وهو أقـــل ارتفاعاً – اذ لا يزيد علوه عن ١٩٠٠ قدم : ٥٧٩ م وأكـــثر خصباً من القسم الشمالي . ويجري فيه واديان صيفيان ينتهيان بنهر الأردن . وهما « وادي الفِجّاس » و « وادي البـــيرة » . وتتخلله سهول فسيحة مخصبة أشهرها « سهل البَطّوف » الواقع الى الشمال من الناصرة ويمتـد من جنـــوبي قضاء عكا الى « صفّورية » . وتبلغ مساحته مع مــا جاوره من الأراضي ٧٠،٠٠٠ دونم . ومنطقة الجليـــل كانت موضع دعــوة السيد المسيح

وتعاليمه وأعماله الدينية . وكان منها أكثر تلاميذه .

مرج بني عامر : مَرْج بالفتح ثم السكون والجيم . وهي الأرض الواسعة فيها نبت كبير تمرج فيه الدواب أي تذهب وتجيء. والمرج أيضاً المكان المعشب الندي ذو الخضرة الدائمة . دُعي بهذا الاسم نسبة الى « بني عامر » ، من بني كلب ، الذين نزلوه في اوائل الفتح العربي الإسلامي .

يفصل مرج بني عامر جبال فلسطين الشمالية — الجليل — عن جبال نابلس وجبل الكرمل . ويعلو مائتي قدم عن سطح البحر . طوله من الغرب الى الشرق نحو ٤٠ كم . ومن الشمال الى الجنوب نحو ١٩ كم . ومساحته تقدر بنحو ٣٥١ كم٢. ومعدل سقوط المطر فيه ٤٠٣ مم . وذلك في العفولة الواقعة في وسطه — وهو بالنسبة لتركيبه وخصبه يعد من أفضل الأراضي الفلسطينية . وتربته في الغالب صلصالية تناسب جداً زراعة الحبوب . وأشهر ممراته التي تصله مع المناطق المجاورة ممر « مَجِدُّو » و « وادي نهر المقطع » ويصلانه بسهل فلسطين الساحلي . ووادي « سهل زِرْعين » [1] الذي يصله بالغور ماراً في « بَيْسان » ومن ثم الى دمشق شمالاً أو الى « إرْبد » والصحراء شرقاً . كما تصله طريق « جنين — سهل عرابة » مع أواسط البلاد وجنوبها .

ذكرت « فرنسيس أملي نيوتن » عضو الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية في صفحة ٦٩ — ٧٠ من كتابها « خمسون عاماً في فلسطين [2] هذا المرج بقولها :

[مرج ابن عامر ، مرج خصيب طالما زوّد فلسطين بحاجاتها من الحبوب ، وزاد فأغناها عن كثير . وصفه لورنس أوليفنت، الكاتب الإنكليزي النحرير وصف العالم الخبير ، الذي عاش في قراه ، وعرف دساكره ، في أواخر القرن

---

١ — مساحته ٦٥ كم مربع . دعي بذلك نسبة الى قرية « زرعين » التي يمتد منها نحو الشرق . ويجري في هذا السهل « نهر جالود » الذى اشتهر بمعركة « عين جالود » الفاصلة عام ٦٥٨ هـ . ايلول ١٢٦٠ م بين العرب والتاتار . وانتصر فيها االقائد المظيمقطز بمساعدة بيبرس. وقطز (بضم القاف والطاء) من سلاطين المماليك البحرية .

٢ — ترجمة المرحوم وديع البستاني . طبع في مطابع صادر — ريحاني بيروت عام ١٩٤٧.

المنصرم ، فقال في احدى مقالاته لمجلة « بلَكْ وُد » :

« قد يدهش القراء ان يعلموا أن كل فدان من مرج ابن عامر يزرع خير زراعة ، وان الأمن يسود نواحيه كلها ، حيثما توجه المتوجه وقصد ؛ وأنا بذلك كله الشهيد . وها هو اليوم أمامي ، بحيرة خضراء ، يتماوج قمحها ، حول قرى ودساكر ناهضة كالجزائر ، فوق هضب مستقرة آمنة ، صورة للخصب والبحبوحة باهرة » . وفصل فقال :

« ومعظمه ملك اثنين : السلطان والسراسقة (الصيارفة السوريين المقيمين في بيروت) . وحسبي في تقدير مقادير غلاله أن نفقات نقل الحبوب الحاصلة من مواسم السنة الماضية ، الى حيفا وعكا ، بلغت ٥٠،٠٠٠ ريال ، كما قال لي السيد سرسق نفسه ، وهذا عن أراضي السراسقة لوحدهم » .

« وهذا عين ما كنت أقوله أنا لو كتبت سنة ١٩١٤ م . كل شبر من المرج كان عامراً ، مزروعاً ، والزراع العرب والحصاد العرب رجالاً ونساءً » .

قال مؤلف تاريخ الناصرة : [باعت الحكومة سنة ١٨٦٩ م القرى الآتية : جنجار ، العفولة ، الفولة ، خنيفس ، تل الشمام ، تل نور ، معلول ، سمونة ، كفرتا ، جيدا ، بيت لحم ، ام العمد ، طبعون ، قصقص ، الشيخ بريك . منها ١٩ قيراطاً لحبيب بسترس ونقولا سرسق و $\frac{1}{2}$ ٣ للتويني و $\frac{1}{2}$ ٢ لمسق فرح كلهم من تجار وأغنياء بيروت . ثم اشترى سرسق حصة بسترس وبعض حصص أخرى حتى أصبح معظم الملك له .

وسنة ١٨٧٢ باعت الحكومة قرى أخرى وهي : الجدل ، الهريج ، الحارثية ، الياجور ، الخريبة تابعة الياجور . منها ١٨ قيراطاً لسرسق و ٤ قراريط لسليم الخوري .

قال لورنس اوليفانت في كتابه ارض جلعاد ما ترجمته : ملك الخواجه سرسق صاحب بنك في بيروت نحو سبعين ميل مربع من أفضل أراضي فلسطين ، قيل إنه دفع ثمنها ١٨،٠٠٠ ليرة عثمانية .... فالخواجه سرسق يملك الآن

عشرين قرية عدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة . قيل لي ان دخله السنوي منها ٢٠,٠٠٠ ليرة انكليزية وسمعت مرة انه يبلغ ٤٠،٠٠٠ ليرة انكليزية .

وسنة ١٩١٠ باع سرسق الفوله لليهود بمبلغ ٢٠،٠٠٠ ليرة فرنساوية][1] .

ولما باع آل سرسق أراضيهم في مرج بني عـامر لليهود إبان الحكم البريطاني الظلوم تشرد نتيجة لذلك « ٢٧٤٦ » عائلة .

جبل الكَرْمِل :

هو قسم من جبال نابلس تتجـه الى الشمال الغربي وينتهي على شاطىء البحر قرب حيفا . يحيط بمرج بني عـامر من جنوبـه الغربي ، وعلى جانبيه مَرَّت حوادث التاريخ الفلسطيني ، وعلى روابيه المخضرة بالزروع أُنشئت القرى ، وعلى شواطئه قامت حيفـا الميناء التجاري الحربي . طوله نحو ٢٢ كم . وينتهي بنتوء كبير من الأرض داخل البحر يعرف برأس الكرمل . يبلغ علوه ٥٥٦ قدمـاً . ١٧٠ متراً عند « دير مار الياس » . ويتراوح عرضه بـين ٦ — ٨ كم . وينحدر

---

١ — تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى ايامنا الحاضرة للقس اسعد منصور ص٢٨٧ — ٢٨٨ بتصرف . مطبعة الهلال . مصر . لم يذكر تاريخ الطبع .

جبل الكرمل بالتدريج الى الجنوب الشرقي والشمال الغربي . والصعود إليه من الشمال أصعب مما هو في الجنوب حيث ينحدر بالتدريج الى السهل الساحلي . وأعلى نقطة فيه تقع جنوبي قرية « عِسفِيا ١٧٩١ قدماً : ٥٤٦ متراً ». تشرف على البحر وعلى مرج بني عامر والأراضي والقرى المجاورة لعدة أميال مما يجعل الكرمل من أجمل البقاع الفلسطينية وأروعها منظراً . ويتصل الكرمل بجبال نابلس عن طريق وادي الملح و « وادي عارة – عرعرا » .

وكلمة « الكرمل » من أصل سامي بمعنى « جنينة » و « أرض مشجرة » وتلفظ بفتح الكاف – وهو الشائع – وبكسرها . ذكره ياقوت بقوله : « هو حصن على الجبل المشرف على حيفا ... وكان قديماً في الاسلام يعرف بمسجد سعد الدولة »[1] .

ومن قرى جبل الكرمل : إجزم ، عين غزال ، دالية الكرمل ، كفرقرع ، صبّارين ، عسفيا ، أم الزينات ، عرعرة ، السنديانة ، أبو شوشة ، عارة ، الكفرين وغيرها . ومن القبائل العربية التي تقيم فيه : عرب البانيها وعرب الشقيرات والعلاقِمَة وبني سُعَيْدان وغيرهم .

جبال نابلس : وأعلى قمم هذه السلسلة هي « جبل عيبال : ٩٤٠ متراً : ٣٠٨٤ قدماً » وتقوم مدينة « نابلس٥٧٠ م : ١٨٧٠ قدماً » في الوادي المنحصر بين هذا الجبل وجبل جِرِزّيم : ٨٨١ م : ٢٨٩٠ قدماً . ويتخلل هذه الجبال بعض السهول ، أوسعها « سهل عرّابة » ومساحته ٣٠،٠٠٠ دونم و « سهل صانور ٢٠،٠٠٠ دونم » المعروف باسم « مَرْج الغَرَق » وغيرها .

وأهم الطرق الطبيعية التي تخترق جبال نابلس : (١) طول كرم – نابلس – الغور – جسر دامية ثم الى شرقي الأردن . وطولها نحو ٧٠ كم . (٢) باقة الغربية – سهل عَرّابة – جنين – مرج بني عامر . وطولها نحو ٣٠ كم . وقد فرشت جميعها بالاسفلت . وغيرها .

---

١ – معجم البلدان ٤/٦ ٥ : لياقوت الحموي بيروت ١٩٥٧ .

جبال القدس :

هذه الجبال بوجـــه عام ، ليست الا" آكاماً مستديرة على هضبة عظيمة . بينها أودية صخرية ضيقة جافة أكثر أيام السنة . ويعرف القسم الجنوبي منهـا باسم « جبال الخليل » نسبة الى مدينة الخليل .

وأشهر قمم جبال القدس :

(١) تل العاصور : تحريف « بعل حاصور » بمعنى « قريـة البعل » . يقع بين قريتي « دير جرير » و « سلواد » . يرتفع ١٠١٦ م : ٣٣٣٣ قدمـــاً فوق سطح البحر . وهو الجبل الرابع في علوه في فلسطين .

(٢) جبل النبي صَمُويل : يقع في شمال غربي القدس . يرتفع ٨٨٥ م : ٢٩٥٠ قدماً عن سطح البحر .

(٣) جبل المشارف : دُعي بذلك لأنه يشرف على القدس . ويقال له أيضاً « جبل المشهد » . وهو الذي أطلق عليـــه الغربيون اسم « جبل سكوبس » نسبة الى قائد روماني . ويقع الى الشمال من مدينـــة القدس بانحراف قليل الى الشرق . ويبتدىء من شمال « شعفاط » ويتصل بجبل الزيتون الآتي ذكره . وما زال لليهود عليه حرس لحراسة بعض منشآتهم .

(٤) جبل الطور او جبل الزيتون ٨٢٦م : ٢٧١٠ أقدام. يكشف مدينة القدس قديمها وجديدها . يقع شرقي البلدة المقدسة . ويعتقد ان المسيح صعد من هذا الجبل الى السماء ، كما يوجد عليه عدة كنائس تعد من أهم المقدسات المسيحية وأقدمها . وفيه دفن جمـــاعة من شهداء العرب والمسلمين في الفتحين العمري والأيوبي .

(٥) جبل المـُكـَبرْ: يقع في جنوب القدس. ومنه دخل عمر بن الخطاب لبيت المقدس يوم فتحها . وعليه أقيم قصر خاص بالمندوب السامي إبان الحكم البريطاني القتّال ، يشرف على جميع مناطق القدس والقرى المجاورة . واقيمت « الكلية العربية » على أقصى نقطة تقع في جنوب غربي الجبل . وتعلو قمة « المـُـكـَبرْ» ٧٩٥ متراً : ٢٦٠٨ أقدام .

وعلى جانب من جبل المكبر يقوم قبر « الشيخ أحمد أبي العباس » الملقب « بُبي ثور » لأنه كان يركب ثوراً وهو من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين الأيوبي .

وأعلى قمة في جبال الخليل هي قمة (خربة خــلة بَطْرَخ ١٠٢٠ متراً) . تقع في ظاهر مدينة الخليل الشمالي عند مفرق طريق القدس – الخليل والخليــل بيت جبرين . كما وأن القمم المجاورة لقريتي « حَلْحُول » و « سَعير » ترتفــع ١٠١٣ متراً و ١٠١٨ متراً – خربة الدُوَيْر – . وذكر ياقوت (معجم البلدان ٤٧١/٤) ان موسى بن نُصير صاحب فتوح الأندلس ولد في قرية من قرى جبل الخليل. ومما هو جدير بالذكر أن «الربيع بن يونس١١١–١٦٩ﻫ : ٧٣٠–٧٨٦م» وولده « الفضل بن الربيع ١٣٨ – ٢٠٨ ﻫ : ٧٥٥ – ٨٢٤ م » يعودان بأصلهما الى جبال الخليل . كان الربيع من وزراء «ابي جعفر المنصور العباسي » عرف بحزمه ، كما كان ولده « الفضل » من وزراء هرون الرشيد وولده الأمين . وقيل إن نكبة البرامكة كانت على يدي الفضل .

والسفوح الشرقية لجبال القدس والخليل منحدرة جداً ، فمياه الأمطار تنزل عليها بسرعة وتحفر في صخورها الكلسية وصلصالها اللين الأخاديد التي لا ينتفع بها . والأراضي الزراعية في هذه المنحدرات قليلة ، تمتد لمسافة أربعة أو خمسة أميال من بدء إنحدارها . وليس من قرى مهمة عليها . فهي أراض يابسة وأودية جافة وجبال صخرية جرداء ملأى بالكهوف والمغاور ، تمتد الى البحر الميت . يُرى بعض العشب على صخورها التي ترعاه قطعان المواشي والغنم التي تجوب هذه النواحي .

وتصل جبال القدس بسهل فلسطين الساحلي عدة أودية أشهرها :

١) وادي جَرْيوت: نسبة الى «خربة جَرْيوت» التي يبدأ منها وتقع في غربي قرية (بيتونيا) من أعمال رام‌الله . وقد مر ذكره وكانت قديماً تمر منــه طريق يافا – القدس ، مارة في رام‌الله وبيت عور .

٢) « باب الواد » أو « وادي علي » . أقيمت عليه الطريق المعبــدة التي

تصل يافا بالقدس .

(٣) وادي الصرار ؛ وتمر منه السكة الحديدية التي تصل يافا بالقدس. ويبدأ على بعد ١٣ ميلاً من جنوبي غربي القدس . وقد مر ذكره .

(٤) وادي الخليل ؛ وقد تقدم ذكره أيضاً . تمر به الطريق التي تصل الخليل بالسهل الساحلي عن طريق بيت جبرين . والمسافة بين هاتين البلدتين ٢٦كم .

وتنتهي المنطقة الجبلية على بعد نحو ٢٤كم جنوبي الخليل ، وعلى مسيرة نحو كيلومتر واحد جنوبي قرية « الظاهرية » حيث تبدأ منطقة طبيعية فلسطينية أُخرى . ونعني بها « هضبة بئر السبع » .

مناخ المنطقة الجبلية :

يتراوح سقوط الأمطار على هذه المنطقة بين ٥٠٠ — ٩٠٠ ميليمتر، وتتساقط في مدة ٤٠ — ٦٥ يوماً، وهاك معدل سقوط الأمطار بالميليمترات، للمدة الواقعة بين عامي ١٩٠١ — ١٩٤٠ في بعض أنحاء هذه المنطقة :

المُطِلة : ٩١٢،٤ ، الناصرة ٦٢٨،٣ ، نابلس ٦٣١،٧ ، القدس ٥٨٣[١] ، الخليل ٥٠١،٩ سم . وقد يتساقط الثلج على بعض الأماكن المرتفعة وخاصة عندما تتعرض فلسطين في الشتاء لرياح شمالية قارسة تهب من أواسط آسيا وشرقي أوروبا وأواسطها فتجلب معها العواصف الثلجية . إلا أن الثلج المتساقط قلما يبقى لأيام قليلة .

[والمنحدرات الغربية لجبال فلسطين تتمتع بمقدار معتدل من الأمطار ، لذلك فإنها تنتج غلالاً وفيرة ، وأما منحدراتها الشرقية المشرفة على الأردن حيث الأمطار أقل وغير منتظمة فغلالها أقل كمية وغير مؤمنة[٢]] .

ومتوسط درجات الحرارة العليا في فصل الشتاء ، في المنطقة الجبلية، يتراوح

---

١ - ومثل ذلك بلغ معدل المطر في هذه المدينة لمدة ثلاثة وعشرين عاماً : ١٨٦٠ -- ١٨٨٣ م نحو ٢٣ بوصة : ٥٨٤،٢ مم .

٢ -- النظام الاقتصادي في فلسطين ، ص ١٤٠ .

بين ١٠ – ١٥° مئوية : ٥٠ - ٥٩ ف° . ومعدل درجات الحرارة الصغرى من ٥ – ٨° مئوية : ٤١ – ٤٧ ف° . ويمكن القول بوجه عام ان متوسط درجة الحرارة في أشهر الشتاء – كانون الأول ، كانون الثاني وشباط – يبقى دون ١٠° مئوية : ٥٠ ف° .

وهواء المناطق الجبلية أجف منه في السهل . وأيام الصيف فيه مقبولة في حرارتها ، كما وان لياليها منعشة ، والجدول الآتي يبين درجات الحرارة في بعض مدن هذه الجبال :

	القدس على ارتفاع ٧٨٧ متراً ف°	س°	بيت جالا(١) على ارتفاع ٣٥٠ متراً ف°	س°	نابلس على ارتفاع ٥٨٠ متراً ف°	س°	
معدل درجات الحرارة لسنين عديدة :	٦٣	١٧و٤ [2]	٦٩	٢٠و٤ [2]	٦٤	١٧و٨	لمدة سنتين
معدل درجات الحرارة العظمى لسنين عديدة :	٧٣	٢٢و٦ [2]	٧٨	٢٥و٨ [3]	٧٤	٢٣	
معدل درجات الحرارة الصغرى لسنين عديدة :	٥٤	١٢و١ [4]	٥٩	١٥ [4]	٥٥	١٢و٧	
معدل نسبة الرطوبة المئوية :		٦٤و٥ [5]		٦٠و٣ [4]		٦٠و٣	

وبهذه المناسبة نذكر ان متوسط الحرارة في شهر كانون الثاني في القدس لمدة ٨ سنوات ١٩٢٨ – ١٩٣٥ هو ٧و٨° مئوي : ٤٨ ف°. ومتوسطها في شهر آب (اغسطس) للمدة نفسها ٨و٢٤° مئوية : ٧٧ ف° . وكان شهر كانون الثاني أبرد أشهر عام ١٩٤٤ في كل من القدس وبيت جالا ونابلس حيث بلغ معدل الحرارة فيه ٥و٧° مئوية : ٤٦ ف° ، ٨و١١° مئوية : ٥٣ ف° و ٤و٩°مئوية: ٤٩ ف° على التوالي . واما في الصيف فقد كان شهر آب أحر شهور تلك السنة في المدن

١ من أعمال القدس . تقع بالغرب منها . (٢) لمدة ١٠ سنوات . (٣) لمدة ٩ سنوات . (٤) لمدة ١١ سنة . (٥) لمدة ٨ سنوات .

المذكورة حيث بلغ معدل الحرارة فيه ٢٣٫٦° مئوية : ٧٥ ف° في القدس و ٢٦٫٢° مئوية : ٧٩ ف° في بيت جمال و ٢٤٫٥° مئوية : ٧٦ ف° في نابلس.

[أجرى الدكتور شبلن الطبيب الانكليزي مراقبات في شأن درجة الحرارة في القدس وذلك من تشرين الثاني ١٨٦٣ الى شباط ١٨٧٢ فوجد ان معدل الحرارة لتلك المدة كان نحو ٦٢ ف° . وكان أقل درجة للحرارة في ٢٠ كانون الثاني ١٨٦٤ م ٢٥ ف° وأعلاها في ٢٤ حزيران ١٨٦٩ م ١٠٣٫٥ ف° ، فالاختلاف بينهما ٧٨٫٥ ف°][1] .

* * *

ويزرع في الجبال ما يزرع في السهول – باستثناء البرتقال والبطيخ – من حبوب وبقول وخضار وغيرها . وأشهر مزروعات المنطقة الجبلية :

(١) الزيتون؛[2] بلغ مجموع الاراضي المغروسة في فلسطين في عام ١٩٤٤–١٩٤٥ م من هذه الشجرة (٥٩٥٬٤٠٥) دونمات يملك اليهود منها ٧٠٠٠ دونم فقط . فإذا ذكرنا أن في قرية سلفيت ، من أعمال نابلس، نحو (١٠٬٠٠٠) دونم مغروسة بالزيتون ، في تلك السنة ، اتضح لنا ضآلة ما يملكه اليهود من هذا المزروع الرئيسي في البلاد .

كانت سنة ١٩٤٤ – ١٩٤٥ « ماحلة » في منتوجها حيث بلغ « ٩٩٦٨ » طناً ؛ ولكن عام ١٩٤٣ – ١٩٤٤ كان من المواسم الخصبة (الماسية) فأعطى منتوجاً قدره ٧٥٬٣٤١ طناً من الزيتون .

قال مؤلف « شجرة الزيتون » الذي يقدر عدد أشجار الزيتون المثمرة في فلسطين بنحو ستة ملايين شجرة : [يعتبر متوسط الإنتاج في فلسطين ٢ ك.غ من الزيتون للشجرة الواحدة في السنة الماحلة ؛ و ٧ ك . غ في المتوسطة و ١٢ كيلوغراماً في السنة الحاملة – الماسية][3] .

---

١ – قاموس الكتاب المقدس ١/١٥٨ لجورج بوست. بيروت ، المطبعة الاميركانية ١٨٩٤.
٢ – ذكر الزيتون أربع مرات في القرآن الكريم .
٣ – شجرة الزيتون ص ٥٩ . لعلي نصوح الطاهر عمان . ١٩٤٧ .

والمعروف ان زيت الزيتون يستخرج من نحو ٩٠٪ من محصول الزيتون السنوي في السنين الماسية ؛ والباقي يستعمل للطعام . وتقل النسبة المذكورة في السنين الماحلة .

وقد بلغ محصول زيت الزيتون في عام ١٩٤٣ – ١٩٤٤ (٩،٩١٢) طناً بينا بلغ محصوله في العام التالي (٢٧٣٨) طناً .

ويرى مؤلف « شجرة الزيتون » ان متوسط احتواء الزيت يبلغ ٢٥ ٪ من وزن الثمرة ، لكل فلسطين [١] .

وموطن شجرة الزيتون الأصلي هو بلاد الشام . وقد نقلها الكنمانيون – الفنيقيون – مع الكرمة الى اليونان ومنها الى ايطاليا . وكان للعرب الفضل الأكبر في إيصال الزيتون الى شمال افريقية واسبانيا .

وجعلت اغصان الزيتون رمزاً للسلام منذ القدم . نقول « جاء يحمل غصن الزيتون » يعني جاء يحمل السلام لا الحرب. ولعل تفاؤل الناس بأغصان الزيتون والحمام يعود الى الأسطورة القائلة بأن حمامة نوح لما رجعت الى الفلك لتبشره بنهاية الطوفان كانت تحمل في منقارها غصن الزيتون .

وما زال في البلاد بقايا المعاصر القديمة التي خلفها اليونان والرومان وغيرهم ، كما وان الأشجار الضخمة الباقية الى يومنا هذا بأعدادها القليلة ، يدعوها القرويون « روميّة » .

٢ – **الكرمة** : بلغ منتوج الكرم في فلسطين عام ١٩٤٤ م «٤٥،٢٥١» طناً . منها نحو ١٥،٠٠٠ طن أنتجته الأراضي اليهودية والباقي من انتاج العرب. والكرمة قديمة العهد ؛ ويرجح انها أول ما نبتت في شواطىء الشام ، ومنها فلسطين ، ثم انتشرت في أقطار كثيرة .

وقد ذكر العنب سبع مرات في القرآن الكريم .

٣ – **التين** : بلغ منتوجه في فلسطين عام ١٩٤٤ « ١٧،٥٢٥ » طناً . منها (٦٠) طناً فقط من منتوج الأراضي اليهودية . والتين كالزيتون والكرمة قديمة

– شجرة الزيتون ص ٥٩ .

العهد وقد دجنت في بلاد الشام ومنها انتقلت الى العالم .

وفي القرآن الكريم سورة تعرف باسم « سورة التين » .

٤ – اللوز : وقد بلغ محصوله في فلسطين في عام ١٩٤٤ « ٣٣٧١ » طناً منها ١٢٥ طناً من محصول الأراضي اليهودية . وتعتبر بلاد الشام مهد هذه الشجرة .

وفي جبال فلسطين تزرع أشجار فواكه أخرى كثيرة . وقد بلغ محصول الفواكه الفلسطينية باستثناء – البرتقال والبطيخ والعنب والتين واللوز – من مشمش وتفاح وتوت وخوخ وموز وكمثرى وبلح وسفرجل وجوز وخروب.. – في عام ١٩٤٤ م « ٤٤٥٩٣ » طناً منها نحو ٨٥٠٠ طن من محصول البساتين اليهودية والباقي منتوج البساتين العربية .

وفي جبال فلسطين أشجار مختلفة كالبلوط والخرّوب والصنوبر والسرو والحور والكينا (اليوكاليبتوس) والسدر (الدوم) والسرّيس والزعرور وغيرها .

* * *

وتخترق الجبال من أقصاها الى أقصاها طرق معبدة تصل مدنها ببعض ، كما تصلها بمدن وقرى فلسطين الأخرى . وطول الطريق التي تخترق الجبال من الجنوب الى الشمال نحو ٣١٣ كيلومتراً ، توزع كما يلي :

الظاهرية – الخليل	:	٢٣ كم .
الخليل – بيت لحم	:	٢٧ كم .
بيت لحم – القدس	:	١٠ كم .
القدس – رام الله	:	١٧ كم .
رام الله – نابلس	:	٥٠ كم .
نابلس – جنين	:	٤٣ « .
جنين – الناصرة	:	٣٢ « .
الناصرة – صفد	:	٦١ « .
صفد – المطلة	:	٥٠ « .
المجموع		٣١٣ كيلومتراً .

منطقة الغَوْر [1]

وهي المنطقة التي تقع شرقي البلاد الفلسطينية ، بينها وبين سورية وشرقي الأردن ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته .

والغور هو قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوباً ماراً بسوريا وبالبحر الميت ووادي عَرَبَة الى خليج العقبة ، وينتهي في بحيرة « فيكتوريا » بأواسط إفريقية . وليس هذا الانخفاض ناتجاً عن تآكل الأرض بفعل المياه ، وانما هو نتيجة حركة فجائية لقشرة الأرض. وما أرض الغور الا قطعة ضيقة لهذه القشرة انخفضت الى مئات الأمتار تحت سطح النجد على الجانبين .

وما زالت هذه المنطقة وجوارها عرضة للاضطرابات الأرضية والزلازل من وقت لآخر . فزلزلة ١٨٣٧م هدّمت مدينة صفد حيث قتل أربعة أخماس سكانها كما اهلكت نحو ثلث سكان طبرية وبلغ من شدتها ان الارض كانت تنشق وتنطبق على التوالي . وامتدت الى غير طبرية وصفد فأهلكت ألوفاً عديدة في أماكن اخرى ودمرت قرى كثيرة برمتها . [2]

وكثير من الينابيع المعدنية الحارة الآتي ذكرها ، تشهد بوجود القوى

---

١ — بالفتح ثم بالسكون وآخره راء . والغور المنخفض من الأرض .

٢ — وقد تعرضت البلاد الى هزات قوية في أواخر القرن الماضي وفي هذا القرن . وما زلنا نذكر الخراب العظيم الذي تعرضت له فلسطين وشرقي الأردن نتيجة للزلزلة التي وقعت في ١١ تموز من عام ١٩٢٧ م . وقتل فيها ٢٧٢ شخصاً وجرح ٨٣٣ في فلسطين وشرقي الأردن. وأكثر الأضرار كانت في الممتلكات وخاصة في نابلس والقدس والرملة واللد والسلط وعمان .

البركانية في الغور .

ذكر الجغرافي والرحالة ابراهيم بن محمد الاصطخري المتوفى نحو عام٣٤٦ هـ: ٩٥٧ م الغَوْر بقوله . [الغَوْر ، أوله هذه البحيرة (طبرية) ، ثم يمتـد على بيسان ، حتى ينتهي الى زُغَر وريحا ، الى البحيرة الميّتة . والغور ما بين جبلين غائر جداً في الأرض وبه نخيل وأبّ[1] وعيون وأنهار . ولا تستقر به الثلوج . وبعض الغور من حد الأردن الى أن تجاور بَيْسان . فاذا جاوزته كان من حـدّ فلسطين . وهذا البطن اذا امتد فيه السائر أدّاه الى أيْلة][2] .

وذكر ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦ هـ : ١٢٢٩ م الغور بقوله : [...فيه نهر الاردن وبلاد وقرى كثيرة... وأشهر بلاده بيسان بعد طبرية . وهو وخيم شديد الحر ، غير طيب الماء . وأكثر مـا يزرع فيه قصب السكر . ومن قراه اريحا][3] .

ووصفه جورج آدم سمث بقوله : [قد يكون على سطح سيارة أخرى شـيء يماثل وادي الاردن « الغور » . اما الكرة الارضية فليس عليها شيء من ذلك . وليس في أرضنا قسم آخر من اليابسة ينخفض نحو ثلاثمائة قدم تحت سطح البحر دون أن يكون مغموراً بالماء . على اننا نرى في وادي الأردن فرجة من الأرض ذات طول يربو على ١٦٠ ميلاً وعرضاً يتراوح بـين الميلين والخمسة عشر ميلاً تنخفض انخفاضاً تدريجياً عن سطح البحر الى عمق (١٢٩٤) قدماً عند شاطىء البحر الميت . في حـين ان قاع البحر الميت نفسه ينخفض في مستوى شاطئه بمقدار ١٢٠٠ قدم أخرى][4] .

---

١ – الأبّ : العشب رطبه ويابسه . جمعه أوب .

٢ – المسالك والممالك ص ٤٥ القاهرة ١٩٦١ م . والمراد هنا بحد الأردن وفلسطين هو التقسيم الاداري الذي كان معمولاً به في تلك الأيام .

٣ – معجم البلدان : ٢١٧/٤ .

٤ – ص ٤٦٨ – ٤٦٩ من كتاب :

The Historical Geography Of The Holy Land , George Adam Smith , London 1897 .

ويخترق الغور :

نهر الاردن :

بالضم ثم السكون وضم الدال المرسلة وتشديد النون . وهـــو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالي « ان الله مبتليكم بنهر »[1] . والأردن كلمـة سامية بمعنى « النازل » و « المتدهور » و « جري سريـع ».عرفه الرومان باسم « Iordanes Flumen » وحرف الصليبيون اسمه الى « Jordan – جوردان » . وبعـــد الحروب الصليبية عرف باسم « نهر الشريعة » – والشريعة مورد الشاربة – ولا يزال هذا الاسم شائعاً لليوم .

وينبع نهر الأردن من حضيض جبل الشيخ[2] الغربي والجنوبي.وينابيعه هي:

١ – **بانياس** : أقصى الينابيـع شرقاً . ينبع من تحت كهف كلسي قـــديم

---

١ -- البقرة : ٢٤٩ .

٢ -- عرف الكنعانيون هذا الجبل باسم « سيريون Sirion » بمعنى « الذي يـذوب » . وذكره الآموريون باسم « سنير – Senir » بمعنى سن النور . ودعاه الأشوريون « سنيرون – Saniron » ، كما عرف باسم « حرمون » بمعنى « مقدس » .

وقد ذكره الجغرافي والرحالة الفلسطيني المعروف بالمقدسي من علماء القرن العاشر الميلادي – الرابـــع الهجري – باسم « جبل الثلج » ، ونظراً لتكلل رأسه بالثلج ، كما يكلل الشيب رأس الشيخ المسن دعي مؤخراً باسم « جبل الشيخ » .

وجبل الشيخ كأكثر جبال فلسطين كلسي. تغطي سطحه في بعض المحلات طبقة من الطباشير، ويمتد مسافة ٣٢ كيلومتراً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي . وعلوه ٢٨١٤ متراً: ٩٢٣٢ قدماً . وهو بذلك أعلى قمم الجمهورية العربية السورية . تزرع الكروم على جوانبه الى علو خمسة آلاف قدم . وفوق هذا تغطيه أشجار السنديان واللوز والعزعر القصير . ويمكن للقرى والمدن التي تقوم عليه ، بعد العناية بها ، ان تتحول الى مراكز اصطياف هامة ، ومن هـــذه الاماكن التي تقع على سطح جبل الشيخ « حاصبيا » و «راشيا» في لبنان و « ريمة » و «عرنة» في سورية. ومن ذراه ترى دمشق وصور ومعظم فلسطين الشماليـة . ومن الثلوج التي تغمر رأسه ، حتى أيام الصيف والتي تملأ اخاديده معظم أيام السنة تتكون ينابيع الأردن . وثلاثة أرباع مياه جبل الشيخ تنزل الى نهر الأردن . وكثيراً ما يلقب شعراء العرب نهر الأردن « بأبن لبنان البكر » .

بالقرب من قرية « بانياس »[1] السورية ، على علو ٩١٤ متراً : ٣٠٠٠ قدم ، عند قاعدة جبل الشيخ ، وعلى مسافة ١٩ كيلومتراً من بحيرة الحولة . ثم ينفجر بين الصخور مندفعاً بين الغياض والبساتين. طوله نحو خمسة أميال ونصف الميل يقع منها ٨٠٠ متر في سوريا ويبلغ تصريفه السنوي ١٥٧ مليون متر مكعب. ويعتبر هذا الينبوع أجمل ينابيع الاردن . وكان القدما يعتقدون أن ينابيع « بانياس » هي مصدر الاردن الحقيقي . ويظهر أن الكنعانيين العرب — أقدم من سكن بلادنا في عصرها التاريخي — قد بنوا معبداً لأله هذا النبع . وبنى اليونان بعدهم هيكلا لـ « بان » أحد آلهتهم الذي منه اشتق الأسم الحديث : بانياس أو مدنية « بان » . وقد جدد بناء هذا المعبد ، بعد ذلك بقرون ، « هيرودوس فيلبُّس » الآتي ذكره .

ونزل نبع « بانياس » هذا صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٨٣هـ : ١١٨٧م حيث أتم تعبئة قواته في طريقه لمعركة حطّين .

٢ — **تل القاضي** : أقصر ينابيع الأردنّ ، إلا أنه أكبر مصدر مائي له . ينتج « ٢٥٨ » مليون متر مكعب من المياه سنوياً . تقع جميع ينابيعه في المنطقة المُنْتَهَبَة ، من الجانب الغربي للتل المسمى باسمه والذي يرتفع نحو ٢٠٤ أمتار عن سطح البحر ، كما يرتفع ٣٠ — ٣٨ قدماً عن السهل المجاور . وذلك غربي ينبوع بانياس وعلى مسيرة ٣ أميال منه — وفي سيره للجنوب ينضم إليه جدول صغير حيث يسميان ؛ بعدئذٍ ، نهر « اللدان » أو « الدان » نسبة الى مدينة « دان » الكنعانية التي كانت تقوم في هذه البقعة . ثم يلتقي هذا الينبوع بالمجرى الآتي من « بانياس » فيجري النهر المتحد بجانب التلال الشرقية الى أن يتحد بالحاصباني الآتي ذكره .

٣ — **الحاصباني** : يقع الى الغرب من نهر « الدان » وهو أطول ينابيع الأردن . يبلغ طوله حوالي ٣٨٫٥ كم . — يجري نحو ١٤ كم . منه في لبنان —

---

١ — بانياس ؛ من أعمال منطقة « الجولان » . تقع بالقرب من الحدود الفلسطينية وعلى مسيرة ٢٥ كم للشمال الغربي من « القنيطرة » عاصمة المنطقة .

مما دعا البعض الى اعتباره بداية نهر الأردن نفسه . إلا أنـه بالدرجة الثانية من حيث تزويد الأردن بالميـاه . ويبلغ تصريفه السنوي ١٥٧ مليون متر مكعب ، أي نفس تصريف نهر بانياس .

ينبع الحاصباني في لبنان من بركة قليلة الغور ، ارتفاعها ١٧٠٠ قدم عن سطح البحر ، تقع على جانب جبل الشيخ الغربي وعلى مسافة نصف ميـل للجنوب الغربي من بلدة « حاصبيا »[١] ، ومسيرة ١٩ كم . للشمال من « تـل القاضي » ويجري « الحـاصباني » في « وادي التّيم »[٢] في مسيل ذي حجـارة سوداء بركانية ، ويصب فيـه على طول مجراه ، ينابيع وجداول أخرى ثانويـة من جوانب الجبل . وعلى مسافة ميل ونصف ميل جنوبي تل القاضي يتصل بميـاه « بانياس » و « تل القاضي » المتحدة .

هذا ويقترب نهر « الليطاني »[٣] بتعاريجه على مسافة نحو خمسة كيلومترات من نهر « الحاصباني » قبل ان يُحاذي بسيره مدينة حاصبيا .

٤ – **نهر البريغيث** : ينبع من قضاء مرجعيون . ويصب في نهر الحاصباني

---

١ – ذكرتها مراسلات « تل العمارنة » في القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم « خاشابايو». وظن بعضهم انهـا تقوم على البقعة التي كانت عليها بلدة « بعل جاد » الكنعانية . وفي الحروب الصليبية تمكن الشهابيون القرشيون من اخراج الاوروبيين منها وأسسوا فيها إمارتهم . ومـا زالت « حاصبيا » تضم اليوم دورهم وسرايتهم الكبيرة . وفي البـلدة نحو ٣٠٠٠ نسمة وترتفع عن سطح البحر بنحو ٢٦٢٥ قدماً . و « حاصبيا » كلمة سريانية بمعنى « معامل خزف » .

٢ – يقع وادي التيم بين جبال البقاع والمنخفض الغربي من جبل الشيخ . وتقع الحولة في جنوبه . وهو واد خصب التربة ، غزير المياه . وهو قسمان : الأعلى وقاعدتـه « راشيا » الى الشمال الغربي من جبل الشيخ ؛ والأسفل وقاعدتـه حاصبيا . والأرجح انه نسب الى قبائـل « تيم اللات » التي نزلته قديماً مع قبائل بني عاملة . وبنو « تيم اللات » ، ومعناه « عبد اللات» بطن من بني النجار ، من الخزرج من الأزد من القحطانية . والى « وادي التيم » لجأ « درزي » مؤسس المذهب الدرزي في القرن الحادي عشر .

٣ – ينبع هذا النهر من منبع « العليق » في شمالي البقاع . ويصب في البحر على مسافـة سبعة كيلومترات شمالي صور ، بعد أن يكون قد قطع في مسيره (١٦٠) كم . ويعتبر أطول أنهار الجمهورية اللبنانية .

قبل التقاء هذا بمياه بانياس وتل القاضي بنحو ٤/٣ الميل . ويعتبر نهر البريغيث أقل ينابيع الأردن أهمية .

وبعد أن تتحد هذه الينابيع المتعددة ، على مسافة ٩ أميال : ١٤ كم شمالي بحيرة الحولة ، يسير الأردن متعرجاً في مجراه في وسط واد عرضه نحو خمسة أميال، تربته صالحة للزراعة ومحاطة بتلال ترتفع بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ قدم . وقبل أن يصب في بحيرة الحولة بنحو ستة أميال يفيض فيحدث مستنقعات مملوءة بالقصب ونبات البردي ، تبلغ مساحتها ٤٤ ميلاً مربعاً تقريباً ، الى ان ينتهي في البحيرة المذكورة بعد أن يكون قد انقسم الى ستة أقسام .

ومنشأ هذه المستنقعات يعود الى تدفق مياه النهر في فصل الأمطار نتيجة للأمطار الغزيرة التي لا يستطيع الأردن أن يحملها في مجراه . فتفيض المياه وتغمر الحقول وينشأ عنها المستنقعات الواسعة التي تكون موطناً جيداً لبعوض الملاريا الذي ينتشر بكثرة ، وينزل أضراراً كثيرة بالسكان .

بحيرة الحولة :

عرفها الكنعانيون باسم « مياه ميروم » ، بمعنى « المياه المرتفعة » ، وعنهم أخذ اليهود الاسم المذكور. ذكرها الرومان باسم« بحيرة سموخونيتس—Laeus«-Semechonitis ودعاها العرب باسم « بحيرة قَدَس » — بالتحريك والسين المهملة — و« بحيرة بانياس » و « أخيراً باسم « بحيرة الحولة » .

ومن الذين ذكروها بالاسم الأول ، الجغرافي المقدسي المتوفى عام ٣٨٠ هـ : ٩٩٠ بقوله : « لقَدَس بحيرة على فرسخ تصب الى بحيرة طبرية ... الى جنبها غابة حلفاء ، رفقهم منها . أكثرهم ينسجون الحصر ويفتلون الحبال . وفي البحيرة أنواع السمك . منه البُنّي حمل من واسط [1] » .

وفي القرن التاسع ذكرها القلقشندي [2] باسم بحيرة بانياس : « وهي بحيرة

١ — أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١١١ . ليدن ١٨٧٧م .
٢ — توفي عام ٨٢١ هـ : ١٤١٨ م .

بالقرب من بانياس من مقابلة دمشق . يصب فيها عدة انهار من جبل هناك . ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبرية . وبها غابة قصب [١] .

ويظهر ان اسمها الأول ، كان أكثر شيوعاً من الثاني بدليل ان الرحالة عبد الغني النابلسي المتوفى عام ١١٤٣ هـ : ١٧٣١ م ذكرها في رحلته الى القدس باسم « بحيرة قَدَس » [٢] .

و « قَدَس » التي دُعيت البحيرة باسمها من أقدم مدن البلاد ومن أجل مدن جند الأردن [٣] . اشتهرت بصنع الثياب وفتل الحبال [٤] . وهي اليوم قرية متواضعة ، على مسيرة أربعة أميال للشمال الغربي من البحيرة .

وفي القرن التاسع عشر عرفت هذه البحيرة باسمها الحالي نسبة الى « كورة الحولة » التي كانت قديماً تشمل الأغوار والمياه والمدن والقرى الواقعة بين « بانياس » و « صور [٥] » . اشتهرت بأقطانها وأزهارها [٦] .

قبل الحرب العالمية الأولى بمدة قصيرة منحت الحكومة العثمانية امتيازاً لتاجرين من تجار بيروت بتجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها . بيد أن هذا الأمتياز قد حوّل في سنة ١٩١٨ م الى الشركة الزراعية السورية العثمانية . ولكن هذه الشركة لم تفعل شيئاً يذكر . وفي سنة ١٩٣٤ ابتاعت الأمتياز شركة تحسين الأراضي الفلسطينية اليهودية بمبلغ ١٩٢٠٠٠ جنيه استرليني [٧] . ونتيجة لهذا البيع تشرد من سكان هذه النواحي نحو ١٥ الف عربي عن أراضيهم .

وما زالت هناك قرية تحمل اسم « الحولة » تقع في الشمال الغربي من البحيرة ، من أعمال مرجعيون في الجمهورية اللبنانية . كان اليهود أثناء احتلالهم لها في

١ – صبح الأعشى للشيخ أحمد أبي العباس القلقشندي ٤/٨١ و ٨٣ القاهرة ١٩١٤ م .
٢ – الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ص ٥١ مصر ١٩٠٢ .
٣ – بلدانية فلسطين العربية ص (٦) .
٤ – أحسن التقاسيم ١٨٠ .
٥ – معجم البلدان : ٢/٣٢٣ .
٦ – أحسن التقاسيم ١٦٠ .
٧ – تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ٣٤٠ – ٣٤١ . القدس .

١٧/١٠/١٩٤٨ قتلوا تسعة وثمانين رجلاً وأربع نساء من سكانها[١] .

وطول بحيرة الحولة نحو خمسة كيلو مترات ولا يزيد أكبر عرض لها عن ثلاثة كيلو مترات . وعمقها يتراوح بين ٩ و ١٦ قدماً . مساحتها ١٤ كم٢ ، تعلو عن سطح البحر بنحو ٢٣٠ قدماً : ٧٠ متراً . مياهها عذبة . تكثر فيها الأسماك .

ويصب « وادي الخنداج » و « وادي وقّاص » في ساحل البحيرة الغربي، كما يصب « وادي الجلبينة » في الجنوب من ساحلها الشرقي.

وقد تمّ لليهود تجفيف بحيرة الحولة نهائياً في ٣١ تشرين الأول – اكتوبر – ١٩٥٨ . وبذلك لم يعد هناك ذكر للبحيرة التي كانت تُدعى بحيرة الحولة ، وظهرت بدلاً منها مساحة من الأرض تغطيها أعشاب الحلفاء والبوص[٢] .

وتنتج أراضي الحولة القمح والذرة الصفراء والخضر والفواكه والنباتات العلفية ، وتمتلىء مستنقعاتها بالبردي ونبات الـ « بيت – Peat » ، وينتفع به في تسميد الأراضي[٣] .

يستمر النهر بعد « بحيرة الحولة » في سيره المنخفض مؤلفاً عدة شلالات حتى يصل الى ما يشبه الدلتا التي يحدثها على ساحل بحيرة طبرية الشمالي ، بعد أن يكون قد قطع ١٨ كم في مجراه . وفي أثناء جريانه هذا ينخفض نهر الأردن من ٢٣٠ قدماً فوق سطح البحر الى ٦٩٦ قدماً تحت سطح البحر ، وتدهوره هذا سبب تسميته بالأردن بمعنى (النازل) أو (المتدهور) كما ذكرنا ذلك سابقاً .

---

١ – النكبة لعارف العارف ٦/٢٦٧ صيدا ١٩٥٨ .

٢ – نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ص ١٨٠ علي محمد علي . القاهرة . لم يذكر تاريخ الطبع .

٣ – زار ادوارد روبنصون سهول الحولة في عام ١٨٣٨ م فوصفها بقوله : « التربة متناهية في الخصب ، تصلح لزراعة سائر انواع الحبوب ، وتنتج كميات كثيرة من الغلال كالقمح والشعير والذرة الصفراء والبيضاء والسمسم والأرز وغيرها دون اجهاد ومشقة » يوميات في لبنان ترجمة اسد شيخاني بيروت ١٩٥٠ ٢/٣٠ .

بحيرة طبرية :

هذه البحيرة أسماء عديدة . أقدمها (بحيرة الجرجاشيين) نسبة إلى القبيلة العربية الكنعانية التي سكنت هذه الديار في فجر تاريخها . ثم دعيت باسم (بحيرة كِنَّارَة) أو (بحيرة كِنَّرُوت) نسبة الى بلدة كنعانية يرجح ان موقعها كان في (تل العُرَيْمة) في ظاهر (خان المِنْية) الشمالي. ولما سميت بلدة (كِنَّروت) بعد ذلك باسم « جِنِّيسارت » تغير معها اسم بحيرتها .

وفي العهد الجديد ذكرت هذه البحيرة باسم « بحر الجليل » وبعد إنشاء مدينة طبرية نسبت إليها وما زالت تعرف به الى اليوم .

وبحيرة طبرية تقع على مسيرة ٤٣ كم من البحر الأبيض المتوسط ، تشبه الكمثرى في شكلها . طولها ٢١ كم وأوسع عرض لها نحو ١٢ كم . وأعمق نقطة فيها ، تقع في شمالها ، تبلغ ٤٥ متراً : ١٥٠ قدماً . مساحتها (١٦٥) كم٢ (١) . وتنخفض عن سطح البحر ٢١٢ متراً : ٧٠٧ أقدام . وكثيراً ما تهب عليها الرياح فتحدث أنواء لا تتكافأ مع حجم البحيرة . وقد اشتهرت بسمكها الجيد منذ القديم .

إن مياه هذه البحيرة النقية الزرقاء ، ونسيمها الحار اللطيف يجعل مناخها في الشتاء والربيع لطيفاً وجميلاً ، كما تعتبر البقعة الواقعة على طول ساحل البحيرة الغربي من أجمل المشاهد في الوطن الحبيب .

وعلى مسافة نحو نصف ميل ترتفع شرقي البحيرة « جبال الجَوْلان » (٢) من ٦٠٠ — ٨٠٠ متر عن سطح البحر . وهي كلسية جرداء تغطيها طبقات عظيمة من الحجر الحوراني الأسود . ويصب في بحيرة طبرية من هذه الجهة جدولان : « سَمَك » و « فيق » . وذلك بعد أن يمرا في أودية طويلة عميقة . والى شمالي البحيرة الغربي يقع « سهل الغُوَيْر » وكان قديماً يعرف باسم « سهل جنيسارت » ، وهو

---

١ — تعتبر ثانية بحيرات بلاد الشام مساحة . واما أولاها فهي « بحيرة لوط » الآتي ذكرها .

٢ — الجولان : بالفتح ثم السكون على وزن (فعلان) وهي بقعة من حوران تمتد من حضيض « جبل الشيخ » الى نهر « اليرموك » .

سهل خصيب لا يزيد طوله عن أربعة أميــال وعرضه أكثر من ميل واحــد . تزينه الأشجار والحقول ومن ورائه تقف جبال الجليل الأعلى . ترويــه جداول تصب في البحيرة . أشهرها « وادي العمود » و « وادي الحمّــام » . ويمكن القول بأن أعمال السيد المسيح الدينية في الجليل ، تم معظمها تقريبــاً ، حول الطرف الشمالي لبحيرة طبرية مما دعــا البعض لتسمية هذه البحيرة باسم « بحيرة المسيح » .

قال ياقوت « معجم البلدان : ١٨/٤ » : وحول البحيرة – طبريـــة – كله قرى متصلة ، ونخيل وفيها سفن كثيرة . وهي كثيرة الأسماك . وقــال أيضاً : [قال لي بعض من شاهد هذا الوضع انه بحيرة يصاد منها نوع من أفاضل السمك إذا شُقّ بطنه لا يوجــد فيه غير الشحم ، يملح ويحمل الى البلدان ، يقــال له الحطيني ، معروف][1] .

ومدينة « طبرية » التي نسبت إليهــا البحيرة تقع في نحو منتصف ساحلها الغربي وتنخفض عن سطح البحر ٦١٠ أقدام . وقد عرفت بحماماتها الساخنة ، وتقع للجنوب وعلى بعد كيلومترين منها . ويرجع تاريخ إقامتها الى « هيرودوس أنتيباس » باني طبرية ، في عام ٢٠ م . وفي عام ١٨٣٣ رممهــا وأصلحها ابراهيم باشا المصري . ومياهها ملحة للغايـــة وهي مشهورة بقوة تأثيرها للتخلص من الامراض . تبلغ درجة حرارتها ١٤٤ ف° : ٦٢،٦° مئوية . وفي زمن الربيع ، وهو زمن الاستحمام ، يتقاطر النــاس أفواجاً إليها . وهـــذه الحمامات وقف إسلامي أقيم من ريعها مدرستان .

وفي جوار البحيرة ينابيع ساخنة أخرى ونعني بهــا « ينابيع الحَمّة »[2] وتقع بين محطة « الحَمّة » الواقعة على سكة حديــد ، حيفا – درعا وضفة نهر اليرموك اليمنى ، على ملتقى الحدود بين فلسطين وسوريا وشرقي الأردن وعلى

---

١ – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ١٣٨ طبع غوتنغن ١٨٤٦ م .

٢ – الحمة ، بالفتح ثم التشديد ، وهي العين الحارة الماء ، يستشفي بهــا الأعلاء والمرضى . وفي الوطن العربي حمات كثيرة .

بعد ٢٢ كم الى الجنوب الشرقي من بلدة طبريــة . وتبعد نحو ١٣٥ كم عن دمشق ومثل ذلك عن عَمّان والقدس . كما تبعد عن إربد بنحو ٣٥ كم .

والحَمّة قديمة الذكر في التاريخ فقد ذكرها اليونان ، كما ازدهرت في أيام الرومان وعرفت باسم « Emmatha » من أعمـــال ولاية « جَدَارا — Gadara » (١) . وأنشأوا فيهـــا ، فضلاً عن الحمامات ، المبـاني والمدرجات والساحات التي تحيط بها أعمدة مزخرفة ما زالت آثارها باقية الى يومنـا هذا . وقد ذكرها المقدسي المار ذكره ، بقوله : « ... وفي هذه الكورة مـاء ساخن يسمى الحَمّة ، حار ، من اغتسل فيه ثلاثة أيام ثم اغتسل في ماء آخر بارد وبه جرب أو قروح أو ناسور او أي علة تكون برأ بإذن الله .] (٢) .

ووصفها علي بن أبي بكر الهَرَوي المتوفى عام ٥٦٩ هـ : ١١٧٣ م بقوله : « اما حمامات طبرية التي يقال إنها من عجائب الدنيـا فليست هذه التي على باب طبرية على جانب بحيرتها ، فإن مثل هذه كثيراً ما رأينا في الدنيا ، وأما التي من عجائب الدنيا فهو موضع في أعمال طبرية شرقي قرية يقال لها « الحسينية » في واد ، وهو هيكل يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من اثنتي عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض اذا اغتسل فيها صاحب ذلك المرض برىء بإذن الله تعالى . ولماء شديد الحرارة جداً صاف عذب طيب الرائحة ويقصده المرضى يستشفون به ، وعيون تصب في موضع كبير حرّ يسبح الناس فيه ، ومنفعته ظاهرة » (٣) .

وذكرها القلقشندي بقوله : (وهي عين تَنْبُعُ ماءً شديد الحرارة يـــكاد يَسْلُق البيضة . يقصدها المتردّدون للإستشفاء بالإغتسال فيها) (٤) .

ومياه الحَمّة كبريتية جداً . ومياهها تحتــوي على قوة الاشعاع وتتألف من ثلاثة ينابيع حارة . تعطي يومياً ما يقرب من ١٥ مليون ليتر من المـــاء المعدني

١ — أم قيس اليوم .
٢ — أحسن التقاسيم : ١٨٥ .
٣ — معجم البلدان : ٤/١٨ .
٤ — صبح الأعشى : ٤/٧٣ .

الذي يحوي معـدن الراديوم المشع ، ودرجات الحراوة في هذه الينابيع الثلاث هي : ٣٥،٨ مئوية : ٩٦ف° و ٣٩،٤° مئوية : ١٠٣ ف° و ٤٧° مئـوية : ١١٧ ف° . ومن حيث خـاصتها الشفائية ، ولا سيا شفـاء الأمراض الجلدية والعصبية يمكن حسبانها من أهم الينابيع في العالم [١] :

وفي الحمة ينبوع سائغ للشرب يحتوي كمية من البيكاربونات تجعله قريبـاً من مياه « فيشي » المعدنية .

وتقع ينابيع الحمة اليـوم ، تحت الأدارة السورية ، وتبلغ مساحتها نحـو ٤٢٣ فداناً .

* * *

وقد سحرت مناظر بحيرة طبرية الأمويين من خلفاء وأمراء فـكان يشتو في « الصِّنَّبْرَة [٢] » معاوية وأولاده وعبـد الملك بن مروان وحاشيته . وتوفي فيها مروان بن الحكم عـام ٦٥ هـ : ٦٨٥ م [٣] الخليفة الأموي والد عبد الملك . كما كان الوليد بن عبد الملك يقيم في الشتاء في قصره الذي أقامه في البقعة المعروفة اليوم باسم « خان المِنْيَة » . وقد عثروا في هذه البقعة ، فضلاً عن أطلال القصر المذكور ، على بقايا عظيمة لمدينة عربية زهت في العصور الاسلامية .

---

١ – النظام الاقتصادي في فلسطين : ٩٧ .

٢ – الصنبرة : بالكسر ثم الفتح والتشديد ، ثم سكون الباء الموحـدة وراء – والصنبر : بكسر الباء الريح الباردة وجمعها صنابر . تقع خرائب هذه المدينة في الجنوب الغربي من بحـيرة طبرية ، على مسافة قريبة من بلدة « سمخ » .

ولعل « هوذة بن مرة الشيباني » من أجواد العرب في الجاهلية ، كان يشتو في بحيرة طبرية . وفيه يقول « رفاع بن الجلاج :

« ومنا الذي حل البحيرة شاتياً   وأطعم أهل الشام غير محاسب .

قال ابن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ هـ : يقال إن رماده – أي رماد النار التي كانت توقـد لطعامه – باق بالبحيرة . ؟ – الأعلام ج ٩ . صفحة ١١٢–١١٣ لخير الدين الزركلي القاهرة ١٩٥٧ . –

٣ – تاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٧ بيروت ١٩٦٠ .

وفي « خان المنية » أقام الأمير « سيف الدين أبو سعيد تنكز[1] » ، نائب السلطنة المصرية بالشام ، في نحو ٧٢٩ هـ : ١٣٢٨ م ، خاناً كان المسافرون من دمشق ينزلون فيه في طريقهم الى بيت المقدس .

ومن المؤلم أن نذكر أن اليهود أقاموا في جوار خرائب الصنبرة مستعمرتهم المعروفة باسم « مجموعة كنرت » الآتي ذكرها ، كما أقاموا مستعمرتهم « جنوسار — Ginnosar » بالقرب من بقايا قصر الوليد .

ويصف بحيرة طبرية « المتنبي » في قصيدة له في مدح « ابو العشائر الحسن بن حمدان » يقول :

كأنها في نهارها قمر ... حف به من جنانها ظلم[2]
تغنت الطير في جوانبها ... وجادت الأرض حولها الديم[3]
فهي كماوية مطوقة ... جرد عنها غشاؤها الأدم[4]

* * *

والأردن بعد خروجه من بحيرة طبرية ، يتراوح عرضه في جنوبي البحيرة بين ٩٠ — ١٠٠ قدم : ٢٧٫٥ — ٣٠٫٥ متراً وعمقه بين ٣ — ١٢ قدماً . وبعد ان يستمر في سيره جنوبا ينتهي في البحر الميت . وينخفض مصبه ١٢٨٠ قدماً : ٣٩٠ متراً عن سطح البحر . ويقدر ما يعطيه الأردن من الماء العذب للبحر المذكور بمعدل (٥٠) متراً مكعباً في الثانية . وفي زمن الفيضان يبلغ تفريغه ،

---

١ — كان هذا الرجل من كبار الرجال العمرانيين . فقد أنشأ في القدس مدرسة ورباطاً ، وبنى في صفد بيمارستاناً (مستشفى) . وله خان في « جلجوليا » وغيرها فضلا عن منشئاته في مختلف أنحاء الشام .

٢ — حف به أي أحاط . والجنان جمع جنة وهي البستان . يشبه البحيرة في النهار بقمر لما يلمع عليها من نور الشمس . والبساتين حولها بالليل لشدة خضرتها الضاربة الى السواد .

٣ — جادت من الجود بالفتح وهو المطر . والديم جمع ديمة وهي مطر يدوم أياماً .

٤ — الماوية المرآة . والأدم الجلد وهو بيان للغشاء. شبه البحيرة مع ما يحدق بها من البساتين بالمرآة المطوية وقد جردت مما تغلف به من الجلد .

على الارجح ، نحو ٢٠٠ متر مكعب .

إن المسافة المستقيمة بين بحيرتي طبرية والبحر الميت لا تزيد عن ١٠٤ كيلومترات ولكن بسبب تعرج نهر الأردن الدائم أضحى طول مجراه ١٩٤ كيلومتراً .

ان طول نهر الاردن من التقاء ينابيعه الى مصبه ٢٥٢ كم : ١٥٧ ميلاً موزعة كما يلي :

١٤	كيلومتراً	أو ٩	أميال شمالي بحيرة الحولة .
٥	كيلومترات	أو ٣	أميال خلال بحيرة الحولة .
١٨	كيلومتراً	أو ١١	ميلاً من الحولة الى طبرية .
٢١	كيلومتراً	أو ١٣	ميلاً من خلال بحيرة طبرية .
١٩٤	كيلومتراً	أو ١٢١	ميلاً من بحيرة طبرية الى البحر الميت .
المجموع : ٢٥٢	كيلومتراً	أو ١٥٧	ميلاً [1] .

ويعتبر نهر الأردن ثالث أنهار بلاد الشام طولاً . أطولها نهر العاصي : ٥٧١ كم ، وثانيها نهر الخابور ٤٦٠ كم . هذا ويقع « ٦٧٥ » كم من مجرى نهر الفرات ، البالغ طوله ٢٣٣٠ كم ، ضمن الأراضي الشامية .

ومياة الأردن على طول السنة ، وحلة ، تشبه غلاية القهوة ويكتسب هذا اللون من التربة التي يجرفها . ويفيض النهر حينما تأخذ الثلوج في الذوبان عن جبل الشيخ . ويبلغ الفيضان أقصاه في شهر نيسان . إن ارتفاع الفيضان فوق مستوى الارتفاع الصيفي يختلف باختلاف السنين والمعدل هو خمسة أقدام .

لا يصلح نهر الأردن للملاحة بسبب تياراته وكثرة منعرجاته وضحل مياهه

---

١ ـ يقع من هذا المجموع ١١٨ كم في القسم المسلوب من الوطن المقدس و ١٣٤ كم في الأردن .

وبهذه المناسبة نذكر ان خط الهدنة بين « فلسطين المغتصبة » و « الأردن » يبدأ من الحدود الفلسطينية ـ الأردنية القديمة على موازاة نهر الأردن الى أن يصل الى موقع يبعد عن بحيرة طبرية بستين كيلومتراً حيث ينحرف الخط عن النهر ويدخل الديار النابلسية .

وكانت مياهه الضحلة في كثير من أجزائه ، منذ العصور القديمة ، عبارة عن « مخاضات » تصل بين شاطئيه الشرقي والغربي . ويقال إنه يوجد ٢٧ شلالاً صغيراً وكبيراً موزعة على طول مجرى النهر بين البحيرتين المذكورتين .

كان الناس يقطعون هذا النهر من مخاضاته التي يبلغ عددها نحو خمسين مخاضة [١] الى أن أقام عليه الرومان جسراً ليس بعيداً عن جنوبي بحيرة الحولة .

ومن هذه المخاضات : (١) مخاضة عَنْبرَة وتقع في الشمال الشرقي من بيسان . (٢) مخاضة فِحْل . (٣) مخاضة دامية عند مصب نهر الزرقاء . (٤) مخاضة أريحا الأولى تقع في شمالها الشرقي للجنوب من التقاء نهر نمرين بالأردن ومخاضة الزوار او حجلا جنوب شرقي أريحا ، للجنوب من التقاء نهر الكِلت بالأردن .

وقد ذكر جغرافيو العرب ومؤرخوهم بعض الجسور التي كانت تقوم على الأردن . منها « جسر يعقوب » و « جسر الصِّنَّبْرَة » و « الجسر العادلي » تحت عقبة فيق و « جسر شامة » المقارب لقرية الجامع[٢] . ولعل الجسر العظيم الذي ذكره المقدسي ومن بعده ياقوت بأنه أسفل طبرية على طريق دمشق[٣] هو « جسر الصِّنَّبْرَة » الذي وقعت عنده معركة بين المسلمين والصليبيين عام ٥٠٧ هـ : ١١١٣ م وكان النصر حليف الأولين . وبعد هذه المعركة بأربعة وسبعين عاماً مرّ على هذا الجسر صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه وجيوشه في طريقهم الى « حطين » .

وفي عام ٦٦٤ هـ : ١٢٦٦ م أقام الملك الظاهر بيبرس جسره بالقرب من « دامية » الواقعة على مسيرة ٢٩ كم شمالي أريحا . كما أقام « الظاهر برقوق » مؤسس دولة المماليك الجركسية والمتوفى عام ٨٠١ هـ : ١٣٩٩ م جسراً على الأردن طوله مئة وعشرون ذراعاً وعرضه عشرون الذي نوّهت به « عائشة

---

١ قاموس الكتاب المقدس : ١/٤٢٣ .

٢ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري ١/٨٢ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ : ١٩٢٤ م .

٣ معجم البلدان ٤/١٨ وأحسن التقاسيم ١٦١ .

الباعونية » في أشعارها .

وفي السنين الأخيرة كانت هناك جسور ستة تصل ضفتي النهر ببعضها . وهي من الشمال الى الجنوب :

١ – **جسر بنات يعقوب** : وهو الذي ذكره مؤرخو العرب ورحالاتهم باسم « جسر يعقوب » . يقع جنوبي الحولة وعلى بعد نحو ميل واحد منها . كما يبعد مسافة ٢٢ كم عن صفد . لا نعلم لماذا دُعي هذا الجسر بهذا الاسم . وقد وهم البعض بأنه قديم جداً وان يعقوب النبي عبر الأردن من فوقه وهو في طريقه الى خاله « لابان » في شمالي سورية . ولذلك نسب إليه أو الى بناته . وظن آخرون بأن هذه التسمية تعود الى مقتل بعض « اليعقوبيين » عليه في الحروب الصليبية .

والمعلوم أن صلاح الدين الأيوبي كان قد أنشأ جسراً في هذا المكان ؛ ثم جدده الظاهر بيبرس . وأما الجسر الحالي فقد أقيم على الجسر الذي كان قد جدد بناؤه في أواخر القرن السادس عشر .

ولما انتصر صلاح الدين الأيوبي على أعدائه انتصاراً رائعاً في مرجعيون عام ١١٧٩ م استولى على قلعة كان الصليبيون بنوها في عام ١١٧٨ م عند جسر بنات يعقوب عرفت باسم Le Chastellet . وما زالت بقايا هذه القلعة ظاهرة الى يومنا هذا تعرف باسم «قصر عترا» . وقد ذكرت الوقائع الفلسطينية هذا القصر بقولها « بقايا قلعة صليبية على تل من الأنقاض ، مدافن منقورة في الصخر » .

وقد نزل منطقة هذا الجسر ، في الحروب الصليبية ، الشهابيون . وبعد أن أقاموا فيها مدة برحوها الى وادي التيم وحاصبيا حيث أسسوا إمارتهم .

٢ – **جسر الجامع** : ويقع على مسيرة ٢١ كيلومتراً جنوبي مدينة طبرية وعلى بضعة أميال للشمال من « طبقة فِحل » .

٣ – **جسر الشيخ حسين** : جنوبي بيسان وعلى بعد (٧,٥) كم منها .

٤ – **جسر دامية** : جنوبي جسر الشيخ حسين على مسافة ٤٣ كم منه .

٥ – **جسر اللنبي** : على بعد عشرة كيلومترات شرقي أريحا . ينخفض عن

سطح البحر ١٢٠٠ قدم . وكان يعرف قبلاً باسم جسر الغوارنة .

٦ - يقطع الخط الحديدي بين درعا وحيفا نهر الأردن على جسر من الحجر جميل المنظر والصنع طوله ستون متراً وهو ذو خمس قناطر .

ان المرور على بعض هذه الجسور قد انقطع منذ عام ١٩٤٨ م . ففي القسم الأردني من النهر ، اليوم ، ثلاثة جسور تصل الضفتين : (١) جسر دامية ؛ على بعد أقل من ميل واحد من التقاء الأردن بنهر الزرقا وهو بجوار بقايا جسر الظاهر بيبرس المار ذكره ويصل بلاد نابلس ببلاد السلط . (٢) جسر الملك حسين ، وهو جسر اللنبي سابقاً ، ويصل بلاد السلط بأريحا والقدس . والثالث وهو حديث . وقد أقيم شمالي البحر الميت على الطريق بين عمّان والقدس . دعي باسم « جسر الأمير عبدالله » . وكان يعرف قبلاً باسم (جسر سُوَيْمة) .

ومما هو جدير بالذكر ان « يحيى » عمّد « المسيح » عليهما السلام في نهر الأردن . وتذكر التقاليد بأن الموضع المعروف اليوم باسم « المغطس » ، الواقع على بعد نحو سبعة كيلومترات للشرق من أريحا ، هو المكان الذي تعمّد فيه السيد المسيح . (ان الزائر يرى صليباً من خشب وُضع في وسط النهر في المكان الذي سكب فيه « يوحنا المعمدان » الماء على رأس السيد المسيح . وقد أصبح من تقليد البلاد أن تذهب الطائفة اللاتينية في عيد غطاسها والطائفة الرومية في غطاسها فيعمدوا أطفالهم على ضفتي نهر الأردن امتثالاً بالسيد المسيح ويقضون النهار بكامله في فرح وسرور)[١] .

وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ٥٢٥/٢) بأن « دَيرفاخور » هو الموضع الذي تعمّد فيه المسيح من يوحنا المعمدان .

* * *

ويصب في الأردن أنهار وجداول كثيرة . ان المياه التي يتلقاها من ضفته الشرقية أغزر وأكثر عدداً من التي تصب في شاطئه الغربي . والمياه الآتية تصب في

---

١ - الأردن الحديث للمديرية العامة للمطبوعات والإعلام والنشر . عمان . ص ٨٥ .

شاطئه الشرقي ، وقد ذكرت حسب ترتيبها من الشمال الى الجنوب :

١ ـ **نهر اليرموك** : وهو الحد الفاصل السياسي بين سورية والأردن اليوم على طول ٣٠ كم . ذكره « بلينوس » من مؤرخي القرن الأول للميلاد باسم « Hiromax » و « Hieromices » ومنه حُرّف اسمه الحالي . ويعرف ايضاً باسم « شريعة المناظرة » أو « شريعة المنظور » نسبة الى قبيلة « المناظرة » القاطنة في تلك الديار . وهي من عشائر «الجَوْلان» . أصلهم من شرقي الأردنّ . وقيل من « اللجاة » .

ويعتبر اليرموك أكبر روافد الأردن . ينبع من مرتفعات « حَوْران[1] »

---

١ ـ حوران : بالفتح والسكون . قال ياقوت : (معجم البلدان ٢/٣١٧) « كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة . ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار ، وما زالت منازل العرب . وذكرها في أشعارهم كثير . وقصبتها بصرى . وقال اليعقوبي المتوفى بعد عام ٢٩٢ هـ : ٩٠٥ م : « وحوران ومدينتها بصرى ، وأهلها قوم من قيس من بني مرة ، خلا السويدا ، فان بها قوماً من كلب » بلدانية فلسطين العربية ص ٢٣ ـ .

وهناك قبائل وعائلات كثيرة ، في مختلف انحاء الشام ، تعود بنسبها الى حوران .

وتبلغ مساحة حوران اليوم ، وهي منطقة بركانية ، أكثر من ١١ ألف كم مربع . موزعة بين جبل الدروز ٦٥٠٠ كم مربع وحوران الحالية ٤٥٠٠ كم مربع . ولا تشمل هذه المساحة اراضي بلاد عجلون الواقعة في شمال « الأردن » والتي تعتبر قسماً من حوران التاريخية .

جبل الدروز : يقع في الشرق من حوران ، وعر المسالك . وأهم بلدانه «السويداء ١٦٠٥٠٠ نسمة » و «صلخد ٧٠٠٠ نسمة» و «الشهباء ٣٠٠٠ نسمة» وغيرها . ـ احصاءات عام ١٩٦٠ ـ

دعي هذا الجبل باسم « جبل الدروز » في القرن الماضي ، وذلك على اثر نزوح الدروز اليه من لبنان في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر . ثم ما لبث أن هاجر اليه عدد كبير من دروز منطقة الجبل الأعلى ، غربي حلب ، وجهات صفد والكرمل من فلسطين .

وفي عام ١٩٤٥ م اطلق عليه اسم « جبل العرب » ، وأول من دعاه بذلك هو « عز الدين علم التنوخي » مدير معارف الجبل وذلك لما لمسه من أبنائه من تمسك في العروبة ومحافظة على التقاليد العربية .

والحرة الواسعة الواقعة في الشمال الشرقي من جبل الدروز تسمى « الصفا » .

حوران الحالية :

هي السهول التي تقع في الغرب من جبل الدروز وتمتد حتى سفوح جبل الشيخ واطراف الغور . ومن مدنها وقراها «الصنمين» و« نوى » و «غباغب» و« درعا ١٩٠٤٠٩ أشخاص» =

ويلتقي مع « الأردن » في جنوبي بحيرة طبرية ، على بعد ستة كيلومترات منها ، بالقرب من جسر المجامع . وعند نقطة الاتصال هذه كانت تقوم منشآت روتمبرغ اليهودية المعروفة باسم « شركة كهرباء فلسطين [1] » .

ويبلغ معدل التصرف لليرموك «١٥» متراً مكعباً في الثانية .

ويحفر اليرموك في مجراه قناة عميقة في الجبال والصخور التي يسير فيها. وعلى طول هـذه المجرى أنشأ العثمانيون السكة الحديدية التي تمتد بـين حيفا ودرعا (١٦٢ كم) مارة بمرج بني عامر .

ومن الأوديـة التي تصب في اليرموك « الحرير » و « الرُّقاد » الذي يروي سهول « الجـولان » و « الزَّيدي » في حوران ، و « شُومَر » و « الشلاَّلة ـ نحو ٢٠ كم » و « السجن » و « قليد » و « شق البارد » في الأردن وغيرها .

طول اليرموك «٥٧» كيلومتراً [2] منها ١٧ كم في فلسطين .

وفي آخر يوم من أيام جمادى الثـانية من عام ١٣ هـ : ٣٠ آب ٦٣٤ م نشبت معركة اليرموك الفاصلة في « سهل الواقوصة [3] » الواقع عنـد استدارة النهر قبل التقائه بالأردن . حمل فيها العرب على اعدائهم حملة صادقة وظلوا يوقعون بعدوهم

= و « بصرى » و « إزرع » و « الشيخ مسكين » وغيرها .

وتقع « اللجاة » في شمالي حوران ، تبلغ مساحتها نحو ١٤٠٠ كم مربع ، يقع نصفها الشرقي في قضاء « الشهباء » من جبل الدروز ، والغربي في قضاء « إزرع » من أعمال حوران . ولعل اسمها يعود الى كثرة حفرها التي استخدمها السكان ملاجىء لهم (لجا) ومن قراها « المسمية » .

وذكر ياقوت اللجاة بقوله : « اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد مـن نواحي الشام . فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة » ــ معجم البلدان ١٣/٥ ــ .

والزاوية الشمالية الغربية لحوران تسمى « بلاد الجولان » وقد مر ذكرها .

١ ـ حصلت هذه الشركة على امتيازها، رغماً عن معارضة واستنكار أهل البلاد في فلسطين وشرقي الأردن لهذا المشروع اليهودي عام ١٩٢١ لمدة ٧٠ عاماً لاستخدام مياه الأردن واليرموك وروافدهما لتوليد الكهرباء من القوة التي تستخرج من هـذه المياه وتوزيعها داخـل فلسطين وشرقي الأردن . وفي اثناء حرب فلسطين ، عام ١٩٤٨ ، تهدم هذا المشروع .

٢ ـ المجموعة الاحصائية لعام ١٩٥٨ ـ وزارة التخطيط ، مديرية الاحصاء ـ ص ٤ . دمشق ١٩٥٩ .

٣ الواقوصة أو الياقوصة قرية من أعمال درعا تقع في غربها وعلى مسيرة ٦٣ كم منها .

حتى افنوا البعض وأغرقوا البعض الآخر. وقد استشهد في هذه المعركة الكثيرون من الصحابة .

٢ – وادي العرب : يعرف الغور الواقع في جنوبه باسم « صخور الغور » (مُعاذ) .

٣ – وادي زقلاب : وفي الجنوب من مصبه يقع جسر الشيخ حسين .

٤ – وادي جِرْم : وعليه تقع « طبقة فِحل » . والراجح انه الواد الذي ذكره ياقوت (معجم البلدان ٤/٢٣٧) باسم « وادي شجوة » ، وأسفله لقوم من بني أمية بالأردن قرب طبرية .

٥ – وادي اليابس : ويعرف الغور الذي حوله باسم « غور فاره » .

٦ – وادي كَفْرَنْجة : نسبة الى بلدة « كَفْرَنْجة ٣٩٢٢ نسمة[1] » . ويعرف الغور الذي حوله باسم « غور الوهادنة » . ذكره العرب باسم « وادي الحفير » نزل عنده النعمان بن بشير الأنصاري[2] .

٧ – وادي راجب : نسبة الى قرية راجب (٦٤٥ نسمة) . كانت هذه البلدة ، في القرن الثاني قبل الميلاد ، في العهد اليوناني بلدة عامرة تعرف باسم « راجابا – Ragaba » . كما كانت تقوم عليه مدينة « عماتوس – Amathos » اليونانية ، التي تعود أيضاً بتاريخها الى القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت تعتبر من أجمل مدن الغور . وهي التي عُرفت فيها بعد باسم « عَمتا » . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٤/١٥٣) بأنها قرية بالأردن ، بها قبر أبي عبيدة بن الجراح . وبها يُعمل النبل الفائقة وهي في وسط الغور » . وعمتا اليوم قرية متواضعة تضم ٢٩٢ شخصاً .

---

١ – احصاءات عام ١٩٦١ .

٢ – هو النعمان بن بشير الخزرجي الانصاري، أمير، خطيب ، شاعر من أجلاء الصحابة. من أهل المدينة . ولاه معاوية عدة ولايات . واليه تنسب « معرة النعمان » بلد أبي العلاء المعري . كانت تعرف بالمعرة ، ومر بها النعمان فمات له ولد ، فدفنه فيها . فنسبت اليه . توفي مقتولاً عام ٦٥ هـ : ٦٨٤ م .

ويعرف الغور الذي يقوم حول « وادي راجب » باسم غور البلاونة .

٨ – **نهر الزرقاء** : واسمه القديم « يَبُّوق » بمعنى « مُفَرِّغ » يفصل بين جبال عجلون وجبال البلقاء ويبلغ طـوله نحو ٧٥ كم . ينبع من جبال البلقاء بالقرب من مدينة الزرقاء . وينبت على ضفتيه الدفلى . وبعد أن يسير في شكل نصف دائرة في مجراه ينتهي في الأردن شمالي جسر دامية على بعد ٧٠ كم من البحر الميت . ويحمل الزرقاء للأردن نحو ٤٥ مليون متر مكعب من المـاء في السنة . ومجراه في بعض الأماكن أوطأ من جـواره من ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ قدم : ٦٠٩ – ٩١٤ متراً . ويقع في شماله « غـور ابو عبيدة » وفي جنوبه « غور الكبد » . وتنفجر على ضفاف الزرقاء ينابيـع حارة تصب فيه .

قال ياقوت : « والزرقاء أرض شبيب التُّبّعي الحميري . وفيه سباع كثيرة مذكورة بالضراوة وهو نهر يصب في الغور . » معجم البلدان ٣/١٣٧ بـيروت – ١٩٥٧ .

٩ – **وادي نِمْرِين** : ولعل اسمه تحريف «نِمْرِيم» بمعنى صافٍ . ويعرف في منابعه باسم « وادي شعيب » . ينبع من الجهة الجنوبية من مدينـة السلط . ويجري في وادٍ عميق كثير التعاريـج ويمر بالشونة (٥٥ كيلومتراً من عمان) حيث يسقي بساتينها . ويلتقي في الأردن في شمالي جسر الملك حسين (اللنبي سابقاً) .

١٠ – **وادي الكَفْرين** : بمعنى « الوادي المتسع » . وهو المعروف عنـد الكنعانيين باسم « وادي شَطّيم » أي « وادي السنط » . ويقع «تل الكفرين» على مسافة خمسة كيلومترات جنوبي بلدة «الشونة» . وللجنوب الشرقي من التل، وعلى مسيرة ستة كيلومترات منه تقع « تليلات الغَسّول » الآتي ذكرها .

١١ – **وادي الرامة** : ويعرف في أوله باسم « حُسْبـان » حيث ينبـع في جوار قرية « حُسبان[١] » (٧١٨ نسمة) التي ذكرها ابو الفـداء المتوفى عام ٧٣٢هـ : ١٣٣١م بقوله : (قاعدة البلقاء حُسبان. وهي بلدة صغيرة . ولحسبان

---

١ – تقع جنوب غربي عمان وعلى مسيرة (٢٦) كم منها .

وادٍ وبه أشجار وأرحبة وبساتين وزروع)[1]. ويلتقي وادي الرّامة مع وادي الكفرين قبل انصبابها في الأردن . واما الرامة ، التي ينسب اليها الوادي فهي قرية من قرى الغور بها ١٣١٧ نسمة . ذكرها ياقوت (معجم البلدان : ١/٥٢٠) بقوله : « قرية مشهورة بين غور الأردن والبلقاء » :

والجداول الآتية تصب في شاطىء الأردن الغربي . وها هي حسب ترتيبها من الشمال الى الجنوب :

١ — **وادي الفِجّاس** : وقد مرّ ذكره .

٢ — **وادي البيرة** : وقد مرّ ذكره ايضاً . ويلتقي بالأردن مقابل وادي العرب على بعد عشرة أميال للجنوب من بحيرة طبرية .

٣ — **نهر جالود** : يخرج من مغارة شرقي قرية زرعين ماراً بـ « بيسان » وغورها ويلتقي مع الأردن مقابل « زقلاب » . يبلغ طول نهر جالود نحو ١٥كم ويتراوح عرضه بين ٣ و ٤ أمتار .

٤ — **وادي المالح** .

٥ — **الفارّعة** : وينبع من جبال نابلس . ويقدر ما يحمله في العام بين ٤٥ — ٦٢ مليون متر مكعب من الماء . يصب في جنوبي نهر الزرقاء . ويعرف قبل مصبه باسم « وادي جُوزَلة » .

ويعتبر نهرا جالود والفارعة الرافدين الغربيين المهمين لنهر الاردن .

٦ — **وادي العوجاء** : ويقع شمالي أريحا .

٧ — **وادي الكلْت** : يروي غور أريحا . ويلتقي مع الأردن في الجنوب من موقع « المغطس » المار ذكره .

---

١ — بلدانية فلسطين العربية ص ٦٠ وصبح الأعشى ٤/١٠٦ .

البحر الميت ــ بحيرة لوط

تقع في أعمق نقطة في منطقة الغور . مستطيلة الشكل ، تحيط بها جبال تعلو عنها ١٤٠٠ ــ ١٥٠٠ قدم : ٤٢٧ ــ ٤٥٧ متراً . وتنحدر في أكثر الأماكن الى شاطئها . وجبال الجانب الغربي تصل الى حافة مياهها الا في موضعين. وشاطئها الرملي يتراوح عرضه من نمئة ياردة الى ميل . وفي جنوبـــه الشرقي شبه جزيرة تعرف باسم « اللسان » وهو سهل طوله عشرة أميال وعرضه نحو خمسة أميال . وسطحه يرتفع عن سطح البحيرة ٤٠ ــ ٨٠ قدماً: ٢٢ ــ ٢٤ متراً. وهو مؤلف من طباشير طيني مغطى بملح . وعند اللسان يقل عرض البحيرة بحيث لا يزيـد عن ميلين كما يقل عمقه في جنوبها حيث يصل الى ١١ قدماً : ٣٫٤٠ متراً. والقسم الشرقي من اللسان يعرف باسم « غور المزرعـة » نسبة الى القرية المسماة بهـــذا الاسم (١١٩٤ نسمة) .

دُعيت هذه البحيرة بأسماء متعددة ، منهـا « بحر العَرَبَة » و « بحر الملح » و « البحيرة المنتنة » و « بحيرة زُغَر » نسبة الى بـــلدة زُغر التي كانت تقع على شاطئها الجنوبي الشرقي . كما دُعيت باسم « بحر الزفت » نسبة الى قطـع الزفت التي تنقذف من قعرها في بعض الأحيان وخاصة عند حدوث الزلازل .

وقد دعاهـا اليونان باسم « البحر الميت » لعدم وجود حياة فيها . وقـــد ذكرها جغرافيو العرب ومؤرخوهم بهذا الاسم أيضاً ، كما دعوها باسم « البحيرة المقلوبة[١] » و « بحيرة لوط » نسبة الى النبي لوط ، لعلاقتها التاريخية مع هـذا

---

١ ـ احسن التقاسيم للمقدسي : ٢٢ .

الرسول . وأما « البحر الميت » فهو أكثر اسمائها شيوعاً اليوم .

طول هذه البحيرة ٤٧ ميلاً : ٧٦ كم ؛ وأعظم عرض لها عند « عين جدي » عشرة أميال ونصف الميل : ١٧ كم . ومساحتها ٤٠٥ أميال مربعة[١] : ١٠٥٠ كم٢ . وهي بذلك أكبر بحيرة في بلاد الشام . وتتعادل في مساحتها مع مساحة « بحيرة جنيف » الواقعة في « سويسرا » . وتقع بين خطي عرض ٥َ : ٣١° و ٤٥َ : ٣١° شمالاً وعلى خط طول ٣٥َ و٣٥° شرقي غرينتش .

قعرها مفلطح تقريباً . ومؤلف من طين أزرق ورمل ممزوجين ببلورات ملح . ومتوسط عمقه ١٣٠٩ أقدام : ٣٩٩ متراً .

وتنخفض البحيرة عن سطح البحر بنحو ٣٩٢ متراً : ١٢٨٦ قدماً . وهي بذلك أوطأ بقعة تحت سطح البحر في العالم . واذا أضفنا الى هذا الانخفاض متوسط عمق البحيرة وجدنا أن قعرها ينخفض عن سطح البحر بنحو ٧٩٣ متراً : ٢٦٠١ قدماً .

ويظهر أن قعرها آخذ بالانخفاض في هذا الوقت لأنه لا يمكن الآن المرور بالمخاوض بين اللسان والشاطىء الغربي . اذ يذكر الرواد في سنة ١٨٢٨ م أنهم رأوا العرب يخوضون الماء من أقصى اللسان الى شاطىء البحيرة الغربي . وان الجمال والبغال كانت تقدر أن تقطع المياه من أي نقطة في هذا الجوار .

وكان يظن سابقاً أن هذه البحيرة كانت متصلة في الأعصر القديمة بالبحر الأحمر إلا ان ذلك بعيد الاحتمال لوجود تل علوه ٧٨١ قدماً : ٢٣٨ متراً فوق سطح البحر في منتصف وادي عَربَة يفصل بين المياه المنحدرة اليه من الجانب الواحد والبحر الميت من الجانب الآخر .

ومعظم شواطىء البحر الميت جرداء قاحلة تنتثر عليها بقايا الأشجار المكسرة التي يلقيها فيها نهر الأردن . ويقع في جنوب البحر « غور الصافي » المخصب ، الآتي ذكره ، كما تقع واحة « عين جدي » على ضفته الغربية ، وعلى مياهها

---

١ – نصف هذه المساحة تقع في فلسطين . واما اليوم فان مساحة القسم المنتهب منها (٢٦٥) كم مربع . ويبلغ طول ساحلها المغتصب ٥٦ كيلومتراً .

غرست الأشجار وزرعت الأراضي وأنشئت البساتين .

ومياه البحر الميت صافية كالبلور تتقلب بين الأزرق الفاتح والأخضر . ولما كانت هذه المياه تبخر (حيث ترتفع أحياناً درجة الحرارة إلى أكثر من ١١٨ ف° : ٤٨° مئوية) ولا تتصل البحيرة بغيرها أصبحت مياهها التي جاءت إليها من ينابيع غنية بالمواد المعدنية مثقلة بعناصر الملح عجيبة التكوين . وقد حسبوا أن المياه التي تجري لهذه البحيرة من كل ناحية تقدر بنحو ستة ملايين ونصف مليون طن في اليوم لا يبقى منها شيء حيث تتبخر كلها . أما مياه الأمطار فعديمة التأثير إذ تسقط متقطعة وهي ضئيلة إذ لا يزيد معدلها عن ٨٨مم في السنة .

ولعل طقس البحر الميت في الشتاء أجمل طقس في العالم ، فدرجة الحرارة على شواطئه لا تزيد عن ٢٤° مئوية : ٧٥ ف° في النهار و ١٥٫٥° مئوية : ٦٠ ف° في الليل .

ومياه بحيرة لوط مالحة ومرة كالعلقم . وتحتوي على ٢٤ – ٢٦٪ أملاح معدنية . وتقدر هذه الأملاح الذائبة فيه نحو ستة أضعاف ما في المحيطات .

إن الأملاح المعدنية التي تحتويها مياه البحر الميت (١٥٩ كيلومتراً مكعباً من الماء) تعتبر أهم مصادر الثروة المعدنية في فلسطين والأردن . فكأنه بذلك مستودع كبير لها . وقد قدرت هذه الكنوز في عام ١٩١٥ م بأكثر من خمس مئة مليون دولار .

وأملاح البحيرة هي :

١ – **كلورايد البوتاسيوم** – Potassium chloride : ويسمى البوتاس ويستعمل كسماد كيماوي . يُستخدم في صنع البارود والدهان والصابون والزجاج والأصباغ والورق وغيرها . وقدر ما تحتويه هذه البحيرة من البوتاس بنحو ٢٠٠٠ مليون طن متري . وذكر بأن هذه الكمية تكفي العالم بأسره مئات السنين .

وفي أيام سيطرة البريطانيين على فلسطين أعطوا امتياز استثمار بوتاس البحر

الميت وغيره ، رغماً عن احتجاج العرب الشديد، الى شركة يهودية [1] التي قامت بإنشاء المصانع المطلوبة في شمـالي البحر الميت . وبقي اليهود ماضين في استثمارهم هذا الى نهاية الانتداب .

وفي حوادث فلسطين عام ١٩٤٨ دُمّرت هـذه المصانع ، وأنشأ اليهود على شواطىء البحيرة الجنوبية ، الواقعة ضمن اغتصابهم ، مصانع لاستخراج البوتاس في عام ١٩٤٩ يمكنها أن تنتج نحو ٢٠٠،٠٠٠ طن في السنة . وفي عـام ١٩٥٧ بلغ الانتاج ٧٨ ألف مقابل ١١٠ آلاف طن عام ١٩٥٨ وفي عـام ١٩٦٠ ارتفع الانتاج الى ١٥٠ ألف طن . وقد أقام اليهود مراكز لانتاج « البروم » من البقايا التي تترسب بعد الحصول على البوتاس . وتعتبر هذه البقايا من أغنى مناجم البروم في العالم . وقد بلغ انتاج البروم عام ١٩٥٨ مقدار ٢،٠٠٠ طن[2] .

وفي عام ١٩٥٩ تأسست شركة البوتاس العربية بتوصية من الجامعة العربيـة فأقامت منشآتها عند الطرف الشمالي للبحيرة إلا انها لم تتمكن حتى نهاية عـــام ١٩٦٤ من الوصول الى الغايات التي تأسست من أجلها .

٢ – **كلورايد المغنزيوم** Magnesium - chloride وهو الذي يكسب مياه البحيرة طعمها المر . وقدر ما يحتويه البحر الميت من هذا المعدن بنحو ٢٢،٠٠٠ مليون طن . ويستعمل في صناعة الطائرات والمعادن وفي صناعة النسيج لتليـين الألياف الصوفية وتنعيمها كما يستخدم في الصناعة الكيماوية، كمادة أساسية تتألف منها بعض التراكيب .

٣ – **كلورايد الصوديوم** Sodium - chloride – وهو الملح العادي. وقدر ما تحتويه هذه البحيرة من هذا الملح بأكثر من ١١،٠٠٠ مليون طن . وفي ليـتر

---

١ – أعطي هذا الامتياز في عام ١٩٣٠ م لمدة (٧٥) عاما . وقد تقدمت أعمال هـــذه الشركة تقدماً سريعاً . ففي عـــام ١٩٣٥ بلغ انتاجها ١٨٠١٢٤ طنا . وفي عـــام ١٩٣٩ ٦٣،٥٢٧ طنا . وفي عام ١٩٤٦ وصل الانتاج الى ٨٦٢٠٠... طن .

٢ – اسرائيل والشرق الاوسط : ٥٠٩ .

ماء من البحر الميت نحـو ٢٧٥ غراماً من الملح [١] . ويستعمل فضلاً عن استعماله في الطعام في صناعة الصابون وغيرها .

٤ — **مغنيسيوم بروميد** : Magnesium - bromide — ويقـــدر مـا في البحيرة من هذا الملح بنـحو ٩٨٠ مليون طن . ويستفاد منه في فن التصوير وتركيب الأدوية وأطفاء الحرائق وفي صنع القنـــابل والمنسوجات واستخراج بنزين الطائرات من البترول وغيرها .

٥ — **كلورايد الكلسيوم** : Calcium - chloride — وهو الذي يكسب ماء البحيرة خاصته اللزجة الزيتية . ويقدر ما في البحيرة منه بنحو ٦٠٠٠ مليون طن . استعماله قليل .

٦ — **الماء الثقيل** : ويستعمل في الصناعات النووية .

فضلاً عن الأنواع الأخرى من الأمــلاح . ويعتبر البوتاس والـبروم أهم منتجات البحيرة من الوجهة التجارية . وأما المحتــويات الأخرى فقليلة الأهمية تجارياً ؛ إما لكثرتها أو لقلة استعمالها . وبعـد الحرب العالمية الثانية عرف بأن كثيراً من محتويات البحر الميت تدخل في نطاق الصناعات النووية .

إن هذه الأملاح المتعددة جعلت ثقـل ماء البحيرة النوعي مرتفعاً فهــو (١٠٠٢١) في الطبقات العالية و (١٠٢٥٠) في الطبقات العميقة. ونظراً لهذه الكثافة يعوم عليه ما يغرق في غيره . فالإنسان أو الحيـوان لا يمكنه فعلياً أن يغرق فيها . واذا استحم فيه الشخص وجد نفسه بعد الخروج من المــاء بقليل مكسواً بثوب من الملح . وعلى السياح ان يحذروا من دخول المياه في أفواههم وعيونهم . ولا يعيش فيه شيء من النبات أو الحيوان . فـإذا أوصلت اليه مياه الأنهر شيئاً من ذلك مات وانقذف الى الشاطىء .

---

١ — يلي البحر الميت في هـذه النسبة « البحيرة المالحة – The Great Salt Lake » الواقعة في ولايـــة « يوتا – Utah » من أعمال الولايات المتحدة الامريكية ؛ حيث تـتراوح درجة ملوحة مياهها من ٢٠ – ٢٥ ٪ . مساحة هذه البحيرة أكثر من ١٥٠٠ ميل مربع وترتفع عن سطح البحر ٤١٩٥ قدماً . وهي كالبحر الميت ليس لها اتصال خارجي .

تكثر فيه العواصف وترتفع الأمواج وتلطم الشواطىء . وبسبب ارتفاع ثقله النوعي فإن أمواج العواصف تخرب الزوارق ، كما وان السبب نفسه يخمد العواصف بسرعة . وقد أشار جغرافيو العرب لعواصفها هذه . قال ياقوت ؛ (معجم البلدان ٣٥٢/١) : (وقد تهيج (بحيرة لوط) في بعض الأعوام ، فيهلك ما يقاربها من الحيوان الإنسي وغيره حتى تخلو القرى المجاورة لها زماناً). وقال صاحب المراصد ٧٠٠ هـ: ١٣٠٠ م : « وربما هاجت – بحيرة لوط – في بعض السنين فيهلك مجاورها » [١] .

ويقع جبل « أُسدُم » أو « سَدْوم » للجنوب الغربي من هذه البحيرة . وهو جبل منعزل ، أعلى قمه تعلو ٥٩٠ قدماً : ١٨٠ متراً عن سطح البحر الميت . مؤلف من الملح الصخري . طوله ٧ أميال عرضه يتراوح بين ١,٥ – ٣ أميال . ويرى البعض أن « سدوم » التي أهلكها الله بسبب شقاوة أهلها وعدم اتباعهم أوامر لوط بن أخي ابراهيم عليهما السلام كانت تقوم في موقع هذا الجبل والخراب المذكور لا بد وأن يكون قد حصل على أثر زلزال شديد فضلاً عن النيران التي كانت سببها ما أنتجته الزلازل من ترشيحات نفطية وينابيع من الأسفلت .

وتقع خربة « قُمران» التي عثر فيها على مخطوطات قديمة، على الساحل الغربي الشمالي لبحيرة لوط ، على مسافة نحو ١٣ كم جنوبي أريحا . وتتلخص قصة هذه المخطوطات بما يلي :

عثر الرعاة في عام ١٩٤٧ م في أحد كهوف هذه الخربة على جرار من الفخار ضمنها ملفات خطت عليها نصوص كتابية باللغة العبرية يرجع تاريخها الى القرنين الأولين للميلاد . وفي هذه المخطوطات بعض أجزاء من أسفار العهد القديم .

ولما كانت فلسطين في تلك الفترة في حرب بين العرب من جهة وبين اليهود والانكليز من جهة أخرى لم يهتم أحد في هذه النصوص . وحينما استقر الحكم في البلاد تبين لدائرة الآثار الأردنية بأن هناك مغاور ومناطق أخرى تحوي كنوزاً

---

١ – بلدانية فلسطين العربية ص ٢٠ .

أثرية ثمينة مما دعـــا البعثات العالمية الأثرية لأن تقوم بأعمال الحفر والتنقيب في « قمران » . واتضح من الآثار التي عثروا عليها أن هذه المنطقة كانت مسكونة من قبل جماعة عاشت حياة اشتراكية ، وكان لها بناء رئيسي تقيم فيه ، يحتوي على مكتبة وقاعة للطعام أو للتشاور وآبار وبرك وغيرها من المستودعات المائية التي يحفظ فيها ماء المطر، لأن ممارسة الاغتسال بقصد التطهر من أبرز مـا تميزت به هذه الجماعة . كما عثروا على عدد وفير من اواني الفخار والجرار وقطع النقود .

ويبدو أن الأدلة تشير إلى أن تاريخ هذه الجماعة التي عاشت في قمران يمتد من ١١٠ ق . م . إلى ٦٨ ب . م . حيث دمّر الرومان منشآتها . ثم عـاد اليهود واحتلوها إلا ان الرومان دمروها نهائياً في عام ١٣٥ م فهجرها سكانها ومـــا زالت خراباً الى يومنا هذا .

والجماعة التي سكنت هذه الخربة هم من (الآسينيين) ، فرقــة من اليهود الدينية ، ويؤخذ ممـــا ذكره عنهم مؤرخو القرن الأول الميلادي بأنهم [شيعة يهودية مستقلة بعقائدها وأسلوب عيشها . فانهم كانوا يعيشون في جاليات شبيهة بنظام الرهبنــة . وكان نظام عيشهم شيوعاً تامـــاً فلا ملكية ، ولا احتكار ، ولا تنافس ولا حرص على الادخار ، إنما كل إنتاج وكل ربــح يعود الى المجموع الأكبر ، والمجموع الأكبر يوفر للناس المأكل والملبس والمسكن(١)] .

وذكر بعض المؤرخين أن « يحيى » عليه السلام كان من « الآسينيين » .

وما زال علماء الآثار عاكفين على دراسة آثار ومخطوطات « قمران » ممـــا يلقي ضوءاً على دراسات العهد القديم ، وعلى الحركة المسيحية التي ظهرت في تلك الحقبة .

والراجح ان اسم « قمران » يعود الى القبيلة العربية القحطانيـــة التي نزلت جنوبي فلسطين، بعد الفتح العربي الاسلامي، كانت قد استقرت في هذه الجهات. ويذكرنا اسمها بجزيرة « قمران » الصغيرة الواقعة أمـام الساحل اليمني على البحر

---

١ – الكتـــاب السنوي لرابطـــة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى ١٩٥٥/١٩٥٦ القاهرة ص ٦٠ .

الأحمر .

* * *

ويصب في البحر الميت ، فضلاً عن نهر الاردن ، أنهـار صغيرة وتقع جميعها في الضفة الشرقية. وفي هذه الضفة أيضاً وديان متعددة تجري مياهها في الشتاء . ومن هذه الجداول والوديان :

١ – وادي العظيمي : اقصى هذه الوديان شمالاً .

٢ – زرقاء معين : ينبع في الشمال من مـــأدبا . ويجري في مجرى عميق . يتعرج بين الاشجار الجميلة والأراضي الخصبة. وينتهي في البحر الميت عند «بصة النمرة » . وعلى شاطىء النهر الشمالي وللجنوب الغربي من « مأدبا » تتفجر ، على مسافة نحو أربعة كيلومترات من البحيرة ، الحمامـــات الساخنة المعروفة باسم « حمامات زرقاء معين » . حرارتها تتراوح بين ٥٥٫٥° – ٦٠° مئوية : ١٣٢ – ١٤٠ ف° . والعناصر المـــالحة الرئيسية الموجودة في مياههـــا هي الصوديوم وكلورايد الكلسيوم ومغنيسيوم برومايـــد فضلاً عن الكبريت . وهي تفيـد الامراض الجلدية والعصبية . وتعتبر أكبر الحمامـــات الساخنة الواقعة في شرقي الاردن .

وللجنوب من « زرقاء معين » وعلى مسافة خمسة كيلومترات تقع « عـــين الزرقاء » وهي عين كبريتية أيضاً .

ولعل « عمرو بن لُحَيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي[1] » نزل هـذه الحامات لما ذكروا له « إن بالبلقاء من الشام «حَمّة» إن أتيتها برأت مما أصابك» فأتاها فاستحم بها فبرىء .

---

١ – ومما يذكر عن عمرو هذا أنه أول من دعا العرب لعبادة الأوثان . ففي اثناء استحمامه وجد أهل البلاد يعبدون الأصنام : يتوسلون بهـــا لسقوط الأمطار ويستنصرونها على العدو . فراقت له هذه العبادة . ولما عاد الى مكة ، ومعه الأصنام ، ومنها هبل ، نصبها حول الكعبة ودعا الناس الى تعظيمها وتقديسها . فكان له ما أراد .

٣ – **وادي الواله** : ويقع جنوبي الزرقاء . وهو بوجهه الاجمال من أجمل أودية شرقي الأردن . وقبل التقائه بالموجب يعرف باسم « وادي الهيدان » .

٤ – **الموجب** : واسمه القديم « أرنون » [١] . ويعتبر أكبر الجداول التي تصب في بحيرة لوط . طوله نحو ٥٠ ميلاً : ٨٠ كم . ان بعض الأشجار المثمرة وغيرها من النباتات التي تعترض مجراه تزيل كثيراً من وحشة هذا الوادي. وعمق أخدوده الذي حفره في الجبال نحو ٣،٠٠٠ قدم . ومصبه في البحيرة عريض ، وقدر ما يحمل هذا النهر للبحيرة من مياه بنحو١٨ مليون متر مكعب في السنة. ويقع عليه حمام مياهه ساخنة يحمل اسم « حمام الموجب » . ونهر أرنون يفصل بين جبال البلقاء والكرك .

٥ – **وادي ابن حمّاد** : ويقع الى الجهة الشمالية من الكرك . وفيه حمّام ساخن يعرف باسمه .

٦ – **وادي الكرك** : ويقع في جنوبي « وادي ابن حمّاد » . يبدأ بالقرب من قرية « المزار » . يجري على جانبي الكرك وينتهي في البحر الميت شمالي اللسان.

٧ – **الحسا** : يخرج من جبال الكرك من ضواحي « ابو قراط » و « قصر البنت » . ويؤلف الحد الشمالي لبلاد آدوم . يمر من قلعة « الحسا » الواقعة على الخط الحديدي الحجازي . وقديماً كان يعرف باسم « زارد »[٢] . ويفصل جبال الكرك عن جبال الطفيلة . وهو أغزر الوديان ، التي تصب في البحر الميت ماءً .

ويقع على « وادي الحسا » حمّام ساخن يعرف باسم « حمّام عفرا » ، للشمال من بلدة الطفيلة .

---

١ – لعله من « أرن » بمعنى نشط وأسرع ، فيكون بمعنى « المسرع » ، أو من « أرنا » بمعنى « تيس الجبل » نوع من الوعل . والواو والنون في آخره على الطريقة السريانية . والرأي الأول هو الأرجح .

وأرنون أيضاً قرية من أعمال النبطية في جنوبي لبنان .

٢ – كلمة « زارد » على الأرجح تحريف لجذر « سرد » السامي المشترك . ويفيد معنى الخوف والعزلة . وعليه يكون معنى الاسم « وادي زارد » الوادي المخيف أو الوادي المنعزل . ونقصد من « سامي مشترك » ان الجذر يرد في أكثر اللغات السامية وبمعنى ذاته .

لا يوجد في ساحل البحر الميت الغربي جداول ميــــاه دائمة الجريان . ومن وديانه وغيرها التي تحمل مياه الأمطار وتنتهي فيه « وادي النـــــار » و « عين جدي » و « وادي الزُّوَيْرَة » وغيرها .

* * *

اقتصر معظم حديثنا عن منطقة الغور حتى الآن، على نهر الأردن والبحيرات التي تتصل فيه . واما الغور نفسه فهو الانخفاض العظيم والسهل الفسيح الذي يقع بين فلسطين وسورية والأردن . فقسمه الشمالي يسمى « سهل الحولة » ، لا يزيد عرضه عن خمسة أميال : ٨ كم . وتقدر مساحته بنحو ٢٦٢ كم^2 . ويعرف القسم الواقع بين بحيرة طبرية في الشمال والبحر الميت في الجنوب باسم « وادي الأردن» أو « سهل الأردن » أو « غور الأردن » . وللتخفيف كثيراً مـــا يذكر باسم « الغور » فقط . وتقدر مساحته ٦٨١ كم^2 .

وعرض الغور في الضفة الفلسطينية في جنوبي بحيرة طبرية يبلغ نحو أربعـة أميال : ٦٫٥ كم . ثم يأخذ بالاتساع حتى يبلغ ثمانية أميال: ١٣ كم مقابل بيسان. ولكنه يضيق حينما يدخل الديار النابلسية فيصل عرضه الى ثلاثـة أميال : ٥ كم فقط . ثم يأخذ في الاتساع ثانية حتى يصل الى ستة أميال عند خربة «مضايل». ولعل أقصى عرض له يقع مقابل أريحا حيث يبلغ ١٤ ميلا : ٢٢٫٥ كم . هـذا والمسافة التي تقع تحت سطح البحر في الغور ، على الطريق الممتدة بـــين القدس — أريحا — السلط هي ٣٤ كم منها ١٩ كم في فلسطين و ١٥ كم في شرق الأردن .

مُناخ الغور :

تتساقط الأمطـار على منطقة الغور بقلة وهي تتراوح بـــين (٥٠) مم في الجنوب و ٥٠٠ مم في الشمال . وتقدر عدد أيامـه الممطرة بين ٢٠ — ٥٠ يوماً . وهاك معدل سقوط الأمطار بالمليمترات في بعض مدنه وبقاعه للمدة الواقعة بين عامي ١٩٠١ و ١٩٤٠ م : طبرية ٤٥١٫٨ مم ، بيسان ٣٠٤٫٩ مم ، أريحـــا

١٥٢و٦ مم وفي شمالي البحر الميت ٨٨ مم .

وللمقارنة نذكر ان معدل سقوط الأمطـــار ، لعدة سنين ، بلغ في البصرة ٧٦و٣ مم وفي البحرين ٦٣و٥ مم وفي مسقط ١٠١و٦ مم .

ومما هو جدير بالذكر انه في شتاء عـام ١٩٥٠ م هطلت الثلوج بغزارة فوق مناطق الغور وغطت السهول والوديان .

وفصل الشتاء في الغور مقبول في رطوبته وحرارته . ومتوسط درجـــات الحرارة فيه تتراوح بين ١٣ – ١٧° مئوية : ٥٥ – ٦٣ ف° . وقـــد تنخفض الحرارة في الفصل المذكور فتصل الى ٤٠ ف° : ٤و٥° مئوية وحتى الى ٣٢ ف° : صفر مئوية ليلاً .

وصيف الغور حار وتشتد الحرارة فيه حتى تصبح كصيف المناطق الحارة . ومتوسط درجة الحرارة فيه تتراوح بين ٣٦ – ٤٠° مئوية : ٩٧ – ١٠٤ ف° . وقد تصل الحرارة في الصيف الى ٤٣و٣° مئوية : ١١٠ ف° والى ٤٧و٨° مئوية : ١١٨ ف° . وتصل أحياناً في البحر الميت ، في الظل ، من ٥٠ الى ٥٤و٥° مئوية : ١٢٢ – ١٣٠ ف° .

والجدول الآتي يبين لك معدل درجات الحرارة لسنين عديـــدة في كل من أريحا وبيسان :

	أريحا على انخفاض ٢٦٠ متراً تحت سطح البحر ف° : س°	بيسان على انخفاض ١١٨ متراً تحت سطح البحر ف° : س°
معدل درجة الحرارة لسنين عديدة	٧٥ : ٢٤[1]	٧٣ : ٢٢و٧[2]
معدل درجة الحرارة العظمى لسنين عديدة	٨٧ : ٣٠و٧[1]	٨٥ : ٢٩و٢[1]
معدل درجة الحرارة الصغرى لسنين عديدة	٦٣ : ١٧و٢[1]	٥٩ : ١٤و٨[2]
معدل نسبة الرطوبة المئوية	: ٥٠و٤[1]	٥٨[3]

---

١ – لمدة تسع سنوات . (٢) لمدة ثماني سنوات . (٣) لمدة أربع سنوات .

وقد بلغ متوسط الحرارة لشهر كانون الثـــاني في أريحا لمدة ثماني سنوات : (١٩٢٨ — ١٩٣٥) ١٤٫٣° : ٥٨ ف° ، كما بلغ متوسطها للمدة نفسها في شهر آب ٣١٫٤° مئوية : ٨٩ ف° . وتبلغ درجة الحرارة في أريحا ، عادة ، في تموز فوق ١٠٠ ف° : ٣٧٫٨° مئويـة وترتفع في آب (اغسطس) الى ١١٨ ف° : ٤٧٫٨° مئوية . وكان شهر كانون الثاني منعام ١٩٤٤ أبرد شهر ذلك العام حيث بلغ معدله في أريحا ١٤٫٦° مئوية : ٥٨ ف° و ١٢٫٧° مئويـــة : ٥٥ ف° في بيسان . وفي الصيف كان شهر تموز أحر شهور تلـــك السنة في أريحا حيث بلغ معدل الحرارة فيه ٣٠٫٧° مئوية : ٨٧ ف° ، بينما كان شهر آب أحر أشهر عام ١٩٤٤ م في بيسان ، فكان معدل الحرارة فيه ٢٨٫٥° مئوية : ٨٣ ف° .

ومتوسط درجة الحرارة السنوي في طبريه يبلغ ٧٧ ف° : ٢٥° مئوية .وفي نحو ١٦٣ يومـاً من أيام السنة ترتفع الحرارة فيها الى أكثر من ٩٠ ف° : ٣٢٫٢° مئوية وفي ٤٥ يوماً من هذه الأيام تصل الى أكثر من ١٠٠ ف° : ٣٧٫٨° مئوية .

ولمقارنة درجة الحرارة في الغور الفلسطيني مع بعض المناطق في الوطن العربي نثبت الجدول الآتي :

	معدل الحد الأقصى السنوي		معدل الحد الأدنى السنوي	
	ف°	س°	ف°	س°
البصرة	١٢٠٫٣	٤٩	٢٤	— ٢٫٨
مسقط	١١٤٫٥	٤٥٫٨	٥٧٫٥	١٤٫١
البحرين	١٠٨٫٥	٤٢٫٢	٤٠٫٨	٥
الكويت	١٢٢	٥٠	٣٢	٠ صفر

وترتفع درجة الرطوبة في جميع هذه المناطق ويكون أعلاها في البحرين حيث يصل معدلها الى أكثر من ٨٥٪ مما يسبب الإعياء الشديد لنشاط الانسان.

* * *

كان الغور الفلسطيني من أقدم المناطق التي سكنها البشر في « عصور مـــا

قبل التاريخ » . ومن مدنه التي ازدهرت في تلك العصور – كما سنذكر ذلك في حينه – أريحا التي تعود بتاريخها الى نحو عام ٧٠٠٠ قبل الميلاد ، وتعتبر أول مدينة ، في العالم ، عرفت حتى اليوم . و « بَيْسان » وقد كانت عامرة في نحو عام ٤٠٠٠ ق . م ، والبلدة التي كانت تقوم على « تليلات الغَسُّول » في جوار البحر الميت ، تعود بتاريخها الى ما قبل عام ٣٤٠٠ ق . م .

ويرى بعضهم ان الغور سبق في عمرانه وسكناه المناطق الفلسطينية الأخرى التي كانت حينئذٍ مغطاة بالغابات الكثيفة .

ولما نزل « الكنعانيون » الغور في الألف الثالث قبل الميلاد أقاموا في مختلف انحائه القرى والمدن التي اخذت تتسع وتتقدم بفضل خصب أراضيها ونشاط سكانها فغدت غنية قوية . وفي القرن التاسع عشر قبل الميلاد كان الغور مزدهراً عامراً بالسكان مما دعا «لوط » ابن أخي إبراهيم لينزله هو وجماعته لهداية سكانه وطلباً للعيش والاستقرار .

ويظهر ان الزلازل المتتابعة كانت سبباً في تدهور حضارة الغور ثم اندثارها بعد ذلك .

وفي العهد الروماني عاد للغور ازدهاره . وفي هذا يقول جورج آدم سمث : [وقد عرف الغور في أيام الرومان الذين أحسنوا ريّه ، بخصبه ومزروعاته الوافرة من حبوب وبلح وبَلَسم وكتان وغيرها . وقد كانت « فضايل » وجوارها تعد من أشهر جنّات سوريا حتى ان احراش البلح فيها كانت تتصل بأحراش أريحا (١)] .

وفي أيام الرومان أيضاً اشتهرت « بيسان » بخمورها ونسيج كتانها كما عرفت الجدل الواقعة على ساحل بحيرة طبرية بالصباغة وصيد السمك الذي كان يجفف ويحفظ ثم يصدر للخارج .

وفي أواخر القرن السابع للميلاد كانت الغابات الكثيفة تحيط ببحيرة

---

١ ص ٣٥٤ و ٤٨٧ من كتاب : The Historical Geography Of The Holy Land .

طبرية .

وقد ذكر جغرافيو العرب ومؤرخوهم أن في الغور مدناً وقرى ومزارع كثيرة منها أريحا وطبرية وبيسان وعَمتا — وقد تقدم ذكرها — وقراوى والعوجا وفحِلْ والصَّنَّبرَة وعين جالوت وعَفربلا —عين بلا شرقي بيسان— والزرّاعة (بفتح الزاي وتشديد الراء) وغيرها . كما ذكروا من مزروعاته الريحان والأقطان[1] والنخيل والموز وقصب السكر — الذي كان يحمل الى سائر بلاد المشرق — والبلسم[2] والليمون والأترُج[3] والنارنج[4] والوَسِمة[5] التي يعمل منها النيل والأرز وقد اشتهرت به بيسان و « السامان »[6] التي تعمل منه الحصر السامانية . وقد ذكره الادريسي المتوفى عام ٥٦٠ هـ : ١١٦٥ م بقوله : « لا يوجد نبات السامان الا في بيسان وليس في سائر الشام شيء منه »[7] . وغيرها .

وفي أيام الحكم البريطاني المشئوم « ١٩١٧ — ١٩٤٨ » زرنا بعض جهات الغور . أكثر من مرة وفي سنين مختلفة ، فلم نجد فيه من الخيرات والمزروعات ما هو جدير بالذكر ، خلا ما قام به بعض المقدسيين من زراعة الرز وغيره في

---

١ — اشتهر الغور النابلسي بزراعته . وكان يصدر من القطن ، الى عهد قريب ، ما قيمته الألوف من الدنانير .

٢ — اهملت زراعته اثناء الحروب الصليبية ولم يعد له ذكر بين محصولات الغور .

٣ — الاترج ويقال له « الترنج » وتسميه العامة « الكباد » .

٤ — النارنج ؛ ضرب من الليمون وتسميه العامة باسم « ليمون ابو صفير » . قال المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ ؛ ٩٥٧ م بأن شجر النارنج والأترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلثمائة (٩١٢ م) ، فزرع في عمان — بضم العين — ؛ ثم نقل الى البصرة والعراق والشام . حتى كثر في دور الناس بطرسوس وساحل الشام وفلسطين ومصر — مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٣٧٨ القاهرة ١٩٥٨ — . وقد استعار العرب لفظي « أترج » و « ليمون » من الفارسية ثم نقلتا الى اسبانيا ومنها اتصلتا باللغات الأوروبية الأخرى. فقيل مثلاً بالانكليزية Lemon Orange .

٥ — الوسمة ؛ ورق النيل أو نبات يختضب بورقه .

٦ — السامان ؛ الخيزران .

٧ بلدانية فلسطين العربية ٤٢ .

جوار أريحا .

[والأراضي الواقعة في شمال الغور خصبة جداً . وتنبت في الجنوب كافة أصناف الأثمار التي تزرع عادة في المناطق الحـــارة ، والخضراوات الباكرة اذا تيسرت لها أسباب الري . واذا تم تحسين الغور تحسيناً وافياً فليس من المستبعد ان يكون يوماً ما ينبوع خير وثروة للبلاد . ومما لا ريب فيه انـه كان في قديم الأزمان يعول عدداً وافراً من السكان][1] .

وبعد النكبة في عام ١٩٤٨ م نزله العائدون الفلسطينيون فحولوا أراضيـه القاحلة والمالحة الى جنات فيحاء ، تنمو فيها الفواكه المختلفة والخضار المتنوعـة والنخيل والحبوب والزهور والاشجار . ونظراً لحرارة الغور فان مزروعاتـه تنمو في المواسم التي تختلف في مواعيدها في أنحاء البلاد الأخرى . فالخضار على اختلاف انواعها تنمو شتاءً وتصدر للأقطار التي تطلبها .

ومن الفواكه التي تزرع في الغور اليوم البرتقال والحمضيات والموز والايكيدنيا وقصب السكر وغيرها . وتبـــذل العنايـــة لغرس الثار الاستوائية ونصف الاستوائية فيه .

وأشجار الغور تحتوي على أشجار المناطق الحـــارة التي تنمو على ضفاف الأنهر كالحور والصفصاف وتمتد على طول ضفتي النهر بين بحيرتي طبرية والميت ، كما انها تحتوي أيضاً على اشجار مشابهة نوعاً للاشجار الصغيرة التي تنبت في البيداء المعشبة من فصيلة « Zcrophystic » على طول الاودية ممتدة الى سفوح التلال .

قال الدكتور جورج بوست : [ونبات الغور شبيه بنبات المنطقة الحـــارة ولا سيما بنبات أرض السودان لانخفاضه تحت سطح البحر وشدة الحرارة الحاصلة من حصر أشعة الشمس بين الجبال التي ترتفع على جانبيه . فـأن الحرارة تصعد الى ٥٠° سانتيغراد في الظل في فصل الصيف . ويكاد لا يقع فيه مطر في الشتاء لأن الغيث النازل من الغيوم يتبخر قبل وصوله الى قعر الوادي . وأعم نبـــات الجزء الجنوبي من الغور سنط السيال والنـــخل والعشّر والرَّتم والبان والصلّة

١ ـ فلسطين ، تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران ص ٣١ .

والطرفاء والمُلاَّح والغرقد والنَّبْق والعَوْسج والسلفادورا والدبق الهندي والأثل والحور الفراتي والزقوم والكَبَرَد . وأكثر هذه الأنواع افريقية على ان بعضها كالعُشر والزرقوم والسلفادورا توجد في الهند أيضاً ، وفي الجزء الشمالي في مستنقعات الحولة كثير من البابير والأثل والقصب الفارسي والغزّار والسوسن وزنبق الماء وعدد غفير من النباتات المائية [1]].

وهاك توضيحاً لبعض النباتات التي ذكرها بوست . والتي لم نفسرها اما لأنها معروفة أو لأننا لم نجد لها تفسيراً في كتب اللغة الموجودة لدينا .

الرَّتم : الواحدة رتمة . نوع من الشجر بذره كالعدس . ويصنع من خشبه فحم جيد .

اللُّبان : شجرة شائكة ورقها كالآس . ويستخرج منها صمغ الكُنْدُر .

الطرفاء : شجر وهي أصناف ومنها الأثل . وتعرف الطرفاء أيضاً باسم شجرة المن اذ يتسلط عليها دودة تثقب جذوعها وأغصانها فيخرج من الثقوب صمغ حلو المذاق يقال له المن . وهو الذي كان يأكله اليهود طيلة تيههم في سيناء .

المُلاَّح : الواحدة مُلاّحة . نبت من نبات الحَمْض . منبتها القيعان فيها حُمْرَة تؤكل مع اللبن ولها حب يجمع ويُخبز فيؤكل .

الغَرْقَد : بفتح اوله وسكون ثانيه وقاف مفتوحة ثم دال . ضرب من الغضاة . قيل إنه العوسج اذا عظم . ورقه شحمي مثلث الشكل ، وله حب كحب الرمان ، وطعمه حلو .

النَّبْق : حَمْل شجر السدر، الواحدة نبقة. والسِّدْرَة شجرة النَّبْق. كان المصريون القدماء يصنعون منه خبزاً حلواً .

العَوْسج : الواحدة عَوْسَجَة . من شجر الشوك . يقارب الرمان في الإرتفاع . له ورق قوي وشوك . ويقال له ايضاً العليق .

الأَثْل : واحدته أَثْلَة . شجر يشبه الطرفاء الا انه أعظم منها . وخشبه

---

١ — نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها . المجلد الأول طبع بيروت ١٨٨٤ .

صلب جيد .

الحَوْر : شجر عرفه القدماء من مصريين وكنعانيين ويونان وغيرهم جمعه أحوار .

الزَّقُّوم : نبات بالبادية له زهر كزهر الياسمين .

البابير : أي الحلفاء . نبت أطرافه محددة كأنها سعف النخل والخوص . ينبت في مغايص المياه .

القَصَب : كل نبات يكون أنابيب وكعوباً . ومن الغزّار كان يتخذ ، فيما مضى ، أقلام الحبر .

السوسن : كلمة فارسية معرَّبة . نبات من الرياحين معروف منذ القدم . ضرب القدماء به المثل في الجمال . وهو صنفان بري وبستاني، الواحدة (سوسنة) .

العُشَر : مفرده العُشَرَة . من كبار شجر العضاة ذو صمغ حلو وحُرّاق مثل القطن . يُقتدح به وهو عريض الورق يخرج من شُعَبه ومواضع زهره سُكر فيه شيء من المرارة يقال له سُكر العُشَر . ويخرج له نفّاح كشقاشق الجمال وله نَوْر كالدِفلى مشرق حسن النظر وله ثمر .

الصِلّة : لعلها الصِّلِّيَّان . منابته السهول والرياحين . من الجَنَبَه لِغلظه وبقائه . والجَنَبَه ، رطب الصِّلِّيَّان من النبات . وقيل ما هو فوق البقل ودون الشجر . وقيل هو كل نبت يورق في الصيف في غير مطر .

وفي الغور اليوم الخنازير البرية وقليل جداً من النمور والذئاب وبعض الحيوانات الأفريقية كالوَبْر[1] ، والطائر المعروف باسم « أبي الزهور[2] » وغيرها . وأما الأسود التي كانت تكثر فيه ، وخاصة في حوض الزرقاء – كما مرّ ذكره – فقد

---

١ – الوبر : وفي الدارج الطبسون ، وهو بحجم الأرنب . لونه أسمر رمادي باهت . حسن العينين . له أذنان مستديرتان وذنب قصير جداً . يقضي أكثر النهار منزوياً في جحره بين الصخور . لا يخرج في طلب الرزق الا عند المساء أو باكراً في الصباح نباتي لا يأكل اللحوم .

٢ – له منقار طويل أعكف يتكنه من مص شوار الزهور وصيد الحشرات الصغيرة . لون الذكر أسود يعكس ظلالاً خضراء وزرقاء .

انقرضت منذ ٨٥٠ سنة[١] .

* * *

اذا استثنينا البحر الميت فإن الغور الفلسطيني بحاجة الى خبراء في المعادن والى علماء في طبقات الأرض لمعرفة ما فيه من ثروات معدنية مختلفة . ويحتمل ان يعثر فيه أو في جواره بكميات تجارية على خامات الحديد وأكاسيده والمنغنز والكاؤلين والفوسفات ومركباته وخاصة في جهات « النبي موسى » في جنوبي أريحا ، — وفي الجبال المطلة على البحر الميت من الغرب — والجبس الذي يكثر قرب جسر المجامع ، والكبريت وأحجار البيتومين التي عثر عليها في منطقة « النبي موسى » و « اليرموك » وغيرهما .

* * *

ومن المدن والقرى والقبائل التي تقع في الغور بين بحيرتي طبرية والميت :

أولاً : في فلسطين :

(ا) في القسم المغتصب من الوطن الحبيب :

العُبَيْدِيّة ، الدَّهْمَيِّة ، جسر المجامع ، زَبْعَة ، الحميدية ، بيسان ، فَرْوَنَة ، والسامرية ، ومن القبائل عرب البشاتوه وعرب الغزاوية (ويخيم قسم من هاتين القبيلتين في الضفة الشرقية من الغور) وعرب الصقر وغيرهم .

(ب) في الأرْدُنّ :

بَرْدَلة ، خربة الساكوت ، عين البيضاء ، أم حُرَيْرَة ، قراوى (الفوقا والتحتا) ، عَجْلُور ، كرنتينا ، فصايل ، العوجاء ، النُوَيْعِمَة ، دُيوك وأريحا . وغيرها ..

---

١ – صفحة ٤٩ من كتاب :
The Historical Geography of The Holy Land .

ومن العشائر : عرب المساعيد ، عرب الكعابنـة ، عرب النصيرات وعرب العرَّينات وغيرهم ..

ثانياً : في الضفة الشرقية [1] :

(العَدَسِيّة [2] ٩٢٠ نسمة) ، (الباقورة ٣٠٤٢) وتقـع على اليرموك بالقرب من التقائه مع الأردن ، (المشروع ٥٣٨) ، (الشونة الشمالية ٣٤٦٢) ، (معاذ ١٢٥ نسمة ، نسبة الى مُعاذ بن جَبَل) ، (المنشية ١٢١٧) ، (وقّاص ٢٣٢١) ، (تل الأربعين ٩٧٣) ، (قريـة الشيخ حسين وجَسُورة ٨٦٧) ، (الجرم ١١٨٨) ، (قُوَيسِم وطُرَيخِم ٦٤٩) ، (المشارع ١٧٣٠ ، تبعـد عن قُويسم وطريخم نحو ٤ كيلومترات) ، (كُرَيّمة ٢٢٠٤ تقـع على وادي كفرنجة) ، (معَدّي ٩٣٨ . في غور أبي عبيدة) ، (داميـة ٤٨٣) ، (دير عَلاّ ١١٩٠ . تقع جنوبي مزار أبي عبيدة و ٢٠١ من الأمتار تحت سطح البحر)، (الشونة الجنوبية ١٠٨٢) ، (الكَفْرين ٧٦٩) و (سُوَيْمه ٣١٥) وغيرها.

ومن العشائر : « البَلاوِنة » و « المشالخة » و « العَدْوان » وغيرهم .

هذا ويقيم في الغور بعض العائدين من الفلسطينيين بأعداد كبيرة يقدرون بأكثر من ٧٥ ألف نسمة .

* * *

وتخـترق الغور اليوم ، في كل من ضفتيه طرق معبدة من الشمال الى الجنوب تصل مدنه وقراه ومزارعه ببعضها ، كما تصله مع مدن المناطق الجبلية المجاورة، وهاك بعض المسافة لهذه الطرق من الشمال الى الجنوب في ضفة الغور الغربيـة — فلسطين — :

جسر بنات يعقوب — طبرية : ٣٧ كم

---

١ -- الاحصاءات تعود الى عام ١٩٦١ .

٢ -- لعلها دعيت بذلـك نسبة الى عشيرة « المدسيين » من كلب . نزلت هـذه الديار في العصور الغابرة .

طبرية ـ بيسان	:	٣٨ كم
بيسان ـ جسر دامية	:	٥١ كم
جسر دامية ـ أريحا	:	٤٥ كم
أريحا ـ شمال البحر الميت	:	١٣ كم
المجموع	:	١٨٤ كم

وهناك بعض الطرق التي تصل غربي البلاد ـ في الساحل ـ مع شرقيها في الغور :

يافا ـ القدس ـ أريحا ـ جسر اللنبي (الملك حسين) : ١٠٩ كم ومن الجسر تستمر في سيرها الى الشونه فالسلط فعَمّان .

ناتانيا ـ طول كرم ـ نابلس ـ جسر دامية	:	٨٦ كم
حيفا ـ بيسان	:	٧١ كم
حيفا ـ الناصرة ـ طبريا	:	٧١ كم
عكا ـ صفد ـ جسر بنات يعقوب	:	٧٦ كم
غزة ـ بئر السبع ـ جبل أسدم	:	١٢٤ كم .

كما يمر بالغور الخط الحديدي الحجازي الواصل بين حيفا ودرعا ماراً بمرج بني عامر وبيسان وسمخ .

وطريق نابلس ـ جسر دامية تتفرع بعد دخولها شرقي الأردن ، وعلى بعد سبعة كيلومترات من الجسر المذكور ، الى طريقين : طريق تتجه صوب الجنوب الشرقي ، مارة بمخيم الكرامة ، وعند « الشونة الجنوبية » تلتقي بالطريق الآتية من القدس ـ أريحا الصاعدة الى عمّان . وطريق ثانيـــة تتجه الى الشمال ، على موازاة النهر ، تمر بـ (العارِضة) و « الكرَيْمة » و « جسر الشيخ حسين » ؛ وعند « مُعاذ » تنحرف الى الشرق حتى تصل الى إربد . ومن « العارضة » تتجه طريق جبلية تصل الى عمّان .

* * *

ولنا في الغور – كما لنا في كل بقعة من الوطن الغالي – ذكريات عزيزة . ففيه فضلاً عن معركة اليرموك المار ذكرها ، حدثت معركة « فِحْل[1] » في ٢٣ من كانون الثاني عام ٦٣٥ م ؛ ومعركة حِطّين[2] » الفاصلة التي دارت يوم الجمعة وصباح السبت في ٢٥ ربيع الثاني عام ٥٨٣ ﻫ : ٣ و ٤ تموز ١١٨٧ م . وقد بني على تلة حطين قبة يقال لها قبة النصر تخليداً لذكرى هذه المعركة . وبطل هذه المعركة هو صلاح الدين الأيوبي كما هو معروف وغيرها .

وفي « الصِّنَّبرة » لبى الناس الدعوة لبيعة عبد الملك بن مروان بعد والده. وفي أوائل عام ٧١٥ م مرّ من غور طبريا موكب النصر العربي آتياً من شمال افريقية والأندلس يتقدمه الفاتح العظيم موسى بن نصير في طريقه الى دمشق ، دار الخلافة. وكان الموكب يضم ٤٠٠ من أفراد العائلة القوطية المالكة والعائلات الارستقراطية في الأندلس وغيرها وعلى رؤوسهم التيجان وأوساطهم الأحزمة الذهبية . وفي أثرهم آلاف الأسرى يحملون الغنائم والأسلاب التي تفوق قيمتها كل تقدير . وكان يوم وصول هذا الموكب لدمشق في شتاء عام ٧١٥ م يوماً مشهوداً من أيام النصر للعروبة والإسلام .

وفي الغور من الآثار العربية بقايا قصر « هشام بن عبد الملك الأموي[3] ٧١ – ١٢٥ ﻫ : ٦٩٠ – ٧٤٣ م » في خربة « المِفْجَر » ، في ظاهر أريحا الشمالي . وهو من أشهر القصور الأموية في الشام . ويرجح ان الزلزلة التي حدثت عام ٧٤٧ م قد دمّرته كما دمرت كنيسة القيامة في القدس وكنائس جرش .

وكان يطيب للأمويين النزول في الغور لتمضية بعض أيام من فصل الشتاء . فكانت « الصنبرة » و « خان المِنْيَة » من أهم مشاتيهم كما ذكرنا ذلك في حينه.

---

١ – تقع على تلة تعلو على نحو (٦٠) قدماً شرقي نهر الاردن ، مقابل بيسان وجنوبي جسر الجامع ببضعة أميال ، بها ٣٨٧ نسمة . وتعرف هذه المعركة أيضاً باسم « يوم الردغة » ويوم بيسان .

٢ – تقع على مسيرة ٨ كم غربي طبرية .

٣ – امتدت خلافته من ١٠٥ – ١٢٥ ﻫ : ٧٢٤ – ٧٤٣ م .

وكان « سليمان بن عبد الملك » ينزل في « دير الغور » من غور البلقاء[1] ، وكثيراً ما كان « الوليد بن يزيد » يقصد نهر الزرقاء ويقيم هو وعياله على مقربة منه ، يطعم من يفد عليه لمدة ثلاثة أيام. كما كانت «فحل» وواديها من أملاك بني أمية.

ويضم الغور من رفات الصحابة :

١ — أبو عُبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفِهْري القرشي : « ٤٠ ق هـ — ١٨ هـ : ٥٨٤ — ٦٣٩ م » — فاتح بلاد الشام . أحد العشرة المبشرين في الجنة . قال ابن عساكر : داهيتا قريش : أبو بكر وأبو عبيدة . وفي الحديث : لكل نبي أمين وأميني أبو عبيدة بن الجراح . ولد بمكة . وهو من السابقين في الإسلام . شهد المشاهد كلها . تم له فتح الديار الشامية وتعلقت به قلوب الناس لرفقه واناته وتواضعه . توفي بطاعون عَمْواس .

وقبره في « وادي راجب » المار ذكره على نحو ٢٢٥ متراً تحت سطح البحر، وفي الجنوب من « تل عمتا » . وذكره فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٨ هـ : ١٣٤٧ م بقوله : [قبر أبي عبيدة بن الجراح : بقرية عَمتا من الغور وعليه بناء، ولخادمه مرتب جارٍ ، أجري له في الأيام التنكزية بعلم الوزير أمين الملك ووساطته][2] .

وقد ذكر هذا القبر أيضاً الرحالة ابن بطوطة المتوفى عام ٧٥٦ هـ : ١٣٥٥م بقوله: [مَرَرْت بالغور، وهو واد بين تلال وفيه قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه . زرناه وعليه زاوية فيها الطعام لأبناء السبيل . وبتنا هنالك ليلة . ثم وصلنا الى « القُصَيْر » وبه قبر مُعاذ بن جبل رضي الله عنه . تبركت أيضاً بزيارته][3] .

٢ — شُرَحبيل بن حَسَنَة : ٥٠ ق هـ — ١٨ : ٥٧٤ — ٦٣٩ م هو شرحبيل بن عبدالله بن المطاع بن الغطريف الكندي . ويعرف بإبن حَسنة وهي

---

١ — معجم البلدان : ٥٠٧/٢ .
٢ — مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٢١٧/١ .
٣ — مهذب رحلة ابن بطوطة ٥٠/١ . القاهرة ١٩٣٤ .

أمه . كان أحد القادة الذين وجههم أبو بكر لفتح الشام. فافتتح شمالي فلسطين، ما كان يسمى باسم جند الأردن – كلها َعنوَة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه. توفي بطاعون عمواس .

٣ – ضِرار بن الأزْور : أحـــد الأبطال في الجاهلية والاسلام . حضر معركة اليرموك . وأبلى فيها البلاء الحسن توفي بالغور عام ١١ هـ : ٦٣٣ م .

٤ – مُعاذ بن َجبَل: ٢٠ ق هـ–١٨هـ: ٦٠٣–٦٤٩ م أنصاري خزرجي أمه هند بنت سهل من جُهينة . من أفضل شباب الأنصار علماً وسخاءً وحلماً . وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله . وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد الرسول عليه السلام . بعثه الرسول قـــاضياً ومرشداً لأهل اليمن . ثم التحق بجيوش أبي عبيدة في غزو الشام . واستخلف أبو عبيدة ، قبل وفـاته ، معاذاً . توفي عقيماً ودفن « بالقـُصير المعيني (١)» في الغور . في القرية التي نسبت اليه « معاذ » الواقعة على وادي العرب . وبعضهم ذكر انه دفن بجـــانب ولده عبدالرحمن الذي توفي أيضاً في الطاعون المذكور .

ومزارات هؤلاء الصحابة ، معروفة في غور الأردن .

وذكر بعض المؤرخين ان يزيد بن أبي سفيان ، أحد قواد الحملة العربيـــة الاسلامية على بلاد الشام توفي بطاعون عمواس ودفن في الغور . الا أن الأكثرية ذكرت أنـــه توفي في دمشق والله أعلم !

---

١ – جاء في (معجم البلدان ٣٦٧/٤) : « القصير بلفظ تصغير القصر . قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن يكثر فيه قصب السكر . » و « المعيني » بضم الميم لا فتحها . نسبة الى « معين الدين » من رجالات الدولتين النورية والصلاحية . وكان « القصير » يعرف سابقاً باسم قصير خالد . ولعل تسميته هذه تعود الى « خالد ، بطن من بني مهدي » من جذام ، نزلت هذه الجهات في العصور الماضية .

وادي العَرَبة [1]

« ... وبعد عشرة أعوام ستجدون البلاد مزدهرة وعـــامرة بالسكان من القدس الى إيلات » !!

من خطاب بن غوريون في القدس في ١٩٦٠/١٠/٣٠

وادي العَرَبة هو ما استطال من الغور الى خليج العقبة. أرضه ملحية شديدة الحرارة . ذات تراب غباري ، ورياحه محملة بالرمل والأتربـــة ومعدل سقوط الأمطار فيه أقل من (٥٠) ميليمتراً .

بلغ معدل درجة الحرارة العظمى في العقبة في صيف عام ١٩٦١ م ٣٣٫٣° مئوية : ٩٢ ف° . وقد بلغت أقصاها في حزيران ٤٧٫٦° مئوية : ١١٨ ف° ، كما بلغ معدل النهاية الصغرى للحرارة فيها ٨٫٨° مئوية : ٤٨ف° . وقد بلغت أدناها في آذار ٥٫٦° مئوية : ٤٢ ف° . وتراوح معدل الرطوبة النسبية فيها — في تلك السنة — بين ٢٥ و ٧٢. وبلغ مجموع الأمطار المتساقطة في العقبة في العام المذكور (١٩٦١) ٣٠٫٣ مم .

وقد بلغ معدل سقوط المطر في العقبة بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٦ (٣٧) ميليمتراً . هذا ومعدل عدد الأيام الممطرة في العقبة لا يزيد عن ستة أيام في السنة.

يبلغ طول وادي العربة نحو ١١٢ ميلاً : ١٧٩ كم. وعرضه يتراوح بين أربعة

---

١ — بمعنى السهل والانبساط والانفساح . و « وادي العربة» أيضاً واد عظيم في مصر يبدأ تقريباً من النيل مقابل مدينة بني سويف ، وينحدر شرقاً نحو البحر الأحمر ويسير محصوراً بين سلسلتين عظيمتين من الجبال .

أميال وأربعة عشر ميلاً . وعلى مسيرة نحو ١٣٠ كم من جنوبي البحر الميت يصل في مستواه الى مستوى البحر . يتسع في مبدئه ويضيق شيئاً فشيئاً حتى « جبل الريشة » ثم يتسع ثانية الى الجنوب ، ولكن أقل من ذي قبل . وعرضه عند انتهائه بين العقبة والمرشش ستة كيلومترات .

يعتبر الخط الوهمي الذي يمتد من وسط وادي العربة حتى خليج العقبة الحد الفاصل بين فلسطين وشرقي الأردن . ولما كانت مساحة القسم الواقع في الاردن تقدر بنحو ٣٧٧٢ كم٢(١) فيمكن القول بأن مساحة وادي العربة ، على وجه التقريب بنحو ٧٥٤٤ كم٢ .

تحيط بوادي العربة جبال قاحلة شامخة ، ترتفع من ١٥٠٠ قدم الى ١٨٠٠ قدم في غربه ومن ٢٠٠ الى ٢٣٠٠ قدم في شرقه . ولارتفاع حرارته يسميه البدو (وادي النار) ورياحه على الأغلب شرقية . ويغطي سطحه الصخور البورفيرية وحصى الصخور المختلفة وقليل من النبات . وهو قفر هائل وليس فيه سوى بعض الينابيع الشحيحة ، فهو أرض الغبار والحر ، والبدو هم الذين يتسلطون عليه الآن ، كما كانوا منذ آلاف السنين . يعترضه في وسطه جبل الريشة فيقسمه الى قسمين : قسم ينحدر السيل فيه الى الشمال ويصب في البحر الميت . وهو أطول من الآخر بما يقرب من عشرة أميال . والثاني يسير فيه السيل الى الجنوب . ويعلو الجبل المذكور نحو ٢٠٠٠ قدم عن سطح البحر الميت . ولا تجري المياه في الوديان إلا حين تغزر الأمطار وتفيض مياهها وهو ما ندر . واذا شهد العربة الامطار الغزيرة ، تتعرض وديانه الى الفيضانات المدمرة التي تدحرج الصخور الضخمة المنفصلة من قنن الجبال إلى قاعها . وكم من أناس قضوا نحبهم في تلك الحالات .

ويعرف الوادي عند سفح جبل الريشة الجنوبي بالقاع(٢)وهو صالح للزراعة وتسكنه قبيلة السَّعيديّين ، واما الخلايفة فلهم من القاع الى رأس الخليج .

---

١ – منها ٤٧٥ كم مربع تقع تحت سطح البحر .

٢ – القاع : الأرض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال .

المنحدر الشمالي : يقع في جنوبي بحيرة لوط مباشرة ، وقسمه الشمالي مستنقع منخفض خالٍ من الأشجار تكثر فيه البلورات الملحية ويعرف باسم « السَّبْخَة » [1]. ولا يستطاع اجتيازه بعد المطر الشديد إلا من مسالك معلومة لدى الأعراب . وأما في الطقس الجاف فيمكن ذلك بدون مشقة ؛ إنما يصعب جداً اجتيازها إبّان الصيف لكثرة البعوض الذي ليس من الهيّن احتمال لسعاته ومضايقاته . ويتغير سطح هذه السبخة تبعاً لسطح بحيرة لوط . وقد قدر طولها في عام ١٨٨٣ م بعشرة أميال إلا أنها الآن أقل من ذلك بكثير . توجد في الشرق من هذه المستنقعات قطعتان خصبتان من الأرض وهما « غور الصافي [2] ٣٤٦٨ نسمة » في الشمال و « غور فيفا [3] ٧٧٧ نسمة » الذي يمر منه وادي فيفا في الجنوب يمتلكها فلاحو الغوارنه ولهم فيها أكواخهم وخيامهم التي كثيراً ما يضطرون لهجرها والإقامة على التلال المجاورة إبّان الحر الشديد .

إن قرية « الصافي » أكبر من أختها وتقع في أقصى الجهة الشمالية الشرقية من السبخة بالقرب من البحر الميت . ويستفيد الغوارنة من سيلها الذي لا تنضب مياهه طيلة السنة ، بإرواء أراضيهم منها . فيزرعون الدخان والقمح والشعير والذرة البيضاء في كانون الثاني والذرة الصفراء والنيلة في آذار ، كما يغرسون الكرمة على السفوح . ويزرعون البطيخ والخيار وبعض القطن . ويربون المواشي المعروفة بحجمها الصغير وبياض وجهها وسواد جسمها ، والدجاج وغيره .

ويرى بعضهم ان مدينة « زُغَر » القديمة التي لها ذكر مع النبي « لوط » كانت تقع في « غور الصافي » على شاطىء البحر الميت الجنوبي الشرقي ، بالقرب من مصب وادي الحسا ، وفي الموقع المعروف باسم « الشيخ عيسى » . لم يلحق الخراب والتدمير هذه المدينة عند خراب « سدوم » وأخواتها لأن أهلها لم

---

١ – السبخة : بفتح فسكون . وتلفظ أحياناً بالتحريك. أرض ذات نز وملح وجمعها سباخ وسبخات .

٢ – ينخفض عن سطح البحر ٢٧٧ متراً كان يعرف قديماً باسم « وادي السديم » .

٣ – فيفاء : بالفتح وجمعها فياف . وهي المكان المستوي ، أو الصخرة الملساء والفيفاء أيضاً المفازة التي لا ماء فيها .

يكونوا يعملون الفاحشة . وكثـــيراً مـــا نسب البحر الميت الى زُغَر ودعي ببحر زُغر .

وقد ذكر هذه البلدة ابن حوقـل المتوفى عــام ٣٦٧ هـ : ٩٧٨ م بقوله : « مدينة حارة جُرُومية[١] ، متصلة بالبادية ، صالحة الخيرات . وبهـا النيل الكثير المُقَصِّر عن صباغ نيل كابل[٢] . وفيه لهـم تجارة واسعة ، ومقصد كبير[٣] » .

« وبزَغر بُسْر يقال له الانقلاء ، لم أر بالعراق ولا بمكان أعذب ولا أحسن منظراً منه . كأن لونه الزعفران ، لا يُغادر منه شيئاً ، ويكون أربعة منـه شبْراً[٤] » .

وذكر زغر المقدسي المتوفى عام ٣٧٥ هـ : ٩٨٥ م في الصفحات ١٥٤و١٥٥ و ١٧٨ من كتابه « أحسن التقاسيم » بقوله : « زُغر بلدة وَبيَّة . أهلها سودان غلاظ . وماؤها حميم وكأنها جحيم . الا انها البصرة الصغرى والمتجر المربـح . وانها قصبة جند الشراة ويتبعها موآب (الكرك) ومعان وتبوك وأذرح وأيلة ومدين » .

وكان لزغر في تلك العصور أهمية خاصة لوقوعها على طريق «أيلة ـ القدس» المارة بالخليل ، وكانت القوافل تقطعها بثلاثة أيام ، كما كان موزها وتمرها ونيلها وخيراتها تحمل الى أريحا وغيرها بالسفن الصغيرة التي كانت تجوب البحر الميت . وكان العرب يفتخرون بالكنـائن الزغرية المنسوبة الى هذه المدينة . وكانت كنائنهـا حمراً مذهبة . والكنانة محفظة النبال .

وذكر زُغر ياقوت المتوفى عــام ٦٢٦ هـ : ١٢٢٩ م بقوله : زُغرفي واد وخيم رديء . في أشأم بقعة ، انما يسكنه أهله لأجل الوطن . وقد يهيج فيهم في

---

١ ـ الجرم بفتح أوله وسكون ثانيه الأرض الشديدة الحر ، جمعهـا جروم . والجروم من البلاد هي الأراضي الشديدة الحر ؛ ويقابلها الصرود . وهي الأراضي المرتفعة الباردة .

٢ ـ مدينة من مدن محافظة (جند) الأردن . واليوم قرية من أعمال عكا سيأتي ذكرها .

٣ ـ بلدانية فلسطين العربية ص ٩٩ .

٤ ـ المسالك والممالك للاصطخري ٤٧ . والبسر ، التمر اذا لون ولم ينضج. الواحدة بسرة.

بعض الاعوام مرض فيفني كل من فيه أو أكثرهم . حدثني الوزير الأكرم قال : بلغني انه في بعض الأعوام هاج بهم ذلك حتى أهلك أكثرهم . »[١] .

وقال عنها الدمشقي المتوفى عام ٧٢٧ هـ : ١٣٢٧ م « بها (في زغر) رطب شبيه بالبرني والأزاد بالعراق»[٢] .

وقد كان لفتك الحميات بزغر وأهلها، وتحول طرق التجارة عنها تأثير وخيم أدى الى انكماشها وزوالها .

واما قرية « فِيفَا » فإنها على بعد خمسة أميال من « الصافي » . ويفصلها عنها كثبان رملية قاحلة ، ويستفيد أهلها من سيلها الذي يروي اراضيها، ويقال إن هذه القرية لم تكن مأهولة الا بعد سنة ١٩١٢ م .

ويوجد حول أراضي القريتين المذكورتين أشجار وشجيرات متنوعة تحتوي على ثلاثة أنواع من الأكاسيا ، وكلما اتجه المسافر شمالاً نحو بحيرة لوط تتبدل هذه الأشجار بأنواع أخرى من الأثل والحور والخِرْوَع[٣] ويتبع ذلك أجمات من الحشيش وتنتهي بشاطىء من الطين الملحي أو الرملي القاحل .

واما حيوانات السبخة فيمكن أن نذكر منها الخنازير البرية التي تكثر في غابات « القَيْقَب[٤] » والثعالب وانواع متعددة من الحمام والبط والباز والبوم والعقاب وغيرها .

وتوجد في وادي « فينان » و « الطلاح »[٥] بقايا آثار قديمة يستدل منها على ان هذه البقاع الواسعة ، مع انها قاحلة ، كانت فيما مضى من الزمن تعيل عدداً

---

١ - معجم البلدان ١٤٣/٣ .

٢ - بلدانية فلسطين العربية : ٥٤ .

٣ - الخروع : نبت معروف منذ القديم ويعظم قرب المياه . كان المصريون القدماء يستخرجون منه زيتاً يستضيئون بـه ، كما كانوا يأخذون من ثمره المسهل المعروف باسم « زيت الخروع » .

٤ - القيقب : شجر يعرف عند العامة باسم « زلزلخت » تحريف « أزادارخت » الفارسية.

٥ - الطلاح : بمعنى شجر الطلح . وهو من أشجار العضاة الواحدة « طلحة » . وإبل طلاح معيية من السفر .

كبيراً من السكان. مما يستدل على خصبها ووفرة مزروعاتها. اذ كانوا يستفيدون من المياه الجارية في الوديان لري بساتينهم وإرواء مزروعاتهم. وفضلاً عما عرف عن هذا القسم من وادي العربة من الثروة الزراعية في السابق كان في « فينان »، على بعد ١٣ ميلاً للشرق من « عين الويبة » مدينة تذيب النحاس الذي كان يؤتى به من التلال الشمالية. ويشك الآن فيما اذا كان هذا المعدن الذي ينتشر بكثرة بين غور الصافي وفينان على شكل « أوكسيد النحاس الأحمر » و « كربونات النحاس » يسد نفقاته فيما لو استخرج في الوقت الحاضر.

هناك أودية تجري فيها السيول حين تفيض مياه الامطار وتنتهي في وادي عَربَة. ومن الوديان التي تنتهي في المنحدر الشمالي.

١ – وادي الجَـرافي : ينشأ من جبال بلاد التيه الجنوبية الشرقية. له عدة فروع. ويصب في العربة على مسيرة ست ساعات للراجل، شمالي جبلَ الريشة.

٢ – وادي موسى : وينشأ من الجبال الواقعة غربي معان ويصب في العربة شمالي مصب « وادي أبو خُشَيْبَة ». وتقع على « وادي موسى » خرائب مدينة البتراء ذات الشهرة التاريخية.

٣ – وادي أبو خُشَيْبَة : ينشأ من الجبال الشرقية. يصب في العربة جنوبي وادي موسى.

٤ – وادي فينان : وينشأ في شمال الشوبك. وينتهي في العربة، للجنوب من « عين حِصْب ».

وتقع العيون والآبار الآتية في المنحدر الشمالي من وادي العربة. ومعظمها شحيح المياه. وهي : عين عروس، العين البيضاء، قصيب، عين الحصب – تقع على مسيرة خمسين كيلومتراً جنوبي البحر الميت وعلى ٢٣٧ متراً تحت سطح البحر – الويبة، الغَمْر، البُوَيْردَة وعين الحزّار وغيرها.

ومما هو جدير بالذكر ان اليهود أخذوا في ٣١ أيار ١٩٥٠ (١٢٠) معتقلاً عربياً من معتقل « قطرا » في قضاء الرملة وحملوهم في سيارتي نقل وساقوهم تحت الحراسة الشديدة الى نقطة بالقرب من مركز « عين حصب »، حيث أنزلهم

الحرس ثم قسمهم جماعات ويشير لكل جماعة الى سلسلة جبال تقع الى الشرق من ذلك المركز يقول لأفرادها : ان هـــذه الجبال واقعة في الأردن وما عليهم إلا الوصول لها كمخرج لهم من الاعتقال والتعذيب ثم يأمرهم بالاسراع صوب سلسلة الجبال ويطلق عليهم النار ...

المنحدر الجنوبي :

كانت تسير في شماله الطرق التي تصل مصر وسوريا مع « البتراء » ، كما تسير اليوم في شرقه سكة حديد الحجاز . وبالقرب من « وادي الغَرَنْدَل » الواقع على مسافة ٨٠ كم شمالي العقبة تغطي الرمال المتنقلة قاعة الغور لمسافة ١٢ ميلاً .

وقد ذكر «القلقشندي» المتوفى عام ٨٢١ هـ : ١٤١٨ م بلدة باسم«الغُرُنْدُل» قال انها ، في القديم ، كانت عاصمة لمقاطعة الكرك وأطرافها[1] . وهي اليوم قرية من أعمال الطفيلة تضم ٤٦٠ شخصاً .

وفي الخمسة والعشرين ميلاً التي شمالي العقبة تتجمع ميـــاه الأمطار وتحدث مستنقعين تفصل بينهما الصخور الرسوبيـــة . ويعرف المستنقع الجنوبي منهما باسم « سبخة الدِفِيَّة » التي تبتدىء على بعد خمسة أميـــال شمالي العقبة وتمتد مسافة سبعة أميال بعرض ميلين . وأمـــا الثانية فتسمى « سبخة الطابة » ، وتبعد عن الاولى نحو ٨ أميـــال للشمال وتساويها تقريباً في المساحة . وعلى طرف هـــذين المستنقعين آبار مهمة للمسافرين . فتقع « عين الدفِيَّة» في الشمال الشرقي منالسبخة المسماة باسمها ، كما وأن « عين الطابـــة » و « عين غِضْيان[2] » تقعان في الجبهتين المتقابلتين من السبخة الثانية .

---

١ – بلدانية فلسطين العربية : ١٩٥ .

٢ – يلفظونها بكسر أولها . وفي الجزيرة العربية يلفظون المواقع التي تحمل هـــذا الاسم بضم أوله . ذكرها معجم البلدان (٢٠٦/٤) : (بالفتح ثم السكون وآخره نون . أظنه جمعاً لموضع الغضا أو جمع الغضيا وهي المائة من الإبل. وهو موضع بـــين الشام والحجاز) . وامـــا الدمشقي (بلدانية فلسطين العربية ١٧٧) فقال « إنه اسم جبل بين الشام وبين أيلة . فيه كهف أهل الكهف » . والحقيقة ان الكهف المذكور يقع في آسيا الصغرى .

ومن العيون والآبار التي تقع في هذا المنحدر ، ونبدأ من الجنوب الى الشمال ، هي :

١ — بئر البُحَيرِ ٢ — بئر الخليفي . وتقعان على شاطىء خليج العقبة .

٣ — بئر دَفِيَّة ، وقد مر ذكرها . تقع على نحو ١٢ ميلاً من رأس الخليج .

٤ — بئر حَنْدَس : على بعد نحو أربعة أميال من الدفيّة .

٥ — بئر النمرة : على بعد نحو ثلاثة أميال من بئر حندس . وبينهما خرائب بلدة قديمة .

٦ — بئر غضيان : وقد مر ذكرها . تقع على بعد ٨ أميال من بئر النمرة .

٧ — بئر جُبَيْل ٨ — بئر طابة وهما متقاربتان .

٩ — بئر المليحي : على نحو ٢٧ ميلاً من غِضْيان شمالاً . وهما مورد عرب السّعيديّين سكان القاع . وقد يردها اللحَيْوات .

وتوجد حول وفوق هذه المستنقعات والآبار غابات كثيفة من الحلفاء والقصب وغيرها .

ومن وديان المنحدر الجنوبي :

١ — وادي الردّادي : ينشأ من جبال الحرة . ويصب في العربة على نحـــو ٣ أميال من رأس الخليج . ويظن ان في الردّادي الحديد والنحاس .

٢ — وادي عين القطّار : عـين شحيحة ويتساقط ماؤها قطرتين قطرتين ومنها اسمها .

٣ — وادي الرّخمة : وينتهي في العربة على نحـــو ٣ أميال جنوبي الدفية .

٤ — وادي البَيّاني : ويصب في العربة على نحو عشرين ميلاً شمالي غضيان .

٥ — وادي الحَيّاني : وينتهي شمال غور عجرم في ظاهر جبل الريشة الشمالي كما يقع على مسيرة نحو ١٥ ميلاً من مصب البيّاني . ومن فروع الحياني « وادي العُقفي » ومن فروع « العُقفي » وادي الغبيبّة » .

٦ — وادي اليُتم : وينتهي في العربة على بعد ثلاثة أميال من العقبة .

وجميع الأودية المار ذكرها تأتي من الجبال الغربية باستثناء الأخـــير الذي

ينحدر من الجبال الشرقية .

والواديان الآتيان يصبان في الساحل الفلسطيني من خليج العقبة :

١ – **وادي المصري** : ينشأ من « جبل نقب العقبة » المطل على مدينة العقبة من الغرب ، وينتهي في الخليج على بعد ٢٫٥كم من الحدود الفلسطينية – المصرية . سمي كذلك لأنه كان منفذ الحجاج المصريين الى العقبة .

٢ – **وادي الحسّرات** : وهو واد قصير . ينشأ في أسفل « جبل نقب العقبة » وينتهي في الخليج عند « المرشش » على مسيرة نحو ٢٫٥ كم من مصب وادي المصري .

* * *

إن أهم الحيوانات الموجودة في وادي العربة هي النمر الأرقط والضبع والذئب والثعلب والقط الوحشي والجربوع والعقارب والغزال والماعز والجمل والحيّات القرنية التي كثيراً ما تقتل الحيوانات التي ترعى هناك وغيرها .

ومن نباتاته ، وهي برية :

١ – **السيال** : بفتح أوله وتخفيف ثانيه . ويعرف أيضاً باسم « السنط » . نوع من الآكاسيا . خشبه ثقيل وصلب وأغصانه ذات شوك وأزهاره صغيرة بيضاء . ويرشح من أغصانه الصمغ العربي المشهور . وكثيراً ما يصنع منه فحم جيد . وخشبه صالح لصنع الأثاث . قال ياقوت : معجم البلدان ٣/٢٩٢ : السيال ؛ شجر شوك من العضاة ، وقيل : كل شجر طال فهو من السيال .

٢ – **الطلح** : بالفتح ثم السكون والحاء المهملة . وقد مرّ ذكره . وهو شجر ام غيلان ، من أعظم العِضاة شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . والعضاة ، جمع عضاهة وعضة ، وهو كل شجر يعظم وله شوك .

٣ – **الغَضا** : شجر يشبه الأثل . الا أن الأثل أعظم منه وأكبر. له أوراق خضراء . توجد في الأماكن الرملية . وتصلح لرعي الجمال . الا انها تسبب له أحياناً الإسهال . وحطبه من أجود الحطب . ويصنع منه الفحم الممتاز وجمره

يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء . واحدته « غضاة » .

٤ – **اللَّصَف والكَبَر** : قيل ان اللَّصَف هناة رطبة تنبت في أصل شجر الكَبَر ، كأنها خيار تؤكل ولها عصارة تجعل في الطعام . وقيل انه هو الكَبَر، وهو نبات من العضاة له شوك . وثمر الكَبَر يشبه القثاء . وواحدة « اللصف » « لَصَفة » . ويستعمله البدو كعلاج ضد الروماتيزم بإغلاء ورقه وتبخير المصاب به حتى يتصبب العرق منه .

٥ – **الخُزَامى** : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر طيبة الريح ، لها نَوْر كنور البنفسج .

٦ – **العَرْعَر** : شجر او شجيرة كثيرة الشوك ، من العائلة الصنوبرية يشبه الشربين . معروف منذ القديم بخشبه الصلب وكان يستعمل لتزيين البيوت وبناء السفن .

وفي وادي العربة أيضاً :

الطرفاء والأثل والقُرْذَة – من الأزهار – والرَّتم والشَّلْوَة والغَرْقَد وغيرها .

ويكثر النخيل في العقبة وأطرافها .

وإذا استثنينا سكان العقبة في أقصى الجنوب وفلاحي الغوارنة في الصافي والفيفة فلا يوجد في هذا الوادي أو حوله سكان مقيمون . والقبائل البدوية التي تسكنه هي السعيديِّون ، في الشمال و « الَخلايفَة » من قبيلة « اللُّحَيْوات » في الجنوب .

* * *

عرف وادي العربة بوفرة ما فيه من حديد ونحاس . والمشهور ان الكنعانيين والمصريين وسليمان النبي والرومان والأنباط استثمروا تلك المعادن . كما عثروا على بقايا مصفاة كبيرة لها في جوار العقبة ، ذكر بأنها كانت ، في عصرها ، أكبر مصفاة للمعادن في الشرق كله . ومن المحتمل أن تكون كميات كبيرة من

خام الحديد والنحاس أرسلت لحيرام الفنيقي ليسبكها في مصانعه .

والمعروف اليوم ان جبال « الردّادي » و « المناعية » المشرفة على وادي العربة يحتويان على المعدنين المذكورين . ويرجح أن الوادي المذكور ، كبقية بلاد بئر السبع ، غني بمعادن أخرى .

تعرف المسالك التي تصل وادي العربة بالجبال التي تحيط به ، لدى البدو ، باسم « النقابة » ومفردها « نَقْب » — والنَّقْب والنُّقْب ، الطريق في الجبل جمعها نِقاب وأنقاب — . وهناك بعضها من الشمال الى الجنوب ، مما تصله بفلسطين :

نقب أم بَعَق ، الزُّوَيرة ، البويب ، جَهَنِيَّة ، ضانا ، الحَفِير ، غارب ، أبو صَرَابيط ، الجِرافي ، نقب العمران ونقب الحاج وغيرها .

* * *

ووادي العربة هذا كان طريقاً تجارياً هاماً في الأيام الماضية . فالقوافل التجارية التي كانت تأتي من الحجاز وغيرها حاملة بضاعة الهند ومحصولات اليمن وافريقية وغيرها وتضع أحمالها وأموالها في « أيلة — العقبة » كانت تصل الى (البتراء)[1] ، إما عن طريق وادي عَرَبة مارة بعين غرندل الواقعة شمالي العقبة أو عن طريق « وادي اليتم » مارة بـ « الحُمَيْمَة »[2] . ومن البتراء كانت الطريق تمتد الى غزة أو الى غيرها من الموانىء أو الى مصر مارة ثانية

---

١ — تبعد البتراء عن العقبة بنحو ١١٤ كم .

٢ - الحميمة : تصغير الحمة . وهي حجارة سوداء لازقة بالأرض . يعزى بناؤها الى الانباط وفيها توفي ، في خلافة سليمان بن عبد الملك « عبدالله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب » . كان صاحب علم ورواية وكان ثقة . وفي العهد الأموي أقطعها الوليد بن عبد الملك الى « علي بن عبدالله بن العباس » جد الخلفاء العباسيين فنزلها وبنى له بها قصراً . وفيها ولد له أكثر أولاده . فكانت موئل الدولة العباسية ومجمع أسرارها ومصدر الحركة السرية التي قضت على الدولة الأموية.

والحميمة اليوم خربة تقع في جبال الشراة بين العقبة ومعان وعلى مسيرة نحو (٨٠) كيلومتراً للجنوب الغربي من الثانية .

بوادي العربة عن طريق وادي الفينان ، الواقع شرقي الشوبك ، وخربة النحاس وعين حِصْب . ولا تزال بقايا الحصون للمحافظة على هـذه الطرق تشهد بالأهمية التي كانت لها أيام الامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية .

ولما انتقلت المراكز التجارية في العالم من البتراء وغزة وانتقلت الى الخليج العربي والفرات وتدمر تأخرت هذه الطرق ثم خربت .

وفي هـذا الوادي العظيم وقع أول اصطدام بين الروم والعرب المسلمين وانتصر فيه يزيد بن أبي سفيان ، احـد قواد الجيوش العربية التي أرسلت لفتح الشام . وكان قد بلغ يزيد أن جمعاً من الروم يجتمع في « وادي العربة » فأرسل لهم « أبا امامـة الصُدَيّ بن عجلان الباهلي[1] » فانتصر عليهم . وكان ذلك في عام ١٢ أو ١٣ هـ : ٦٣٤ م . والمرجح ان موقع هـذه المعركة كان في « عين الغَمْر[2] » من وادي العربة .

* * *

يُكوّن وادي العربة طريقاً طبيعياً بين البحر الميت والبحر الأحمر . الا أن أهم العقبات التي تحول دون استخدامه هي حرارته الشديدة واتساع وسرعـة المواصلات التجارية في العالم براً وبحراً وجواً وعدم توفر حكومات قوية منظمة تحكم هذه الجهات. فأضحى وادي العربة أقل الأماكن إرتياداً في الشرق العربي . ومما زاد في سوء حظه سلب اليهود لقسمه الفلسطيني .

وموقع وادي العربـة الحربي عظيم . فالعقبة تسيطر على الطريق المؤدي الى معان مما جعل العثمانيين يلحقونها بالحجاز – القطر الذي يقدسه المسلمون – حتى

---

١ – من صحابة رسول الله . سكن القدس والشام . وكان مع عـلي بـ (صفين). توفي في قرية تحمل اسمه ، تقع شمالي حمص عام ٨١ هـ : ٧٠٠ م وله من العمر ٩١ سنة . وباهـلة قبيلة قحطانية منها الأصمعي راوية العرب .

٢ – بفتح أوله واسكان ثانيه . بمعنى الماء الكثير . مركزها بـين عيون المنحدر الشمالي . وفي الجزيرة العربية مواقع متعددة تحمل هذا الاسم .

لا يحتلها أجنبي .

إن وصول اليهود الى هذا الوادي وتزولهم على ساحله في « المرشش – إيلات» قسم الوطن العربي الى شطرين وفتـــح منفذاً لليهود على البحر الأحمر ، فجعلهم يفكرون في القبض على ناصية تجـــارة الهند وأطرافها وبلاد العرب والحبشة وافريقية الشرقية ، مما يزيد في قوتهم وسمعتهم الدولية . كما جعلهم يهددون ، فضلاً عن الاردن ، شمالي الجزيرة العربية والحجاز والكويت وينادون بضرورة استيلائهم على المدينـــة المنورة وخيبر بحجة انه كانت لهم فيها دولة يهودية قبيل الاسلام – والله يعلم انهم لكاذبون – .

* * *

ومدينة العقبة الكائنة عند فم « وادي العربة – تقع على خط العرض ٣١ : ٢٩° شمالاً وعلى خط الطول ٣٥° شرقي غرينتش – مدينة حديثة تقوم على أنقاض مدينة « أيلة » القديمة . كانت من مـــدن « الآدوميين » الرئيسية ولعلهم أول من اتخذها ميناءً . وفي القرن العاشر قبل الميـــلاد اتخذها « سليمان بن داود » النبي ميناءً له تنقل اليه السفن سلع بلاد العرب والهند وغيرهـــا . وفي عهد الأنباط كانت « أيـــلة » ميناءهم على البحر الاحمر . تنقل السفن اليها بضائع الهند واليمن وشرقي إفريقية وغيرها ومنها تحملها القوافل الى « البتراء » ومن هـــذه ترسل السلع المستوردة الى الشام ومصر والعراق .

وفي الحروب الصليبية أعد « ريجنالد شاتليون » أمير حصن الكرك المعروف عند العرب باسم « أرناط » سفناً حربية في عسقلان ، نقلها اجزاءً مفككة على ظهور الجمـــال الى العقبة حيث جعل من تلك السفن اسطولاً أعده للاستيلاء على مكة والمدينة . ولكن الأمير العادل محمد ، أخا صلاح الدين تمكن بالحملة البحرية التي أنفذهـــا بقيادة امير البحر حسام الدين لؤلؤ من احراق السفن الصليبية بمن فيهـــا .

وقد وصف جغرافيو العرب ومؤرخوهم « أيلة » بأنها اول حد الحجاز من

الجهة الشمالية . وأنها مجتمع حج الشام وحج مصر والمغرب .

ومن مشاهد العقبة قلعتها الواقعة بالقرب من الساحل ، بنيت في أيام «قانصوه الغوري ٩٠٦ — ٩٢٢ هـ : ١٥٠١ — ١٥١٦ م » أحد ملوك المماليك الشركسية . وقد رممها السلطان مراد الثالث العثماني في عام ٩٩٦ هـ : ١٥٨٨ م .

وفي القرن السادس عشر للميلاد ، كانت تعرف العقبة باسم « عقبة أيلة » وهذا الاسم عرف به الجبل العظيم ذو العقبة الشهيرة والتي تقع غربيها. ثم أهمل اسم ايلة وبقيت المدينة تسمى « العقبة » .

وفي الحرب العالمية الأولى كان ساكنوها لا يزيدون على ٣٥٠ نسمة ، وبعد النكبة الفلسطينية (١٩٤٨) زاد عدد سكانها ومعظمهم من عائدي قضاء بئر سبع . وفي الاحصاء الذي جرى في الأردن في أواخر عام ١٩٦١م بلغ عدد سكان العقبة « ٨٩٠٨ » أشخاص .

تربة العقبة خصبة وماؤها عذب وغزير تحيط بها حدائق النخيل ، وبها بعض المزارع التي يزرع فيها بعض الخضر ، كما وإن بحرها يزخر بمختلف أنواع الأسماك .

ولموقع العقبة اليوم أهمية عسكرية كبرى فهي مفتاح الأردن والسعودية وفلسطين الجنوبية . ومما يزيد في خطورتها الاستراتيجية وجود « ايلات[1] — المرشش » اليهودية المواجهة لها .

والعقبة اليوم ميناء الأردن الوحيد . وقد تم حديثاً انشاء الميناء الحالي وبناء الأرصفة والمستودعات والساحات لخزن البضائع مما ضاعف حركة النقل .

وقد بلغت البواخر التي رست في هذا الميناء في عام ١٩٥٧ م (١٠٤) بواخر أفرغت ٤٧،٦٠٠ طن وشحنت منه ٩٩،٧٧٠ طناً . وأخذت هذه الأرقام تزداد حتى بلغت في عام ١٩٦١ م (٤٤٣) باخرة . أفرغت في الميناء ٤٢٠،٦٧٤ طناً وشحنت منه ٣١٢،٧٤٨ طناً .

---

١ — إيلات كلمة سريانية Ilata ، يعني شجرة البلوط . وهكذا ورد اسم العقبة في العهد القديم ، وقد أعاد اليهود اسمها القديم عند اغتصابهم لموقع « المرشش » .

وتبعد « العقبة » نحو ميلين للشرق مـــن الحدود الفلسطينية وعلى بعــد كيلومترين من حدود المملكة العربية السعودية . والكيلومترات الآتية تبين بُعد العقبة عن غيرها من المدن والمواقع :

عَمّان	:	٤٠٩
غور الصافي	:	٣٤٠
أريحا	:	٣٧٨
القدس	:	٤٠٠
بئر السبع	:	٢٤٤
الكرك	:	٢٨٥
وادي موسى	:	١٣٣
البتراء	:	١١٤
الشوبك	:	١٦٠
معان	:	١٢١

* * *

دخل اليهود ، بقوة لم تزد على ٢٠٠ جندي في صباح ٧/ آذار/١٩٤٩ موقع « المُرَشَّش » على الساحل الفلسطيني وطردوا منه سكانـــه مضرمين النار في منازلهم . وفي هذا الموقع أسس اليهود بلدتهم الجديدة «إيلات — Eilat» لتكون ميناء للصحراء الفلسطينية . ولكن العرب أغلقوا ميناء الخليج في وجه الملاحة اليهودية ومنعوا مرور السفن من مدخل الخليج عبر جزيرة تيران ، لذلك بقي الساحل الفلسطيني على خليج العقبة مشلولاً حتى عـــام ١٩٥٧ م عندما انتهت معارك سيناء وجاءت القوات الدولية ورابطت في المنطقة وضمنت لليهود المرور عبر خليج العقبة[١] . وبذلك تخطى اليهود عقبة قناة السويس وشقوا تجـارتهم عبر البحر الأحمر . فـمن إيلات أخـــذوا يصدرون صادراتهم الى اسواق آسيا وإفريقية واليها تأتي وارداتهم وفي مقدمتها البترول . وبذلك اختصروا الطريق

---

١ — اسرائيل والشرق الأوسط ٤٤٥ .

التي كانوا يضطرون لقطعها حول القارة الإفريقية . ومن يدرى فقـــد يتمكن المغتصبون من شق قناة محاذية لقناة السويس ليقضوا على مركز مصر التجاري.

وفي السنين الأخيرة مدّ اليهود أنابيب للنفط بين إيلات وحيفا وغيرها مــن الموانىء ، ينقل بواسطتها النفط الخام الوارد من الخليج العربي. وبذلك يؤمنون حاجتهم من البترول ، وقد يمكنهم في المستقبل من تصدير الفائض منه .

ومن جهة أخرى ان كل قوة بحرية يهودية لها قاعـدة في البحر الأحمر تهدد موانىء البلدان العربية في هذه المنطقة .

قال ابن غوريون في زيارة له لإيلات عام١٩٦٠ : (إن لميناء إيـــلات أهمية حيوية ، بنسبة ان مستقبلنا منوط بعلاقاتنا الاقتصادية مع دول إفريقية وآسيا التي تخطو نحو النهوض ، وميناء إيلات هو باب اسرائيل المؤدي اليها) .

وقـــد بلغت واردات ميناء إيلات في عــــام ١٩٥٧ م (٢٦،٥٠٠ طن) والصادرات (٢٠،٠٠٠) طن حملتـــها ٣٧ سفينة . وبلغ وزن الصادرات والواردات خلال النصف الأول للسنة المالية ٥٩/٦٠ مقدار (٦٩) الف طـن وهذا الرقم يزيد بمقدار ٥٥٢٢ طناً على رقم السنة المالية ٥٨/١٩٥٩[1] .

بلغ عدد سكان إيـــلات في بدء تأسيسها نحو الف شخص ، ارتفـــع الى ٢٥٠٠ في منتصف عام ١٩٥٧ بما فيهم العمال الموقتون . وفي منتصف عام ١٩٥٨ بلغوا ٥٠٠٠ نسمة بينهم ٤٠٠٠ من السكان الدائميين . هذا وقد خططت إيلات لتتسع لـ ٥٠،٠٠٠ الى ٦٠،٠٠٠ نسمة .

---

١ – اسرائيل والشرق الاوسط ٤٤٧ .

منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية

إن أفظع ظلامة في مشروع الأمم المتحدة هو ان « النقب » الذي يمتد من بئر السبع الى العقبة مسافة مائتي ميل أعطي لليهود ، في حين انه لم يكن فيه يهودي واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط .

— جون غلوب —

إنني اعتقد ان كيان « اسرائيل » يتوقف على « النقب » [1] ولا كيان لها بدونه .

— بن غوريون —

قضاء بئر السبع :

هو القسم الجنوبي من فلسطين ، ذو الشكل المثلث الذي يقع رأسه عند بقعة « المرشرش » على خليج العقبة . ويشمل جميع الأراضي الواقعة بين قضاءي غزة والخليل وبين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوبي البحر الميت . وهو قضاء يختلف في طبيعته وسكانه عن سائر البلاد وتتبعه منطقة الصحراء الفلسطينية الواقعة في جنوبه .

تقدر مساحة القضاء بنحو « ١٢،٥٧٧ » كيلومتراً مربعاً (أي ما يقرب من

---

١ — « النقب » تحريف الكلمة السامية « نجب — Negeb » بمعنى الأرض الجافة . وتطلق اليوم على عموم قضاء بئر السبع ، في جنوبي فلسطين .

نصف مساحة فلسطين بكاملها) ، وأكبر من مساحة الجمهورية اللبنانية بـأكثر من ٢٤٠٠ كيلومتر مربع . وقد صنفت المساحة المذكورة ، قبيـل انتهاء الحكم البريطاني الغدّار كما يأتي :

مسـحة مدينة بئر السبع – وهي المدينة الوحيدة في القضاء . – : ٣٫٨٩٠كم٢

مسـحة الأراضي الزراعية : ٢٫٠٠٠كم٢

« « غير القابـلة للزراعة ، وهي مساحة الصحراء الفلسطينية الواقعة في جنوب الخط المار بين العوجاء – عسلوج – كرنب – : ١٠،٥٧٣٫١١ كم٢

المجموع العام لمساحة القضاء : ١٢،٥٧٧كم٢

يملك اليهود منها نحو ٦٥،٢٣١ دونمـاً أي بنسبة ٠٫٥٪ من مجموع المساحة الكلية للقضاء . وكان اليهود قد اشتروا « ٥١٦٠ » دونماً مما يملكونه قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ . واما « المستعمرات » فلم يعرفها هـذا القضاء الا في العهد البريطاني الظلوم .

سكانه

يسكن البدو [1] الرحل وشبه الرحل قضاء بئر السبع اذا استثنينا مدينة بئر لسبع نفسها . وقد أجرى البريطانيون إبان حكمهم الجـائر في فلسطين « ١٩١٧/١٩١٨ – ١٩٤٨ » ثلاثة احصاءات له ولكن أدقها وأقربها للصحـة هو الذي تمّ في صيف عام ١٩٤٦ حيث بلغ عـدد سكانه (٩٧،٥٠٤) نسمة جميعهم من البدو باستثناء مدينة بئر السبع نفسها البالغ عددهم « ٥٥٧٠ نسمه[2] »

---

١ – قبائل قضاء بئر السبع هي : «الحناجرة» و « الترابين » و «التياها» و « الجبارات» و « العزازمة » و « السعيديون » و« اللحيوات » أو «الأحيوات » .

٢ – تقديرات ١/٤/١٩٤٥ .ذكر اليهود المغتصبون بأنهم أعادوا تأسيس بئر السبع في=

جميعهم عرب . وبهذا يكون معدل ما يخص الكيلومتر المربـع الواحد ٧و٧ من الأشخاص .

* * *

مُناخ قضاء بئر السبع صحراوي وهو حار جاف في الصيف . يتراوح معدل الحرارة فيه من ١٧ — ١٨° مئوية : ٦٣ — ٦٤ ف° . والنهاية الكبرى للحرارة في النهار تتراوح بين ٢٧ — ٣١° مئويـــة : ٨١ — ٨٨ ف° أي بمعدل ٣ — ٤ درجات أعلى من الساحل .

وأما الطقس في الشتاء فهو بارد نوعاً . ولكنه قليل الرطوبة . ومعدل النهاية للحرارة فيه يومياً تتراوح بين ١٣ — ١٦° مئويـة : ٥٥ — ٦١ ف° . أي بمعدل ١ — ٢ أقل منها على الساحل . ومعدل النهاية الكبرى للحرارة لا يزيـــد عن معدلها في الساحل. إلا أن معدل النهاية الصغرى ينخفض عن معدلها في الساحل بنحو درجتين. وتنخفض أحياناً الى تحت الصفر . وأدنى درجة للحرارة سجلت هي (— ٥ درجات مئوية) . وهو ما حدث في نهاية كانون الثاني من عام ١٩٢٥ في مدينة بئر السبع نفسها .

وها هي درجات الحرارة في بئر السبع ، عاصمة القضاء :

	١٩٤٠		١٩٤١		١٩٤٢	
	س	ف	س	ف	س	ف
معدل النهاية الكبرى للحرارة	٢٧و٤	٨١و٥	٢٧و٦	٨١و٥	٢٦و١	٧٩
معدل النهاية الصغرى للحرارة	١١و٨	٥٣	١٢	٥٣	١٢و٢	٥٤
معدل درجة الحرارة	١٩و٦	٦٧	١٩و٢	٦٧	١٩و٢	٦٧

= الشهر الرابع من عـــام ١٩٤٩ ودعوها باسم « B'eyer - sheva » . وفي عام ١٩٥٥ ذكروا ان في هذه البـلدة نحو ١٦،٣٠٠ يهودي بلغوا في نهايــة عام ١٩٦٣ (٥١،٦٠٠) يهودي . وبهذه المناسبة نذكر ان عدد اليهود في قضاء بئر السبع بلغ في ١/٤/١٩٤٥ ، حسب تقديرات الحكومة ، ١٥٠ يهودياً .

وقد بلغ متوسط الحرارة في هذه المدينة في أشهر كانون الثاني لثاني سنوات: (١٩٢٨ — ١٩٣٥) : ١٢و٣° مئوية : ٥٤ ف° . ومتوسطها في شهر آب (اغسطس) للمدة نفسها ٤٦و٥° مئوية : ٧٩ ف° .

وأما مقدار المطر الذي يهطل في هذا القضاء فضئيل جداً بالرغم من قرب بعض بقاعه من الساحل . فإنها لا تنال شيئاً من الفوائد التي تتمتع بها السواحل . والرياح الجنوبية الغربية التي تهب فوقه لا تلقي عليه رطوبتها فضلاً عن ان هواءها جاف لتعرضه لرياح الصحارى المختلفة المجاورة .

ويتراوح سقوط المطر ما بين خمس بوصات الى اثنتي عشرة بوصة[1] في منطقة بئر السبع نفسها (المنطقة الزراعية) التي تقع للشمال من الخط المار بين العوجاء — عسلوج — كرنب ، وينخفض المعدل المذكور في منطقة الصحراء التي تقع جنوبي الخط المذكور. وأما معدلها في عسلوج فهو ١٢٠ مم وفي العوجاء ١٠٠مم. وكثيراً ما يحدث أن يتساقط المطر على صورة زخات شديدة تؤدي الى فيضانات مخربة . وعدد الأيام المطرة يتراوح بين ١٠ — ٣٠ يوماً .

ويبلغ متوسط سقوط المطر في مدينة بئر السبع نفسها في مدة الأربعين عاماً الواقعة بين ١٩٠١ — ١٩٤٠ : ٢١٩و٩ مم ومعدل عدد أيامها المطرة ٢٨ يوماً . وفي عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ بلغ ما سقط من المطر في المدينة المذكورة ١٦٨و٨ مم .

* * *

إن الأراضي الزراعية التي ذكرنا بأن مساحتها تبلغ نحو ٢٠٠٠ كم٢ هي عبارة عن فلاة سهلية قاحلة يزرعها البدو ويتنقلون فيها انتجاعاً للكلأ، ولكن في الشمال والشمال الغربي منها سهولاً فسيحة يتمكن السكان شبه المتحضرين الذين يقطنون فيها من أن يستغلوا منها مواسم طيبة من الغلال والحبوب حينما يسعفها الغيث. وهذه هي المنطقة التي أشار اليها السيد « جون هوب سمبسون » الخبير البريطاني ، حين

---

١ — البوصة تساوي ٠,٠٢٥٤ من المتر .

قال في تقريره عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران في فلسطين : « لو تيسر الري في منطقة بئر السبع لكان فيها مورد لا ينضب معينه من الأراضي الصالحة للزراعة » .

وقد ذكرنا أن مقدار المطر الذي يسقط في هذه المنطقة ضئيل جداً ، وأن سقوطه غير مضمون ، وقد قدر أنه في كل دورة مؤلفة من سبع سنين تخرج قطعة الأرض الصالحة للزراعة موسماً طيباً في سنتين منها وموسماً ضئيلاً في ثلاث منها ، وتكون ممحلة في السنتين الأخريين .

وقد اتضح بعد إجراء تجارب عديدة في حفر الآبار أيام التحكم البريطاني المظلم بأنه لا يمكن إجراء أي تحسين في الزراعة التي تعتمد على الري من الآبار في القسم الأعظم من المنطقة المذكورة .

وهناك مناطق واسعة تقع على جوانب الأودية كانت في الماضي تسقى بتحويل مياه السيول من تلك الوديان الى الحقول بواسطة إقامة السدود . فيمكن ان يتوقع حركة زراعية نشيطة إذا استفيد من السدود ، كما استفاد الأقدمون .

محصولات القضاء :

الحاصلان الرئيسيان للمنطقة المزروعة في قضاء بئر السبع هما الشعير والقمح. فتكاد تنحصر أعمال المزارعين من البدو وغيرهم في فلاحة الأرض لهذين الحاصلين.

ويؤلف الشعير نحو $\frac{٨}{١٠}$ زراعتهم . ويزرعون أيضاً بكميات قليلة ، الذرة والبطيخ والعدس والفول . وفي السنوات الأخيرة زرعت بضعة مئات من الدونمات بأشجار الفاكهة كالعنب والتفاح والمشمس واللوز والتين والرمان وغيرها .

والإحصاء الآتي يبين لك محصولات هذا القضاء لعام ١٩٤٢ — وهي سنة طيبة في محصولها — بالطنات المترية :

الشعير ٥٠،٠٠٠[1] ، الحنطة ١٠،٠٠٠ ، الذرة ٦،١٢٥ ، البطيخ

---

١ — وهذا يعادل $\frac{١٠}{٢٣}$ من محصول الشعير في فلسطين ، لتلك السنة .

٣٠٦٠[١] ، الخضار ٤٥٧[٢] ، العنب ١٢٠ ، العدس ٤٠ ، التين ١٢ ، اللوز ٦ ، الفول ٢ .

المواشي :

يعيش بدو بئر السبع على الرعي[٣] . وأهم حيواناتهم هي الجمال والغنم . فعلى الجمل يحرثون أراضيهم ويدرسون حاصلاتهم ويحملون أحمالهم أيام الرحيل . وعليها ينقلون نتاج أراضيهم الى المدن المجاورة . ومن الغنم – بياضها وسمارها – لبنهم وزبدتهم وسمنهم ونسيج حبالهم وخيامهم .

وقد بلغ عدد الجمال في هذا القضاء عام ١٩٤٣ (١٣٬٧٨٤) رأساً ، كما بلغ عدد الماعز والضأن في السنة نفسها أكثر من ٦٠٬٠٠٠ رأس ونحو ٩٬٥٠٠ رأس

---

١ – بلغ محصوله في عام ١٩٤٤ في القضاء المذكور ٥ ٧٢٤ طناً .

٢ – بلغ محصولها في عام ١٩٤٤ (٦٧٩) طناً .

٣ – مراعي فلسطين قليلة ، لا تكفي لسد حاجة السكان . وهي بالأكثر منحدرات الجبال والأراضي المهملة . والفصول الملائمة للرعي هي أشهر الربيع . وفي فصل الصيف الجاف الذي يمتد الى ستة أشهر كل سنة لا يبقى مراع طبيعية للمواشي . وعندما يقل المطر ويسود الجفاف يلحق المواشي الضرر وينتابها الجوع .

والاحصاء الآتي يبين لك عدد الحيوانات الأليفة والطيور الداجنة في فلسطين ، لعام ١٩٤٢ – ١٩٤٣ :

الحيوان	ما يملكه العرب	ما يملكه اليهود
الخيل	١٦٬٨٦٩	٢٬١٥٢
البغال	٧٬٣٢٨	٢٬٥٣٤
الحمير	١٠٥٬٤١٤	٢٬٢٧٢
الجمال	٢٩٬٧٣٦	٥٠
الجاموس	٤٬٩٧٢	
المواشي	٢١٤٬٥٧٠	٢٨٬٣٧٥
الماعز	٤٦٣٬٧١٩	١٢٬٤٥٥
الضأن (خروف)	٣٢٠٬١٣٨	١٩٬١٢٠
طيور داجنة مختلفة	١٬٢٣٧٬١٠١	٧٤٣٬٧٦٥

بقر . وأما الطيور الداجنة في العام المذكور فقد بلغت ٥٢٬٠٠٠ طير .

وبهذه المناسبة نذكر أن من حيوانات فلسطين الأليفة والبرية ، فضلاً عما تقدم ذكره ، القط والغزال والأرنب والذئب ونوع من النمر والخنزير البري والأليف والضبع والثعلب وابن آوى والخلد – نوع من القواضم ليس له عينان ولا أذنان ، جمعها مناجذ من غير لفظها – والقنفذ والخفاش (الوطواط) وغيرها . وجميعها تعيش في مختلف مناطق فلسطين الطبيعية .

ومن طيور فلسطين الدجاج والحمام والبط والأوز والحبش والشنار والغراب والصقر والسنونو والحسون والبلبل والعصفور الدوري والقنبرة والقاق وغيرها . ويزور البلاد في الصيف الفر (السلوى) وفي أوائل الشتاء السمّاني وأبو الحن أو أبو الحناء ، وهو طائر صغير ، أحمر الصدر ، يأتي من الشمال صوته حلوة ، ولون أنثاه على الغالب أسمر رمادي .

الصحراء الفلسطينية

تقع هذه المنطقــة من قضاء بئر السبــع ، والتي تربو مساحتها على ١٠،٥٠٠ كيلومتر مربــع كما ذكرنا ذلك سابقاً ، الى الجنوب من الخط المار بــين العوجا — عَسْلوج — كُرْنُب . وهي تتألف من مجموعة سلاسل جبلية من التــلال الوعرة ممتدة شرقاً وغرباً ، تتوسطها سهول كثيرة الحصباء مَيَّادة غير منتظمة . امــا المنحدرات السفلى لهذه التلال فتتناثر فوقها الصخور، وتغطيها الحصباء وتبدو في بعض الأماكن مناطق مغطاة بالرمـــل الذي سفته الرياح منعزلة عن بعضهــا . ولم تجر في هذه المنطقة عمليات التنقيب عن المــاء لأنه لو صح وجود المياه فيها ، لكان انعزال قطع الأراضي ذات التربة الصالحة بعضها عن بعض ، وبعدهـــا عن الأسواق عاملين يكفيان للقضاء على أمل امكان الاستفادة منها من النــاحية الإقتصادية .

ومجموعة السلاسل الجبلية [1] في الجنوب والجنوب الغربي من هــذه الصحراء ترتفع في بعض قممها ارتفاعاً ظاهراً . فإن « رأس الرامان » الواقع بالقرب من الحدود الفلسطينية — المصرية يعتبر أعلى قمة في هذه الجبال اذ يبلغ ارتفـــاعه « ١٠٣٥ » متراً » وبعلوه هذا يصبح ثالث القمم الفلسطينية ارتفاعاً .

ومن جبالها «جبل المِقراة» وهو عبارة عن سهول متدرجة، طولها نحو سبعين

---

١ — تقدر مساحة القسم الجبلي من الصحراء الفلسطينية بنحــو « ٨،٢٩٠٤ » كيلومـــتر مربعاً أي أكثر من ٧٩٪ من مساحة الصحراء جميعها .

ميلا وعرضها نحو ٥٠ ميلا . تبدأ من جبل « عُرَيف الناقة ٩٥٧ م [1] » وتمتد وهي تعلو تدريجياً شمالاً بشرق إلى قرب بئر السبع . ومعظم جبل « المقراة » واقع في فلسطين ويدخل منه في حدود سيناء قسم يعرف بجبل « خُراشة » بالقرب من عيون وادي قديس .

ومن ذرى جبال الصحراء الفلسطينية « جبل سماوى ١٠٠٦ م » ويقع للجنوب من جبل المقراة . وجبل اللُسَّان ٩٥٧ م ، وجبل المغارة ٩٢٦م ورأس أبو صرابيط ٨٩٢ م ، والجبل الطويل ٨٦٣ م ، وجبل أم سعيد ٨١٧م ، وجبلا « ام حواويط » و « ام طيران » بالقرب من العوجاء .

والقبائل البدوية الرحل التي تسكن الصحراء الفلسطينية غير مستقرة ، تنتقل من مكان الى آخر طلباً للماء والمرعى . وهم على جانب كبير من الفقر والحاجة . وهذه القبائل هي : العزازمة – ومساكنها بوجه عام الجبال – والسعيديون والأحيوات .

* * *

نسبة الى مدينة « بئر السبع » دعيت هذه الديار باسمها الحالي . وهذه المدينة تعلو عن سطح البحر ٢٨٦ متراً . وهاك ما بينها وبين ما جاورها من أماكن وبقاع ومدن من مسافات بالكيلومترات :

بئر السبع – عسلوج : ٣١ طريق معبدة .

بئر السبع – العوجاء : ٧١ طريق معبدة .

---

١ – جبل عظيم بالقرب من الحدود الفلسطينية – المصرية . ويرى من مسافة بعيدة في شكل « عرف الناقة » ومن ذلك اسمه .

طرق غير معبدة:

بئر السبع – عين حصب : ٨٥
» » – كُرنُب : ٤٥
» » – رأس الزُّوَيرة : ٤٧
» » – المرشش : ٢٣٥ عن طريق عين حُصب . وقد أقام اليهود طريقاً معبدة بين بئر السبع و«ايلات – المرشش» بلغ طولها ٢٤٤كم .
بئر السبع – أُسدم : ١٢٠ عن طريق عين حصب .
» » – خرائب سُبَيطة : ٤٥
» » – خرائب رُحَيبة : ٢١
» » – خويلفه : ٢٤ تقع للشمال الشرقي من بئر السبع .

جميع هذه الأماكن تقع في قضاء بئر السبع . واما ما بين المدينة المذكورة وغيرها من المدن المجاورة من مسافات فهي :

بئر السبع – غـزة : ٤٦ طريق معبدة .
» » – الخليل : ٥٢ » » .
» » – القدس : ٨٨ » » .
» » – رفح : ٥٨ » » .
» » – العمارة – خان يونس : ٥٣ كم .

بئر السبع – العريش : ١٧٦
» » – القُصَيّمة : ١٠١
» » – السويس : ٣٤٠
في سيناء والطرق غير معبدة » » » » »

بئر السبع – الاسماعيلية : ٣٠٤ تقع على قناة السويس . طريق

غير معبدة .

بئر السبع — عين قديس : ٨٢ في سيناء . طريق غير معبدة .

* * *

إن أبرز ما في تاريخ بلاد بئر السبع القديم هو ، ابتدأ التبشير بالإسلام في هضابها منذ نحو أربعة آلاف سنة ، بواسطة خليل الله ابراهيم عليه السلام ، وولادة بكره اسماعيل — جد العرب المدنانية — في ربوعها . كما كانت في يوم ما ممراً لأعظم قسم من تجارة العالم المتمدن القديم .

إن الخيرات والثروات التي كانت تضعها القوافل التجارية العربية في «البتراء» وفي « أيلة — العقبة » كانت تحمل منها الى غزة ومصر وغيرها عن طريق بلاد بئر السبع ، مما كان سبباً لإنشاء سلسلة من المدن والقلاع والمحطات التجارية على طريق القوافل : مثل عَبْدة والعوجاء والخَلَصة ورُحيبَة وسُبَيْطة وغيرها .

ولما تحولت ، في أوائل القرن الثالث للمسيح طرق التجارة ، انتهت أيام ازدهار هذه المنطقة فانكمشت تلك المدن واضمحلت تلك المستعمرات والمحطات ولم يبق الا الآثار التي نعثر عليها في مختلف بقاع القضاء وتدل على ما كان لها من تقدم ورخاء .

فتح العرب المسلمون هذه الديار في القرن السابع للمسيح ، وعرفت مدينة بئر السبع بأنها بلدة « عمرو بن العاص » فاتح فلسطين . ويرجح ان قصره المعروف باسم « عجلان » ، والذي كان يقيم به كلما اعتزل الناس كان في البقعة المعروفة اليوم باسم « خربة عجلان » الواقعة للشرق من قرية « بُرَيْر » بنحو ٨ كيلومترات .

وقيل ان ولده الصحابي « عبدالله » توفي في بلدة بئر السبع . وقيل غير ذلك والله أعلم .

ان الموقع الاستراتيجي الذي ذكرناه عن « وادي العربة » يصدق بكامله

بالنسبة لهذا القضاء الذي اغتصبه اليهود في عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ . وهم يعولون على رَيّه (بمياه الأردن) واستخراج خيراته ومعادنه ليصبح بمساحته الواسعة صالحاً لسكن ملايين أخرى من شذّاذ الآفاق . مما يضيف اليهم قوة جديدة تشمل مختلف نواحيهم الزراعية والعسكرية والسياسية والتجارية والصناعية...

فلسطين : بلاد الوحي والخير والجمال

وهكذا فأنت ترى أيها القارىء الكريم ، بأن بلادنا ، فلسطين ، الأرض الطاهرة ، الأرض الطيبة المستباحة ، القطعة الغالية المقدسة من الوطن العربي ، والتي لا تزيد مساحتها عن عشرة آلاف ميل مربع إلا قليلاً ، تمتاز بروائع تكوينها وبجمالها الطبيعي الساحر الخلاّب ، وبمناخها المطلوب لأي فصل من الفصول ، وبأريج زهورها ورياحينها ، وبوجهها المخضوضر الذي يرتد البصر عن آفاقه حاسراً وهو يرجو لو علق به إلى الأبد !

ففي الجبال ، التي كانت معاقل الجهاد ، تتجلى لك فلسطين بما فيها من سمو وجمال . فدائرة المشاهد فيها مترامية الأطراف ، بعيدة الآفاق ، تطل على أجمل ما خلقه الله من مناظر. في هذه الأعالي الأعجوبة؛ فهي تريك طوراً البحر والسهول وتارة الأغوار والنجود : مشاهد طبيعية رائعة تكمن فيها الفتنة ويستشف منها السحر .

ففي الربى يكون الجمال بين يديك ؛ والخيرات أمام ناظريك . والهواء النقي المنعش يتخلل رئتيك ... تسمع فيها خرير المياه المتدفقة وتغريد الطيور الجميلة وحفيف الأشجار العالية .

ومن أجمل ما تراه العين من الأعالي الحقول ، إما محروثة أو عامرة سنابلها بالحب ؛ والسهول الخصبة اللطيفة التي تتخلل المرتفعات ، والأودية والشعاب التي تتموج في اخضرارها واصفرارها ، والربى الخضراء البهيجة المزينة بالأزهار المختلفة الألوان يفوح طيبها بين الأدغال تحيي المارة بروائحها الذكية ...

كما ترى كروم العنب وقد احتضنت ثمرها ، وغابات الزيتون البهيجة العامرة

تداعبها الرياح فتظهر للرائي وكأنها مغطاة ببرقع فضي شفاف جميل للغاية ... وتبدو القرى خلال هذه الربى والمزارع والكروم والغابات وكأنها جزر من اللؤلؤ في بحر الزمرد ، أو متنزه رشيق تلفه الأشجار الوارفة الظلال والازاهير الزاهية الألوان ...

وعلى الجبال « صفد » المطلة على أجمل المناظر وأغربها وأكثرها روعة : الجليل وطبرية والحولة وغيرها ... و « الناصرة » عروس الجليل الحافلة بالذكريات المسيحية المقدسة ، والتي كان بيتاً من بيوتها قد جمع الطهارة بأكملها ، وأنشأ شاباً خالصاً من كل شائبة في وجه دنيا رجس وسوء ... وبقية القدس ، التي تضم كثيراً من رفات الصحابة والذكريات ودماء الشهداء ... وغيرها من المدن والقرى التي نعرفها ، وكل شبر فيها يحكي قصة ويروي تاريخاً . (والحمد لله الذي وقى بعضها شر الاعداء اللئام) .

وفي الجبال بعض الربى الماحلة ، الا أنها لا تخلو من أماكن تزينها الكروم وأدواح خضراء متناثرة على سفوحها ، ووديان مخضرة يسرح فيها قطعان من المواشي . وفي هذه الارجاء تختبىء مواطن فتنة وسحر عديدة حبتها بها الطبيعة الطيبة .

واذا وليت وجهك من هذه الجبال ، شطر الغرب تر مشهداً منقطع النظير ، قلما تجد له شبيهاً في سحره وفتنته: أنهراً وجداول، حقولاً مزروعة ومحصودة، سهولاً فسيحة تزدهي بشتى الخيرات من حبوب وبقول وخضر وفواكه ...

وفي هذه السهول ترى غابات البرتقال وبياراته ، جنة الساحل وفخره ، مثقلة بالاثمار الذهبية في فصل الشتاء ، وفوّاحة بأريج الزهور وشذا العطر التي يحملها النسيم رطباً معطراً الى مختلف الاماكن في الربيع ، وتفيء من أدواح شجرها سابغ الظل طيلة ايام السنة .

وهناك دون السهول وبيارات البرتقال شواطىء البحر الجميلة الخلابة التي تتدافع عليها الأمواج مرددة أغنية التاريخ وما قبل التاريخ وحوادث الأيام ... ذلك الشاطىء الذي كان يعمره المستحمون وطلاب المتع الشاطئية من بني يعرب

بحيويتهم الدافقة ، ويشيعون من حولهم مجالي البهجة والمرح .

وفي الأفق ازرقاق البحر الذي تتألق صفحاته في وهج الشمس ، وقـد ترى فيه دخان البواخر وأشرعة المراكب ...

يا له من مشهد رائع ساحر ! هـا هي يافا : عروس الوطن المُنْتَهَب ، وسيدته الكبرى ، وكأنها واحة أفلتت من الجنة ؟

ها هي الرملة واللد واطرافها ! تذكرنا ببطولة أهلها ، وببطولة قافـلة من شهدائنا استشهدوا في سبيل وطنهم ، ولكل منهم قصة خالدة على مر الزمن .

وهناك في الجنوب العروسان اللتان بشرنا بهما الرسول : غزة وعسقلان.

وهناك في الشمال حيفا ! قرة عين الوطن الحبيب وربّـة الساحل ومهجة القلوب... وفي الأفق البعيد عكا ! الشامخة الشائقة الخالدة ، البلدة الصغيرة الهادئة التي تحمل نبأ الدهور ... والتي ذكرهـا النبي العربي بقوله : « طوبى لمن رأى عكا » ..

وهناك فضلاً عن ذلك سلسلة من المدن والمزارع والقرى التي سهرت مـع المجاهدين وزودتهم بالمؤونة والسلاح للإبقاء على عروبة فلسطين ... ممـا يثير بنا كوامن المشاعر ، ويثير فينا غوالي الذكريات ...

واذا وليت وجهك شطر المشرق رأيت الوهـاد السحيقة والصخور الصماء ، والغور بمزارعه وقراه ومدنه وبحيراته وأنهاره .

يتهادى اليـك نسيم الغور في الشتاء والربيع رقيقاً ، رضياً ، جافاً ، معطراً بأريج الأزاهير والرياحين وشذا الثمار .

نرى الغور في الفصلين المذكورين مروجاً خضراء ، تمتـد عن يـمين وشمال تعاونت يد الله ويـد العرب بترصيعه بأروع الألوان . تراه بهيجاً باخضراره ، ناعمـاً بأنواره ، جميلاً بأعشابه . وكأنه فردوس بمـا يزينه من ألوان الأزاهير الرائعة ..

وفي الغور « الاردن » الذي يعد جدولاً صغيراً بالنسبة لأنهار العالم الكبرى، إلا أنه الخالد بين الأنهار ! والحامل هو وبحيراته وجواره ، المقدس من الميـاه

والذكريات !

وليس أفضل وأبهج من تمضية فصل الشتاء في «الغور». ولعل مشتى «أريحا» وجوارها لا يضاهيه مثيل في العالم في دفئه وآثاره القديمة .

وفي الغور «بيسان» البلدة المتواضعة التي شاهدت عزاً ومجداً ، وعاشت أياماً من الدمار والخراب . ومن «طبرية» وبحيرتها ترى أجمل المناظر الساحرة وأكثرها فتنة تقع عليها العين في وطننا المغتصب .

وهناك مدن وقرى ومزارع في الغور ، حماها الله من شرور اليهود ووحشيتهم !.

واذا جنحت من الجبال جنوباً ، وانحدرت الى بئر السبع وما بعدها، حيث يضمحل الاخضرار ، وتتضاءل الظلال ، فتغدو في بادية جبلية ، قاحلة جرداء ، عليها جهامة، يحرقها لهيب الشمس... وهي مع ذلك تمتاز بصفاء جوها ونسيمها الجاف المنشط وبهدوئها البعيد القرار . والله وحده يعلم ما تخفي من أسرار وما تخبىء من ثروات وخيرات .

وهي هي حلقة الاتصال بين عرب آسيا وعرب افريقية ... وهي هي التي يتطلع العدو لأروائها واملائها بشبابه ورجاله... وهي هي التي يتطلع اليها العدو لتصله مع إفريقية وآسيا ...

من الذي يدعي أن في وسعه وصف جمال هذه البقعة المقدسة من الأرض ؟

من قال إن باستطاعته أن يفاضل بين أجزائها ؟ هل الساحل والسهول أكثر جمالاً من الجبال ؟ أم هل الأغوار العجيبة والعميقة والصحارى المترامية أقل روعة من غيرها ؟ إنها الجنة بكل معانيها ...

جمال يناجي القلب ويثير أشتات الذكريات ويبعث في الجوانح حرارة الشوق والهيام !

* * *

هذه هي نظرة خاطفة على وطننا الحبيب ، على الأرض الطيبة المغتصبة ، على سواحلها وسهولها وأعاليها ، وعلى أغوارها وصحاريها ، وعلى ثرواتها

وخيراتها وجناتها وفتنتها ...

وكأنه قد اجتمع في وطننا العزيز الغالي كل مثال لمختلف الأقطار والأقاليم المسكونة على وجه البسيطة ، الأمر الذي لا تجد له مثيلاً في أي قطر — في مثل مساحتها — من أقطار العالم .

* * *

فلسطين لنا ونحن لها ، فلسطين لنا وحدنا ، ولا نريد فيها شريكاً [1] ... يشدنا إليها رباط أقوى من أن تعبث به الأحوال أو تفصم عراه يد الزمان ... هذه الأرض الطاهرة التي استمدت من الله حناناً وتقديساً ، هذه الأرض المباركة التي أسبغ الله عليها القداسة ما ملأ الدنيا ، هذه فلسطين الحبيبة ، التي تجود بخيرات وخيرات... تذكرنا بجدودنا وآبائنا — رضوان الله عليهم اجمعين — الذين حرّروها وعمّروها وأنبتوها ، ثم حموها بالنبيل الغالي من دمهم ... تعرّض أخيراً ابناؤهم لغدر البريطان الذين خانوا الأمانة ، وللجناية المنكرة التي رماهم بها الأمريكان ، ولبطش العدو اللئيم ... فكان الاخراج من الأوطان واللجوء والتشرد[2]... فالشعب الذي كان آمناً مطمئناً اقتلع من أرضه وجُرّد

---

١ — خبر النبي العربي اليهود ، الذين افتنوا في احباط دعوته ، فدبروا المكائد للقضاء عليه وعلى أتباعه ، ونقضوا عهودهم معه مرات عديدة . ولما لم يجد فيهم قابلية للتآلف مع العرب عمل للتخلص منهم فكان له ما أراد .

وعرب اليوم خبروا اليهود أيضاً وتوصلوا الى نفس النتيجة التي توصل اليها الرسول قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة . وسنستمر في الحفاظ على سنة النبي العربي العظيم .

٢ — بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين (العائدين) ، المسجلين لدى وكالة الغوث الدولية في ١٩٦٤/١/١ م « ١٢٢٨٠٦٤ » عائداً يوزعون كما يلي :

أ — في الأردن « ٦٦٢٥٢٥ » عائداً ، يمثلون ٥٤ ./ من مجموع عدد العائدين العام و ٣٦ ./ من مجموع سكان المملكة .

ب — في قطاع غزة « ٢٨٣٧٨٢ » عائداً ؛ يمثلون ٢٣ ./ من مجموع عدد العائدين العام و ٧٠ ./ من مجموع جميع سكان القطاع .

ج — في لبنان « ١٥٢٧٤٧ » عائداً ؛ يمثلون ١٣ ./ من مجموع عدد العائدين العام و ٨ ./ من مجموع جميع سكان الجمهورية . =

من ممتلكاته وتمزق شمله في الفلوات ، وتعرض لأعظم الشقـــاء ، وأقصى الذل والمهانة وتبددت حياته تقتيلاً وتجويعاً وديست حرماته عدواناً وإثماً . فإن ما لاقاه « العائدون » يشكل أفجع صفحة ذكرها التاريخ البشري ..

وأصبحت فلسطين ، بمـــا حلّ فيها من جماعات محمولة من شتى بقاع الأرض يهودية ، صهيونية بعد أن كانت عربية مسلمة !!

وهكذا تركز في قلب العالم العربي عنصر غريب معاد طامح يهدد كيان العرب في سائر أقطارهم .

* * *

واليوم اشتاقت هذه البلاد الى السواعد السمراء القوية التي تعهدت جمالهـا الطبيعي وحولته الى سحر وفتنـة ... والتي حطمت بجهودها الجبارة الصخور لتستدرها الرزق والخير ، وتستنبتها الزرع والعيش ...

إن الأرض الخصاب والمزارع الخـــيرة ، اشتـاقت الى الأيادي القحطانية والعـدنانية التي كانت تفلح وتكدح وتزرع وتحصد فتشيع الدفء في باطنها ..

شتاقت اشجار البرتقال والكرمة والزيتون والموز ... اشتاقت البساتـين المورقة الغناء ، التي تواتيك من الثمر بما طاب ، وتنفحك من الزهر بما نضر ... اشتاقت لغـارسيها ورعاتها الذين تعهدوها بعرق كفاحهم ، وأنضجوها بالدأب والكد ... فبدت لناظريها وكأنها في عرس من الخضرة والجمال ...

متى نعود ، ونرى قرانا ومواقدها وسحب دخانها !

متى نعود ، ونرى مدننا وحدائق منازلنا !

متى نعود ، لمسرح طفولتنا وملعب صبانا !

متى نعود ، لمهد الذكريات ومثوى الآباء والأجداد !

متى نعود ، الى حيث نود حقاً أن نعيش ونموت !

= د — في سورية « ١٢٩٠٠١٠ » عائداً ؛ يمثلون ١٠ ٪ من مجموع عدد العائدين العام و ٢ ٪ من مجموع جميع سكان الجمهورية .

وقد بلغت المساعدة التي يتلقونها بمعدل ٣٧ دولاراً في السنة للعائد الواحد !

إننا ننتظر اللحظة التي نعود فيها الى أرضنا الطيبة لنسجد على ثراها الطاهر الذي روته دماء الرسل والأنبياء والصحابة والشهداء والأجداد !

ورعاك الله أيها الوطن العزيز الغالي ! والله مـــا خطونا خطوة في تشردنا إلا وذكرناك ! وأنت على البعد والقرب ملء قلوبنا ووجداننا مـا دبّت فينا ، وفي الأجيال التي تأتي من بعدنا ، حياة ..

فلا خفّف الرحمنُ ما بي من الجَوى ولا قطع الرحمن عن حبهـــا قلبي
فما سرّني أني خليّ من الهـــوى ولو أن لي ما بين شرق الى غرب .

« قَـاتِلوهُمْ ... »

« يُعَذّبهُم اللهُ بأَيدِيكُمْ ... »

« ويُخزِهِمْ »

« ويَنْصُرْكُم عَلَيهِم ... »

« ويَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مؤمنين[1] . »

صدق الله العظيم .

١ - التوبة : ١٤ .

التقسيمات الادارية في فلسطين[1]

« يشتمل الكلام عن التقسيمات الإدارية في
فلسطين بياناً بأوضاع كافـــة المدن والقرى
كالتالي :
١ – المدن والقرى الفلسطينية التي
اليهود .
٢ – المـدن والقرى الفلسطينية التي نجت

٣ – المستعمرات (العسكرية–الزراعية)
التي أنشأها اليهود في فلسطين حتى نكبة ١٩٤٨.

كانت تقسم فلسطين في أواخر عهد الحكم البريطاني الغدّار الى ست منـاطق يعرف كل منها باسم «لواء » أو « مقاطعة » ويقسم اللواء الى أقسام أخرى يعرف كل منها باسم « قضاء » . ورئيس الاولى يدعى « حاكم اللواء » ورئيس الثانيـة

---

١ – أهم مصادر هذا البحث :
أولاً : Village Statistics 1945 .وهي نشرة احصائية رسمية . وهي آخر نشرة من نوعها .
ثانياً : مذكرات المؤلف .
ثالثاً : بعض الخرائط التي أصدرتها سلطات المغتصبين بعد عام ١٩٤٨ .
رابعاً: الكتاب السنوي لعام ١٩٥١/١٩٥٢ – أصدرته السلطات اليهودية في القسم المغتصب من بيت المقدس – وقد تقدم ذكره .

يسمى « قائم مقام » . ويشتمل كل قضاء على عــدة قرى ينوب في كل منها عن القائم مقام أحد أهاليها ويُدعى « المختار » فالقرية هي أصغر وحدة ادارية . وكلمات « لواء » و « قائم مقام » و « قضاء » هي من بقايا الاصطلاحات الادارية التي كانت تستعمل في العهد العثماني .

وألوية فلسطين هي .

١ ــ **لواء الجليل** . وقاعدته الناصرة ويتألف من أقضية عكا وبيسان وصفد وطبريه والناصرة .

٢ ــ **لواء حيفا** . ويضم قضاء حيفا .

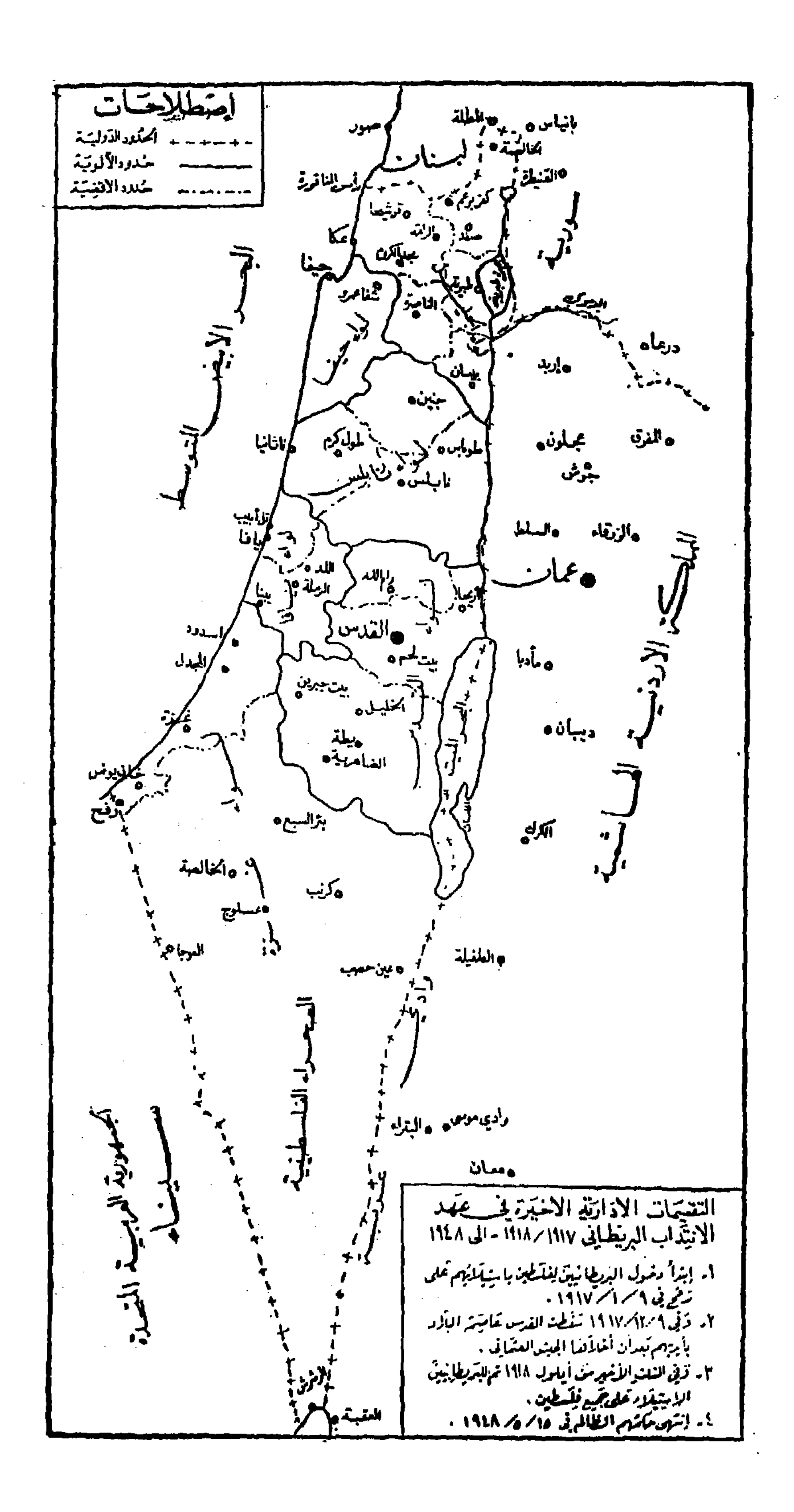
٣ ــ **لواء نابلس** . وكان يعرف باسم (لواء السامرة) . ويتألف من أقضية نابلس وجنين وطول كرم .

٤ ــ **لواء القدس** . ويتألف من أقضية القدس والخليل ورام الله .

٥ ــ **لواء يافا** . وكان يعرف باسم (لواء اللد) . ويضم قضاءي يافا والرملة.

٦ ــ **لواء غزة** . ويضم قضاءي غزة وبئر السبع .

ملحوظة هامة . تعود جميع الاحصاءات الواردة في هذا البحث الى تقديرها في ١٩٤٥/٤/١ ما لم يُذكر غير ذلك .



التقسيمات الادارية الاخيرة في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ / ١٩١٨ - الى ١٩٤٨

١. إبتدأ دخول البريطانيين لفلسطين باستيلائهم على رفح في ٩ / ١ / ١٩١٧ .
٢. وفي ٩ / ١٢ / ١٩١٧ سقطت القدس عاصمة البلاد بأيديهم بعد أن أخلاها الجيش العثماني .
٣. وفي الثلث الأخير من أيلول ١٩١٨ تم للبريطانيين الاستيلاء على جميع فلسطين .
٤. إنتهى حكمهم الظالم في ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ .

اولاً :

لواء الجليل

١ — قضاء عكا :

مساحته ٧٩٩٫٦ كم٢ . يملك اليهود منها ٢٥ كم٢ . أي بنسبة ٣٫١٪ من مجموع مساحة القضاء . ومما هو جدير بالذكر ان قريـة « سَخْنين » ، ثالثة قرى قضاء عكا سكاناً — ٢٦٠٠ نسمة — تملك أكثر من ٧٠ كم٢ من الأراضي . أي ما يقرب من ثلاثة أضعاف ما يملكه اليهود في جميع قضاء عكا : القضاء الذي أضحى بجميع مدنه وقراه ومزارعـه بيد المغتصبين . كما وأن قرى القضاء الآتيـة تملك من الاراضي أكثر مما يملكه اليهود :

(١) ترشيحا والكابري : ٤٧٫٣ كم٢
(٢) بيت جَنّ وعين الأسد : ٤٣٫٥ كم٢
(٣) فسّوطة ودير القاضي والمنصورة : ٣٤ كم٢
(٤) بِرْكا : ٣٢٫٤ كم٢
(٥) عَرّابَة : ٣٠٫٩ كم٢
(٦) تَمْرَة : ٣٠٫٥ كم٢
(٧) مِعِلْيا : ٢٩ كم٢
(٨) البصّة : ٢٥٫٣ كم٢

ويمكن القول بأن كلا من قريتي «إقرِت — ٢٤٫٧ كم٢» و «الرّامة — ٢٣٫٥ كم٢» تتعادل في أراضيها مع ما يملكه اليهود في القضاء .

وفي بلاد عكا ٦٨،٣٣٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون : ٤٧و٢٩٠

مسيحيون : ١١و١٥٠

آخرون : ٦و٩٤٠ اكثريتهم الساحقة من الدروز .

مجموع السكان العرب : ٦٥٬٣٨٠

يهـــود : ٢٩٥٠ أي بنسبة ٤٣و٠٪ من مجموع السكان .

مجموع سكان قضاء عكا : ٦٨٬٣٣٠ نسمة .

ويتألف هذا القضاء من مدينة عكا و٥٢قرية وثماني عشائر و١٠ مستعمرات.

عكا : تبلغ مساحة بلدة عكا ١٥٣٨ دونمـاً . وتضم ١٢٬٣٦٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون : ٩٨٩٠

مسيحيون : ٢٣٣٠

آخرون : ..٩٠

يهـــود : ٥٠

المجمـــوع : ١٢٬٣٦٠

وفي ١٦ / أيار / ١٩٤٨ سقطت المدينة بيد اليهود . قالت المصادر اليهوديـة انه كان في عكا في ٨/١١/١٩٤٨ (٤٠٢٠) نسمة بينهم ٨٧٤ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٤٩ كان بها ٩٠٠٠ نسمة بينهم ٥٢٠٠ يهودي . وفي نهاية عـــام ١٩٥٠ كانت تضم ٨٢٠٠ يهودي .

تبعد عكا عن المدن الآتية بما يأتي من المسافات :

الحدود الفلسطينية – اللبنانية : ٢١ كم .

صفد : ٥٤ كم .

طبرية : ٥٧ كم عن طريق المغار .

الناصرة : ٤٦ كم عن طريق شفا عمرو .

حيفا : ٢٣ كم .

يافا	:	١٢٥ كم .
القدس	:	١٧٥ كم عن طريق « اللجّون » و ١٧٦ كم عن طريق « ويلهلما » المستعمرة الالمانية الواقعة في شمال شرقي يافا .
طول كرم	:	٨٩ كم عن طريق – اللجون – وادي عارة .

كانت عكا ميناءً لحوران وجوارها ولكن مد الخط الحديدي بين حيفا ودرعاً نقل أهميتها هذه الى حيفا . ومن مشاهد عكا جامع الجزار الفخم الذي يُعد آية في الجمال والإتقان . وقد استحضرت حجارته من « قيسارية » وغيرها. وفيه قبر بانيه « أحمد باشا الجزار » الذي امتد حكم ولايته على عكا وعملها مدة ٢٩ سنة : ١٧٧٥ – ١٨٠٤ م .

ويعتبر سور هذه المدينة من أهم الآثار التاريخية في فلسطين ، تتخلله الخنادق الواسعة والاستحكامات والابراج والحصون وغيرها . ومن متنزهات عكا « بستان البهجة » ، الواقع في ظاهرها الشمالي وبجانبه قبر « بهاء الله » مؤسس البهائية المتوفى عام ١٨٩٢ م . والبهائيون جاءوا مع البهاء من إيران فأسكنهم السلطان عبد الحميد الثاني – العثماني – في أدرنه في تركيا اوروبا ثم أمر بنقلهم الى عكاء .

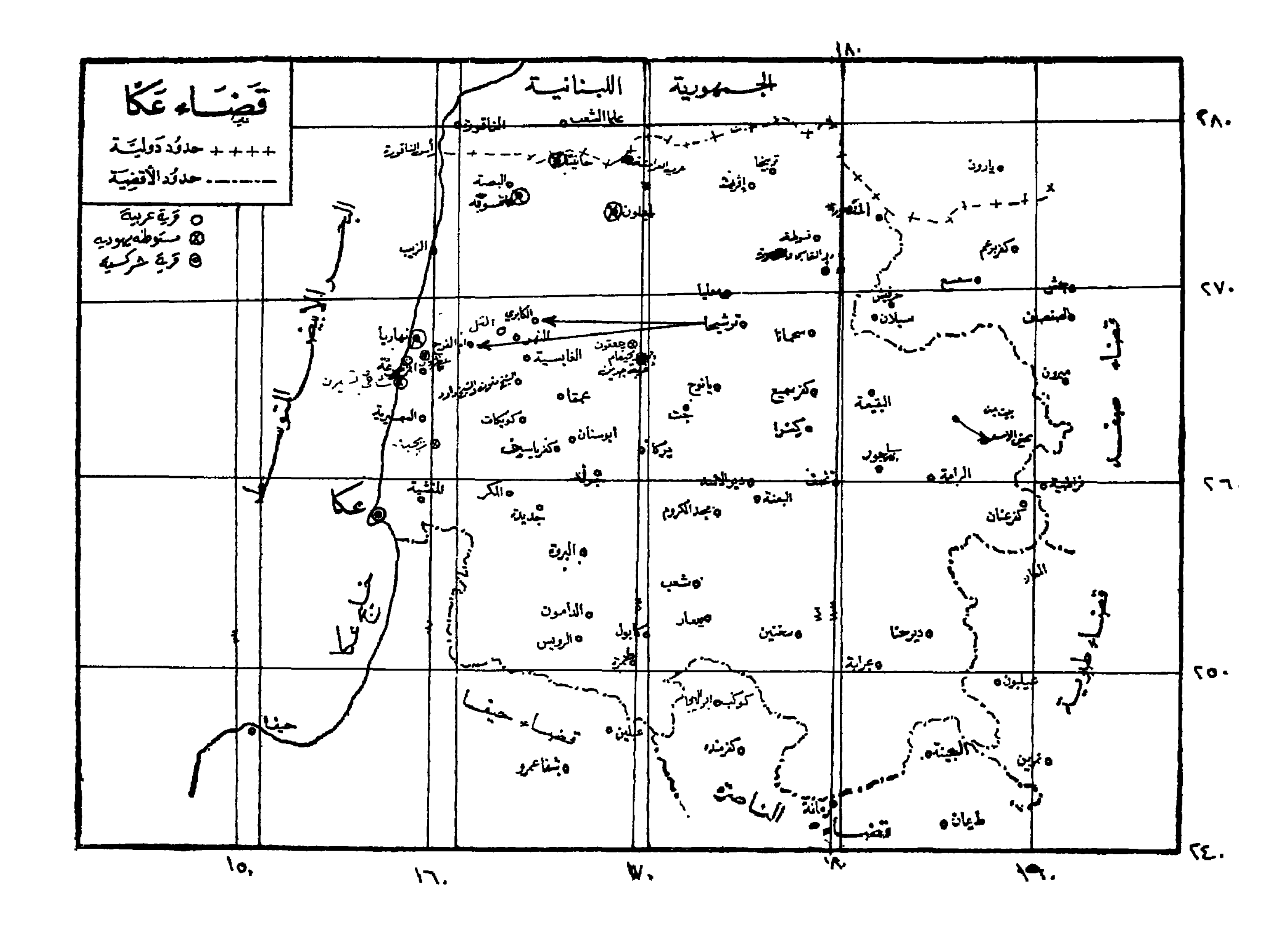
قرى قضاء عكا

١ – أبو سِنان : بها ٨٢٠ نسمة مساحتها ٦٩ دونماً .

٢ – إِقْرِت : بهمزة مكسورة وقاف ساكنة وراء مكسورة وتاء . تعتبر من أعمال جبل عامل بها ٤٩٠ نسمة . مساحتها ٦٨ دونماً .

٣ – أم الفَرَج : بها ٨٠٠ نسمة . مساحتها (١٥) دونماً .

٤ – البِرْوَة : تقع شرقي عكا ، على مسيرة ٩ كم منها . بها (١٤٦٠) نسمة. مساحتها ٥٩ دونماً . يملك اليهود « ٥٤٦ » دونماً من أراضيها البالغ مساحتها ١٣،٥٤٢ دونماً .



قضاء عكا
++++ حدود دولية
حدود الأقضية
قرية عربية
مستوطنه يهوديه
قرية شركسيه
الجمهورية اللبنانية
البحر الأبيض المتوسط
خليج عكا
عكا
حيفا
قضاء حيفا
قضاء الناصرة
قضاء صفد
قضاء طبرية
الناقورة
علما الشعب
البصة
الزيب
نهاريا
ترشيحا
الكابري
الغابسية
عمقا
يانوح
جث
كفرسميع
كسرا
البقيعة
سحماتا
معليا
ترنيخا
إقرث
فسوطة
يارون
كفربرعم
سعسع
جش
سبلان
المنشية
المكر
جديدة
البروة
الدامون
الرويس
كابول
شعب
ميعار
سخنين
دير حنا
عرابة
عيلبون
البعينة
مجد الكروم
البعنة
دير الاسد
نحف
ساجور
الرامة
كفرعنان
ميرون
بيت جن
كفر ياسيف
ابو سنان
يركا
جولس
كويكات
السميرية
عبلين
كوكب ابو الهيجا
كفرمنده
شفاعمرو
طرعان
رمانة
١٥٠
١٦٠
١٧٠
١٨٠
١٩٠
٢٤٠
٢٥٠
٢٦٠
٢٧٠
٢٨٠

مرّ بالبروة «ناصر خسرو» الرحالة الفارسي المسلم في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – وقال انه زار فيها « قبر عيسى » و « شمعون[1] ».

٥ – البَصّة : تقع بالقرب من الحدود الفلسطينية – اللبنانية . وهي بسفح الجبل المسمى « َلبُّونه » من تلال جبل عامل . وقد جرت عليها منازعات بين مشايخ جبل عامل وظاهر العُمَر في القرن الثامن عشر . بها (٢٩٥٠) نسمة . وهي بذلك ثانية قرى القضاء سكاناً . مساحتها ١٢٩ دونماً .

وفي عام ١٩٤٩ م أقام المغتصبون عند البصة مستعمرة دعوها باسم« Beset » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٦٠) يهودياً .

٦ – البِعْنَة : تقع شرقي عكا وعلى مسيرة نحو ٢٠ كم منها. بها ٨٣٠ نسمة.

٧ – البُقَيْعَة : قرية جبلية تقع شمالي شرقي عكا وعلى أمد نحو ٢٩ كم منها. ذكر جبلها شيخ الربوة الدمشقي المتوفى عام ٧٢٧ هـ : ١٣٢٧ بقوله . « جبل البقيعة » ، جبل به قرية يقال لها البقيعة ، لها مياه جارية ولها سفرجل مليح . وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم[2] » .

في البقيعة ٩٩٠ نسمة . يملك اليهود فيها ١٨٩ دونماً من مجموع أراضيها البالغ مساحتها ١٤١٩٦ دونماً .

٨ و ٩ – بيت جَنّ وعين الأسد : تقعان شرقي البقيعة . بها (١٦٤٠) نسمة جميعهم من الدروز . زار « بيت جَنّ » السائح « استيفان شلز » عام ١٧٥٤ م وذكرها بأنها قرية كبيرة عامرة . سكانها يشتغلون بصنع الزقاق[3] من الجلود . قدر عدد هؤلاء السكان بـ (٢٦٠) نسمة من الذكور وكلهم من الدروز . وأطنب في وصف لذة عنبها وكبر عنقوده الذي يزن عشر ليبرات او

---

١ – بلدانية فلسطين العربية ص ٥١ .

٢ – نفس المصدر ص ٥٠ .

٣ – الزقاق : جمع زق . وهو جلد يجز ولا ينتف . يستعمل لحمل الماء . والزقاق من يعمل الزق .

اثنتي عشرة [1] .

١٠ – تَرْبيخا : من جبل عامل وبعضهم يكتبها « طيربيخا » . طير بلفظ الذي يطير . و « بيخا » بالباء الموحدة المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والخاء المعجمة والألف . بها ١٠٠٠ نسمة . مساحتها ١١٢ دونماً ، وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود على بقعة هذه القرية العربية مستعمرة « شوميرا – Shomeyra » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٢٧) يهودياً .

١١ – ترشيحا : بلدة جبلية . تقع في الشمال الشرقي من عكا وعلى مسيرة ٢٨ كم منها . بها (٣٨٣٠) نسمة . وهي بذلك أولى قرى قضاء عكا سكاناً .

وفي كانون الثاني من عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتهم « M'ona – معونا » على أرض هذه القرية العربية . بلغ عدد سكان المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠ (٥١٦) يهودياً .

وتقع قلعة « جِدّين – Judyn » للجنوب الغربي من ترشيحا ، وعلى مسيرة ساعة للماشي . وهي قلعة كان الفرسان التوتون ، وهم صليبيون ، قد بنوها . ولما مرّ بها سائح صليبي في عام ١٢٨٤ م قل إنها خراب . ولما حارب الشيخ ظاهر العُمَر ، في القرن الثامن عشر ، أحمد الحسين صاحب جدين وانتصر عليه أمر بإعادة بناء قلعتها وحصونها .

وقد ذكرت « الوقائع الفلسطينية » « جِدّين » بأنها تحتوي على « قلعة ونحت في الصخور وخندق ، وأساسات جدران قديمة . وقطعة أرض مرصوفة بالفسيفساء » .

ومساحة أراضي خربة جدين تبلغ٧٥٨٧ دونماً يملك اليهود منها ٣٣٤٩ دونماً.

١٢ – تَمْرَة : على مسيرة نحو ٢٣ كم من حيفا . أقيمت على ٢٠٦ دونمات . بها ١٨٣٠ نسمة .

١٣ – جتّ : قرية صغيرة . أقيمت على بقعة مساحتها ٢٩ دونماً . بها

---

١ – يوميات في لبنان . ١٨٨/١ – ١٨٩ . ادوارد روبنصون . تعريب اسد شيخاني . بيروت ١٩٤٩ .

٢٠٠ نسمة .

١٤ — الجُدَيْدَة : قرية صغيرة . أقيمت على بقعة مساحتها ٣٩ دونماً بها ٢٨٠ نسمة .

١٥ — جُوِلس : للشرق من عكا ، وعلى بعد نحو ١٢كم منها. بها ٨٢٠ نسمة.

١٦ — الدامون : اقيمت على ١٢٢ دونماً . بها (١٣١٠) نفوس . يملك اليهود ٦٨٧ دونماً من أراضيها البالغ مساحتها ٢٠٣٥٧ دونماً . مرّ بالدامون الرحالة ناصر خسرو المار ذكره وقال انه زار فيها المشهد المعروف بقبر ذي الكفل[1] .

١٧ — دير الأسد : بها ١١٠٠ نسمة .

١٨ — دير حنا : بها ٧٥٠ نسمة .

١٩ و ٢٠ — دير القاسي والمنصورة : بها ١٢٥٠ نسمة . وفي أيار من عام ١٩٤٩ أقام المغتصبون مستعمرة « علكوش Elgosh' » على بقعة دير القاسي . كان في هذه المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٥٠) يهودياً .

٢١ — الرّامة : بلدة جبلية للشمال الشرقي من عكا ، في منتصف الطريق بينها وبين صفد . مساحتها ٥٣ دونماً . بها ١٦٩٠ نسمة.

٢٢ — الرُّوَيس : بها ٣٣٠ شخصاً .

٢٣ و ٢٤ — الزّيب والمَنَوات : على الساحل وعلى مسيرة (١٧) كم من عكا . بها (١٩١٠) نفوس . وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتهم (ساهال — Sahal » على بقعة الزيب العربية . كان فيها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٨٨) يهودياً .

٢٥ — سَجُور : بها ٣٥٠ نسمة .

٢٦ — سُخنِين : مساحتها ١٣٥ دونماً . بها ١١٣٠ نسمة . وفي صيف عام ١٩٤٩ أقام اليهود في أراضي هذه القرية مستعمرة « حوسن — Hosen » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ « ١٤٨ » يهودياً .

---

١ — بلدانية فلسطين العربية ص ٥٢ .

٢٧ – سَخْنين : تقدم ذكرها . أقيمت على بقعـــة أرض مساحتها ١٦٩ دونماً .

٢٨ –السُّمَيريَّة : بها ٧٦٠ نسمة . تقع على بعد خمسة كيلومترات للشمال من عكا .

٢٩ – شَعَب : أقيمت على بقعة مساحتها ٢٣١ دونماً . وهي بذلك أكبر قرية في القضاء . بها ١٧٤٠ نسمة .

٣٠ و ٣١ « الشيخ داود و « الشيخ دَنُّون » : بها ٥٥٠ نسمة .

٣٢ – عَرّابة : ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٩٢/٣) بقوله : « بفتح أوله وتشديد ثانيه . عرابة طِـبي . من أعمال عكا بالساحل الشامي . ينسب اليها أبو علي المقدام بن ثُعل بن المقــدام الكناني العرابي ثم المصري . ولد بعرابة طَـبي . وسكن مصر وروى الحديث . ولد سنة ٥١٥ . وكان رجلا صالحاً » .

وتعرف هذه القرية اليوم باسم « عرّابة البطّوف » نسبة الي سهلها وتميـيزاً لها عن « عرابة جنين » . مساحتها ١٤٠ دونماً . بها ١٨٠٠ نسمة .

٣٣ – عَمْقا : بها ١٢٤٠ نسمة . وفي عـام ١٩٤٩ م أقام اليهـــود عليها مستعمرتهم ، دعوها باسم القرية العربيـــة « Amqa' » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٤٣٨) يهودياً .

٣٤ – الغابِسيَّة : بها ٦٩٠ نسمة .

(٣٥) فَسُّوطة : بها ١٠٥٠ نسمة .

(٣٦) الكابري : بها ١٥٣٠ نسمة .

(٣٧) كابول : مساحتها ٥٦ دونماً . بها ٥٦٠ نسمة .

(٣٨) كِسْرا : بها ٤٨٠ نسمة .

(٣٩) كفرسُمَيْع : بها ٣٠٠ نسمة .

(٤٠) كفرعِنان : بها ٣٦٠ نسمة .

(٤١) كفرياسيف : للشمال الشرقي من عكا وعلى مسيرة ١١ كم منها. مساحتها ٧٥ دونماً بها ١٤٠٠ نسمة .

(٤٢) كُوَيكات : بها ١٠٥٠ نسمة .

(٤٣) مجد الكروم : شرقي عكا وعلى بعد ١٨ كم منها . بها ١٤٠٠ نسمة .

(٤٤) المزرعة : شمالي عكا وعلى مسيرة ٩ كم منها . بها ٤٣٠ نسمة .

(٤٥) المِعَار : بها ٧٧٠ نسمة .

(٤٦) مِعِليا : للشمال من ترشيحا بها ٩٠٠ نسمة . وفي هـــذه القرية بقايا حصن صليبي . ذكرها ياقوت ٥/١٥٨ [مَعَليا : بالفتح ثم السكون ، وبعـــد اللام ياء تحتها نقطتان . من نواحي الأردن بالشام] .

وقـــال عنها الدمشقي : « قلعة مليحة جبليـــة حصينة » — بلدانية فلسطين العربية ٢٢١ — .

(٤٧) المَكْر : يملك اليهود ٩٦دونماً من أراضيها البالغ مساحتها ٨٧٩١ دونماً.

(٤٨) المنشيَّة : تقع في جوار عكا . بها ١٠٨٠ نسمة : بينهم ٢٧٠ يهودياً . ولليهود (١٨٩٥) دونماً من أراضي المنشيه البالغ مساحتها ١٤٨٨٦ دونماً .

(٤٩) نَحَف : بها ١٣٢٠ نسمة .

(٥٠) النَّهر : بها ٦١٠ أشخاص .

(٥١) يانوح : بها ٤١٠ نفوس .

(٥٢) يِركا : للشمال الشرقي من عـــكا ، وعلى بعد نحو ١٤ كم منها . بهـــا ١٥٠٠ نسمة .

وعشائر قضاء عـــكا يعدون (٥٦٠) نسمة ويعرفون بالأسماء الآتية : عرب السواعد[1] وعرب الطوقيـــة[2] وعرب العرامشة[3] وعرب المُرَيسات وعرب

---

١ و ٢ — من زبيد من القحطانية ولهم أبناء عم في العراق .

إن قسماً حسناً من قبائل شمالي فلسطين يعود بنسبه الى العشائر الزبيدية وهي من القحطانية؛ منتشرة اليوم في الشام وفلسطين ومصر وبعض انحاء الجزيرة العربية . ومن زبيد « بضم الزاي » عمرو بن معدي كرب ، من شعراء الجاهلية . أدرك الإسلام فاسلم. وفي حصار نهاوند ، من اعمال فارس ، توفي عام ٢١ هـ : ٦٤١ م .

ومن زبيد تفرعت فروع كثيرة نذكر منها ما له علاقة بفلسطين :

أولاً — البوشعبان أو الأوشعبان؛المنتشرة في سوريا(وخاصة في ناحية الرقة) وفي العراق.=

القُلَيْطات[1] وعرب الصُوَيْطات وعـــرب السَّمْنيَّة وعرب الحُجَيْرات — ويذكرون انهم من عرب اللجا بسورية — ومنهم شتيت استقر في قرى كفرمندة وصفورية ورمانه من اعمال الناصرة .

المستعمرات اليهودية في فلسطين

بدأ اليهود في النصف الثاني من القرن التـاسع عشر بتأسيس مستعمراتهم في فلسطين . واحصاءاتهم تذكر انه كان لهم في عام ١٨٨٢ م خمس مستعمرات تضم (٥٠٠) يهـــودي . وفي عام ١٩٠٠ م بلغ عددها « ٢٢ » بها (٥٢١٠) نفوس . وفي عام ١٩١٤ كان عدد هذه المستعمرات ٤٧ توزع كما يلي :

٢٢ مستعمرة في السهل الساحلي .
٠١ » في مرج بني عامر .
٠٦ » في الغور .
٠٥ » في الجليل الشمالي بما فيه حوض الحولة .

= الا أن كثرتها في سورية . واليها تنتسب عائلة (أبو شعبان) في غزة.

ثانياً — الجبور : المنتشرون في سوريا الشمالية والعراق. ومن الجبور « اللهيب » الآتي ذكرهم و (الشرابيون) وهي عشيرة كبيرة وقديمة تقيم في شمالي سوريـة على ضفاف الخابور الأعلى . والى هذه العشيرة تنتسب عائلة (الشرابي) في نابلس وغيرها من المدن الفلسطينية .

ثالثاً — العَزّة : وهم منتشرون في العراق ومصر وفلسطين . والفلسطينيون منهم نزحوا من العراق الى مصر ومن هذه نزلوا جبال الخليل . فكانت « بيت جبرين » مركزهم . ثم انتشروا في مدينة الخليل وفي قرى « عجور » و « تل الصافي » . ومنهم جماعة استقرت في يافا .

وغيرها من الفروع والعائلات الزبيدية التي سنذكرها في محلها .

٣ — يذكرون انهم يعودون بأصلهم الى « اللهيب » . ولهم أبناء عم في جبل عامل وعكار وغيرها من مناطق الجمهورية اللبنانية . واشتهر « اللهيب » بفروسيتهم وكثرة غاراتهم . يقضي العرامشة الشتاء في قضاء عـــكا وجنوب لبنان ومنهم من ينزل ضفاف الحولة وقرب جسر بنات يعقوب . وفي الصيف ينزلون شمالي صفد وشرقها . و « الهيب » بطن من الجبور من القحطانية ولهم أبناء عم في الجولان وشمال سوريـــة والعراق . وجميعهم يعودون بأصلهم الى « الهيب » العراقية .

١ — القليطات : أبناء عم « الحويطات » كما يذكرون .

٠٧ مستعمرة في السهل الجنوبي .
٠٢ « « جبال القدس .
٠٤ « « منطقة الكرمل. (ناحية زكرون يعقوب).

٤٧ بها ١١،٩٩٠ يهودياً . وإذا أُضيف اليهم ٧٣،٠١٠ كانوا يقيمون في المدن يبلغ مجموع اليهود من سكان البلاد في عام ١٩١٤ (٨٥،٠٠٠) يهودي [١] .

واما مستعمراتهم التي أقاموها في مختلف المناطق الفلسطينية ، في عهد التسلط البريطاني الغدّار القتّال، فقد أُقيمت بعد أن استعملت القوات البريطانية نارها ضد العرب الذين امتنعوا عن تسليم أراضيهم التي باعها مالكوها الاقطاعيون — ومعظمهم عرب غير فلسطينيين — لليهود . فقتلت الكثيرين منهم بعد أن أحرقت أخصاصهم وأكواخهم وهدمت منازلهم وبيوتهم وأتلفت مؤنهم ومزروعاتهم وشردتهم عن قراهم وسلمتها لليهود .

والمستعمرات اليهودية هي قلاع حصينة أكثر مما هي مستعمرات زراعية ، حصنها أصحابها للدفاع فزودوها بآلات الحرب والدمار المختلفة ، كما أقاموا فيها المخازن المتعددة لحفظ المؤن والأغذية لتكفي أهل المستعمرة مدة طويلة في حالة حصارها . فهي طليعة جيش يدافع عن مواقعه ريثما ترده النجدات .

المستعمرات اليهودية في قضاء عكا :

أسس اليهود مستعمراتهم في هذا القضاء في العهد البريطاني الظالم . فأنشئت أول مستعمرة لهم في نهاية عام ١٩٣٤ م . وهذه المستعمرات هي :

(١) نهاريّا — Nahariya : أكبر القواعد اليهودية في قضاء عكا . تقع على الساحل وعلى بعد ١٠ كيلومترات من عكا ، كما تبعد عن ترشيحا بنحو ١٨ كم . تأسست في نهاية عام ١٩٣٤ . كان بها ١٤٤٠ نسمة بلغوا (٥٠٠٠) يهودي في

---

١ — Statistical Abstract Of Palestine : 1944 - 1945 ص ٢٣٤ . وهي بالأصل منقولة عن دائرة احصاء الوكالة اليهودية لفلسطين .

نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢) **حانيتا** – Hanita : تقع على الحدود الفلسطينية – اللبنانية ، مقابل قرية « علما الشعب » من أعمال صور . تأسست عام ١٩٣٨ . بها ٢٤٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا (٢٠٠) يهودي .

(٣) **عيلون** – Eilon : تقع في الجنوب الشرقي من حانيتا . تأسست عام ١٩٣٨ . بها (٢٧٠) يهودياً بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ م (٤٦٠) .

(٤) **شفي زيون** – Shavei - Tsion : تقع على البحر جنوبي نهاريا . أنشئت عام ١٩٣٨ . بها ٢٣٠ نسمة . بلغوا «٢٩٩» يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥) **عين هاميفراس** – Ein - Hamifras : تأسست عام ١٩٣٨. في ظاهر عكا الجنوبي الشرقي . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٠٦) يهود .

(٦) **جشرهازيب** – Gesher - Haziv : تأسست عام ١٩٣٩ م . كان بها في نهاية عام (١٩٥٠) ٢٤٤ يهودياً .

(٧) **ماتسوفا** – Matsuva : تأسست عام ١٩٤٠ ، بالقرب من الحدود اللبنانية وللجنوب الشرقي من قرية « البَصَّة » كان بها ١٥٠ نسمة بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ « ٢٥٢ » يهودياً .

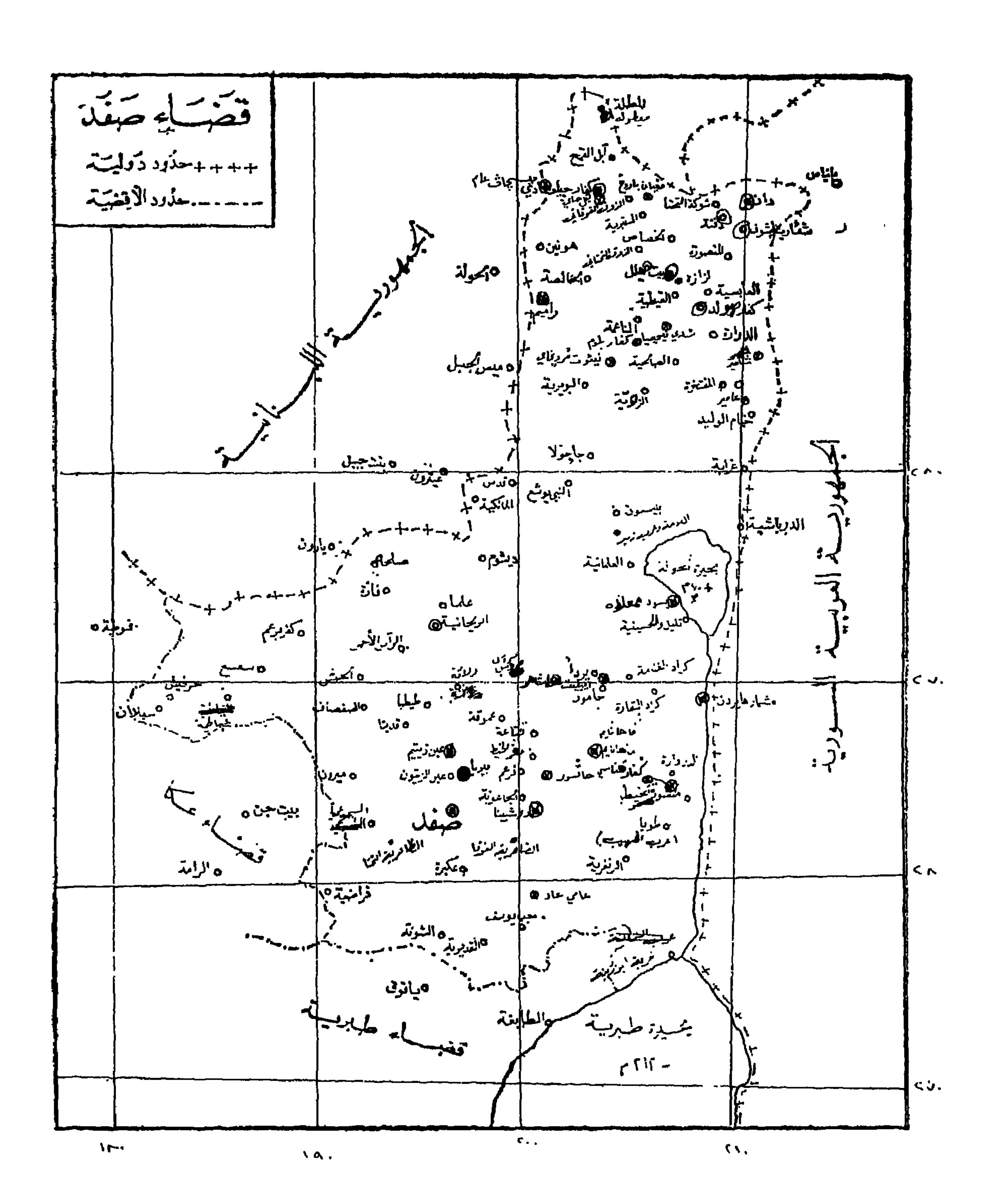
(٨) **عبرون** – 'Evron : تأسست في اواخر عام ١٩٤٥ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٤١٢) يهودياً . وتقع في جنوب « نهاريّا » .

(٩) **رجبا** – Regba : تأسست في صيف عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٤٣) يهودياً .

(١٠) **يحعام** – Yhi'am : تقع جنوبي « جعتون » . تأسست عام ١٩٤٦م . بلغ عدد ساكنيها في نهاية عام ١٩٥٠ م (١٥٠) يهودياً .

٢ – قضاء صفد :

مساحته ٦٩٦ كم٢ . يملك اليهود منها ١٢١٫٥ كم٢ . أي بنسبة . ١٧٫٤٪ من مجموع مساحة القضاء . يقطنه (٥٣٬٦٢٠) نسمة يوزعون كما يلي :



قضاء صفد
+ + + + حدود دولية
ـ ـ ـ ـ حدود الأقضية
الجمهورية اللبنانية
الجمهورية العربية السورية
قضاء طبرية
بحيرة طبرية
بحيرة الحولة
صفد
بانياس
الخالصة
المطلة
هونين
ميس الجبل
قدس
المالكية
صلحة
فارة
علما
الريحانية
الرأس الأحمر
الجش
سعسع
كفربرعم
طيطبا
عين الزيتون
ميرون
بيت جن
الرامة
عكبرة
فراضية
الطابغة
الدرباشية
الناعمة
الملاحة
غرابة
ياقوق
١٣٠
١٥٠
٢٠٠
٢١٠

مسلمون : ٤٤،٥١٠

مسيحيون : ١،٦٣٠

يهود : ٦،٧٠٠ أي نحو ١٢،٥٪ من مجموع السكان

آخرون : ٧٨٠

المجموع : ٥٣،٦٢٠ نسمة .

ويضم مدينة صفد و ٦٧ قرية ، وعشائر متعددة ذكرت في محلها ، و ٢٥ مستعمرة . وجميع قضاء صفد اليوم تحت حكم المغتصبين .

مدينة صفد : مساحتها ١٤٢٩ دونماً وبلغ عدد سكانها ١١،٩٣٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون : ٩،١٠٠

مسيحيون : ٤٣٠

يهود : ٢،٤٠٠

المجموع : ١١،٩٣٠ نسمة .

وفي ١٠ أيار من عام ١٩٤٨ م تمكن اليهود من الاستيلاء على صفد . وذكرت مصادرهم أن عدد سكان هذه المدينة بلغ ، في نهاية عام ١٩٥٠ ، (٥٥٠٠) نسمة جميعهم من اليهود .

عرفت صفد بمناظرها الجميلة وهوائها الطيب . قسم منها أقيم على جبل كنعان . ترتفع ٢٧٥٠ قدماً : ٨٣٨ متراً عن سطح البحر . وقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٣/٤١٢) إنها من أعمال جبل عاملة .

وتبعد صفد عن الأماكن الآتية ، بما ذكر بجانبها من كيلومترات :

طبرية : ٣٧

جسر بنات يعقوب : ٢٢

مستعمرة نهاريا : ٥٤ عن طريق ترشيحا

مستعمرة يَسُّود َهمَّعْلَه : ٢١

العفوله : ٧٢ عن طريق المغار

عكا	: ٥٤
الناصرة	: ٦١ عن طريق المغار
القدس	: ١٩٩ عن طريق كفرطابور
القدس	: ٢٠٨ عن طريق طبرية .

قرى قضاء صفد :

(١) آبل القمح : بها ٣٣٠ نسمة . وهي في الواقع من أعمال جبل عامل . تقع على رابية تشرف على ما جاورها . ويحيط بها سهل مياهه وفيرة وأرضه خصبة .

(٢) بِيْرِيّا : بها ٢٤٠ نسمة .

(٣) البُوَيْزِيّة والميس : ٥١٠ أنفس .

(٤) بَيْسَمُون : بها ٢٠ نسمة . مساحة اراضيها « ٢١٠٢ » من الدونمات . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٥) تُليْل والحُسَيْنية : بها ٣٤٠ نسمة .

(٦) جاجولا : بها ٤٢٠ نسمة .

(٧) الجاعونة : بها ١١٥٠ نسمة . رابعة قرى القضاء سكاناً . أُقيمت على بقعة مساحتها ٤٣ دونماً .

(٨) جب يوسف : بها ١٧٠ نسمة .

(٩) الجِش : ذكرها «المقدسي» و «ياقوت» و « شيخ الربوة — الدمشقي» في مؤلفاتهم . وقالوا « إنها بلد بين صور وطبرية » . تقع للشمال الغربي من صفد وعلى مسيرة ١٠ كم منها . بها ١٠٩٠ نسمة مساحتها ٧١ دونماً .

(١٠) حُرفيش : بها ٨٣٠ نسمة .

(١١) الخالِصَة : مساحتها ٢٠ دونماً . بها « ١٨٤٠ » نسمة . تقع على بعد نحو ٤٠ كم من صفد . الأولى في قرى القضاء من حيث عدد السكان. لا يملك اليهود، في أراضيها البالغ مساحتها ١١٢٨٠ دونماً ، أي شيء .

سكان هذه القرية هم من قبيلة الغوارنة التي هاجرت منذ (١٥٠) عاماً من

بلدة ام الفحم من أعمال جنين ، ونزلوا « غور الحولة » فدعوا باسم « الغوارنة » وما لبثوا أن تمكنوا من تجفيف ١٥ الف دونم من أراضيها وبدأوا يستثمرونها . قال مؤلفا « ولاية بيروت – القسم الجنوبي » اللذان نقلنا عنهما ما تقدم : («لقد استعمل الحاج يوسف ابراهيم رئيس عشيرة الغوارنة المشهور بشدة ذكائه لساناً قاسياً قبل سنتين ونصف ضد شركة الحولة فقال : « ان بيهم وسرسق لا يقدران على القيام بعمليات زراعية جسيمة وفنية بهذه الدرجة ، وان غاية هؤلاء من تأليف الشركة واستحصال امتياز بها هي بيع الحولة وانحائها ، على حالتها الحاضرة للصهيونيين مقابل مبالغ كلية . ولهذا فإننا مضطرون للوقوف أمام هذه النيات المرتبطة مباشرة بحياة الوطن بمنافعنا المادية[1] ») .

أي شيخ يوسف !

لقد تمت نبوءتك في عام ١٩٣٤ ، بعد أن انتقل امتيازها الى أيد أخرى .

(١٢) الخصاص : بها ٥٣٠ نسمة .

(١٣) خِيام الوليد : بها ٢٨٠ نسمة .

(١٤) دَيْشُوم : بها ٥٩٠ نسمة أهلها مغاربة مهاجرون . ثانية قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي البالغ مساحتها (٢٣٠٤٤) دونماً . ولا يملك اليهود فيها شيئاً . ويقال لها « ديشوب » بالباء .

(١٥) الدَّرْبَاشِيَّة : بها ٣١٠ نفوس .

(١٦) الدَّردارة : بها ١٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ أقام اليهود مكانها مستعمرة دعوها باسم «عيال – 'Eyal» . كان بها في نهاية ١٩٥٠م (١٢٥)نسمة.

(١٧) الدَّوَّارَة : بها ٧٠٠ نسمة .

(١٨) دَلَّاتَه : بها ٣٦٠ نسمة .

(١٩) الذوق التحتاني : بها ١٠٥٠ نسمة . مساحة أراضيها ١١،٦٣٤ دونماً لليهود منها (١٦٠) دونماً . وأما الذوق الفوقاني ؛ فهو عبارة عن أراض زراعية

---

١ – ولاية بيروت – ١ – القسم الجنوبي ص٣٣٨ تأليف محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب . مطبعة الإقبال بيروت . ١٣٣٥ هـ : ١٩١٧ م .

مساحتها ١٨٣٢ دونماً لا يملك اليهود فيها أي دونم .

(٢٠) رأس الأحمر : بها ٦٢٠ نسمة . وفي حزيران من عام ١٩٤٩ م أقـام اليهود على بقعة هذه القرية العربية مستعمرتهم « هاهار – هاعادوم Hahar — Ha'adom » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٨٠) يهودياً .

(٢١) الرّيحانيه : بها ٢٩٠ نسمة . معظمهم من « الشركس » .

(٢٢) الزّوريّة : بها ٧٦٠ نسمة . أقيمت على مساحة قدرها ١٩٥ دونمـاً . وهي بذلك أكبر قرى القضاء .

(٢٣) زَنغَريّة : بها ٨٤٠ نسمة . مساحة أراضيها ٢٧٩١٨ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . أولى قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

(٢٤) السَّنَبريَّة : بها ١٣٠ نسمة .

(٢٥) سَبَلان : بها ٧٠ نسمة .

(٢٦) سَعسَع : بها ١١٣٠ نسمة . على مسيرة نحو ٢٠ كم من صفد . احتلها اليهود في ١٦ شباط من عام ١٩٤٨ ، بينما كان الحكم البريطاني قائماً . و « سعسع » أيضاً قرية من اعمال محافظة دمشق في سوريا .

(٢٧) السَّمُّوعي : بها ٣١٠ نفوس .

(٢٨) شوكة التحتا : بها ٢٠٠ نسمة .

(٢٩) الشُّونة : بها ١٧٠ نسمة .

(٣٠) الصالحية : بها ١٥٢٠ نسمة . ثالثـة قرى القضاء سكاناً . أقيمت على بقعة مساحتها ٩٤ دونماً .

(٣١) صفصاف : بها ٩١٠ نفوس .

(٣٢) صَلحَة أو « صلحا » : من أعمال جبل عامل بها ١٠٧٠ نسمة .

(٣٣) طيْطَبا : بها ٥٣٠ نسمة .

(٣٤) الظاهرية التحتا : بها ٣٥٠ نسمة . مساحة أراضيها ٦٧٧٣ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . وأمـا اراضي الظاهرية الفوقا (١٦٣٠٤ دونمات) فهي ملك لليهود .

(٣٥) ألعَابِسيَّة : بها ٨٣٠ نسمة .

(٣٦) العَزَّزيّات : (عشيرة[1]) ٣٩٠ نسمة .

(٣٧) عكَبْرَة : مساحتها ٦ دونمات بها ٣٩٠ نسمة .

(٣٨) عَلمَا [2] : كلمة «عَلما» ، من جذر «علم» سامي مشترك بمعنى الخفاء والستر . فيكون معنى الأسم «الخفيَّة» سميت بذلك لأنها « مخبأ » و « ملاذ » .

في قرية « علما » ٩٥٠ نسمة . مساحتها ١٤٧ دونماً . وهي بذلك ثانية قرى القضاء في كبرها ولا يملك اليهود أي دونم في أراضيها البالغ مساحتها ١٩٤٩٨ دونماً . وفي صيف عام ١٩٤٩ أنشأ اليهود مستعمرتهم « علما – Alma » على موقع سميتها العربية . كان في هذه المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠م ٣٠٠ يهودي .

(٣٩) العُلمانيَّة : بها ٢٦٠ نسمة مساحتها ٩ دونمات .

(٤٠) عَمُّوقة : بها ١٤٠ نسمة .

(٤١) عين الزيتون : بها ٨٢٠ نسمة .

(٤٢) غُرابَة : بها ٢٢٠ نسمة .

(٤٣) غَبَّاطِيَّة : بها ٦٠ نسمة .

(٤٤) فارة : بها ٣٢٠ نسمة .

(٤٥) فَرّاضيَّة : بها ٦٧٠ نسمة على بعد ١٧ كم من صفد . مساحة أراضيها ١٩٤٧٤٧) دونماً . ثالثة قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي . ليس لليهود فيها أي شبر. ذكر المقدسي » فراضية بقوله « الفرازية قرية كبيرة بها منبر . معدن الأعناب والكروم. بها ماء غزير وموضع نزه »[3] .

(٤٦) فِرْعِم : بها ٧٤٠ نسمة .

(٤٧) قَدَس : من أعمال جبل عامل . تقع للشمال الشرقي من المالكية . بها ٣٩٠ شخصاً . قيل إن « أبا تمام حبيب بن أوس الطائي ١٨٨ – ٢٣١ هـ : ٨٠٤ – ٨٤٦م » الشاعر واحد أمراء البيان ترك حَوْران بلده وسكن هذه

---

١ – لعلهم من « عززيات » سيناء ومصر .

٢ – « علما » أيضاً قرية من أعمال محافظة حوران في سورية .

٣ – أحسن التقاسيم : ١٦٧ .

القرية مدة .

(٤٨) قَدِّيتا : بها ٢٤٠ نسمة .

(٤٩) القَدْيرِيّة : بها ٣٩٠ نسمة .

(٥٠) قَيْطيَّة : بها ٩٤٠ نسمة .

(٥١) كبَّاعة : بها ٤٦٠ نسمة .

(٥٢) كِراد البَقَّارة : أو البَكَّارة. ٣٦٠ نسمة. واصل عرب البَكَّارة من حوران وغيرها من أنحاء الشام . وفي العراق جماعة منهم جميعهم يعودون بنسبهم الى « زُبَيْد » من العرب القحطانة المار ذكرها . ذكر العمري المتوفى عام ٧٤٨ هـ : ١٣٤٧ هذه القرية باسم « قرية البَقَّارِيّة » .

(٥٣) كِراد الغَنَّامة : بها (٣٥٠) نسمة. و « الغنامة » يرجعون بنسبهم الى « سبنس » من القحطانية ولهم أبناء عم في العراق وسورية .

(٥٤) كفر بِرْعِمْ : تقع في الجنوب من قرية « يارون » اللبنانية. من أعمال جبل عامل بها ٧١٠ نفوس وفي عام ١٩٥٠ أقام اليهود وكانها مستعمرتهم التي دعوها باسمها العربي (Kfar Pir'am) . كان بها في نهاية العام المذكور ٢٥٥ يهودياً .

(٥٥) لَزَّازَة : بها ٢٣٠ نسمة .

(٥٦) المالكيَّة : بها ٣٦٠ نسمة . من أعمال جبل عامل . وبالقرب منها تقع قرية « قَدَس » العريقة في قدمها .

(٥٧) مَرُوس : بها ٨٠ نسمة .

(٥٨) مُغر الخيط : ٤٩٠ نسمة .

(٥٩) المُفْتَخَرة : بها ٣٥٠ نسمة .

(٦٠) الملاّحة وعرب زُبيد : بها ٨٩٠ نسمة .

(٦١) المنصورة : بها ٣٦٠ نسمة. مساحتها (٥) دونمات أصغر قرى القضاء.

(٦٢) منصورة الخيط ؛ بها ٢٠٠ نسمة .

(٦٣) مِيرُون : بها ٢٩٠ نسمة . وعلى مسيرة ١٠ كم من صفد . ذكرها

الدمشقي بقوله : « ويجبل الزابود من أرض صفد قرية يقال لها (ميرون)[1]».
وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود مكانها مستعمرتهم التي تحمل نفس الاسم . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٢٩) يهودياً .

(٦٤) النّاعمة : بها ١٢٤٠ نسمة . مساحتها ١١٢ دونماً . ثالثة قرى القضاء في كبرها . وفي لبنان ايضاً قرية تحمل نفس الاسم تقع على الساحل على مسيرة ١٦ كم للجنوب من بيروت .

(٦٥) النبي يوشع : بها ٧٠ نسمة . وتقع هذة القرية شرقي قدس . وهي من أعمال جبل عامل . أُقيمت على جبل مشرف على الحولة . دُعيت باسمها هذا نسبة الى قبر فيها زعموا أنه ليوشع بن نون . وكان لهذه القرية موسم خاص يحتفلون به في نصف شعبان يجتمع فيه الألوف من القادمين من جبل عامل ومن جوارها .

وفي منطقة طرابلس ، في شمالي لبنان ، ايضاً قرية تحمل نفس الاسم : النبي يوشع .

(٦٦) هُونين : بها ١٦٢٠ نسمة. ثانية قرى القضاء في عدد سكانها . مساحتها ٨١ دونماً . ترتفع ٦٦٠ متراً عن سطح البحر .

حصن الصليبيون « هونين » وعرفت « Chastiau Neuf » بمعنى « القلعة الجديدة » . يشرف الحصن على سهول الحولة وجوارها . وذكرتها الوقائع الفلسطينية بقولها : (قلعة هونين : قلعة صليبية . وخندق منقور في الصخر . و « مسجد مهدم » .

وتعتبر « هونين » وجبلها آخر « جبل عامل » من ناحية الحولة . ومسجد هذه القرية يُعد من أعظم مساجد جبل عامل . بني عام ١١٦٦ هـ ومأذنته سنة ١١٨٧ هـ[2] .

(٦٧) يَرْدا : بها عشرون نسمة .

---

١ – بلدانية فلسطين العربية ٢٢٦ .
٢ – خطط جبل عامل ١/١٤٤ للسيد محسن الأمين بيروت ١٩٦١ .

وعشائر قضاء صفد هي :

(١) عرب اللهيب ؛ ومنهم « الحمدون » . (٥٩٠) نسمة . وقد تقدم ذكر اللهيب في قضاء عكا .

(٢) عرب الشمالنه ؛ وتضم خربة أبو زينة – بما فيها البُطَيْحَة – ٦٥٠ نسمة. ويسمون ايضاً « بني عمرو » وهم من « عرب السلوط» في اللجاة. ويروى ان أصل هؤلاء العرب من « زبيد » .

(٣) العشائر الآتية ؛ وقد بلغ مقدار جميعها ٨٢٠ نسمة :

(أ) عـــرب كَعْوَش ، وهم من « آل فضل » الذين يرأسهم اليـــوم في « الجَوْلان » آل الفاعور[1] .

(ب) عرب السُيَّاد : فرع من « نعيم »[2] الجولان ووادي العجم .

(ج) عرب الصيّادة ؛ من أقرباء صيادة اللجاو محافظة دمشق . عدهم البعض من قبيلة«النعيم» المار ذكرها وذكر آخرون أنهم من «بني عمرو» ، من «السلوط» أشهر قبائل اللجا ومنطقته المسمية .

(د) عرب المحمدات ؛ ويعودون بأصلهم الى عشائر الجولان الملتفة حـــول الأمراء آل الفاعور .

وعرب الحمّام[3] والسُوَّاد وغيرهم .

---

١ – يعود (آل الفاعور) بنسبهم الى « آل ربيعة » وهم بطن من طيء من القحطانيــة . وكان « ربيعة » هذا قد نشأ في أيام « أتابك الزنكي » وابنـــه « العادل نور الدين : ٥١١ – ٥٦٩ ه : ١١١٨ – ١١٧٤م » صاحب الشام ونبغ بين العرب، وولده أربعة منهم «فضل». ومن أحفاد فضل هذا، فضلاً عن آل الفاعور، آل أبي ريشة امراء عشيرة الموالي، وآل طوقان وآل الحياري وآل العابد وغـــيرهم في سوريا وفلسطين والأردن . واما « آل شما » – بفتح الشين وتشديد الميم – فهم من « آل مرا » أخي الفضل بن ربيعة .

وقد أبلى آل فضل بقيادة زعيمهم « مهنا » بلاء حسناً في معركة « عـــين جالود » بغور بيسان عام ٦٥٨ ه ؛ ١٢٦٠ م .

٢ – السياد ؛ فرع من نعيم الجولان . والنعيم عشيرة كبيرة كثيرة الفروع والمنازل في مختلف المحافظات السورية . ويذكرون أنهم أشراف من السادة الهاشميين .

٣ – يعودون بنسبهم الى « سبنس » من « طيء » من القحطانية .

المستعمرات اليهودية في قضاء صفد:

في هذا القضاء (٢٥) مستعمرة . ست منها تأسست في العهد العثماني . وهي:

(١) روشبينا – Rosh - Pina : تقع في ظاهر قرية « الجاعونة » العربية، وعلى مسيرة ١١ كم من صفد . تأسست في نهاية عام ١٨٨٢ م بها ٣٤٠ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا (١٥٨٧) يهودياً .

(٢) يَسُّود هَمَّعْلَة: Yasud Hama'ala : تقع على ساحل بحيرة الحولة، للشمال من قرية « تُلَيْل » أقيمت عام ١٨٨٣ . بها ٢٥٠ يهودياً . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٣٥) .

(٣) مِشْمار هايَرْدِن – Mishmar,Hayardeyn : تقع عند «جسر بنات يعقوب» ، على بعد ميل واحد جنوبي بحيرة الحولة . أقيمت عام ١٨٩٠ م . كان بها ١٣٠ يهودياً وفي نهاية عام ١٩٥٠ م كانوا (٤٦) يهودياً .

ومما هو جدير بالذكر انه في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ تمكن الجيش السوري من احتلال هذه المستعمرة التي كانت تعتبر أقوى حصون اليهود في تلك المنطقة. ولقد حاول اليهود استردادها ولكن دون جدوى . وقد أُخليت فيما بعد بموجب اتفاقية الهدنة الموقعة في ١٩٤٩/٧/٢٠ .

(٤) المطلة – Metulla : بلفظ اسم الفاعل من أطل . من أعمال جبل عامل . تقع على الحدود الفلسطينية – اللبنانية ، وعلى بعد ٥٠ كم من صفد . تعلو عن سطح البحر ٥٠٠ متر . كانت قرية عربية. ولما زارها ادواروو بنصون في القرن الماضي ، قال إن سكانها من الدروز [١] .

تأسست هذه المستعمرة عام ١٨٩٦ م . بها ٢٢٠ يهودياً بلغوا (٢٦٠) في عام ١٩٥٠ .

(٥) كفار جلعادي – Kafar gil'adi : تقع جنوبي المطلة . وتعرف أيضاً باسم « تل حي » التي تلفظ أحياناً بكلمة (طَلْحة » بصيغة اسم الرجل انشئت عام ١٩١٦ م بها (٨٥٠) يهودياً بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ م (٨٥٤).

---

١ – يوميات في لبنان : ٢٢٨/١ – ٢٢٩ .

(٦) إيلت هشحره – Aiylet hash shahar : تأسست في ١٩١٨/٦/٣٠ تقع في الشمال الشرقي من (تل حاصور) . بها ٥٢٠ نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٤٧) .

واما المستعمرات الـ « ١٩ » الآتية فقد انشئت في عهد الحكم البريطاني المشئوم :

(٧) دان Dan : أقيمت على القرية المعروفة باسم « خان الدوير » في عام ١٩٣٩ . بها (٢٦٠) نسمة بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ م (٤٠٥) أشخاص. كان في قرية « خان الدوير » في شباط عام ١٩٣٨ (١٥٥) عربياً .

(٨) دَفنه – Dafna : أقيمت على بقعة قرية « دَفنَه » العربية التي كانت تضم ٣٦٢ عربياً في عام ١٩٣٨ . تأسست هذه المستعمرة في عام ١٩٣٩م، في ظاهر « دان » الجنوبي الغربي . بها ٣١٩ شخصاً بلغوا في عام ١٩٥٠ م (٩٤:) نسمة .

ولما زار قرية « دفنه » ادواردو نبصون الأمريكي في عام ١٨٣٨ م رأى فيها أشجاراً من الرمان والتين والنخل والبرتقال. ووصف أراضيها أنها تزدهر بحقول القمح ومرصعة بأشجار السنديان وغيرها من الأشجار . وعلى مسافة خمس دقائق جنوبي دفنة شجرة ملثوم كبيرة أو سنديان أحمر ، تؤنس أغصانها أعشاش العصافير (١) .

(٩) عامر – Amir : تأسست عام ١٩٣٩ . بها ٢٤٠ شخصاً بلغوا في عام ١٩٥٠ (٤٠٣) أنفس .

(١٠) ماهانايم – Mahanayim : تأسست عام ١٩٣٩ . بها ١١٠ أنفس بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٩٧) يهودياً .

(١١ بيت هيلل – Beit Hillel : تأسست عام ١٩٤٠ في جنوبي دان . بها ١٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كانوا (١٠٥) أنفس .

(١٢) شعار ياشوف – She - ar yashav : تأسست عام ١٩٤٠ . بها ١٠٠

– يوميات في لبنان الجزء الثاني ص ٢٦ ترجمها أسد شيخاني .

نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٤٢) يهودياً .

(١٣) كفارنحميا Kefar Nehemya ثم دعيت باسم « Sede Nehemya »
انشئت عام ١٩٤٠. بها ١٦٠ يهودياً.بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٠٩)أشخاص.

(١٤) كفار زولد – Kefar Szold :تقع على الحدود السورية–الفلسطينية.
تأسست عام ١٩٤٢ . بها ٢٩٠ يهودياً بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ م (٤١٤) .

(١٥) كفاربلوم – Kefar Blum : تأسست عام ١٩٤٣ . كان بها في نهاية
عام ١٩٥٠ (٥٥٧) يهودياً .

(١٦) شامير – Shamir : تأسست عام ١٩٤٤. كان بها في نهاية عام١٩٥٠
(٣٣٤)) يهودياً .

(١٧) بيريا – Birya : تأسست عام ١٩٤٥ في ظاهر صفد الشمالي . كان بها
في نهاية عام ١٩٥٠ (١٩٠) يهودياً .

(١٨) مسكاب عام – Misgav - 'am: تأسست في أواخر عام ١٩٤٥، على
الحدود اللبنانية أمام قرية « الطيبة » من أعمال مرجعيون . كان بها في نهاية
عام ١٩٥٠ (١٠٤) أشخاص .

(١٩)عين زيتيم – Ein - Zaytim : تأسست عام ١٩٤٦ في شمالي صفد .بها
في نهاية ١٩٥٠ ، (٨٤) يهودياً .

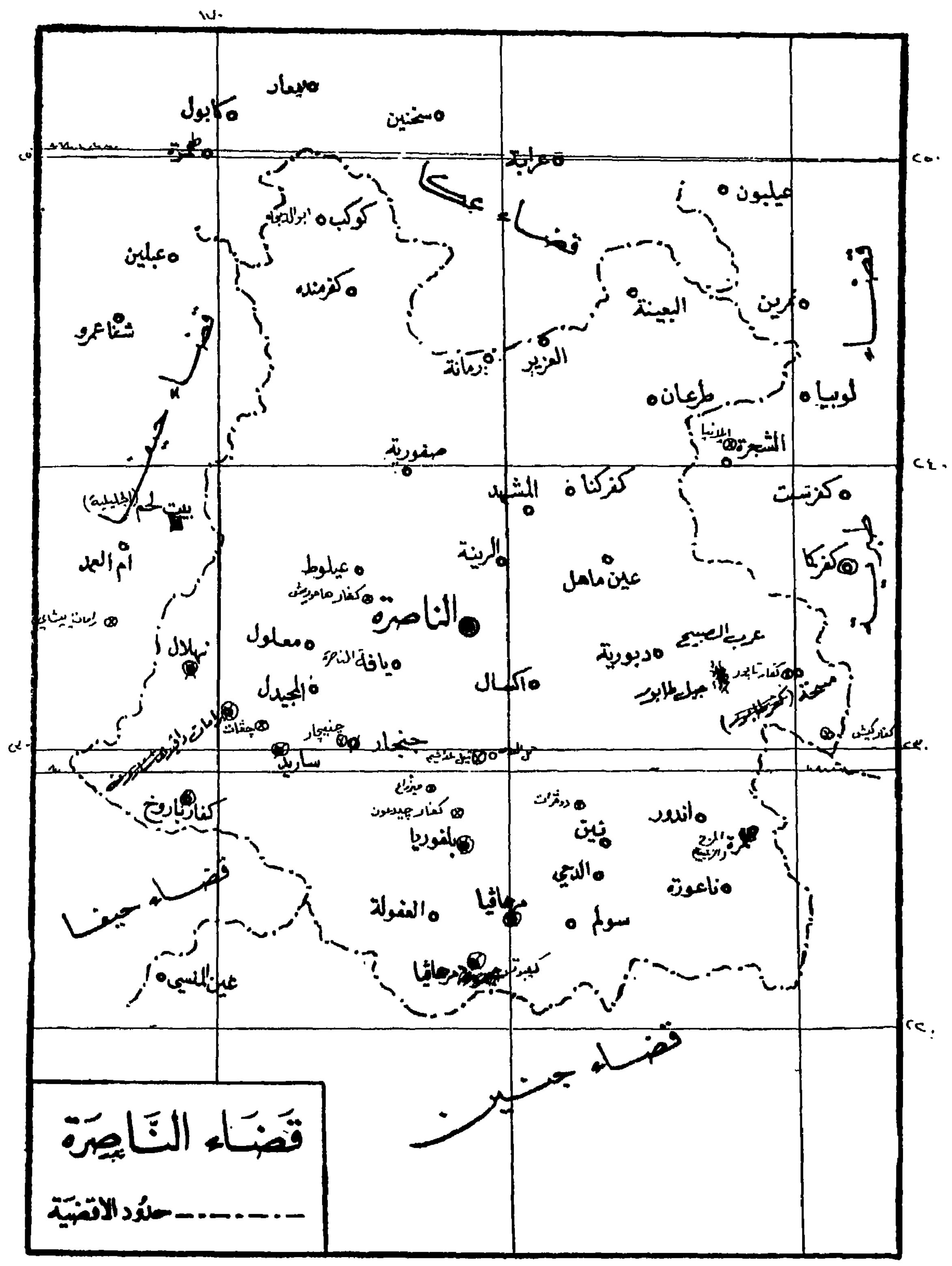
(٢٠) عاميعاد – Ami'ad : تأسست عام ١٩٤٦ م . كان بها في نهاية١٩٥٠
(١١٨) يهودياً .

(٢١) راميم – Ramim : تأسست عام ١٩٤٦ . تقع أمام قريتي « شقرا »
و « الحولة » اللبنانيتين . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٧٢) يهودياً .

(٢٢) نعوت موردخاي – N'ot - Mordkhai : تأسست في سهول الحولة
في أواخر عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٨٤) نسمة .

(٢٣) حاصور – Hasor : قيمت في أيار من عام ١٩٤٧ . كان بها في عام
١٩٥٠ (٣٤٨) يهودياً .

(٢٤) معيان باروخ – Ma'yan Barukh : تأسست عام ١٩٤٧ بالقرب من



قضاء الناصرة
حدود الاقضية
قضاء عكا
قضاء حيفا
قضاء جنين
كابول
سخنين
طمرة
عرابة
عيلبون
كوكب
كفرمنده
عبلين
شفاعمرو
البعينة
العزير
رمانة
لوبيا
طرعان
الشجرة
صفورية
كفركنا
المشهد
بيت لحم (الجليلية)
ام العمد
الرينة
عيلوط
عين ماهل
الناصرة
معلول
يافة الناصرة
نهلال
عرب الصبيح
دبورية
اكسال
المجيدل
جبل طابور
جنجار
ساريد
كفار باروخ
اندور
نين
الدحي
ناعورة
سولم
العفولة
بلفوريا
مرحافيا
عين المنسي

الحدود السورية . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٦١) يهودياً .

(٢٥) كفار هاناسي — Kfar - Hanasi : تأسست في شباط من عام١٩٤٨ في الشرق من مستعمرة (روشبينا) المار ذكرها، على بقعة قرية المنصورة . كان بها ٢٢٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

٣ — قضاء الناصرة :

مساحته ٤٩٧٫٥ كم٢ . يملك اليهود منها ١٣٧٫٣ كم٢ . أي بنسبة ٢٧٫٦٪ من مجموع مساحة القضاء . بلغ عدد السكان (٤٦٬١٠٠) نسمة يوزعون كما يلي :

المسلمون : ٢٧٬٤٥٠
المسيحيون : ١١٬٠٤٠
اليهود : ٧٬٦٠٠ أي نحو ١٦٫٤٪ من مجموع السكان
المجموع : ٤٦٬٠٠٠ نسمة .

ويضم هذا القضاء مدينة الناصرة و ٢٣ قرية وعشيرة واحدة وشلبتا غيرها و ٢٢ مستعمرة يهودية .

الناصرة : ترتفع عن سطح البحر ٣٥٠ — ٤٥٠ متراً : ١١٤٨ — ١٤٧٦ قدماً . مساحتها ٤٩٨٨ دونماً بها ١٤٬٢٠٠ نسمة بينهم ٨٦٠٠ مسيحي و ٥٦٠٠ مسلم . وفي الناصرة كنائس وأديرة كثيرة تذكاراً للسيد المسيح الذي نشأ وقضى ٢٧ — ٢٨ عاماً من حياته فيها . وفيها آثار تاريخية مسيحية متعددة منها « عين العذراء » التي يقال إن الملاك بشّر سيدتنا مريم بالمسيح ، حينما كانت تستقي من هذه العين ثم أتمّ بشارته في البيت وغيرها .

ومن صناعات الناصرة النجارة وهي أقدم مهنة عرفت فيها،وصنع السكاكين ومناجل الحصاد وسكك الحاريث . كما اشتهرت نساؤها بشغل الإبرة .

وفي ١٦/٧/١٩٤٨ دخل الهيود الناصرة بعد أن انسحب منها جيش الإنقاذ !

وينسب اليها (محمد بن أبي بكر بن خضر بن موسى الشمس ، ابو عبدالله الناصري المعروف بابن الدّيري ٧٨٨ — ٨٦٢ ﻫ : ١٣٨٦ — ١٤٥٨ م ، ،

فاضل ، من فقهاء الشافعية . توفي ببلده وله تصانيف [1] .

وتبعد الناصرة عن المدن الآتية بما ذكر بجانبها من كيلومترات :

عـكا	: ٤٦ كم . عن طريق شفاعمرو .
بيسان	: ٤١ كم .
جنين	: ٣٣ « .
صفد	: ٦٩ « عن طريق طبرية .
شفاعمرو	: ٢١ « .
طبرية	: ٣٣ « .
طول كرم	: ٦٥ « عن طريق وادي عارة .
حيفا	: ٣٨ « .
نابلس	: ٧٥ « .
يافا	: ١١١ كم عن طريق الخضيرة .
القدس	: ١٤١ « « « جنين — نابلس .

قرى القضاء :

(١) إكسال : بها ١١١٠ نفوس .

(٢) إنْدُور : بها ٦٢٠ نسمة . وفي عـام ١٩٤٨ م أسس اليهود مستعمرتهم التي تحمل الاسم العربي على بقعة القرية . كان في المستعمرة في نهايـة عام ١٩٥٠ (٢٩٩) يهودياً .

(٣) البُعَيْنة : بها ٥٤٠ نسمة .يدخل في هذا الاحصاء عشيرة «الحجَيْدَات» . وأصلها من نجد .

(٤) تمرَة : بها ١٦٠ نسمة .

(٥) دَبُّوريّه : بها ١٢٩٠ نسمة . اقيمت على أرض مساحتها (٥٥) دونماً . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢/٤٣٧) بأنهـا « بليد قرب طبرية من أعمـال

١ — الأعلام الجزء السادس/٢٨٤ القاهرة ١٩٥٥ .

الأردن » .

(٦) الدّحي : بها ١١٠ نفوس .

(٧) رُمّانة : بها ٥٩٠ نسمة . أُقيمت على بقعة مساحتها خمسة دونمات . وهي بذلك أصغر قرية في القضاء . وفي ظاهرها يقيم شتيت من عرب «اللهيب» وقد مرّ ذكرهم .

(٨) الرّينة : في ظاهر الناصرة الشمالي وعلى مسيرة خمسة كيلومترات منها . بها «١٢٩٠» نسمة . ويدخل ضمن سكانها « عرب السّبّارجّة » وهم من « نعيم » الجَوْلان. أُقيمت الرينة على بقعة مساحتها (١٣٩) دونماً وهي بذلك اكبر قرى قضاء الناصرة .

(٩) سولم : بها ٤٧٠ نسمة .

(١٠) صَفّوريّة : فتحها العرب على يــد « شُرَحبيل بن حسَنة » . وفي أعلى مرتفعاتها قلعة ضخمة بعضها من بقايا برج صليبي والبعض الآخر أعيد بناؤه في القرن الثامن عشر . وقد استعمل الصفوريون هــذه القلعة ، بعد ترميمها ، مدرسة لأولادهم .

والأرجح ان « عين القسطل » الواقعة في جنوبي صفورية كانت المركز الذي تجمعت فيه الجيوش الأوروبية قبل معركة حطين عام ١٢٨٧ م .

وينسب الى صفورية :

(١) نبهان بن عبدالهادي الصفوري : عالم، فقيه. أخذ العلم عن علماء دمشق وكان من عباد الله الصالحين . توفي في صفورية عام ٩٢٥ هـ[١] .

(٢) ابراهيم الصفوري وقريبه الشيـخ عبد القادر زين الدين الصفوري . كانا من العلماء . توفيا في بلدهما في يوم واحد من عام ٩٣٩ هـ[٢] .

(٣) محمد بن عبدالرحمن الصفوري الشافعي : أخذ العـلم عن علماء عصره في

---

١ ــ الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة بيروت ١٩٤٥ : ١/٣١٠ .

٢ ــ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ٢/٨٢ و ١٧٦ لنجم الدين الغزي. (جونية– لبنان) ١٩٤٩ .

مصر والشام . كان من الفقهاء والخطباء وبيته بيت صلاح ودين . توفي في دمشق عام ٩٥٨ هـ[١] .

وظهر من احفاده « أحمد » وكان من شعراء عصره[٢] .

(٤) الحسن بن محمد بن محمـد بن حسن الصفوري البوريني بدر الدين ٩٦٣ — ١٠٢٤ هـ : ١٥٥٦ — ١٦١٠ م . مؤرخ من العلمـاء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق . ولد في صفورية وأخيراً انتقل مع والده الى دمشق فنشأ ومات بها . وأبوه ولد في « بورين » من أعمال نابلس فلزمته النسبة[٣] .

(٥) احمـد بن شمس الدين الصفوري المعروف بالبيضاوي . ولد في قريـته صفورية وقدم الى دمشق وهو في سن الكهولة وتوفي فيها عام ١٠٤٨ هـ : ذكره المحبي بقوله :«له ملكة في العلوم واطلاع زائد على علم التاريخ والوقائع . وكتب كتباً كثيرة بخطه[٤] » .

وتعود عائلة « العمري » في دمشق بنسبهم الى « صفورية » . وأول من قدم منهم دمشق هو الشيخ زين الدين عبد الهادي المتوفى فيها عام ٩٢٣ هـ . وقـد ظهر من هذه العائلة ، في دمشق ، علماء وصلحاء وشعراء[٥] .

وفي ١٦ تموز من عام ١٩٤٨ دخل « صفورية » اليهود بعـد أن قاوم سكانها أعداءهم مقاومة شديدة .

وتقع هذه البلدة في الشمال الغربي من الناصرة وعلى بعد نحو سبعة كيلومترات. وهي أهم قرى القضاء وأكثرها سكاناً . مساحة أراضيها ٥٥،٣٧٨ دونماً لا يملك اليهود منها شيئاً. وأقيمت « صفورية » على بقعة مساحتها (١٠٢) من الدونمات. بها (٤٣٣٠) نسمة .

---

١ — نفس المصدر ٤١ .

٢ — نفس المصدر ١٠٠ .

٣ — خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ٥١/٢ — ٥٩ .

٤ — نفس المصدر ٢١٧/١ .

٥ — سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : ١٢٣/١ لمحمد خليـل المرادي . دمشق لم يذكر تاريخ الطبع . وينتهي نسب عائلة « العمري » هذه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١١) طُرْعان : تقع في الشمال الشرقي من الناصرة وعلى بعد ٨ كم منهـا . مساحة أراضيها ٢٩٧٤٢ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً. ثانية قرى القضاء فيما تملكه من أراضي . بها ١٣٥٠ نسمة .

(١٢) العَزَيْر : بها ١٥٠ نسمة .

(١٣) عِيلوط : بها ١٣١٠ أشخاص ويضم هـذا العدد العشائر المجاورة : (١) عرب المزاريب : ويعودون بنسبهم الى « النعيم » (٢) عرب الجواميس ، ولهم أبناء عم في الجولان والبلقاء . ومن الجواميس جماعة تعرف باسم « عرب الحجاجرة » يقيمون في جوار « صفورية » المـار ذكرها . أقيمت عيلوط على بقعة مساحتها ٣٠ دونماً . ومساحة أراضيها تبلغ ١٧٥٥٧ دونمـاً لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(١٤) عين ماهل : ١٠٤٠ نسمة . بنيت على بقعة مساحتها ٣٥ دونمـاً . لا يملك اليهود في أراضيها أي شبر . ومساحة هذه الأراضي تبلغ ١٣٣٩٠ دونماً .

(١٥) كفركنـا : وهي « قانا الجليل » المذكورة في « الإنجيـل » . تقع في الشمال الشرقي من الناصرة وعلى بعد (٩) كم منها . بها ١٩٣٠ نسمة . وهي بذلك ثانية قرى القضاء بالسكان . مساحة أراضيها ١٩٤٥٠ دونماً ، جميعها ملك لأهل القرية . ثالثة قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

مَرّ بها « ناصر خسرو » المار ذكره وذكرها بقوله : « بجانب قرية كفركنا تل بنيت على قمته صومعة جميـلة ، بها قبر النبي يونس . وعليها باب متين بقربه بئر ، ماؤها عذب » . وذكرها ياقوت أنها بلد في فلسطين ؛ والدمشقي أنهـا قرية كبيرة ومن أعمال البطـّوف ويسمى مرج الغَرَق » .

ينسب إليها عبدالله بن عمر الكناوي. ذكره نجم الدين الغزي بقوله : « كان اماماً بالمسجد الذي يجري اليه الماء خارج كفركنا ؛ وكان يفتي أهل تلك البلاد، ويقرىء الطلبة بها في الفقه والفرائض والحديث والنحـو . ومكث على ذلك قريبـاً من خمسين سنة [١] » . توفي في كفركنا عام (٩١٢) هـ . وهو في عشر

١ – الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ٢١٨/١ .

التسعين .

(١٦) كفرمَنْدَة : بها ١٢٦٠ نسمة . قال ياقوت : « إنها قرية بين عكا وطبرية بالأردن » . ينسب إليها « زين العابدين » الفقيه الحنبلي . درّس في صفد وتولى الإفتاء فيها فنسب إليها . توفي عام ١٠٤٠[١]هـ .

ويقيم في جوار « كفرمندة » شتيت من عرب « الحُجَيْرات » ، من عرب اللجاة بسورية . ومن الحجيرات من استقر بجوار « رمانه » و « صفورية » وغيرهما .

(١٧) كَوْكَب : بها ٤٩٠ نسمة .

(١٨) الجُبَيْدِل : بها ١٩٠٠ نسمة . ثالثة قرى القضاء بعدد السكان ، ومن ضمنهم « عرب الخُرَيفات » ويذكرون انهم من عشيرة « الموالي » بسورية . اقيمت هذه القرية على بقعة مساحتها (٣٤) دونماً . تقع على مسيرة ٨ كم للغرب من الناصرة كما تبعد بنحو ٣١ كم عن حيفا .

(١٩) المَشْهد : بها ٦٦٠ نسمة . تقع على مسافة ٥ كم للشمال الشرقي من الناصرة .

(٢٠) معلول : بها ٦٩٠ نسمة .

(٢١) ناعورة : بها ٣٤٠ نسمة .

(٢٢) نين : بها ٢٧٠ نسمة .

(٢٣) يافا : تقع على بعد نحو ميلين للجنوب الغربي من الناصرة بها ١٠٧٠ نسمة . أقيمت على أرض مساحتها (١٥٠) دونماً ، ولهذه القرية أراض مساحتها (١٧٨٠٩) دونمات لليهود منها (٤٥٠) دونماً .

وتقيم في جوار يافا « عرب الغزالين » .

وأما العشيرة المستقرة في قضاء الناصرة هي عرب « الصُّبَيْح » ، يقيمون على اطراف جبل طابور الشمالي . يعدون ١٣٢٠ نسمة . بلغت مساحة أراضيهم ٨٦٨٦ دونماً لا يملك اليهود منها شيئاً . والراجح ان « عرب الصبيح » من أحفاد

---

١ ــ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/١٩٩ .

الصبيحيين الذين ذكرهم القلقشندي بأنهم بطن من بـني «زريق» من ثعلبة طيء من القحطانية . كانت منازلهم مع قومهم « ثعلبة » مصر مما يلي الشام . وبعضهم ذهب الى انهم فرع من « بني لام » الآتي ذكرها .

المستعمرات اليهودية في قضاء الناصرة [1] :

أقام اليهود لهم مستعمرتين في العهد العثماني في هذا القضاء . وهما :

(١) كفار طابور – Kef'ar Tavor قريـة « مسحة » سابقاً : تقع شرقي جبل طابور . أُقيمت عام ١٩٠١ . بهـا ٢٣٠ نسمة . وفي عـــام ١٩٥٠ بلغوا ٢٦٢ يهودياً .

(٢) مرحافيا – Merhavia : تقـع شرقي العفولة ، وعلى مسيرة ١٥ كم من الناصرة . بها ٢٧٠ نسمة بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٨٢) نسمة . تأسست عام ١٩١١ م . كانت تقوم في بقعتها قرية « الفوله » .

وأما المستعمرات العشرون الباقية فقد أُنشئت في العهد البريطاني الظالم:

(٣) نهلال وشمرون Nahlal and Shimron : ثاني المستعمرات اليهوديـة في قضاء الناصرة . تقع في الجنوب الغربي من الناصرة وعلى مسيرة ١٤ كم منها . تأسست عام ١٩٢١ . بها ١٠٩٠ نسمة وفي نهاية عـــام ١٩٥٠ كانوا (١٠٦٠) يهودياً .

(٤) بلفوريا : أنشئت عام ١٩٢٢ م . نسبت الى « بلفور » صاحب الوعـد المشؤوم . تقع على مسيرة (١٤) كم من الناصرة كان بها ٣٣٠ نسمة . وبقي هـذا العدد كما هو في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥) جنيجار – Ginneigar : تقع جنوبي الناصرة . أُنشئت عام ١٩٢٢ . بها ٣٣٠ نسمة . بلغوا ٤٦٠ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٦) مجموعة مرحافيا – Merhavya Group : تأسست عام ١٩٢٢ م . بها

---

١ – راجع ما كتبناه عن المستعمرات التي أنشئت في مرج بني عامر ، في بحثنا عن المرج المذكور .

٣٥٠ نسمة . كانوا ٣٢٢ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٧) تل عاداشيم — Tel'adaskim : في الجنوب من الناصرة . تأسست عام ١٩٢٣ بها ٣٦٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٠٩ نفوس .

(٨) كفار جدعون — تأسست عام ١٩٢٣ . بها ٩٠ يهودياً ، بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٩١) .

(٩) مِزْرَع — Mizra' : تأسست عام ١٩٢٣ . بهـا ٣٢١ يهودياً بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٤١) .

(١٠) العَفُولة — اقيمت على القرية العربية التي تحمل نفس الاسم في عـام ١٩٢٥ . أكبر مستعمرة يهودية في قضاء الناصرة وفي مرج بني عامر . تبعد عن الناصرة بنحو ١٣ كم وبنحو ٢٠ كم عن جنين . مساحتها ٩٨٨ دونماً . كان بهـا ٢٣٠٠ يهودي بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٦٢٠٠) .

(١١) ساريد — Sarid : تأسست عام ١٩٢٦ م . بهـا ٣٥٠ نسمة بلغوا (٦٠٩) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٢) رامات دافيدها شارون — Ramat David Haskaron : تأسست عام ١٩٢٦ . بها ٢٥٠ يهودياً . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٤٨).

(١٣) غفات Gvat : أُقيمت في نهاية عام ١٩٢٦ . بها ٥٢٠ يهودياً بلغوا (٨٠٢) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٤) كفر باروخ — Kefar - Barukh : تقع في الشمال الغربي من العفولة . أقيمت عام ١٩٢٦ . بها ٢٥٠ نسمة كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٨٩) يهودياً .

(١٥) رامات يشاي — Ramat yishai : تأسست عام ١٩٣٢ م . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٦٩٠) يهودياً .

(١٦) كفار هاهورروش — Kefar Hahoresh : تأسست عام ١٩٣٣ . بهـا ٢٢٠ نسمة بلغوا ٢٤٨ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٧) هاش شارون — Hash - Sharon : انشئت عام ١٩٣٥ م بهـا ٢٦٠ نسمة . كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٠٥) .

(١٨) شادموت دبورا — Shadmot - Dvora : تأسست عام ١٩٣٩ . كان بها (١٩٤) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٩) تمْرَة - Tumra : تأسست في كانون الثاني من عام ١٩٤٢ . كان بها في نهاية ١٩٥٠ ٢٢١ يهودياً .

(٢٠) كفاركش — Kfar Kish : تأسست عام ١٩٤٦ . تقع في الجنوب الشرقي من كفرطابور . كان بها ١٤٦ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢١) دابرات — Davrat : تأسست في أواخر عام ١٩٤٦ . كان بها (١٨١) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٢) بيت لحم هاغليلت — Beit Lchem Haglilit : تأسست في الشهر الرابع من عام ١٩٤٨ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٧٥) يهودياً .

٤ — قضاء طبرية :

مساحته ٤٤١ كم٢ ، يملك اليهود منها ١٦٧٫٤ كم٢ ، أي بنسبة نحو ٣٨٪ من مجموع مساحة أراضي القضاء .

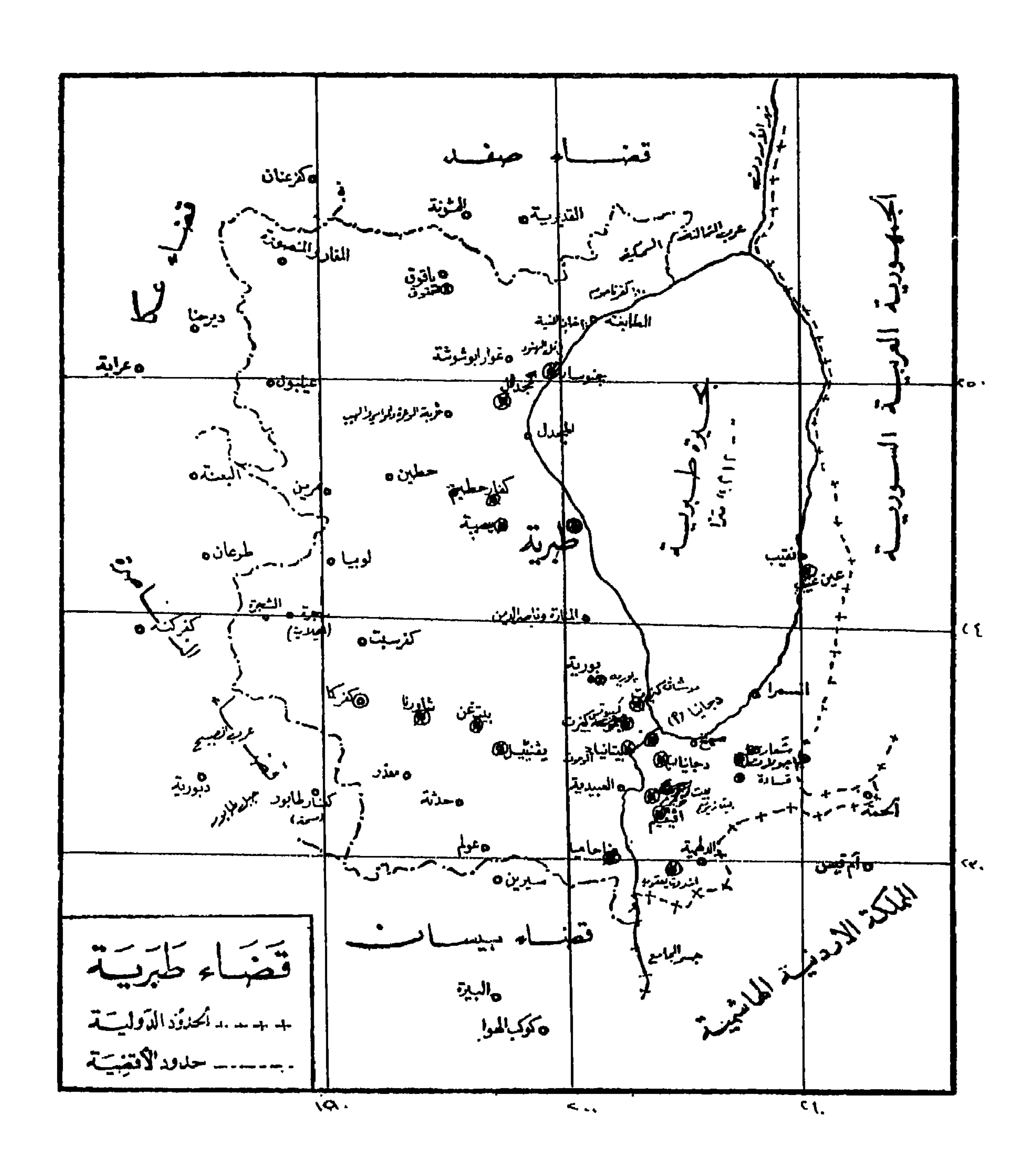
بلغ عدد السكان ٣٩٬٢٠٠ نسمة يوزعون كما يلي :

المسلمون	:	٢٢٤٥٠	
المسيحيون	:	٢٣٦٠	
اليهود	:	١٣١٠٠	أي ٣٣٫٤٪ من مجموع السكان
آخرون	:	١٢٩٠	
المجموع	:	٣٩٬٢٠٠	نسمة .

يضم القضاء مدينة طبرية و ٢٦ قرية وبعض العشائر مما سنذكره في محله و ٢٤ مستعمرة .

مدينة طبرية :

مساحتها ٣١٠٥ دونمات . بها ١١٤٤٠ نسمة يوزعون كما يلي :



قضاء طبرية
الحدود الدولية
حدود الأقضية
قضاء صفد
قضاء بيسان
الجمهورية العربية السورية
المملكة الاردنية الهاشمية
بحيرة طبرية
طبرية
كفرعنان
المغار
المنارة
القديرية
ياقوق
حقوق
الطابغة
ديرحنا
عرابة
عيلبون
حطين
كفرسبت
لوبيا
طرعان
الشجرة
كفركما
الجمرة
العبيدية
سمخ
السمرا
النقيب
عين
جسر المجامع
الحمة
أم قيس
البيرة
كوكب الهوا
سيرين
عولم
معذر
حدثة
دبورية
يمة
دجانيا
مجدل
المجدل
غوار ابو شوشة
١٩٠
٢٠٠
٢١٠
٢٣٠
٢٤٠
٢٥٠

مسلمون : ٤٥٤٠
مسيحيون : ٧٦٠
آخرون : ١٠
يهود : ٦١٣٠
المجموع : ١١٤٤٠ نسمة .

وفي نهاية عام ١٩٥٠ ، كان في طبرية ، حسب احصاءات المغتصبين، ١٢٢٠٠ يهودي .

وتبعد طبرية عن الأماكن الآتية بما ذكر بجانبها من كيلومترات :

عكا	: ٥٧ كم عن طريق المغار	روشيينا	: ٢٦ كم
العفولة	: ٤٤ » عن طريق كفرطابور	صفد	: ٣٧ كم
بيسان	: ٣٨ »	الطابغة	: ١٤ كم
إربد	: ٥٨ »	يفنئيل	: ١٦ كم
جسر بنات يعقوب	: ٣٧ »	يَسُود همَعْلة	: ٣٦ كم
جسر المجامع	: ٢١ »	حيفا	: ٧١ كم
الخالصة	: ٥٤ »	الناصرة	: ٣٣ كم
كنرت	: ٨ »	يافا	: ١٤١ كم عن طريق كفرطابور والخضيرة
المطلة	: ٦٤ »	القدس	: ١٧٢ كم عن طريق كفرطابور

وينتقع أهالي طبرية من حاماتها الحارة ومن سمك البحيرة الذي يُرسل منه مقادير وافرة الى مدن فلسطين التي تطلبه . وقد ذكرنا الشيء الكثير عن هذه المدينة في أماكن أخرى من هذا الكتاب .

وفي ١٩٤٨/٤/١٩ سلم البريطانيون مدينة طبرية لليهود الذين أخذوا يعملون قتلاً ونهباً وحرقاً بسكانها العرب مما اضطر الناجين منهم للهرب والالتجاء الى البلاد العربية المجاورة .

قرى القضاء :

(١) خَدَّتا : بها ٥٢٠ نسمة .

(٢) حِطّين : مرّ ذكرها بها ١١٩٠ نسمة. مساحتها ٧٠ دونماً . ومساحة أراضيها ٢٢٧٦٤ دونماً . لليهود منها ١٤٧ دونماً . ثالثة قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

(٣) خربة الوعرة ، عرب المواسي[1] وعرب اللهيب : ١٨٠ نسمة . مساحة اراضيها ٧٠٣٦ دونماً لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٤) الدَّلْهَمِيَّة : بها ٤١٠ أنفس . بينهم أحفاد « عقيلة الحاسي » .

(٥) سَمَخ : أكبر قرى القضاء وأكثرها سكاناً . بها ٣٤٦٠ نسمة مساحتها ٢٣٩ دونماً . تقع على طرف بحيرة طبرية الجنوبي . وهي احدى محطات خط حيفا – درعا الحديدي وعلى مسيرة ١١ كم من طبريا . تنخفض عن سطح البحر بنحو ٦١٠ أقدام .

(٦) السَّمْرا : بها ٢٩٠ نسمة .

(٧) السَّمَكِيَّة : بها ٣٨٠ نسمة .

(٨) الشَّجَرَة : بها ٧٧٠ نسمة . أُقيمت على بقعة مساحتها ١٠٠ دونم . مساحة أراضيها ٣٧٥٤ دونماً . يملك اليهود منها ٦١ دونماً . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٣/٣٢٥) بقوله : « الشجرة : اسم قرية بفلسطين بها قبر

---

١ – المواسي ، فرع من مواسي برقة (بفتح أوله وسكون ثاليه وفتح القاف) في ليبيا وهم من فزارة من العدنانية . نزلوا فلسطين في نحو عام ١٢٢٩ هـ : ١٨١٤ م .

ومن المواسي ظهر « عقيلة بن موسى الحاسي » نسبة الى قبيلة الحاسة ، من المواسي . كان له سطوة في مرج بني عامر وزادت شهرته بحمايته مسيحيي الجليل في حوادث عام ١٨٦٠ م. أصهر الى الترابين والتياها من قبائل غزة، كما كانت أمه « خضرة الشقيري » من تركمان مرج بني عامر .

توفي في ١٠ شوال سنة ١٢٨٥ هـ : ١٨٧٠ م في « إعبلين » ، من أعمال حيفا ، التي كان قد استوطنها .

صِدّيق بن صالح النبي عليه السلام ، وقبر دحية الكلبي » .

واستشهد في معركة الشجرة في ١٣/ تموز /١٩٤٨ الشاعر الفلسطيني المعروف عبد الرحيم محمود ، من عنبتا من أعمال طول كرم . وهو القائل :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الرّدى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى

(٩) الطابغة (بما فيها تل الهنود وخان المنية) بها ٣٣٠ نسمة . مساحة أراضيها ٥٣٨٩ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . تقع عند هذه القرية عين ساخنة نوعاً. درجة حرارتها ٩٠ ف° : ٣٢٫٢° مئوية. والطابغة تحريف لكلمة اليونانية Heptapegon بمعنى سبعة ينابيع .

(١٠) العُبَيْدِيّة ، بها ٨٧٠ نسمة .

(١١) عَولَمْ : بها ٧٢٠ نسمة . وفي أراضيها تقيم عشيرة المُوَيْلِحات .

(١٢) عيلبون : بها ٥٥٠ نسمة . ينسب اليها حسن العيلبوني الشاعر اللبيب الفائق[1] . نزل دمشق ثم ارتحل منها الى عكا وبها توفي عام ١٠٨٥ هـ .

(١٣) غور أبو شوشة : بها ١٢٤٠ نسمة .

(١٤) كفرسَبْت : بها ٤٨٠ نسمة . وتقيم في أراضيها عشيرة « المشارقة » تعود بنسبها الى « بني صخر » ذكر هذه القرية ياقوت (معجم البلدان ٤/٤٦٩) بقوله : « بلفظ السبت من أيام الاسبوع . قرية عند عقبة طبرية » .

(١٥) كفركما : بها ٦٦٠ نسمة معظمهم شراكسة . مساحتها ١٠٨ دونمات . ثانية قرى القضاء في كبرها .

(١٦) لوبيا : تقع على بعد ٢٠ كم من الناصرة . بها ٢٣٥٠ نسمة . ثانية قرى القضاء في عدد سكانها وفيما تملكه من الأراضي (٣٩٦٢٩ دونماً) . يملك اليهود منها ١٠٥١ دونماً . مساحة لوبيا (٢٠٨) دونمات وهي بذلك أكبر قرى قضاء طبرية .

(١٧) الجدل : بها ٣٦٠ نسمة.مساحتها ٦ دونمات أصغر قرى القضاء.كانت

١ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد المحبي ٢/٧٩ - ٨٠ .

في العهد الروماني تعرف باسم « طريشا — Tarichea » تقع في ظاهر بلدة طبرية الشمالي ، على طريق صفد .

(١٨) مَعْذَر : بها ٤٨٠ نسمة .

(١٩) و (٢٠) المغار والمنصورة : بها ٢١٤٠ نسمة . مساحة أراضيها ٥٥٥٨٣ دونماً يملك اليهود منها دونماً واحداً فقط . أولى قرى بلاد طبرية فيما تملكان من الأراضي .

(٢١) المنارة : (عشيرة) بها ٤٩٠ نسمة . والمنارة بطن من غافق من القحطانية . وغافق من الأزد . وكان منهم في الاسلام رؤساء وأمراء .

(٢٢) ناصر الدين : بها (٩٠) عربياً . فظنّع اليهود بهم في ١٤/١٣ من نيسان من عام ١٩٤٨ م — كما فظعوا، قبل ذلك ، في دير ياسين — فقتلوا سكانها وهدموا بيوتها وأصبحت أثراً بعد عين .

(٢٣) نُقَيْب : بها ٣٤٠ نسمة .

(٢٤) نِمرين : بها ٣٢٠ نسمة .

(٢٥) ياقوق : بها ٢١٠ أنفس .

(٢٦) الحَمّة : بها ٢٩٠ نسمة. وهي القرية الوحيدة التي نجت من شر اليهود من « لواء الجليل ». والحمّة اليوم مع أراضيها — نحو ٤٢٣ فداناً — تحت الادارة السورية . وأما مساحة أراضيها قبل النكبة فقد كانت ١٦٩٢ دونماً جميعها ملك لأهلها . ومياهها المعدنية الساخنة فقد ذكرنا عنها ما فيه الكفاية في محل آخر .

ومن عشائر طبرية « الفحيلية » أو « الفحيلي » ، من عشائر (الزوية) في حوران . وتنزل في قرى « السمراء » و « النقيب » وبجوار سمخ على شاطىء البحيرة . وهي بقية من عشيرة بهذا الاسم كان لها شأن وذكر وسؤدد في القرن الحادي عشر الهجري . وتعود بنسبها الى « قبيلة السرحان » ، من « كلب » من « قُضاعة » .

وعشيرة (التلاوية)، وأصلهم من غور بيسان. استقروا في أراضي «البطيحة» السورية على الشاطىء الشرقي للبحيرة حيث المياه الغزيرة والخصب المنقطع النظير.

ومنهم قسم يقيم على الشاطىء الغربي الفلسطيني من البحيرة .

المستعمرات اليهودية في قضاء طبرية :

أنشأ اليهود ، في العهد العثماني ، تسع مستعمرات لهم وهي :

(١) يفنئيل – Yavneel : تأسست عام ١٩٠١ م . بها ٥٩٠ نسمة . بلغوا في عام ١٩٥٠ (١٥٤٠) نسمة . وتقع هذه المستعمرة على مسيرة ١٦ كم للجنوب الغربي من بلدة طبرية

(٢) مناحاميا – Menahamiya : تأسست عام ١٩٠٢ م. بها ٢٣٠ نسمة. وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٢٠٠ يهودي .

(٣) سجرة – Sejera أو « علانية – 'Ilanya » : أنشئت عام ١٩٠٢ . بها ٢٤٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا (٩٠) يهودياً .

(٤) بيت َغنْ – Beitgan : أنشئت عام ١٩٠٤ . بها ١٧٠ نسمة . وفي نهايه عام ١٩٥٠ كانوا ١٥٨ يهودياً .

(٥) كِنّرِت Kinneret : بنيت عام ١٩٠٨ . بها ٢٢٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٦٨٤ يهودياً . وتقع هذه المستعمرة على بعد ٨ كم للجنوب من طبرية .

(٦) مِصْبَه – Mitspa : تقع غربي مدينة طبرية . بنيت عام ١٩٠٨ . بها ٩٠ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ م كانوا ٤٥ .

(٧) دجانيا ا – Dejania « A » : تقع بالقرب من سمخ . تأسست عام ١٩٠٩ . بها ٢٩٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٢٤ يهودياً .

(٨) مجموعة كِنّرِت – Kinneret group : بنيت عام ١٩٠٩ . بها ٤٦٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ كانوا ٢٢٥ يهودياً .

(٩) مِجْدال – Migdal : أقيمت عام ١٩١٠ . بها ٢٤٠ نسمة . بلغوا ٣٦٥ يهودياً في عام ١٩٥٠ . وامـا المستعمرات الآتية فقد تأسست في العهد البريطاني العسوف :

(١٠) دجانيا « ب » — « Dejania « B : تأسست عام ١٩٢٠ . بها ٣٨٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٥٥٧ يهودياً .
(١١) كفار ناتان — Kefar Natan أو بيت زرعة —'Beit Zera : تأسست عام ١٩٢٧ . بها ٣١٠ من اليهود . بلغوا ٥٥٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .
(١٢) أفيقيم — Afiqim : بنيت في عام ١٩٣٢ . بها ٧٩٠ نسمة . بلغوا ١١٩٣ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .
(١٣) أشدوت يعقوب — Ashdot Ya'aqov : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ١٠٢٠ نسمة بلغوا ١٢٥٤ في نهاية عام ١٩٥٠ .
(١٤) كفار حِطّيم — Kefar Hittim : تأسست عام ١٩٣٦ م . بها ٢٣٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥١ بلغوا ٣٢٠ يهودياً .
(١٥) عين غيب — Ein Gev' : أقيمت عام ١٩٣٧ . بها ٤٢٠ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٥٦٠ يهودياً . تقع هذه المستعمرة في الجنوب من قرية « نُقَيب » العربية .
(١٦) جنُّوسار — Genossar : أُقيمت عام ١٩٣٧ . بها ٢١٠ نفوس وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٩٥ يهودياً .
(١٧) مَسْعَده — Massada : أقيمت عام ١٩٣٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٣٠) يهودياً .
(١٨) شَعّار هاجولان — Sha'ar HagGolan : تأسست عام ١٩٣٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٤٣٨) يهودياً .
ملحوظة : بلغ عدد سكان المستعمرتين (١٧) و (١٨) في ١ / ٤ / ١٩٤٥ : ٣٣٠ يهودياً .
(١٩) مشمار هاش شلوشا — Mishmar hsh Shelosha : أنشئت عام ١٩٣٧ . بها ١٢٠ نسمة بلغوا ١٥٠ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .
(٢٠) شارونا [1] : أقيمت مكان القرية العربية (سارونا) . تأسست عام

١ — في مصر ايضاً بقعة تحمل نفس الاسم : شارونا .

١٩٣٨ . بها ١١٠ نفوس . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٩٥ يهودياً .
وقرية « سارونا » كانت تضم ١٣١ عربياً في شباط من عام ١٩٣٨ .

(٢١) هازورعيم – Hazor'im' وكانت تدعى أيضاً « Sirigumia » . تأسست عام ١٩٣٩ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢١٠) يهود . وتقع هذه المستعمرة في الجنوب الغربي من طبرية .

(٢٢) بيتانيا – Bitanya ، كما عرفت باسم « علوموط – 'Alumot » . بنيت عام ١٩٤١ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣٥) يهودياً .

(٢٣) بورية Poriya : لم نعثر على تاريخ تأسيسها . أقيمت على البقعة التي كانت تقوم عليها القرية العربية التي تحمل نفس الاسم . كان في هذه القرية في شباط من عام ١٩٣٨ (١١٢) عربياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كان في المستعمرة اليهودية ٣٠٠ يهودي .

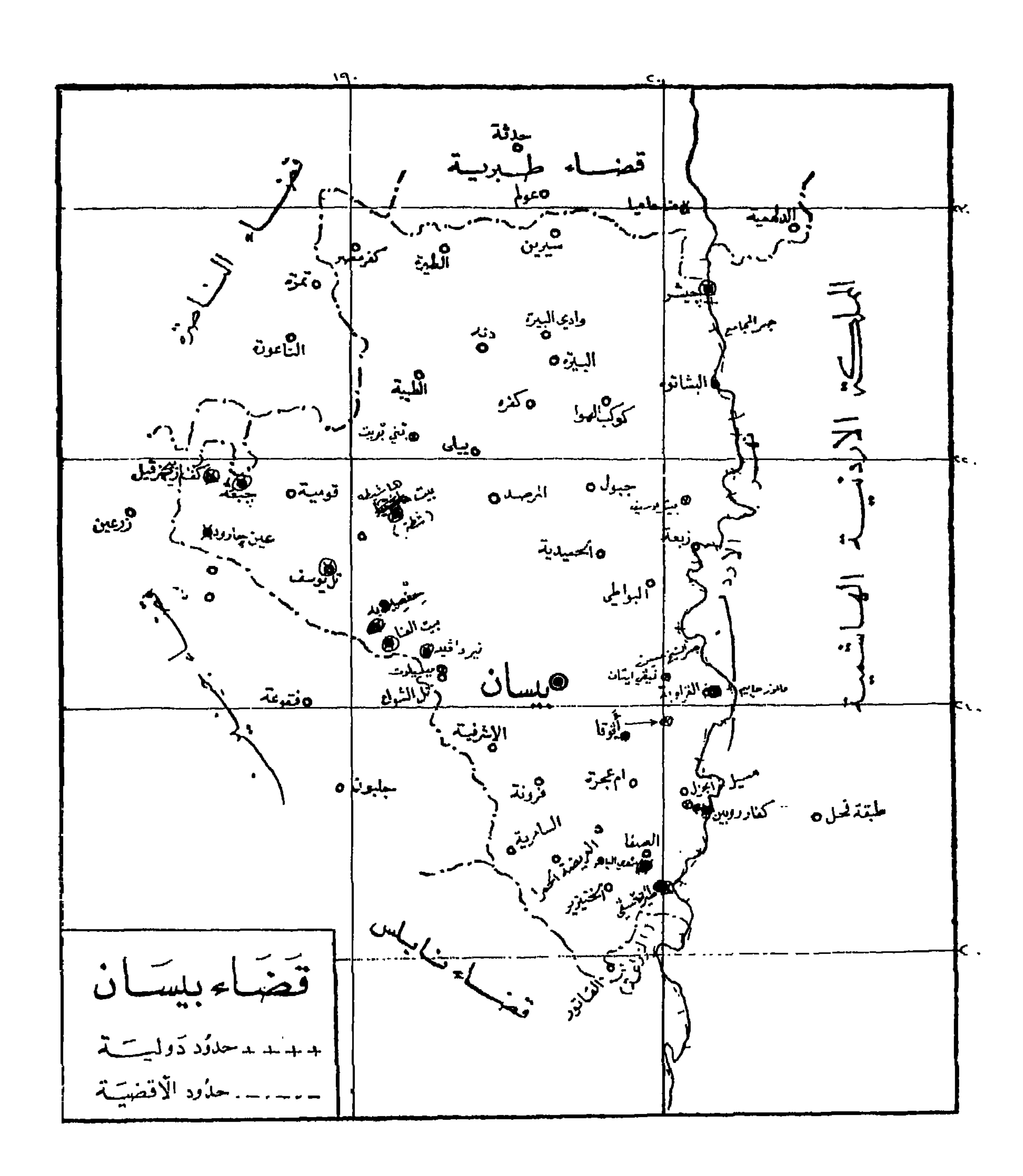
(٢٤) هوقوق – Huqoq : تقع للغرب من كفرناحوم . تأسست عام ١٩٤٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٩٥) يهودياً .

(٥) قضاء بيسان :

مساحته ٣٦٧ كم٢ . يملك اليهود منها ١٢٤و٧ كم٢ . أي نحو ٣٤٪ من مجموع مساحة القضاء . يسكنه ٢٣٥٩٠ شخصاً يوزعون كما يلي :

المسلمون	: ١٥٬٩٢٠	
المسيحيون	: ٦٥٠	
آخرون	: ٢٠	
اليهود	: ٧٠٠٠	أي نحو ٢٩و٦٪ من مجموع سكان القضاء .
المجموع	٢٣٬٥٩٠ نسمة .	

يضم هذا القضاء قاعدته « بَيْسان » و ٣٠ قرية و ٢٢ مستعمرة يهودية .
بَيْسان : تقوم على بقعة مساحتها ٦٦٣ دونماً . بها ٥١٨٠ شخصاً يوزعون كما يلي :



قضاء طبرية
قضاء الناصرة
قضاء نابلس
المملكة الأردنية الهاشمية
بيسان
الطيبة
التاعوت
البيرة
كوكب الهوا
جبول
المرصد
الحميدية
البواطي
قومية
زرعين
عين جالوت
تل يوسف
الأشرفية
فروة
جلبون
فقوعة
أم عجرة
السامرية
الغاتور
طبقة فحل
الدلهمية
جسر المجامع
البشاتوة
الزاوية
زبعة
قضاء بيسان
حدود دولية
حدود الأقضية

مسلمون	:	٤٧٣٠
مسيحيون	:	٤٣٠
آخرون	:	٢٠
المجموع		٥١٨٠

تنخفض بيسان ١٣١ متراً عن سطح البحر وتقع على بعد نحو ستة كيلومترات من ضفة نهر الأردن . يمر بها نهر جالود . والمسافات الآتية تبين بعد بيسان من بعض المدن الفلسطينية بالكيلومترات :

نابلس : ٧٦

الناصرة : ٤١

طبرية : ٣٨

بيسان ــ المحطة الحديدية : ٢ ١/٢ . وتقع بيسان على الكيلو ٥٩ من خط حيفا ــ درعا .

إربد : ٥٤ عن طريق جسر المجامع .

إربد : ٥١ عن طريق جسر الشيخ حسين .

جسر دامية : ٥١

جسر الشيخ حسين : ٧ ١/٢

جسر المجامع : ١٧

سمخ : ٢٧

العفولة : ٢٧

جنين : ٣٣ عن طريق زرعين .

حيفا : ٧١

القدس : ١٤٣ عن طريق زرعين .

القدس : ١٢٧ عن طريق أريحا .

وبعد أن اغتصب اليهود « بيسان » في حرب فلسطين في ١٢ أيار ١٩٤٨ م هدّموها وأقاموا عليها مستعمرة جديدة في عام ١٩٤٩ دعوها باسم « بيت شمن

— Beit - Sh'an ، كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٨٧٥) يهودياً .

قرى القضاء :

قرى قضاء بيسان متواضعة وقبائله الثلاث هي « الصقر » و « الغزاوية » و « البشاتوة » استقرت في أماكنها . وقد ذكرنا ذلك في محله .

الصقور : يعودون بنسبهم الى « السردية[١] » ، من أجل عشائر حوران وأكرمها محتداً وتاريخاً . وتذكر « السردية » أنها من أعقاب الصحابي المقداد بن الأسود الكندي الحضرمي[٢] . وينسب البعض الصقور الى « بني لام[٣] » من « طيء[٤] » . و « كندة » و « طيء » كلاهما قحطانيان على كل حال .

وأما الصقور فيزعمون انهم من اعقاب بني مخزوم الذين جاءوا الى حوران في عهد الفتوح . ومنهم تفرع بنو شهاب الذين نزحوا في القرن السادس الهجري من موطنهم في حوران الى وادي التيم[٥] .

الغزاوية : تعود بنسبها الى قبيلة « التياها » في جنوب فلسطين ولهذا اطلق عليهم « الغزاوية » . وقيل أيضاً انهم من سلالة عمر بن الخطاب ، كما قيل انهم من « الغزي » من بني لام .

البشاتوة : فريقان : « البكار » وأصلهم من بني نعيم و « الشحيمات » وأصلهم من الأكراد .

وها هي قرى قضاء بيسان :

(١) الأشرفية : تنخفض عن سطح البحر بنحو ١١٤ متراً. بها ٢٣٠ نسمة.

(٢) أم عجرة : بها ٢٦٠ نسمة (صقور) .

---

١ — تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ٢٣٦ .

٢ — المصدر نفسه ٣٢٧ .

٣ — تعد اليوم ، هذه القبيلة ، من القبائل الواسعة الانتشار في العراق .

٤ — طيء كـ « سيد » ويجوز التخفيف كـ « حي » .

٥ — عشائر الشام ٧٢/٢ . تتبع عشيرة « الزيناتي » الغزاوية . و « الزيناتي » فرع من عشيرة الحسن بحوران .

(٣) البَشاتْوة : ١٥٦٠ نسمة . يملك اليهود (٢٢٥٢) دونمـاً من أراضيهم البالغ مساحتها ٢٠٧٣٩ دونماً .

(٤) البواطي : (الحكيّة) : بها ٥٢٠ نسمة من عرب الغزاوية . يملك اليهود ١٣٠٥ دونمات من أراضيهم البالغ مساحتها ١٠٦٤١ دونماً .

(٥) البيرة : بها ٢٦٠ نسمة .

(٦) تل الشوك : بها ١٢٠ نسمة .

(٧) جَبُّول : بها ٢٥٠ نسمة .

(٨) الحمراء : بها ٧٣٠ نسمة (صقور) .

(٩) الحميدية : بها ٢٢٠ نسمة .

(١٠) الخُنيزير : بها ٢٦٠ نسمة (صقور) .

(١١) دَنّة : بها ١٩٠ نسمة مساحتها ١٥ دونماً .

(١٢) زَبْعة : بها ١٧٠ نسمة .

(١٣) الساخنة : بها ٥٣٠ نسمة (صقور) .

(١٤) السامرية : بها ٢٥٠ نسمة .

(١٥) سيرين : بها ٨١٠ نفوس .

(١٦) الصفا : بها ٦٥٠ نسمة (صقور) .

(١٧) الطيبة : بها ٢٨٠ نسمة .

(١٨) الطيرة : بها ١٥٠ نسمة .

(١٩) العريضة : بها ١٥٠ نسمة (صقور) .

(٢٠) الغزاوية : بها ١٠٢٠ نسمة .

(٢١) الفاتور : بها ١١٠ نفوس (صقور).

(٢٢) فرْوَنّة : بها ٣٣٠ نسمة .

(٢٣) قومِيّة : بها ٤٤٠ نسمة .

(٢٤) كفرَة : بها ٤٣٠ نسمة . تعلو ١٧٥ متراً عن سطح البحر .

(٢٥) كفر مصر : بها ٣٣٠ نسمة .

(٢٦) كوكب الهوا : بها ٣٠٠ نسمة . وفي الحروب الصليبية عرفت باسم « Beauvoir » أو « Coquet » وهي قلعة اقامها الاوروبيون في القرن الثاني عشر للميلاد . وما زالت بقايا هذا الحصن الصليبي ظاهرة لليوم .

(٢٧) المُرَصَّص : بها ٤٥٠ نسمة .

(٢٨) مسيل الجزل : بها ١٠٠ نسمة (غزاوية) .

(٢٩) وادي البيرة : بها ٧٠ نسمة .

(٣٠) يُبْلى : بها ٢١٠ أنفس .

ويقع هذا القضاء اليوم ، تحت سيطرة المغتصبين .

المستعمرات اليهودية :

لم يعرف هذا القضاء اليهود ومستعمراتهم الا في العهد البريطاني المشؤوم . وهذه المستعمرات هي :

(١) عين حارود – 'Ain Harod : تقع على نهر جالود للشمال الغربي من بيسان وعلى بعد ٢٣ كم من الناصرة . أُقيمت عام ١٩٢١ . كان بها ١٠٦٠ نسمة . بلغوا ١٢٣٠ في نهاية عام ١٩٥٠ . وتعتبر هذه المستعمرة أكبر المستعمرات اليهودية في هذا القضاء .

(٢) جِبْعه – Geva' : تأسست في نهاية عام ١٩٢١ بها ٣٨٠ نسمة . بلغوا ٥٣٩ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣) كفار يهزقيل – Kefar - Yehezkel تأسست في نهاية عام ١٩٢١ . بها ٤٣٠ نسمة . بلغوا ٤٥١ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤) تل يوسف : تقع في جوار عين حارود . انشئت في نهاية عام ١٩٢١ . بها ٦٩٠ نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٨٥٨) يهودياً .

(٥) بيت الفا – Beit Alfa : تقع غربي بيسان . تأسست عام ١٩٢٢ . بها ٤٣٠ نسمة . بلغوا ٦٥٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٦) حَفْصِي بَه – Heftsi Bah : تقع في جوار بيت الفا . انشئت عام

١٩٢٢ . بها ٣٣٠ يهودياً . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٠٠) نسمة .

(٧) بيت هاشيتا – Beit Hashitta : تقع للشمال من بيت إلفا وعلى مسيرة ١٢ كم من بيسان . تأسست في نهاية عـام ١٩٣٥ م . بهـا ٥٩٠ نسمة . بلغوا (٩٠٧) أشخاص في نهاية عام ١٩٥٠ .

أقيمت هذه المستعمرة على أنقاض القرية العربية (َشطـَّة) التي كانت تضم ٢٨٩ عربياً وهي على انخفاض نحو ٧٥ متراً تحت سطح البحر .

(٨) نير دافيد – Nir David : تقع في جوار بيسان . أقيمت في نهاية عام ١٩٣٦ . بها ٢٩٠ يهودياً . بلغوا ٤٧٧ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٩) طيرة تسفي – Tirct Tsevi : تقع بالقرب من نهر الأردن . تقوم على البقعة التي كانت تقوم عليها بلدة « الزرّاعة » التي ذكرها جغرافيو العرب أنهـا من أجل مدن الغور . اقام اليهود مستعمرتهم هـذه في عام ١٩٣٧ . بها ٢٩٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ م بلغوا ٣٦٧ يهودياً .

وفي ١٩٤٨/٢/٢٦ هاجمت قوات من جيش الانقاذ هذه المستعمرة إلا أن هذا الهجوم باء بالفشل .

(١٠) سدي ناحوم – Sdey -Nahum : تأسست عـام ١٩٣٧ . بها ٢٩٠ نسمة . بلغوا ٣٩٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١١) ماعوز حاييم – Ma'oz Haiyim . انشئت عـام ١٩٣٧ . بها ٤٥٠ نسمة . بلغوا (٥٦٤) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٢) بيت يوسف – Beit Yosef : تقع على نهر الاردن . بنيت عام ١٩٣٧ بها ١٧٠ يهودياً كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٠٢) .

(١٣) بني بريت – Bcnei Berit : تقع جنوبي الطيبة . احدثت عام ١٩٣٧ بها ١٥٠ يهودياً ، بلغوا (٢٥١) في نهاية عام ١٩٥١ .

(١٤) مسيلوت – Msilot : أقيمت عام ١٩٣٨ . بهـا ٢٥٠ شخصاً وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٨٨ .

(١٥) نيفي إيتان – Neve Eitan : تأسست عام ١٩٣٨ بها ١٧٠ نسمة .

بلغوا ٢٧٣ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٦) كفار روبين – Kafar Ruppin : تقع على نهـر الأردن مقابـل « فحيل » . تأسست في اواخر عام ١٩٣٨ . بها ١٨٠ نسمة بلغوا (٢٦٠) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٧) سدي الياهو – Sedy - Elyahu : تأسست عام ١٩٣٩ . بهـا ١٨٠ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا (٣١٩) .

(١٨) كشر – Gesher : تقـع على نهر الأردن ، وعلى مسيرة خمسة كيلومترات من كوكب الهوا . بها ١٣٠ يهودياً . بلغوا في نهاية عـام ١٩٥٠ (٢٩٦) .

(١٩) آبوقا – Avuqa : تقع شرقي بيسان اقيمت عام ١٩٤١ . بهـا ١٦٠ نسمة كانوا ٧٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٠) هير مونيم – Hermonim : انشئت عام ١٩٤٢ بها ١٠٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٥٠ يهودياً .

(٢١) بيت كشت – Beit Qeshet : تأسست عام ١٩٤٤ . كان بهـا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٨٢) يهودياً .

(٢٢) عين هاناسيب – 'Ein Hanasiv : تأسست عام ١٩٤٦ . كان بهـا (٢٨٥) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

ثانياً
لواء حيفا

١ ـ قضاء حيفا :

مساحته ١٠٣١،٨ كم٢ . يملك اليهود منها ٣٦٤،٣كم٢ . أي بنسبة ٣٥،٣٪ من مجموع مساحة القضاء .

يسكن قضاء حيفا ٢٢٤،٦٣٠ نسمة يوزعون كما يلي :

المسلمون : ٨٥،٥٩٠ .

المسيحيون : ٣٠،٢٠٠ .

آخرون : ٤٣٣٠ أكثريتهم الساحقة من الدروز .

مجموع السكان العرب: ١٢٠،١٢٠

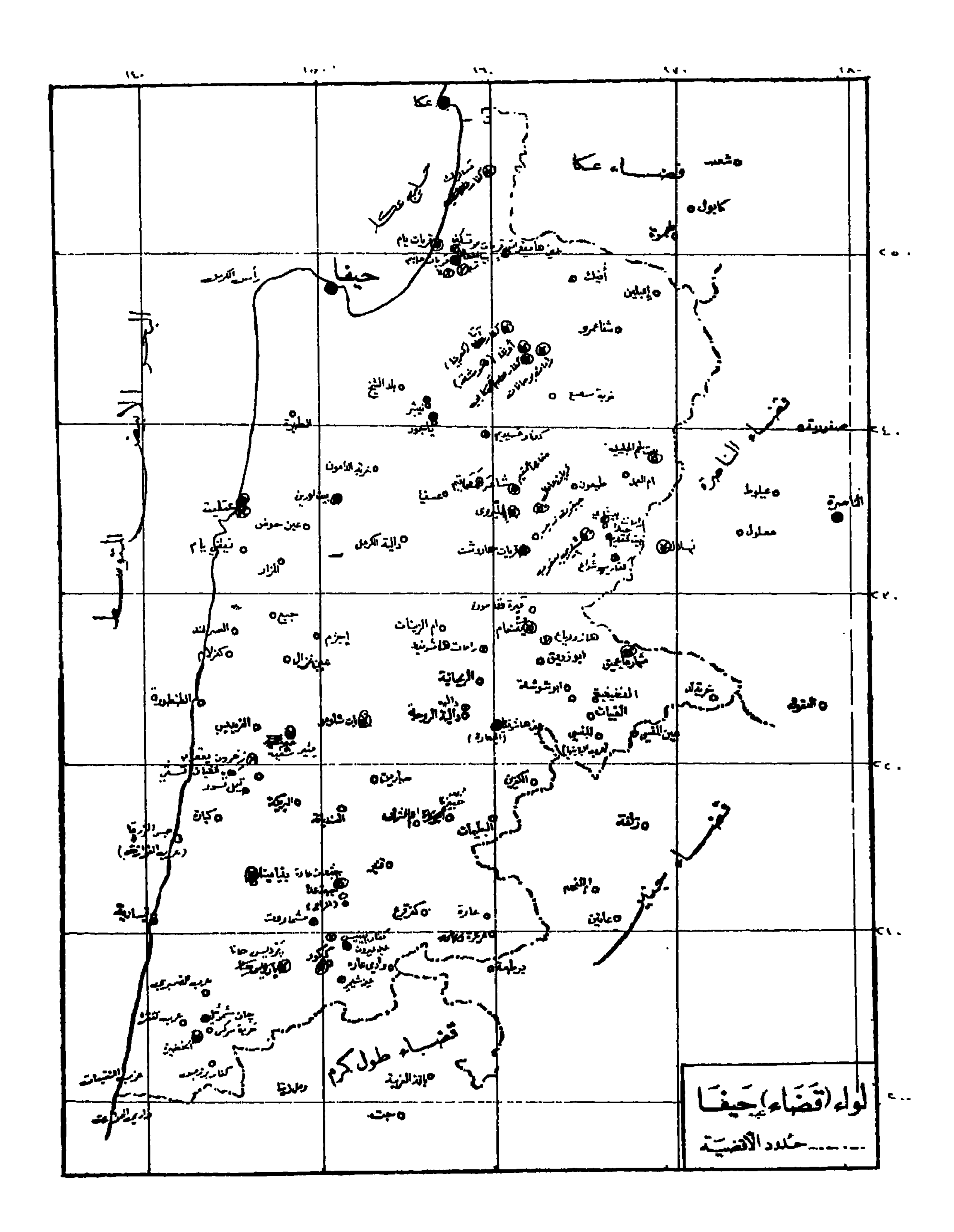
اليهود : ١٠٤،٥١٠ أي ٤٦،٥٪ من مجموع السكان .

مجموع سكان قضاء حيفا : ٢٢٤،٦٣٠

يضم مدينة حيفا و ٥٢ قرية و ١١ عشيرة و ٦٢ مستعمرة .

مدينة حيفا

مساحتها ٥٤،٣٠٥ دونمات . والاحصاءات الرسمية التالية تبين لك كيف أصبحت الأقلية اليهودية في حيفا تؤلف أكثرية سكانها إبان الحكم البريطاني المشؤوم على فلسطين :



لواء (قضاء) حيفا
حدود الاقضية
عكا
حيفا
قضاء عكا
قضاء الناصرة
قضاء جنين
قضاء طولكرم
شفاعمرو
كابول
صفورية
الناصرة
عيلوط
معلول
بلد الشيخ
ياجور
الطيرة
عتليت
عين حوض
دالية الكرمل
عسفيا
المزار
جبع
الصرفند
كفرلام
الطنطورة
الفريديس
كبارة
قيسارية
كفرقرع
عارة
برطعة
اللجون
زلفة
جت

	١٩٢٢		١٩٣١		١٩٤٥	
عرب	١٨،٤٠٤	٧٤,٧٪	٣٤،٥٦٠	٦٨,٤٪	٦٢،٨٠٠ [1]	٤٨,٧٪ .
يهـود	٦٢٣٠	٢٥,٣٪	١٥٩٢٣	٣١,٦٪	٦٦٠٠٠	٥١,٣٪ .
المجموع	٢٤،٦٣٤		٥٠،٤٧٣		١٢٨،٨٠٠	.

وبعد النكبة ذكرت الاحصاءات اليهودية انه كان في حيفا في ٨/١١/١٩٤٨ ٨٨،٨٩٣ نسمة بينهم ٨٥،٣٢٧ يهودياً وفي ٣١/١٢/١٩٤٩ كان فيها «١٢٠،٧٠٠» شخص بينهم « ١١٥،٠٠٠ » يهودي . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغ عدد اليهـود في حيفا ١٢٢،٠٠٠ يهودي . وفي نهاية عام ١٩٦٣ كان عددهم ١٩١،٠٠٠ .

تبعد حيفا عن الأماكن الآتية بما ذكر من كيلومترات :

عـكا : ٢٣ .
العفولة : ٤٥ عن طريق اللجون .
بـيروت : ١٥٤ .
دمشق : ١٩٧ عن طريق صفد .
غـزة : ١٧٧ عن طريق ويلهلما .
جنـين : ٥١ .
جسر المجامع : ٩٢ عن طريق طبرية .
جسر المجامع : ٨٥ عن طريق بيسان .
اللجون : ٣٤ .
مستعمرة نهاريا : ٣١ .
الحدود اللبنانية : ٤٣ .
النـاصرة : ٣٨ .
الرملة : ١٠٨ عن طريق ويلهلما .

١ ـ يوزعون كما يلي : مسلمون : ٣٥٩٤٠
مسيحيون : ٢٦٥٧٠
آخرون : ٢٩٠

صفد	: ٧٧ عن طريق عكا .
سمخ	: ٨٢ « « طبريا .
طبرية	: ٧١ .
يافـــا	: ١٠٢ .
القدس	: ١٥٣ عن طريق ويلهلما .
القدس	: ١٦١ « « اللجون .

موقع حيفا الطبيعي جميل جداً ، إذ يحيط بهـــا البحر والسهل والجبـــل . دخلت البلدة في عصر جديد منذ أن اتصلت بسورية بالخط الحديدي الحجازي . وزاد في أهميتها اتصالها بمصر بواسطة الخط الحديدي الذي أقـــيم إبان الحرب العالمية الأولى . فصار معظم المسافرين من مصر الى سورية ولبنان وبالعكس يمرون بها . ولما تم إنشاء مرفئها في عام ١٩٣٣ أصبحت ميناءاً للعراق والجزيرة العربية وحوران وشمالي الأردن مما زاد في تقدمها فتوسعت تجارتها فساعد ذلك على نموها وازدهارها .

وقد أنشئت فيها مصفاة لتكرير البترول العراقي الذي يصلها في أنابيب عبر الأردن ، غير ان ضخ النفط قد توقف منذ عام ١٩٤٨ والى يومنا هذا .

وتعد حيفا أيضاً مدينة صناعية ففيهـــا معامل لفائف التبغ والصابون والروائح العطرية والإسمنت ومعامل مصافي البترول .

ومما هو جدير بالذكر ان الحي الالماني الذي بني في حيفا عـام ١٨٦٨ م يعد أول مستعمرة للالمان أقاموها في فلسطين . وفي حيفـــا مشهد جميل لقبر « عبد البهاء عباس » البهائي المتوفى عام ١٩٢١ م .

احتل اليهود حيفا بالتآمر مع الجيش البريطاني في ٢٢ نيسان ١٩٤٨ م فأجلوا أهلها فكانت أعظم كارثة حلت بهذا البلد العربي في تاريخه .

قرى قضاء حيفا :

(١) أبو زُرَيق : بهـا ٥٥٠ نسمة . مساحة أراضيها ٦٤٩٣ دونماً . لا يملك

اليهود فيها اي شبر.

(٢) أبو شوشة : بهـا ٧٢٠ نسمة . مساحة أراضيها ٨٩٦٠ دونماً . لا يملك اليهود فيها أي شبر. وفي أراضيها تقيم عشيرتا « السعايدة » — من عرب الجنوب — و « الشقيرات »[1] .

(٣) إِجزِم : بهـــا ٢٩٧٠ نسمة . مساحتها ٩١ دونماً . مساحة أراضيها ٤٦،٩٠٥ دونمات . لا يملك اليهود فيها شيئاً . وهي ثانيـة قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

وكانت هذه القرية مركزاً لتجمع عائلة (آل الماضي) الإقطاعية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين . وتعود هذه العائلة بنسبها الى « بني هرماس — الوُحَيْدات » من عرب بئر السبع . ينسب إليها الشاعر العالم « الشيخ يوسف النبهاني » ولد فيها عام ١٨٤٩ م : ١٢٦٥ هـ . والنبهاني نسبة الى « بني نبهـان » من قبائل بئر السبع . وفي الشهر الثاني من عـــام ١٩٤٩ أقام اليهود في بقعتهـا مستعمرة « Kerem Hahasal » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٤٤) يهودياً .

(٤) إِعبِلِّين : بها ١٦٦٠ نسمة . مساحتها ٩٥ دونمـاً . مساحة أراضيها ١٨،٦٣٢ دونماً . وهي ملك لأهلها . تقع على مسيرة نحو تسعة أميال شمال غربي الناصرة . زار هذه القريـة الرحالة الفارسي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري ذكرها بقوله : (ثم واصلت السير الى قرية اخرى تسمى « إعبلين » ، وبها قبر هود ، فزرته . وكان بحظيرته شجرة الخرنوب . وكذلك زرت هنـاك قبر النبي عُزير)[2] . وفيها قبر « عَقيلَة بن موسى الحاسي » المار ذكره.

هذا ويقيم بعض من « عرب الحجيرات » المار ذكرهم في أراضي هذه القرية.

(٥) أم الزينات : بها ١٤٧٠ نسمة . مساحة أراضيها ٢٢،١٥٦ دونمـاً يملك اليهود منها ٥١ دونماً . تعلو هذه القرية ٣١٧ متراً عن سطح البحر وتقع على بعد ٢٧ كم من حيفـــا ، عن طريق المنصورة . وفي صيف ١٩٤٩ م أسس اليهود في

---

١ — الشقيرات : من قبائل التركمان .

٢ — بلدانية فلسطين العربية ٥٢ .

أراضي هذه القرية مستعمرة دعوها باسم « علياقيم – 'Elyaqim » . كان بها في نهاية ١٩٥٠ م (٣١٠) أنفس .

(٦) أم الشوف : بها ٤٨٠ نسمة .

(٧) أم العَمَد : بها ٢٦٠ نسمة . تقع على مسيرة ٢٣ كم من حيفا .

(٨) البُريكة : بها ٢٩٠ نسمة .

(٩) البُطَيْمات : بها ١١٠ نفوس .

(١٠) بلد الشيخ : بها ٤١٢٠ نسمة . مساحتها ٢٢١ دونماً . ثالثة قرى القضاء في كبرها وعدد سكانها . مساحة أراضيها ٩٨٤٩ دونماً يملك اليهود منها ٢٨٥ دونماً . تقع على مسيرة ٦ كيلومترات من حيفا .

ودفن في « بلد الشيخ » المجاهد العربي « عز الدين القسّام » الذي استشهد هو وبعض رفاقه في حروبهم مع البريطانيين في ضواحي « يعبد » بتاريخ ١١/١٠/١٩٣٥ . وقد ظهرت بطولته في المعارك التي خاضها ، منفرداً يجمع من رجاله ، يقاتلون كلما وجدوا سبيلاً الى القتال . والقسّام من أسرة كريمة وُلد عام ١٣٠٠ هـ : ١٨٨٢ م في جبلة من أعمال اللاذقية .

(١١) بنيامينا : بها ٢٧٠ نسمة . على بعد ٤٢ كم من حيفا .

(١٢) بيت لحم : بها ٣٧٠ نسمة . تقع على مسيرة ٢٥ كم من حيفا .

(١٣) باردس حَنّا : بها ٦٧٠ نسمة .

(١٤) جَبَع : بها ١١٤٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٩ أنشأ اليهود في منطقة هذه القرية مستعمرتهم « جبعة كرمل – Geva'Karmel » كان بها في نهاية ١٩٥٠ (٣٢٧) يهودياً .

(١٥) الخُبَيْزَة : بها ٢٩٠ نسمة .

(١٦) خربة الدّامون : بها ٣٤٠ نسمة .

(١٧) خربة الكسّاير : بها ٢٩٠ نسمة .

(١٨) خربة لِدّ : بها ٢٩٠ نسمة .

(١٩) دالية الرَّوحاء[1] : بها ٢٨٠ نسمة .

(٢٠) دالية الكرمل : بهـــا ٢٠٦٠ نسمة . مساحتها ٦٠ دونمًا . مساحة أراضيها ٣١٧٣٠ دونمًا . يملك اليهود منها ١٧٣٦ دونمًا .

(٢١) رأس علي : بها ٨٠ نسمة .

(٢٢) الريحانية : بها ٢٤٠ نسمة .

(٢٣) سَعْسَع : بها ١٣٠ نسمة .

(٢٤) السِنديّانة : بها ١٢٥٠ نسمة. وفي أراضيها شتيت من عرب «الحدون» وهم من «اللهيب». وفي صيف عام ١٩٤٩ م أسس اليهود مستعمرة في منطقة هذه القرية دعوها باسم « علونا – Alona' » . بلغ عـــدد ساكنيها (٩١) يهوديًا في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٥) شفاعمرو : بها ٣٦٣٠ نسمة . ثانية قرى القضاء في عـــدد سكانها . مساحتها ٣٣٨ دونمًا . فهي أولى قرى القضاء في كبرهـــا وفيما تملكه من أراضٍ ؛ حيث تبلغ مساحتها ٩٧٢٦٧ دونمًا ، يملك اليهود منها ٧٦٢١ دونمًا . تقع شرقي حيفا وعلى مسيرة ٢٢ كم منها. ومن مشاهد « شفاعمرو » قلعتها التي بناها « عثمان ابن ظاهر العُمَر » عـــام ١١٨٢ هـ : ١٧٧١ م. وفي سنـــة ١٩١٠ هُدِّم بعض اجزاء هذه القلعة وبني بحجارتها مدرسة .

وفي جوار شفاعمرو استقرت بعض العشائر العربيـــة مثل (عرب الزُبيدات ٤١٠ أشخاص) وغيرها .

دخل اليهود هذه البلدة في ١٥/٧/١٩٤٨ .

(٢٦) صَبّارِن : بها ١٧٠٠ نسمة .

(٢٧) الصرفند : بها ٢٩٠ نسمة . مساحتها ستة دونمات. ومساحة أراضيها

---

١ – الروح والراحـــة من الاستراحـة . ويوم روح أي طيب . وقيل لهـــذه القريـــة والبقعة الممتدة الى ما وراء « ام الفحم » من أعمال جنين بلاد الروحة والروحاء لأنهـــا ناحية طيبة ، ذات راحة .

والروحاء أيضاً بقعة بين « المدينة المنورة » و « بدر » .

(٥٤٠٩) دونمات جميعها ملك لأهلها .

(٢٨) طَبْعُون : بها ٣٧٠ نسمة .

(٢٩) الطنطورا : بها ١٤٩٠ نسمة . مساحتها ١١٩ دونماً. مساحة أراضيها ١٤٥٢٠ دونماً . لليهود منها ٢٠٥١ دونماً . وفي حزيران من عام ١٩٤٨ م أقام اليهود مستعمرتهم « نهاشوليم – Nahasholim » في أراضي الطنطورا . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ م (١٤٤) يهودياً .

(٣٠) الطّيرَة : على مسيرة ١٢ كم للجنوب الغربي من حيفا . بهـا ٥٢٧٠ نسمة . أولى قرى القضاء سكاناً . مساحتها ٢٢٤ دونماً . ثانية قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٤٥٢٦٢ دونماً . يملك اليهود منها ٦٥٥٣ دونماً . ثالثة قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

(٣١) و (٣٢) عرعرة وعارة : بهما ١٤٩٠ + ٨٠٠ = ٢٢٩٠ عربيـاً . مساحة أراضيها ٣٥،٣٣٩ دونمـاً . وهي ملك للسكان . مساحـة القريتين المتجاورتين (٣٣) دونماً .

(٣٣) عتليت : بها ١٥٠ نسمة .

(٣٤) عِسِفْيا : بها ١٧٩٠ نسمة . مساحة أراضيها ٣٢،٥٤٧ دونمـاً . لليهود منها ١٤٧٦ دونماً . تقع القرية على بعد ١٤ كم من حيفا .

(٣٥) عين حوض : بها ٦٥٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٩ أنشأ اليهود على بقعتها مستعمرتهم Eyn - Hod' باسم القرية العربية التي أُقيمت عليها . كان في هـذه المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٠٥) أشخاص .

(٣٦) عـين غزال : بها ٢١٧٠ نسمة . مساحتها ١٣٠ دونماً . مساحـة أراضيها ١٨،٠٧٩ دونماً لليهود منها ٤٢٤ دونماً . وفي صيف عـام ١٩٤٩ بنى اليهود مستعمرتهم « عين عيالا – Eyn'ayala' » في منطقة عـين غزال . كان في المستعمرة (٢٩٧) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣٧) و (٣٨) و (٣٩) «الغابة الفوقا»، و «الغابة التحتا» و «النّغْنَغِيّة»: بها ١١٣٠ نسمة مساحة أراضيها ١٢١٣٩ دونماً . لا يملك اليهود فيها أي دونم .

ويقيم في « الغابة » « عرب الزوايدة[1] » و « عرب الملاقــة » . وهؤلاء من أعقاب « الشقيري » التركاني[2] . لهم أبناء عم في « غور دامية »[3] .

(٤٠) الفـرَيديس : بها ٧٨٠ نسمة . مساحتها ٦ دونمات . تبعد عن حيفا بنحو ٣١ كم .

(٤١) قنّير : بها ٧٥٠ نسمة .

(٤٢) قِيرَة وقامون : بها ٤١٠ نفوس . و « قـيرة » بطن من « تُجَيْب » من القحطانية . لعلها نزلت هذه الجهات فنسبت اليها .

(٤٣) قيسارية : بها ٩٦٠ نسمة . مساحتها ٢٧ دونمـاً . مساحة أراضيها ٣١٬٧٨٦ دونماً . لليهود منها ٨٧٤ دونماً .

(٤٤) كَبّارَة : بها ١٢٠ نسمة .

(٤٥) كفر قرع : بها ١٥١٠ نفوس .

(٤٦) كفرلام : بها ٣٤٠ نسمة . تقع على مسيرة ٢٦ كم للجنوب من حيفا . أقامها هشام بن عبد الملك الأموي. وهم ياقوت (معجم البلدان ٤/٤٧٠) وذكرها باسم كفرلاب ونسب اليها الفقيه مجاهد الكفرلابي : والراجح ان « بني لام » من

---

١ ـــ من عرب بئر السبع .

٢ ـــ التركان : يعودون بأصلهم الى براري آسية الوسطى الممتدة بـين بحر خزر وبحر خوارزم . وهم أول من أسلم من الترك في القرن الرابع الهجري .

إن أقدم تاريخ لدخول التركان لبلاد الشام، على ما نعلمه، كان في عهد الدول الاتابكية والنورية والصلاحية ، حيث جاهدوا مع أهل البلاد في محاربة الصليبيين . وقد أسكن نور الدين وصلاح الدين الكثير من التركان والأكراد في ساحل الشام وداخله . وعمل مثلهم الظاهر بيبرس وأخلافه من سلاطين المماليك .

وهبط التركان أيضاً ، الشام بعد الفتح العثماني وظل مستمراً في فترات متقطعة حتى اوائل القرن الماضي ثم توقف .

وتركان الجولان، الذين ينتسب اليهم تركان قضاء حيفا ومرج بني عامر ذو سمعة طيبة وصلات حسنة مع جيرانهم .

وتركان فلسطين استعربوا ، وحسنت عروبتهم وذابوا في البوتقة الفلسطينية .

وفي غزة اليوم (حي) يعرف باسم « حي التركمان » نسبة الى ساكنيه .

٣ ـــ تاريخ شرقي الأردن وقبائلها : ٢٧٠ .

طيء نزلوا هذة الجهات وخلدوا اسمهم في هذه البقعة. ويقال ان بعضاً من عشائر منطقة الجليل ، وقــد مرّ ذكرهم ، هم احفاد « بني لام » هؤلاء . ومن « لام » بطن في مصر . و « لام » العراق من أهم قبائله .

وفي صيف عام ١٩٤٩ أقام اليهـود على أراضي « كفرلام » « مستعمرتهـم « هابونيم – Habonim » كان بها بعد تأسيسها بسنة (١٣٩) يهودياً .

(٤٧) المزار : بها ٢١٠ نفوس .

(٤٨) مزرعة إبتان : بها ٢٦٠ نسمة .

(٤٩) هوشه : بها ٤٠٠ نسمة .

(٥٠) وادي عارة : به ٢٣٠ نسمة .

(٥١) وعرة السرّيس : ١٩٠ نسمة .

(٥٢) ياجور : بها ٦١٠ نفوس .

العشائر :

(١) عرب الفُقَرا : ٣١٠ نفوس . بطن من البلاونة من قبائل بئر السبـع . ولهم أبناء عم في « أدفو » في مصر و « دنقلا » في السودان .

(٢) عرب الفوارنة « جسر الزرقا » : ٦٢٠ نسمة .

(٣) عرب النفيعات : ٨٢٠ نسمة . يعودون بأصلهم الى « نفيعات » مصر . وهم ينتسبون الى « نافع بن مروان » بطن من ثعلبة طي [١] .

(٤) عرب الضميري : (٦٢٠) نسمة يقيمون في جوار الخضيرة .

(٥) عرب المنسي (البنيها) : ١٢٠٠ نسمة (وتضم العـــلاقمة ، وقــد مر ذكرهم ، والغرة (وهم من نعيم الجولان) وسُعَيدان [٢] وضبايا .

(٦) عرب العوادين : ٧٥٠ نسمة .

(٧) عرب التواتِهة : ٦٨٠ نسمة .

---

١ – تاريخ سيناء القديم والحديث لنعوم شقير ص ١١٠ القاهرة ١٩١٦ .

٢ – الأرجح انهم من زبيد ، من السواعد المار ذكرهم .

(٨) النّعيم : يعودون بأصلهم الى « نعيم » الجـَوْلان .
والعشائر الآتية يقيمون في ناحية شفاعمرو :
عرب الزبيدات ٤١٠ نفوس ، تتبـع « الغزاوية » المار ذكرها . يقـال إنهم خرجوا من « جلبون » من اعمال جنـين ونزلوا شمالي فلسطين . و (عرب الصفصافه ٤٥٠ نسمة) و (عرب الحلف ٢٨٠ نسمة) و (عرب العميرية ٤١٠ أشخاص) و (الخوالد ٨٠ شخصاً) و (الكـُعَيْبية ٢٦٠ نسمة) و (السواعيد ١٩٠ نسمة) وغيرهم .
وجميـع لواء حيفا ، اليوم ، في يد المغتصبين .

المستعمرات اليهودية :

اولاً : المستعمرات التي أُقيمت في العهد العثماني :

(١) زخرون يعقوب — Zikhron - Ya'aqov : تقـع على مسيرة ٣٥ كم للجنوب من حيفا دُعيت بذلك نسبة الى « يعقوب » والد بانيها المثري اليهودي المشهور « بارون ادموند روتشيلد[١] — Le Baron Edmond deRothschild » أقيمت على البقعة المعروفة باسم « زَمّـارين » . تأسست في نهاية عام ١٨٨٢ م . بها ١٥١٠ أنفس بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ ، ٣٠٠٠ نسمة .
(٢) باتّ شلومو — Bat - Shelomo : تقـع في الشمال الشرقي من زخرون يعقوب . تأسست عام ١٨٨٩ م بها ٩٠ نسمة . بلغوا «١٧٨» شخصاً في ١٩٥٠.
(٣) الخضيرة — Hadeyra : تقع على بعـــد (٥٠) كم للجنوب من حيفا . أنشئت فينهاية عام١٨٩٠م. بها ٧٥٠٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٥٠٠٠ يهودي .
(٤) عتليت — 'Atlit : في عام ١٩٠٣ م أقام اليهود في ظاهر قرية عتليت العربية مستعمرتهم هذه ، دعوها بنفس الاسم . بها ٢٨٠ نسمة . وفي نهاية عام

١ — روتشيلد : هو مؤسس « شركة الاستعمار اليهودي بفلسطين » المعروفة اختزالاً بالبيكا .

١٩٥٠ م بلغوا ٤٠٠٠ يهودي .

(٥) جبعة عَدّا – Giv'at 'ada : تأسست عـام ١٩٠٣ م . عند قريـــة « المراح[1] » للشمال من كركور . بها ١٦٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ م بلغوا ٦٦٠ يهودياً . واما قرية « المراح » اليوم فـلم يبق لنا منها سوى اسمها . بلغ عـــدد ساكنيها في عام ١٩٣٨ (٦٤) عربياً .

(٦) كركور – Karkur : أُقيمت في جوار قريـــة « كركور » العربيـة الواقعة في الشمال الشرقي من الخضيرة وعلى مسيرة ١٥ كم منها . تأسست عـــام ١٩١٣ م بها ٩٠٠ يهودي وفي عام ١٩٥٥ بلغوا ٢٢،٢٠٠ يهودي . وكان في « كركور » العربية في شباط من عـــام ١٩٣٨ (٦٣٥) عربياً . ثم انتهى أمرهم وأمر قريتهم .

وفي جوار « كركور » يقيم شتيت من « التركمان » وهم أبنـاء عم « تركمان » الجولان .

(٧) غَنْ شِموئيل – Gan Samuel : تأسست عام١٩١٣في ظاهر الخضيرة . بها ٣١٠ من اليهود وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا (٥٤٩) يهودياً .

ثانياً : المستعمرات اليهودية التي اقيمت في العهد البريطاني الغادر :

(٨) بنيامينا : تأسست عام ١٩٢٢ . بها ١٢٥٠ نسمة . وفي نهاية عـــام ١٩٥٠ بلغوا ٣٢٦٩ يهودياً .

(٩) ياجور : تأسست عام ١٩٢٢م . بها ١٢٢٠ نسمة بلغوا (١٥١٨) يهودياً في عام ١٩٥٠ .

(١٠) ميرشفيا – Meir Shefeiya : تقع شرقي قرية الفريديس .

(١١) كفارحاسيديم – Kefar Hasidim : تأسست عام ١٩٢٤ . بهـــا ٧٤٠ يهودياً . بلغوا ٢٠٦٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

---

١ – المراح : بالكسر وآخره حاء مهملة . يصلح أن يكون جمع مرح وهو الفرح . ومرح الرجل اذا اشتد نشاطه .

(١٢) رامات يوحانان – Ramat Yohanan: تأسست عام ١٩٢٥ م . بها ٢٦٠ نسمة . بلغوا ٥١٤ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٣) نيشر – Nesher تأسست عام ١٩٢٥ . بها ١٤٠٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ١٧٥٠ يهودياً .

(١٤) كفار عطّا – Kfar'atta : تأسست عام ١٩٢٥ بها ١٦٩٠ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٥٧٠٠ .

(١٥) مِشْمَر هاعِمِق – Mishmar ha'Emeq: بمعنى « حصن المرج » . تأسست عام ١٩٢٦ . بها ٣٩٠ نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٦٠٢) . وقد فشل فوزي القاوقجي ، قائد جيش الانقاذ بهجومه الذي قام به ضد هذه المستعمرة في ٢٥ نيسان ١٩٤٨ . مما كان له أسوأ الأثر في معنويات الفلسطينيين.

(١٦) سدي يعقوب – Sede ya'aqov : أقيمت على قسم من قرية الشيخ بُرَيْك الواقعة على مسيرة ١٨ كم من حيفا في عام ١٩٢٧ م . بها ٣٥٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٣٧٧ يهودياً .

(١٧) كفار يَهُو شُوعَ – Kefar Yehoshua' : انشئت عام ١٩٢٧ . بها ٦٢٠ يهودياً بلغوا ٧١٢ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٨) عين شِمر – 'Ein Shemer : تأسست عام ١٩٢٧ في جوار كركور . بها ٣١٠ نفوس . وفي عام ١٩٥٠ كانوا ٥٢٠ .

(١٩) باردس حَنّا – Pardes Hanna : تأسست عام ١٩٢٩ . بها ١٨٦٠ نسمة بلغوا ٤٤٩٥ شخصاً في عام ١٩٥٠ .

(٢٠) تل زور – Tel Zor : تأسست عام ١٩٣٢ . بها ١٠٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٢٦٠ . تقع في جوار زخرون يعقوب .

(٢١) رامات يساي – Ramat Yisshai : أقيمت عام ١٩٣٢ م عند قرية « جَيْدا » العربية . كان في المستعمرة (٥٠) يهودياً وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٦٩٠ شخصاً . وأما قرية « جَيْدا » التي كان بها (٤٣) عربياً عام ١٩٣٨ لا وجود لها اليوم . وتبعد جيدا عن حيفا نحو ٢١ كم .

(٢٢) كفار بينس – Kefar Pines : تأسست عام ١٩٣٣ . بهـــا ٢٨٠ شخصاً وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٣٧٨ . تقع في جوار كركور .

(٢٣) مشماروت – Mishmarot : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٢٧٠ نسمة . كانوا ٢٣٦ في عام ١٩٥٠ . أقيمت في جوار كركور .

(٢٤) هادار عام Hadar 'Am : تأسست عام ١٩٣٣ . كان بهـــا ٥٨ نسمة في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٥) قريات حايم – Qiryat Hayim : أقيمت عـــام ١٩٣٣ في جوار حيفا . كان بها ٥٢٣٠ نسمة بلغوا ١١٠٠٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٦) عين عيرون – 'Ein 'Iron : تأسست في جوار كركور عـــام ١٩٣٤ بها ٤٠ نسمة . كانوا ٣٨٧ في عام ١٩٥٠ .

(٢٧) كفار بياليك – Kfar Byalik : تأسست عـــام ١٩٣٤ في جوار حيفا . بها ٩٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كانوا (٢٠٥) أشخاص .

(٢٨) قريات موتزكين – Qiryat Motzkin : أقيمت عام ١٩٣٤ في ظاهر حيفا . كان بها ٢٧٤٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٢٠٠ شخص .

(٢٩) قريات بياليك – Qiryat Bialik . تأسست في نهاية عام ١٩٣٤ في جوار حيفا . كان بها ٩٠٠ نسمة . بلغوا ٣٠٠٠ يهـودي في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣٠) قريات شموئيل – Qiryat shmuel : تأسست عام ١٩٣٥ في ظاهر حيفا . كان بها ١٦٠ نسمة بلغوا في عام ١٩٥٠ (١٩٥٠) يهودياً .

(٣١) عيلروي – ElRo-i أو 'Elroi : تأسست عـــام ١٩٣٥ بها ٣٦٠ نسمة بلغوا في عام ١٩٥٠ (٤٢٧) شخصاً. أقيمت على قسم من بقعة « الشيخ بريك » ، التي تعلو ١٣٧ متراً .

(٣٢) يقنعام – Yoqne'am : تأسست في نهـــاية عام ١٩٣٥ على قسم من أراضي قرية « قيرة وقـــامون » . بها ٢٦٠ نسمة بلغوا في نهاية عـــام ١٩٥٠ (١٤٠٠) يهودي .

(٣٣) قريات هاروشت – Qiryat Haroshet : انشئت على قسم مـــن

أراضي الشيخ بريك على ١٩٣٥ . بها ٢٤٠ نسمة وفي عـــام ١٩٥٠ كانوا ٢٦٥ .

(٣٤) شعار هاعمقيم — Sha'ar Ha'Amaqim: انشئت على الشيخ بريك عام ١٩٣٥ . بها ٣٦٠ نسمة . كانوا (٥٢٠) شخصاً في عام ١٩٥٠ .

(٣٥) هازورعا — Hayzore'a : تأسست عام ١٩٣٦ على بقعـة من اراضي قرية (قيرة وقامون). بها ٢٩٠ نسمة . كانوا ٥٠٣ أشخاص في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣٦) بيت شعاريم — Beit She'arim : تأسست عـــام ١٩٣٦ بهـا ٣٣٠ شخصاً وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٥٢٤ .

(٣٧) كفارهام مكابي — Kfar ham Maccabi : تأسست عـام ١٩٣٦ بها ٢١٠ أشخاص بلغوا ٣٢٢ في عام ١٩٥٠ .

(٣٨) قريات عامال — Qiryat 'amal : أقيمت عـــام ١٩٣٧ على الشيخ بريك . بها ٥٣٠ نسمة بلغوا ١٨٥٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣٩) مشمرت — Mishmeret : تأسست في عام ١٩٣٧ . كان بها ٢٤١ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٠) اوشا — Usha : تأسست في عام ١٩٣٧ . بهـــا ١٨٠ نسمة . بلغوا ٣٠١ في عام ١٩٥٠ .

(٤١) عين هاشوفت — 'Ein hash Shofet: بنيت عام ١٩٣٧ على قريـــة « جعارة » العربية . التي كانت تضم ٧٠ عربياً . كان في المستعمرة ٣٢٠ يهودياً وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغ عدد ساكنيها ٥٦٣ يهودياً .

(٤٢) قريات بنيامين — Qiryat Binyamin : تأسست عام ١٩٣٧ . بلغ عدد ساكنيها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٥٧٠) يهودياً .

(٤٣) آلونيم أو طبـــعون — Alonim (Tiv'on) : أُقيمت على أراضي طبعون العربية في عام ١٩٣٨ بها ٣٢٠ نسمة بلغوا ٢٢٥٠ يهودياً في نهاية عـــام ١٩٥٠ .

(٤٤) معيان سفي — Ma'yan - Svi : تأسست عام ١٩٣٨ في جـــوار زخرون يعقوب . بها ١٣٠ نسمة . بلغوا (٣٤٠) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٥) كفار مازاريك ـ Kfar Masaryk : أقيمت عام ١٩٣٨ بهـا ٢٧٠ نسمة . ثم ٤٦٢ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٦)عين حامفراتس ـ 'Eyn - Hamifrats : أنشئت عام ١٩٣٨ . بهـا ٢٦٠ نسمة . بلغوا ٣٨٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٧) دالية : تأسست عام ١٩٣٩ . بها ٣٢٠ نسمة بلغوا (٤٥٥) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٨) كفار غليكسون ـ Kefar Galickson . تأسست عـام ١٩٣٩ في في جوار باردس حنا . كان بها ١٩٠ شخصاً بلغوا (٤٦٠) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤٩) Neve Yam ـ نفي يام : تأسست عام ١٩٣٩ . تقع جنوبي عتليت . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٦٥) يهودياً .

(٥٠) بيت اورن ـ Beit Oren : اقيمت عام ١٩٣٩ . بها ٢١٠ نفوس . بلغوا ٦٥٥ في عام ١٩٥٠ .

(٥١) عفيق ـ 'Afeyk : تأسست عام ١٩٣٩ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ ٤٦٠ يهودياً . وقبلاً كانت تدعى (مشمار هايام ـ Mishmar - Hayam) .

(٥٢) قيسارية : تأسست عام ١٩٤٠ م . بها ١٦٠ يهوديـاً . بلغوا ٣٨٧ في نهاية عام ١٩٥٠ . وتعرف ايضاً باسم : « Sdot - yam group » .

(٥٣) رامات هاشوفت ـ Ramat hash - Shofet : تأسست عام ١٩٤١. بها ٢٤٠ نسمة . كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٤٤٣) يهودياً .

(٥٤) معانيت نارباطا ـ Ma'anit Narbata : بنيت عام ١٩٤٢ في جوار كركور . بها ٢٢٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٤١٠ .

(٥٥) غيفوت زيد ـ Giv'ot Zeid : أقيمت على أراضي قرية الشيخ بريك في عام ١٩٤٣ . بها ١١٠ أشخاص وفي عام ١٩٥٠ كانوا ٩٩ يهودياً .

(٥٦) غان ها'شمْرُون ـ Gan - Hashomron : تأسست عـام ١٩٤٣ . كان بها ٣٢٧ نسمة في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥٧) عين هاعميق ـ 'Ein Ha'eymeq : تأسست عام ١٩٤٤ . كان بها في

نهاية عام ١٩٥٠ (٢٥٠) يهودياً .

(٥٨) بن اسحق – 'Even Yshaq : تأسست عام ١٩٤٥ . كان بها فيٍنهاية عام ١٩٥٠ (٤٠٩) يهود . بنيت في شمال قرية عارة .

(٥٩) قريات يام – Qiryat yam عرفت في وقت ما باسم Gev Yam: تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في عام ١٩٤٨ (٩١٠) من اليهود . بلغوا ٥٠٠٠ في نهاية عام ١٩٥٠ . تقع على خليج عكا ، بين عكا وحيفا .

(٦٠) اورعكيفا – Or'Aqiva وتعرف ايضاً باسم Sedey'Aqiva: تأسست عام ١٩٤٧ في ظاهر قيسارية . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٧٢) يهودياً .

(٦١) عين حاييام – 'Ein Hay yam : تأسست في عام ١٩٤٧ م في جوار عتليت . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٦٥) يهودياً .

(٦٢) حرب لات – Harb Lat : تأسست عام ١٩٥٠ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٦٨) يهودياً .

ثالثاً

لواء نابلس

(١) قضاء جنين :

مساحته ٢و٨٣٥ كم٢ . يملك اليهود منهـا ٢و٤ كم٢ . أي بنسبة ٥و٠٪ (أو ٥ بالألف) من مجموع الأراضي . ولم يتمكن اليهود من ان يؤسسوا لهم فيه أيـة مستعمرة .

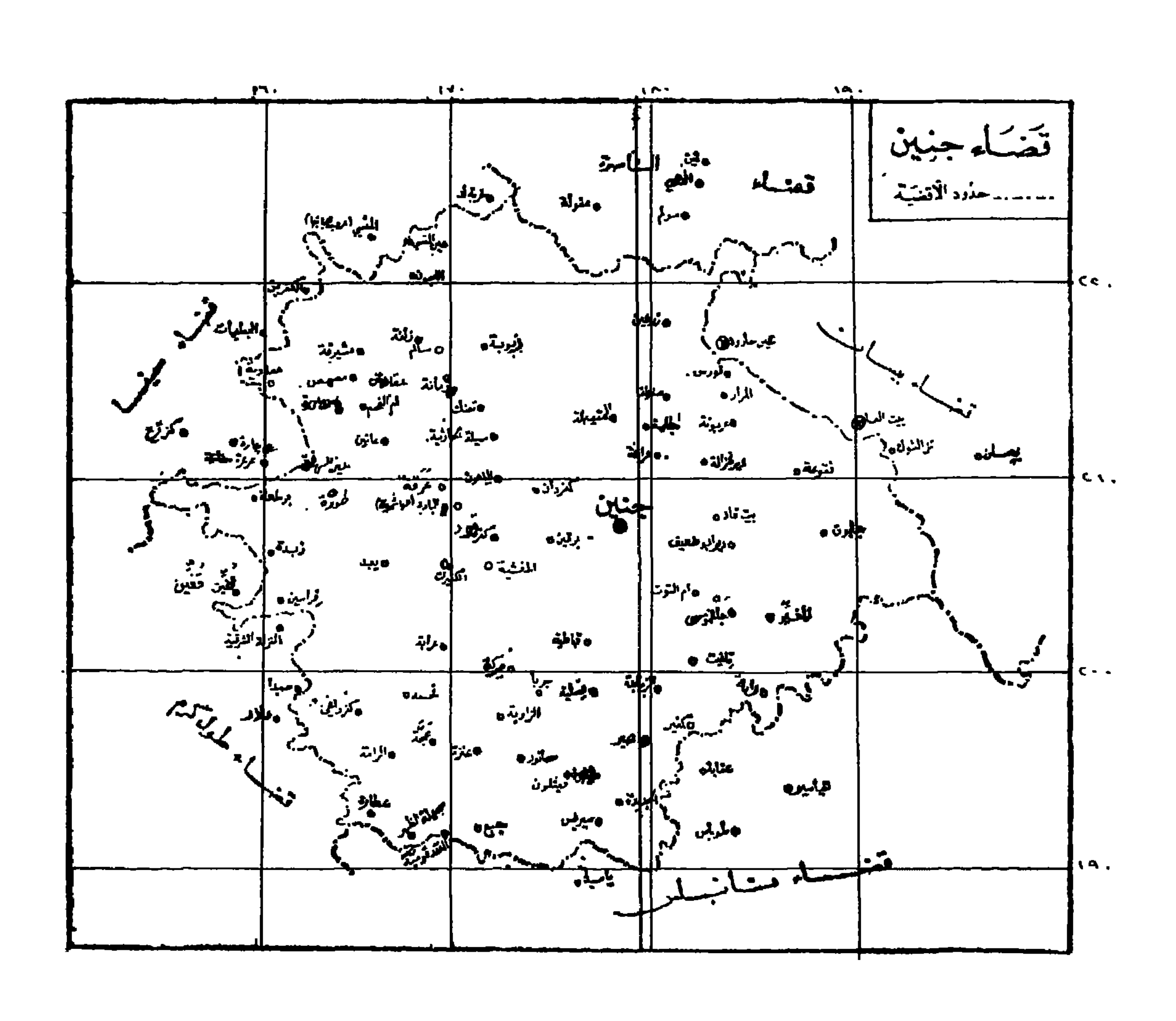
بلغ عدد سكانه ٥٥٧٢٠ مسلماً و ١١٦٠ مسيحياً (٥٦،٨٨٠ عربياً). ومع ذلك فقد اغتصب اليهود منه القرى الآتية :

(١) عين المنسي أو المنسي : تقع في الشمال الغربي من جنين على مسافة ١٨ كم. قرية صغيرة مساحتها دونمان وقدر عدد سكانها بتسعين نسمة . مساحة أراضيها ١٢٩٥ دونماً .

(٢) زَلَـفَة : تقع في الشمال الغربي من جنين وعلى مسيرة ١٩ كم منهـــا . مساحتها ٨ دونمات . وأما مساحة أراضيها فتبلغ ٣٧٨٩ دونماً . عـــدد سكانها ٣٤٠ نسمة . ذكر المغتصبون انه كان بهـا في نهاية عام ١٩٤٩ (٣٣٧) شخصاً .

(٣) معاوية : قرية صغيرة ، تقع غربي أم الفحم وعلى بعد ستة كيلومترات منها . كان عدد سكانها في نهاية عـام ١٩٤٠ م (٢٠٦) نسمات . ذكر اليهود في احصاءاتهم ، انهم كانوا في نهاية عام ١٩٤٩ (٢٣٢) شخصاً .

(٤) مِصمِص : تقع على الطريق العامة الموصلة بين اللجون ـ طول كرم ، وغربي قرية « زلفة » المـــار ذكرها . ترتفع مصمص ١٢٠٣ أقدام عن سطح



قضاء جنين
حدود الأقضية
قضاء الناصرة
قضاء بيسان
قضاء نابلس
جنين

البحر . بلغ عدد سكانها في نهاية عام ١٩٤٠ م (٣١٦) نسمة . وفي نهايـة عام ١٩٤٩ كان بها حسب تقديرات المغتصبين ٤٥٥ شخصاً .

(٥) المشيرفة : تقع للشمال من مصمص . كان بهـا في عام ١٩٤٠ (٣٠٩) أشخاص . وفي نهاية عام ١٩٤٩ ، ذكر مغتصبوها بأنهم ٣٨٥ شخصاً .

(٦) اللجّون : تقع على الطريق بين حيفا وجنين ولا تبعد عن الثانية بأكثر من ١٨ كم. واللجون مجموعة من أربعة أقسام صغيرة على مقربة من بعضها البعض ، لا يزيد ارتفاعها عن ١٧٥ متراً . كان فيها في نهاية عـام ١٩٤٠ م (١١٠٣) أشخاص .

ذكرها المقدسي (أحسن التقاسيم : ١٦٢) « أنها مدينة على رأس حد فلسطين في الجبال . بها ماء جار ، رحبة ، نزيهة » .

لم نعثر على ذكر لهذه القرية في قوائم مغتصبيها . أقام اليهود في أوائل عـام ١٩٤٩ مستعمرة لهم في بقعتها دعوها باسم « مَجِدُّو » . كان بها في نهاية العـام المذكور ٦٩ يهودياً بلغوا في نهاية عـام ١٩٥٠ (٨٢) . وتقع خرائب « مجدو » القديمة في جوار قرية « اللجون » .

(٧) أم الفحم : تقع في الشمال الغربي من جنين وعلى مسيرة ٢٥ كم منهـا . ترتفع عن سطح البحر ٤٥٠ متراً . وتعـد من أمهات قرى قضاء جنين . فهي الأولى في مساحة أراضيها ٧٧٬٢٤٢ دونماً ـ بما فيها أراضي اللجون ومعاوية والمشيرفة ومصمص ـ والثانية في كبرها (١٢٨ دونماً) والثالثة في عدد سكانها. وقد قدر عددهم في ١٩٤٥/٤/١ بـ (٥٤٣٠) نسمة ، بما فيهم سكان القرى الأربع الآنفة الذكر .

وفي نهاية عـام ١٩٤٩ قالت احصاءات العدو إن في أم الفحم نفسها ٤٨٦١ نسمة .

(٨) المُقَيْبِلَة : مساحتها ١٢ دونماً . ومساحة أراضيها ٧١٢٨ دونمـاً . بها ٤٦٠ نسمة . تقع في مرج بني عامر للشمال من جنين وهي أقرب قرية عربية تقع على خط الهدنة في شمال قضاء جنين . اكتفى المغتصبون بذكر اسمها فقط

في قوائمهم .

(٩) المزار : بلدة جبلية موقعها يشرف على الغور ومرج بني عامر . بهـــا ٢٧٠ شخصاً . مساحتها ٧ دونمات وأمـــا مساحة أراضيها فتبلغ ١٤،٥٠١ من الدونمات .

(١٠) نُورِس : بهـــا ٥٧٠ نسمة . مساحتها ٣٦ دونمـاً . مساحة أراضيها ٦٢٥٦ دونماً . وفي عام ١٩٥٠ أقـــام اليهود مكانها مستعمرتهم التي دعوها باسم القرية العربية . سكنها في تلك السنة ٤٣٠ شخصاً .

(١١) صَنْدَلَـة : مساحة أراضيها ٣٢٤٩ دونماً ومساحتها ٧ دونمات . بها ٢٧٠ نسمة . تقع على طريق جنين — العفوله — الناصرة .

(١٢) زرِعين : تقع في الشمال من صَنْدَلة . سكانها ١٤٢٠ نسمة . مساحتها ٨١ دونماً . وفي صيف عام ١٩٤٨ أقام اليهود على بقعتها مستعمرتهم يزرعيل — Yizr'el . كان بها في نهاية العام المذكور ٦٩ يهودياً وبعد سنتين بلغوا ٩٦ .

(١٣) بَرْطعة : قسم من مبانيها يقع في القسم . وهي حـالة مؤلمة نراها في بعض البقاع الفلسطينية بعد نكبة ١٩٤٨ . تقع للشمال من « يعبد » وعلى مسيرة نحو ٦ كم منها .

* * *

لا يملك اليهود في جميع أراضي القرى ، المـار ذكرها ، أيـة قطعة أرض باستثناء ١٧١١ دونماً امتلكوها من أراضي قرية زرعين . مع العلم بأن مساحة أراضي هذه القرية تبلغ ٢٣،٩٢٠ دونماً .

المدن والقرى الناجية في قضاء جنين

مدينة جنين :

تشرف على مرج بني عامر . ويقوم قسم كبير من بناياتها على « تل عز الدين » الذي يقع شرقي المدينة ولغزارة مياهها تكثر فيها الجنائن والبساتين .

قدر عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ بنحو ٣٩٩٠ عربياً جميعهم مسلمون ، بينهم

١٥٠ مسيحياً . مساحتها ١١٠٥ دونمات . وفي ١٨/١١/١٩٦١ بلغ عدد سكان جنين « ١٤،٤٠٢ » من الأشخاص بينهم ١٠٧ مسيحيين .

والمسافات الآتية ، بالكيلومترات ، تبين بُعد هذه البلدة عن غيرها من المدن والقرى :

يافا : ٩٩ بيسان : ٣٤ عن طريق زرعين طوباس : ٢٤ : نابلس : ٤٣
دير شرف : ٣٥ اللجون : ١٦ حيفا : ٥١ . كفر راعي : ٢١ الناصرة : ٣٣
العفولة : ٢٠ طول كرم : ٤٢ عن طريق باقة — عرابة .

القرى :

اسم القرية	عدد سكانها في ١/٤/١٩٤٥	عدد سكانها في ١٨/١١/١٩٦١
ام التوت	١٧٠	٢٦٦
بَرْطَعَة	١٠٠٠	٦٩٣[١]
بيت قاد	٢٩٠	٢٤٧
بِرْقين[٢]	١٥٤٠	٢٠٥٥
تِعِنّك	١٠٠	٢٤٦
تِلْفيت	١٧٠	
جَبَعْ	٢١٠٠	٢٥٠٧
الجُدَيدَة	٨٣٠	١٣٥١
جَرْبا	١٠٠	
جَلْبُون	٦١٠	٨٢٦
جَلْقَمُوس	٢٢٠	٤٣٥

١ — ومما هو جدير بالذكر ان بالقسم الأردني من برطعة مدرستين : واحدة للبنين بها ١٠١ من الطلاب وأخرى للبنات بها ٥٥ طالبة وذلك في عام ١٩٦٢ — ١٩٦٣ المدرسي .

٢ — وفي مصر ايضاً قرية تعرف باسم « برقين » ينسب اليها العالم الفيلسوف احمد لطفي السيد (١٨٧٢ — ١٩٦٣ م) .

جَلَمة[1]	٤٦٠	٧٨٤
الجَنْزُور	—	١٥٩
حفيرة عَرّابة	—	١٩١
خربة بِرْقين	—	١٧٤
دير أبو ضعيف	٨٥٠	١١٩١
دير غزالة	٢٧٠	٤٩٣
رابا	٨٧٠	١١٤٣
الرّامة	٢٨٠	٣٧٦
رُمّانَة	٨٨٠	١٢١٤
الزاوية	١٢٠	١٥٢
الزّبابدة	٨٧٠	١٤٧٤
زَبْدَة[2]	١٩٠	٢٢٥
زَبُوبَة	٥٦٠	٦٨٣
سيريس	٨٣٠	١٢٠٧
سيلة الظهر	٢٨٥٠	٣٥٦٦
سيلة الحارثية	١٨٦٠	٢٥٦٦
صانور	١٠٢٠	١٤٧١
صير	٢٩٠	٤٧٠

وفي جنوبي لبنان قرية تحمل نفس الاسم .

طورة الغربيّة	—	٣٣٦
الطيبة	—	٤٦٧

١ — جلمة ، ايضاً قرية من أعمال حماة في سورية .

٢ — زبد : بفتح أوله وثانيــه . اسم إله سامي مشترك . ومعنى الجذر (زبد) العطاء والسخاء والكرم . ويظهر هذا الاسم محرفاً أو غير محرف في عـدة أمكنة في فلسطين وسوريا ولبنان وشرقي الأردن . والراجح انه كان يعبد فيها .

عانين	٥٩٠	٧٥٢
عجّة	٨٩٠	١١٩٠
عرّابة[١]	٣٨١٠	٤٨٦٥
عرّانة	٣٢٠	٥٣٩
عرّبونة	٢١٠	٢٩٨
عرّقة	٣٥٠	٥٦٩
عطّارة	٢٥٠	٣٨٨
عنزة	٨٨٠	١٠١١
عين نين	—	١١٢
فحمة	٣٥٠	٥٤١
فراسين	٢٠	—
فقّوعة	٨٨٠	١٠٩٩
الفندقوميّة	٦٣٠	١٠١٤
قباطية[٢]	٣٦٧٠	٥٩١٧
كفردان	٨٥٠	١٢٦٢
كفرراعي	٢١٥٠	٢٨٢٣
كفرقود	٢٥٠	٣٦٢
الكفير	١٤٠	١٣١
الكفيرات	٢٤٠	٤٥٧
مركة	٢٣٠	٣٠٣
مسلية	٣٣٠	٦٠٦

دعيت بذلـــك نسبة الى قبيلة « مسلية » التي نزلتها بعد الفتوح الإسلامية

١ – وفي مصر أيضاً بقعة تحمل نفس الاسم .
٢ – الراجح انها تحريف (قاطيه) . وجذر (قط) سامي مشترك يفيد الجفاف كما يفيد الاس‍ـ‍ـ‍ـاك والربط .

وهي قبيلة ينتهي نسبها الى « مَذْحِج » من القحطانية .

المُغَيِّر	٢٢٠	٣٩٠
ميثلون	١٣٦٠	٢٢٤٣
نزلة زيد	ضمت سكانها الى يعبد	١٣٢
الهاشمية (البارد) سابقاً	٢٨٠	٣٧٧
اليامون	٢٥٢٠	٤١٧٣
يعبد[1]	٣٤٨٠	٤٧٠٩

فيكون المجموع مدينة واحدة و ٥٨ قرية .

٢ – قضاء نابلس :

مساحة هذا القضاء ١٥٩١,٧ كم٢ يملك اليهود (١٥) دونماً تقع في مدينة نابلس بلغ عدد سكانه ٨٩،٢٠٠ نسمة بينهم ١٥١٠ من المسيحيين و ٢١٠ (آخرون) معظمهم من السامريين والباقي (٨٧٤٨٠) من المسلمين .

ومع ذلك فقد اغتصب ٢٦,٧ كم٢ من أراضي قريــة طوباس البالغة مساحتها ٣١٣,١ كم٢ .

أسماء المدن والقرى في قضاء نابلس ، وجميعها ولله الحمد نجت

١ – **مدينة نابلس :** قدر عــدد سكانها في ١/٤/١٩٤٥ بنحو ٢٣،٢٥٠ نسمة بينهم ٦٨٠ مسيحياً و ٢١٠ من السامريين وغيرهم والباقي مسلمون . مساحة نابلس ٥٥٧١ دونماً . وفي ١٨/١١/١٩٦١ كان بها ٤٥،٩٨٠ شخصاً بينهم ٦٢٧ مسيحياً و ٢١٢ سامرياً .

أشهر ما اشتهرت به نابلس زيوتها ومعامل صابونها. فقد عرفت نابلس صناعة الصابون منذ القدم . وصف شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي المتوفى عام ٧٢٧ هـ: ١٣٢٧ م زيوت نابلس وصابونها بقوله: [قد خص

---

١ – لعلها محرفة من الجذر السامي المشترك (عبد) . يفيد تمهد الأرض وشقها بالفلاحة.

قضاء نابلس

- - - حدود دولية
. . . حدود الأقضية

نابلس

قضاء بيسان

قضاء جنين

قضاء طولكرم

قضاء رام الله

قضاء القدس

نهر الأردن

المملكة الاردنية الهاشمية

١٥٠ ١٦٠ ١٧٠ ١٨٠ ١٩٠ ٢٠٠

الله تبارك وتعالى نابلس بالشجرة المباركة ، وهي الزيتون . ويُحمل زيتها الى الديار المصرية والشامية والى الحجاز والبراري مع العربان . ويحمل الى جامع بني أمية منه في كل سنة الف قنطار بالدمشقي . ويُعمل منه الصابون الرقي يحمل الى سائر البلاد التي ذكرنا والى جزائر البحر الرومي[1]] .

ومما هو جدير بالذكر ان الحكومة البريطانية كانت دائماً تضع العراقيل أمام مختلف الصناعات العربية لتحول دون تقدمها . بينما كانت تشجع الصناعات اليهودية وتحميها من المزاحمات الخارجية بشتى الوسائل والقوانين .

تبعد نابلس عن المدن والقرى الآتية بما ذكر بجانبها من كيلومترات :

القدس	٦٥	دير شرف	٩	جنين	٤٣
جنصافوت	١٦	يافا	٧٤	حُوّارة	١٠
أريحا	٧٢	جسر دامية	٤٢		
كفل حارث	٢٣	طوباس	٢٣	بُرقه	١٦
خربة بيت ليد	٤١	طول لكرم	٢٩	جرش	١٢٣
الناصرة	٧٥	حيفا	٩٤ عن طريق جنين	إربد	١٣٠
قلقيلية	٣٤ عن طريق الفندق	بيسان	٧٥	عمان	١٠٠
رام الله	٥١	سبسطيه	١٠	السلط	٧٦
				بيروت	٢٣٨

القرى :

اسم القرية	عدد سكانها المقدرة في ١٩٤٥/٤/١	سكانها في ١٩٦١/١١/١٨
إبروقين[2]	٦٩٠	١١٤١
إجنيسنيا	٢٠٠	٢٣٩

---

١ ـ بلدانية فلسطين العربية ص ٢٢٨ .

٢ ـ لعل الهمزة في أولها ليست أصلية فتكون من « برك » وهي كلمة سامية مشتركة بين اللغات السامية الأخرى ، تفيد معنى الاناخة . فان صح هذا فيكون معناها « مكان الاناخة والاستراحة » . وما قيل عن ابروقين يقال عن « برقين » من اعمال جنين .

سعيده	—		٢٣٨
إسكاكا	٢٦٠		٤١٥
إمّاتين	٤٤٠		٧٨٢
ام حُرّيرَه	١٨١	بما فيها قراوى الفوقا وقراوى التحتا	١١٥٠
اودَلة	ضمت الى عورتا		١٧٩
او َصرين	٢٠،		٢٩٣
الباذان	—		٤٤٦
باقة الحطب	٣٩٠		٥٦٩
بدْيا	١٣٦٠		٢٢١٢
بُرقه	٢٥٩٠		٣٣٥٢
بَزّارِيه	٣٢٠		٥٣٠
بلاطة	٧٧٠		٢٢٩٢
بورين	١٢٠٠	مع عراق بورين	٢٠٦٨
بيت إمرين	٨٦٠		١٠٤٨
بيت أمين	—		٢٧٤
بيت إيبا	٦٣٠		١٠٦٩
بيتا التحتا	مع بيتا الفوقا		٦٩٣
بيتا الفوقا	١٥٨٠	مع بيتا التحتا	١٤٩٨
بيت دجن	٧٥٠	مع قرية الفروش	٩٢٦
بيت فوريك	١٢٤٠		١٩٩٧
بيت وَزَن	٣١٠		٣٧٢
تلّ	١٠٦٠		١٥٣٩
تلفيت	٦١٠		٩٠٤

و « تلفيتا » ايضاً قرية من أعمال محافظة دمشق في سورية .

تياسير	٢٦٠	٤٨٧
جالود	٣٠٠	٢٩٠
جَمّاعين	١٢٤٠	١٩٦٥
جِنْصافوت	٤٥٠	٧٢٩
جنيد	٩٠	١٥٦
جوريش	٣٤٠	٤١٩
جيت	٤٤٠	٦٦٠
حارس	٩٦٠	٧٢٦
حَجّة	١٦٧٠	١٠٩٣
الخناجنة	—	١٤٥
حُوّارة	١٣٠٠	١٩٦٦
خربة بَرْدَلة	مع طوباس	٣٦٧
خربة يزيق	—	١٦٤
« الدير	—	١٠٩
« سالم	—	٤٤٨
« الساكُوت	—	١٤٠
« صبر	—	٢٣٥
« الطويل	—	١٢٦
« قانا	—	١٤١
« قَيْس	١٧٠	٢٠٩
« الملاحة	—	١٣١
الدّشة	—	٢٤٢
دوما	٣١٠	٤٤٤
دير أبو الشّوس	—	١٠٢
دير إستيا	١١٩٠	١٦٤١

دير الأقرع	—	١٧٩
دير بَلوط	٧٢٠	١٠٨٧
دير الحطب	٣٧٠	٤٨١
دير شرف	٨٠٠	١٢٤١
راقات	١٨٠	٣٧٥
رَفِيديا[١]	٤٣٠	٩٢٢
الرقّة	—	١٤١
روجيب	٣٩٠	٦٢٨
الزّاوية	٧٢٠	١١٧٠
زواتا	٣٣٠	٤٦٦
زور ابو سدرة	—	٤١٤
« ابو رفعة	—	١٦٧
« الشطيّة	—	١٩٩
« علاّن	—	١٠٣
« الطمّوني	—	١٦١
« النصيرات	—	٢٥٧
زيتا	٥١٠	٧٠٨
سالم	٦٦٠	٨٨٨
السّاوية	٨٢٠	١١٥١
سَبَسْطِيَة	١٠٢٠	١٣٤٥
سَلفيت	١٨٣٠	٣٣٩٣

١ — من (رفد) وهي جذر سامي مشترك . بمعنى « كمن » و « زحف » . فيكون معناها الممتدة ، المسطحة . وفي شرقي الأردن قرية تعرف باسم « الرفيد ٧٨٧ نسمة » من أعمال لواء عجلون ، تقع بالقرب من الحدود السورية — الأردنية . وقد تكون قبيلة « رفيدة » من «كلب» القحطانية نزلت الجهات المذكورة وخلدت اسمها في هذين الموقعين .

سِنْيرية	٩٩٠	١٠٨٩
صَرْطة	٤٢٠	٧٤٠
صَرّة	٥٤٠	٧٦٧
طَلُوزَة	١٨٣٠	١٦٦٧
طمُّون	٢٠٧٠	٢٥٩٣
طوباس	٥٥٣٠	٥٧٠٩
عَجُور	—	٢٠٢١
عراق بُورين	—	٢١٣
عراق الطايح	—	٢٠١
عَزْموط	٤١٠	٦١٥
عَزُّون عَتْمة	—	٢١١
عَسْكَر	٣٤٠	—
عصيرة القبلية	٤١٠	٧١٨
عصيرة الشمالية	٢٠٦٠	٣٢٣٢
عَقّابة	٦٠٠	١١٦٤
عقرباء	٢٠٦٠ مع فصايل	٢٨٧٥
العقربانية	ضمت الى طوباس	١٤٧
عَمُّورية	١٢٠	١٥٧
عورتا	١٤٧٠	٢٠٦٩
عوريف	٥٢٠	٧١٠
عينبوس	٣١٠	٥٢٤
عين البيضا	—	٥٤٣
عين شِبْلة	—	٢٨٩
الفارعة	—	٤٨٥
فَرْخة	٣٨٠	٥٦٤

فرْعتا	٧٠	١١٧
فصايل	ضمت الى عقرباء	٣١٨
الفُنْدُق	٣٨٠	١٣٧
فروش بيت دجن	ضمت الى بيت دجن	٧٤٣
قبلان	١٣١٠	١٨٦٧
قراوى بني حسّان	٤٥٠	٦٦٧
قراوى التحتا	ضمتا الى غور الفارعة	٢٤٣
قراوى الفوقا		١٠٣٠
قرْيوت	٩٣٠	١١٦٣
قصْرَى	١١٢٠	١٣١٢
قوزَة	—	١٤٨
قوصين	٣١٠	٤٩٤
قيرة	١٤٠	٢٥٩
الكرنتينا وجسر دامية	—	٧٩٧
كفر الدّيك	٨٧٠	١٣٦٥
كفر قدُوم	١٢٤٠	١٧٠١
كفر قلّيل	٤٧٠	٧٤٩
كفرلاقف	٢١٠	٣٠٤
كفل حارث	٧٧٠	١٣٤١
اللّبن الشرقي	٦٢٠	٩٨٤
مادما	٢٩٠	٤٥٦
مجدل بني فاضل	٤٣٠	٦٢٨
المخروق	—	٥٧٢
مرج نعْجَه	—	٤٤٨
مردة	٤٧٠	٨٥٢

مسحة	١١٠	٤٧٨
المُغَيِّر	٢٩٠	٣٦٥
ميحان السَّمن	—	٢٩٤
الناقورة	٣٥٠	٤٨٧
نصف جبيل	٢٦٠	٢٢٨
ياسوف	٣٦٠	٥٨٥
ياصيد	٤٨٠	٧١٤
يانون	٥٠	١٠٣
يتما	٤٤٠	٦١٨

أي مدينة واحدة و ١٣٠ قرية .

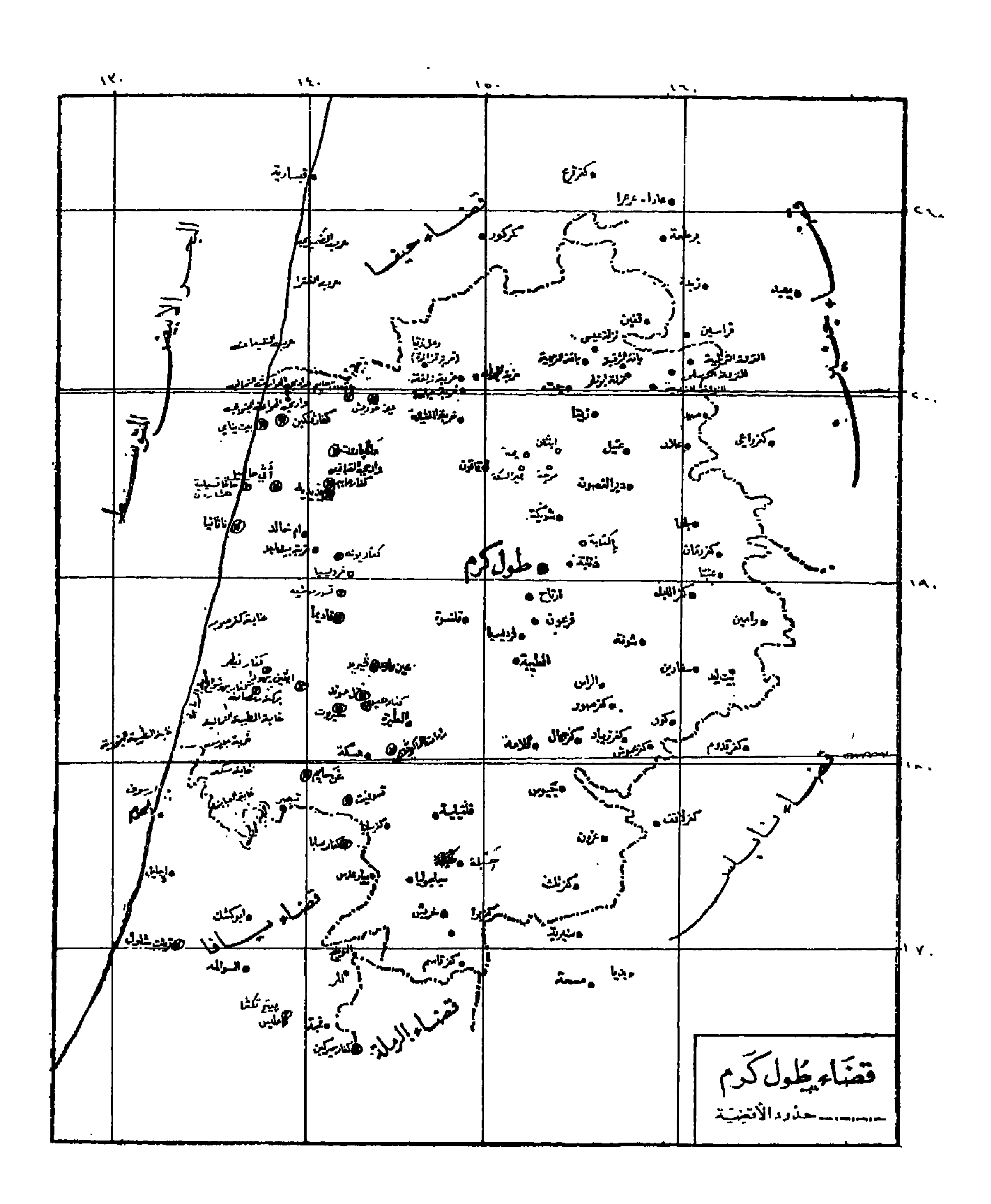
٣ — قضاء طول كرم :

مساحته ٣و٨٣٥ كم٢ . يملك اليهود منها ٣و١٤١ كم٢ . أي بنسبة ٩و١٦٪ من مجموع مساحة القضاء . بلغ عدد سكانه في ١/٤/١٩٤٥ نحو ٨٦،١٤٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	: ٧٠،٨٤٠
مسيحيون	: ٣٨٠
آخرون	: ٢٠
مجموع عدد السكان العرب	: ٧١،٢٤٠
اليهود	: ١٤،٩٠٠ أي ٣و١٧٪ من مجموع السكان .
مجموع سكان القضاء	: ٨٦،١٤٠

اسماء المدن والقرى التاجية :

(١) طول كرم : تحريف « طور كرم » . والطور في كلام العرب الجبل . وقال بعض أهل اللغة : لا يسمى الجبل طوراً حتى يكون ذا شجر . ولا يقال



١٣٠
١٤٠
١٥٠
١٦٠
١٧٠
قيسارية
كفر قرع
عارة
عرعرة
برطعة
قضاء حيفا
البحر الأبيض المتوسط
قفين
يعبد
زيتا
باقة الغربية
قاقون
عتيل
علار
دير الغصون
شويكة
عنبتا
طولكرم
ناتانيا
إرتاح
فرعون
قلنسوة
كفر اللبد
رامين
الطيبة
الطيرة
الراس
كفر صور
سفارين
بيت ليد
كفر جمال
كفر زيباد
كفر قدوم
جيوس
قلقيلية
عزون
كفر ثلث
جلجولية
كفر قاسم
قضاء يافا
قضاء الرملة
قضاء نابلس
قضاء طولكرم
حدود الأقضية

للأجرد طور .

تبعد مدينة طول كرم عن البحر بنحو ١٦ كم . يمتد أمامها السهل الساحلي الفلسطيني . وقد عظم شأنها عندما جعلها العثمانيون مركزاً لقضاء (بني صعب) في أواخر القرن الماضي . ولعل هذه التسمية تعود الى « آل صعب » الذين نزلوا جبل عامل وما جاوره من فلسطين في عهد صلاح الدين الأيوبي . فالمرجح ان سلطتهم امتدت الى هذه الجهات ، وبقي اسمهم علماً عليها حتى يومنا هذا . وذكر ان « الصعوب » هؤلاء هم من ذرية « الملك الأفضل نور الدين الأيوبي » .

وينسب الى طول كرم :

(١) الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي ، تصدر للإفتاء في الجامع الأزهر . ذكره المحبي بقوله : « أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر . كان إماماً محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع » . له نحو سبعين مؤلفاً . توفي عام ١٠٣٣ هـ [١] .

(٢) يوسف بن يحيى بن مرعي الكرمي ، أخذ العلم عن علماء مصر . تصدر للإفتاء في بلاد نابلس . توفي عام ١٠٧٨ هـ [٢] .

(٣) أحمد بن يحيى الحنبلي الكرمي ، كان من العلماء العاملين الأولياء الزاهدين . أخذ العلم عن علمائه في الأزهر وعن عمه مرعي المار ذكره . توفي عام ١٠٩١ هـ [٣] .

(٤) الشيخ علي المنصور الكرمي : ولد في طول كرم عام ١٢٣٠ هـ . أخذ العلم عن شيوخه في دمشق . ولما عاد الى بلاده كان مرجعاً للحنابلة وتولى فيها القضاء مراراً وتوفي في بلده عام ١٣١٥ هـ [٤] .

قدر عدد سكان طول كرم في ١/٤/١٩٤٥ بنحو (٨٠٩٠) نسمة بينهم ٢٨٠ مسيحياً . والباقي مسلمون . مساحتها ١٦٧٢ دونماً . وفي ١٨/١١/١٩٦١ كان في

---

١ – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي : ٤/٣٥٨–٣٦١ .
٢ – نفس المصدر ٤/٥٠٨ – ٥٠٩ .
٣ – نفس المصدر ١/٣٦٧ .
٤ – مختصر طبقات الحنابلة لجميل الشطي ص ١٧٤ دمشق ١٣٣٩ هـ .

طول كرم ٢٠٦٩٠ نسمة بينهم ١٦٤ مسيحياً .

والكيلومترات الآتية تبين بعد طول كرم عن المدن والأماكن الآتية :

يافا : ٤٥، عكا : ٩٧ عن طريق خربة بيت ليد — حيفا، دير شرف : ٢٠، القدس : ٩٥ عن طريق نابلس ، الناصرة : ٦٥ عن طريق باقة — وادي عارة ، خربة بيت ليد : ١٣، القدس : ٩٣ عن طريق رأس العين ، وادي عارة : ٢١ ، رعنانا : ٢٤ عن طريق قلقيلية ، نابلس : ٢٩ ، العفولة : ٥٢ ، رأس العين : ٢١ ، ناثانيا : ١٨ ، باقة الغربية : ١٢ ؛ تل موند : ٢٢ ، عكا : ٨٩ عن طريق وادي عارة — اللجون ، حيفا : ٧٣ عن طريق خربة بيت ليد ، حيفا : ٧٥ عن طريق خربة سركس .

(٢) مدينة قلقيليه :

قدر عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ بنحو « ٥٨٥٠ » عربياً . مساحتها «٢٧٣» دونما . وفي ١٩٦١/١١/١٨ كان بها « ١١٤٠١ » نسمة ٩ أشخاص من المسيحيين والباقي مسلمون . تحيط بهذه البلدة مشاهد تاريخية كثيرة الا ان جميعها ، مع الالم ، أضحى في القسم المغتصب من الوطن الغالي . وينسب الى قلقيليه الكثير من رجال العلم والفضل . وأقدم من عرفناه من علمائها الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن ابراهيم بن مفلح القلقيلي ٧٧٦ — ٨٥٢ هـ . كان شيخاً، صالحاً، عالماً كثير العبادة . درّس في جلجوليا التي كانت قلقيليه حينئذ قرية من أعمالها — ثم نزل بيت المقدس وبها توفي . وعرف ولده « شهاب الدين أحمد » بأنه كان شاعراً وكاتباً[1] .

تبعد قلقيليه عن المدن الآتية بالكيلومترات المذكورة بجانبها :

يافا : ٣٠ عن طريق رأس العين . نابلس : ٣٤ عن طريق الفندق .

يافا : ٣٣ عن طريق كفر سابا . طول كرم : ١٦ عن طريق الطيبة .

وبعد نكبة عام ١٩٤٨ هجم اليهود على قلقيلية وعلى قوات الجيش الأردني

---

١ — الأنس الجليل .

المرابطة في جوارها . ففي ١٠/١٠/١٩٥٦ شنت مجموعة كبيرة من قوات الهجوم على مراكز الجيش والحرس الوطني في قلقيلية وجوارها . وقد كتب النصر للأردن وتقهقر بعد أن أصيب بخسائر فادحة . وقد حدث اثناء تقهقره ان مرّ ببناء مركز الشرطة فنسفه .

وقدرت الجهات الرسمية الأردنية خسائر بأكثر من ستين قتيلاً وعدد كبير من الجرحى ، عدا الخسائر الفادحة التي لحقت بالمستعمرات اليهودية من جراء قصفها بالمدافع . واما خسائر الأردن فقد بلغت ٢٥ شهيداً و ١٣ جريحاً .

اسماء القرى :

اسم القرية	سكانها المقدرة في ١/٤/١٩٤٥	سكانها في ١٨/١١/١٩٦١
إرتاح	١٠٦٠	١٢١٦
إكْتابا	ذكرت مع عنبتا	٣٧٢
باقة الشرقية	٤٨٠	٩٥٢
بَلعا	٢٢٢٠	٢٨٨٨
بيت لَيد « ترتفع ٤٣٩ متراً عن سطح البحر »	٩٦٠	١٨٠٧
الجاروِشيّه	ذكرت مع دير القصون	٢٤٥
جَيْشُوس	٨٣٠	١١٨٤
حَبْلَة[1] (بالفتح ثم السكون)	٥٨٠	٦٩٦
خربة الأشقر	—	١١٦
خربة الجراد	—	١١٦
خربة رأس عطية	—	٢٢٤
خربة عسَلة	ذكرتا مع	١٩٨
خربة النبي الياس	عزون	٢٢٣
دير الغُصُون	٢٨٦٠ بما فيها الجاروِشيّة وغيرها من الخرب المجاورة	٣٣٧٦

١ — ينسب اليها الفقيه حاتم بن سنان بن بشر الحبلي — معجم البلدان ٢/٢١٤ .

ذِ"نابة(١)	٧٤٠	١٥٨٦
الراس	١٦٠	٢٦٩
رامين(٢)	٦٣٠	٨٦٤
زيتا	١٧٨٠	١٨١٤
سفارين(٣)	٥٣٠	٦١٦
شوفة	٣٧٠	٥٠٣
شُويكة	٢٣٧٠	٣٠٩٩
صيدا(٤)	٤٥٠	٨٠٨
عَتيل(٥)	٢٦٥٠	٤٠٨٧
عَزّون	١١٩٠ بما فيها سكان عَسَله والنبي الياس	٢٠٩٦

١ – وبهذه المناسبة نذكر ان في « نجد » موضعاً يعرف باسم « ذنابة » . – معجم ما استعجم ٢/٦١٥ .

وفي اليمن موضع آخر يسمى (الذنابه) ، بكسر أوله – معجم البلدان ٣/٨ . ولا اعتقد ان لهذين الموضعين علاقة بقريتنا الفلسطينية هذه .

٢ – ينسب الى « رامين » ، « بنو مفلح » . كانوا بيت علم وقضاء ورياسة من القرن السادس الى اوائل القرن الحادي عشر الهجري . نزلوا القدس أولاً ومنها انتقلوا الى دمشق .

ويقول صاحب مختصر طبقات الحنابلة عن آخر بني مفلح (محمد أ كمل الدين بن ابراهيم) المتوفى عام ١٠١١ هـ : « هذا آخر من عرف من بني مفلح في دمشق . وقد انقرضت هذه الاسرة ولم يبق منها سوى الأسباط (أولاد البنت) وهم بنو الاسطواني الاسرة الكبيرة المعروفة بدمشق ؛ تولوا عنهم اوقافاً ووظائف كثيرة . ومن الاتفاق العجيب ان صاحب الترجمة تلقى القضاء عن سبعة آباء) – ص ٩٤ .

٣ – ينسب اليها : (١) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين أبو العون (١١١٤ – ١١٨٨ هـ : ١٧٠٢ – ١٧٧٤ م) عالم بالحديث والاصول والأدب ، محقق . درس وأفتى بنابلس وفيها توفي . والسفاريني هذا يعد من علماء الحنابلة البارزين . له مؤلفات وشعر رقيق . (٢) عبدالله السفاريني العالم الحنبلي الشهير بابن الحطاب. قرأ على الشيخ محمد السفاريني المار ذكره. توفي بنابلس عام ١١٨٧ هـ .

٤ – وفي حوران ايضاً قرية تحمل نفس الاسم ، تقع على مسيرة ١٢ كم للشرق من درعا .

٥ – وفي « جبل العرب » قرية أخرى تحمل نفس الاسم . تقع في الشمال من السويداء .

علار	١٤٥٠	٢٤٩٩
عنبتا(١)	٣١٢٠ بما فيها إكتابا	٤٠١٨
فرعون تعلو ١٥١ متراً عن سطح البحر	٧١٠	١٠٩٣
فلامه(٢)	١٢٠	١٧٨
قفين	١٥٧٠	٢٤٥٧
كفا	—	١٠٨
كفر ثلث	١٢٩٠	١٢١٢
كفر جمال	٦٩٠	١٠٤١
كفر رمان	٢٧٠	٤٦٦
كفر زيبار تعلو ٣٠٣ أمتار عن سطح البحر	١٥٩٠	٦٤٣
كفر صور	٤٦٠	٦٥٦
كفر عبوش	٤٨٠	٧٠٤
كفر اللبد	٩٤٠	١١٢٦

١ – واليها ينسب الشاعر الشهيد عبد الرحيم المار ذكره . ولد رحمه الله في عنبتا عام ١٩١٣ . ويعد والده الشيخ محمود من شعراء الشيوخ الناقدين الظرفاء ومن أشعار الشهيد التي رددتها الشفاه في فلسطين، بيت من قصيدة أنشدها أمام امير سعودي كبير يوم زار فلسطين عام ١٩٣٥ . والبيت هو :

المسجد الاقصى أجئت تزوره ... أم جئت من قبل الضياع تودعه

٢ – تعرضت هذه القرية الصغيرة الباسلة ، التي تقع على مسيرة كيلومترين من خط الهدنة هجمات اليهود . ففي يوم ١٩٥١/٢/٩ هاجمتها جماعة من الأعداء بدافعها الرشاشة ولكنها ردت على أعقابها وفي ليلة $\frac{٢٨}{٢٩}$ ١٩٥٣/١ تعرضت لها قوة عسكرية تقدر بنحو ١٣٠ جندياً بمدافعها وبنادقها ورشاشاتها وألغامها ... دافع الحرس الوطني عن قريته دفاع المستميت رغماً عن الفارق بينه وبين العدو في العدد والعدد . وبعد هجوم استمر أربع ساعات ونصف الساعة ، تمكن فيها المهاجمون من هدم ثلاثة منازل ، عادوا بالفشل بعد أن استشهد مختار القرية وجرح بعض أبنائها .

وينسب اليها :

(١) محمد بن احمد بن سعيد عز الدين (٧٧١ – ٨٥٥ هـ: ١٣٧٠ – ١٤٥١م) من القضاة . انتقل الى القدس وأقام بهـا مدة ثم نزل دمشق . وأخيراً استقر في مكة . وفيها تولى قضاء الحنابلة الى أن توفي .

(٢) ياسين بن علي بن احمد اللبدي . طلب العلم في مصر وتصدر للإفتاء في نابلس . كان ديناً صالحاً . توفي في نحو سنة ١٠٥٨ هـ[١] .

(٣) مصطفى بن عبدالحق اللبدي . طلب العلم في دمشق . برع في الفقه والفرائض . توفي في دمشق عام ١١٥٣ هـ[٢] .

(٤) محمد بن مصطفى المار ذكره . ولد في دمشق عـام ١١٤٠ هـ . نشأ في كنف والده . تولى افتاء الحنابلة بدمشق . توفي عام ١١٩١ هـ[٣] .

(٥) الشيخ عبد الغني بن ياسين اللبدي ١٢٦٢–١٣١٧ هـ.اخذ العلم عن علمائه بمصر . جاور بمكة المكرمة وصار مدرّساً في حرمها الشريف وفيها توفي[٤] .

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١٩٤٥/٤/١	سكانها في ١٩٦١/١١/١٨
كـُور[٥] تعلو ٣٨٩ متراًعن سطح البحر	٢٨٠	٣٣٦
نزلة أبو نار	٢٠	١٠٧
النزلة الشرقية	٣٠٠	٥٠٧
نزلة عيسى	٣٨٠	٦٢٧
النزلة الغربية	١٠٠	١٨٧
النزلة الوسطى	٦٠	١٢٨

أي ان عدد البلاد الناجية في قضاء طول كرم مدينتان و ٤٣ قرية .

١ – مختصر طبقات الحنابلة ١٠٦ .
٢ – نفس المصدر صفحة ١٢٣ .
٣ – نفس المصدر ص ١٣٣ .
٤ – نفس المصدر ١٧٨ .
٥ – دعيت بذلك نسبة الى قبيلة « كور » من جرم طيء ، التي نزلتها في العصور الماضية .

اسماء القرى

بلغ عددها ٢٦ قرية و ٨ عشائر .

(١) أم خالد : بها ٩٧٠ نسمة . مساحتها ٢٣ دونماً . ومساحة أراضيها ٢٨٩٤ دونماً . لليهود منها ٨٨٢ دونماً .

(٢) باقة الغربية : بها ٢٢٤٠ نسمة . مساحتها ٧٦ دونماً . مساحة أراضيها ٢٢٠٢٤ دونماً . يملك اليهود منها ٨٨٦ دونماً . تقع للشمال من طول كرم . قال المغتصبون انه كان في باقة القرية في نهاية عام ١٩٤٩ (٣٠٤٤) عربياً .

(٣) جَتّ : بهـا ١١٢٠ نسمة . مساحتها ٣١ دونمـاً . مساحة أراضيها (٩٦٣١) دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٤) جلجوليا : بها ٧٤٠ نسمة . مساحتها ١٥ دونمـاً . مساحة أراضيها ١٢٦٨٥ دونماً . يملك اليهود فيها ٣٦٥ دونماً . وفي أواخر عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتهم « G dud » على أراضي جلجوليا . كان في المستعمرَة في نهاية عـام ١٩٥٠ (٧٧) يهودياً .

(٥) خِرْبة إِبْثان : كانت في العهد البريطاني الغادر ، تضاف إلى قريـة دير الغصون . ذكرت السلطات المغتصبة انـه كان فيها في نهاية عام ١٩٤٩ (٣٩٥) نسمة .

(٦) خربة بيت ليد : بها ٤٢٠ نسمة . مساحتها ٢٢ دونماً . تقع شمالي يافا وعلى مسيرة ٤١ كم منها . وفي عام ١٩٥٠ أقام اليهود مستعمرتهم (بيت ليد — Beit Lid) وأسكنوا فيها ٦٤٠٠ يهودي .

(٧) خربة الجَلَمَة : بها ٧٠ نسمة تعد من أراضي عتيل .

(٨) خربة خُرَيش : مساحتها ٢٠ دونماً . مساحة أراضيها ٣٦٥٥ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . تقع للشمال من قرية « كفربرا » .

ينسب إليها « محمد بن أحمد الخريشي » الحنبلي . درس في الأزهر ، ثم قـدم الى القدس واشتغل بالتدريس فيها . توفي عام ١٠٠١ هـ [١] .

---

١ — خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي ٣/٣٤٠ .

(٩) خربة زَلَفَة : بها ٢١٠ أنفس . تُعد من أراضي قرية عتيل .

(١٠) خزبة السّكة : من أراضي قرية دير الغصون . ذكرت السلطات المغتصبة انه كان بها في نهاية عام ١٩٤٩ (١٤٢) شخصاً .

(١١) خربة المنشية : بها ٢٦٠ نسمة . تعد من أراضي قرية عتيل .

(١٢) خزبة يَمّا : من أراضي قرية دير الغصون . كان بها ، حسب تقدير المغتصبين ، في نهاية عام ١٩٤٩ (١٨٥) نسمة .

(١٣) رمل زيتا : من أراضي قرية زيتا. ويقال لها أيضاً « خربة قزازة ». تقع للشرق من مستعمرة « كفار برنديس — Kefar Brandis » . بها ١٤٠ نسمة .

(١٤) اطيبة : بها ٤٢٩٠ نسمة . ثانية قرى القضاء سكاناً . مساحتها ٢٨١ دونماً . أولى قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٤٠،٦٢٥ دونماً . يملك اليهود منها ٦٢٩٤ دونماً . ثانية قرى قضاء طول كرم فيما تملكه من أراضي .

(١٥) الطيرة : بها ٣١٨٠ نسمة . ثالثة قرى القضاء في عدد سكانها . مساحتها ٩٦ دونماً . رابعة قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٣١،٣٥٩ دونماً . اليهود منها ٣٧٢٠ دونماً . ثالثة قرى القضاء فيما تملكه من أراضي .

(١٦) غابة كفر صور : بها ٧٤٠ نسمة .

(١٧) فرديسيا : بها ٢٠ نسمة . مساحتها ١٦ دونماً . مساحة أراضيها ، وهي ملك لأهلها ، ١٠٩٢ دونماً .

(١٨) قاقون : بها ١٩٧٠ نسمة . مساحتها ١٣٧ دونماً . ثالثة قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٤١،٧٦٧ دونماً . لليهود منها ٤٦٤٢ دونماً . أولى قرى القضاء فيما تملكه من الأراضي .

ذكر ياقوت (معجم البلدان ٢٩٩/٤) بقوله : « حصن بفلسطين . منها أبو القاسم عبد السلام بن أحمد بن أبي حرب القاقوني ، امام مسجد الجامع بقيسارية » . كما ذكرها القلقشندي (صبح الأعشى ١٠٠/٤) أنها مدينة لطيفة. بها جامع وحمام وقلعة .

اليهود في ٥ حزيران ١٩٤٨ . وفي صيف عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتهم « Omes' » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٨٥) يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٤٩ انشأ اليهود مستعمرة أخرى على أراضي قاقون دعوها « R'uveyn ». كان بها ١٠٣ يهود في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٩) قلنسوة : بها ١٥٤٠ نسمة . مساحتها ٤٧ دونماً . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٣٩٢/٤) بقوله : (قلنسوة ؛ بفتح اوله وثانيه وسكون النون وسين مهملة وواو مفتوحة بلفظ القلنسوة التي تلبس على الرأس . وهو حصن قرب الرملة من أرض فلسطين) .

(٢٠) كفربرا : بها ١٥٠ نسمة . مساحتها ١٤ دونماً . مساحة أراضيها ٣٩٥٩ دونماً . ملك لأهلها .

(٢١) كفرسابا : مساحتها ٢٦ دونماً يسكنها ١٢٧٠ عربياً. مساحة أراضيها ٩٦٨٨ دونماً . لليهود منها ٣١٤٤ دونماً . ذكرها المقدسي بأنها « كبيرة بجامع على جادة دمشق [١] » وناصر خسرو باسم « كفر سلاّم » وقال : يكثر في طريقها شجر التين والزيتون[٢] كما ذكرها ياقوت بأنها تقع بين قيسارية ونابلس .

(٢٢) كفر قاسم : بها ١٤٦٠ نسمة . مساحتها ٥٨ دونماً . مساحة أراضيها ١٢٧٦٥ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . وقد اقترف مساء ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ جريمة ذبح ٥٧ عربياً من سكانها بينهم ١٧ من النساء والأطفال . ومما يسترعي الإنتباه ان هذه المذبحة حدثت في نفس اليوم الذي بدأ فيه اعتداء اليهود على الجمهورية المصرية .

(٢٣) مسكة : بها ٨٨٠ نسمة . مساحتها ٨٨ دونماً . دعيت باسمها هذا نسبة الى قبيلة « مسكة » من قضاعة من القحطانية التي نزلت هذه الجهات في صدر الاسلام . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ١٢٨/٥) بقوله : [قرية من قرى عسقلان . ينسب إليها جماعة بمصر . منهم شيخنا عبد الخالق بن علي بن زيدان

---

١ بلدانية فلسطين العربية ١٩٧ .

٢ - نفس المصدر ١٩٨ .

المسكي ؛ وعبدالله بن خلَف بن رافع المسكي ابو محمد المصري ... ويقال إن التفاح المسكي بمصر اليها ينسب . ونقـله اليها منها الوزير اليازوري لأن يازور قرية من مسكة].

(٢٤) وادي الحوارث الجنوبي : به ٤٨٠ نسمة .

(٢٥) وادي الحوارث الشمالي : به ٨٥٠ نسمة .

و « الحوارث » نسبة الى قبيلة « حارثة » التي ينتهي نسبها الى « سُنْبُس » من طيء من القحطانية .

(٢٦) وادي القباني : به ٣٢٠ نسمة .

، فضلاً عن القرى المار ذكرها ، الخرب الآتية الواقعة في السهل الساحلي ، ينزلها أهـل القرى الجبلية في مختلف المواسم الزراعية لجـني محصولاتهم أو لزرعها. وهذه الخرب هي « خربة تُبْصُر » أو « خربة عزون » و « خربة الزَّبابِدة » و « غابة جيوس » و « غابة الطيبة القبلية » و « وغابة الطيبة الشمالية » و « غابة العبابشة » و « غابة مِشكة » .

وعشائر القسم المغتصب من هذا القضاء هي :

(١) عرب العائد ؛ يقيمون في جوار مسكة وجلجوليـا . تعود بأصلها الى « عرب العائد » في سيناء ومصر . والعائد بطن من جُذام من القحطانية .

(٢) عرب البلاونة ؛ ويقيمون في أم خالد . من عرب بئر السبع . وهم من بلي من قُضاعة من القحطانية .

(٣) عرب الحويطات ؛ يقيمون في غابة كفر صور . من حـويطات سيناء ومصر وغيرها. والحويطات قبيلة كبيرة منتشرة في شرق الأردن وسيناء ومصر وغيرها .

(٤) عرب الملالحة : يقيمون في غابة كفر صور ايضاً . من قبائل هُتَيم في سيناء وجنوبي فلسطين .

(٥) عرب القطاطوة : يقيمون في غابة كفرصور ايضاً . يعودون بأصلهم الى (قطاطوة) بئر السبع .

(٦) عرب الرُّمَيلات : يقيمون في مسكة والطيبة وقلنسوة . من قبائل العريش في سيناء .

(٧) عرب السّوارِكة : يقيمون في كفر سابا . من قبائل سيناء وبئر السبع .

(٨) عرب النصيرات : يقيمون في (غابة كفر زيباد) يعودون بأصلهم الى « نصيرات » بئر السبع .

واما تعدادهم فقد ضم الى سكان القرى التي استقروا في أراضيها .

المستعمرات اليهودية في قضاء طول كرم :

أنشئت جميعها في العهد البريطاني المسوف . وهي :

(١) ناتانيا : تقع على البحر غربي طول كرم وعلى مسيرة ١٨ كم منها . تأسست عام ١٩٢٩ . كان بها ٥٠٧٠ نسمة وهي اليوم مدينة . بلغ عدد سكانها في نهاية عام ١٩٥٠ ، ٢٣٠٠٠ شخص وفي عام ١٩٥٥ م كان بها نحو ٣٠،٠٠٠ يهودي .

(٢) تل موند : على أمد ٢٢ كم من طول كرم . تأسست عام ١٩٢٩ . بها ٣٩٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ١٤٥٦ يهودياً .

(٣) عين وارد – 'Ein Vared : تأسست عام ١٩٣٠ بها ٤١٠ نفوس . وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٦٧ شخصاً .

(٤) حيروت – Herut : تأسست عام ١٩٣٠ بها ٥٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٤٩٠ نسمة .

(٥) عين هاحورش – 'Ein Hahoresh : تأسست عام ١٩٣١ . بها ٣٢٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كانوا (٥٩٨) يهودياً .

(٦) أفي هايل – Avihayil : تأسست عام ١٩٣٢ . بها ٣٥٠ نسمة . بلغوا ٥٢٤ شخصاً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٧) بن يهودا – Even Yehuda : تأسست في نهاية عام ١٩٣٢ . بها ٦٤٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٢٠٥٠ .

(٨) جفعات حايم – Giv'at Haiyim : تأسست عام ١٩٣٢ . بها ٥٧٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ١١٩٣ .

(٩) كفار يونا – Kefar Yona : تأسست عام ١٩٣٢ بها ٤٨٠ نسمة وكانوا الف شخص في عام ١٩٥٠ .

(١٠) راماها هاكوفيش – Ramat hak Kovesh : تأسست عام ١٩٣٢ . بها ٥٢٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كانوا ٦٥٠ نسمة .

(١١) كفار يعبتس – Kefar Ya'betz : تأسست عام ١٩٣٢ بهـا ١١٠ نفوس وفي عام ١٩٥٠ كانوا ٥٠ شخصاً .

(١٢) بيت ينـّاى – Beit Yannai : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٥٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٢٨٠ .

(١٣) عين حاعوفد – 'Ein Ha'oved : تأسست عام ١٩٣٣ بها ٨٠ نسمة. وفي عام ١٩٥٠ كانوا ١٩٢ .

(١٤) ايليا شيف – Elyashiv : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٣١٠ نفوس وفي عام ١٩٥٠ كانوا ١٤٢٩ .

(١٥) هبّات زيون – Hibbat Zion : تأسست عام ١٩٣٣ بها ١٠٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٣٣٢ .

(١٦) هوغلا – Hogla : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٢١٠ نفوس ثم كانوا في عام ١٩٥٠ ، (٢٤٧) شخصاً .

(١٧) كفار حَييّم – Kefar Haiyim : تأسست عـام ١٩٣٣ . بها ٣٢٠ نسمة . كانوا (٤٨٢) في عام ١٩٥٠ .

(١٨) كفار هس – Kefar Hess : تأسست عام ١٩٣٣ بها ٣٦٠ نسمة كانوا ٤٤٣ في عام ١٩٥٠ وتقع للشرق من « تل موند » .

(١٩) كفار فيتكين – Kefar Vitkin : تأسست عام ١٩٣٣ بها ٨٩٠نسمة ، كانوا ١١٥٠ في عام ١٩٥٠ .

(٢٠) ماعباروت – Ma'barot : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٣٣٠ نسمة . بلغوا (٦٣٢) في عام ١٩٥٠ .

(٢١) مشمار هاشارون –Mishmar HashSharon: تأسست عام ١٩٣٣ .

بها ٣١٠ أنفس وفي عام ١٩٥٠ بلغوا ٣٧٦ نسمة .

(٢٢) قاديما – Qadima : تأسست عام ١٩٣٣ . بهـــا ١٩٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كانوا ١٣٠٩ .

(٢٣) تسوفيت – Tsofit : تأسست عام ١٩٣٣ بهـــا ٢٢٠ نسمة . بلغوا ٣٩٣ في عام ١٩٥٠ .

(٢٤) كفار هاروع – Kefar Haro'e : تأســت عام ١٩٣٤ بها ٣٨٠ نسمة بلغوا ٧٨٠ في عام ١٩٥٠ .

(٢٥) غَنْ حَيِّيم – Gan Haijim : تأســت عام١٩٣٥ . بها١٦٠ نسمة. بلغوا ٢٩٠ في عام ١٩٥٠ .

(٢٦) هافاتسلت هاش شارون – Havatselet hash Sharon : تأسست عام ١٩٣٥ بها (٥٠) نسمة وفي عام ١٩٥٠ بلغوا (١٠٥) أشخاص . لم يسجلهـا اليهود في خرائطهم .

(٢٧) يديديا – Yedidya : تأسست عام ١٩٣٥. بها ٢٢٠ شخصاً.بلغوا في عام ١٩٥٠ (٣٧١) .

(٢٨) بيتان اهارون – Bitan Aharon : تأسست عام ١٩٣٦ . كان بهـا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣١) يهودياً .

(٢٩) تسور موشه – Tsur Mozhe : تأســت عام١٩٣٧ بها ٢٤٠ شخصاً بلغوا في عام ١٩٥٠ (٤٢١) .

(٣٠) بيت يهوشوعا – Beit Yehoshu'a : تأسست عام ١٩٣٨ بهـا ١٨٠ شخصاً بلغوا في عام ١٩٥٠ (٢٢٥) .

(٣١) تل اسحق – Tel Yits-haq : تأسست عام ١٩٣٨ . بهـــا ١٢٠ شخصاً . بلغوا في عام ١٩٥٠ (٣٨٠) .

(٣٢) سدي واربورغ – Sede Warburg : تأسست عام ١٩٣٨ . بهـــا ١٨٠ شخصاً . بلغوا في عام ١٩٥٠ (٢٤٠) .

(٣٣) كفر نتر – Kfar Netter : تأسست عام ١٩٣٩ بها (٩٠) شخصاً .

بلغوا في عام ١٩٥٠ (٢٧٦) .

(٣٤) بيت اسحق – Beit Yitshaq: تأسست عام ١٩٤٠ . بها ٣١٠ نسمات بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٣٣) يهودياً .

(٣٥) نيرا – Nira : تأسست عام ١٩٤١ بها ٦٠ يهودياً . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ ، ٧٣ ، .

(٣٦) هاما عبيل – Hama'pil : تأسست في عام ١٩٤٥ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٢٩) يهودياً .

(٣٧) بيت هالفي – Beit Halevi : تأسست عام ١٩٤٥ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٩٠٧) يهود . تقع غربي زيتا .

(٣٨) نورديا Nordiya : تقع شرقي ناثانيا . تأسست عام ١٩٤٥ . كان بها (١١٥) يهودياً في آخر عام ١٩٥٠ .

(٣٩) ميخمورت – Mikhmoret : أُقيمت في اواخر عام ١٩٤٥ في الشمال من مصب نهر اسكندرونة . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٨٨) يهودياً .

(٤٠) كفار موناش – Kefar Monash : تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها ٢٢٩ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ . تقع للشرق الجنوبي من مستعمرة «كفارحاييم» المار ذكرها .

(٤١) بني درور – Beney Dror : تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٠٧) أشخاص .

(٤٢) بني تسيون – Beney - Tsiyon : تأسست عام ١٩٤٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٦٦) يهودياً . تقع في غربي « رامات هاكوفتش » المار ذكرها .

(٤٣) هاعوجن – Ha'ogen : تأسست عام ١٩٤٧ . كان بها في نهاية ١٩٥٠ (٣٥٧) نسمة .

(٤٤) ياقوم – Yaqum : تأسست عام ١٩٤٧ . تقع للشمال من أرسون . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٨٦) يهودياً .

رابعاً

لواء القدس

١ – قضاء رام الله :

مساحته ٥و٦٨٦ كم٢ . يملك اليهود منها ١٤٦ دونماً . (٥١ دونماً في قرية بيت عور الفوقا و ٩٥ دونماً في قرية بيتونيا) .

قدر عدد سكانه في ١/٤/١٩٤٥ (٤٧،٢٨٠) نسمة . (٣٨،٩٩٠ من المسلمين و ٨٢٩٠ من المسيحيين ولا يهود بينهم) .

وقضاء رام الله هو القضاء الفلسطيني الوحيد الذي لم منه اليهود أية قرية . ويضم هذا القضاء مدينتين و ٦٠ قرية فضلاً عن ١٤ قرية أُلحقت به ، بعد النكبة كانت بالأصل من أعمال قضاء الرملة (راجع أسماءها في محلها في قضاء الرملة) .

١ – مدينة رام الله :

قدر عدد سكانها في ١/٤/١٩٤٥ بنحو (٥٠٨٠) نسمة . ومساحتها ١٨٥٤ دونماً . وفي ١٨ / ١١ / ١٩٦١ بلغ عدد السكان (١٤،٧٥٩) معظمهم من « العائدين » .

مناخ رام الله جيد ، أولى مدن الاصطياف في فلسطين . ترتفع ٢٨٢٩ قدماً : ٨٦٠ متراً عن سطح البحر . يُرى من تلالها البحر وكثيراً ما تشاهد السفن السائرة فيه . تصنع نساؤها كميات حسنة من المطرزات . والمسافات الآتية ، بالكيلومترات ، تبين بُعد هذه المدينة عن غيرها من بعض المدن والقرى :

قضاء رام الله

حدود الأقضية

قضاء نابلس

قضاء القدس

قضاء القدس

قضاء الرملة

رام الله

البيرة

كفر الديك
فرخة
خربة قيس
عورتا
ترمسعيا
جالود
دوما
قراوة بني زيد
مزارع النوباني
عارورة
عبوين
سنجل
دير غسانة
كفر عين
بيت ريما
دير السودان
جلجليا
رنتيس
عابود
النبي صالح
عجول
المغير
ام صفا
عطارة
المزرعة الشرقية
دير ابو مشعل
دير نظام
جيبيا
كوبر
برهام
سلواد
كفر مالك
شقبة
بيت للو
عين سينيا
يبرود
جفنا
دير جرير
شبتين
ابو شخيدم
بيرزيت
عين يبرود
الطيبة
المزرعة القبلية
ابو قش
دورا القرع
نعلين
الجانية
سردا
رمون
كفر نعمة
عين قينيا
بيتين
بلعين
شلتا
دير ابزيع
عين عريك
دير دبوان
صفا
بيت عور التحتا
برقة
نويعمة
بيت عور الفوقا
بيتونيا
رافات
كفر عقب
مخماس
ديوك
خربة المصباح
بيت لقيا
الطيرة
بيت دقو
أريحا
بيت نوبا
بيت عنان
الجيب
يالو
بيت نوبا

بيت سيرا : ٢٢ ، دير نظام : ٢٣ ، ابو غوش : ١٩ – عن طريق بِدُّو ، بئر زيت : ١٢ ، سِنجيل : ٢١ ، اللطرون : ٣٤ – عن طريق عمواس ، القُبَيْبَة : ١٥ – عن طريق بدو ، القدس : ١٦ ، نابلس : ٥٠ .

٢ – البيرة : تقع شرقي رام الله . وقد أصبحتا وكأنهما بلدة واحدة. كان في البيرة عام ١٩٤٥ (٢٩٢٠) نسمة ، ومساحتها ٩٦٧ دونماً. وفي ١٨/١١/١٩٦١ بلغ عدد سكانها (١٤،٥١٠) عربياً معظمهم من « العائدين » . ترتفع البيرة ٢٩٠٠ قدم : ٨٨٤ متراً عن سطح البحر .

القرى :

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١/٤/١٩٤٥	عدد سكانها في ١٨/١١/٦١
أبو شُخَيْدِم	٢٥٠	١٣٥٨
أبو قَش	٣٠٠	٥١٠
أم صفا	١١٠	٢٥٢
بُرْقة	٣٨٠	٥٨٢
بُرْهام	١٥٠	١٦٧
بيت ريما	٩٣٠	١٥٤١
بيت سيرا	٥٤٠	٧٤٦
بيت عور التحتا[1]	٧١٠	١١٩٨
بيت عور الفوقا[1]	٢١٠	٣٦٢
بيت لِقْيا	١٠٤٠	١٧٢٧
بِيتِلّو	٤٩٠	١٥٣٥
بيتونيا	١٤٩٠	٢٢١٦
بَيْتين	٦٩٠	١٠١٧

١ – ذكرهما ياقوت ، غلطاً ، باسم الجيب التحتاني والجيب الفوقاني (معجم البلدان : ١٩٦/٢) .

بيرزيت	٥٧٠	٣٢٥٣
كُرْمُس عَيّا	٩٦٠	١٦٢٠
الجانية	٣٠٠	٤٥١
جِفْنَة	٩١٠	٧٥٨
جِلجِليّا	٢٨٠	٤٩٠
جمّالا	٢٠٠	٣٢٢
جِيبْيا	٩٠	—
خربة ابو فلاح	٧١٠	١٠٥٧
خَرْبثا المصباح	٦٠٠	٩٤٢
دورا القرع	٣٧٠	٥٧٦
دير إبزيع	٤١٠	٥٤٢
دير أبو مشْعَل ٤٧٨ متراً	٥١٠	٩٨٧
دير جرير	١٠٨٠	١٤٧٤
دير دُبوان	٢٠٨٠	٢٨١٢
دير السودان	٢٨٠	٤٨٦
دير عمّار	٣٥٠	٢٢٤٣
دير غسّانة	٨٨٠	١٤٦١
دير نِظَام	١٩٠	٢٦٧
رأس كَر كَرْ	٣٤٠	٤٧٨
رَمّون	٩٧٠	١١٨٦
سُرْدا	٢٥٠	٤١٥
سِلواد	١٩١٠	٣٢١٥
سِنْجِل	١٣٢٠	١٧٧٨
صفّا	٧٩٠	١٣٦٤
الطّيبَة	١٣٣٠	١٦٧٧

الطّيرَة	٣٣٠	٥٣٤
عابُود[1]	١٠٨٠	١٥٢١
عارورة[2]	٦٩٠	١٣٣٧
عِبْوَين	٨٨٠	١١٧٤
عجُّول	٣٥٠	٦٠٠
عطَارة	٦٩٠	١١١٠
x عَين أيوب	—	٢٦٣
عين سِينْيا ترتفع ٧٥٩ متراً عن سطح البحر	٣٣٠	٤٣١
عين عَرِيك	٦١٠	١٣٨٥
عين قِينْيَا	١٠٠	٢٣٥
عين يبرود[3]	٩٣٠	١٥٠١
قراوة بني زيد	٥٠٠	٩٢٨
كفرعين	٥٥٠	١٠٩٥
كفرمالك	١١٠٠	١٣٤٦
كفرنعْمَة	٧٨٠	١٠٦٥
كُوبَر	٦١٠	٩٣٤

١ - ذكرها ياقوت (٤/٦٤) بقوله : بليدة من نواحي بيت المقدس من كور فلسطين .

٢ - ينسب اليها الشيخ الصالح الجواد المربي حسن بن زاهر العاروري الأنصاري . توفي في عام ١٠٧٩ هـ في قرية « سيلة الحارثية » بمدفنه الذي عمره داخل جامعه الذي بناه في القرية المذكورة .

٣ - ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٥/٤٢٧) (قرية أخرى من قرى البيت المقدس . نصفها وقف على مدرسة بدر الدين ابن أبي القاسم والنصف الآخر كان لأولاد الخطيب ، فابتاعه السلطان الملك المعظم ووقفه في جملة أوقاف السبيل ، وهو شمالي القدس معها ، وهي السكة المسلوكة من القدس إلى نابلس . وبينها وبين « يبرود » « كفرناثا » وهي ذات اشجار وكروم وزيتون وسماق) . وكفرناثا هذه هي « خربة كفرناثا » تحتوي على جدران مهدمة وعقود وصهاريج ومقام ومغر .

ـ مجد العلا	—	١٠٩
مزارع النوباني	١٠٩٠	١٣٥٨
المزرعة الشرقية	١٤٠٠	١٩٢٩
المزرعة القبلية	٨٦٠	١٣٤٩
النبي صالح	١٧٠	٣٣٧
يبرُود	٣٠٠	٣٤٩

ذكر يبرود « ياقوت » بقوله : [من قرى البيت المقدس . واليها ينسب ، والله أعلم ، الحسين بن عثمان بن أحمد بن عيسى أبو عبدالله اليبرودي ... مات سنة ٤٠١ هـ . والحسين بن محمد ، مات بدمشق لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ٤٠١] . معجم البلدان : ٤٢٧/٥ .

و « يبرود » أيضاً بلدة من أعمال القلمون (النبك) في سوريا بها نحو ١٠،٠٠٠ نسمة ، ترتفع ١٤٢٥ متراً عن سطح البحر ، وتقع على مسيرة نحو ٨٠ كم للشمال من دمشق الشام .

٢ – قضاء القدس وبيت لحم :

مساحته ١٥٧٠،٨ كم٢ . يملك اليهود منها ٣٣،٤ كم٢ . أي بنسبة ٢،١٪ من مجموع مساحة القضاء . قدر عدد السكان في ١/٤/١٩٤٥ بنحو (٢٤٧،٩٥٠) نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	: ١٠٣،٨٣٠
مسيحيون	: ٤٣،٧٧٠
آخرون	: ١٥٠
مجموع السكان العرب	: ١٤٧،٧٥٠
اليهود	: ١٠٠،٢٠٠ أي بنسبة ٤٠،٤٪ من مجموع السكان.
مجموع سكان القضاء	: ٢٤٧،٩٥٠

١٤٠
١٥٠
١٦٠
١٧٠
١٨٠
١٩٠
٢٠٠
قضاء رام الله
قضاء نابلس
عرب العبيد
القدس
تل السلطان
أريحا
دير حجلة
عرب ابن عبيد
البحر الميت
الخليل
بيت لحم
قضاء القدس
حدود دولية
حدود الأقضية

المدن والقرى الناجية في قضاء القدس – بيت لحم :

١ – مدينة القدس :

تقع على خط العرض ٥٢ ٣١° شمالاً وعلى خط الطول ١٣ ٣٥° شرقي غرينتش . مساحتها ١٩,٣٣١ كم٢ . لليهود منها ٥,٠٤٧ كم٢ . سكانها ١٥٧،٠٨٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	: ٣٠،٦٣٠
مسيحيون	: ٢٩،٣٥٠
آخرون	: ١٠٠
	٦٠،٠٨٠
اليهود	: ٩٧،٠٠٠
مجموع سكان القدس	: ١٥٧،٠٨٠

وبعد النكبة اليهود معظمْ أحياء القدس . وفي عام ١٩٦١ م بلغ مقدار سكان القسم الأردني ٦٠،٤٨٨ نسمة . وقدّر عدد ساكني القسم ، في عام ١٩٦٢ ، بنحو ١٦١،٠٠٠ يهودي .

تحيط الأودية بالقدس من جميع جهاتها أُقيمت على أربعة جبال وهي « جبل مُورِيّا » القائم عليه الحرم القدسي ، و « جبل أكْرا » ، حيث توجد كنيسة القيامة و « جبل بَزِيتا » بالقرب من « باب الساهرة » . و « جبل صِهْيَوْن » الواقع عليه مسجد النبي داود . ترتفع البلدة ٢٥٩٨ قدماً : ٧٩٢ متراً عن سطح البحر و ٣٧٧٢ قدماً : ١١٥٠ متراً عن سطح البحر الميت . وأما الحرم الشريف فيرتفع ٢٤٤٠ قدماً : ٧٣٥ متراً عن سطح البحر . ومن القدس رُفع المسيح الى السماء ، والى مسجدها الأقصى أسري بالنبي العربي ومنه عرج الى السماء .

وفي القدس بعض الصناعات اليدوية كصناعة الأدوات والتحف من خشب الزيتون وعمل البلاط وحياكة الأنوال والفخار والصيني .

والكيلومترات الآتية تبين البعد بين القدس وغيرها من المدن والمواقع :

قرية أبو غوش : ١٤ ، بِرَك العرُّوب : ٢٠ ، جَرَش : ١٢٧ ، العيزَرِيَّة : ٥ ، إرْبِد : ١٦٠ ، عجلون : ١٥١ ، البحر الميت : ٣٧ ، عَمّان : ٨٨ ، عكا : ١٧٦ عن طريق ويلهلما ، بِرَك سليمان : ١٣ ، السَّلط : ٧٧ ، باب الواد : ٢٤ ، اللطرون : ٢٨ ، اللد : ٤٧ ، عرطوف : ٢٩ ، المطلة : ٢٣٦ عن طريق كفر تابور ، بئر السبع : ٨٨ ، النبي موسى : ٣٢ ، بيروت : ٣٠٦ عن طريق اللجون ، نابلس : ٦٧ ، بيت جالا : ١٠ قبل النكبة ، الناصرة : ١٤١ ، بيت جبرين : ٥٨ عن طريق الخليل ، الرملة : ٤٤ ، بيت جبرين : ٥٢ عن طريق عرطوف ، طبرية : ١٧٢ ، بيسان : ١٢٧ عن طريق أريحا ، رام الله : ١٦ ، القاهرة : ٥٢٨ عن طريق بئر السبع — الاسماعيلية ، صفد : ٢٠٨ عن طريق طبرية ، دمشق : ٣٠٨ عن طريق كفر تابور ، صفد : ١٩٩ عن طريق جبل تابور والمغار ، غزة : ٩٤ عن طريق اللطرون — المسمية ، بغداد : ١١٠٠ ، حيفا : ١٥٣ عن طريق ويلهلما ، يافا : ٦٢ ، أريحا ٣٧ .

والمسافات الآتية تبين بُعد القدس جواً ، بالأميال ، عن مطارات المدن الأخرى :

بيروت : ١٤٣ عن طريق دمشق ، استانبول : ٦٢٣ عن طريق بيروت ، القاهرة : ٣٥٠ عن طريق خليج العقبة ، روما : ٩٠٨ عن طريق بيروت ، دمشق : ١١٠ ، لندن : ٢١٦٨ عن طريق روما ، بغداد : ٥٤٧ ، باريس : ٢١٣٨ عن طريق روما ، الظهران : ١١٩١ عن طريق بيروت والكويت ، نيويورك : ٥٨١٩ عن طريق روما ، الكويت : ٨٠٤ عن طريق بيروت ، طهران : ١٢٥٨ عن طريق بيروت ، نيقوسيا (قبرص) : ٣٠٠ عن طريق بيروت .

٢ — مدينة بيت لحم :

ترتفع عن سطح البحر ٢٥٥٠ قدماً : ٧٧٧ متراً . بها كنيسة المهد ، حيث

وُلد المسيح عليه السلام ، وهي أقدم كنيسة في العالم .

قُدر عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ بـ ٨٨٢٠ نسمة . ومساحتها ١٦٩٤ دونماً . وفي ١٩٦١/١١/١٨ كان بها ٢٢،٤٥٣ نسمة .

اشتهرت بيت لحم بصناعة الأدوات الصدفية ، التي يرجع تاريخها الى القرن التاسع عشر (ويجلبون الصدف من الهند والبحر الأحمر) ، والأدوات الخشبية – من خشب الزيتون – كالمسابح والصلبان والدبابيس وصنع الرخام والسُّرر ، كما اشتهرت نساؤها بالتطريز وشغل الابرة .

ومما هو جدير بالذكر قيام اليهود في ليلة ذكرى مولد السيد المسيح عليه السلام عند المسيحيين الشرقيين (١٩٥٢/١/٦) بهجوم على بيت يبعد كيلومترين عن بيت لحم فنسفوه على من فيه ، وقتل صاحب البيت وزوجه .

وكانت جماعة يهودية أخرى ، في الوقت نفسه ، تقذف بالنار منزلاً آخر يقع على بعد كيلومتر شمالي بيت لحم فقتلت رب المنزل وزوجته وطفليه وجرح طفلان آخران .

(٣) مدينة أريحا :

تقع على خط العرض ٥٢َ ٣١° الشمالي وعلى خط الطول ٩َ ٣َ ٣٥° شرقي غرينتش وتنخفض (٢٧٦) متراً عن سطح البحر .

بلغت درجة الحرارة العظمى في أريحا عام ١٩٦٢ ٤٧،٤° مئوية : ١١٨ف° في شهر اغسطس والصغرى ٣،٦° مئوية : ٣٩ ف° في شهر شباط . وكانت نسبة الرطوبة المئوية في تلك السنة تتراوح بين ٨٦ و ٤٥ . وبلغت كمية الأمطار التي تساقطت على أريحا في عام ١٩٦٢ (٧٩،٨) مم بينما بلغت هذه الكمية ١٩٩،٥ مم في عام ١٩٦١ .

كان في أريحا في ١٩٤٥/٤/١ م (٢٨٤٠) نسمة ومساحتها (٣٧٠) دونماً . وفي ١٩٦١/١١/١٨ بلغوا (١٠،١٦٦) نسمة . وأما منطقة أريحا فقد بلغ تعدادها – باستثناء بلدة أريحا ٥٣،٨١٤ عربياً معظمهم من « العائدين » .

تقع على مقربة من « أريحا » « عين السلطان » المشهورة بمائها الطيب حيث كانت عندها المدينة القديمة . والكيلومترات الآتية تبين المسافة بين أريحا وغيرها من الأماكن :

جسر دامية	٤٥ :	غور الصافي	٢٢٢ :
البحر الميت	٥ :	عمّان	٦٥ :
جسر الملك حسين	١٠ :	غور المزرعة	١٩٧ :
جسر الأمير عبدالله	١٦ :	جسر الجامع	١٠٧ :
القدس	٣٧ :	الحمّة	١٢٠ :
العقبة	٣٧٨ :	وادي موسى	٥٠٥ :

٤ – مدينة بيت جالا :

تقع على بعد نحو كيلومترين للشمال الغربي من بيت لحم . تحيط بها غابات الزيتون والفاكهة فتكسبها جمالاً وبهاء . قدر عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ بنحو ٣٧١٠ أشخاص وفي ١٩٦١/١١/١٨ بلغوا ٧٩٦٦ عربياً .

أسماء القرى الناجية :

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١٩٤٥/٤/١	عدد سكانها في ١٩٦١/١١/١٨
أبو ديس	١٩٤٠	٣٦٣١
عناتا	٥٤٠	٨٥٢
إرطاس	٨٠٠	١٠١٦
العوجا	٢٩٠	أدمج سكانها مع منطقة أريحا التعدادية
بتّير	١٠٥٠	١٣٢١
بيت دقّو	٤٢٠	٥٣٧
بيت فجّار	١٤٨٠	٥٣٢

بيت حنينا	١٥٩٠	٣٠٦٧
بيت إجزا	٧٠	١٢٩
بيت إكسا	١٤١٠	١١٧٧
بيت عنان	٨٢٠	١٢٥٥
بيت صفافا [١]	١٣٧٠	١٠٢٥
بيت ساحور [٢]	٢٧٧٠	٥٣١٦
بيت سوريك	٤٨٠	٩٥٤
بدو	٥٢٠	١٤٤٤
بيرنبالا	٥٩٠	٨٥٠
ديوك	٧٣٠	أدمج تعدادها مع منطقة أريحا
العيزرية [٣]	١٠٤٠	٣٣٠٨
حزما	٧٧٠	١١٣٤
العيسوية	٧٥٠	١١٦٣
حوسان	٧٧٠	١٠٧٣
جبع	٣٥٠	٤١٥
الجيب	٨٣٠	١١٢٣
الجديرة	١٩٠	٣٢٨

---

١ – تقع في ظاهر القدس الجنوبي . يمر خط الهدنة بوسط القريـــة . وذلك ليعطي لسكة الحديد بقعة من الأرض لحمايتها عرضها ٢٠٠ متر !!

٢ – ينسب إليها العالم الفقيه « شعبان بن سالم البيت ساحوري » توفي في بلده عام ٨٨٨ هـ . بعد ان عمّر طويلاً . (الأنس الجليل ٤٠٠).

٣ – ذكرها ياقوت باسم « العازرية » : « بعد الألف زاي ثم راء وياء النسبة . قرية بالبيت المقدس » . ينسب إليها محمد بن محمد بن محمد بن خضر ، من سلالة عروة بن الزبير بن العوام ، من قريش ، شمس الدين العيزري . ٧٢٤–٨٠٨ هـ : ١٣٢٤–١٤٠٦ م . فقيه ، شافعي ، من العلماء كثير التصانيف – الأعلام ٧/٢٧٢–٢٧٣ . لخير الدين الزركلي القاهرة ١٩٥٦ .

كفر عَقَب	٢٩٠	٤١٠
الخضر[1]	١١٣٠	١٧٩٨
بِخنْماس	٥٤٠	٧٧٤
النبي صموئيل	٢٠٠	١٦٨
نَحّالين	٦٢٠	١٠١٥

وفي ٢٨/٣/١٩٥٤ قام اليهود بهجوم وحشي مدبر على هـــذه القرية الآمنة أدّت الى خسائر جمة في الأموال والأرواح .

قَلَنْديَة	١٩٠	—
نُوَيعِمَة	٢٤٠	أُدمج تعدادها مع منطقة أريحا
قَطَنَة	١١٥٠	١٨٩٧
القُبَيْبَة	٤٢٠	٧٠١
رافات	٢٨٠	٥٠٤
الرّام	٣٥٠	٧٦٩
شَرَفاط	٢٢٠	١٢٨

تبعد هذه القرية ٣٠٠ ياردة عن خط الهدنة . وفي يوم ٧ / ٢ / ١٩٥١ هاجمها اليهود بألغامهم وأسلحتهم فقتلوا عشرة من السكان منهم ثــلاث نساء وخمسة أطفال ورجلان . وأما الجرحى فكانوا ثمانية منهم ثلاث نساء وخمسة أطفــال

شُعْفاط	٧٦٠	٢٥٤١
سلوان	٣٨٢٠	أُدمج سكانها مــع سكان بيت القدس

١ — عرفت هذه القرية بمعركتها الشهيرة التي حدثت في أوائل تشرين الأول من عام١٩٣٦م بين المجاهدين الفلسطينيين بقيادة سعيد العاص وبين القوات البريطانية ، استشهد على أثرها البطل أبو سعاد سعيد العاص الحموي . وقد دفن رحمه الله حيث استشهد . وأمـــا مساعده عبد القادر الحسيني المقدسي فقد جرح وأسر .

صور باهر	٢٤٥٠	٢٣٣٥

تقع هذه القرية في ظاهر القدس الجنوبي ، على طريق بيت لحم وعلى بعد خمسة كيلومترات من القدس .

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١٩٤٥/٤/١	عدد سكانها في ١٩٦١/١١/١٨
أم طوبا	أدخلت مع صور باهر	٥٤٣

لعلها قرية « الطوبانية » التي ذكرها ياقوت بقوله : « بلد من نواحي فلسطين » .

الطور	٢٣٨٠	٤٢٨٩
وادي فوكين	٢٨٠	تقع على خط الهدنة ولكثرة

تعديات اليهود على أهلها ابتعدوا عنها . ففي يوم ١٩٥٤/٩/١١ وبينما كان أطفال القرية في لهوم البريء أطلق عليهم اليهود وابلاً من الرصاص أصاب اثنين منهم بجروح مختلفة .

وفي ١٩٥٦/٩/٢٥ شنّ اليهود هجوماً واسع النطاق على « وادي فوكين » و « حوسان » بقوات كبيرة . وقد صمد الحرس الوطني صموداً عظيماً وتطورت المعركة إلى التحام بالسلاح الأبيض والأيدي الأمر الذي كبّد اليهود خسائر فادحة .

العشائر :

اسم العشيرة	عدد سكانها التقديري في ١٩٤٥/٤/١	عدد سكانها في ١٩٦٢/١١/١٨
النُّصَيْرات (١)	٥٢٠	أُدمج تعدادهم مع منطقة أريحا
الكَعَابِنَة (٢)	٢٦٠	
العُرَيْنات (٣)	٢١٠	
السَّعايِدَة (٤)	١١٠	

١ – مرّ ذكرهم .

٢ – الأرجح انهم من قبيلة « الكعابنة » من بني صخر في شرقي الأردن . كما وان في بلاد الطور ، من سيناء قبيلة تعرف بهذا الاسم .

٣ – من قبيلة العُرَيْنات من هُتَيْم من سيناء .

٤ – لعلهم من السمايدة في الطفيلة .

عرب بن عُبَيْد[1] (العُبَيْدِيّة)		٨٣٨
عرب الرشايده[2]	٧٠٧٠	أدخل عددهم ضمن تعداد القرى المجاورة
عرب السواحرة[3]		١٤١٣ منهم (٢٧٩) عدد عشيرة السواحرة الشرقية و ١١٣٤ عدد السواحرة الغربية .
التعَامِرة	٣٠٦	

وبعد كارثة ١٩٤٨ أقام « العائدون » وغيرهم في « الخِرَب » والأمـــاكن الآتية من القضاء . وكثير من هذه المواقع كان مأهولاً ، ايام الحكم الانكليزي ، وقد حسب البريطانيون ، حينذاك ، عدد سكانها مع القرى المجاورة..

اسم القرية	عدد سكانها في ١٩٦١/١١/١٨	ملاحظات
أم سَلمونة	١١٨	من خرب بيت فجار
مرَاح رَباح	١٩٨	من خرب بيت فجار
سَكارْيَه	١٥٧	من خرب إرْطاس
المعْصَرَة	٢٤٢	من خرب بيت فجار
البيضا	٢٥٦	من خرب بيت فجار
جورة الشَّمْعَة	٢٨٠	من خرب بيت فجار
اللوَّيزة	١١٢	من خرب بيت فجار
خلة السمك	١١٠	من خرب بيت الخضر
زَّعتَرة	١٠٠٣	—

١ — لعلهم بطن من « سنبس » من القحطانية .
٢ — يظن انهم من قبيلة الرشايدة من عشائر الكرك . وهي من طيء .
٣ — تتألف هـــذه العشيرة من عـــدة عشائر مختلفة . بعضها يعود بأصله الى قبائل جنوبي فلسطين .

ام الطلع	٤٨٥	في منطقة زعترة
ام عسلة الشرقية	٥٤٤	في منطقة زعترة
البيضاء	١٦٣	في منطقة زعترة
تُقـُوع	٥٥٥	في منطقة زعترة
حُجَيْلة	١٨١	في منطقة زعترة
حَرْمَلة	٢٢٨	في منطقة زعترة
خربة الدير	٢٠٩	في منطقة زعتره
خلة المغارة	١٢٦	في منطقبة زعترة
وادي الوعر	١٨٠	في منطقة زعترة
عساكر	٢٣٢	في منطقة زعترة
عيلة علي	١٧٧	في منطقة زعترة
قـرَة	٢٤٩	في منطقة زعترة
المُحَدّدّ	٢٣٣	في منطقة زعترة
وادي العرايس	٣٥٧	في منطقة زعترة
ضاحية البريد	٣٦٣	في منطقة بيت خينا
مشمشة	٦٨٥	في منطقة صور باهر
جب الرُوم	٦٧٦	في منطقة صور باهر
الحرّذّان	١٩١	في منطقة صور باهر
حسين الساحوري	٢٤٠	في منطقة صور باهر
الصّلعَة	٢٧٢	في منطقة صور باهر
غُزّيل	٢٨١	في منطقة صور باهر

اسماء المدن والقرى

(١) القدس : سبق وكتبنا نُبذة عن القطاع العربي من هذه المدينة ، عاصمة بلادنا ، فلسطين . ومن أبرز مشاهد القدس المغتصبة « مقبرة مأمن الله » التي تضم

قبور عـــدد كبير من الشهداء والعلماء والصالحين وغـيرهم من رجالات الاسلام البارزين؛ ومسجد النبي داود الذي حوّل الى معبد يهودي ، فضلاً عن الكنائس المسيحية المتعددة .

وقد دخل عمر بن الخطاب القدس في يوم الخميس من ٢٠ ربيع الأول من عام ١٥ هـ : الموافق ٢ أيار من عام ٦٣٦ م . وكان مما أمر به أن لا يسكن هذه البلدة المقدسة أحد من اليهود .

أسماء القرى

يبلغ عددها ٣٩ قرية وهي :

(١) إشوَع : بها ٦٢٠ نسمة .

(٢) بُرَيج : بها ٧٢٠ نسمة . مساحة أراضيها ١٩٠٨٠ دونمـــاً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٣) بيت ام الميس : بها (٧٠) نسمة . مساحتها دونمان .

(٤) بيت تول : بها ٢٦٠ نسمة . مساحتها ١٣ دونماً .

(٥) بيت جِمّال : بها ٢٤٠ نسمة . مساحة أراضيها ٤٨٧٨ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٦) بيت عطاب : بها ٥٤٠ نسمة . مساحتها ١٤ دونماً .

(٧) بيت مِحْسير : بها ٢٤٠٠ نسمة . مساحتها ٧٧ دونماً . مساحة أراضيها ١٦٢٦٨ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً. وفي عام ١٩٥٠ أقام اليهود مستعمرتهم « بيت مير – Beyt - Meyir » في منطقة هذه القرية . كان بها في عام ١٩٥٠ ، ١٥٢ يهودياً .

(٨) بيت نَقّوبا : بها ٢٤٠ نسمة .

(٩) جَرَش : بها ١٩٠ نسمة . مساحتها (٥) دونمات . مساحـة أراضيها ٣٥١٨ دونماً ملك لأهلها .

(١٠) الجورة : بها ٤٢٠ نسمة .

(١١) خربة اسم الله : بها ٢٠ نسمة .

(١٢) خربة العُمور : بها ٢٧٠ نسمة .

(١٣) خربة اللوز : بها ٤٥٠ نسمة مساحتها ١٣ دونماً .

(١٤) دير آبان : بها ٢١٠٠ نسمة . مساحتها ٥٤ دونماً . مساحة أراضيها ٢٢٧٣٤ دونماً . لليهود منها ٣٧٦ دونماً .

(١٥) دير رافات : بها ٤٣٠ نسمة . مساحة أراضيها ١٣٢٤٢ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(١٦) دير الشيخ : بها ٢٢٠ نسمة .

(١٧) دير عمرو (مزرعة) : بها ١٠ أنفس . لا يملك اليهود فيها شيئاً من أراضيها البالغة مساحتها ٣٠٧٢ دونماً .

(١٨) دير الهوا : به ٦٠ نسمة مساحتها (٤) دونمات ومساحة أراضيها ٥٩٠٧ دونمات . ليس لليهود فيها أي دونم .

(١٩) دير ياسين : تقع على بعد نحو ستة كيلومترات للغرب من القدس . كان بها في ١/٤/١٩٤٥ (٦١٠) نفوس مساحتها ١٢ دونماً ومساحة أراضيها ٢٨٥٧ دونماً يملك اليهود فيها ١٥٣ دونماً .

وقد عرفت « دير ياسين » بمجزرتها الرهيبة التي اقترفها اليهود بأهلها في ١٠/٤/١٩٤٨[١] ، في اليوم التالي لمعركة القسطل الآتي ذكرها . هاجمها اليهود بمصفحاتهم ودباباتهم ومدافعهم وأخذوا ينقضون على سكانها الآمنين . دافع أهل القرية عن بلدتهم دفاع الأبطال وشاركهم في دفاعهم هذا نساؤهم وفي مقدمتهن الشهيدة «حياة سالم البلبيسي» معلمة مدرسة البنات. وكانت النتيجة ان بلغ عدد الذين ذبحوا من أهل القرية ومُثّل بأجسامهم (٢٥٠) عربياً، منهم خمس وعشرون امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برؤوس الحراب، واثنان وخمسون طفلاً قطعت أوصالهم أمام امهاتهم وستون امرأة وفتاة اخرى . اما سائر الضحايا فكانت من الشيوخ والرجال. وأخيراً جمع اليهود أشلاء الضحايا وألقوها

---

١ – أي بينما كان الحكم البريطاني قائماً .

في بئر القرية .

وقد وصف « جاك رينيه » – مبعوث مؤسسة الصليب الأحمر الدولية – التي استدعيت لتطلع على الحقيقة – هذه المذبحة « بأنها كانت في غاية الفظاعة ».

(٢٠) رأس ابو عمّار : بها ٦٢٠ نسمة . مساحتها ٤٠ دونماً. مساحة أراضيها ٨٣٤٢ دونماً ، وهي ملك لأهلها .

(٢١) ساريس : بها ٥٦٠ نسمة . مساحتها ١٠ دونمات . مساحة أراضيها ١٠٦٩٩ دونماً يملك اليهود منها ١٣٢ دونماً . وفي نهاية عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتهم « Sho'eyva » على أراضي هذه القرية . كان في هذه المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٤٨) يهودياً .

(٢٢) ساطاف : بها ٥٤٠ نسمة . أراضيها ملك لأهلها .

(٢٣) سِفلة : (نقيض العِلوّة) . بها ٦٠ نسمة . مساحتها ٣ دونمات .

(٢٤) صَرْعة : بها ٣٤٠ نسمة . مساحتها ٨ دونمات . مساحة أراضيها ٤٩٦٧ دونماً وهي ملك لأهلها . وفي نهاية عام ١٩٤٨ م أنشأ اليهود ، على هذه القرية ، مستعمرتهم « صُرْعة – Sor'a » . كان بها ١٠٠ يهودي في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٥) صُوبا : بها ٦٢٠ نسمة . يملك اليهود (١٥) دونماً من أراضيها البالغة مساحتها (٤١٠٢) من الدونمات . ذكر ياقوت هذه القرية بقوله : (معجم البلدان ٣/٤٣٢) « صوبا : بالضم وبعد الواو باء موحدة : قرية من قرى بيت المقدس .

(٢٦) عَرْتوف : بها ٣٥٠ نسمة . مساحتها ١٨ دونماً. أراضيها ملك لأهلها. تقع على مسيرة ٢٩ كم من القدس .

(٢٧) عِسْلين : بها ٢٦٠ نسمة . مساحتها ٢٠ دونماً . مساحة أراضيها ٢١٥٩ دونماً . وهي ملك لأهلها . وفي نهاية عام ١٩٤٩ انشأ اليهود مستعمرتهم عشتاءول – Eshtaol» في أراضي عسلين. بلغ عدد ساكني المستعمرة في أواخر سنة ١٩٥٠ (٥١٠) أشخاص .

(٢٨) عقّور : بها ٤٠ نسمة . مساحتها (٥) دونمات . مساحة اراضيها

٥٥٢٢ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٢٩) عَلاّر : بها ٤٤٠ نسمة . مساحتها ١٢ دونماً . ومساحة أراضيها ١٢٣٥٢ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٣٠) عين كارم : بها ٣١٨٠ نسمة . مساحتها ١٠٢٤ دونماً . أولى قرى القضاء في كبرها. مساحة أراضيها ١٥٬٠٢٩ دونماً يملك اليهود فيها ١٣٦٢ دونماً . تقع على بعد ٧½ كم من القدس .

(٣١) قالونية : بها (٩١٠) أنفس . مساحتها ٧٢ دونماً . تبعد عن القدس بنحو ٧ كم .

(٣٢) القَبُو : بها ٢٦٠ نسمة . مساحتها ١٢ دونماً . مساحة أراضيها ٣٨٠٦ دونمات . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٣٣) قرية العنب (ابو غوش) : تقع على بُعد ١٤ كم من القدس و ١٩ كم من رام‌الله عن طريق « بِدُّو » بها (٨٦٠) نسمة . مساحتها ٢١ دونماً . مساحة أراضيها (٧٥٩٠) دونماً لليهود منها ٨١٨ دونماً .

(٣٤) القسطل : كلمة افرنجية Castle بمعنى الحصن. تبعد عن القدس بنحو ثمانية كيلومترات . مساحتها (٥) دونمات ومساحة أراضيها ١٤٤٦ دونماً يملك اليهود منها (٧) دونمات . سكانها تسعون نسمة .

تقع القسطل على تل مشرف اشرافاً تاماً على طريق القدس – يافا . ولموقعها الاستراتيجي هذا حدثت فيها معارك شديدة بين العرب واليهود كان من نتائجها استشهاد البطل المجاهد عبد القادر بن موسى كاظم الحسيني ١٣٢٦ – ١٣٦٧ هـ : ١٩٠٨ – ١٩٤٨ م. كان رحمه الله شعلة حمية ونجدة وذكاء. ولد بالقدس وشارك في ثورات فلسطين على الحكومة البريطانية . وجُرح أكثر من مرة . ثم تنقلت به الأحوال فنزل العراق ثم الحجاز فمصر . ولما نشبت معارك فلسطين الأخيرة قاد مجاهدي القدس وما حولها واستشهد في معارك هذه القرية في ١٩٤٨/٤/٨ م ودفن في المسجد الاقصى الى جانب والده الشيخ الشهيد موسى كاظم الحسيني .

وباستشهاده استقرت القرية بيد

(٣٥) كَسْلا : بها ٢٨٠ نسمة . مساحة أراضيها ٨٠٠٤ دونمات . لا يملك اليهود فيها شيئاً . و « كسلا » أيضاً بلدة من مدن الجمهورية السودانية .

(٣٦) لِفْتا : تقع في ظاهر القدس الغربي . بها ٢٥٥٠ نسمة . مساحتهـا ٣٢٤ دونماً . ثانية قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٨٧٤٣ دونماً . يملك اليهود منها ٧٥٦ دونماً .

(٣٧) المالِحَة : بها ١٩٤٠ نسمة . مساحتها ٨٦ دونماً . مساحة أراضيها ٦٨٢٨ دونماً . لليهود منها (٩٢٢) دونماً . وفي عام ١٩٤٩ م أقام اليهود على هذه القرية مستعمرتهم « ماناحت – Manahat » كان بها في نهايـة عام ١٩٥٠ ٢٧٩ يهودياً .

(٣٨) نِطاف : بها ٤٠ نسمة مساحة أراضيها ١٤٠١ من الدونمات . لا يملك اليهود منها شيئاً .

(٣٩) الوَلَجَة : بها ١٦٥٠ نسمة . مساحتها ٣١ دونماً . مساحـة أراضيها ١٧٧٠٨ دونمات . لليهود منها ٣٥ دونماً .

المستعمرات اليهودية :

(١) موصا – Mosa' أو Motsa : في ظاهر القدس الغربي بجوار قالونية . تأسست عام ١٨٩٤ م . كان بها في ١/٤/١٩٤٥ (٣٥٠) نسمة . وفي نهاية عـام ١٩٥٠ م كانوا ٤٨ يهودياً .

(٢) قِرْيات عنابيم – Qiryat'anavim : تقع في الشمال الشرقي من قرية ابو غوش . تأسست عام ١٩٢٠ . بهـا ٣٨٠ نسمة . وفي نهاية عـام ١٩٥٠ كانوا ٣٢٦ .

(٣) رامات راحل – Ramat Rahel : تأسست عام ١٩٢٦ ، بهـا ٣٧٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كان بها ١٦٣ يهودياً. تقع في ظاهر القدس الجنوبي.

(٤) موصا عيلليت – Motsa 'Illit : تأسست عام ١٩٣٣ . كان بهـا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣٢) نسمة .

(٥) معالي هاهاميشا — Ma'aley - Hahamisha : تقع للشمال من قرية أبو غوش . تأسست عام ١٩٣٨ كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٢١) يهودياً .

(٦) شخونت بيلنسون — Shkunat - Beylinson : تأسست عام ١٩٣٨ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣١٢) يهودياً .

(٧) نوى علاّن — Newey - 'Illan : تأسست عام ١٩٤٦ كان بها ١٢٠ يهودياً في نهادة عام ١٩٥٠ .

(٨) هارتوف — Har Tov : أعيد بناؤها عام ١٩٥٠ . تقع عند عرتوف العربية كان بها في نهاية عام ١٩٤٥ (٨٠) يهودياً وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا « ٢١٠ » .

واما مستعمرتا «عطاروت— Attarot '» و«نفي يعقوب—Neve-Ya'aqov» الواقعتان على طريق رام الله — القدس فقد أصبحتا أثراً بعد عين .

والمستعمرات الآتية ، كانت قد أنشئت في ظاهر القدس ثم ضمت إليها وأصبحت قسماً منها :

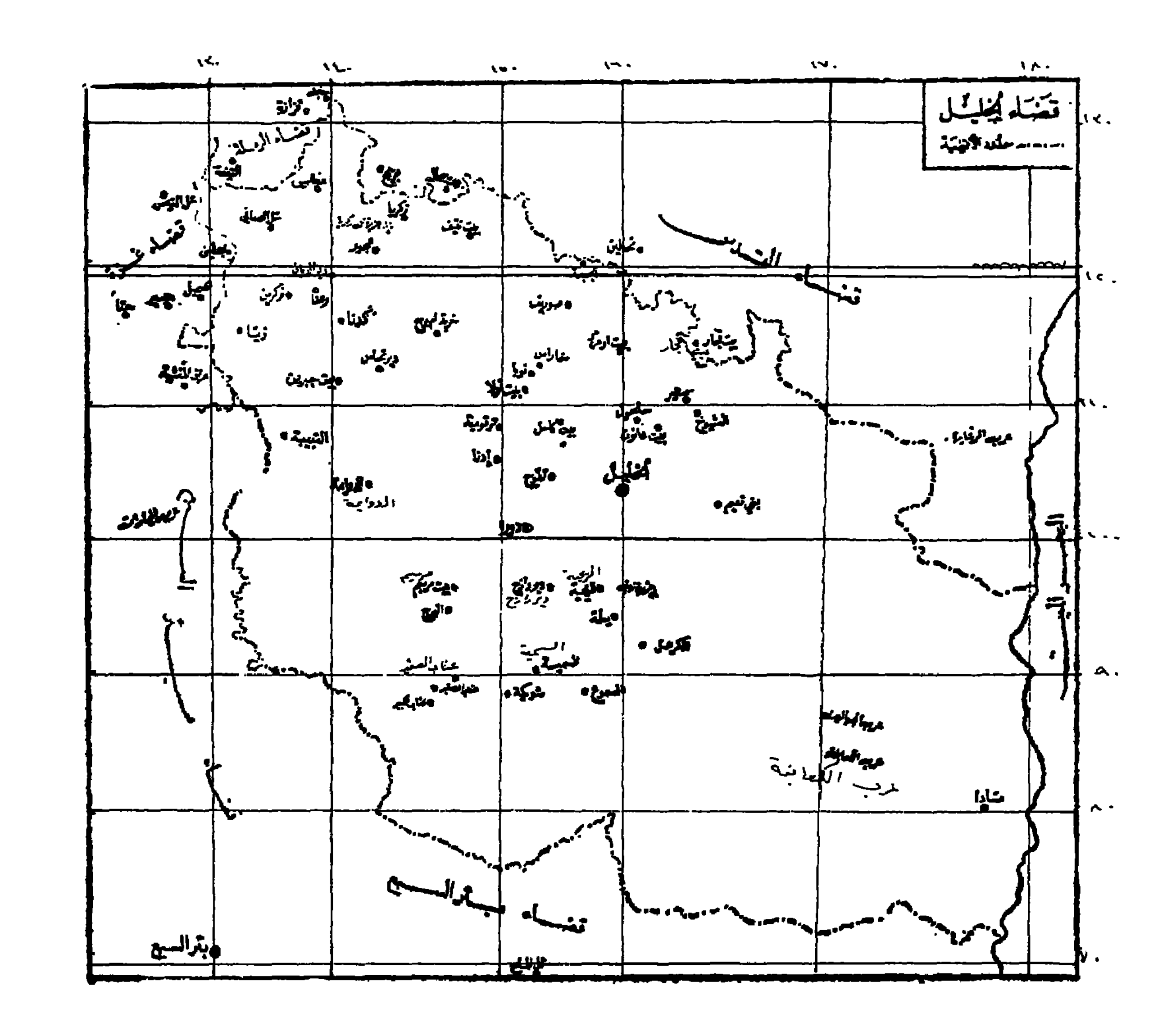
« مقور حايم — Meqor Haiyim » و « قريات مونتفيوري — Qiryat Montefiore » و غبعت شاول — Giv'at Shaul » و « بيت هاكرم — Beit Hakerem » و « بيت ويغان — Beit Vegan » .

* * *

(٣) قضاء الخليل :

مساحته ٢٠٧٦ كم٢ . يملك اليهود منها ٦ كم٢ . أي أنهم يملكون أقل من ثلاثة بالألف من مجموع مساحة القضاء . قدر عدد سكانه في ١٩٤٥/٤/١ بنحو ٨٩٦٥٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	٨٩٤٠٠ :
مسيحيون	١٦٠ :
آخرون	١٠ :



قضاء الخليل
حدود الأقضية
الخليل
بني نعيم
دورا
يطا
السموع
حلحول
ترقوميا
إذنا
بيت جبرين
زكريا
صوريف
بيت أمر
قضاء القدس
قضاء غزة
قضاء الرملة
قضاء بئر السبع
بئر السبع
عرب الكعابنة

يهود : ٨٠
مجموع سكان القضاء : ٨٩٬٦٥٠ شخصاً .

أسماء المدن والقرى الناجية :

مدينة الخليل : ترتفع عن سطح البحر ٣٠٤٠ قدماً : ٩٢٧ متراً . بها قبور جد الأنبياء وعائلته . قدر عدد سكانها في ١/٤/١٩٤٥ بنحو (٢٤٬٥٦٠) نسمة ، جميعهم مسلمون ، بينهم ١٥٠ مسيحياً . مساحة المدينــة (٢٧٩١) دونماً . وفي ١٨/١١/١٩٦١ بلغ عدد سكان الخليل (٣٧٬٨٦٨) نسمة بينهم ١١١ مسيحياً .

والخليل معروفة بعمل الزجاج الذي كان يصنع في القرن الثـاني عشر . وما زالت عمليته بدائية ، تعمل من الأواني الزجاجية المكسورة بعد صهرها في أفران خاصة ونفخهـا بواسطة أنابيب . وفي الخليل يصنع الخزف والأكياس الشعرية والقرب والمعاطف المصنوعة من فراء الضأن والأحزمة الجلدية وصناعة الدباغــة . ويصنع الخليليون من العنب الزبيب والمَلَبَّن والدِّبس و « عنب طبيخ » المعروف باسم « عِنْطَبيخ » وهو على شكل المربى . وفي المدة الأخيرة أقام أهل البلدة مصنعاً حديثاً لعمل المربيات والمعلبات كما أدخلوا صناعة النسيج وهي تقوم بعمل الملابس الداخلية والأقمشة الكتانية والقطنية وغيرها .

وتبعد الخليل عن المدن والأماكن الآتية بما ذكر بجانبها من كيلومترات :

بئر السبع : ٥٢ بني نعيم : ٨ عمّـان : ١٢٨ بيت لحـم : ٢٧
بيت جبرين : ٢٦ إربد : ٢٠٠ القدس : ٣٦ قبل النكبة دورا : ١١
رام الله : ٦٠ القدس : ٤٤ بعـد النكبة يَطّة : ١٤ نابلس : ١٠٩
غزة : ٨١ عن طريق بيت جبرين الظاهرية : ٢٣ .

والخليل اليوم من ألوية المملكة الأردنية الهاشمية مساحته ١١٠٠ كم٢ ، وهو بوجه عام لواء جبلي. ٢٠٠ كم٢ من أراضيه ترتفع الى أقل من ٥٠٠ متر و ٨٠٠كم٢ منها تعلو من ٥٠٠ الى أقـل من ١٠٠٠ متر . يضم ١١٩٤٣٢ نسمة بينهم ١٦٦٤ يسكنون الخيام. جميعهم مسلمون بينهم ١٦٨ مسيحياً، يقيمون في مدينة الخليل. ولواء الخليل ، يحتوي على ٨٣ قرية صغيرة وكبيرة .

٢ – اسماء القرى الناجية :

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١/٤/١٩٤٥	عدد سكانها في ١٨/١١/٦١
إدْنا	٢١٩٠	٣٥٦٨
بني نعيم	٢١٦٠	٣٣٩٢
بيت أولا	١٣١٠	١٦٧٧
بيت أُومّر	١٦٠٠	٢١٠٣
بيت كاحل	٥٧٠	٧٠٤
ترقوميا	١٥٥٠	٢٦٥١
تفّوح	٧٨٠	١٢٨٢
جبْعَة	٢١٠	٣٣٢
حَلحُول	٣٣٨٠	٥٣٨٧
خاراس	٩٧٠	١٢٦٤
دُورَا	٩٧٠٠ بما فيها خِرَبها الكثيرة	٣٨٥٢ القرية نفسها فقط
الرّيحيّة	٣٣٠	٥٥٥
سعِير	٢٧١٠	٢٥١١
السّمُوع	٢٥٢٠	٣١٠٣
الشّيُوخ	١٢٤٠	١٦٦٠
صُوريف	٢١٩٠	٢٨٢٧
الظاهرية	٣٧٦٠	٤١٩٩
نوبا	٧٦٠	١٠٧٥
يَطّة	٥٢٦٠	٦٣٢٦

وبعد النكبة أقام « العائدون » وغيرهم في « الخِرَب » والأماكن الآتية من القضاء المذكور .

إن معظم هذه المواقع كان مأهولاً أيام الحكم البريطاني ، وقد أضاف

البريطانيون عدد سكانها الى القرية التي تنتمي اليها تلك الخرب .

اسم القرية	عدد سكانها في ١٨/١١/١٩٦١	ملاحظات
إصحا	١٠٦	
ام الصفا	١١٦	
ام علاّس	٣٢٢	
إنجاّصة	١٥	
البرج	٧٠٢	من خرب قرية دورا
البَقّار	٢٢٦	من خرب قرية حلحول
بيت الرُوش التحتا	١٨١	من خرب دورا
بيت الرُوش الفوقا	١٦٢	من خرب دورا
بيت عَمرة	١١٩	
بيت عانون	١٩٢	
بيت عَوّا	١٣٦٨	من خرب دورا
بيت مِرْسِم (بعض بيوتها تقع في المنطقة المغتصبة)	٢٢٦ وفي القسم الناجي مدرسة لأولاد القرية بها (٢٣) طالباً	من خرب دورا
بيت ناصيب	١٨٣	
البيرة	١٠٩	
البيض	١٠٠	
ترّامة	١٦١	
جالا	١٨٥	
الحبَيْلة	٤٩٧	
الحَدَب	٢٤٤	من خرب دورا
حدب العَلقَه	١٣٥	
الحسَكة	٢٣٦	من خرب حلحول
خربة الدير	١٣٣	

خربة صافا التحتا	١٥١	
خربة صافا الفوقا	١١٠	
خربة كرَمة	٢٢٣	من خرب دورا
خرَسِه	٤٤٨	من خرب دورا
خُرَيْسه	٣٣١	
خلة الدار	١٥٩	
خلة صالح	١٠٠	
دوما	٤٦٩	
دير رازح	١٣٠	من خرب دورا
دير صامت	٨٠٨	من خرب دورا
دير العسل التحتا	٢٤٨	من خرب دورا
دير العسل الفوقا	٢٨٢	من خرب دورا
رابود	٢٠٦	من خرب دورا
رافات	٢٥٨	من خرب السَّمُوع
رُقعَة	١٣٧	
صَرة	٢٧٩	
السِّكة	٢٥٠	من خرب دورا
السُّمَيّة	١٩٦	من خرب السموع
سوبا	١٢٥	من خرب دورا
شعب ابو خميس	١٠٦	
شعب عزيزة	١٢٦	
شويكة	١٣٨	
شيوخ العَرْوب	٢٤٢	
الطبقة	٢٠٠	
الطواني	١٢٧	

عبْدَة	٢٠٢	من خرب دورا
العُدَيسَة	١٧٩	
العَلَقَة التحتا	١٨٠	
العلقة الفوقا	١١١	
العَلمات	١٠٤	
عناب الصغير	١٧٠	من خرب الظاهرية
عناب الكبير	١٠٣	من خرب الظاهرية
قلقَس	١١٠	
قيلا	٢٠٤	
كرْزة	٢٦٦	من خرب دورا
الكرْمِل	١٤٦	
الكوم	٢٤٧	من خرب دورا
المجد	٤٦٦	من خرب دورا
مُرَيش	٢٣٥	من خرب دورا
المورَّق	١٥٠	من خرب دورا
نُنقُر	١٠٢	
الهجرة	١١٣	من خرب دورا

وأشهر عشائر لواء الخليل « الجبَهَالِين » .

أسماء القرى من قضاء الخليل :

وعددها ١٦ قرية وهي :

(١) برقوسيا : بهـا ٣٣٠ نسمة . مساحتها ٣١ دونمـاً . لا يملك اليهود في أراضيها أي شبر .

(٢) بيت جبرين : بها ٢٤٣٠ نسمة . مساحتها ٢٨٧ دونمـاً . وهي بذلك أكبر قرى القضاء . مساحة أراضيها ٥٦،١٨٥ دونماً . لليهود منهـا ١٠٠٨

دونمات . فتح بيت جبرين عمرو بن العاص. وينسب إليها:(١) أبو الحسن محمد بن خلف بن عمر الجبريني (٢) أحمد بن عبدالله أبو الحسن الرملي المعروف بالجبريني وهما من رواة الحديث (معجم البلدان ١٠١/٢) . وذكر المقدسي هذه القرية بأنها اشتهرت بأحجار الرخام (أحسن التقاسيم ص ١٨٤) . و « جِبْرين » أيضاً قرية على مسيرة ٨ كم من بلدة « حماة » .

(٣) بيت نَتّيف : بها ٢١٥٠ نسمة . مساحتها ١٦٢ دونماً . مساحة أراضيها ٤٤،٥٨٧ دونماً وهي ملك لأهلها .

(٤) تل الصافي : بها ١٢٩٠ نسمة . مساحتها ٦٨ دونماً . مساحة أراضيها ٢٨،٩٢٥ دونماً . لليهود منها ١١٢٠ دونماً .

(٥) خربة أم بُرج : بها ١٤٠ نسمة .

(٦) الدّوايمَة : بها ٣٧١٠ نسمات . مساحتها ١٧٩ دونماً . مساحة أراضيها ٦٠،٥٨٥ دونماً وجميعها ملك لأهل القرية .

(٧) دير الدُّبّان : بها ٧٣٠ نسمة . لا يملك اليهود فيها أي شبر .

(٨) دير نَخّاس : بها ٦٠٠ نسمة . لا يملك اليهود فيها أي شبر .

(٩) رَعْنا : بها ١٩٠ نسمة .

(١٠) زَكَرِيّا : بها ١١٨٠ نسمة . مساحتها ٧٠ دونماً . مساحة أراضيها ١٥،٣٢٠ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . تقع هذه القرية للشمال من بيت جبرين وعلى مسيرة ٩ أميال منها وهي موقوفة على الحرم الإبراهيمي ، مع قرى أخرى كثيرة .

(١١) زِكْرِين : بها ٩٦٠ نسمة . مساحتها ٦٣ دونماً . لا يملك اليهود فيها أي شبر .

(١٢) زيتا : بها ٣٣٠ نسمة .

(١٣) عَجّور : بها ٣٧٣٠ نسمة . مساحتها ١٧١ دونماً . مساحة أراضيها (٥٨،٠٧٤) دونماً . جميعها ملك لأهل القرية .

تقع في جوار عجور خربتان : «خربة جَنّابة التحتا» أو « جنابة الغربية»

و « خربة جَنـّابة الفوقا » أو «جَنـّابة الشرقية» . ففي أراضي هاتين الخربتين وقعت معركة « أجنادَين » في الثلاثين من تموز عام ٦٣٤ م بين العرب والروم . وكان النصر ، كما هـو معلوم ، حليف المسلمين . و « أجنادين » تحريف لتثنية الخربتين المذكورتين : « جَنـّابتَين » . وتحتوي الجنابـة الغربية اليوم على جدران متهدمة وبقايا معصرة وصهاريج، كما تحتوي الشرقيـة على أسس وأكوام حجارة ومغائر وأحواض .

(١٤) القـُبَيْبَة : بها ١٠٦٠ نسمة . مساحتها ٣٥ دونماً . مساحة أراضيها، وهي ملك للقرية ، ١٩٩١٢ دونماً. تقع القبيبة على بعد ٦ ١/٢ كم من بيت جبرين.

(١٥) كُدنا : بها ٤٥٠ نسمة . أراضيها ملك لأهلها .

(١٦) مُغـَلـّس : بها ٥٤٠ نسمة . أراضيها ملك لأهلها .

* * *

وقد أنشأ اليهود ، في السنين الأخـيرة من أيام الانتداب البغيض ، خمس مستعمرات في بلاد الخليل وهي « كفار عتصيون — Kefar 'Etsyon » الواقعة بالقرب من طريق القدس — الخليل . وكانت تتجمع حولها المستعمرات الثلاث : « رفاديم — Revadim » و « ماسا اوت يتسحق — Massaot Yts - haq » و « عين تسوريم — 'Ein Tsurim » وقد أزيلت جميعها .

واما المستعمرة الخامسة فهي « غالعون — Gal'on » . تأسست عام ١٩٤٦ غربي بيت جبرين . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٤٠) يهودياً .

خامساً

لواء يافا (اللُّد)

(١) قضاء يافا :

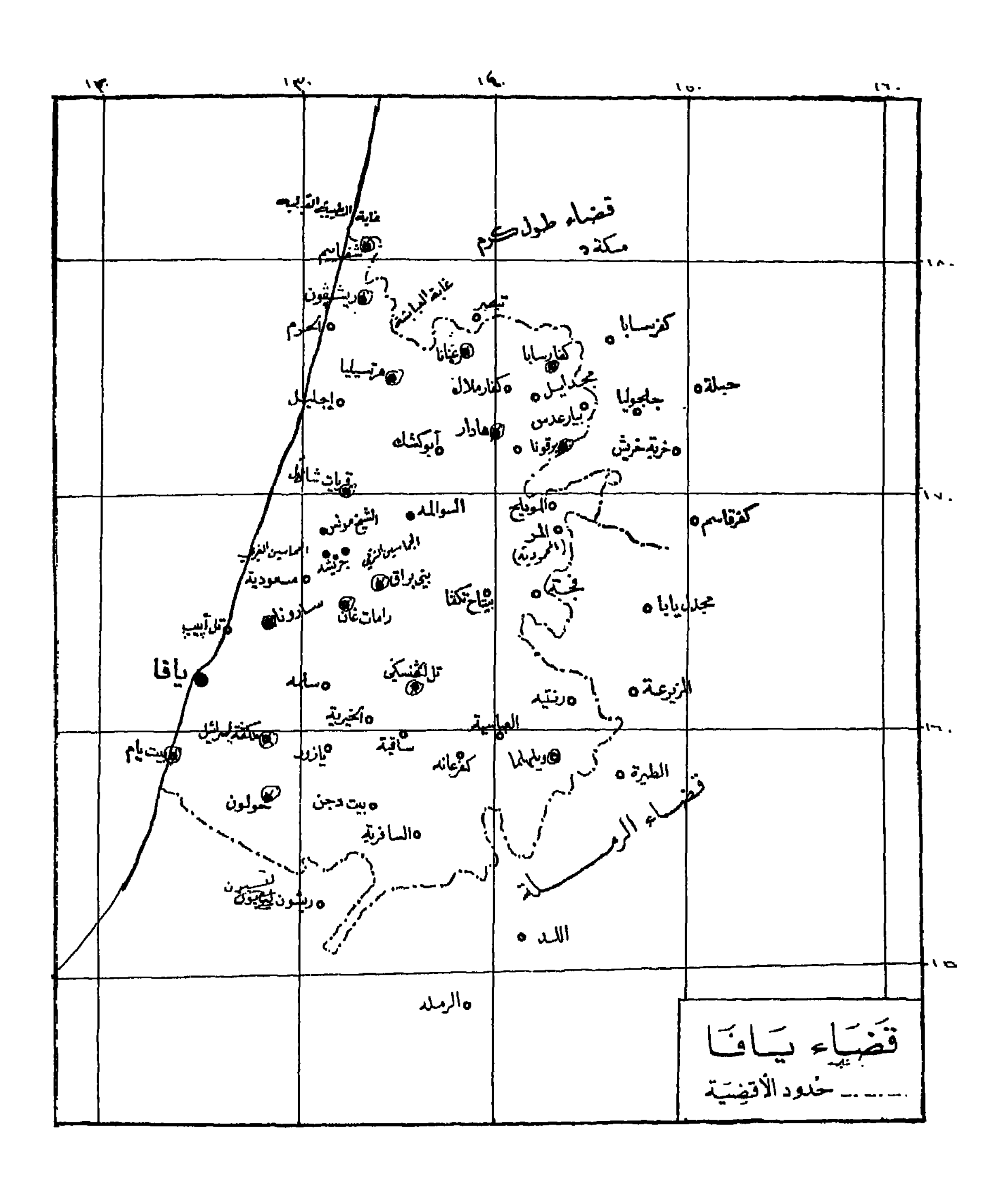
مساحته ٣٣٥٫٣ كم٢ . لليهود منهـــا ١٢٩٫٥ كم٢ . أي بنسبة ٣٨٫٦٪ من مجموع مساحة القضاء . وقـدر عدد سكانه في ١٩٤٥/٤/١ بـ (٣٧٣٬٨٠٠) نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	: ٩٣٬٠٧٠
مسيحيون	: ١٦٬٣٠٠
آخرون	: ٣٣٠
مجموع السكان العرب	: ١٠٩٬٧٠٠
اليهود	: ٢٦٤٬١٠٠
مجموع سكان القضاء	: ٣٧٣٬٨٠٠ نسمة .

يضم هذا القضاء مدينة يافا و ٢٥ قرية عربيـــة و ٢٢٧٠ بدوياً [١] . ومن المؤلم أنه يقع اليوم في القسم من الوطن الحبيب الغالي .

يافا : قدر عدد سكانها في ١٩٤٥/٤/١ بـ (٦٦٬٣١٠) نفوس يوزعون كما يلي:

١ ـ وهؤلاء البدو هم من « الملالحة » و « السوارِكة » و « الشوابكة ـ من شرقي الأردن ـ و « القرعان » ـ من جنوبي فلسطين ـ و « الترابنة » من ترابين بئر السبع . و « الجرامنة » وهم من « طيء » من القحطانية نزلوا هذه الجهات مع عرب أبو كشك .


١٢٠
١٣٠
١٤٠
١٥٠
١٦٠
١٨٠
١٧٠
١٦٠
١٥٠
قضاء طولكرم
مسكة
كفرسابا
كفار سابا
حبلة
جلجوليا
مجدليل
بيار عدس
كفار ملال
رعنانا
هرتسيليا
اجليل
الحرم
شفايم
أبو كشك
هادار
برقونا
خربة خريش
السوالمة
الشيخ مونس
المويلح
كفرقاسم
المر
(المحمودية)
الجماسين الغربي
الجماسين الشرقي
جريشة
مسعودية
بني براق
رامات غان
بيتاح تكفا
فجة
مجدل يابا
ساروئا
تل أبيب
يافا
سلمة
تل لتفنسكي
رنتية
المزيرعة
الخيرية
العباسية
بيت يام
يازور
ساقية
كفر عانة
ويلهلما
الطيرة
حولون
بيت دجن
السافرية
قضاء الرملة
ريشون لتسيون
اللد
الرملة
قضاء يافا
حدود الأقضية

مسلمون	:	٥٠،٨٨٠
مسيحيون	:	١٥،٤٠٠
آخرون	:	٣٠
مجموع سكان يافا	:	٦٦،٣١٠

وفي ٣١/١٢/١٩٤٦ قدروا بـ ٧٠،٧٦٠ عربياً .

وأما مساحتها فقد بلغت ٩٧٣٧ دونماً ، غير مضاف إليها مساحات الطرق والسكك الحديدية وما إليها .

وبعد النكبة ضم المغتصبون يافا الى تل أبيب وأضحت تدعيان باسم « تل أبيب – يافو : Tel Aviv-Yafo » . قدر عدد سكانها في ١٨/١١/١٩٤٨ (٢٤٧،٩٤٣) نسمة منهم (٢٤٤،٢٩٢) يهودياً . وفي ٣١/١٢/١٩٤٩ كانوا (٣١٠،٥٠٠) بينهم ٣٠٦،٥٠٠ يهودي .. وفي ٣١/١٢/١٩٥٠ بلغ عدد اليهود فيها ٣٣٠،٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٦٢ قدر عدد سكان المدينتين بـ (٣٨٣،٠٠٠) نسمة .

تحيط بيافا ، عروس الشاطىء الفلسطيني ودرة الأرض بساتين البرتقال الذي اشتهرت به، وصدّرته للخارج منذ القرن التاسع عشر للميلاد ، وخاصة نوعه المعروف بالشمُّوطي لجودته ومقاومته للتلف .

وكانت مركز النشاط الثقافي والأدبي في فلسطين ، وقد أخرجت مطابعها مجموعات من الكتب في مختلف العلوم كما كانت تصدر فيها معظم الصحف الفلسطينية ، وما زال بعضها يصدر إلى اليوم في « بيت المقدس » .

وفي يافا كانت مصانع لسكب الحديد والنسيج والصابون والزجاج والورق ، كما أُقيم في ظاهرها معمل لغزل القطن وتحويله خيوطاً للنسيج وغيرها .

والكيلومترات الآتية تبين بُعد يافا عن غيرها من بعض المواقع :

عكا	١٢٥	كم
العفولة	٩٨	عن طريق الخضيرة – اللجون
العفولة	٩٧	عن طريق رأس العين – وادي عارا

باب الواد	٣٩	
غزة	٧٩	
حيفا	١٠٢	
قرية العنب	٤٨	
خربة بيت ليد	٤١	
اللد	٢٢	
المجدل (غزة)	٥٦	
نابلس	٧٢	
ناتانيا	٤٥	
الناصرة	١١١	
ملبس – بتاح تكفا	١٤	
قلقيلية	٣٠	عن طريق رأس العين
رعنانا – عن طريق بتاح تكفا	٢٥	
رأس العين	٢٠	
الرملة	١٨	
رام الله	٦٧	– عن طريق عمواس –
رحوبوت	٢٢	
طبرية	١٤١	عن طريق الخضيرة وطابور
طول كرم	٤٠	عن طريق رأس العين
زخرون يعقوب	٦٩	
القدس	٦٢	

القرى :

(١) أبو كشك أو « عرب ابو كشك » بها ١٩٠٠ نسمة . مساحة أراضيها ١٨٤٧٠ دونماً يملك اليهود منها (٩٠١) . وهي القرية الثانية ، في القضاء ، فيما

تملكه من اراض . تقع على مسيرة ٢١ كم من يافا. و «عرب أبو كشك» مصريون. كانت منازلهم في جنوبي فلسطين . والأرجح انهم نزلوا جهات يافا في أيام حكم ابراهيم باشا المصري لبلاد الشام .

وبعضهم ذكر ان هذه القبيلة تعود بنسبها الى قبيلة « حَرْب » .

(٢) إجليل الشمالية : بها ١٩٠ نسمة . مساحتها ٧ دونمات. مساحة أراضيها ٢٤٥٠ دونماً . يملك اليهود منها ٥٢١ .

(٣) إجليل القبلية : بها ٤٧٠ نسمة . مساحتها ٦ دونمات . مساحة أراضيها ١٥،٢٠٧ دونمات ، لليهود منها (٥٩٨٠) دونماً .

(٤) بيار عدس : بها ٣٠٠ نسمة . مساحتها ١٤ دونماً . مساحة أراضيها ٥٤٩٢ دونماً . لليهود منها ١٠٩ دونمات احتلها اليهود في ٦ مارس من عام ١٩٤٨ م ، أي قبل نهاية الحكم البريطاني من البلاد .

(٥) بيت دجن : بها ٣٨٤٠ نسمة . رابعة قرى القضاء سكاناً . مساحتها ٦٠ دونماً . ومساحة أراضيها ١٧٣٢٧ دونماً . يملك اليهود منها ١٩٧٥ دونماً . وبيت دجن رابعة قرى القضاء في الأراضي التي تملكها. وبعد النكبة أقام اليهود على بقعة هذه القرية العربية مستعمرة دعوها باسم «بيت داجون» وذلك في الشهر الحادي عشر من عام ١٩٤٨ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢١٠٠) يهودي .

(٦) جَرِيشَة : بها ١٩٠ نسمة . مساحتها ٣ دونمات . مساحة أراضيها ٥٥٥ دونماً. لليهود منها ٩٣ دونماً . تقع على نهر العوجاء ، وهي متنزه أهل يافا .

(٧) الجمّاسين الشرقي : بها ٧٣٠ نسمة . مساحة أراضيها ٣٥٨ دونماً . لليهود منها ٥٤ .

(٨) الجمّاسين الغربي : بها ١٠٨٠ نسمة . مساحة أراضيها ١٣٦٥ دونماً . لليهود منها ٧١٤ .

(٩) الحَرَم : بها ٥٢٠ نسمة . مساحتها ١٨ دونماً . مساحة أراضيها ٨٠٦٥ دونماً . يملك اليهود منها (٤٧٤٥) دونماً . تعرف هذه القرية أيضاً باسم « سيدنا علي » نسبة الى ولي الله المجاهد « أبو الحسن علي بن عليل » المدفون فيها.

وهو من أحفـــاد عمر بن الخطاب والمشهور عند الناس باسم « علي بن عليم » . وكانت وفاة الولي المذكور عام ٤٧٤ هـ . وقبره يُزار . وفي عام ١٩٤٨ أقـــام اليهود مكان هذه القرية العربية مستعمرة دعوهـا باسم « رشف Reshef » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٠٨) أشخاص .

(١٠) الخَيْريَّة : مساحتها ٢٦ دونماً ومساحة أراضيها ١٣٦٧٢ دونماً . يملك اليهود منها ٥٨٤٢ دونماً . بها من السكان (١٤٢٠) عربياً .

(١١) رَنْتِيَه : بهـــا ٥٩٠ نسمة مساحتها ١٣ دونمـاً . مساحة أراضيها ٤٣٨٩ دونماً . لليهود منها ١٤٢ دونماً . وفي الشهر الخامس من عام ١٩٤٩ أقـام اليهود مستعمرتهم « Rinatya » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٢٢) يهودياً .

(١٢) سارونا : مستعمرة ألمانية[١]. بها ١٥٠ ألمانياً . مساحتها ١٥١٦دونماً.

(١٣) السَّافِريَّة : بها ٣٠٧٠ نسمة . مساحتها ٩٥ دونماً . الثالثة في كبرهـا بين قرى القضاء . مساحة أراضيها ١٢٨٤٢ دونماً . يملك اليهود بها ١٧٢٢ دونماً .

توفي في السافرية « هانيء بن كلثوم بن عبدالله بن شريك بن ضمضم الكِندي» ويقال « الكناني الفلسطيني » . فقيه ومحدث . ظهر في عهد الخليفة الأموي عمر ابن عبدالعزيز[٢].

---

١ – كان القصد من تأسيس المستعمرات الألمانية في فلسطين دينياً محضاً . وزعيم هذه الحركة هو « كريستوفر هوفمان – Christopher - Hoffmann ١٨١٥ – ١٨٨٥ » . ففي عام ١٨٦٩ أنشأ هوفمان وزميله « هاردغ – G. D. Hardegg » أول مستعمرة لهم في بلدة حيفا وبعد ذلك بستة أشهر أقاموا مستعمرتهم في يافا (الملكان) . ثم تأسست مستعمرات المانية أخرى في القدس و « سارونا » في ظاهر يافا و « ويلهلما - Wilhelma » – على مسيرة ١٥ كم للشمال من يافا – وفي بيت لحم – (قرب الناصرة وقـد انشئت عام ١٩٠٦ – ١٩٠٧) وغيرها . وقد بلغ عدد المستعمرات الألمانية في عام ١٩١٢ سبعاً تضم نحو ١٧٠٠ نسمة . كان المهاجرون الألمان في بادىء أمرهم على غاية من الفقر فلم يلبثوا أن بلغوا بجدهم ونشاطهم درجـة ممتازة في الزراعة والتجارة والصناعة .

إن انهزام المانيـا في الحربين العالميتين ١٩١٤ – ١٩١٨ و ١٩٣٩ – ١٩٤٥ والنكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨ ، أدى ذلك جميعه الى نهاية هذه المستعمرات .

٢ – معجم البلدان : ٣/١٧١ – ١٧٢ .

وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود في منطقة السافرية مستعمرة «شافرير _ Shafrir» كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ «٣١٠» يهود .

(١٤) ساقِيَة : بها ١١٠٠ نسمة . مساحتها ٣٠ دونمـا . مساحة أراضيها ٥٨٥٠ دونماً . يملك اليهود منها (٤٤٧) . وفي عام ١٩٥٠ أقام المغتصبون على موقعها مستعمرتهم « كفارساكية Kfar - Sakiya » . كان بها في نهاية تلك السنة ١٣٠٠ يهودي .

(١٥) سَلمة : تقع شرقي يافا وعلى مسيرة أربعة كيلومترات منها . بها ٦٧٣٠ نسمة . مساحتها ١١٤ دونماً . ومساحة أراضيها ٦٧٨٢ دونماً ، منها ٨٨٥ لليهود.

(١٦) السَّوالِمة : وتعرف ايضاً باسم « عرب السوالمة » ، يقيمون على مسيرة ١٥ كم للشمال من يافا . عددهم ٨٠٠ نسمة . مساحة أراضيها ٥٩٤٢ دونمـا ، لا يملك اليهود فيها أي شبر .

و « السوالمـة » من « الرّولة » التي تنتسب الى « عنزة » العدنانيـة . ومن « عنزة » آل سعود العائلة المالكة في العربية السعودية . وتعد « الرولة » أكبر عشائر عنزة عدداً وأعظمها قوة وأوسعها جاهـا ونفوذاً لدى السلطات في بلاد الشام .

و « السوالمة » من أقدم القبائل التي استقرت في ظاهر يافا . وفي عام ١٠٣٢ هـ : ١٦٢٢ م تمكنوا مـع « احمد بن طرباي الحارثي » أمير جنين ومنطقتها من الانتصار على الأمير فخر الدين المعني الثاني في معركة دامية وقعت على نهر العوجاء.

وينسب الى السوالمة « عشيرة المحافظة» من قبيلة الترابين في بلاد بئر السبع.

(١٧) الشيخ مُوَنّس : تقع شمالي يافا ، عند نهر العوجاء. بها ١٩٣٠ نسمة. مساحتها ٤٠١ دونماً . ومساحة أراضيها ١٥٩٧٢ دونماً . يملك اليهود منها ٣٥٤٥ دونماً .

(١٨) العبّاسِيَّة : بها ٥٦٥٠ نسمة . ثانيـة قرى القضاء سكاناً . مساحتها ١٠١ من الدونمات. ثانية قرى القضاء في كبرها. مساحة أراضيها ٢٠٥٤٠ دونماً. لليهود منها ١١٣٥ دونمـا . وهي الأولى فيما تملكه من الأراضي . تقع على مسيرة

١٣ كم للشمال من يافا . والعباسية كانت تعرف سابقاً باسم « اليهودية » الا أن أهلها استبدلوه باسمها الحالي نسبة الى ولي مدفون فيها .

احتل اليهود هذه القرية العربية في ٥ تموز من عام ١٩٤٨ . وفي تشرين الثاني من عام ١٩٤٨ أقاموا على بقعتها مستعمرتهم « يهود — Yehud » . كان بها « ٣١٠٠ » يهودي في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٩) فجّة : تقع في جوار مستعمرة « مُلبّس — بتاح تكفا » . بها ١٢٠٠ نسمة . مساحتها ٧ دونمات . مساحة أراضيها ٤٩١٩ دونماً منها ١٥٨٠ لليهود .

(٢٠) كفرعانة : بها ٢٨٠٠ نسمة . مساحتها ٩٠ دونماً . رابعة قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ١٧٣٥٣ دونماً . يملك اليهود منها ٢٣٣٤ دونماً. ثالثة قرى يافا فيما تملكه من أراض .

وفي قضاء رام الله بقعة خربة تعرف باسم « خربة كفرعانة » تقع في الجنوب من قرية « يبرود » ؛ وفي شرقي الأردن قرية تعرف باسم (كفرعان ٤٨٣ نسمة) تقع غربي بلدة « إرْبد » .

(٢١) المِرّ : أو « المحمودية » . بها ١٧٠ نسمة . مساحتها دونمان . مساحة أراضيها ٥١ دونماً ملك للقرية .

(٢٢) المسعودية : واسمها السابق « صُمّيل » . بها ٨٥٠ نسمة . وأخيراً أدخلت ضمن منطقة بلدية « تل أبيب » .

(٢٣) المُوَيلح : بها ٣٦٠ نسمة . مساحة أراضيها ٣٣٤٢ دونماً . يملك اليهود منها ٣٧٦ دونماً .

(٢٤) ويلهلما : مستعمرة ألمانية . أنشئت عام ١٩٠٢ م على مسيرة كيلو مترين من العباسية ، بها ٢٤٠ ألمانياً . مساحة اراضيها ٩٥٠٨ دونمات . لا يملك اليهود منها شيئاً .

وفي صيف عام ١٩٤٨ أقام اليهود على بقعة هذه القرية الألمانية مستعمرتهم « نحالم — Nhalim » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ « ٣٠٤ » يهود . وفي العام نفسه أقاموا مستعمرة أخرى على اراضي ويلهلما دعوها باسم « بيروت اسحق —

B'eyrot - Yishaq» ضمت ٢٢٧ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٥) يازور : بها ٤٠٣٠ نسمة . ثالثة قرى القضاء سكاناً . مساحتها (٨٥) دونماً . مساحة أراضيها ١١٨٠٧ دونمات يملك اليهود منها ١٤٢٨ دونماً . تقع شرقي يافا وعلى بعد (٥) كيلومترات منها .

لعلها « بيت الزور » ، البلدة التي خربها « أحمس الأول » الفرعون المصري في غزواته لفلسطين في القرن السادس عشر قبل الميلاد .

ذكرها الآشوريون باسم « آزورو — A - zu - ru » . وينسب اليها(١) الوزير ، قاضي القضاة ، ابو محمد الحسن بن عبدالرحمن اليازوري . من الدهاة . وفي عام ٤٤٢ هـ استوزره المستنصر الفاطمي. وفي عهد وزارته نزح بنو هلال وسُليم الى مصر ومنها الى بلاد المغرب . توفي اليازوري مقتولاً عام ٤٥٠ هـ : ١٠٥٨ م في مصر . (٢) أحمد بن محمد بن بكر الرملي أبو بكر القاضي اليازوري الفقيه والمحدث [١].

وبعد النكبة في الشهر الثاني عشر من عام ١٩٤٨ أقام اليهود على بقعة هذه القرية العربية قرية يهودية دعوها باسم « عازور — Azor' » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣١٠٠) نسمة .

المستعمرات اليهودية : وعددها ٣٣ مستعمرة وهي :

اولاً :

المستعمرات التي بنيت في العهد العثماني :

(١) مكفه اسرائيل — Miqevey-Yisra'eyl : وهي المعروفة باسم مدرسة نيتر الزراعية . نسبة الى مديرها الدكتور كارل نيتر. أنشئت في عام ١٨٧٠ م في ظاهر يافا . وهي أول بقعة يهودية أقيمت على الريف الفلسطيني . كان بها ٧٥٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٨٦٩ .

(٢) بِيتَح تِقْوَا — Petah - Tiq-va : بمعنى « باب الأمل » . وهي

---

١ — معجم البلدان ٥/٤٢٥ .

المعروفة باسم « مُلَبِّس » . تـأسست في صيف عام ١٨٧٨ م . تقع في الشمال الشرقي من يافا . سكنها عند انشائها ٢٨ عائـلة . كانت مساحة أراضيها حينئذ ٢٠٠٠ دونم . بها ١٧،١٠٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٣١،٥٠٠ وبلغوا في عام ١٩٥٥ (٣٦،٠٠٠) يهودي ، وتعتبر اليوم مدينة .

ومما هو جدير بالذكر أنه لمـا مَرّ مؤلفا كتاب « ولاية بيروت » في أراضي هذه المستعمرة إبّان الحرب العالميـة الأولى قال لهم الحوذيّ الذي كان يقود عربتهم : [كانت جميع هـــذه الأراضي للمسلمين . ولكنها لم تكن منظمة على هذا الشكل . وقد انتقلت اليوم لأيدي اليهود . فانظروا الى ما وصلت إليه من جمال .

ثم تأوه وتنفس الصعداء من أعماق قلبه وقال : إن اليهود سيبتاعون هـــذه الأراضي تدريجياً ويطردون المسلمين منها . وانهم فعلاً قد طردوهم الآن [1]] .

أيها الحوذي البعيد النظر !

أرجو أن تكون قد لاقيت وجه ربك قبل دخول الجيوش العربية لفلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥ !

(٣) كفار سابا – Kefar-Sava : بنيت عـام ١٩٠٣ . بها ٤٣٢٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٢،٢٣٠ يهودياً . وبعـد ذلك بخمس سنوات كانوا ١٥،٠٠٠ يهودي .

(٤) تل أبيب – Tel Aviv : بمعنى تل الربيع . أقيمت في ١٩٠٩/٥/٣٠ على بقعة رملية من الأراضي الواقعة في ظاهر يافـا الشمالي . وكانت تُعد حينئذ حيّاً من أحيائها . دعيت بهذا الاسم نسبة الى قريـــة « تل أبيب [2] » الواقعة عند نهر « خابور [3] » التي سكن فيهـــا بعض المسبيين من اليهود الذي سباهم

---

١ – ص ١٩٧ .

٢ – يظن أن موقعها كان في موقع « تل أبان » الحديث .

٣ – نهر سوري . ينبع من « رأس العين » على الحدود الشمالية السورية – التركية ، وينتهي في نهر الفرات في جنوبي بلدة « دير الزور » .

نَبُوخَذْنُصَّر .

وقد توسعت هـذه المستعمرة فأصبحت المركز الرئيسي للنشاط اليهودي في فلسطين . ففي عام ١٩٢٢ فصلت عن يافا وأصبحت بلدة مستقلة .

وفي ١/٤/١٩٤٥ كان بها ١٦٦،٣٠٠ يهودي . وتتركز اليوم في تـل أبيب أكثر الصناعات اليهودية الخفيفة ، كما أنهـا أكثر مناطق القسم كثافة بالسكان . ويقيم في لوائها اليوم نحو ثلث سكان المنطقة المُنْتَهَبَة .

ثانياً :

المستعمرات التي أنشئت في العهد البريطاني الظالم :

(١) رَعَنَنَا – Ra'anana : تأسست عام ١٩٢١ . بهـا ٣٢٩٠ نسمة . بلغوا ٧٨٠٠ يهودي في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢) رامَتْ غَنْ – Ramat Gan : تأسست عـام ١٩٢١ م . تقع على مسيرة سبعة كيلومترات من يافا . بها ٩١٠٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ٣٠،٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٦١ قدروا بنحو ٨٢،٠٠٠ نسمة . وهي بذلـك رابعة مدن القسم المغتصب في عدد سكانها .

(٣) كفار ملال – Kefar Malal : تأسست عام ١٩٢٢ . بها ٥٤٠ نسمة كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٤١٨) يهودياً . للشمال من بتاح تكفا .

(٤) جِفْعَتْ عايم – Giv'at ayim : تأسست عام ١٩٢٢ م . بها ٥٨٠٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٢٠٠٠ يهودي .

(٥) رامات هاشارون – Ramat hash sharon : تأسست عام ١٩٢٣ بها ٧٧٠ نسمة بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٧٨٠) شخصاً .

(٦) قِرْيَتْ شاؤول – Qiryat Shaul : تأسست عام ١٩٢٤ م . بها ٩٠ نسمة بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ م (٢٣٦) شخصاً .

(٧) مجدايل – Magdiel : تأسست عام ١٩٢٤ بهـا ١١٠٠ نسمة . بلغوا ٢٩٨٦ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٨) هِرتسليّة – Herzliya : تأسست عام ١٩٢٤ . بها ٤٦٥٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ أصبحوا ١٢٬٢٠٠ شخص .

(٩) بَنِي بِرق – Benei Beraq : تأسست عام ١٩٢٤ . بها ٥٧٦٠ نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٤٬٣٥٠) شخصاً وتعتبر اليوم مدينة . وفي نهاية عام ١٩٦٣ قدر عدد ساكنيها بنحو ٥١٬٧٠٠ يهودي .

(١٠) راماتايم – Ramatayim : تأسست عام ١٩٢٥ . بها ١٤٨٠ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ١٨٠٠ نسمة .

(١١) كفار غنيم – Kefar Ganim : تأسست عام ١٩٢٦ . بها ١٠١٠ نسمات وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٢٢٠٠ .

(١٢) بات يام – Bat Yam : تأسست عام ١٩٢٦ . بها ٢٠٠٠ نسمة بلغوا ٥٤٦٠ في نهاية عام ١٩٥٠ . وتعتبر اليوم مدينة حيث بلغ عدد سكانها في نهاية عام ١٩٦٣ (٣٩٬١٠٠) يهودي .

(١٣) غَتْ رِمّون – Gat Rimmon : تأسست عام ١٩٢٦ بها ٢٠٠ نسمة زادوا (٤٠) يهودياً في نهاية ١٩٥٠ .

(١٤) هادار – Hadar : تأسست عام ١٩٢٩ . بها ٤٢٠ نسمة . بلغوا ١١٤٨ في عام ١٩٥٠ .

(١٥) كفار ابراهام – Kefar Avraham : تأسست عام ١٩٣٢ . بها ١٨٠ نسمة وكانوا ١٧٦ في نهاية عام ١٩٥٠ تقع في جوار بيتح تقوا .

(١٦) كفار عازار – Kefar 'Azar : تأسست في نهاية عام ١٩٣٢ . بها ٣٨٠ نسمة كانوا ٣٥٩ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٧) يرقونا – Yarqona : تأسست عام ١٩٣٢ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٩٠) يهودياً .

(١٨) جِبْعَتْ هِن – Giv'at Hen : تأسست في عام ١٩٣٣ . بها ٢٠٠ نسمة كانوا ١٨٩ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٩) حولون – Holon : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٣٢٨٠ نسمة . بلغوا

في نهاية عام ١٩٥٠ (١٧،١٣٠) يهودياً . وتعتبر اليوم مدينة .

(٢٠) رامات هاشابيم – Ramat Hashavim : تأسست عام ١٩٣٣ . بها ٤٢٠ نسمة . وكذلك كانوا في عام ١٩٥٠ .

(٢١) غني عام – Ganei 'Am : تأسست في عام ١٩٣٤ . بهـا ١٦٠ نسمة وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا (٢٥٠) يهودياً . وقـد أقيمت بالقرب من مستعمرة « بجدايل » المار ذكرها .

(٢٢) تل لتفنسكي – Tel Litvinsky: تأسست عام ١٩٣٤ . بهـا ٢٣٠ نسمة . بلغوا ٣٦٨ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٣) شفايم – Shefayim : تأسست عام ١٩٣٥ . بها ٤٣٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٠ كان بها ٦٩٧ يهودياً .

(٢٤) جِبْعَت هاشلوشا – Giv'at Hashshelosha : تأسست عام ١٩٣٥ بها ٧١٠ نفوس بلغوا ٨٥٧ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٥) ريشبون – Reshpon : تأسست عام ١٩٣٦ . بهـا ٢٨٠ يهودياً . بلغوا ٣٩٨ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٦) كفار شماريامو – Kefar Shamaryahu : تأسست عـام ١٩٣٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٨٨) يهودياً .

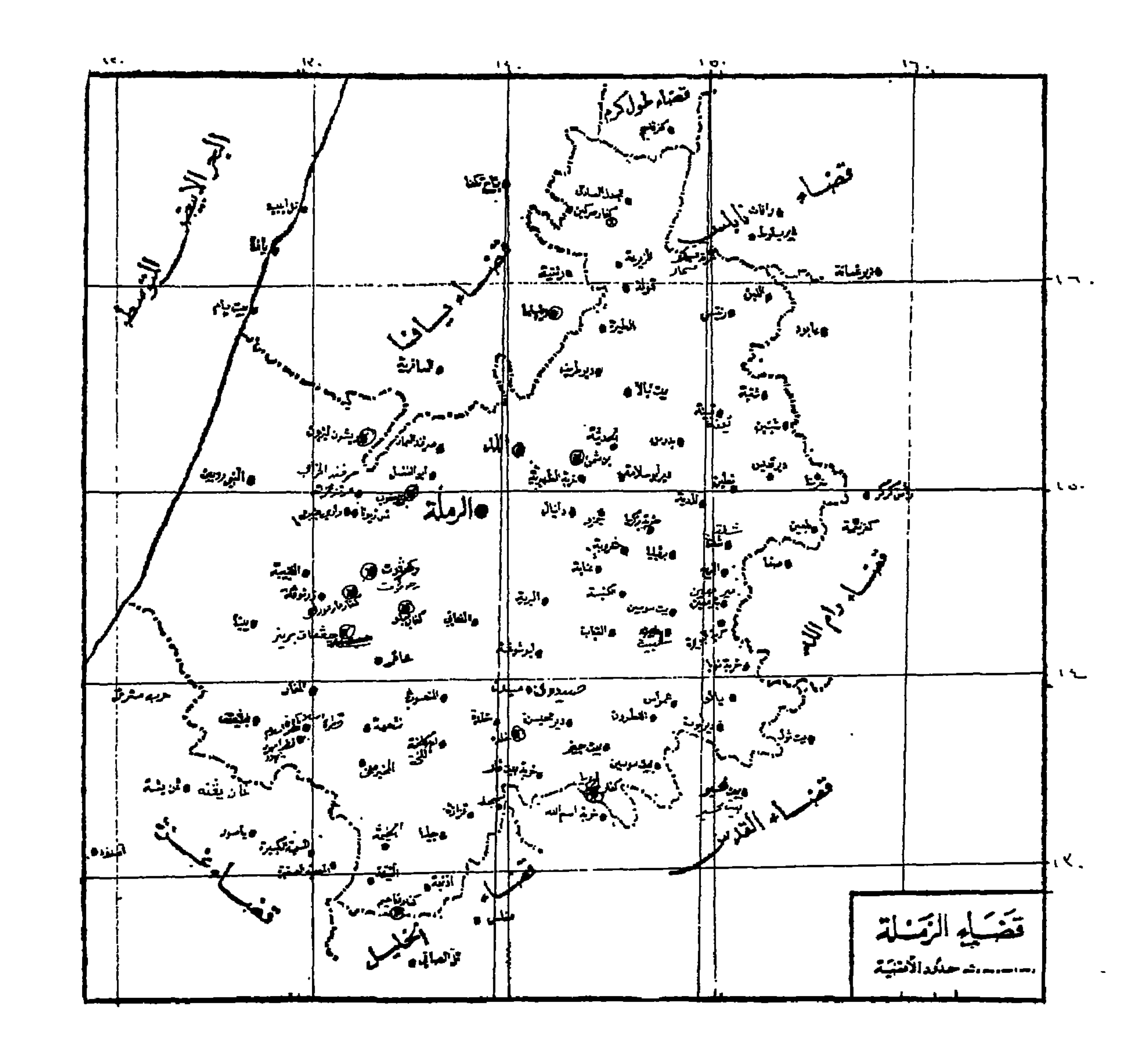
(٢٧) رامات هادار – Ramat Hadar : تأسست عام ١٩٣٨ . بهـا ١٢٠ يهودياً . بلغوا ٢٧٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢٨) جليل يام – Jalil - Yam : تأسست في عام ١٩٤٣. كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ ، (٣٢٧) يهودياً .

(٢٩) بصرا – Basra : تأسست عام ١٩٤٦ . كان بهـا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٦٨) يهودياً .

٢ – قضاء الرملة :

مساحته ٩٢٦،٧ كم٢ . يملك اليهود منها ١٢٢،١٦ كم٢ . أي انهم يملكون


قضاء الرملة
حدود الأقضية
البحر الأبيض المتوسط
قضاء يافا
قضاء طولكرم
قضاء نابلس
قضاء رام الله
قضاء القدس
قضاء الخليل
قضاء غزة
الرملة
اللد

١٤٪ من مجموع مساحة القضاء. وفي هذا القضاء ١٢٧٢٧٠ نسمة يوزعون كما يلي:

مسلمون	:	٩٢٣٤٠
مسيحيون	:	٥٥٠٠
آخرون	:	١٠
مجموع السكان العرب	:	٩٧٨٥٠
اليهود	:	٢٩٤٢٠ أي بنسبة ٢٣,٢٪ من مجموع سكان القضاء
مجموع سكان القضاء	:	١٢٧٢٧٠

يضم قضاء الرملة مدينتي الرملة واللد و ٥٤ قرية و « ٣٧٨٠ » بدوياً من السواركة والجرابيع والقلاعية من بدو بئر السبع وغيرهم. وعلى ٢٦ مستعمرة.

مدينة الرملة : بها ١٥١٦٠ نسمة . (١١٩٠٠ مسلم و ٣٢٦٠ مسيحياً) .

وفي ٣١/١٢/١٩٤٦ قدروا بنحو ١٦٣٨٠ عربياً .

أمر ببنائها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عام ٧١٥ م واستبقاها مقراً لخلافته مما جعله محبوباً من أهل فلسطين .

وقد ذكرها الأصطخري المتوفى عام ٣٤٦ هـ : ٩٥٧ م بقوله : « وفلسطين أذكى بلاد الشام ربوعا . ومدينتها الرملة وبيت المقدس تليها في الكبر » .

ومن مشاهد الرملة التاريخية : (١) اطلال قصر بانيها الخليفة سليمان بن عبدالملك . وقد أقيمت على بقعته حديقة البلدية ولا تزال بعض جدرانه قائمة الى جانب الحديقة . (٢) أطلال الجامع الأبيض الذي بناه الخليفة المذكور وبقعته تقع في الغرب من الرملة ولم يبق قائماً منه إلا جدرانه . وتقع المئذنة المشهورة باسم « مئذنة الجامع الأبيض » في المكان الذي كان فيه مسجد سليمان بن عبدالملك، وقد أقيمت على أنقاض منارة أقدم منها . والمئذنة الحالية هذه ، بنيت كما يتضح من الكتابات المنقوشة عليها ، في سنة ٧١٨ هـ : ١٣١٨ م في أيام السلطان محمد بن قلاوون . ويرى الناظر من أعلى هذه المئذنة منظراً شائقاً جميلاً يطل على سهول يافا الفسيحة والمغروسة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة وخاصة الحمضيات ، كما يطل على جبال القدس وهضابها .

وينسب الى الرملة جماعة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء والأئمة والشعراء وغيرهم . ويقام للنبي صالح ، في الرملة ، موسم خاص يحتفل به أهل البلدة وما جاورها من السكان وذلك في الربيع من كل عام .

وفي الرملة معامل لصنع الأواني الخزفية وبعض معامل للصابون ومعاصر لاستخراج السيرج ومدابغ للجلود .

وقد خرج العرب من الرملة في ١٢ تموز من عام ١٩٤٨ م .

اللد : كان بها في ١٩٤٥/٤/١ م ١٦٧٦٠ نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون : ١٤٩١٠

مسيحيون : ١٨٤٠

آخرون : ١٠

وفي ١٩٤٦/١٢/٣١ بلغوا ١٨٢٥٠ عربياً .

مساحتها ٣٨٥٥ دونماً . وأما مساحة أراضيها فقد بلغت ١٩٬٨٦٨ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . ذكرت مصادر المغتصبين بأنه كان في اللد ، في ١٩٤٨/١١/٨ « ١٬٠٥٢ » شخصاً وفي نهاية عام ١٩٤٩ كانت تضم ١٠٬٤٥٠ نسمة بينهم ٩٤٠٠ يهودي وفي نهاية عام ١٩٥٠ كان بها ١١٬٠٠٠ يهودي . بلغوا (٢٥٬٠٠٠) في نهاية عام ١٩٦٣ م .

وتعتبر محطة سكة الحديد في اللد ، أوسع وأضخم محطة في فلسطين – بعد محطة حيفا – . واشتهرت اللد بمعاصر زيت الزيتون وزيت السمسم « السيرج » والطحينة وصناعة الصابون وصناعة اكياس الشعر وقفف الليف وصبغ الملابس وغيرها . وسوق اللد التجاري الذي يعقد كل يوم اثنين مبعث حركة تجارية لها وللقرى والبلدان المجاورة .

وفي ظاهرها يقع مطارها الكبير الذي اغتصبه اليهود في ١٠ تموز ١٩٤٨ . وفي شمال اللد نرى « جسر جنداس » الذي أمر بإنشائه « الظاهر بيبرس »، عليه صور أربعة أسود ، من كل جهة أسدين متقابلين وعليه اسمه وكتابة بتاريخ سنة ٦٧١ هـ : ١٢٧٣ م .

هذا وقد سقطت اللد بيد اليهود في ١١ تموز من عام ١٩٤٨ .

القرى :

(١) ابو الفضل : او « عرب السَّطَـرِيّة » . بها ٥١٠ نفوس . مساحتها ٤٢ ، دونماً . وأما مساحة أراضيها فقد بلغت (٢٨٧٠) دونماً . لا يملك اليهود فيها أي شبر . وهؤلاء العرب نزحوا الى جهات الرملة من ناحية خان يونس .

(٢) أبو شُوشَة : تقع على بعد نحو ٥ أميال للجنوب الشرقي من الرملة . بها ٨٧٠ نسمة مساحتها ٢٤ دونماً . وتقوم هـذه القرية على بقعة بلدة « جازر » القديمة المشهورة . وفي ١٩٤٨/٩/٣٠ أقام اليهود على « تل الجزر » من أبو شوشة مستعمرتهم « عاميليم — 'Ameylim » كان بها في نهاية ١٩٥٠ (١٨) يهودياً .

(٣) إدْنِبَّة : بها ٤٩٠ نسمة . مساحتها ٢٥ دونماً .

(٤) أم كَلْخَة : بها ٦٠ شخصاً .

(٥) بئر أم معين : بها ٥١٠ نفوس مساحتها ٩ دونمات . لعل اسمها تحريف « بئر معين » .

(٦) بئر سالم : بها (٤١٠) أشخاص .

(٧) البرج : بها ٤٨٠ نسمة . مساحتها ١٢ دونماً . وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود في أراضي هذه القرية مستعمرتهم « بورجاتا Borgata » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٥٩) يهودياً .

(٨) برفيليا : بها ٧٣٠ نسمة . مساحة اراضيها ٧١٣٤ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(٩) البَرِيّة : بها ٥١٠ نفوس . مساحة أراضيها ٢٨٣١ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(١٠) بَشّيت : بها ١٦٢٠ نسمة . مساحتها ٥٨ دونماً . مساحة أراضيها ١٨٥٥٣ دونماً . جميعها ملك لأهل القرية . وهي ، كما يقول أهلها ، تحريف لـ « بيت شيت » . و « شيت » اسم ابن آدم الثالث . ومعناه « هبة الله » .

والأرجح انها دعيت بذلك نسبة الى عالمها وفقيهها المدفون فيها « ابو القاسم خلف بن هبة الله بن قاسم » المتوفى عام ٤٦٣ هـ .

(١١) بيت جيز : بها ٥٥٠ نسمة .

(١٢) بيت سوسين : بها ٢١٠ نفوس . مساحتها ٨ دونمات . وفي عام ١٩٥٠ أقام اليهود في أراضي بيت سوسين مستعمرتهم « طاعوز – Ta'oz » سكنها ٣١٤ يهودياً .

(١٣) بيت شَنَّة : بها ٢١٠ نفوس .

(١٤) بيت نَبَالا : تقع على مسيرة ١٣ كم من الرملة . بهـا ٢٣١٠ نفوس . رابعة قرى القضاء سكاناً . مساحتها ١٢٣ دونماً . ثانية قرى القضاء المغتصبة في كبرها . وفي صيف عام ١٩٤٩ أقام اليهود على انقاض هـذه القرية مستعمرتهم « نبلاط – Nvalat » . كان بها في نهاية ١٩٥٠ (٢١١) يهودياً .

(١٥) التِّينَة : بها ٧٥٠ نسمة . مساحتها ٢٤ دونماً .

(١٦) جِلْيا : بها ٣٣٠ نسمة . مساحتها ٧ دونمات . مساحـة أراضيها ١٠٣٤٧ دونماً . ملك لأهل القرية .

(١٧) جِمْزُو : بها ١٥١٠ نفوس. مساحتها خمسون دونماً . مساحة أراضيها ٩٦٨١ دونماً . ملك لأهل القرية . وفي اوائل عام ١٩٥٠ أقـام اليهود على بقعة هذه القرية مستعمرتهم « جمزو » أسكنوا فيها ١٠٠ يهودي .

(١٨) الحديثه : بها ٧٦٠ نسمة . مساحتها ١٦ دونمـاً . مساحة أراضيها ٧١١٠ دونمات . لليهود منها ١٥٧ دونماً .

(١٩) خربة البُوَيْرَة : بها ١٩٠ نسمة . مساحة أراضيها ١١٥٠ دونمـاً . ملك لأهلها .

(٢٠) خربة بيت فار : بها ٣٠٠ نسمة . مساحة أراضيها ٥٦٠٤ دونمات . ملك لأهلها .

(٢١) خربة الظُّهَيرِيَّة : بها ١٠٠ نسمة . مساحة أراضيها ١٣٤١ دونمـاً . ملك لأهلها .

(٢٢) خرنوبة : بها ١٧٠ نسمة . مساحتها ٣ دونمات. أراضيها ملك لأهلها.

(٢٣) خُلدَة : بها ٢٨٠ نسمة . مساحتها ٨ دونمات . مساحة أراضيها ٩٤٦١ دونماً . ملك لأهلها . و « خلدة » من « خلد » وهي جذر سامي مشترك يفيد البقاء والخلود والحفر ومنها « الخلد » الحيوان المعروف وفي لبنان قرية « خلدة » من أعمال « عاليه » ، وتقع على الساحل

(٢٤) الخيمة : بها ١٩٠ نسمة . مساحتها ٩ دونمات . مساحة أراضيها ٥١٥٠ دونماً . ملك لأهلها .

(٢٥) دانيال : بها ٤١٠ أشخاص . مساحتها ١٥ دونماً .

(٢٦) دير أبو سلامة : به ٦٠ شخصاً .

(٢٧) دير طريف : بها ١٧٥٠ نسمة . مساحتها ٥١ دونماً . مساحة أراضيها ٨٧٥٦ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . وفي الشهر الخامس من عام ١٩٤٩ أقام اليهود على أنقاضها مستعمرة دعوها بيت عريف – Beit' Arif » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٥٤١) يهودياً . وفي صيف ذلك العام بنى اليهود على أراضي « دير طريف » مستعمرة أخرى سمّوها « كفار ترومان – Kfar Truman » . نسبة الى « ترومان » البلفور الأمريكي . كان في هذه المستعمرة في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٣٩) يهودياً .

(٢٨) دير محيسن : بها ٤٦٠ نسمة. مساحتها ٧٢ دونماً. ثالثة قرى القضاء المغتصبة في كبرها .

(٢٩) زرنوقة : بها ٢٣٨٠ نسمة . ثالثة قرى القضاء سكاناً .مساحتها ٦٨ دونماً . مساحة أراضيها ٧٥٤٥ دونماً . لليهود منها ١٥٧٨ دونماً .

وفي نهاية عام ١٩٤٨ أقام اليهود مكان هذه القرية مستعمرتهم التي دعوها باسم القرية العربية . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣٥٠) نسمة .

(٣٠) سجد : بها ٣٧٠ نسمة . مساحتها ١٩ دونماً. مساحة أراضيها٢٧٩٥ دونماً . ملك لأهلها .

(٣١) سلبيت : بها ٥١٠ أشخاص . مساحتها ٣١ دونماً . مساحة أراضيها

٦١١١ دونماً . ملك لأهلها

(٣٢ شحْمَة : بها ٢٨٠ نسمة . مساحتها ١١ دونماً .

(٣٣) شِلْتا : بها ١٠٠ نسمة . مساحتها ستة دونمات . مساحة أراضيها ٥٣٨٠ دونماً . ملك لأهلها .

(٣٤) صَرَفند الخراب : بها ١٠٤٠ نسمة . مساحتها ٣٣ دونماً . مساحة أراضيها ٥٥٠٣ دونمات . لليهود منها ١٦١١ دونماً . وكانت تعرف فيما مضى باسم « صرفند الصغرى » .

(٣٥) صرفند العمار : بها ١٩٥٠ نسمة. مساحتها ٣٦ دونماً. مساحة أراضيها ١٣٢٦٧ دونماً . لليهود منها ٧٦١ دونماً . وكانت تعرف ، في السابق ، باسم « صرفند الكبرى » .

(٣٦) صَيْدُون : بها ٢١٠ أشخاص . مساحتها (١٥) دونماً . مساحة أراضيها ٧٤٨٧ دونماً . لليهود منها ١٢٢١ دونماً .

وفي شرقي صيدا ، من الجمهورية اللبنانية ، قرية تحمل نفس الاسم من أعمال « جزّين » .

(٣٧) الطّيرَة : وتعرف باسم « طيرة دَنْدَن » . بها ١٢٩٠ نسمة . مساحتها ٤٥ دونماً . مساحة أراضيها (٦٩٥٦) دونماً . لا يملك اليهود فيها أي دونم .

(٣٨) عاقر : بها ٢٤٨٠ نسمة . ثانية قرى القضاء سكاناً . مساحتها ٤٦ دونماً . مساحة اراضيها ١٥،٨٢٥ دونماً . لليهود منها ٣٢٢٢ دونماً . وفي نهاية عام ١٩٤٨ أقام اليهود مستعمرتهم « عقرون – 'Eqron » في أراضي عاقر . كان في المستعمرة ، في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٠٥) يهود .

وقد ذكر « المقدسي » عاقر ؛ أنها قرية كبيرة ، بها جامع كبير ، وأهلها لهم رغبة في الخير . وليس مثل خبزهم على جادة مكة[١] وذكرها ياقوت : باسم العَقَر : بالتحريك من قرى الرملة . وينسب اليها أبو جعفر محمد بن أحمد العَقَري الرملي . من رواة الحديث في القرن الهجري الرابع[٢] .

---

١ – أحسن التقاسيم ١٥٣ .

٢ – معجم البلدان ٣/١٣٧ .

(٣٩) عِنَّابَة : بها ١٤٢٠ نسمة . مساحتها ٥٤ دونماً . مساحة اراضيها ١٢٨٥٧ دونماً، لليهود منها ٢١ دونماً .

(٤٠) القباب : بها ١٩٨٠ نسمة . مساحتها ٥٤ دونماً . مساحة اراضيها « ١٣٩١٨ » دونماً لليهود منها ٨٦١ دونماً . وفي صيف عام ١٩٤٩ اقام اليهود مستعمرتهم « مشمار عيلون ــ Mishmar - 'Ayalon » على بقعة هذه القرية العربية . كان بها في نهاية ١٩٥٠ (١٩٧) يهودياً .

(٤١) القُبَيْبة : بها ١٧٢٠ نسمة . مساحتها ٤٣ دونماً. مساحة اراضيها ١٠٧٣٧ دونماً لليهود منها ١٣٩٧ دونماً .

(٤٢) قزازة : بها ٩٤٠ نسمة . مساحتها ٣٧ دونماً . مساحة اراضيها ١٨٨٢٩ دونماً . ملك لأهلها احتلها اليهود في ١٩٤٧/١٢/٢١ ، إبان الحكم البريطاني للبلاد .

(٤٣) قطرة اسلام : بها ١٢١٠ نسمات مساحتها ٢٦ دونماً . وفي عام ١٩٤٩م انشأ اليهود في منطقة هذه القرية ، مستعمرة قدرون Qidron . كان بها (٤٧٩) نسمة في نهاية ١٩٥٠ .

(٤٤) قولِه : أو (قولية) بها ١٠١٠ أشخاص. مساحتها ٢٦ دونماً. مساحة اراضيها ٤٣٤٧ دونماً . لليهود منها ٢٧١ .

وينسب الى قولة المجاهد الفلسطيني الشيخ حسن سلامه (١٩١٣ – ١٩٤٨)، أحد الأبطال الذين قاموا بقسط كبير في الدفاع عن وطنهم . خاض عدة معارك مع اعدائه وقد جرح في احداها عام ١٩٣٦ م . تتابعت الأحداث فاضطر رحمه الله الى مغادرة البلاد فنزل مختلف الأقطار العربية والأوروبية ، وفي صيف عام ١٩٤٤ حملته طائرة المانية عسكرية فهبط هو ورفاقه (وعلى رأسهم ذو الكفل عبد اللطيف) في غور أريحا . ولما علم الإنكليز بالأمر قاموا بجهود عظيمة لمعرفة مقر الشيخ حسن الا انهم فشلوا في ذلك . ولما أعلن الفلسطينيون ثورتهم في عام ١٩٤٧ تولى رحمه الله قيادة المجاهدين في الديار اليافية . وآخر معاركه التي خاضها كانت في « رأس العين » حيث استشهد متأثراً بجراحه في

٣١/٥/١٩٤٨ .

(٤٥) الكُنَيِّسَة : بها ٤٠ نسمة . مساحتها ٢٠ دونماً . مساحة اراضيها ٣٨٧٢ دونماً . ملك لأهلها .

(٤٦) مجدل يابا : أو « مجدل يافا » وتعرف أيضاً باسم « مجدل الصادق » . نسبة إلى زعيمها في القرن الماضي . بها ١٥٢٠ نسمة . مساحتها ٥٩ دونماً . مساحة اراضيها ٢٦٬٦٣٢ دونماً . لليهود منها ٥٩٦ دونماً . ثالثة قرى القضاء المغتصبة فيما تملكه من أراضي . تقع على بعد ٢٠ كم من الرملة .

ذكرها ياقوت « معجم البلدان ٥/٥٧ » بأنها « قرية قرب الرملة . فيها حصن محكم » .

(٤٧) المُخَيْزِن : بها ٢٠٠ نسمة . مساحة اراضيها ١٢٥٤٨ دونماً . لليهود منها ١٣٨٠ دونماً .

(٤٨) المُزَيرِعَة : بها ١١٦٠ نسمة . مساحتها ٢٥ دونماً . مساحة أراضيها ١٠٨٢٢ دونماً لليهود منها ١٤٥٠ دونماً .

(٤٩) المُغار : بها ١٧٤٠ نسمة . مساحتها ٣١ دونماً . مساحة أراضيها ١٥٬٣٩٠ دونماً لليهود منها ٢٦٥٩ .

(٥٠) المنصورة : بها ٩٠ نسمة . مساحتها ٣ دونمات . مساحة أراضيها ٢٣٢٨ دونماً لليهود منها ١٠٢ .

(٥١) النعاني : بها ١٤٧٠ نسمة . مساحتها ٥١ دونماً .

(٥٢) النبي روبين : بها ١٤٢٠ نسمة . مساحة أراضيها ٣١٬٠٠٢ من الدونمات . لا يملك اليهود منها شيئاً . ثانية قرى القضاء فيما تملكه من أراضي .

(٥٣) وادي حنَين : بها ١٦٢٠ نسمة . مساحة أراضيها ٥٤٠١ من الدونمات . لليهود منها ٣٢١١ دونماً .

(٥٤) يِبْنَا : بها ٥٤٢٠ نسمة . أولى قرى القضاء في سكانها . مساحتها ١٢٧ دونماً . الأولى في كبرها بين قرى القضاء المغتصبة . مساحة أراضيها ٥٩٬٥٥٤ دونماً . لليهود منها ٢٨٤٥ دونماً . وهي الأولى بين قرى القضاء

فيما تملكه من أراضٍ .

المستعمرات اليهودية :

أولاً :

المستعمرات التي تأسست في العهد العثماني :

(١) رِشُون لِصيُّون – Rishon le Zion أي (الأولون في صهيون) . أسسها اليهود الروس في صيف عام ١٨٨٢ م على البقعة المعروفة باسم « عيون قارة [١] » . تقع في الجنوب الشرقي من يافا وعلى مسيرة ١٤ كم منها ومثل هذه المسافة عن الرملة . بها ٨١٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٥٥ بلغوا ٢١،٥٠٠ يهودي .

(٢) نِيس صِيُّونا – Neys-Siyona : وهي المعروفة باسم « وادي حُنَيْن [٢] » نسبة الى القرية العربية التي أُقيمت بجانبها . تقع في جنوبي عيون قارة المار ذكرها . انشئت عام ١٨٨٣ م . بها ١٧٥٠ نسمة . بلغوا في عام ١٩٥٥ (١٠،٠٠٠) يهودي .

(٣) مازكروت باتيا – Mazkeret Batya : تقع بالقرب من قرية عاقر . أقيمت عام ١٨٨٣ م بها ٤٥٠ شخصاً كانوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٤٤٤) نسمة .

(٤) قطِرة يهود – Gdeyra : تقع في ظاهر قرية قطرا اسلام . على مسيرة ٢٥ كم للجنوب الشرقي من يافا وعشرة كيلومترات للجنوب من الرملة . أنشئت في نهاية عام ١٨٨٤ . بها ٩٧٠ نسمة بلغوا ٢٥٣٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥) رِحوبُوت – Rhovot : وتعرف باسم « ديران » . تقع في الجنوب الشرقي من يافا وعلى مسيرة ٢٢ كيلومتراً منها و ١٢ كم للجنوب الغربي من الرملة. أنشئت في أوائل عام ١٨٩٠ م وأقامت بها عشرون عائلة . بها ١٠،٠٠٠ نسمة. بلغوا (١٨،٢٠٠) عام ١٩٥٠ . وتمتاز « رحبوت » بأن فيها « معهد وايزمان »

---

١ – قارة كلمة عربية بمعنى « جُبَيْل – تصغير جبل » .

٢ – دُعيت بذلك نسبة الى ان فرقة من قبيلة قضاعة نزلتها وسمتها باسم موطنها الذي كانت تقيم فيه في حضرموت .

للعلوم ، ثم مجموعة من المعاهد العالية التي يعمل فيها مئات من الأساتذة والطلاب اليهود في جميع فروع الأبحاث العلمية .

(٦) بِنْ شِمِن – Ben Shemen : في ظاهر اللد . تأسست عام ١٩٠٦ م . بها ٩٣٠ نسمة وفي عام ١٩٥٠ كان بها ٤٨٣ شخصاً .

(٧) بئر يعقوب – Beer Ya'aqov : تأست عام ١٩٠٧ . بها ٤٥٠ نسمة . بلغوا في عام ١٩٥٠ (٣٩٨٠) يهودياً . تقع غربي الرملة .

(٨) حُلدة – Hulda : دُعيت بذلك نسبة الى القريـــة العربية المجاورة تأسست عام ١٩٠٩ تقع على مسيرة خمسة كيلومترات من قرية أبو شوشة . بهـا ٢٦٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كان فيها ٣١٦ .

(٩) نَحْلَة يهوذا – Nahlat Yehuda : تأسست عام ١٩١٤ م تقع بالقرب من مستعمرة « رِشون اصْيون » المار ذكرها . بها ٨٥٠ نسمة . كانوا ٨٠٠ في عام ١٩٥٠ .

ثانياً :

المستعمرات التي أنشئت في العهد البريطاني الغادر :

(١) كفار أهارون – Kefar Aharon : تأسست عام ١٩٢٦ . بهـــا ٨٠ شخصاً . بلغوا ٢٣٦ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٢) رامات دافيد – Ramat David : وتعرف باسم « عيانوط 'Ayanot» تأسست عام ١٩٢٦ . كان بها ٣٤٨ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣) غَنْ شلومو – Gan Shelomo : تأسست عام ١٩٢٧ . بهـــا ٢٤٠ نسمة . أضحوا ٣٤٠ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤) غِبْعَت برينر – Giv'at Brenner : تأسست عـام ١٩٢٨. بها ١٠١٠ أشخاص بلغوا ١٦٨٥ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥) بيت حانان – Beit Hanan : تأسست عام ١٩٣٠ . بها ٤٦٠ شخصاً بلغوا (٥٣١) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٦) عيانوط – 'Ayanot : تأسست عام ١٩٣٠ . بها ٢٩٠ شخصاً . بلغوا ٣٣٨ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٧) نعاني – Na'âne : تأسست عام ١٩٣٠ . بها ٥٩٠ نسمة . بلغوا ٩٨٥ شخصاً في نهايه عام ١٩٥٠ . أقيمت في جوار سميتها العربية .

(٨) نتائيم – Neta'im : تأسست عام ١٩٣٢ . بهـا ٢٣٠ يهودياً . كانوا ٣١٢ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٩) كفا –بلو – Kefa Bilu : تقع في جوار رخوبوت. انشئت عام ١٩٣٢ بها ٢٨٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٣٨٨ .

(١٠) طيرة شالوم – Tiret Shalom : تأسست عام ١٩٣٢ . بهـا ٢٩٠ يهودياً . كانوا (٥٢٥) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١١) بيت عوبد Beit 'Oved : تأسست عام ١٩٣٣ بها ٢٦٠ شخصاً كانوا (١٩٢) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٢) كفار سركين – Kefar Sirkin : تأسست عـام ١٩٣٣ . بها ٥٤٠ يهودياً بلغوا ٦٦٧ في عام ١٩٥٠ .

(١٣) جبتون – Givton : بالقرب من قرية زرنوقة . تأسست عام ١٩٣٣ بها ٢٤٠ يهودياً وفي نهاية ١٩٥٠ كانوا ١٩١ يهودياً .

(١٤) كفار مناحم – Kefar Menahem : تأسست عام ١٩٣٧ . بها ٢٩٠ نسمة . بلغوا ٥٣٨ في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٥) يبني – Yavne : بنيت عـام ١٩٤١ . تقع غربي مستعمرة « غبعت برينر » المار ذكرها كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٤٥٢) يهودياً .

(١٦) كفار اوريا – Kefar Uriya : تأسست عام ١٩٤٤ . بها ٢٠ يهودياً. وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ١٨٧ .

(١٧) جزر – Gezer : تأسست عام ١٩٤٥ . كان بهـا في نهاية ١٩٥٠ ١٦٦ يهودياً .

القرى التي نجت في قضاء الرملة :

اسم القرية	عدد سكانها التقديري في ١/٤/١٩٤٥	عدد سكانها في ١٨/١١/١٩٦١
بُدرُس	٥١٠	٧٧٦
بلعين	٢١٠	٣٦٥
بيت نوبا	١٢٤٠	١٣٥٠
خَربتا (الحارث)	٦٥٠	٨٣٥
دير قدّيس	٤٤٠	٧٥٢
رَنتيس	١٢٨٠	١٥٣٩
شبتين	١٥٠	٢٣٢
شُقبة	٨٤٠	١٢٤١
عَمواس[1]	١٤٥٠	١٩٥٥
قِبية[2]	١٢٥٠	١٦٣٥

١ – ذكرها بعض جغرافي العرب بفتح أوله وثانيه وبعضهم بكسر أوله وسكون ثانيه . وضبطه آخرون بفتح العين وسكون الميم وهو ما يلفظ به اليوم.واليها ينسب الطاعون الذي بدأ منها وذلك في عهد عمر بن الخطاب . ولما استخلف « عبد الملك بن مروان » طلب من « خالد بن يزيد بن معاوية » شراء قصر « الخضراء » وهي دار الملك في دمشق . فابتاعها منه بأربعين الف دينار وأربع ضياع من مختلف الأجناد « المحافظات » السورية يختارهن . فاختار خالد« عمواس» من جند فلسطين .

٢ – وهي القرية التي فاجأتها كتيبة من جيش اليهود النظامي ، يتراوح عددها بين ٢٥٠ – ٣٥٠ جندياً في ليلة ١٤ تشرين الأول من عام ١٩٥٣م في جنح الظلام والناس نيام . (استعمل اليهود مدافع الهاون والالغام والاسلحة الأوتوماتيكية ، والقنابل اليدوية . وان الأجسام التي مزقها الرصاص وآثار الرصاص على أبواب البيوت المهدمة لتشهد بأن السكان قد اجبروا على البقاء داخل بيوتهم حتى نسفت هذه البيوت على رؤوسهم . ونتيجة هذا الاعتداء قتل ثلاثة وخمسون من الرجال والنساء والأطفال ودمر أكثر من ٤٠ منزلاً . وشوهد منظر بقيت ذكراه عالقة في الذهن . وهو منظر امرأة عربية جالسة على كومة من الأنقاض ، وقد أرسلت نظرة تائهة الى السماء . اذ برزت من تحت الأنقاض أيد وأرجل صغيرة هي أشلاء أولادها الستة . بينا كانت جثة زوجها الممزقة بالرصاص ملقاة في الطريق المواجهة لها) . العالم العربي لنجلاء عز الدين ص ٣٤٨ – ٣٤٩–الترجمة العربية . وهي في الأصل منقولة من كتاب «Violent Truce» لمؤلفه الضابط المرحوم E . H . Hutchison ص ٤٤ – ٤٥ وص ١٥٩ – ١٦٢ .

اللـّـبن	٣٤٠	٦٠٣
المدّية	٣٢٠	٥٧٠
نعْلين	١٤٢٠	٢٠٥٥
يالو	١٢٢٠	١٦٤٤

وبعد النكبة ، ضمت هذه القرى الناجية (١٤) لقضاء رام الله . وأما قريتا « دير أيوب » و « اللطرون» فقد أُدخلتا في «المنطقة الحرام –NoMans'land» حسب شروط الهدنة . كان في الأولى ٣٢٠ عربياً وفي الثانيــة ٣٩٠ . نزل اللطرون الرحـــالة الفارسي « ناصر خسرو » في منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ودعاها غلطاً باسم « خاتون » وذكرها العرب بأنهـا حصن بين القدس والرملة وكان ممـــا فتحه صلاح الدين الأيوبي عـــام ٥٨٣ هـ : ١١٨٧ م . وتقع اللطرون على بعد ١٦ كم من الرملة .

سادساً

لواء غزة

١ — قضاء غزة :

مساحة هذا القضاء ١١١١٫٥ كم٢ . لليهود منها ٤٩٫٢ كم٢ . أي بنسبة ٤٫٤٪ من مجموع مساحة القضاء . قدر عدد سكانه في ١٩٤٥/٤/١ بنحو ١٣٧٬١٨٠ نسمة . يوزعون كما يلي :

مسلمون	: ١٣٣٬٠٤٠ .
مسيحيون	: ١٢٥٠
مجموع السكان العرب	: ١٣٤٬٢٩٠
اليهود	: ٢٨٩٠ أي ٢٪ من مجموع سكان القضاء .
مجموع سكان القضاء	١٣٧٬١٨٠

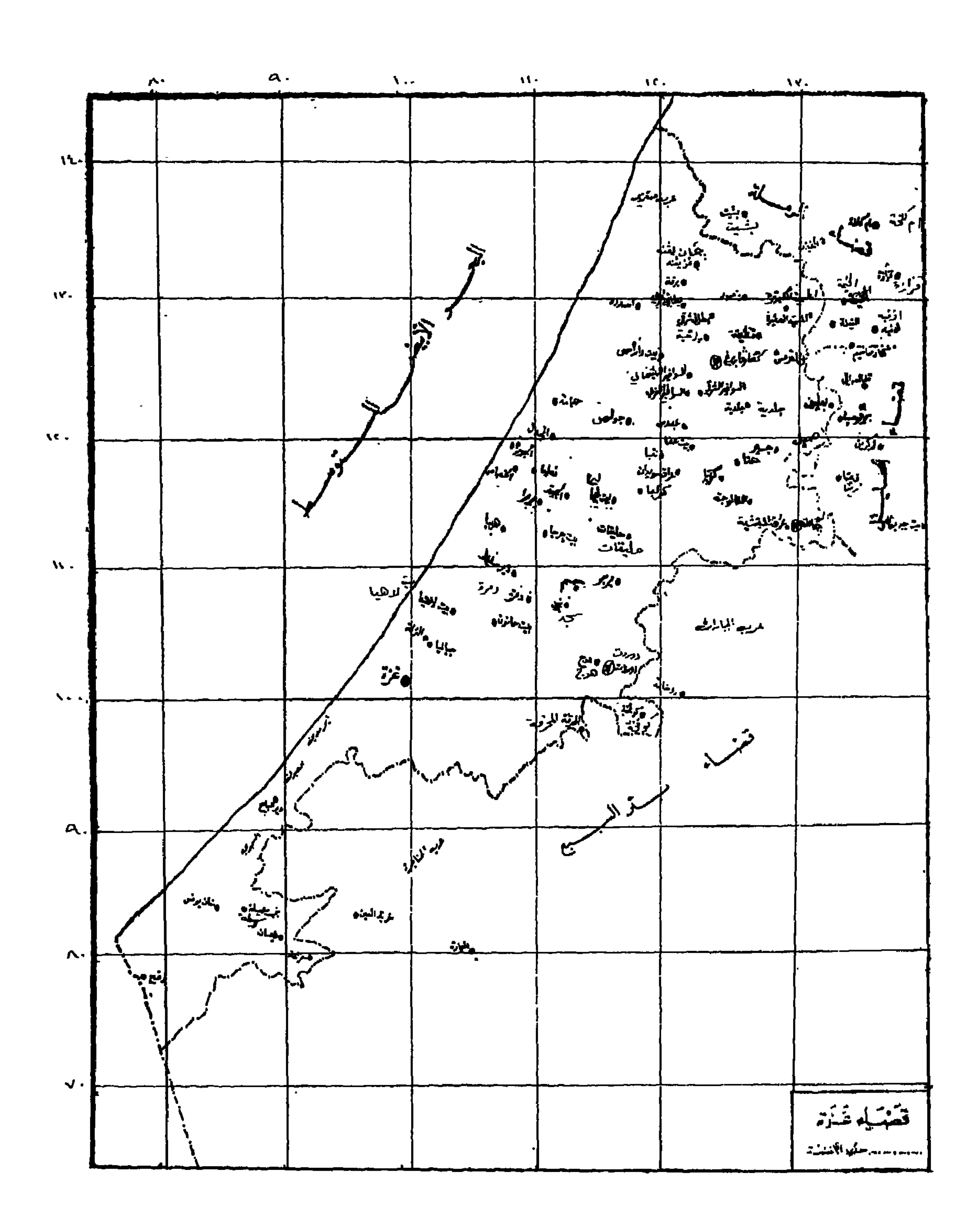
ومع كل ذلك فقد خسر العرب من هذا القضاء مدينة المجدل و ٤٥ قرية و ٥٣٠ بدوياً .

وها هي أسماء المدن والقرى التي نجت من شر اليهود في قضاء غزة[1] :

١ — مدينة غزة :

بلغت مساحتها في ١٩٤٥/٤/١ : ١٠٬٠٧٢ دونماً . يقطنها ٣٤١٧٠ عربياً بينهم

١ — مساحة قطاع غزة ٢٠٢ كم مربع .



البحر الأبيض المتوسط
غزة
قضاء بئر السبع
قضاء غزة
حدود الأقضية

١٠١٠ من المسيحيين والبـــاقي مسلمون وفي ١٩٤٦/١٢/٣١ قدر عـــدد سكانها ٣٧٬٨٢٠ نسمة .

مساحة أراضي غزة ٧٤٤و١٦٠ دونماً .

اشتهرت غزة بصناعة الأدوات الخزفية وصناعة البسط والعباءات المصنوعة من وبر الجمال والماعز ولما هاجر اهل المجدل الى غزة نقلوا معهم صناعة نسيج الأقمشة .

وفي نهاية عام ١٩٥٩ بلغ عدد سكان غزة ٩٨٬٩٧٣ نسمة أي بنسبة ٢٨٪ من مجموع سكان القطاع . والكيلومترات الآتيـة تبين بُعد غزة عن بعض المدن والقرى :

القدس : ٩٤ – عن طريق اللطرون والمسمية –
بئر السبع : ٤٦
بيت دجن : ٧٠ عن طريق يبنا
بيت جبرين : ٥٥
الحدود الفلسطينية – المصرية : ٣٨
قطرة اسلام : ٥٢
الخليل : ٨١ عن طريق بيت جبرين
عراق سويدان : ٣٢ كم
خان يونس : ٢٥
اللطرون : ٦٦

المَسْمِيَّة : ٤٥	حيفا : ١٧٧ عن طريق ويلهلما	ياصور : ٥٠
يافا : ٧٩	عبسان : ٣٣	السوافير : ٤١
دِمْرَة : ١٥	كوفخة : ٢٥	رُحوبوت : ٦٢ عن طريق المسمية
حُلَيْقات : ٢٥	الرملة : ٦٩	بيت حانون : ١٠
بني سهيلة : ٣٠	دير البلح : ١٧	جباليا : ٥
نجـــد : ٢٠	دير سنيد : ١٢	كوكبا : ٢٩

وقد قاست غزة الأهوال بعد نكبة ١٩٤٨ : ففي ١٤ أغسطس ١٩٥٤ قـام

اليهود بنسف محطة مياهها وفي ٢٨ شباط ١٩٥٥ أعادوا هجـومهم على المحطة المذكورة وعلى معسكر الجيش المصري المرابط بجوارها . ذهب ضحية هـذا الهجوم الغادر عدد كبير من الجنود والمدنيين .

وكان هذا العدوان نقطة تحول هامة في تاريخ العرب المعاصر حيث أدّى الى قيام قادة ثورة العرب الأحرار بمصر الى شراء صفقات ضخمة من الأسلحة التشيكية والروسية ، بعد ان كانت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب تمنع العرب من الحصول على الأسلحة من دول الكتلة الشرقية حتى تبقى السيطرة العسكرية لقاعدتهم : اسرائيل .

وفي ٥ نيسان ١٩٥٦ قامت مدفعية اليهود بقصف وسط غزة الآهلة بالسكان والعائدين ، كما قصفت قرى دير البـلح وعَبَسان وخُزَاعة فكانت الخسائر الناتجة عن هـذه الاعتداءات من المدنيين (٦٠) شهيداً (منهم ٢٧ سيدة و ٢٩ رجلا و ٤ أطفال) و ٩٣ جريحاً منهم ٣٢ سيدة و٥٣ رجلا و ٨ أطفال .

وفي ١٩٥٦/٤/١٥ أطلق اليهود نيران مدافعهم على مستشفى غزة وقتـلوا ١٣ طفلا و١٨ سيدة و ٣١ رجلا (المجموع ٦٢) ، وجرحوا (٨٢) منهم ٢٦ طفلا و ٢٥ سيدة و ٣١ رجلا .

وأما ما قاسته هذه المدينة وغيرها من مدن وقرى القطاع ومعسكراته إبّان الاحتلال اليهودي في خريف عام ١٩٥٦ من تقتيل وأهوال وإرهاب وتفـنن في أساليب التعذيب فأمر يفوق كل وصف . كما وان حـوادث النهب والسلب في القطاع فاقت كل ما يتصوره العقل .

هذا وقد سجل أهل القطاع ، ومن معهم من اخوانهم المصريين في حروبهـم مع اليهود في ذلك العام ؛ بما أبدوه من ضروب الشجاعة والإقدام ، وما قدموه من ألوان التضحية غير المجدية ، احـدى الصفحات الخالدة في الدفـاع عن الأوطان .

(٢) خان يونس : تعلو عن سطح البحر التي تبعد عنه مسافة أربعة كـيلو مترات ٤٥ مـتراً بها في ١٩٤٥/٤/١ : (١١٢٢٠) نسمة عرب مسلمون بينهم

٤٠ مسيحياً . وفي ١٩٤٦/١٢/٣١ قدروا بـ (١٢،٣٥٠) عربياً . وفي نهـــاية عام ١٩٥٩ م بلغوا « ٤٠،٢٠٤ » نسمات . مساحتها ٢٣٠٢ من الدونمات ومساحة اراضيها ٥٣،٨٢٠ دونماً .

وخان يونس بمعنى « فنـــدق يونس » . دعيت بذلك الى مؤسسها « يونس النوروزي الدوادار » من كبار موظفي السلطان برقوق أول وأشهر مـلوك المماليك الشركسية . وكان تاريخ تأسيس هذه البـلدة في عام ٧٨٩ هـ ، كما تذكر ذلك النقوش المكتوبة على قلعتها . واطلال هذه القلعة ما زالت ظاهرة لليوم . بناها يونس النوروزي لحماية التجار والحجاج والمسافرين .

ويقام في « خان يونس » ، في كل يوم خميس سوق البلدة الأسبوعي ، يأتيـه التجار من جميع الجهات المجاورة يعرضون فيه سلعهم .

ومن حوادث خان يونس بعد النكبة هجوم اليهود عليها بدباباتهم وقنـابلهم وأسلحتهم الأوتوماتيكية مساء ١٩٥٥/٨/٣١ . وبرغم الفارق في العدد والسلاح فقد صمدت قوات الحرس الوطني الفلسطيني وأبدت من البسالة ما لم يجد معهـــا العدو وسيلة للقضاء على مقاومتهم الا أن تقدمت فئة من جنوده متسترة بنيران زملائها ودخان القنابل فبثت الألغام في جـدران مركز الشرطة فهدمته على من فيه كما تصدع مستشفى الرحمة القريب من المركز على مرضاه ، على أثرها .

القرى التي نجت من شر اليهود :

اسم القرية	سكانها التقديري في ١٩٤٥/٤/١	سكانها في نهاية عام ١٩٥٩
جباليا	٣٥٢٠	٩٠١٣
بني سهيلة[١]	٣٢٢٠	٤٧١٢
بيت حانون[٢]	١٦٨٠	غير متيسرة

---

١ - دعيت بذلك نسبة الى « بني سهيل » القبيلة القحطانية التي نزلت هذه الجهات في صدر الاسلام .

٢ - دعيت بذلك نسبة الى احد ملوكها أو زعمائها . و « حانون » بمعنى « حنون ومنعم ومنعم عليه » .

عبسان	٢٢٣٠	٣٥٠٣
رفح	٢٢٢٠	١٤٥٨٨
بيت لاهيا[١]	١٧٠٠	٢٤٤٨
النزلة	١٣٣٠	١٨٨٤
خزاعة[٢]	٩٩٠	١٥٢٠
دير البلح[٣]	٢٥٦٠	٢٣٠٨

* * *

أسماء المدن والقرى ، ، في قضاء غزة :

مدينة المجدل :

مساحتها ١٣٤٦ دونماً . ومساحة أراضيها ٤٢،٣٣٤ دونمـاً . لا يملك اليهود فيها أي شبر . قدر عـــدد سكانها بنحو ٩٩١٠ أشخاص بينهم تسعون مسيحياً والباقي مسلمون[٤]. وذكر في تقاريرهم انهم أسسوا على بقعة هذه المدينة العربية العريقة مستعمرة دعوها باسم « مجدل جاد – Migdal Gad » وذلك في الشهر الثاني من عـــام ١٩٤٩ . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغ عدد سكانها ٥١٠٠ يهودي .

ومن مشاهد المجدل جامعها الكبير الذي بني عـام ٧٠٠ هـ . وعرفت المجدل بأنها من أهم الأماكن الصناعية في البلاد ففيها مئات من الأنوال لحيـــاكة ونسيج أنواع شتى من الأقمشة الحريرية والقطنية وجميع هذه المنتوجات تباع في أسواق

١ – النسبة اليها « بتلهي » بفتح أوله وثانيه وسكون اللام وكسر الهاء .

٢ – دعيت بذلك نسبة الى قبيلة خزاعة ، التي نزلتها بعد الفتح الاسلامي . وهي من الأزد من القحطانية .

٣ – هي الداروم القديمة . اشتهرت بخمورها . أقدم دير في فلسطين أقيم فيها. دخلها العرب المسلمون عام ١٣ هـ : ٦٣٤ م . ينسب اليهـــا أبو بكر الداروني من رواة الحديث في القرن الرابع الهجري .

٤ - وفي نهاية عام ١٩٤٦ م بلغ عدد سكان المجدل (١٠٠٩٠٠) عربي .

فلسطين ، منها ما هو خاص بالقرويين ومنها مـــا هو مشترك بينهم وبين أهل المدن .

ويقام سوق المجدل الأسبوعي في كل يوم جمعة ممـــا يساعد على قيـام حركة تجارية بين البلدة وبين القرى المجاورة لها .

وللمجدل وقراها موسم كبير يقال له موسم وادي النمل يحتفلون به في يومي الثلاثاء والأربعاء السابقتين لسبت النور من كل سنة . فيقضي النـاس يوم الثلاثاء على البحر والأربعاء في وادي النمل ومشهد الحسين .

والمسافات الآتية ، بالكيلومترات ، بين المجدل وبعض البقاع المجاورة :

غزة	: ٢٥	محطة السكة الحديدية	: ٣
بيت جبرين	: ٣٢	الرملة	: ٤٨
يافا	: ٥٦ عن طريق يبنا	الخليل	: ٥٨
الجورة (خرائب عسقلان)	: ٦	الفالوجة	: ١٩

وفي ٥ تشرين الثاني من عام ١٩٤٨ دخل اليهود هذه المدينة فتشرد أهلهـــا وتمزق شملهم ولجأ معظمهم الى غزة وقطاعها .

قرى قضاء غزة :

(١) اسدود : تقع للشمال من غزة وعلى مسيرة ٤٠كم منها. بها ٤٦٢٠ نسمة. مساحتها ١٣١ دونمًا . مساحة أراضيهـــا ٤٧٬٨٧١ دونمًا . لليهود منها ٢٤٨٧ دونمًا . أولى قرى القضاء فيا تملكه من أراض .

ومن مشاهد « اسدود » قبر الصحابي « عبدالله بن أبي سَرْح » الآتي ذكره. وكان ضمن مسجد بني في عهد الظاهر بيبرس عام ٦٦٧ هـ . وبجواره ضريح لولي الله ابراهيم بن علي المتبولي الانصاري المتوفى عـــام ٨٧٧ هـ . بعد أن عاش ٨٠ سنة .

وفي الأشهر الأربعة الأولى من عام ١٩٥٠ أقام اليهود ثـــلاث مستعمرات دعوها باسم Ashdod ، Aو C و D على التوالي على انقاض هـذه القرية العربية

العريقة وجوارها. بلغ عدد سكانها جميعاً في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٦٨ + ٢٤٢ + ٤٩٠ = ١١٠٠ نفس) .

(٢) بَرْبَرا : بها ٢٤١٠ نسمات . مساحتها ٧٠ دونماً . مساحة أراضيها ١٣٬٩٧٨ دونماً ملك لأهلها. ومن مشاهد بربرا مسجدها الذي جُدّد بناؤه في عهد السلطان مراد الثالث العثماني المتوفى عام ١٠٠٣ هـ : ١٥٩٦ م . وفي صحنه قبر الزاهد التقي « الشيخ يوسف البربراوي » من رجال القرن الهجري الثامن .

وفي الشهر الأول من عام ١٩٤٩ م أقام اليهود على بربرا مستعمرتهم « باربارِيت – Barbarit التي عرفت بعدئذٍ باسم « Mavqi'im » . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٥٨) يهودياً . وللشرق من هذه المستعمرة أقام اليهود في عام ١٩٥٠ مستعمرة أخرى دعوها « Talmi Yafe » . سكنها في ذلك العام ٦٣ يهودياً .

(٣) بَرْقة : بها ٨٩٠ نسمة . مساحتها ٢٦ دونماً .

(٤) بُرَيْر : تقع على مسيرة نحو ٢١ كيلومتراً للشمال الشرقي من غزة . بها ٢٧٤٠ نسمة . مساحتها ١٣٠ دونماً . مساحة أراضيها ٤٦٬١٨٤ دونماً . يملك اليهود منها ٦١٨ دونماً . ثانية قرى القضاء فيما تملكه من اراض .

(٥) بِعْلين : تقع في أقصى الشمال الشرقي من القضاء وعلى الحدود الفاصلة بينه وبين قضاء الخليل . أي بين انتهاء الجبال وابتداء السهول . تبعد عن غزة بنحو ٥٢ كم . بها ١٨٠ نسمة . مساحتها ٦ دونمات ، يملك اليهود ٢٩٤ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٨٠٣٦ دونماً .

(٦) بَطاني شرقي[١] : بها ٦٥٠ نسمة . مساحتها ٣٢ دونماً . أراضيها ملك لأهلها .

(٧) بَطاني غربي[٢] : بها ٩٨٠ نسمة . مساحتها ٣٤ دونماً . يملك اليهود

. ١ و ٢ – قد تكون قبيلة « البطاني – Batanaei » التي ذكرها بطلميوس (من جغرافيي القرن الأول للميلاد) انها تقيم على مقربة من بلاد الشام نزلت هذه الجهات وخلدت اسمها في هاتين القريتين (تاريخ العرب قبل الاسلام : ٣/٣٦٠) و « البطاني » كانت من املاك معاوية بن أبي سفيان » مؤسس الدولة الأموية في الشام .

٧٠ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٥٧٦٤ دونماً . وهاتان القريتان في ظهر أسدود .

(٨) بيت جِرْجا : بها ٩٤٠ نسمة . لليهود ١١٦ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٨٤٨١ دونماً . ينسب اليها أبو الفضل العباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني الجرجي[1] . من رواة الحديث . كان حافظاً ثبتاً يعرف باسم محدث فلسطين ، توفي عام ٣١٠ ﻫ .

(٩) بيت داراس : بها ٢٧٥٠ نسمة . ثالثة قرى القضاء المغتصبة سكاناً . مساحتها ٨٨ دونماً . أراضيها ملك لأهلها .

والراجح انها تحريف « مَدْرَس » بمعنى مكان دراسة الحنطة أي « بيادر ». وجذر « درس » سامي مشترك معناه الأصلي داس وضرب .

دخل اليهود قرية بيت داراس في ٥ حزيران ١٩٤٨ م . وكانوا قد هاجموها في ١٣/٥/١٩٤٨ ، وبعد ان قتلوا من قتلوا من سكانها وهدموا بيوتها ومدرستها انسحبوا منها .

(١٠) بيت طيما : بها ١٠٦٠ نسمة . مساحتها ٦٠ دونماً . لا يملك اليهود في أراضيها شيئاً .

(١١) بيت عَفـّا : على مسافة نحو ٣٨ كم من غزة. بها ٧٠٠ نسمة. مساحتها ٢٦ دونماً . لا يملك اليهود من أراضيها شيئاً . دخلها اليهود في ١٠ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

(١٢) تل التـُرمس : بها ٧٦٠ نسمة . مساحتها ٣٥ دونما . مساحة أراضيها ١١٥٠٨ دونمات . يملك اليهود منها ٦٨ .

(١٣) جُسَير : بها ١١٨٠ نسمة . مساحتها ٥٤ دونما. أراضيها ملك لأهلها.

(١٤) الجـَلـَدِيّة : بها ٣٦٠ نسمة . أراضيها ملك لأهلها .

(١٥) الجورة : بها ٢٤٢٠ نسمة . مساحتها ٤٥ دونما. أراضيها ملك لأهلها. شيدت معظم أبنيتها من « خرائب عسقلان » المجاورة . وعرفت « الجورة »

---

١ — معجم البلدان ٢/١٢٤ .

بموقعها الجميل ومناظرها الخلابة . تحيط بهـا الأشجار العالية والبساتين النضرة والبحر الهادىء اللطيف الذي يخفف من حرارة الصيف. ولهذا يرغب الكثيرون ان يقضوا ذلك الفصل على ساحلها .

(١٦) جُولس : بها ١٠٣٠ نسمة. مساحتها ٤٠ دونماً. أراضيها ملك لأهلها.

(١٧) الجِيّة[١] : جُدد بناؤها في عهد « محمد ابو نبوت » وكان متسلماً على يافا وغزة في أوائل القرن الماضي . بها ١٢٣٠ نسمة . مساحتها ٤٥ دونمـاً . لا يملك اليهود فيها شيئاً .

(١٨) حَتّا : بها (٩٧٠) نسمة . مساحتها ٤٥ دونماً . أراضيها ملك لأهلها ينسب اليها « عمرو بن حليف أبو صالح الحتاوي » . راوية ثقة[٢] .

(١٩) حلَيْقات : بهـا ٤٢٠ نسمة . مساحتها ١٨ دونماً . أراضيها ملك لأهل القرية . وفي شرقي هذه القرية خربـة تعرف باسم « سنبس » نسبة الى القبيلة العربية التي نزلتها في صدر الفتوحات العربية الاسلامية . تكاثرت هـذه القبيلة في جنوبي فلسطين ونزح بعضها الى مصر .

وفي عام ١٩٥٠ م أقام اليهود مستعمرتهم « حِلِتس – Helets » على أنقاض « حليقات » العربية . كان بها في نهاية العام المذكور ٣٧٦ يهودياً .

(٢٠) حمامة : تقع على مسافة ميلين للشمال من المجدل . بهـا ٥٠١٠ نسمات . أولى قرى القضاء سكاناً . مساحتها ١٦٧ دونماً . ثالثة قرى القضاء في كبرهـا . مساحة أراضيها ٤١٣٦٦ دونماً لليهود منها ١٦٩٣ دونمـاً . ثالثة قرى غزة فيما تملكه من أراض .

(٢١) الخصاص : جمع « الخص » . وهو البيت من القصب . تقع في جنوب المجدل وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منهـا . بهـا ١٥٠ نسمة . مساحتها عشرة دونمات . أراضيها ملك لأهلها .

(٢٢) دِمْرَة : بها ٥٢٠ نسمة . مساحتها ١٨ دونماً . لا يملك اليهود فيهـا

---

١ – وفي ناحية المدينة المنورة واد يعرف باسم « وادي الجي » بكسر أوله وتشديد ثانيه .
٢ – معجم البلدان ٢٠٧/٢ .

شيئاً .

(٢٣) دير سُنَيْد : بها ٧٣٠ نسمة . مساحتها ٧١٣ دونماً . يملك اليهود ٤٨٣ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٦٠٨١ دونماً . و « سنيد » قبيلة عربية نزلت هذه الجهات في صدر الاسلام فنسبت إليها .

(٢٤) سِمْسِم : على بعد نحو ١٨ كم من غزة . بها ١٢٩٠ نسمة . مساحتها ٤٤ دونماً . مساحة أراضيها ١٦٧٩٧ دونماً لليهود منها ٣٣٨٦ دونماً .

(٢٥) السوافير الشرقي : بها ٩٧٠ نسمة . مساحتها أربعون دونماً . مساحة أراضيها ١٣٨٣١ دونماً . يملك اليهود منها ١٠٣ دونمات .

(٢٦) السوافير الشمالي : بها ٦٨٠ نسمة . مساحتها ٢١ دونماً . مساحة أراضيها ٥٨٦١ دونماً لليهود منها ٤٥٠ دونماً .

(٢٧) السوافير الغربي : بها ١٠٣٠ نسمة . مساحتها ٢٥ دونماً . لا يملك اليهود منها شيئاً .

وتقع قرى السوافير ، جنوبي شرقي اسدود ، على مسيرة نحو ٦ كم .

وعلى بقعة هذه القرى العربية الثلاث أقام اليهود لهم مستعمرتين في عام ١٩٤٩ م : (١) عين سوريم – Eyn Surim ، كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ ، ٨٦ نسمة (٢) شافير – Shapir . كان بها في نهاية العام المذكور ٢٧٨ يهودياً .

(٢٧) صُمّيل : بها ٩٥٠ نسمة . مساحتها ٤٤ دونماً . لليهود ٢٦٢٠ دونماً من مساحة أراضيها البالغة ١٩٣٠٤ دونمات .

(٢٩) عِبْدِس : بها (٥٤٠) نسمة . مساحتها ١٨ دونماً . أراضيها ملك لأهلها . وعلى مقربة من « عِبْدس » تقع خربة « عَجّس » . ذكرها ياقوت الحموي (معجم البلدان ٨٥/٤) بقوله : (بالتحريك والتشديد . قرية من قرى عسقلان . ينسب اليها «ذاكر بن شيبة العسقلاني العَجَّسي » من رواة الحديث) .

(٣٠) عراق سويدان : بها ٦٦٠ نسمة . مساحتها ٣٥ دونماً . لا يملك اليهود في أراضيها شيئاً .

(٣١) عراق المنشية : بها ٢٠١٠ نسمات . مساحتها ١٦٨ دونماً . ثانية قرى

القضاء في كبرها . لليهود ٣٤٦٨ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها (١٧٩٠١) من الدونمات .

(٣٢) عرب صُقرير : بها ٣٩٠ نسمة . مساحة أراضيها ٤٠٢٢٤ دونماً . لا يملك اليهود فيها شيئاً . وينسبون الى « الملاحـــة » من « هُتيم » في سيناء وبئر السبع .

(٣٣) الفالوجة : بها ٤٦٧٠ نسمة . ثانية قرى القضاء سكانا . مساحتها ٥١٧ دونماً . أولى قرى القضاء في كبرها . مساحة أراضيها ٣٨٠٣٨ دونماً ، ملـــك لأهل القرية .

تعلو الفالوجة نحو ١٠٠ متر عن سطح البحر وتقع للشرق من المجـدل بنحو ١٩ كم . وتبعد عن غزة بنحو ٤٠ كم وعن القدس بنحو ٧٥ كم .

وفي « الفالوجة » قبر ولي الله « الشيخ شهاب الدين احمـد الفالوجي الحسني » الذي يكرمه معظم فلاحي قضاء غزة وبدو العريش وجميع عشائر بئر السبع . ويذكرون أن من يحلف به زوراً لا بد أن يلقى مغبة كذبه في نفسه أو مـــاله أو عياله .

و « الفالوجة » تحريف كلمة « الفَلُّوجة » — بفتح أوله وتشديد ثانيه ويقال « فلوج » بدون هاء[1] وفي (معجم البلدان ٤/٢٧٥) فلاليج السواد[2] قراهـا وإحداها « فَلُّوجة » .. والفلوجة الأرض الصالحة للزرع .

كان لحامية الفالوجه بلاء عظيم في الدفاع عنها إبّان الحروب العربية — اليهودية الأخيرة . فقد صمدت لحصار العدو — من ١٤ تشرين الأول ١٩٤٨ الى ٢٦ شباط ١٩٤٩ — ١٣٢ يوماً — بلا زاد ولا عتاد ، حتى ضاق المحاصرون ذرعـاً ولم ينفد صبر المحصورين أو تضعف نفوسهم . وكان بـــين المحصورين الرئيس جمـــال عبدالناصر .

---

١ — معجم ما استعجم ، ٣/١٣٠ القاهرة ١٩٤٩ .

٢ — سواد البلدة : ما حولها من الريف والقرى . ومنه سواد العراق بين البصرة والكوفـة وما حولها من القرى .

هذا و « الفلوجة » في العراق (الأنبار قديماً) تقع على ضفة الفرات اليسرى تواجه بغداد، وعلى مسيرة ٤٣ كم منها .

(٣٤) القسطينة : بها ٨٩٠ نسمة . مساحتها ٣٧ دونمـــاً . مساحة أراضيها ١٢٠١٩ دونما . يملك اليهود منها ٣١٣٥ دونماً .

وفي عام ١٩٤٩ أقام اليهود مستعمرتي « كفار أهيم — Kfar - Ahim » أو « قسطينة أ » و « قسطينــة ب » Qastina B » كان في الأولى ٣٢٥ وفي الثانية ٣٤١ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٣٥) كرَتيّا : بهـا ١٣٧٠ نسمة . مساحتها ٤٨ دونماً . أراضيها ملـــك لأهلها . ذكرها ياقوت ٤/٣٢٠ باسم « قَرَتيّا » — بفتح أوله وثانيه ، وتاء مثناة من فوق وياء مثناة من تحت مشددة وألف . بلد قرب جبرين من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس .

(٣٦) الكوفخة : بها ٥٠٠ نسمة . أراضيها ملك لأهل القرية .

(٣٧) كوكبا : بها ٦٨٠ نسمة . مساحتها ٤٠ دونماً . اراضيها ملـــك لأهلها . والتنقيب عن البترول الذي جرى بين قريتي « كوكبا » و « حليقات » أنتج عن لا شيء . وفي عام ١٩٥٠ أقـام اليهود مستعمرتهم « Kokhav » على هذه القرية وسكنها ٣٧ يهودياً .

(٣٨) المُحَرَّقة : بالضم وتشديد الراء وبفتح القاف. اسم المفعول من حرقه، اذا بالغ في احراقه بالنار بها ٥٨٠ نسمة . اراضيها ملك لأهلها . تقع على مسيرة ١٨ كم للشرق من غزة .

(٣٩) المسمية الصغيرة : بها ٥٣٠ نسمة . مساحتها ١٨ دونمـــاً . أراضيها ملك لأهلها .

(٤٠) المسمية الكبيرة : بها ٢٥٢٠ نسمة . مساحتها ١٣٥ دونمـــاً . رابعة قرى القضاء في كبرها . يملك اليهود ٢٢٩ دونمـــاً من اراضيها البالغة مساحتها ٢٠٦٨٧ دونماً .

إن قوماً من المسمية في حوران والواقعة على بعد ٥٦ كم للجنـوب من دمشق

نزحوا الى هذه البقعة في القرن الماضي وسموا بلدتهم الجديدة باسم بلدتهم القديمة . وعلى مسيرة نحو ثلاثة كيلومترات للشمال الغربي من المسمية الكبيرة كانت تقع « سَنَاجِيَة » – بوزن كَراهِيَة ورَفَاهِية – وهي قرية « ابي قِرْصافة » صاحب رسول الله المدفون في قرية « يبنا » المجاورة. ويعرف موقع « سَنَاجية » اليوم باسم « خربة السَّلْوجة » .

وفي عام ١٩٤٩ م أقام اليهود اربع مستعمرات في منطقة المسمية . وهي :

١) مستعمرة « نتيفا – Ntiva » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٧١) يهودياً.

٢) مستعمرة « بني رعيم – Beney - R'eym » كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٩٥) يهودياً .

٣) المسمية أ – Masmiya A . كان بها ٤٢٧ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

٤) المسمية ب – Masmiya B . كان بها ٣٠٦ من اليهود في نهاية عام ١٩٥٠ .

٤١) نجد : بها ٦٢٠ نسمة . مساحتها ٢٦ دونماً . يملك اليهود ٤٩٥ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ١٣٬٥٧٦ دونماً .

٤٢) نِعِلْيا : بهـا ١٣١٠ أشخاص . مساحتها ٢٩ دونماً . لا يملك اليهود فيه شيئاً .

٤٣) هِرِبْيا : بها ٢٢٤٠ نسمة . مساحتها ٤٢ دونماً . يملك اليهود ١٢٢٦ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٢٢٬٣١٢ دونماً . وتقع هربيا في جنوب عسقلان العظيمة بنحو ٨ كم وعلى بعد نحو ٤ كم من البحر . أقام اليهود في جوار هذه القرية ، بعد النكبة مستعمرتي «زقيم – Ziqim» و « كرميا – Karmiya» أقيمت الأولى في عام ١٩٤٩ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١١٧) يهودياً . و الثانية فقد أنشئت عام ١٩٥٠ كان بها في نهاية هذه السنة (٧٠) يهودياً .

٤٤) هوج : تقع في الشمال الشرقي من غزة وعلى مسيرة نحو ١٨ كم منها . بها ٨١٠ أشخاص . مساحتها ٣٤ دونماً لليهود ٤٢٣٦ دونماً من أراضيها البالغة مساحتها ٢١٬٩٨٨ دونماً .

(٤٥) ياصور : بها ١٠٧٠ نسمة . مساحتها ٣٥ دونمـــاً . مساحة أراضيها ١٦،٣٩٠ دونماً . لليهود منها ٢٨٧١ دونماً .

المستعمرات اليهودية في قضاء غزة :

وعددها ١٧ وهي :

(١) بيار تعبية ـــ Beer Ta'vya : تأسست عام ١٨٩٦ م ، على مقربـة من أسدود . ثم هدمت في ثورة عام ١٩٢٩ . فأعاد اليهود بناءها في عام ١٩٣٠ م . بها ٦٩٠ نسمة . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١١١٩ شخصا .

(٢) غن يفنة ـــ Gan Yavne : بمعنى « بستان الحكمة » . تأسست عـــام ١٩٣١ م . بها (٤٣٠) نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣٥٠) يهودياً .

(٣) بتسارون ـــ Bitsaron : تأسست عـام ١٩٣٥ في أراضي السوافير في جوار « غن يفنة » . بها ١٨٠ نسمة بلغوا (٤٩٠) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٤) كفـار واربرغ ـــ Kefar Warburg : للشمال من السوافير . تأسست عام ١٩٣٩ . بها (٢٦٠) نسمة . بلغوا (٥٥٦) يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٥) نقبا ـــ Negba : بمعنى « نحو الجنوب » . تأسست في صيف عـــام ١٩٣٩ ، للشرق من المجدل وعلى مقربة من قرية « عراق سويدان » . بهـــا ٢٨٠ نسمة . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٨٩) يهودياً .

(٦) دوروت ـــ Dorot : تأسست عام ١٩٤١ في جوار قرية هوج . بهـــا ٢٣٠ نسمة . بلغوا ٣٦٨ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ م .

(٧) غت ـــ Gat : تأسست عام ١٩٤٢ في جوار عراق المنشية . بها ٢٠١ أشخاص . بلغوا ٣٧٩ نسمة في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٨) جبار عام ـــ Gevar 'Am : انشئت عام ١٩٤٢ في جوار قرية سمسم . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٧٣) يهودياً .

(٩) ياد مردخاي ـــ Yad - Mordekhai : تقع في جـــوار رقم (٨) . تأسست في نهاية عام ١٩٤٣ عند بربرا . كان بهـا في نهاية عام ١٩٥٠ (٣٨٣)

يهودياً . وهي التي دُعيت غلطاً في وقت ما باسم « مستعمرة دير سنيد » .

(١٠) نيتسانيم – Nitsanim : تأسست في نهاية عـــام ١٩٤٣ في اراضي حمامه . وفي عام ١٩٥٠ كان بها ١٥٨ شخصاً .

(١١) نير عام – Nir - 'Am : تقع في الجنوب الشرقي من بيت حـانون . تأسست عام ١٩٤٣ . كان بها (١٨٦) يهودياً في عام ١٩٥٠ .

(١٢) هافيس حاييم – Hafeys Hayim : تأسست في عام ١٩٤٤ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٣١٣) يهودياً .

(١٣) نيريم – Nirim : تقع شرقي بني سهيلة . تأسست عام ١٩٤٦ . بهـا ١٣١ نسمة في سنة ١٩٥٠ .

(١٤) بيري – Beeri : شرقي دير البلح . تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في عام ١٩٥٠ (٢٠٥) أشخاص .

(١٥) قدما – Qedma : شرقي السوافير في جوارتل الترمس . تأسست عام ١٩٤٦ كان بها في نهاية ١٩٥٠ (٢١٦) نسمة .

(١٦) ساعد - Sa'ad : تقع في ظاهر غزة الشرقي ، على طريق بئر السبع . تأسست في صيف عام ١٩٤٧ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٠٤) يهود .

(١٧) برور حايل – Brur Hail : تقع في جـــوار قرية برير . بنيت في الشهر الرابع من عام ١٩٤٨ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٠٦) يهود .

واما مستعمرة « كفارداروم » التي كانت عند دير البلح فقد دمرت وانتهى أمرها .

٢ – قضاء بئر السبع :

لقد كتبنا ما فيه الكفاية عن مساحة هذا القضاء وعـــدد سكانه في موضع سابق من هذا الكتاب . ومع ان ما يملكه اليهود هو ٠٫٥٪ من مجموع مساحة أراضيه وعـــدد ساكنيه منهم ، حسب تقديرات الحكومة في ١/٤/١٩٤٥ ، لا يزيد عن ١٥٠ نسمة فقد خسره العرب

البحر الأبيض المتوسط
قضاء غزة
المجدل
غزة
بربر
الفالوجة
بيت جبرين
القبيبة
الخليل
دورا
الحناجرة
الجبارات
قضاء الخليل
خان يونس
العمارة
الترابين
بئر السبع
البحر الميت
التياها
بيت اشل
تلفاتيم
الخلصة
كرنب
عسلوج
العوجا
عين حصب
العزازمة
الصحراء الفلسطينية
وادي عربة
المملكة الأردنية الهاشمية
الجمهورية العربية المتحدة
سيناء
الاحيوات
المرشش
العقبة
رأس طابا

قضاء بئر السبع

+ — + — + حدود دولية
— . — . — حدود الاقضية

تأسست المستعمرات اليهودية في بلاد بئر السبع (النقب) إبان الحكم البريطاني الظالم . فقد كانت لهم عدة مستعمرات صغيرة مبعثرة في شمالي القضاء وغربه وهي :

(١) بيت ايشل – Beit Eshel : تقع في ظاهر بئر السبع الشرقي . كان بها في ١/٤/٤٥ (٤٠) يهودياً .

(٢) غيفولوت – Gevulot : تقع غربي بئر السبع . على الطريق بينها وبين رفح . تأسست عام ١٩٤٣ . كان بها عام ١٩٤٥ (٢٠) يهودياً . بلغوا في نهاية عام ١٩٥٠ (١٣٣) .

(٣) ريفيفيم – Rivivim : تقع بالقرب من « الخَلَصَة » جنوبي بئر السبع . تأسست عام ١٩٤٣ . بها ٨٤ نسمة . وتقع الخلصة في الشمال الغربي من عسلوج وعلى بعد (١٥) كم منها .

(٤) روحاما – Ruhama : كانت تعرف باسم « الجمّامة » . تقع للجنوب من « تل الحسي » ، على مسيرة ٣٩ كم للشمال الغربي من بئر السبع و ٢٥ كم للشمال الشرقي من غزة . تأسست عام ١٩٤٤ . كان بها في ١/٤/١٩٤٥ (٧٠) يهودياً بلغوا (٤٠٩) أشخاص عام ١٩٥٠ .

(٥) تل تسوفيم – Tel Tsovim : كان بها في ١/٤/١٩٤٥ (٢٠) يهودياً .

(٦) جيفوليم – Gev'olim : تأسست في أواخر عام ١٩٤٥ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ ، (١٩٢) يهودياً . تقع بالقرب من طريق غزة – بئر السبع .

(٧) نفاتيم – Nevatim : تقع شرقي بيت ايشل . تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها عام ١٩٥٠ (٩٢) نسمة .

(٨) عوريم – 'Urim : أنشئت عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٥٩) يهودياً . تقع بين بئر السبع وخان يونس .

(٩) مشمار هانجب – Mishmar - Hanegev : تقع في الجنوب الشرقي من « تل جرار » ، على الطريق التي تربط الفالوجة بطريق بئر السبع – غزة . تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢١٠) يهود .

(١٠) هاسيريم – Haseyrim : تقع في ظاهر بئر السبع الغربي . تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (١٠٦) أنفار .

(١١) شارشرت – Sharsheret : تقع على طريـــق غزة – بئر السبع . تأسست عام ١٩٤٦ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٩٢) يهودياً .

* * *

وبعد النكبة أنشأ اليهود لهم مستعمرات كثيرة ومتعددة في مختلف انحـــاء القضاء . نذكر منها :

(١) بيت رعيم – Beit Re'im : تقع شرقي دير البلح ، في جوار «تل جمّة» تأسست في عام ١٩٤٩ . كان بها في نهاية عام ١٩٥٠ (٨٩) نسمة .

(٢) ديمونا – Dimona : تقع على الطريق بين بئر السبع ومستعمرة «سدوم» الواقعـــة على البحر الميت ، وعلى مسيرة ٢٥ ميلاً للجنوب الشرقي من الأولى . بلغ عدد سكانها في عام ١٩٥٧ نحو ٤٠٠٠ نسمة . ومما هو جدير بالذكر أن اليهود أنشأوا فرنهم الذري الثاني[١] ، قدرته ٢٤ مليون وط ، بمساعدة فرنسا ، منـــذ سنين قليلة بجوار هذه المستعمرة .

(٣) سدي بوكر – Sede Boger : تأسست في ١٥ أيار من عام ١٩٥٢ م . وهي التي اتخذها « بن غوريون » مقراً له كلما اعتزل الحكم . تقـــع في الجنوب الغربي من ديمونا ، على الطريق بين بئر السبع والمرشّش (إيلات) .

(٤) شوبا – Shuva : تقع على الطريق بين غزة وبئر السبع . تأسست عام ١٩٥٠ وكان بها في تلك السنة ١٨٢ يهودياً .

(٥) تقوما – Tequma : تقع في جوار شوبا (رقم ٤) . أنشئت عـــام ١٩٤٩ . كان بها بعد عام من تأسيسها ١١٥ نسمة .

(٦) كفار يروحام – Kefar Yeroham : تقـــع جنوبي بئر السبع ، على

١ – واما فرن اليهود الذري الأول فقد صنعوه ، بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، في « ناحال – صوريك Nahal Soreq » ولعلها تقوم بين اسدود ويافا .

الطريق بين سدي بوكر وديمونا. كان بها في عام ١٩٥٧ أكثر من (٢٠٠) عائلة .

(٧) مِصْبّه رامون – Mitspe Ramon : تقع جنوبي سدي بوكـــر على طريق المرشش – ايلات .

(٨) عومر – 'Omar : تقع على طريق بئر السبع – الخليل .

(٩) عين نتافيم – 'Ain Netafim : للشمال الغربي من ايلات ، عند الحدود المصرية – الفلسطينية .

(١٠) صقلاغ – Tsiqlag : في شمالي بئر السبع . عند خط حدود الهدنة . أقيمت على « تل خويلفة » الذي له ذكر في حروب صلاح الدين الأيوبي .

(١١) عين هاشلوشا – 'Ain Hashlosha : تقع شرقي ني سهيله للشمال من مستعمرة نيريم . تأسست في نهاية عام ١٩٥٠ وسكنها حينئذٍ ٨٥ يهودياً .

(١٢) تفراح – Tifrah : تأسست في الشهر العاشر من عام ١٩٤٩ . تقع على الطريق بين غزة وبئر السبع بها حسب احصاءات ١٩٥٠ ، (٣٠٠) يهودي .

(١٣) مبتاحيم – Mivtahim : تقـــع للشرق من رفـــح . تأسست في ١٩٥٠/٢/١٧ .

(١٤) ماغن – M agen : بنيت على بقعة « المعين أبو ستة » في عام ١٩٤٩ كان بها في عام ١٩٥٠ (٩٥) يهودياً .وتقع « المَعين » للشرق من بني سهيلة وعلى مسيرة ٨ كم منها . و «المعين» قبيلة عربية نزلت هذه الديار بعد الفتوح الإسلامية وخلدت اسمها على هذه البقعة . و « المعين » من سنبس من القحطانية .

(١٥) بيت حاجادي– Beit Hagaddi : تقع على طريق غزة–بئر السبع . تأسست في الشهر الحادي عشر من عام ١٩٤٩ . وبعد عام كان بها (٦٤) يهودياً .

(١٦) شوبال – Shoval : تأسست في الشهر العاشر من عــام ١٩٤٨ م ، في الشرقي من « تل جرار » . كان بها في عام ١٩٥٠ (١٧٥) يهودياً .

(١٧) مسلول – M aslul : اقيمت عام ١٩٥٠ ، على بقعة « العمارة » بـين بئر السبع وخان يونس . كان بها في ذلك العام ٢٣٠ يهودياً . وتقع العمارة غربي بئر السبع وعلى مسيرة ٢٩ كم منها .

(١٨) مشعابيم – Mash'abim: تقع في جوار الخلصة في منطقة عسلوج وفي الجنوب الشرقي من مستعمرة « ريفيفيم – Rivivim » المار ذكرها . تأسست في نهاية عام ١٩٤٩ . كان بها ١٣١ يهودياً في نهاية عام ١٩٥٠ .

(١٩) باتيش – Patish : أقيمت غربي « مسلول » المار ذكرها ، في عام ١٩٥٠ . كان بها في تلك السنة ٢٢٧ يهودياً .

(٢٠) هيسوريم – Haysorim : تأسست في الشهر الخامس من عام ١٩٤٨. كان بها يوم تأسيسها ١٢٧ يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا (١٧٨) يهودياً .

* * *

والمستعمرات السبع الآتية ، ذكرها التقرير السنوي لعام ١٩٥١ – ١٩٥٢ الذي أصدرته السلطات . إلا اننا لم نتمكن من معرفة المناطق التي أقيمت عليها ؛ وذلك لأن أسماءها لم تذكر في الخرائط التي أصدرتها السلطات المذكورة في عام ١٩٥٨ .

وهذه المستعمرات هي :

(١) بير غانيم – B'eyer - Ganim : تأسست عام ١٩٣٣ . كان بها في نهاية عام ١٩٤٩ (١٩) يهودياً وفي نهاية عام ١٩٥٠ كانوا ٦٩ .

(٢) قريات ناحوم – Qiryat - Nahum مع عير غانيم – 'Ir- Ganim : تأسست في كانون الأول من عام ١٩٣٣ . كان بها في عام ١٩٤٨ (٤٧٥) يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ (٦٢٠) .

(٣) شخونات اونو – Shkunat - ono : تأسست في ١٩٣٩/٧/١ . كان بها في عام ١٩٤٨ (٣٧٦) يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا ١٤٠٠ يهودي .

(٤) غان هيفر – Gan Heyfer : تأسست في ١٩٤٠/١/١٥ . كان بها في عام ١٩٤٨ (١٦٠) يهودياً . وفي نهاية عام ١٩٥٠ بلغوا (١٧٠) .

(٥) معالي هاباشان – Ma'aly - Habashan : تأسست في ١٩٤٥/١١/٢ . كان بها في عام ١٩٤٨ (١١٨) يهودياً . بلغوا ٢٧٤ في نهاية عام ١٩٥٠ . أظنها

تقع على الحدود السورية للشمال من الحولة .

(٦) سعليم Se'elim سعليم وتعـرف أيضاً باسم شوراشيم Shorashim : تأسست في الشهر الثاني من عام ١٩٤٧ . كان بهـا في عام ١٩٤٨ (١٦٥) يهودياً بلغوا (٥٨) في نهاية عام ١٩٥٠ .

(٧) تل حنان — Tel - Hanan : لم يذكر التقرير تاريخ تأسيسها . كان بها في عام ١٩٤٨ (١٤٤٢) يهودياً بلغوا (٤٧٧٠) في نهاية عام ١٩٥٠ .

* * *

وصفوة القول ؛ إنه بلغ مجموع مـا اغتصب من الوطن الغـالي ٤٧٧ مدينة وقرية ؛ فضلاً عن قضاء بئر السبع الذي يجوبه سكانه البدو ، والقسم المُنتَهب من بيت المقدس ، وبعض بنـايات قرى بيت مِرْسم وبيت صَفَا فا وبَرْطعَة وغيرها .

واما المستعمرات أو القلاع اليهودية التي أقامها اليهود في فلسطين العزيزة فقد بلغت ٣١٧ مستعمرة حتى أيار من عام ١٩٤٨ .

كما وان المستعمرات التي أنشئت ، بعد أيار من العام المذكور حـتى نهاية عام ١٩٦٣ ، بلغت حسب احصاءات المغتصبين ٤٨٦ مستعمرة في مختلف انحـاء البلاد .

شرقي الاردنّ

يعتبر شرقي الأردن متمماً لفلسطين لذلك رأينا ان نتحدث عنه ، جغرافياً ، بإيجـاز : تبلغ مساحة شرقي الأردن ٩٠،٩١٠ كيلومترات مربعة [١] منهـا ٨٠،٥٠٠ كم٢ مساحة صحرائها الشاسعة بما فيها وادي العَرَبَة .

قدر البريطانيون سكان شرقي الأردن بين ٢٥٠،٠٠٠–٣٠٠،٠٠٠ نسمة[٢]. وفي عام ١٩٤٦ جرى إحصاء للسكان بالاستناد الى بطاقات توزيع المؤن وكانت النتيجة أن في البلاد ٤٣٣،٦٥٩ نسمة [٣] . ويعتقد ان هـذا العدد لا يخلو من مبالغة .

إن اراضي الأردن الشرقية نجد عظيم مرتفع معدل علوه ألفا قدم، وأراضيه معرضة للشمس وللرياح القوية التي تهب من الصحراء الجافة او من البحر الرطب . وهي عموماً أبرد من فلسطين وكثيراً مـا يغطي الثلج مناطق واسعة منهـا .

---

١ – تبلغ مساحة المملكة الأردنية الهاشمية ، بعـد ضم الضفة الغربية من فلسطين في ٢٥ نيسان ١٩٥٠ (٩٦،٦١٠) كيلومترات مربعة .

٢ – ص ٥١٧ من كتاب :

The Dominions Office and Colonial Office List : 1935 London.

٣ – تاريخ الأردن في القرن العشرين ص ٤٤٨ . عمان ١٩٥٩ م . وفي آب من عام ١٩٥٢ بلغ عدد سكان الضفتين الشرقية والغربية (١،٣٣٠،٠٢١) نسمة . وبلغ تعداد المملكة حسب إحصاء ١٨/١١/١٩٦١ (١،٧٠٦،٢٢٦) نسمة يوزعون كما يلي :

مسلمون	١،٥٩٦،٧٤٥	دروز	٢٠٩
مسيحيون	١٠٨،٨٣٨	بهائيون	١٩٧
سامريون	٢١٣	آخرون	٢٤

ومناخها بوجـه عام منعش ، تستحق ما اشتهرت به في القديم انها من احسن المناطق الصحية في العالم . فضلاً عن خصب تربتها وجمال مناظرها .

وتقع للشرق من منطقة الغور منطقة جبال تعرف باسم « سلسلة جبال شرقي الأردن » وهي تتألف من الأقسام الآتية :

(١) جبال عجلون :

تمتد بين نهري اليرموك والزرقاء ويتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠ — ٩٠٠ متر . تكسوها الغابات الجميلة التي يتكاثف فيها شجر البلوط ، وتكثر فيها الينابيع المتفجرة ويصح أن تسمى بـ « لبنان الأردن » . ومن قممها « جبل عوف » التي بنيت عليه « قلعة الربض » الآتي ذكرها . وفي سهول جبال عجلون ومرتفعاتها مزارع الحبوب الكبيرة وقطعان الغنم وأسراب المعزى التي ترعى في جوانبها . وجبال عجلون تشبه تماماً جبال فلسطين أكثر من كل محل في شرقي الأردن . وتقع في هذه الجبال وفي سهولها مدن متعددة منها :

(١) إرْبد : اسمها محرف عن البلدة اليونانية «بيت اربل[١] —Beth -arbel» . ترتفع عن سطح البحر ٦٠٠ متر . سكانها ٤٤،٦٨٨ نسمة[٢] . تشرف من الشرق على الصحراء وتطل من الجنوب الشرقي على جبال عجلون . تقع على مسيرة ٨٨ كم من عمان وعلى ٦٠ كم من طبرية . بلغ متوسط سقوط المطر فيها من عام ١٩٣٧ — ١٩٥٤ (٥١٤) ميليمتراً .

كانت إربد ، في أوائل العهد العربي الإسلامي ، مدينة من مدن « لواء الأردن » الذي كانت عاصمته « طبرية » . توفي فيها يزيد الثاني الخليفة الأموي عام ١٠٥ هـ : ٧٢٤ م . وفي عهد « الظاهر بيبرس ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م »

---

١ — هناك ، فيما نعلم ، بقعتان أخريان تحملان اسم « اربلا » في الوطن العربي : الأولى ، يعرف موقعها اليوم باسم « خربة إربد » الواقعة على بعد أربعة أميال للشمال الغربي من مدينا طبرية . والثانية في العراق ، ما زالت تحتفظ باسمها القديم : (اربل) ، تقع شرقي الموصل بهـا نحو ٣٥٠٠٠ نسمة .

٢ — الاحصاءات المذكورة عن المدن الأردنية ، في هذا الكتاب ، تعود الى تعدادها الذي جرى في عام ١٩٦١ م .

أحد ملوك المماليك البحرية كانت محطة من محطات حمام الزاجل الذي كان ينقل الأخبار بين مصر والعراق بطريق فلسطين .

(٢) عجلون : على مسيرة ٣٢ كم للجنوب من إربد . ترتفع عن سطح البحر ٧٦٠ متراً . سكانها ٥٣٩٠ نسمة . بلغ متوسط سقوط المطر في عجلون من عام ١٩٣٧ — ١٩٣٨ الى ١٩٥٢ م (٧١١) مم .

وصف جغرافيو العرب ومؤرخوهم عجلون بمياهها الجارية وفواكهها الكثيرة وأسواقها المتعددة . قال العمري مؤلف «مسالك الابصار» المتوفى عام ٧٤٨ هـ: ١٣٤٧ م «كان مكانها دير فيه راهب اسمه عجلون فسميت به[١]»

وينسب الى عجلون علماء وادباء عديدون .

وتقع على قمة «جبل عوف» الواقع في جنوبي «عجلون» الغربي «قلعة الربض» التي بناها «عز الدين أسامة بن منقذ» أحد قواد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٠ هـ[٢] : ١١٨٤ م . وفي عام ١٢٦٠ م هدمهـــا المغول في غارتهم على فلسطين . ثم جدد بناءها الظاهر بيبرس . وكان ينزل جبـل عوف قوم من بني عوف من جرم قضاعة فعرف بهم[٣] .

(٣) الرمثا : تقع على مسيرة ٢٣ كيلومتراً للشمال الشرقي من إربـد وعلى أربعة كيلومترات من الحدود السورية . ترتفع عن سطح البحر ٥٢٠ متراً . بلغ معدل سقوط الأمطار في الرمثا في المدة الواقعة بين عـــامي ١٩٣٧ — ١٩٣٨ الى ١٩٥١ — ١٩٥٢ (٣١٨) ميليمتراً . سكانها ١٠٬٧٩١ نسمة . عرفت في عهد اليونان باسم «أرثا» أو «راماثا» ومنه حرف اسمها الحالي . كانت من المحطات

---

١ — بلدانية فلسطين العربية ١٠٤ .

٢ — بلدانية فلسطين العربية ص ١٠٤ . وأسامة هذا من مشاهير عصره . كان من أكابر «بني منقذ» أصحاب قلعة «شيزر» . وهو من الكتاب المشهورين . توفي في دمشق عـــام ٥٨٤ هـ : ١١٨٩ م .

و «شيزر» اليوم قرية متواضعة على نهر العاصي ، وعلى مسيرة ٢٢ كيلومتراً للشمال من بلدة «حماة» .

٣ — صبح الأعشى : ٨٦/٤ .

المعروفة على طريق الحج . والرمثا كلمة سريانية بمعنى العلو والارتفاع .

(٤) جَرَش : تقع على مسافة ٢٥ كيلومتراً للجنوب الشرقي من عجلون . ترتفع عن سطح البحر ٦٠٠ متر. سكانها ٣٢٧٩٦ نسمة. مياهها كثيرة وبساتينها نضرة . بناها اليونانيون في القرن الثاني قبل الميلاد . ودخلت في حوزة العرب المسلمين على يد الصحابي « شُرَحبيل بن حَسَنَة » في عهد الفتوح . ولكثرة آثارها التاريخية التي تعود الى أيام اليونان والرومان والبيزنطيين يؤمها السياح من مختلف الأقطار .

(٢) جبال البلقاء[1] :

وتمتد بين نهري الزرقاء والموجب . ترتفع بين ٨٥٠ — ١٠٠٠ متر عن سطح البحر . وكانت تعرف باسم « جبال عَمُّون » . تكثر على هذه الجبال الأشجار والزروع — من حبوب وخضار — وبساتين الكروم والزيتون وغيرها . وتملأ سهولها ووديانها قطعان الماشية . وعرفت منطقة البلقاء بجودة حنطتها وكثرتها، ويضرب بها المثل[2] .

ومن المدن التي تقع على هذه الجبال أو في منطقتها :

(١) الزرقاء : تقع على مسيرة ٢٢ كم شمالي عمان . ترتفع عن سطح البحر ٦١٠ أمتار . بها ٩٦٠٥٥ نسمة .

(٢) عمّان : بفتح أوله وتشديد ثانيه وألف ونون . ويقال أيضاً « عمان » بتخفيف الميم[3] . كانت عاصمة العمُّونيين الآتي ذكرهم واليهم نسبتها . وفي عهد اليونان ، في القرن الثالث قبل الميلاد ، دُعيت باسم « فيلادلفيا » بمعنى « المحبة الأخوية » . وذكر « اصطيفانوس البيزنطي» انها كانت تعرف باسم « أستارتي —

---

١ — ذكروا ان كلمة « بلقاء » مشتقة من « البلق » بمعنى سواد وبياض مختلطان . قيل أبلق وبلقاء . والأبلق حصن السموأل كان مبنياً بحجارة بيض وسود . والبلقاء أيضاً كورة كبيرة بين « منبج » و « حلب » . واما قرية البلقاء فهي من أعمال منطقة « معرة النعمان » في شمال سورية .

٢ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً . ص ٦٦ .

٣ — معجم ما استعجم ٣/٩٧٠ .

Astarty »[1] .

وفي الفتوحات العربية الاسلامية نزلت جيوش « يزيد بن أبي سفيان» عمان. ولما قسم بر الشام الى أجناد – محافظات – كانت عمان من جملة المدن الواقعة ضمن جند فلسطين الممتد من رفح الى اللجون ، ومن يافا الى عمّان . بها كثير من الآثار القديمة . وجامعها الكبير ، بني على الأرجح في العصر العباسي . وصفه المقدسي بأنـــه « جامع ظريف بطرف السوق ، مُفَسْفَس الصحن شبه مكة[2] » . كما وصف المدينـــة بقوله : « عمّان ، على سيف الباديـــة ، ذات قرى ومزارع . ورستاقها البلقاء ، معدن الحبوب والأغنام . بها عدة أنهار وأرحية ، يديرهـــا الماء . رخيصة الأسعار ، كثيرة الفواكه[3] » .

وقد نسب اليها ياقوت (معجم البلدان ؛ ١٥٢/٤) اثنـين من الفقهاء ورواة الحديث . وهما : (١) أسلم بن محمد بن سلامة بن عبدالله بن عبد الرحمن أبو دفافة الكناني العماني. توفي عام ٣٢٤ هـ أو ٣٢٥ (٢) ابو الفتح نصر بن مسرور الزهري العُمّاني .

تقع عمان على خط العرض ٥٧َ ٣١° شمالاً، وعلى خط الطول ٥٧ ٣٥° شرقي غرينتش ؛ وترتفـع «٧٩٠» متراً عن سطح البحر وهي اليوم عاصمـــة المملكة الأردنية الهاشمية . وفي المدة الأخيرة اتسعت وعظمت تجارتها وبلغ عدد سكانها ٢٢١،٢٤٤ نسمة .

بلغ معدل الامطار التي سقطت في عمان لمـدة عشر سنوات ٣١٨ مليمتراً ، كما بلغ مجموع الأمطار التي هطلت خلال عـــام ١٩٦١ (٣٥٦،٥) مم . وبلغت أعلى درجة في عمان في العام المذكور ٣٩،٢° مئوية : ١٠٣ ف° . وكان ذلك في حزيران وأدناها كانت « – ٢،٦° » مئوية وذلـــك في تشرين الثاني . ومعدل الرطوبة النسبية كان في تلك السنة ، يتراوح بين ٩٣ و ٢١ .

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٦٦/٣ لجواد علي ، بغداد ١٩٥٣ و« اصطيفانوس » هذا توفي حوالي عام ٦٠٠ م .
٢ و ٣ – أحسن التقاسيم ١٧٥ .

والمسافات الآتية ، وهي بالكيلومترات ، تبين لك بُعد عمـــان عن بعض المدن والمواقع :

العقبة : ٣٣٥ البحر الميت : ٥٨ الحدود السورية : ٩١ معان: ٢١٦ مأدبا : ٣٣ إربد : ٨٨ جرش : ٤٨ الرمثا : ٨٧ سرغ (المدورة): ٣٥٠ الحدود العراقيـــة : ٣٤٣ الكرك : ١٢٤ وادي موسى : ٢٦٢ الرجيب[1] : ١٢ .

(٣) السَّلْط : تقع شمال غربي عمّان . وعلى مسيرة ٢٩ كم منهـا : بلغ معدل المطر الذي سقط فيهـــا خلال المدة الواقعة بين عامي ١٩٤٠ — ١٩٥٠ (٧٨١) مم ، كما بلغ معدل الأيام الممطرة لتلك المدة (٤٣،٣) يوماً . وفي السلط ١٦،١٧٧ نسمة . واشتهرت منذ القديم بعنبها اللذيذ وبرمانها [2] . ولعل اسمها مشتق من الكلمة اللاتينية « Saltus » بمعنى « الغابة » وقد تكون من كلمة « Salta — سلطا [3] » السريانية بمعنى الصوّان والحجر القاسي . إن قلعتهـــا الواقعة على قمة أكمة والتي تشرف على جميع البلدة بنيت في عهد ولايـة « أيبك ابن عبدالله » في أيام « المعظم عيسى بن العـادل بن أبي بكر بن أيوب » الأيوبي عام ١٢٢٠ م . ثم أعاد بناءها الظاهر بيبرس عام ١٢٦١ م .

ويقع « جبل يوشع » في شمال السلط ويرتفع ٣٦٠٠ قـدم عن سطح البحر وتعتبر مناظره من أجمل ما تقع عليه العين في شرقي الأردن .

(٤) مأدبا : من أقدم مدن شرقي الأردن . دمّرها الفرس في غزوتهم للبلاد عام ٦١٤ م. وبقيت خربة إلى أن أُعيد بناؤها في عام ١٨٨٠ م حين نزلها بعض سكان الكرك . وقـــد عثر فيها على بقايا كنيسة قديمـــة تضم أرضها قطعة من الفسيفساء تمثـــل خريطة فلسطين وجوارها ترجع بعهدها الى القرن الخامس

---

١ — وهم بعض المؤرخين وقالوا ان قرية « الرجيب » في جنوبي عمان هي قريـة « الرقيم » التي آوى اليها اصحاب الكهف . والرأي المعول عليه اليوم هو أن الكهف المذكور يقع في آسيا الصغرى .

٢ — بلدانية فلسطين العربية ص ١٣٢ .

٣ — « سلطا » أيضاً ، قرية من أعمال صور في الجمهورية اللبنانية .

أو السادس الميلادي .

في مأدبا اليوم « ١١٬٢٢٤ » نسمة تعلو ٧٨٥ متراً عن سطح البحر وتقع في جنوبي عمان ، على مسافة ٢٣ كم منها .

(٣) جبال الكرك :

تمتد بين « الموجب » و « وادي الحسا » . ترتفع بين ١١٠٠ — ١٢٠٠ متر . وهي بوجه عام أراض زراعية تزرع فيها انواع الحبوب المختلفة والفواكه فضلاً عن انها اراض ترعى فوقها المواشي والأغنام . والراجح انها كانت قديماً مغطاة بالغابات التي لم يبق منها الا القليل . فكانت جبال الكرك تعرف قديماً باسم « جبال موآب » نسبة الى الموآبيين الذين نزلوها من الجزيرة العربية منذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة . وتقع عليها مدينة الكرك التي ترتفع عن سطح البحر ١٠٠٠ متر وعلى مسيرة ١٢٧ كيلومتراً من عمان ، بها ٧٤٢٢ نسمة .

والكرك لفظة سريانية بمعنى « حصن » او « المدينة المستديرة المحصنة » . وفي بلاد الشام بقاع عديدة تعرف بهذا الاسم . والراجح ان مدينة الكرك الحالية كانت عاصمة الموآبيين وكثيراً ما كانت تعرف باسم مدينة (موآب) . استولى المسلمون ، في فتوحهم للشام ، على الكرك صلحاً وباستيلائهم عليها فتحوا الطريق لجيش عمرو بن العاص بأن يتقدم في جنوبي فلسطين بعد موقعة «الغَمْر» في وادي العربة .

ولما استولى الصليبيون على « الكرك » أقاموا فيها قلعتها الحصينة في نحو عام ٥٣٧ هـ : ١١٤٢ م وكانت تعتبر من أمنع المعاقل وأحصنها . وفي عهد المماليك والعثمانيين أضيفت لهذه القلعة اضافات كثيرة .

وينسب الى الكرك علماء وقضاة عديدون .

بلغ معدل سقوط المطر في هذه المدينة من عام ١٩٣٧ — ١٩٥٤ (٣٨١)مم .

ومن القرى التي تقع في جبال الكرك (الربّة ١٠٧٣ نسمة) ، على مسيرة ١٨ كم للشمال من الكرك . وعلى رأي بعض الباحثين انها بنيت في عهود الرومان

المتأخرة .

و « مؤتة ١١٠٦ نسمات » على مسيرة ١١ كيلومتراً للجنوب من الكرك . اشتهرت هي ونواحيها ، قبيل الاسلام ، بصنع السيوف المشرفية (نسبة الى مشارف الشام) . وفيها وقعت المعركة المشهورة بين الروم والمسلمين في عام ٨ هـ : ٦٢٩ م . وقد جعل الرسول عليه السلام عليها ثلاثة من خيرة أصحابه هم : زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة . ولم توفق غزوة مؤتة ، وقد استشهد قادة الحملة واحد بعد واحد . ولم تستطع البقية الانسحاب الى المدينة المنورة الا بفضل خالد بن الوليد . ولحسن تصرفه في جمع شمل الجيش قال رسول الله عنه « اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره » ومنذ ذلك اليوم لقب خالد بن الوليد بلقب سيف الله .

وقرية « المزار ١١٤٠ متراً و ١٥٦٨ نسمة » . تقع في ظاهر مؤتة . وتضم قبور الشهداء العظام الذين استشهدوا في معركة مؤتة وهم : زيد بن حارثة وجعفر ابن أبي طالب وعبدالله بن رواحة وغيرهم .

قال ابن فضل الله العمري : [قبر جعفر الطيار[1] بقرية مؤتة من أعمال كرك الشوبك . وبها أيضاً قبر زيد بن حارثة ، وقبر عبدالله بن رواحة ، والحارث بن النعمان ، وعبدالله بن سهل ، وسعد بن عامر القيسي ، وأبي دُجَانَه الأنصاري : استشهدوا رضي الله عنهم في غزوة مؤتة وهي غزوة مشهورة)[2]. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ١٤١/٤ ان الصحابي «مسعود بن سويد » كان من جملة الذين استشهدوا يوم مؤتة .

ودفن في جوار هؤلاء « الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الملك العادل

---

١ - قال القلقشندي (صبح الأعشى ٣٦٠/١) : القاهرة : ١٩٢٤ م . « ومن ولد جعفر ابن أبي طالب أقوام ببلاد الشام بوادي بني زيد - في فلسطين - وبصرخد وبلادها وفي بعض قرى دورعا جماعة يدعون أنهم من نسله) .

٢ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٢١٨ .

الأيوبي » . دفن في بيت المقدس في مدرسة بنيت له ثم نقل بعد ذلك الى المزار .

هذا وقد بلغ معدل الأمطـار التي تساقطت على قرية المزار خلال ١٩٤٠ — ١٩٥٠ (٤٠١) من المليمترات كما بلغ معـدل عدد الأيام الممطرة ، لتلك المدة ، ٣٨,٣ يوماً .

(٤) جبال الطفيلة :

تقع بين وادي الحسا والشوبك[1] . تكاثر فيها الغابات والينابيـع. تقع عليها مدينة الطفيلة . وهي بلدة غزيرة المياه تحيط بها غابات الزيتون والتـين . ترتفع عن سطح البحر بنحو ١٠٠٠متر . بلغ معدل أمطارها السنوي لمدة أربع سنوات ٢٤٩ مم . سكانها ٤٥٠٦ نسمات .

والطفيلة بلدة قديمـة تقوم على البقعة التي كانت عليهـا مدينة « توفل » الآدومية . ومنهـا اسمها الحالي . و « طفَيْل » من جذر آرامي وسشترك بين لغات سامية أخرى ويعني الطين والغري والحمْأة .

ذكر ياقوت الطفيلة (معجم البلدان ٣٧/٤) بقوله « وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لها « طفيل » .

والكيلومترات الآتية تبين بُعد الطفيلة عن غيرها من الأماكن :

وادي موسى: ٨٤ الشوبك: ٥٤ معان : ١٠٣ غور الصافي : ١٢١
أريحا : ٢٣٠ الكرك : ٦٦ عمان : ١٨٧ .

(٥) جبال الشَّرَاة :

تمتد من الشوبك حتى « رأس النَّقَب — ٢٢٥ نسمة » الواقـع في الجنوب الشرقي من محطـة السكة الحديدية المسماة باسمه ، وعلى مسيرة ٣٨ كم من معان .

---

١ — قلعة الشوبك ، أقامها الصليبيون عام ٥٠٨ هـ : ١١١٥ م ، جددها العرب عـام ٦٤٦ هـ : ١٢٤٨ م . وترى بقاياها على تلة ترتفع ١٣٣٠ مـتراً عن سطح البحر . تقع على مسافة تقرب من خمسة كيلو مترات من بلدة « نجل » - بفتح أوله وكسر ثانيـه - مركز المنطقة (٤٦٢٠ نسمة) . وتقع نجل هذه على مسيرة نحو ٥٠ كيلومتراً من معان .

والنسبة إليه « شَرَوِيّ ». وتكثر في هذه الجبال السهول والمرتفعات وتتخللها أودية عميقة . ومن قممها « جبل هارون ١٣٣٦ متراً » للجنوب الغربي من البتراء و « جبل مبرك ١٧٢٧ م » وغيرها .

(٦) حِسْمَى :

بالكسر ثم السكون ، مقصور على بناء « فِعْلَى » . وتقع جنوبي جبال الشراة وتمتد حتى حدود الحجاز . وفيها « جبل رَمّ » . أعلى قمة في جنوبي بلاد الشام . يعلو ١٧٥٤ متراً عن سطح البحر ويقع على مسافة ٢٥ ميلاً للشرق من العقبة . تتوفر فيه المياه الغزيرة . وقمة « جبل أم عشرين ١٧٥٣ متراً » وتقع شرقي رم ، وبالقرب منه . وغيرها .

واشتهرت حسمى قديماً بكرومها وصنوبرها وتمرها المعروف باسم « اللين ».

* * *

وتقع شرقي سلسلة جبال شرقي الأردن المار ذكرها ، هضبة تمتد الى الشرق حتى البادية. ويمكن تحديد الجهة الشرقية لهذه الهضبة بالخط الحديدي الحجازي وأهم المدن التي تقع في هذه الهضبة :

١ — المفرق :

ترتفع عن سطح البحر ٧٠٠ متر . تقع للجنوب الشرقي من « إرْبد » وعلى مسافة ٤٨ كيلومتراً منها. تقع على مفترق الطرق (ومنها اسمها الحالي) الذاهبة الى دمشق شمالاً وعمان جنوباً وبغداد شرقاً . وفيها مطار كبير . سكانها ٩٤٩٩ نسمة وتبعد المفرق عن الحدود السورية بـ ٤٤ كم وعن الحدود العراقية ٢٧١ كم وعن عمان ٧٢ كم وعن إربد ٤٧ كم .

وقد بلغ مجموع الأمطار التي سقطت في المفرق عام ١٩٦١ م ١٥٩,١ مم . وبلغت أعلى درجة للحرارة ، في تلك السنة ٣٩,٩° مئوية في حزيران. واما أدنى درجة للحرارة فكانت (— ٦,٥°) مئوية في تشرين الثاني . وتراوح معدل الرطوبة في ذلك العام بين ٣٠ و ٩٣ .

والمفرق هي « الفَدَيْن[1] » القديمة . سكنها خالد بن يزيد الأموي[2] . وتوفي ودفن فيها الفقيه « عبدالرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق[3] » . وفي أيام المأمون العباسي اشتهر منها « سعيد بن خالد الفديني الأموي » الذي يتصل نسبه بعثمان بن عفان، مدعياً الخلافة ولكن العباسيين تمكنوا من تشتيت شمله[4].

(٢) معان :

تقع جنوبي عمّان وعلى مسيرة ٢١٦ كم منها[5] . تعلو ١٠٨٠ متراً عن سطح البحر . بها ٦٦٤٣ نسمة . بلغ مجموع الأمطار التي سقطت في معان خلال عام ١٩٦١ (٥١و٧) مم ، كما بلغ معدل ما سقط فيها للمدة الواقعة بين ١٩٣٧ — ١٩٥٤ (٤٧) مم . وفي عام ١٩٦١ بلغت أعلى درجة للحرارة في معان ٤٠ °C مئوية وذلك في حزيران . كما بلغت أدنى درجة للحرارة في شباط حيث بلغت -٤ °C مئوية . وأما معدل الرطوبة النسبية ، في تلك السنة فكانت تتراوح بين ٢٧ و ٩٣ .

وتبعد معان بما يأتي من الكيلومترات عن المدن والأماكن المذكورة أدناه :

الشوبك : ٤٩ نَجِيل (وادي موسى) : ٥٠ العقبة : ١٢١ رم : ٧٥ الغَرَندَل : ٩٠ غور الصافي : ٢٠٥ أذْرُح : ٢٥ تقع بين الشوبك ومعان . قلعة المدورة (سرغ) : ١١٤ تقع على الحدود الأردنية — السعودية .

والمَدْيَنيّون قوم شعيب النبي العربي من أقدم من سكن معان وجوارها ،

---

١ — القصور الأموية ٨ لمحمود العابدي . عمان ١٩٥٨ .

٢ — حكيم قريش وعالمها في عصره. اشتغل بالكيمياء والفلك والطب. وألف فيها رسائل. أحضر جماعة من علماء اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية . وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة . توفي في دمشق عام ٨٥ هـ : ٧٠٤ م .

٣ — من أحفاد أبي بكر الصديق التيمي القرشي . من سادات أهل المدينة فقهاً وعلماً وديانة وحفظاً للحديث واتقاناً . توفي عام ١٢٦ هـ : ٧٤٤ م .

٤ — معجم البلدان ٤/٢٤٠ .

٥ — إن طول الخط الحديدي الذي يربط محطة معان بمحطة عمان هو ٢٣٧ كم .

ولما قسم المسلمون بلاد الشام الى مقاطعات كانت معان تابعة لمقاطعة – جند – فلسطين التي كانت عاصمتها الرملة . وذكر لفيف من مؤرخي العرب أن بني أمية كانوا يسكنون « معان » هم ومواليهم .

و « معان » أيضاً قرية في سورية من أعمال « حماة » وعلى بعد ٢٦ كم منها .

* * *

وللشرق من الهضبة المار ذكرها تقع البادية الواسعة التي تفصل الشام عن العراق . وفيها بعض الواحات مثل « الأزْرَق » ، تنبت فيها بعض الأعشاب التي ترعاها أغنام البدو ودوابهم . وغيرها .

وفي بادية الأردن أنشأ الأمويون قصوراً فاخرة منها « قصر الخرّانة » ويقع في الجنوب الشرقي من عمان وعلى مسيرة ٦٤ كم منها . و « قصر الأزرق » ، وقد عاش فيه الوليد الثاني الأموي وقتاً طويلاً ، ويقع في الشمال الشرقي من « قصر الخرّانة » وعلى بعد ٤٢ كم منه . و « قُصَيْر عَمْرَة » في الجنوب الغربي من « قصر الأزرق » وعلى بعد ٢٢ كم منه . و « قصر الطوبَة » في جنوبي « قصر الخرانة » ، و « قصر المُشَتّى » يقع في نحو منتصف طريق عمان – قصر الخرانة ؛ وغيرها .



بلادُنَا فِلسطِيْن في القُرآن الكريم
وَالاَحَاديث النَّـبَوية



« بلادنا ـ فلسطين ـ في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة

ذكر الله عز وجل « بلادنا » في كتابه العزيز اكثر من مرة ، كما ان النبي ﷺ حدثنا عنها شتى الأحاديث . وعليه رأيت أن أثبت فيما يلي تلك الآيات الكريمة والأحاديث النبوية .

الآيات الكريمة :

الإسراء : قال الله تعالى « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير[1] » .

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله باركنا حوله : فلسطين والأردن[2] . وقال ابو القاسم السهيلي : قوله الذي باركنا حوله يعني الشام [3] . وقيل باركنا حوله بمقابر الانبياء . وقالوا سمّاه مباركاً لأنه مقر الانبياء وقبلتهم ومهبط

---

١ ـ سورة الإسراء . الآية الأولى . ومساحة الحرم القدسي اليوم (١٤٤٠٠٠)متر مربع . أي ما يعادل سدس مساحة القدس القديمة .

٢ ـ أي محافظتي فلسطين والأردن ، كما كانت معروفة في صدر الاسلام . وكانت تشمل ما يعرف اليوم باسم « فلسطين » و « شرقي الأردن » مضافاً اليها درعا وصور ونواحيها .

٣ ـ قال ياقوت عن حدود الشام ما يأتي : « واما حدها فمن الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، واما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة الى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد وبها أمهات المدن منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة ، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان «وغير ذلك» ـ معجم البلدان: ٣٠٣ ـ ٣١٢ ـ ٣١٣ .

الملائكة والوحي وفيه يحشر الناس يوم القيامة(١) .

٢ – المعراج :

وهو العروج بالرسول عليه الصلاة والسلام الى السماوات العلى ، من الصخرة المشرفة في بيت المقدس ، في الليلة التي كان فيها الإسراء .

وقد اشتملت آيات من القرآن الكريم ما يثبت المعراج . ذلك قوله تعالى في سورة النجم ، في الإخبار عن رؤية النبي ﷺ لسيد الملائكة جبريل عليه السلام ، [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى](٢) .

وقد رجح العلماء ان الإسراء والمعراج كانا في ٢٧ رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة أشهر ، تاريخ فرضية الصلوات الخمس .

٣ – القبلة :

إن رسول الله ﷺ كان يصلي وأصحابه بمكة الى جهة الكعبة ، ولما هاجر الى المدينة أمره الله عز وجل أن يصلي نحو القدس ، وبقيت صخرة هذه المدينة قبلة المسلمين مدة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً(٣) .

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »(٤)

وقالوا : ان تحويل القبلة من القدس الى مكة كان في يوم الثلاثاء منتصف شهر

---

١ – الأنس الجليل بتاريخ بيت المقدس والخليل . لمجير الدين المقدسي ص ٤ ونهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٢٦/١ للنويري . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢هـ: ١٩٢٣م.

٢ – الإسراء والمعراج للشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر : ص ٣٤ القاهرة ١٣٧٥ هـ : ١٩٥٦ م .

٣ – الأنس الجليل : ص ١٢٠ – ١٢١ .

٤ – سورة البقرة : ١٤٤ .

شعبان وقيل في رجب من السنة الثانية من الهجرة النبوية .[1]

وما زال « مسجد القبلتين » في ظاهر المدينة يضم قبلتين : الأولى منهما متجهة للشمال نحو بيت المقدس ، والثانية الى الجنوب وتتجه نحو الكعبة .

(٤) الأرض المباركة :

لما وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام ان نصائحه لم تنفع مع قومه في بلاد ما بين النهرين ، وانهم أرادوا قتله ؛ نجاه الله هو وابن أخيه الى فلسطين ، الى الأردن التي بارك فيها للعالمين . «ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين [2]».

وقد روى الامام ابن جرير الطبري بسنده في تفسيره عن أبيّ بن كعب والحسن البصري رضي الله عنهما، كما روي أيضاً عن إبن جريج وابن زيد بن ثابت أن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي الشام .

قال الله تعالى « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين[3] .

اتفق النيسابوري وابن جرير على ان المراد بالقرى التي بارك الله فيها ، بلاد الشام .

(٥) الأرض المقدسة :-

لما دخل موسى عليه السلام وقومه صحراء التيه طلب إليهم أن يتشجعوا ويدخلوا « فلسطين » لامتلاكها، إلا أنهم كانوا قد ألفوا الذل في أرض الفراعنة، فتمكن الصغار والهوان من نفوسهم ، فلم تكن لهم قوة على الدخول الى هذه البلاد التي دعاها الله عزّ وجل بالأرض المقدسة . والآية الكريمة الآتية توضح جميع ما تقدم :

---

١ — الأنس الجليل ١٢١ .
٢ — سورة الأنبياء : ٧١ .
٣ — سورة سبأ : ١٨ .

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون [1] » .

قال الزجّاج : والمقدسة المطهرة . وقيل سماها مقدسة لأنها طهرت من الشرك . وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين . قال الكلبي : إن الأرض المقدسة هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن . وقال قتَادة : هي الشام كلها [2] .

وفسر المرحوم السيد محمد رشيد رضا « يا قوم ! ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، بقوله : [المقدسة المطهرة من الوثنية لما بعث الله فيها من الأنبياء دعاة التوحيد. وفسر «مجاهد» المقدسة بالمباركة. ويصدق بالبركة الحسية والمعنوية، وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبل : « إن الأرض المقدسة ما بين العريش الى الفرات . وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة أنها الشام . والمعنى واحد ، فالمراد بالقولين القطر السوري في عرفنا . وهذا يدل على أن هذا التحديد لسورية قديم ، وحسبنا أنه من عرف سلفنا الصالح . وقالوا إنه هو مراد الله تعالى ، ولا أحق ولا أعدل من قسمة الله تعالى وتحديده . وفي اصطلاح بعض المتأخرين أن سورية هي القسم الشمالي الشرقي من هذا القطر ، والباقي يسمونه فلسطين ، أو بلاد المقدس ، والمشهور عند الناس أنها هي الأرض المقدسة . والقول الأول هو الصحيح » [3] .

(٦) قال الله تعالى :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [4] » قيل في أحد الأقوال إنها الأرض المقدسة ، ترثها أمة محمد ﷺ [5] .

١ – سورة المائدة : ٢٣ و ٢٤ .
٢ – نهاية الأرب في فنون الأدب : ١/٣٢٥ .
٣ – الجزء السادس من تفسير القرآن الحكيم ٣٢٤ و ٣٢٥ تأليف السيد محمد رشيد رضا مطبعة المنار مصر ١٣٣٠ هـ .
٤ سورة الأنبياء : ١٠٥ .
٥ – الأنس الجليل ٤ : ١ و ص ٥٣ من الاعلام بفضائل الشام للمنيني . القدس .

(٧) قال الله تعالى :

« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين [١] » . قال ابن عباس في تفسيرها : التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين وطور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام . وهذا البلد الأمين : مكة .

(٨) قال الله تعالى :

« واستمع يوم يُنادِ المُنادِ من مكان قريب[٢] » . قال يزيد بن جابر في هذه الآية : يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس ، فينفخ في الصور ، فيقول : أيتها العظام النـخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار المتقطعة ، ان الله يأمرك ان تجتمعي ليوم الحساب[٣] . وروى عن قتادة في الآية من صخرة بيت المقدس[٤] .

(٩) قال الله تعالى :

« في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدوّ والآصال[٥] » يعني به بيت المقدس[٦] .

(١٠) قال الله تعالى :

« وحشر لسليمان جنوده من الجن والأنس والطير فهم موزعون . حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون[٧] » .

ويقع « وادي النمل » هذا في فلسطين بجوار « عسقلان » .

(١١) ولما أبتدأ « هيرودوس » بقتل كل طفل يولد في بيت لحم آوى الله عز وجل سيدنا عيسى عليه السلام وامه الى بيت المقدس .

---

١ — سورة التين : ١ و ٢ و ٣ .
٢ — سورة ق : ٤١ .
٣ و ٤ — مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١/١٣٨ .
٥ — سورة النور : ٣٦ .
٦ — الأنس الجليل ١٤٤ .
٧ — سورة النمل ١٧ و ١٨ .

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين »[١]. قال ابن عباس : هي بيت المقدس . وهو قول قتادة وكعب [٢] . وعن الحسن وأبي هريرة أنها فلسطين .

(١٢) قال الله تعالى :

« فضرب بينهم بسور له باب. باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب[٣]». وعن أبي العوام ، مؤذن بيت المقدس ، قال : سمعت عبدالله بن عمر يقول : إن السور الذي ذكره الله في القرآن بقوله « فضرب بينهم بسور له باب » هو سور بيت المقدس الشرقي . باطنه فيه الرحمة : المسجد . وظاهره من قبله العذاب : وادي جهنم[٤] .

« بعض الاحاديث النبوية »

(١) « إن الله بارك فيما بين العريش الى الفرات . وخص فلسطين بالتقديس »[٥] . وفي رواية أخرى :

« إن الله بارك في الشام ، من الفرات الى العريش [٦] » .

(٢) وفي صحيح البخاري والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم بارك لنا في شامنا [٧] »

(٣) أخرجه الترمذي من حديث زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، أنه قال : « كنا يوماً عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لأهل الشام . فقلت : لِمَ ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأن

---

١ — سورة المؤمنون ٤٦ .
٢ — الأنس الجليل : ١٤٤ .
٣ — سورة الحديد : ١٣ .
٤ — الأنس الجليل ١٤٤ ونهاية الأرب في فنون الأدب : ١/٣٣٥ .
٥ — صبح الأعشى : ٤/٧٢ والتاريخ الكبير لابن عساكر ١/٣٤ دمشق ١٣٢٩هـ .
٦ — معجم ما استعجم ٣/٩٣٨ .
٧ — الإعلام بفضائل الشام للمنيني : ٥٧ .

.ملائكة باسطة أجنحتها عليه »[1] .

(٤) عن واثلة بن الأسقع [2] قال: قال رسول الله ﷺ: « يجند الناس أجناداً، فجنداً بالشام وجنداً باليمن، وجنداً بالعراق، وجنداً بالمشرق وجنداً بالمغرب. فقلت يا رسول الله ! إني رجل حديث السن فإن أدركت ذلك الزمان فأيها تأمرني يا رسول الله ! قال: عليكم بالشام . فإنها صفوة الله تعالى في أرضه، يسوق اليها صفوته من خلقه، فإذا أبيتم فعليكم باليمن فاسقوا بغُدُره [3] وقد تكفل الله تعالى لي بالشام وأهله [4] » .

(٥) وعن عبدالله بن حوالة الأزدي[5] قال: قلت يا رسول الله ! خِر لي[6] بلدا أكون فيه، فلو علمت أنك تبقى لم أختر على قربك شيئاً . فقال: « عليك بالشام ثلاثاً » . فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم كراهيتي لها، قال: « هل تدري ما يقول الله في الشام ؟ « إنه يقول: « يا شام يدي عليك يا شام . أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرة عبادي، أنت سوط نقمتي وسوط عذابي أنت الأنذر[7]، وعليك المحشر . ورأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون ؟ قالوا: عمود الاسلام،

---

١ صبح الأعشى: ٤/٧٢ وفضائل الشام ودمشق للربعي، دمشق ١٩٥٠ ص ٤ وترغيب أهل الاسلام في سكنى الشام للسلمي القدس ١٩٤٠ ص ١١ .

٢ - هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي الكناني . صحابي . أسلم قبل غزوة تبوك . وشهدها مع النبي . ثم نزل الشام وشهد فتح دمشق وحمص وغيرها . وأخيراً سكن « بيت جبرين » وتوفي فيها في خلافة عبد الملك بن مروان عام ٨٣ هـ : ٧٠٢ م بعد ان عاش ما يقرب من ١٠٠ سنة . وقيل دفن في بيت المقدس .

٣ - الغدر بضمتين . والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يتركها السيل في مكان منخفض .

٤ - التاريخ الكبير لأبن عساكر ١/٢٧ وفضائل الشام ودمشق ص ٥ .

٥ - عبدالله بن حوالة (بفتح الحاء وتخفيف الواو) . صحابي . نزل الشام وسكن (جند الاردن) ومات فيها عام ٥٨ هـ وقيل عام ٨٠ هـ .

٦ - بمعنى تخير لي .

٧ - تناذر القوم أي خوف بعضهم بعضاً . فالأنذر معناه الأكثر تخويفاً من غيره .

أمرنا أن نضعه بالشام . وبينا أنا نائم إذ رأيت الكتـــاب إختلس[١] من تحت وسادتي فظننت أن الله تخلى عن أهل الارض ، فاتبعه بصري فاذا هو بين يدي حتى وضع بالشام . فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فإن الله قد تكفل بالشام وأهله[٢] » .

(٦) عن عبدالله بن عمر بن الخطاب قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تخرج نار من حضرموت ، أو من نحو حضرموت فتسوق الناس . قلنا: يا رسول الله ! ما تأمرنا . قال : عليكم بالشام . وفي بعض ألفـــاظه ستخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت تحشر الناس . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ! قال: عليكم بالشام[٣] . أشار ﷺ بالشام عنـد خروج النار لعله بأنهــا خير للمؤمنين من غيرها[٤] .

(٧) عن ابن عباس قال : قال رجل يا رسول الله ! إني أريد الغزو في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ ، عليك بالشام . فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله. ثم الزم من الشام عسقلان . فـإنه اذا دارت الرحى في أمتي كان اهل عسقلان في راحة وعافية[٥] .

(٨) قال عبدالله بن عمرو بن العاص : غزونا مع معاوية مصر فنزلنا منزلاً . فقلت لمعاوية . أتأذن لي أن أقوم فوق فرسي في الناس، يعني خطيباً، فأذن له . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رأيت في المنام أن عمود الكتاب حمل من تحت وسادتي فاتبعته بصري فاذا هو كالعمود من النار يعهد به الى الشام . ألا وإن الايمـان ، اذا وقعت الفتن ، بالشام يقولهـــا

١ - أي أخذ واستلب ؛ والوسادة المخدة .

٢ - التاريخ الكبير لابن عساكر الأول ص ٢٧ . وفضائل الشام ودمشق ص ١٢ - ١٣ والاعلام بفضائل الشام للمنيني ٥٤ - ٥٥ .

٣ - التاريخ الكبير لابن عساكر ٢٩/١ وفضائل الشام ص ١٤ .

٤ - ترغيب أهل الشام في سكنى الشام للسلمي ص ٩ .

٥ - التاريخ الكبير لابن عساكر : ٣٠/١ .

ثلاثاً[١] » .

(٩) عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : «أنزلت عليّ النبوة في ثلاثة أمكنة : بمكة والمدينة[٢] وبالشام[٣] » .

(١٠) روى الامام أحمد رضي الله عنه في مسنده عن أبي امامة الباهلي ، ان رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله ! وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس ، وأكناف[٤] بيت المقدس[٥] » .

(١١) عن عطاء قال : « لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيارَ عباده الى بيت المقدس والى الأرض المقدّسة فيسكنهم اياها[٦] » .

(١٢) عن كعب قال : قال الله عز وجل لبيت المقدس : « أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي . من سكنك فبرحمة مني ، ومن خرج منك فبسخط مني عليه[٧] » .

(١٣) عن معاذ ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ ! إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي : من العريش الى الفرات . رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة [٨] » .

(١٤) روى سلمة بن نفيل الحضرمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها ، وقال ألا قتال ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لئن جاء القتال ، لا تزال طائفة من أمتي

---

١ – التاريخ الكبير ابن عساكر : ٣١/١ .
٢ – حينما أسري به الى بيت المقدس .
٣ – التاريخ الكبير ابن عساكر : ٣٦/١ .
٤ – في نواحيه .
٥ – نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣٣٣/١ والانس الجليل : ٤٤ .
٦ و ٧ – أحاديث منقولة عن نهاية الارب : ٣٣٣/١ .
٨ – الأنس الجليل ١٤٥ .

ظاهرين على الناس ، يزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهـــم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك . ألا ان عقر دار المؤمنين الشام ، والخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة » . أخبر صلى الله عليـــه وسلم في هذا الحديث بالردة التي تقع ممن أراد الله أن يزيغ قلبـــه عن الاسلام ، فأشار عليـــه بقتال المرتدين ثم بسكنى الشام. إشارة منه الى أن المقام بها رباط في سبيل الله، وإخبار بأنها ثغر الى يوم القيامة[1] .

(١٥) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال : « فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة الف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة » . رواه الإمام احمد رضي الله عنه [٢] .

(١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تشدا الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى[٣] » .

(١٧) حدث أبو الوليد ، قال : حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت قـزَعة مولى زياد ، قال : سمعت أبا سعيد الخُدْري رضي الله عنـه يحدث بأربع عن النبي ﷺ فأعجبنني وآنقنني قال: لا تسافر المرأة يومين الا معها زوجها أو ذو محرم . ولا صوم في يومين : الفطر والأضحى ، ولا صلاة بعـد صلاتين : الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب . ولا تشدا الرحـــال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ومسجد الأقصى ومسجدي[٤] .

(١٨) حديث الأسراء :

حدث يحيى بن بُكير ، قال حدثنا الليث عن عُقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سَلمة بن عبدالرحمن سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس ، فطفقتُ

١ – ترغيب أهل الاسلام في سكنى الشام للسلمي ١٠ – ١١ .
٢ – الانس الجليل . ١٤٥ .
٣ – صحيح البخاري : ٢/٦٠ القاهرة ١٣١٤ هـ .
٤ – نفس المصدر ٢/٦١ .

أخبرهم عن آياته وأنا انظر اليه[1] » .

وقد ثبت ان النبي ﷺ – وهو الصادق الأمين – قد حدث صبيحة الليلة التي كان فيها الإسراء ، أنه أسري به في تلك الليلة من مكة الى بيت المقدس، حيث المسجد الأقصى وانه قد عاد من ليلته الى مكة وأن اول من حدثهم بذلك ام هاني بنت عمه أبي طالب[2] .

١٩ – المعراج :

حدث الرسول عليه السلام بعروجه ، أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده في السموات من بديع الآيات وما تلقاه من الأمر الالهي بفرض الصلوات الخمس اليومية[3]

وقد ذكر البخاري حديث المعراج في صحيحه فليراجع هناك[4] . هذا ومن المصادفات العجيبة أن صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه تسلم القدس من الأوربيين يوم الجمعة في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ أي في ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم . وهذا اتفاق عجيب ، فقد يسره الله بأن تعود القدس الى أصحابها في مثل زمان الأسراء بالنبي الكريم ﷺ[5] .

(٢٠) روى ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : « إن الجنة لتحن شوقاً الى بيت المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس وهي سرة الأرض[6] » يعني الصخرة .

(٢١) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه ذكر الدّجال وان اليهود يكونون من أعوانه وقال يقتله عيسى بن مريم عليه السلام هو ومن معه من

---

١ – صحيح البخاري ؛ ٥٢/٥ القاهرة ١٣١٤ هـ .
٢ – الاسراء والمعراج للشيخ عبد الرحمن تاج – شيخ الجامع الأزهر ص ٤ .
٣ – أي ان فرض الصلوات الخمس كان في فلسطين ، ليلة الاسراء .
٤ – صحيح البخاري : ٥٢/٥ – ٥٤ .
٥ – سيرة صلاح الدين الايوبي لأبن شداد : ٦٦ .
٦ – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ١٣٨ .

المسلمين (وفي رواية هو ومن معه من العرب) بباب لُدّ[١] .

قال القلقشندي : «وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدّجال بباب لد[٢] » .

(٢٢) وجاء في البخاري : حدثنا الحُمَيْدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عِكْرِمَة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس[٣] » . قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به الى بيت المقدس[٤] .

(٢٣) قالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أفتنا عن بيت المقدس ، قال : نعم المصلى هو أرض المحشر وأرض المنشر ، إيتوه فصلوا فيه . فان الصلاة فيه كألف صلاة . قلت بأبي وأمي أنت ، من لم يطق أن يأتيه . قال : فليُهد له زيتاً يسرج فيه ، فانه من أهدى اليه ، كان كمن صلى فيه[٥] .

(٢٤) قال النبي ﷺ : « أُبَشّرُكم بالعروسين : غزة وعسقلان[٦] » . وقد روي في عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه منها قول عبدالله بن عمر : لكل شيء ذروة وذروة الشام عسقلان[٧] .

(٢٥) وفي الحديث « طوبى لمن رأى عكا[٨] » .

ولما علم الصحابة تفضيل الشام على غيره رحل اليه منهم عشرة آلاف عين

---

١ - التاريخ الكبير ابن عساكر : ١/١٨٧ - ١٩٥ .
٢ - صبح الأعشى ٤/١٠٠ .
٣ - سورة الاسراء : ٦٠ .
٤ - صحيح البخاري : ٥/٥٤ .
٥ - نهاية الارب في فنون الادب للنويري ص ٣٣٢ .
٦ و ٧ - معجم البلدان ٤/١٢٢ .
٨ - معجم البلدان ٤/١٤٤ وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني . بيروت ١٩٦٠ ص ٢٢٣ .

رأت النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الوليد بن مسلم(١) .

* * *

« بعض ما قيل عن الشام – ومنها فلسطين – »

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجلسائه يوماً ، أي الناس أعظم أجراً ؟ فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة ويقولون فلان وفلان بعد أمير المؤمنين . فقال : ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين . قالوا بلى. قال : « رُوَيْجِل بالشام أخذ بلجام فرسه يكلأ(٢) من وراء بَيْضَة المسلمين لا يدري أسبع يفترسه أم هامة(٣) تلدغه أو عدو يغشاه فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين(٤) .

وصف أحد الحكماء لعمر بن الخطاب بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، بما يأتي : [والشام يا أمير المؤمنين مرح خصب ووابل سكب، كثرت أشجاره وأطردت أنهاره ، وغمرت أعشاره وبه منازل الأنبياء والقدس المجتبى،وفيه جل أشراف خلق الله تعالى من الصالحين والمتعبدين ، وجباله مساكن المجتهدين والمنفردين(٥)] .

ووصف الأصطخري المتوفى في نحو عام ٣٤٦ هـ : ٩٥٧ م فلسطين بقوله : [أزكى بلدان الشام . ومدينتها العظمى الرملة . وبيت المقدس تليها في الكبر(٦)] . وقال ابن حوقل المتوفى بعد عام ٣٦٧ هـ: ٩٧٨ م « فلسطين أرضى بلاد الشام (٧) » .

---

١ – ترغيب أهل الاسلام في سكنى الشام : ١٢ والاعلام بفضائل الشام ٧٠ .

٢ – يكلأ : يحفظ وبيضة المسلمين مجتمعهم وموضوع سلطانهم ومستقر دعوتهم .

٣ – الهامة : يقال للدابة والمراد هنا ما كان من ذوات السموم واللدغ .

٤ – التاريخ الكبير لابن عساكر ٥٨/١ .

٥ – مروج الذهب ومعادن الجوهر تأليف علي بن الحسين المسعودي ١٨٨/١ . المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٠٣ هـ .

٦ – المسالك والممالك ص ٤٣ .

٧ – صبح الأعشى : ٨٩/٤ .

وبمثل ذلك وصف الإدريسي المتوفى في نحو عام ٥٦٠ هـ : ١١٦٥ م بقوله : « وديار فلسطين حسنة البقاع ، بلد أزكى بلاد الشام[1] » .

وقال زكريا بن محمد بن محمود القزويني المتوفى عــــام ٦٨٢ هـ : ١٢٨٣ م [... والشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله منزل الأنبياء، ومهبط الوحي، ومحل الأنبياء والأولياء . هواؤها طيب ، وماؤها عذب . وأهلها أحسن الناس خلقاً وخُلقاً وزيّاً وريّاً[2]] .

وقد ذكر فضائل بر الشام وخيراتـــه كل من البشاري المقدسي[3] وياقوت الحموي[4] والنويري[5] وغيرهم من مؤرخي وجغرافيي العرب في مؤلفاتهم .

---

١ – بلدانية فلسطين العربية ص ١٨٢ .
٢ – آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٠٥ .
٣ – توفي في نحو عام ٣٨٠ هـ : ٩٩٠ م .
٤ – توفي عام ٦٢٦ هـ : ١٢٢٩ م .
٥ – توفي سنة ٧٣٢ هـ : ١٣٣٣ م .

فلسطين في عصور ما قبل التاريخ

نزل العرب فلسطين قبل تاريخها المدوّن



فلسطين في عصور ما قبل التاريخ

سكان فلسطين قبل التاريخ

تمهيد :

تنقسم العصور المتوغـــلة في القدم من تاريخ البشر الى قسمين : قسم يشمل الأزمنة التي مرّت على الانسان قبل ان يتعلم القراءة والكتابة ، ويتخذهما وسيلة لتدوين أعماله وحوادثه ، وتعرف هذه الأزمنة بأزمنة قبـــل التاريخ . وقسم يشمل الأزمنة التي مرت على البشر بعد تعلمهم القراءة والكتابة لان أخبارهم في هذه الازمنة قد انتقلت الينا مسجلة ويعرف بالعصر التاريخي .

ظهر الانسان قبل بدايـة العصر التاريخي بألوف من السنين والرأي الأرجح هو أن الانسان ظهر على الارض منذ عهد يقرب من نصف مليون سنة[١] .

والمعروف ان الانسان الحالي يختلف اختلافاً كبيراً عن الانسان يوم بـــدء ظهوره على الأرض . وأقرب الانواع الى شكل الانسان الحـديث عثر على بقاياه في فلسطين — كما سيأتي بيانه — ، كما عثر عليها في منـــاطق متعددة في اوروبا وبخاصة في المانيا وفرنسا .

وينقسم زمن ما قبل التاريخ الى أربعة عصور ، سُميت باسم المادة التي صنع بها الانسان أدواتـــه وهي : العصر الحجري القديم والعصر الحجري المتوسط

---

١ — دراسات في العالم العربي . ٦٣ القاهرة ١٩٥٨ - نظمت بكلية الآداب في جامعة القاهرة .

مواقع الكهوف والمدن التي ورد ذكرها في عصور فلسطين قبل التاريخ المدون

مغارة الزطية
مغارة القفزة
وادي المغارة
(مغارة السخول)
(مغارة الطابون)
مجدو
مغارة كبارة
بيسان
وادي الظوف
جازر
اريحا
تليلات الغسول
ام قطفة
وادي خريطون
لخيش
مغارة ام زويتينة
مغارة ابو سيف
تل العجول

والعصر الحجري الحديث والعصر المعدني .

١ – العصر الحجري القديم

ويعود تاريخه الى أكثر من « ١٥٠،٠٠٠ » سنة . وكان الانسان في هذا العصر همجياً ، يعيش عارياً ، مرسل الشعر ؛ وكان يأوي الى الغابات أو إلى أخصاص يتخذها من أغصان الشجر . ويتغذى بما يجده من نبات وجذور وثمار وبذور ؛ وما يتصيده بهراوته من حيوان وطير . ولذلك يصح أن نطلق على هذا العصر اسم « طور جمع القوت – Food Gathering Stage » . ثم دعته حياة الصيد والدفاع عن النفس من الحيوانات المفترسة الى التفكير في وسائل تساعده على ذلك . فتمكن من استعمال الظُرّان[1] فاتخذ منها ومن العظام والقرون آلات وأدوات . وبدأ باستعمالها ، ونوّع أشكالها وفقاً لأغراضه ، وصار يملك البلطة والفأس والسكين والمنشار والمخرز والإزميل وغيرها . وكانت هذه الأدوات في أول أمرها خشنة ، غليظة ، كبيرة الحجم . ولم يلبث الانسان أن تمكن من تصغير حجمها . ثم تطورت حياة الانسان باكتشافه كيفية استعمال النار .

قد يكون الانسان رأى النار أول ما رآها ، مضطرمة في الغابات بفعل النيازك أو الصواعق وما شابهها من الظواهر الطبيعية . أو رأى لهيبها منبعثاً من فُوّهة أحد البراكين . والمرجح أنه أشعل النار في اول الأمر بأن ركز عصاه في ثقب شجرة يابسة ، ثم أدارها بسرعة فتولدت النار من الاحتكاك ؛ أو انه توصل الى ذلك اتفاقاً عندما كان يرقق أدواته الحجرية .

وباكتشاف النار بدأ انقلاب من أعظم الانقلابات في تاريخ سير البشر في معارج التقدم . فصار يطبخ طعامه ، واتخذ المغاور بيوتاً له وحصنها باشعال

---

١ – بضم الظاء وكسرها . جمع ظر وظرور . وهو الحجر الصلب الدقيق الذي حده كحد السكين، مشهور بالصوان. وتصنع الصوان بشظية من الحجر بضربها بقطعة من الخشب أو الحجر. والحجر الذي تقطع منه الشظايا يسمى ظراً .

النار أمام مداخلها ليمنع اقتراب الحيوانات منها ، فأمن فيها هجمات الحيوانات المفترسة . ولا بد أنها خدمته أيضاً في تدفئة جسمه وفي الإنارة ليلاً .

وقد عثر الباحثون على بقايا الهياكل البشرية لهذا العصر في « مغـارة الزُطِيَّة »[1] ، حيث وجدت فيها جمجمة تعرف « بجمجمة طبريا » أو « جمجمة الجليل » التي اكتشفت عـام ١٩٢٥ م عاش صاحبها قبل نحو « ٢٠٠،٠٠٠ » سنة[2] ؛ وعلى بقايا هياكل أخرى في مغارتي « السخول » و « الطابون » من كهوف « مغـارة الواد » ـ الواقع على بعـد ميلين للجنوب الشرقي من « عتليت »[3] » في جبل الكرمل — وفي مغارة « القَفْزَة » الكائنة على الجانب الشرقي من وادي جبل القفزة ٣٩٧ متراً في جنوب الناصرة ، ويعود عهدها الى ما قبل « ١٠٠،٠٠٠ » سنة على الأقل .

إن فحص الهياكل العظمية والجماجم البشرية التي وجدت في كهوف الكرمل والناصرة أثبتت أن أصحابها كانوا أقرب شكلاً الى الغوريلا منتصباً منـه الى الإنسان الحالي . كانوا أقوياء البنية ، قصيري القامة ، ممتلئي الأجسام ، عديمي الذقن . أصابعهم قصيرة وغليظة وعيونهم غائرة . ينحنون قليلاً الى الأمام عند مسيرهم .

[قـد اتفق الباحثون على أن الإنسان الذي عاش على مقربة من كهف الطابون في جبل الكرمل بفلسطين كان حلقـة بين الإنسان البدائي والإنسان الحالي . خصوصاً وانه يمكن مُقارنة هذا الإنسان أيضاً من الناحية التشريحية بما نسميه الآن الإنسان العاقل[4]] .

[ولعل هذه هي مرحلة التطور الإنساني من النوع العتيق البائـد الى النوع

---

١ ـ تقع على مقربة من قرية « الجدل » للشمال من مدينة طبرية .

٢ ـ عـثر في الصين وأندونيسيا على جمجمتين بشريتين عاش صاحباهما قبـل أكثر من ٤٠٠،٠٠٠ سنه. وهذه الجماجم الثلاث تعتبر أقدم جماجم بشرية عثر عليها في العالم حتى الآن.

٣ ـ مر ذكرها تقع على الساحل جنوبي حيفا وعلى مسيرة ٢٠ كم منها .

٤ ـ دراسات في تاريخ الشرق القديم للدكتور أحمد فخري ص ٣٥ . القاهرة ١٩٥٨ .

الحديث . وقد أطلق على هذا النوع اسم إنسان فلسطين [1]] .

وقد عثروا على بقايا آثار وأدوات العصر الحجري القديم من مقاشط[2] وفؤوس يدوية[3] ومحافر[4] وشفرات سكاكين وغيرها من الآلات الصوانية في كهوف الكرمل المار ذكرها وكهوف « ام قـَطـَفـَة[5] » و « الزطيّة » و « مغارة الأميرة[6] » و « مغارة ابو سيف » الواقعة شرقي الخليل . كما عثروا على « بلطات يدوية » في جنوبي « جسر بنات يعقوب » جنوبي بحيرة الحولة .

وتعتبر قطع الفحم التي عثروا عليها في « مغارة الطابون » من أقدم القطع التي عثروا عليها من نوعها ، وتعود بتاريخها الى نحو ١٥٠،٠٠٠ سنة[7] . وهناك قطع أخرى ترجع الى الدور الأخير من العصر الحجري القديم اكتشفت في « مغارة الوادي » — قرب الطرف الغربي للكرمل — تشير في تركيبها الى نماذج السنديان والطرفاء والكرمة[8] .

كما عثروا على ناب فيل وُجد في « مغارة الطابون » وهذا أول دليل على وجود الفيل في العصر الحجري القديم في فلسطين . وقد عثروا أيضاً فيما بعد على غيره من بقايا الفيلة في بيت لحم وقرب جسر بنات يعقوب [9] .

---

١ — مصر والشرق الأدنى القديم للدكتور نجيب ابراهيم ميخايل ٣/٣٣. القاهرة ١٩٥٩.

٢ — المقاشط : كانت تستعمل في الغالب لدبغ الجلود . وذلك بقشط وتنظيف سطحها الداخلي . وللمقشط طرف حاد مشذب أو اكثر .

٣ — الفؤوس اليدوية : تستعمل في الصيد أو في الدفاع عن النفس ، كما تستعمل للحفر والاحتطاب. تصنع من قطع مستطيلة من الصوان أحد طرفيها مستدق والآخر مستدير يستعمل مقبضاً .

٤ — المحافر : آلات مسننة الطرف . والمظنون انها كانت تستعمل للنقش في العظام ولاقتطاع شظايا العظام الدقيقة التي كانت تحول الى إبر ودبابيس .

٥ — تقع شمال غربي البحر الميت ، على مسيرة نحو عشرة كيلومترات للجنوب الشرقي من بيت لحم . بالقرب من « وادي المربعات » .

٦ — قرب بحيرة طبرية .

٧ و ٨ — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي . الترجمة العربية ١/١٤ بيروت ١٩٥٨ .

٩ — وصف معروضات قاعة العصر الحجري والعصر البرنزي . متحف الآثار الفلسطيني ص ٥ القدس ١٩٣٧ .

ووجدوا عظام حيوانات في كهوف الزطّة ومغارة الواد وهي تنبيء عن عالم حيواني يختلف بعض الشيء عن حيوانات أيامنا هذه : وجدوا أنياب دب أسمر وهذا النوع قد انقرض تقريباً من فلسطين ، وأسنان الوعل المسمى Dama Mesopotamica الذي لا يوجد اليوم الا في بقاع فارس السحيقة . وتدل بقايا هذا الوعل على انه كانت في فلسطين أحراج يسقط فيها كثير من المطر . وعثروا ايضاً على قرن غزال وفك سفلى للضبع المرقط وهو لا يعيش اليوم في بلادنا ، وثنية « سن » وضرسه . وهما أكبر من أسنان الحيوان الحالي . (والسن حيوان بري كبير يشبه الثور) وقد انقرض من فلسطين . ووجوده في العصر الحجري القديم يدل على ان البلاد كانت أغزر أمطاراً مما هي الآن[1] . كما وجدوا ضرس فرس النهر وسنه الكبير ، وعظام الخرتيت (وحيد القرن) ونوعاً كبيراً من السلاحف التي تعيش في المياه العذبة . وكل ذلك يدل على أن البلاد كانت دافئة الطقس كثيرة المستنقعات .[2]

ومن أهم الأعمال التي حققها الفلسطيني في العصر الحجري القديم نشوء النطق لديه الذي يُعد أباً للعقل . ثم أخذ نطقه يتطور التطور الذي احتاج الى أزمنة طويلة لا ينتهي اليها العد . وكانت لغته بسيطة الا انها كانت كافية للتعبير عن أغراضه التي لم تكن كثيرة . فاللغة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الحضارة . وان تطورها وتقدمها ساعد على تجمع الناس بشكل جماعات لا بد وأنها كانت قليلة العدد في أول أمرها . ولما لم تكن الكتابة قد اخترعت بعد ، فليس لدينا من وسائل تؤدي الى معرفتنا شيئاً من أمر هذه اللغة الفلسطينية الأولى .

* * *

يستنتج مما تقدم ان فلسطين كانت من أقدم مواطن الإنسان . وانها كانت

---

١ – المصدر نفسه ص ١٨ . وسنشير الى هـذا المصدر فيما بعـد باسم « متحف الآثار الفلسطيني » .

٢ – متحف الآثار الفلسطيني ص ١٩ .

مأهولة منذ نحو ٢٠٠٠٠٠ سنة . والمعروف ان الفلسطيني الأول كان من ظاهر « الجدل » على ساحل بحيرة طبرية الغربي . كما رأى بعض علماء الآثار ان بلادنا كانت مهداً « للإنسان العاقل » او « الإنسان الحديث » .

وكان الفلسطينيون يطوفون الأحراج والحقول باحثين عن طعامهم ويلجأون الى الكهوف اتقاءاً للبرد وخوفاً من الحيوانات المفترسة . واما آلاتهم وأدواتهم فكانت من العظام وأحجار الصوان . ثم تدرجوا في المعرفة فاكتشفوا النار التي كان لها أعظم الأثر في حياتهم، كما تطورت لغتهم مما ساعد على تجمعهم بشكل وحدات صغيرة .

٢ – العصر الحجري الوسيط

وهو العصر الذي استمر نحو ستة آلاف سنة اعتباراً من حوالي عام ١٢٠٠٠ ق . م . وقد داوم الإنسان في سكن الكهوف والمغاور ، الا انه تمكن فيه من صقل وتصغير حجم أدواته الحجرية وتحسين صنعها بحيث أصبحت أكثر فعالية بالنسبة لأغراضه .

وصيد السمك كان دون شك يزاول اثناء هذا العصر حتى في الوديان (كوادي النطوف – الآتي ذكره ووادي خريطون -- قرب بيت لحم وللجنوب الشرقي منها –) التي كانت غزيرة المياه فيما مضى مع أنها اليوم جدباء لا ماء فيها [١] .

وقد وجد في أحد كهوف الكرمل جمجمة لكلب كبير يستدل منها على ان الانسان ابتدأ في تدجين حيوانات هذا الدور . والآثار التي عثروا عليها في مزار في أريحا تدل على تدجين البقر والماعز والغنم والخنازير في اواخر هذا العصر . فالفلسطينيون القدماء ، على الأرجح هم أول من دجن الحيوان .

ولا شك في ان الكلب أول حيوان أنس الى الإنسان الذي اتخذه رفيقاً له يحرس قطعانه وأدواته ويساعده على اقتناص فريسته .

---

١ – متحف الآثار الفلسطيني ص ٢٣ .

وباهتداء الناس الى تدجين بعض الحيوانات اضطروا بسبب التنقل بقطعانهم من مرعى الى آخر أن يصبحوا رعاة بعد أن كانوا صيادين .

[ففي رحلة حياة الرعي كان الناس، على ما يظن، يعبدون الإله القمر الذي كان أكثر نفعاً وتلطفاً من الشمس في بلاد حارة مثل سورية وفلسطين . وكان القمر يبدد رهبة الظلام ويأتي بالبرودة التي يمكن للقطعان أن ترعى فيها براحة . ولذلك فإنه كان صديق الراعي أكثر من الشمس [1]] .

وعند نهاية هذا العصر دخل سكان فلسطين في طور من العيش جديد، طور الاعتماد على الزراعة . وبذلك انتقلوا من عصر « جمع القوت » المار ذكره الى طور « إنتاج القوت — Food Producing Stage » . وتتمثل حضارتهم في هذه الحقبة بالأدوات الحجرية المصقولة وبالصحون الحجرية — التي وجدت في وادي المغارة — والهواوين والمداق من حجر جهنم — وقد عثروا عليها في مغارة الكبّارة [2] — ، والمناجل الصوانية المركزة في قبضة خشبية يظن أنها كانت تستعمل لحصاد القمح وغيرها التي عثروا عليها في مغارة « شُقبَة [3] » عام ١٩٢٨ م . ويظهر من هذه الأدوات أن الفلسطينيين هم أول من مارس الزراعة في العالم [4] ، بينما كان غيرهم من الناس ما زالوا يعيشون على الصيد أو الرعي .

وقد عهد الفلسطينيون بهذه المهنة الجديدة الى نسائهم وأولادهم . وأما الرجال فقد ظلوا منصرفين الى أعمال الصيد والرعي ورد العدوان .

لا يعلم أحد كيف تم لهؤلاء الفلسطينيين تعلم زراعة الأرض إلا أنه من

---

١ — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/١٩ .

٢ — تقع في الجهة الجنوبية من جبل الكرمل . قرب « زمارين » على مسيرة ٣٥ كيلومتراً من حيفا .

٣ — قرية من أعمال اللد ، إبان الحكم البريطاني المظلم ، وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات منها واليوم من أعمال رام الله . وتقع هذه المغارة في « وادي النطوف » مما دعا الأثريين لتسمية هذه المدنية « بالحضارة النطوفية » نسبة اليه . ويرجح ان تاريخها يعود الى ما قبل عشرة آلاف سنة. (نحو عام ٨٠٠٠ ق . م) .

٤ — دراسات في تاريخ الشرق القديم : ٣٩ .

المحتمل أن تكون بعض البذور البرية ، التي جمعها الفلسطيني من الأرض ليقتات بها ، سقطت منه ثم نمّت ، ولما رأى أن محصولها تضاعف جعل يُبذرها هو بنفسه وأخصها القمح والشعير .

وبعد أن عرف الفلسطينيون زراعة القمح والشعير زرعوا الدخن (نوع من الذرة) ثم العنب والتين والزيتون وأنواع الخضر .

قال حتي : [ويبدو أن المهاجرين الساميين الأولين الى مصر انما أتوا من سورية وأدخلوا معهم زراعة القمح وزراعة الكرمة . والكلمة التي تعني القمح « Gmhu » ، وكذلك الكلمة التي تعني الكرمة (Karmu) في اللغة المصرية القديمة هي بلا شك من السامية وبالأخص من الكنعانية[1]] .

ان حياة الزراعة أدت الى نبذ الإنسان حياة الرحيل من مكان الى آخر طلباً للقوت ، والى الاستقرار وبالتالي ساعدت على نشوء الحياة الاجتماعية الكثيرة مما كان لها تأثير كبير على التطور في لغته[2] البسيطة والتطور في المعتقدات الدينية . كما ساعدت على ظهور الملكية الفردية .

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/١٧ .

٢ – اللغة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الحضارة . هناك عدة آراء حول نشوء لغة الانسان . ولعل أقربها الى الواقع ، انها ابتدأت في بادىء الأمر بمحاكاة الاصوات الطبيعية ثم تبعتها أصوات مصحوبة بالاشارة أو اشارات مصحوبة بالاصوات . وبهذين الاسلوبين ظهرت المفردات المادية . ومن هذه المفردات توصل الانسان الى وضع كلمات للمعاني والمفردات الأخرى المجردة .

والراجح ان البشر لم يتكلموا في بادىء أمرهم لغة واحدة تفرعت الى عدة لغات بل انه نشأت عدة لغات مختلفة عند الجماعات البشرية الأولى المنعزلة والمتباعدة بعضها عن بعض . بدليل ما يسمى اليوم بالعائلات اللغوية التي تعود لغاتها بأصلها الى جذر واحد .

وقد جاء في صفحة ٧٢١ من كتاب « The World Almanac 1963 And Book Of Facts » المطبوع في نيويورك بأن عدد اللغات الرئيسية التي يتكلم بكل منها ما لا يقل عن مليون نسمة بلغ في عام ١٩٦٢ م ١٢٧ لغة.

وقد ذهب بعضهم الى ان عدد اللغات المتداولة في العالم اليوم نحو (٢١٥٠) لغة . والمعروف ان اللغة الصينية يتكلمها أكبر عدد من الناس ، بينما اللغة الانكليزية هي أكثر اللغات انتشاراً . ويقدر عدد المتكلمين بالعربية اليوم بما يقرب من ١٠٠ مليون نسمة .

[وأثناء نشوء الحيـاة الزراعية اوجد الإنسان في فكره ارتباطاً بين النمو وبين الشمس التي أخذت حينذاك تتقدم على القمر . وبدأت في ذلك العهد عبادة الإلاهة الشمس وكذلك عبادة الأرض الأم بشخص إلاهة للخصب تتعهد شؤون الزراعة . واتخذت الديانة شكلاً مؤنثاً واضحاً لسبب آخر وهو ان المرأة يمكنها أن تمارس الزراعة بسهولة أكثر من ممارسة الصيد [1]] .

وفي العصر الحجري المتوسط وُلد « الفـن » في فلسطين . فقـــد عثروا في كهوف الكرمل على رسم ثور حفر في العظم وعلى قطعـــة من حجر الكلس منحوتة على صورة رأس إنسان . يمثل الرقبة خط محفور وأمـــا العينان والفم فمنقوشة والحاجبان بارزان مما يطابق أوصاف إنسان ذلك العصر [2] .

وعثروا أيضاً في مغارة « أم زويتينة » الواقعـة في جنوب الخليل على تمثال وعل أو غزال منحوت على قطعـة من الحجر الكلسي الرمادي اللون والحيوان مضطجع وقوائمه مطوية تحت جسمه وعنقه ممتد الى الأمام [3] .

كما وجدوا في معبد في أريحا – لعله كان مُكَرَّساً للإله القمر – تقدمـات نذرية من الطين تمثل حيوانات داجنة كالبقر والماعز والغنم تعود بتاريخهـــا الى أواخر الألف السادس قبل الميلاد ، ممـــا يدل على المستوى الرفيع من المهارة الفنية الذي بلغه الفلسطيني حوالي نهاية العصر الحجري المتوسط .

وكان البشر الذين عاشوا في فلسطين ، في هذا العهد ، أصغر قامة من الجنس الذي عاش فيها في العصر الحجري القديم . وكانوا نحـاف الجسم ، معدل طولهم من خمس أقدام وأربـــع أصابع الى خمس أقـــدام وسبع أصابع ، مستديري الرؤوس ، طويلي الجمجمة ، ذقونهم منبسطة وأنوفهم كبـــيرة ، شعرهم أسود يشبهون إنسان العصر الحجري النحاسي الذي وجدت آثاره في جبل لبنان ، ويشبهون المصريين الذين عاشوا في عصر مـــا قبل السلالات . ويبدو أنهم كانوا

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/١٩ – ٢٠ .
٢ – متحف الآثار الفلسطيني ص ٢٦ .
٣ – متحف الآثار الفلسطيني ص ٢٦ .

من أفراد العرق نفسه الذي انتسب إليه الحاميون والساميون فيما بعد

٣ – العصر الحجري الحديث .

دام نحو ألفي سنة اعتباراً من حوالي ٦٠٠٠ ق . م . أخذ الناس في هذا العصر يتقدمون نحو الحضارة والمدنية بخطى وئيدة ، فتقدموا في الآلات والأدوات الحجرية التي كانوا يستعملونها ، فإنهم زادوا في صقلها وإرهاف حدودها فوضعوا لفؤوسهم الحجرية مقبضاً حجرياً ليكون وقعها أشد .

[من الخطأ حسبان هذه الآلات عديمة الهندام والفاعلية . فإن أحد الصناع في الدينمرك امتحن حديثاً فعل إحدى الفؤوس الحجرية المكتشفة فتمكن بها – مع أنه غير معتاد على استعمالها – من قطع ست وعشرين صنوبرة قطر كل منها ثمانية قراريط ، وتفصيلها قطعاً بمدة عشر ساعات فقط . وتمكن صانع آخر من أن يقطع بآلات حجرية الخشب اللازم لبناء بيت كامل ، وأتم البناء بواحد وثمانين يوماً . فترى أن أهل العصر الحجري الحديث استطاعوا أن يبنوا لأنفسهم بيوتاً رَحْبَة مريحة ، ويبلغوا من المدنية درجة لم يحلم بها أسلافهم المتوحشون[1]] .

وكذلك تقدم الناس في تدجين الحيوانات وفي الزراعة . ولما أصبح الإنسان مزارعاً وفلاحاً استقر في الأرض وبنى البيوت وترك الكهوف والمغاور وأخذ ينشىء القرى والمدن . وبذلك بدأ فن البناء والعمارة وفكرة تملك الأرض . فتبدلت أساليب الحياة الإنسانية تبدلاً أساسياً ، وأصبح قوامها الزراعة بعد الصيد ورعاية الماشية .

لم يلبث الإنسان بمقتضى حاجات الحياة التي ألحت عليه ، أن عرف صناعة النسيج والغزل وصناعة الخزَف مما ساعد في ترقية حياته المستقرة ، كما تطور ذوقه بمصنوعاته الفنية الجميلة التي كان يصنعها بكثير من الدقة والعناية مما يدل على

---

١ – العصور القديمة لبرستيد . نقله الى العربية داود قربان . المطبعة الأمريكية . بيروت ١٩٣٠ ص ١٥ – ١٦ .

تحسسه بالجمال .

وعرفنا من مدن فلسطين في ذلك العصر :

(١) أريحا [1] :

المعروف أنهـا كانت أول مكان في فلسطين شرع الإنسان يبني فيه بيوته . وبذلك كان سكان أريحا القدماء أول من انتقل ، في بلادنا ، من سكن المغاور الى المعيشة المستقرة . وترجع بقايا مساكنها البدائية التي عثروا عليها فيها الى نحو عام ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد . والمنزل في أريحا كان يتألف من غرفة كبيرة أو اثنتين صغيرتين. وقد وجدوا في داخلها تماثيل حيوانات من الطين بينها رأس حيّة وبقرات وكلب وتماثيل اخرى صغيرة من الطمي عيونها من الأصداف والقواقع الصغيرة . وبلاط هذه البيوت المكتشفة مصنوع من مزيج دقيق من الطين والكلس مستو أملس

---

١ — أصل هذه الكلمة من « يريحو — Yercho » أي مدينـــة « القمر » . و « يرح » و « البرح » في لغة جنوبي الجزيرة العربية كانت تعني « شهر » و « قمر » .

إن عبادة القمر التي عرفتها أريحا كانت منتشرة في أنحاء أخرى من بـــلاد الشام وفي جنوبي الجزيرة العربية ؛ بدليل بلدة « أريحا » الـسورية التي تعتبر مصيفاً لسكان شمالي سورية لوقوعها على جبل — على مسافة ١٤ كم من إدلب — ، ثم « أريحـــا » المتواضعة (٢٠٠ نسمة) في منطقة الكوك بشرقي الأردن . وكذلك توجد مواضع متعددة تسمى بأسماء قريبة من « يُرح » ، بمعنى قمر ، في جنوبي الجزيرة العربية .

وفي العراق كانت عبادة القمر - ومعناه بالبابلية « سين » — شائعة . وقد بلغت عبادته في « أور » أوجها . ولعل اسم شبه جزيرة سيناء وقرية « عين سينيا » من اعمال رام الله و« مزرعة سيني » أو « سينيه » في جنوبي لبنـــان وقرية « درب السين » شرقي صيدا بقربة منها وقريـــة « كفرباسين » على مسيرة ١٣ كم من بلدة « معرة النعمان » في شمالي سورية مشتقة بوجه ما من اسم الإله (سين — القمر) .

ويرجح أن « أريحا » القديمة كانت تقوم على بقعة « تل السلطان » على بعـد كيلومترين للشمال من المدينة الحاليـــة . وقد بدأت بها الحفريات عام ١٩٠٧ — ١٩٠٩ ثم استؤنفت بـــين سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٦ .

وتقع أريحا اليوم في شمالي البحر الميت وعلى مسيرة خمسة كيلومترات منه ، وفي الشمال الشرقي من القدس ، على بعد ٣٧ كم منهـــا . كما تبعد عشرة كيلومترات عن الجسر الذي يربطها بشرقي الأردن . وتنخفض عن سطح البحر ٢٧٦ متراً .

يكون أحياناً مصبوغاً بصباغ أحمر .وسقوفها مصنوعة من القصب الملبط بالطين.
ومن المحتمل أن سكان أريحا جرّوا الماء لبلدهم من مكان بعيد ليسدوا حاجتهم وحاجة مزارعهم منه .

[وقد عثر المنقبون في أريحا على سور يحيط بها ، بني من الحجارة على ارتفاع عشرة أمتار . وأقيم فيه برج مستدير قطره ١٣ متراً يصعد اليه باحدى وعشرين درجة . وهذا السور والبرج أقدم بناء حجري عثر عليه علماء الآثار حتى الآن . ويعود بناؤه الى سنة ٧٠٠٠ ق . م . ويحيط بالسور خندق حفر في الصخر على عمق مترين ونصف المتر واتساع ثمانية أمتار .

إن بناء السور وحفر الخندق والقيام بأعمال الري لتدل على كثرة السكان وعلى قوة أنظمتهم التي جعلتهم يقومون متعاونين متشاركين بأعمال لا تقوم بها الا الحكومات. وهكذا يجوز لنا أن نقول إن اول نواة حكومة نشأت هنا][1].

كان المعروف ان الحضارة نشأت في العراق ثم في مصر . ولكن الحفريات الأثرية الأخيرة التي جرت في أريحا وجوارها برهنت على ان نشوء الزراعة وتدجين الحيوان والاستقرار ظهرت جميعها في أريحا قبل أن تظهر في العراق بأكثر من حوالي الف سنة . ولهذا فتعتبر أريحا أقدم مدينة في العالم اكتشفت حتى الآن .

ويرى « غارستنغ – Garsting » الذي عثر على بقايا خزفية في حفرياته التي أجراها بين سنة ١٩٣٠ و ١٩٣٦ في اريحا أن صناعة الخزف اخترعت في أريحا وذلك حوالي ٥٠٠٠ ق . م . والأدوات التي عثر عليها كانت بدائية من نوع الأجران والجرار . وجميعها كانت تصنع باليد . واما الدولاب فيظن انه اخترع حوالي ٤٠٠٠ق . م . ولكنه لم يستخدم بصورة بارعة في جنوبي فلسطين الا حوالي ٢٠٠٠ ق . م .

ومن أريحا انتشرت صناعة الخزف في مختلف أنحاء فلسطين وسورية حيث

---

١ – الحفريات الأثرية في الأردن وفلسطين خلال ١٩٠٠ – ١٩٥٩ ص ٤ بتصرف . لمحمود العابدي عمان ١٩٦٢ .

عثروا على الخزف المدهون أو الملون والمزخرف ، في بيسان وقرب غزة وحماة وجرابلس فضلاً عن أريحا . ونجد بين زخارفه أشكالاً تمثل حيوانات وبخاصة بعض أنواع الأيائل والطيور والأسماك ، وبعض زخارف الزهور .

(٢) جازر[١] :

تقع جازر على منتصف طريق يافا — القدس القديمة ، التي كانت تؤدي من الساحل الى المنطقة الجبلية . إن الحفريات التي جرت في جازر تفيد أنها كانت محاطة بسور ترابي ثخنه عشرة أقدام . وجهه من الداخل والخارج مبني من الحجر ، وان سكانها قد بدأوا في هذا العصر يحرثون الأرض ويزرعون العنب والزيتون — ويعصرون ثمارها في معاصر منقورة في الصخور — كما زرعوا التين والقمح والشعير والبصل والثوم والحمص والفول والخس وغيرها . وكانوا يصنعون خزفهم بأيديهم يزينونه بخطوط حمراء وبيضاء ، ويضعون موتاهم في جرار ويجانبها خزف مملوء بالطعام والشراب ، مما يدل على وجود ديانة بينهم وإيمان بالبعث . وكثيراً ما كانوا يحرقون تلك الجثث في كهف لهذا الغرض ، وهي عادة لم يعرفها الساميون قط .

وتدل بقايا عظام الخنازير التي عثروا عليها تحت معبد « جازر » على ان الخنزير كان الحيوان المفضل للذبيحة التي تقدم الى آلهتهم . وربما كان ذلك سبباً لكراهية الساميين لهذا الحيوان وهم الذين وفدوا بعد ذلك ، الى هذه البلاد وحاربوا أهلها وناصبوهم العداء ثم حلوا فيها .

٤ — العصر المعدني

يطلق هذا الاسم على العصر الذي يتبع العصر الحجري الحديث ؛ وينتهي

١ — جازر ؛ بكسر الزاي وفتحها . بمعنى شاهق . كانت تقوم على البقعة التي تقوم عليها قرية « أبو شوشة » من أعمال الرملة ، وعلى بعد أربعة كيلومترات للجنوب الغربي من قرية « القباب » الواقعة على طريق يافا — القدس . نقب في جازر عام ١٩٠٢ — ١٩٠٩ وعام ١٩٣٤ م . والبقعة التي نقب فيها تعرف باسم « تل الجزر » الذين يرتفع (٧٥٥) قدماً عن سطح البحر .

يبدء العصر التاريخي وفيه عرف النـاس استعمال المعادن . وأوله من نحــو ٤٠٠٠ ق . م . وختامه في بلاد الشام ، ومنها فلسطين، في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . ويعزى اكتشاف المعادن الى المصريين .

قال بريستيد : [كان المصريون يتقدمون في أشياء اخرى كثـيرة منها اكتشاف المعادن . ولا يعلم تماماً كيف استتب لهم ذلك . الا أن بعض المؤرخين تكهن وقال : إنه بينما كان أحد الرجـال سائحاً في شبه جزيرة سيناء ، أضرم ناراً أمام خيمته وأحاطها بحجارة كانت مبعثرة حـولها . ولما جنّ الليل نام . وحين أفاق في الصباح التالي عمد الى النار التي كانت قد خمدت وحرّك رمادهـا قليلاً . فإذا هو يرى أمامه حبيبات من معدن تتـألق بنور الشمس ، فالتقطها وأخذ يتأملها مدهوشاً لأنه لم يعـلم المصدر التي جاءت منه . فلما كرّر التجربة تيقن ان مصدرها الحجارة التي صفها حول النـار . فجمع كمية منها استعملت اولاً حلياً للنساء ، ثم خطر له أن يصنع من ذوب هذا المعدن شفرة تقوم مقام الخنجر الذي كان يحمله في منطقته .

إن هذا السائح وقف عند فجر عصر جديـد ، فجر العصر المعدني دون أن يعلم بذلك . ولو كان قد أدرك حقيقة تلك الحبيبات اللامعة التي أخرجها بيده من الرماد فلربما عكست الى عينيـه « كما عن مرآة الرؤيا » صور المدرعات الحربية ، والأسلاك البرقية ، والسكك الحديدية تجري عليها القطرات بالغدّو والرواح ، والمعامل التي يصمّ صوت آلاتها الآذان . ولولا تلك الحبيبـات البراقة التي اكتشفها اتفاقاً هذا السائح المصري ، لما تسنى للعالم ان يتمتع الآن بما لديه من ضروب الاختراعات ومنافعها العظيمة. ومنذ ان اكتشف الإنسان النار قبل الآن بخمسين الف سنة لم يظفر باكتشاف شيء يستحق ان يقابـل باكتشافه هذا خطورة ونفعاً[1]] .

ويظهر ان النحاس ، وأعظم مناجمه كانت في سيناء ، كان أول المعادن التي انتفع بها المصريون ، في عصر مـا قبل السلالات ، واستخدموه في كثير من

١ – العصور القديمة : ٣٧ – ٣٨ .

صناعاتهم . وأما الشاميون فقد بدأوا باستعماله جنباً الى جنب مع الأدوات الحجرية في نحو ٤٠٠٠ ق . م . وبقيت الحالة كذلك الى عام ٣٠٠٠ ق . م حين اقتصروا على استعمال الأدوات النحاسية واستغنوا عن الآلات الحجرية . وكثيراً ما تعرف الفترة الواقعة بين ٤٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م . بالعصر الحجري النحاسي .

وقد عثروا في « تليلات الغسّول[1] » على فأس ثبت بعد التحليل أنها تكاد تكون مصنوعة من النحاس الخالص. و «التليلات» هذه مجموعة من التلال المنخفضة تقع على نحو عشرة كيلومترات الى الشمال الشرقي من البحر الميت . وهذا المكان الواقع الآن في أرض قفر كان مدينة مزدهرة قبل عام ٣٤٠٠ ق . م . وقد دمّرها حريق هائل لم تسكن بعده .

وعثروا في هذه التليلات أيضاً على تماثيل كلاب من الطين وأسنة عظمية ، الأرجح أنها كانت تستعمل في الحياكة للقذف بسدى النسيج بين لحمته . وأسنة عظمية أخرى تستعمل في خياطة الأقمشة الغليظة والجلود كا يستعمل الإسكاف الخرز وعثروا على ملاعق من الفخار [2] وصحون ومغارف كانت تستعمل لصب الطعام الحار من القدر في الصحون [3] .

وتبين من الحفريات التي أُجريت في هذه المدينة بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٣٨ أن أبنية أماكن العبادة كانت مستديرة ، بينما كانت أبنية بيوتها مستطيلة . والبيوت هذه كانت مبنية من اللبن المجفف بالشمس أقيمت على الصخور أو على أساسات من اللبن نفسه ، مسقوفة بالخشب أو القصب وأرض غرفها مفروشة بالقصب المغطى بالطين . وزينت معظم جدرانها بأشكال هندسية دقيقة وبرسوم ملونة تمثل تنانين وطيور أواناسي بلغت من الإتقان حداً كبيراً. واما فناء المنزل فكان يقابل أحد الجوانب الكبرى للبيت. وقد وجد تحت أرض المنزل وغرفة بقايا

---

١ — ان هذا الاسم مأخوذ من نبات ينبت هناك ويستعمل في غسل الثياب .

٢ و ٣ — متحف الآثار الفلسطيني : ص ٣٢ و ٣٧ و ٣٨ .

اولاد السكان . وقد دفنت في أوان خزفية أو أحرقت [1] .

ومن المدن الفلسطينية الأخرى التي تعود بتاريخها الى هذا الدور ، وعثروا فيها على كثير من عاديات العصر الحجري النحاسي « مجدو [2] ». وقد اكتشف فيها رسوم بشرية وحيوانية على الحجارة ، وأقدم أنواع الفخار المزين والمنقوش بزخارف كثيرة وملونة .

و « بيسان » وكانت تعرف قديماً باسم « بيت شان » — بمعنى بيت الإله شان — وتقع على بعد ثمانية كيلومترات الى الجهة الغربية من نهر الأردن . والحفريات جرت في بقعتها المعروفة باسم « تل الحصن » الواقعة على ضفة نهر جالود اليمنى . وبيسان بموقعها هذا تشرف على مدخل وادي سهل زرعين من الغرب وعلى الغور من الشرق .

جرت الحفريات فيها سنة ١٩٢١ و ١٩٣٣ وقد أسفرت اعمال التنقيب في « تل الحصن » عن سلسلة متراكمة من خرائب المدن القديمة ، لا نظير لها في تاريخ الآثار اذ بلغت ثماني عشرة طبقة يرجع أسفلها الى عام ٤٠٠٠ ق . م ، بينما يصل اعلاها الى العصور الوسطى . وفي الطبقة أو المدينة التي تشير الدلائل الى انها

---

١ — ان دفن الاطفال في جرار عادة كانت شائعة بين الأقوام القديمة في فلسطين والعراق ومصر وغيرها . وكانت الجرة تدفن تحت بلاط غرفة الجلوس كي ما يبقى الأولاد الموتى في حلقة العائلة .

والطفل الذي في الجرة يرى منكمشا أي ان ركبتيه مثنيتان في اتجاه الرأس . ودفن الموتى بهذا الوضع كان عادة شائعة في الشرق الأدنى وفي اوروبا في عصور ما قبل التاريخ . ولعل أقرب تعليل الى الصواب في هذا العمل هو ان الموت يعني رجوعاً الى الأرض أم البشر . وهذا الوضع المنكمش قريب الشبه من وضع الطفل في رحم امه .

٢ — بمعنى « موضع الجيوش وتخيمها » . وبعضهم فسرها بأنها مشتقة من « جدا » أو « جدد » الآرامية أي قطع وفصل . كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم « تل المتسلم » . تقع على طريق جنين — حيفا . وتبعد عن الاولى مسيرة سبعة عشر كيلومتراً . وهي في موقعها هذا تشرف على الممر الذي يخترق جبل الكرمل من السهل الساحلي الى مرج بني عامر مما أكسبها أهمية استراتيجية فائقة . نقب في مجدو عام ١٩٠٣ — ١٩٠٥ ثم استؤنف التنقيب فيها ١٩٢٥ — ١٩٤٠ .

من القرن العاشر قبل الميلاد اكتشفت خرائب هيكلين يرجح انهما لداجون وعشتاروت .

ومدينة « لاكيش » أو لخيش » بمعنى منيع . كانت تقوم على « تل الدوير » الذي يرتفع ٢٥٣ متراً عن سطح البحر . يقع أمام قرية « القبيبة » من أعمال الخليل ، وعلى بعد ثمانية كيلومترات الى الجنوب الشرقي من « بيت جبرين » . كانت « لخيش » بين عامي ١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق . م . حصناً هاماً يحرس المنفذ الى المرتفعات من الجنوب. جرت الحفريات في تل الدوير عام ١٩٣٣ – ١٩٣٨ .

* * *

ثم عرف الانسان أن النحاس إذا مزج بالقصدير نشأ عن ذلك « الشَّبَهان ». وهو يفضل النحاس فاستخدمه . والنحاس معدن طري يكسر عنه طرقه . ولكن مزجه مع القصدير يجعل المزيج قاسياً . فكانت نتيجة ذلك انتصار الإنسان على أدواته الحجرية انتصاراً تاماً .

وقد بدأ عصر الشبهان أو البرونز حوالي القرن الثاني والثلاثين قبل الميلاد وامتد الى جوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث ابتدأ « الفلسطينيون » سكان الساحل يستعملون الحديد كما سنبين ذلك في فصل قادم .

وصادف عصر البرونز اختراع الكتابة وبها تنتهي حضارة فلسطين السابقة للتاريخ المدون .

وقد اكتشف آثار عصر البرونز في « جازر » و « لخيش » المار ذكرها ، وفي « تل العجول » وغيرها . و« تل العجول » تقع في جنوبي غربي « غزة » ، على مسافة نحو سبعة كيلومترات منها . نقب فيها بين عامي ١٩٣٢و١٩٣٥ . ويرى بعضهم ان غزة القديمة كانت مقامة على هذا التل . بلغت مساحتها ١٢ هكتاراً[١] .

---

١ – الهكتار يساوي ٢،٥ من الفدان .

وقد امتدت يد التحسين في العصر المعدني الى كثير من الصناعات التي كان الناس قد تعلموها ، كما تقدمت صناعة بناء المنازل والزراعة التي تعتمد على الري وتربية المواشي وغيرها .

[إننا لو حكمنا بنتائج حفريات مجدو وتليلات الغسُّول فإن سكان سوريا ، قبـل وصول الهجرات السامية كانوا يعرفون التعدين ، وكانوا يعرفون النحت وكانوا يستخدمون الأختام ، ولهم ذوق فني في الحلى ، وعرفوا أيضاً عمل التماثيل سواء مـا كان منها للانسان أو الحيوان ، كما بنوا البيوت وزخرفوا جدرانها بالرسوم الملونة التي تمثل أجساماً بشرية في تليلات الغسُّول .

ولا شك أن ذوقهم الفني قد وضح في صناعة الحلى وزخرفة المنازل ، ولكنه وصل الى قمته في زخرفة الأواني الفخارية . وقد عرفوا الترجيج في ذلك الوقت البعيد واستخدموه في الأواني[1]] .

سكان فلسطين في عصرها الحجري الحديث والحجري النحاسي :

قال حتي [إن العرق البشري الذي تنتمي إليه الشعوب التي قطنت شمـالي سورية وفلسطين ولبـنان في العصر الحجري الحديث هو العرق الذي يعرف بعرق حوض البحر الأبيض المتوسط . فقـد وجدت آثار الإنسان الذي ينتمي الى هذا العرق في حفريات « شُقبَة » في وادي النطوف وفي « مغارة الوادي » قبل ٥٠٠٠ ق.م وفي « تل الجُدَيدَة [2] » قبل ٤٠٠٠ ق.م وفي « جُبَيل[3] » ٣٥٠٠ — ٣٢٥٠ ق.م مما يدل على أنه الشعب الأصيل في البلاد ، ومما يدل أيضاً على أنه أقدم الشعوب التي توطنت شرقي البحر الأبيض المتوسط . وهذا العرق البشري هو في الواقع العرق الذي تنتمي إليه جميع الشعوب البيضاء القديمة التي كانت تتوطن شمالي افريقية (الشعب المصري الحامي القديم) وجنوب أوروبا.

---

١ — دراسات في تاريخ الشرق القديم : ٨٦ — ٨٧ .

٢ — تقع بقعتها في الشمال الشرقي من انطاكية .

٣ — مدينة تقع على الساحل اللبناني ، على مسيرة ٣٨ كم للشمال من بيروت .

(أي الشعوب التي كانت تقطن شبه جزيرة ايبرية (اسبانيا والبرتغال) وفرنسه وإيطاليا وبلاد اليونان والجزر القريبة منها والتي تغلبت عليهـا فيما بعد الشعوب الهندية الأوروبية) . وهو عرق بشري يختلف اختلافـاً كلياً عن العرق الذي ينتمي إليه إنسان مغـارة الكرمل وإنسان أنطِلياس (شمالي بيروت) الذي كان يحتفظ بكثير من المزايا الجسمانية البدائية . أمـــا الإنسان الذي ينتمي الى هذا العرق الذي نحن بصدده فهو انسان كما نعرف الإنسان اليوم . هذا الإنسـان الذي توّطن حوض المتوسط ينتمي الى العرق الأبيض القوقاسي . فقد كان قصير القامة أو معتدلها ، ذات بنيـة نحيفة – وأحياناً قويـة – ذا ساقين طويلين إذا قيستا بجذع جسمه . وقد كان رأسه طويلاً ، ذا شعر يميل لونـــه الى السواد ، وقل أن تجده أصلع . والى هذا العرق تنتمي الشعوب السامية ، ولكنها لم تكن قد ظهرت بعد في المنطقة التي نتكلم عنها [1]] .

وهناك جماعات ليست من عرق حوض البحر الابيض المتوسط، المار ذكره، يظهر أنها هبطت من مواطنها في الأراضي المرتفعة في اواسط آسيا ، اثناء العصر النحاسي الحجري ، وفرضت نفسها على سكان البـــلاد واختلطت بهم على مر الزمن ، كما أثبتت ذلك الحفريات التي عثروا عليها في « جازر » و « كركميش[2] » ومواقع أخرى في فلسطين[3] .

ولا بد ان يكون بين هؤلاء السكان بعض الساميين الذين يعودون بأصلهم الى الجزيرة العربية قد نزلت البلاد في تلك العصور[4] ولكنهم كانوا أقلية ، وذلـك قبل ان يهاجروا هجرتهم الكبيرة اليها حوالي عام ٣٠٠٠ ق . م .

[ومنذ فجر التاريخ ، أي حوالي عام ٣٠٠٠ ق . م أخـــذت الهجرات

---

١ – لبنان في التاريخ . للدكتور حتي . الترجمة العربية . ٧٣ – ٧٤ بيروت ١٩٥٩م .

٢ – على الفرات . وتقع خرائبها في الجمهورية التركية امـــام مدينة « جرابلس » الواقعة في داخل سورية .

٣ – لبنان في التاريخ : ٧٤ – ٧٥ .

٤ – من مقدمة كتاب اسماء المدن والقرى اللبنانيـــة وتفسير معانيها لأنيس فريحة بيروت ١٩٥٦ .

السامية تتوالى على هذا الجزء من بلاد الشرق كما توالت أيضاً على العراق والى حد قليل على مصر . وليس معنى ذلك أن البلاد السورية كانت خالية من الساميين في ذلك الوقت، بل كان فيها دون شك أقوام ساميون اختلطوا بسكانها الأصليين الذين كانت لهم لغات وديانات غير سامية الأصل ولكن سرعان ما طغت اللغات السامية على غيرها[1]] .

* * *

وقام الانسان بعمل عظيم في العصر النحاسي – الحجري وهو اختراعه الكتابة . وقد بات في حكم اليقين انها ابتدأت في العراق وذلك في حدود عام ٣٥٠٠ ق . م . ومنه انتشرت في الشام في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . وبالكتابة يبدأ التاريخ .

ابتدأ الزمان التاريخي في مصر في التاريخ الذي ابتدأ فيه في العراق ؛ واما في اليونان وايطاليا فلم يبتدىء الا منذ نحو ١٩ قرناً . وفي امريكا لم يبدأ ذلك الزمان الا منذ مدة ، تقل قليلاً عن ٥٠٠ سنة .

وهكذا بعد أن جرى البشر في مضمار التقدم أشواطاً بعيدة دامت آلافاً عديدة من السنين تمكنوا من الوصول الى نهاية عصور ما قبل التاريخ . وقد ترك انسان ما قبل التاريخ ميراثاً ضخماً لإنسان التاريخ . وسنو التاريخ ضئيلة جداً بالنسبة لسني ما قبله .

* * *

وبينما كانت العناصر المار ذكرها تقطن مختلف انحاء البلاد ، شرع الساميون (العرب) ، الآتون من الجزيرة العربية ، يهجرون جزيرتهم وبواديها وينزلون فلسطين في اوائل الألف الثالث قبل الميلاد – وذهب بعضهم الى ان هذه الهجرة العربية ، كانت في اواخر الألف الرابع قبل الميلاد – . وبذلك تلاشى عرق حوض البحر الأبيض المتوسط في العرق السامي الذي طغى على البلاد الشامية من الجزيرة العربية .

---

١ – دراسات في العالم العربي . ص ١٣٨ .



القسم التاريخي

أول مُلكٍ في فلسطين — في فجر تاريخها ـــ كان للعرب

« ابن خلدون »



اختراع الكتابة

لا شك ان الكتابة من أهم مخترعات البشر . ابتدأت في العراق ثم استعملت في مصر . وكانت الكتابتان العراقية والمصرية في أول أمرهما، قوامها التصوير؛ إذ كانوا يعبرون عن الشيء برسم صورته ، فإذا أرادوا كتابة كلمة «بيت» مثلاً صوروا بيتاً ، وكانت صورة الرجل تعني رجلاً وهكذا[1]...

ولما كانت هذه الطريقة متعبة ولم تكن تلك الكتابة حقيقية ، دخلت الكتابة في دور ثان صارت فيه صورة الشيء تدل على المقطع الأول من اسمه . فصورة الرأس ، وكانت تدل على كلمة (رأس) ، صارت تدل على المقطع الأول من كلمة (رأس) أي (را) . وصورة البيت ، وكانت تدل على كلمة « بيت » صارت تدل على المقطع الأول من كلمة (بيت) وهو الباء . ثم جمعت هذه المقاطع ورُكبت منها كلمات جديدة ، فكانوا إذا أرادوا كتابة كلمة « رب » صوروا رأساً وبيتاً . فصورة الرأس تشير الى (ر) وصورة البيت تشير الى (ب) فيتكون من الصورتين معاً لفظة (رب) .

وكانت الكتابة في العراق ترسم صورها في بادىء الأمر بقلم من القصب أو الخشب أو العظم على لوح من الطين الطري ، ثم يشوونه ليصير صلباً . ولما انتقلت كتابتهم من طورها التصويري الى طورها الصوتي كان لها ثلاث مئة وخمسون صورة أو علامة ، كل صورة منها تدل على مقطع . ولم تتخط الكتابة

---

١ ـ وقد شاعت هذه الكتابة التصويرية وأتقنت في الصين قديماً . وظلت حتى القرن التاسع عشر تستخدم في بعض مدن المكسيك ، وبين هنود امريكا الشمالية .

العراقية دور المقطعية ولم توضع لها حروف هجائية . وبشكلها المقطعي استعملها مخترعوها « السومريون [1] » ومن بعدهم البابليون والآشوريون . وتعرف هذه الكتابة عند العرب بالخط المسماري ، وعند الأفرنج بالخط المثلث الشكل أو الإسفيني . وسماه آخرون باسم « خط الأوتاد » وذلك لأنه كان للقصبة التي يكتب بها السومري رأس مربع كال ، فيأتي خطه على هيئة أسافين أو مسامير. وقد انتشر الخط المسماري في الشرق الأدنى ، ومنه فلسطين ، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وظل معروفاً في العراق حتى بداية التاريخ الميلادي.

وأما الكتابة المصرية فكانت تعرف باسم « الكتابة الهيروغليفية [2] » وانتقلت من الدور التصويري الى الدور المقطعي ، وأخيراً الى الحروف الهجائية. وبذلك سبق المصريون أهل العالم قاطبة الى استنباط الكتابة بالحروف الهجائية .

رأى المصريون أن طريقة الكتابة المقطعية صعبة يحتاج الإنسان معها أن يحفظ عدة مئات من المقاطع وأن يتقن رسمها قبل كتابتها ، مما جعل الكتابة

---

١ – عندما ابتدأ التاريخ المدون ، كان سكان العراق الجنوبي يعرفون بالسومريين. والغالب انهم تحدروا من القبائل والأقوام التي سكنت العراق في عصر ما قبل التاريخ . والمتفق عليه انهم كانوا من الجنس الأبيض ولكنهم ليسوا بساميين ولا يمتون بصلة الى الجنس الآري – الهندي – الأوروبي .

وقد ازدهرت الحضارة السومرية في العراق ازدهاراً باهراً ويعد عصرها من أزهى العصور في تاريخ الحضارة العراقية . وظلت لغتهم شائعة الاستعمال حتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد . ثم أخذت تحل محلها بالتدريج الأكادية ، وهي لغة سامية معروفة في لهجات مختلفة وهي البابلية والآشورية والكلدانية .

ومن الكلمات السومرية التي ما زلنا نستعملها الى اليوم « الكمون ـ Cumin » و « الكركم ـ Crocus » و « الزعفران ـ Saffran » . ومما هو جدير بالذكر ان كلمة « الملاح » ، أصلها من اللغة السومرية وتتألف من « ما » وهو سفينة و « لاخ » بمعنى ذهب وجاء . وكلمة « هيكل » وتتألف من شقين « أي » بمعنى البيت و « كل » بمعنى العظيم . و « سين » هو الاله القمر الذي عبد في بلاد كثيرة من الشرق العربي . وما زالت أماكن كثيرة تحمل اسم القمر السومري(سين) كما ذكرنا ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب .

٢ – معناها لغة الكهان التصويرية (هيروت كاهن . وغليف – صورة) .

عندهم مقصورة على رجال الدين والكهنة ؛ ففكروا في تبسيطها ، وذلك ان الصورة أو الشكل الذي يدل على مقطع جعلوه يدل على صوت واحد من أصوات المقطع . وهذه الأشكال التي وُضعت ليدل كل منها على صوت واحد هي أصل الحروف الهجائية التي عرفها العالم . وكان عدد الحروف الهجائية عند المصريين أربعة وعشرين حرفاً .

وصلت الحروف المصرية الى الفينيقيين – الكنعانيين – عن طريق عرب سيناء . ولما عظم شأنهم في عالم التجارة ، وتوغلوا في أسفارهم الى أماكن بعيدة، احتاجوا الى تبسيط الحروف السينائية وتسهيلها لكي يخابروا بها عملاءهم ويضبطوا حساباتهم . فتمكنوا بعد البحث وبذل الجهد من استنباط اثنين وعشرين حرفاً جديدة سهلة ، خالية من التعقيد أخذها عنهم اليونان ، وعن هؤلاء نقلها الرومان ثم امتدت الى سائر جهات أوروبا مع تعديل قليل . وبذلك أصبحت الحروف الهجائية الفينيقية مع الزمن أماً لكل الحروف الهجائية الأوروبية .

وكان المصريون يكتبون على ورق رقيق ، وهو ورق نبات اسمه البَرْدي ، كان يكثر في مستنقعات الدلتا . والكتابة عليه أفضل كثيراً من الكتابة على الخزف وغيره . وأما القلم الذي كان يكتب به فهو عبارة عن قصبة مبرية ، وما زال هذا القلم مستعملاً عند القليلين جداً في الكتابة العربية الى اليوم . وكان الكاتب يغمس قلمه في حبر يُصنع من مزيج من الصمغ والماء وسناج القدور . وتمكنوا فيما بعد من صنع مداد أسود ثابت كانوا يطحنون مادته على ألواح من الخشب .

الشعوب السامية

الساميون ، احدى السلالات الثلاث[1] التي انحدر منها الجنس الأبيض في العالم اليوم . ويرتبط الساميون بوحدة الأصل العنصري ، وتشابه معتقداتهم الدينية وتقاليدهم الاجتماعية ، وبوحدة لغاتهم التي تنحدر من أصل واحد . فإن كلاً منها جزء من اللغة السامية الأولى ، اللغة التي لا يعرفها أحد اليوم . فجذر الأفعال في كل من هذه اللغات ثلاثي ، ولها صيغتان : صيغة الماضي وصيغة المضارع ؛ وتصاريف الأفعال فيها متشابهة .

وعائلة اللغات السامية تعد من أكبر العائلات اللغوية بين لغات البشر ؛ ومن فروعها اللغة الأكادية (البابلية) والآشورية والآرامية والكنعانية والعبرانية والحبشية والعربية التي تعتبر أشد اللغات السامية تشابهاً باللغة السامية الأم .

وتختلف المجموعة اللغوية السامية عن غيرها من المجموعات اللغوية الأخرى. وأقربها اليها المجموعة الحامية .

وتعتبر جزيرة العرب الموطن الاصلي للجنس السامي ، وذلك لأن معظم أراضيها قاحلة ؛ فيضطر أهلها للرحيل عنها كلما ازداد عددهم ، فيهاجرون الى البلاد المجاورة التماساً للرزق وطلباً للعيش .

إن التنقل البطيء من الصحراء الى الأراضي الخصبة طلباً للرزق وغيره

---

١ ـ وهذه السلالات هي : الساميون والحاميون الذين كانوا يقطنون السودان وشرقي افريقية وشماليها حول وادي النيل ، والآريون الآتي ذكرهم .

حركة مستمرة لم يقف سيلها منذ أقدم الأزمنة حتى يومنا هـذا . الا أن هـــذه الهجرات تزداد أحياناً ويتعاظم أمرها حتى تصير موجة قوية جارفة تحمل معها العدد الضخم من القبائل البدوية ، من الخليج المُقفـر الى الهلال الخصيب[١] .

قال المؤرخ الإيطالي « كايتاني » عن جزيرة العرب : « لقد أخذت جزيرة العرب تتقهقر وتفقد رطوبتها واعتدال جوها وأسباب العيش فيها منـذ أكثر من أربعة عشر ألف سنة ، وبما ان هذا التقهقر كان بطيئاً جداً فإن تأثيره في حياة السكان لم يكن فجائياً ، بل كان مطرداً تبعاً للقلة في الأمطار ، وارتفاع حرارة الجو ، على أن ازدحام السكان لم يكن هنالك كما هي الحال في البـــلاد المزدحمة الآهلة ، وكان الناس يعيشون مـــن صيد الأسماك ويسكنون متفرقين متباعدين .

ولذلك يمكن ان يقال إن سكان الجزيرة ظلوا على حياتهم هذه الى أن أخذوا يشعرون بقلة الزاد والمحصول بسبب نـــدرة الأمطار فانصرفوا الى تدجين الحيوانات البرية ليدفعوا عن أنفسهم غائلة الجوع . ولما اشتدت بهم الحالة ونفد صبرهم من الفاقة والجوع والعطش ارتحلوا الى بلاد أخصب تربـــة وأجود جواً وأكثر أمطاراً .

وهكـــذا بدأت أولى هجراتهم التي حدثت غير مرة . فإن الآثار التي استخرجت من جوف الأرض ما بين الفرات ودجلة تبرهن على أن أولى الهجرات السامية قد بدأت بنحو خمسة آلاف من السنين من ميلاد المسيح ؛ على أن هـــذه الاكتشافات يجب أن لا تنفي فكرة وقوع هجرات سامية أخرى قبل هـــذا التاريخ[٢] » .

---

١ ـ يطلق اسم « الهلال الخصيب » على ما يعرف اليوم بالعراق وبلاد الشام . وسبب هـذه التسمية هو أن القطرين المذكورين المعروفين بخصب أراضيهما يكونان نصف دائرة أو هـــلالاً ، طرفه الغربي ينتهي في الجهة الشرقية الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط. وطرفه الشرقي ينتهي بخليج العرب . وسميت الصحراء القاحلة التي تتاخم الهلال وتدخل فيـــه بالخليج المقفر . ويبلغ عرض هذه الصحراء نحو ٥٠٠ ميل : ٨٠٠ كم .

٢ ـ مجلة المقتطف عدد تموز ١٩٤٤ .

وقد شرع الساميون ، قبل بدء العصر التاريخي ينزلون مصر حوالي عـــام ٣٥٠٠ ق . م . ويرجح أنهم دخلوا مصر عن طريق فلسطين فسيناء فالدلتـا ثم استقروا فيها بعد أن امتزجوا بسكانها الأصليين . ومنها تكون « المصريون » الذين نعرفهم في التاريخ . فكانت هذه الموجة هي أقدم ما عرفنا من الموجات النازحة من بلاد العرب الى مشارف الجزيرة ـ العراق والشام ومصر ـ .

إن تأثير العرب الساميين هؤلاء لم يبق مقتصراً على المصريين ، بـل تجاوزهم الى شعوب إفريقية ، وعلى الأخص الى شعوب أقطارهـا الشمالية والسودان والحبشة وغيرها .

وفي نهاية الألف الرابع أو اوائل الألف الثالث قبل الميلاد، هجر الساميون البادية وأخذوا يقيمون في العراق . فنزل « الأكاديون – Akkadians » منهم في الجنوب والآشوريون في الشمال . وقبل عام ٢٥٠٠ ق . م تعاظم أمر موجـة سامية أخرى عرفت بالموجة « الآمورية – الكنعانيـــة » . وهي الموجة التي اتخذت طريقها الى بلاد الشام . فنزل الآموريون القسم الداخلي من تلك البلاد ؛ ونزل الكنعـانيون قسمه الساحلي وفلسطين . ونزح فريق من الآموريين في نحو عام ١٩٠٠ ق . م ، الى العراق وكونوا فيه سلالة بابل الأولى . ومنهـــا ظهر حمورابي في نحو ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق . م . والراجح ان الهـكسوس الذين نزلوا مصر وحكموها في القرن السابع عشر قبل الميلاد هم من الكنعانيين .

وبعد الموجـــة المذكورة بنحو ألف سنة تعرضت بلاد الشام لموجة سامية أخرى وهي الهجرة الآرامية ، وفيها القبائل المؤابية والآدومية والعمّونيـة . فحل الآراميون في شمالي سورية وأواسطها وأنشأوا فيها دولاً تجارية مهمـة ، منها دولة مدينة دمشق. ونزل المؤابيون والآدوميون والعمّونيون جنوبي سورية، شمالي البحر الميت حتى العقبة .

واستوطنت في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد قبيلة « كَلدْي » الآرامية ، جنوبي العراق ، وقـُدّر لها ان تؤسس الأمبراطورية الكلدانيـــة وهي آخر امبراطورية ظهرت في العراق في العصور القديمة .

ومن الموجات السامية الموجة التي أتت بالانباط الى جنوبي الشام في نحو عام ٥٠٠ قبل الميلاد ، ثم هجرة اللخميين والغساسنة الى العراق والشام ، وكانت آخر الموجات الكبرى موجة العرب المسلمين في القرن السابع للميلاد . وكان من نتائجها نزول قبائلها في جميع أراضي الهلال الخصيب وفي شمالي إفريقية وأسبانيا وفارس وبعض أنحاء آسيا الوسطى .

يتضح مما تقدم ان هؤلاء الساميين هم جميعاً طبقات متتابعة من العرب وان اختلفت أسماؤهم ، وان بلادهم ، جزيرة العرب ، ظلت منذ العصور المتناهية في القدم خاصة بهم . وما دراستنا لتاريخهم إلا دراسة لتاريخ بعض الأقوام العربية البائدة . ويرى عدد من ثقات المؤرخين الأوروبيين أن العرب والساميين شيء واحد . وقال « اسبرنجر — Sprenger » إن جميع الساميين عرب .

وصفوة ما تقدم ، ان العالم بحضاراته العظيمة المختلفة مدين لهذه الجزيرة العربية التي انتشر سكانها في الشام والعراق وإيران وآسيا الوسطى ومصر وليبيا وبلاد المغرب والحبشة والأندلس وغيرها . وأقاموا فيها أقدم الحضارات وأعرقها .

الموقع الجغرافي لفلسطين

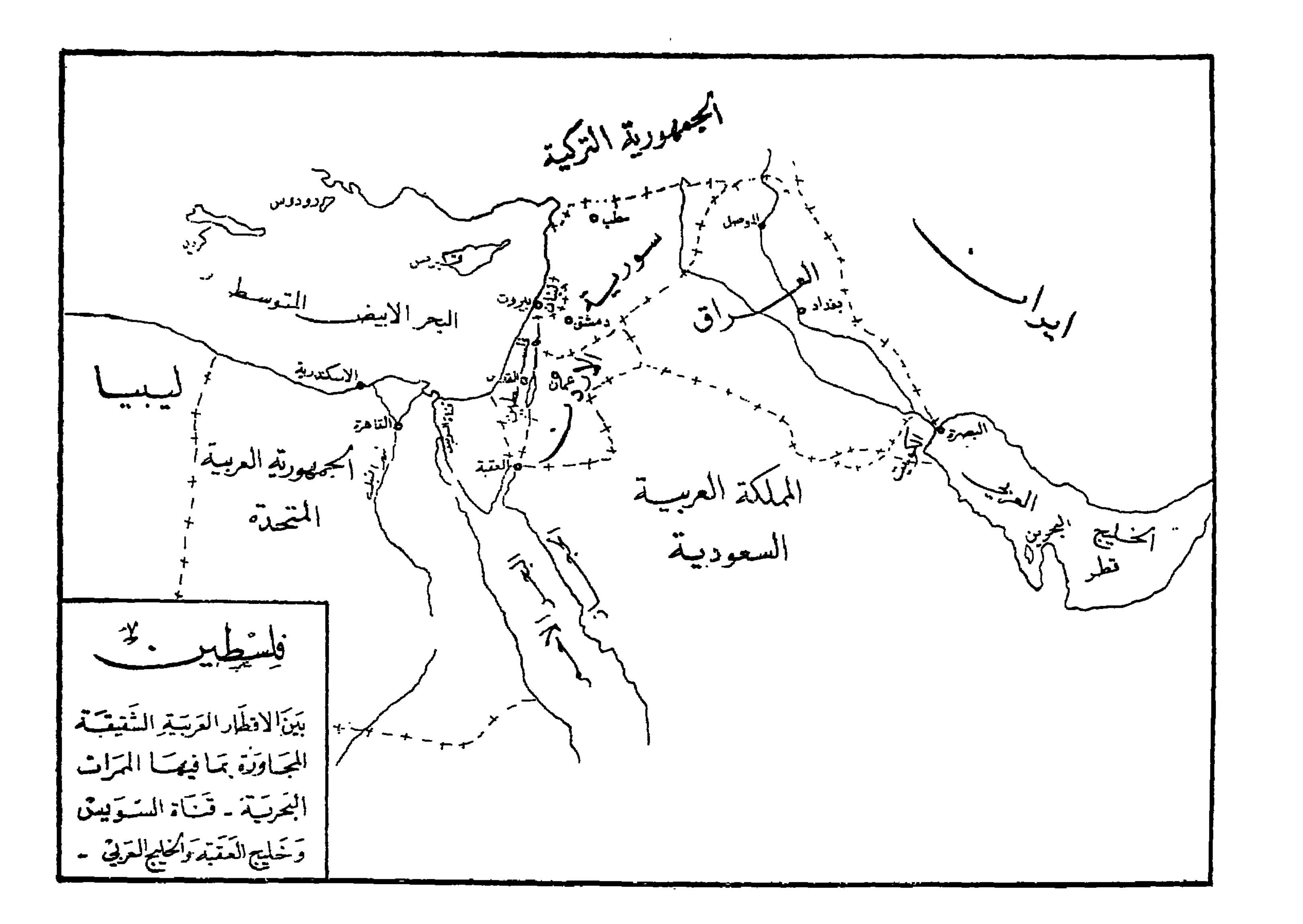
فلسطين وطننا العزيز الغالي ، جزء طبيعي من بلاد الشام (سوريا)[١] . يؤلف قسمها الجنوبي الغربي ، فهي فضلاً عن أنهـا رأت طلعة موسى وعيسى ومحمد ، تمتاز بأهمية موقعها الجغرافي . فبلادنا ملتقى قارتي آسيا وإفريقية ، وبما أن البحر هو الذي يصل اوروبا بآسيا – بالشرق – أصبحت فلسطين في مركز متوسط بالنسبة الى اوروبا ، كما هي لإفريقية وآسيا . وهي الطريق الذي يصل البادية وسهول الجزيرة بالبحر الابيض المتوسط . ففلسطين هي الجسر الموصل بين البلاد العربية المختلفة .

وموقعها الجغرافي كوّن تاريخها . فإن موقعها بين الدول العظيمة القديمـة ، كمصر وبابل وآشور والفرس واليونان صيّرها معرضاً لجيوش العالم القديم ، فقد وقعت فيها أهم الوقائع لاكبر الفاتحين كطثمنيس (تحتمس) وسرجون وبختنصر وقمبيز والاسكندر وأنطيوخوس بأفياله ، وبومبي وفسبسيانوس وطيطوس ، ثم ابن العـاص وابن الوليد وصلاح الدين وريكاردوس ... فنابوليون وابراهيم باشا واللنبي وليمان فون ساندرس – Liman Von Sandress ...

وشبهها الأقدمون ، في موقعها هذا كأنها بين حجري رحى ، لذلك لم تظهر فيها دولة قويـة ذات حول وطول وجيش كغيرها من الدول التي ظهرت في

---

١ - قال الدكتور أنيس فريحة في المقدمة التاريخية لكتابه « اسماء المدن والقرى اللبنانية » (ان سوريا تسمية بابلية للمنطقة الواقعـة ، غربي الفرات الأعلى والأوسط ، ثم اطلق الاسم على الكل ، على مبدأ تسمية الكل بجزء منه . وقد سماها الاغريق Syria والسريان (سوريا) وفي رسائل اوغاريت (Shyrn) .


الجمهورية التركية
سورية
العراق
ايران
حلب
الموصل
بيروت
دمشق
بغداد
البصرة
عمان
العقبة
القاهرة
الاسكندرية
البحر الابيض المتوسط
قبرص
ليبيا
الجمهورية العربية المتحدة
المملكة العربية السعودية
الخليج العربي
البحرين
قطر
فلسطين
بين الاقطار العربية الشقيقة
المجاورة بما فيها الممرات
البحرية - قناة السويس
وخليج العقبة والخليج العربي -

الزمن القديم . ولقد جاء في تاريخ جورج آدم سمث « ليس في الدنيا من بقعة جرت فيها من الحوادث التاريخية الحربية ما جرى في البلاد السورية » .

وكما ان البلاد كانت معرضة لتكون ميادين للقتال إبّان الحروب ، كذلك كانت الطريق التجاري الذي تمر منه القوافل بين المشرق والمغرب أيام السلم . فكانت تمر منها طريقان يعتبران أهم الطرق التجارية القديمة . الأولى الطريق التي تصل مصر وشمالي افريقية بآسيا والثانية التي تأتي من الجزيرة العربية وتنتهي بسواحل فلسطين ومنها الى مصر وسوريا وسواحل البحر الأبيض المتوسط .

وفلسطين وان قللت قناة السويس من أهميتها فإن اتصالها بالخليج العربي يعيد لها تلك الأهمية .

فوقوع فلسطين عند مجمع السبل وصيرورتها ميادين للقتال واتخاذها طرقاً للتجارة ، كل ذلك أكسبها فوائد التمدن والصنائع والعلوم من الأمم العظيمة المجاورة لها . فحضارة مصر واليونان وبابل أحاطت بها وأثرت فيها وروتها من ينابيع خيراتها .

قال الدكتور بريستيد في صفحة ١٧٥ — ١٧٧ من كتابه « العصور القديمة » عن موقع فلسطين الجغرافي ما يأتي : (وقد تسنى لفلسطين ان يتألب في أسواقها أناس من كل بلاد وأمة ولسان . فكان الواحد يشاهد في تلك الأسواق ما صنعته يد المصري من نفيس الحلى وضروب الآنية النحاسية والمصنوعات العاجية المختلفة ، وفخار جزر بحرايجه ، وخزف بلاد الحثيين الأحمر ومنسوجات الصوف البابلية . وأما الحمير التي كانت تشاهد هنا وهناك وترعج بأصواتها المنكرة المرتفعة ، فوق ضوضاء الأسواق ، فقد جيء بها من عن ضفاف النيل والفرات حيث كانت سائمة . وكان أصحابها يتعاطون التجارة بيعاً وشراءً تحت أبراج هياكل بابل كما في ظلال مسلات طيبة بمصر . ومما لا بد من ذكره هنا هو أن الاتجار مع بابل علّم الساميين الغربيين الكتابة المسمارية . وكانت فلسطين مدخل الجسر الواقع بين آسيا وافريقية — بلاد امتزجت فيها مدنيات مصر وبابل وفنيقيه وبلاد ايجه وآسيا الصغرى على اسلوب لامثيل له في الشرق القديم . وكانت السلع التجارية تمثل تلك المدنيات .

وكما التقت في اسوق فلسطين تجـارات الأمم المحيطة بها ، تتبارى في مضمار السلم كذلك تلاقت جيوشها في ساحة الوغى تتقاتل وتتطاحن لأن موقعها بـين جارتيها القويتين ، مصر وبلاد ما بين النهرين ، جعلها معتركاً حربيـاً قروناً عديدة . ولقد منيت فلسطين مراراً ، في تلك الحروب، ما منيت به البلجيك في الحرب ما بين المانيا وفرنسا سنة ١٩١٤ ميلاديـة . فاستولت عليها مصر مئات من السنين . وبعد ذلك بزمان استولت عليها آشور ، ثم تسلط عليها الكلدان ، وآخر الكل استحوذ عليها الفرس ، ولذلك لما آل أمرها الى العبرانيين لم يؤملوا أن يبقوا أمداً طويلاً سالمين من الضغط الأجنبي) .

وقرب فلسطين من بادية العرب التي تحيط بها من الجنوب والشرق جعل أهل الجزيرة العربية ينزلونها من أقدم أزمنة التاريخ، فاكتسحوها حيناً واستقروا على الحدود حيناً آخر ثم تدريجاً نزحوا للداخل ، وأنشأوا فيها دولاً كثيرة . وتوالى هبوطهم وانتقالهم اليها إلى ان اصطبغت البلاد بالصبغة العربية الحديثة ، وأصبح التمدن فيها عربياً . فمحبة الحرية والتطلع الى الاستقلال والمناظرة الشديدة بين القبائل والعائلات هي من جملة مميزات تاريخ فلسطين الناتج عن قربها من الصحراء.

وهاك ما قالته لجنـة التحقيق الانكليزية ـ الأمريكية في صفحة ٢٥ من تقريرها المطبوع عـام ١٩٤٦ عن أهمية فلسطين في الشؤون الدوليـة في العصر الحاضر : (وتستمد فلسطين أهميتها في الشؤون الدوليـة ، الى حد كبير ، من وقوعها على خطوط مواصلات رئيسية للطرق والسكك الحديدية، وهي تقع على الخط الممتد بين مركزي الثقافة العربية العظيمين ، القاهرة ودمشق ، وبين مصر مقر جامعة الدول العربية والدول الاخرى المنتمية الى عضويتها ، وبـين العراق وشرق الاردن المستقلة حديثاً ، ومنافذهما الى البحر الأبيض المتوسط) .

وبعد أن تعود فلسطين لاصحابها سيكون لها أهمية كبرى في الملاحة الجوية، فتمر بمطاراتها وأجوائها الطائرات المسافرة بين اوروبا وافريقية الشمالية من جهة وبين آسيا من جهة أخرى . كما يمكن أن يخترقها ، حينئذٍ ، أنابيب الزيت الخام من العراق وسواحل الخليج العربي .

وفلسطين اليوم ، التي تقع على مفترق الطرق في الوطن العربي ، هي قلب الوطن المذكور ومركزه . وهي الجسر الوحيد القائم بين الـ ٣٥ مليون من العرب المقيمين في غربي آسيا ، وبين الـ ٦٥ مليون من العرب المقيمين في شمال إفريقية وأواسطها . ولكن مساعدة الغربيين من بريطان وأمريكان وغيرهم في خلق إسرائيل في أرض فلسطين قسمت الوطن العربي الى قسمين ، تمنع التقاء مشرقه ومغربه ، وأضحت هذه الدولة اليوم بؤرة للشر وركيزة للاستعمار الغربي يحميها ويستخدمها في حماية مصالحه ومواصلاته في المنطقة ، ناهيك عن أن وجودها أمسى مصدر خطر مؤكد على كيان العرب في المشرق والمغرب ، مما يضطر جميع الدول العربية لصرف الكثير من مواردها للتسلح — حتى لا تقع فريسة لنفس الخطر ونفس المصير الذي تعرّض له الفلسطينيون — مما يعرقل خططها ومناهجها الرامية الى رفع مستوى البلاد في مختلف نواحي الحياة .

[إن الخطر الإسرائيلي بعد ذلك كله ، لا يمثل مجرد ما تم حتى الآن من عدوان على الحق العربي ، وإنما هو يمتد الى المستقبل العربي ويهدده بأفدح الأخطار ، وإذا ما لاحظتم استمرار الهجرة اليهودية الى إسرائيل وتشجيعها وفتح الأبواب أمامها رأيتم معنا ان هذه الهجرة تصنع ضغطاً داخل إسرائيل لا بد له أن ينفجر ويتجه الى التوسع ، ولعل ذلك هو التفسير المنطقي للتحالف القوي بين إسرائيل وبين مصالح الاستعمار في منطقتنا ، فإن إسرائيل منذ قيامها لم تبتعد كثيراً عن الفلك الاستعماري وكان واضحاً أنها تشعر بترابط مصالحها مع الاستعمار ، كذلك كان الاستعمار من ناحيته يستخدم إسرائيل كأداة لفصل الأمة العربية فصلاً جغرافياً عن بعضها ، وكذلك كان يستخدمها كقاعدة لتهديد أي حركة تسعى للتحرر من سيطرته ، ولست في حاجة للتدليل على ذلك إلا بتذكيركم بالظروف التي تم فيها العدوان الثلاثي علينا والتواطوء الذي سبقه سنة ١٩٥٦ [1]] .

١ — من خطاب أرسله الرئيس جمال عبد الناصر في ١٨ أغسطس ١٩٦١ الى المستر جون ف. كنيدي رئيس جمهورية الولايات المتحدة ردا على كتابه في ١١ أيار ١٩٦١ . الاهرام السنة ٨٨ . العدد ٢٧٦٧٨ في ٢١ أيلول - سبتمبر - ١٩٦٢ .

الكنعانيون

وبينما كانت فلسطين ، في عصور ما قبل التاريخ ، آهلة بالسكان ، تعرضت في اواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث قبل الميلاد لموجة عربية (سامية) كبيرة ، وهي الموجة المعروفة باسم « الآمورية – الكنعانية) التي تعاظم أمرها قبل عام (٢٥٠٠) ق . م . فنزل الآموريون داخل بلاد الشام وجنوبها الشرقي (شرقي الأردن) ، واستوطن الكنعانيون ساحلها وجنوبها الغربي (فلسطين) .

والكنعاني على وجه الاجمال ، معتدل القامة ، ممتلىء الجسم ، عريض الأنف ، ضخم الشفتين ، بارز الذقن ، كثيف الشعر وجلود في الأعمال الشاقة .

اختلف العلماء في تفسير معنى كلمة « كنعان » فبعضهم ذكر ان « كَنَع » أو « خَنَع » كلمة سامية بمعنى الأرض المنخفضة . وقد دعي الكنعانيون باسمهم هذا لنزولهم الأراضي السهلية واستقرارهم فيها تمييزاً لهم عن غيرهم الذين نزلوا الجبال والمرتفعات . والحقيقة أنهم سكنوا الجبال كما استقروا في السهول . وغيرهم ذهب الى انها كلمة (حورية) مشتقة من كلمة (K naggi) التي تعني صبغ الأرجوان الذي اشتهر به الكنعانيون . والذي نرجحه ان الكنعانيين دُعوا بهذا الاسم نسبة الى جدهم الأول « كنعان » كما هي عادة العرب في تسمية قبائلهم ، فيقولون « بنو مخزوم » و « بنو لَخْم » و « بنو تميم » و « بنو هاشم » و « بنو كنعان » ... و « بنو كنعان » هؤلاء كانوا يقيمون في بادىء أمرهم ، في أرضهم السهلية الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي . وقد نسبت اليهم

وسميت « بأرض كنعان[1] » . ولما نزحوا منها ونزلوا الشام حملوا معهم اسمهم واسم بلادهم الذي أعطوه لوطنهم الجديد .

والكنعانيون شديدو الصلة بالآموريين . فهما فرعان من قبيلة كبرى واحدة تحركت في هجرة واحدة لا في هجرتين مختلفتين. وتعد لغة الآموريين والكنعانيين لهجتين من فروع كتلة اللغة السامية (العربية) السورية . فلهجة الكنعانيين شبيهة بلهجة الآموريين لا تختلف عنها أكثر مما تختلف اللهجات الشامية اليوم — من سورية ولبنانية وفلسطينية — بعضها عن بعض . حتى ان بعض المؤرخين ذهب الى ان الآموريين هم الكنعانيون . والكنعانيين هم الآموريون .

قال أنيس فريحه : [حوالي ٢٢٠٠ ق . م . بدأ تسلل قبائل عربية بدوية من شمالي الجزيرة العربية على نطاق واسع . وقد انتشرت هذه القبائل في سهول سوريا الشمالية الشرقية . وقد اتجه بعضها غرباً جنوباً الى شرق الأردن وتلال القدس وجبال لبنان . اما الذين تاخموا البحر ، فقد عرفوا بالكنعانيين ، ومن الكنعانيين كان الفنيقيون . واتجه البعض الآخر شرقاً جنوباً واكتسحوا بابل ، ومنهم كانت سلالة حمورابي الآمورية][2] .

وذكر بعض المؤرخين ان الكنعانيين كانوا في بادىء أمرهم يقطنون سواحل الخليج العربي الغربية ، قبل نزوحهم الى سواحل الشام وفلسطين . وأن سفنهم مخرت مياهه قبل ان تنزل في البحر الأبيض المتوسط. فكانوا يتاجرون مع الهند وايران وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية بل وافريقية .

ومن الذين قالوا بهجرة الكنعانيين من الخليج العربي « هيرودوتس — Herodotus[3] » نقلاً عن علماء صور الذين ذكروا له ذلك . و « إسترابو »

---

١ — تاريخ سورية للمطران الدبس . المجلد الأول ، الجزء الأول ص ٢٥٥ . طبع بيروت ١٨٩٣ م . وهو في الأصل منقول عن « بليني » المؤرخ الروماني الذي ظهر في القرن الأول للميلاد .

٢ — من المقدمة التاريخية لكتابه « أسماء المدن والقرى اللبنانية » .

٣ — مؤرخ يوناني ٤٨٤ — ٤٢٢ ق. م. ساح في بلدان الشرق الأدنى . ولما عاد الى بلاده كتب تاريخ تلك الأقطار .

الجغرافي الروماني ٦٤ ق . م – ١٩ م الذي أشار الى المقابر الموجودة في جزر البحرين بأنها تشابه مقابر الفنيقيين [١] . ، وان سكان هذه الجزر يذكرون أن أسماء جزائرهم ومدنهم هي اسماء فينيقية . وقال ايضاً إن في هذه المدن هياكل تشبه الهياكل الفينيقية الشامية .

وقد عثر رجال شركة الأرامكو في الأحساء على مقابر أخرى تشبه بصورة عامة المقابر التي عثر عليها في البحرين ، كما عثر الرحالة « جون فلبي » على مثل هذه المقابر في « الخَـرْج » و « الأفلاج » من أعمال نجد . وعلى رأيه ربما كان الفينيقيون من هاتين المنطقتين ، حيث هاجروا بعدئذٍ الى سواحل الخليج العربي .

وفضلاً عما تقدم فهناك أسماء في شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الشامي . مثل « صور » على ساحل 'عمان، و « جُبَيْل » على ساحل الأحساء و « ارواد – Aradus » وهي الاسم القديم لجزيرة « المحرّق » .

وقد زار « نيركس – Nearchus » أمير البحر عند الإسكندر المكدوني مدينة الشمس « صيدا » على شاطىء الجزيرة العربية الشرقي . ولم يتمكن أحد بعد من تعيين موقع « صيدا » هذه حتى اليوم .

ويذكر جان جاك بيريبي (الخليج العربي ص ١٦٩) ان الفنيقيين انطلقوا من البحرين الى البصرة سالكين طريق الهلال الخصيب الى الساحل الشامي حيث بنوا مدنهم وأنشأوا حضارتهم الرفيعة التي نشروها في البحر الأبيض المتوسط .

وأما « فرنسيس لزمان » مؤلف تاريخ الشرق القديم فيرى انهم سلكوا طريق القوافل من القطيف الى وادي غطفان وجبل طويق في نجد . ثم مروا

١ – ان الرأي السائد بين الذين عنوا بدراسة وفحص هذه المقابر بأنها مقابر فنيقية . ففي عام ١٨٨٩ م جاء « تيودور بنت – Theodore Bent » العالم الانكليزي الى البحرين وأجرى تنقيباً في مقابرها . وبعث بشيء منها الى المتحف البريطاني . ولما درستها لجنة المتحف قررت أنها من مقابر الفنيقيين وذلك قبل هجرتهم الى سواحل الشام وفلسطين .

بالوشم والقصيم فالحناكية . ومنها ساروا في الطريق التي يسلكها الحجاج في كل سنة ، حين عودتهم من المدينة الى دمشق [١] .

وقال المرحوم أمين الريحاني : [ما أجمع عليه المؤرخون والأثريون أن الفنيقيين مثل العرب ساميون . بل أنهم عرب الأصل . نزحوا من الشواطىء العربية الشرقية على خليج فارس (الخليج العربي) ، ومن البحرين الى سواحل البحر المتوسط في قديم الزمان .

ويستنتج من درس الآثار التي وُجدت في المقبرة القديمة في البحرين أن هجرتهم كانت قبل عهد الشبه ، في أواخر العهد الصواني ، يوم لم يكن الإنسان يحسن شيئاً من الكتابة . اذ لا كتابة البتة في مقابر البحرين الكنعانية][٢] .

وقد ذكر المؤرخ العربي أبو جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠ هـ : ٩٢٢ م . الكنعانيين في تاريخه أنهم من العرب البائدة،وأنهم يرجعون بأنسابهم الى العمالقة. وأخذ عنه ابن خلدون وغيره من المؤرخين [٣] .

قال الطبري : [عمليق أبو العماليق . كلهم أمم تفرقت في البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ؛ ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم « الكنعانيون » ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر[٤]] . وقال أيضاً : [والعماليق قوم عرب لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي[٥]] . و [ان عمليق أول من تكلم بالعربية [٦]] . و [... فعاد وثمود والعماليق وأميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب [٧]] .

وقال ابن خلدون عن الكنعانيين : (وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري

---

١ – تاريخ لبنان للأب مرتين اليسوعي ص ٢٧٧ .بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين١٨٨٩م.
٢ – قلب لبنان ص ٤٣٣ . طبع دار ريحاني للطباعة والنشر . بيروت ١٩٥٨ .
٣ – تاريخ ابن خلدون ؛ ٩/١ طبع مصر ١٩٣٦ .
٤ – تاريخ الطبري ؛ ٢٠٣/١ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .
٥ – نفس المصدر ؛ ٢٠٤/١ .
٦ – نفس المصدر ؛ ٢٠٧/١ .
٧ – نفس المصدر ؛ ٢٠٤/١ .

انهم من العمالقة ، كانوا قد انتشروا ببلاد الشام وملكوها [1]) . وقال أيضاً : (أول ملك كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة [2]) . وقال أيضاً : (وكانت طسْم والعماليق وأميم وجاسم يتكلمون بالعربية [3]) .

وقد جاء في الجزء الثاني من « لغة العرب » (والظاهر أنهم (أي الكنعانيين — الفنيقيين) من أصل عربي فقد نقلت التقاليد القديمة أنهم ظعنوا من الديار المجاورة لخليج فارس الى سواحل البحر الأبيض المتوسط) .

وقال الدكتور جيمس هنري برستيد : (وسكان هذه البلاد الآسيوية (سورية) ساميون ، لا يبعد أن يكونوا من مهاجري صحراء العرب ، والمعروف ان مثل هذه الهجرة تكررت في العصور التاريخية . ويقال لهؤلاء القوم الحالين بالجهات الشمالية « الآراميون » وبالجهات الجنوبية « الكنعانيون » [4]) .

(قال رولنسون ان أصل الفنيقيين (الكنعانيين) من سكان البحرين في الخليج العربي . ظعنوا من هناك الى ساحل الشام منذ نحو خمسة آلاف سنة . وانهم عرب بأصولهم وان هناك مدناً فنيقية أسماؤها أسماء فنيقية مثل صور وجبيل [5]) .

وعليه فإن الكنعانيين دخلوا بلادنا وهم متقدمون في المدنية ، فأخذوا يتابعون نشاطهم ويمارسون حضارتهم على نطاق أوسع في وطنهم الجديد .

ونسبة الى هؤلاء الكنعانيين دُعيت البلاد بأرض كنعان . فكان أقدم اسم سميت به بلادنا . وقد بقيت لهم السيادة والسلطة في البلاد مدة تنوف عن ألف وخمسمئة سنة . وذلك من نحو ٢٥٠٠ ق.م. الى نحو ١٠٠٠ ق.م. حيث تمكن اليهود من اعلان مملكتهم .

* * *

---

١ — تاريخ ابن خلدون ؛ ١/٤٤ .
٢ — تاريخ ابن خلدون ٢/٧٠ مصر ١٩٣٦ .
٣ — نفس المصدر ؛ ١/١٠ .
٤ — تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي . القاهرة ١٣٤٧ ﻫ : ١٩٢٩ م .
٥ — خطط الشام ؛ ١/٥٨ دمشق ١٩٢٥ .

حدود أرض كنعان :

يتضح من مراسلات « تل العمارنة » التي تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ان المصريين كانوا يطلقون لفظة « كنعان » على جميع السواحل السورية .

و « العهد القديم » الذي هو أهم مصدر لنا في هذا الشأن اختلف في تحديد « أرض كنعان » في مختلف أسفاره فتارة يطلقها على الساحل الشامي الى حدود مصر[1] ، واحياناً يضيف الى « كنعان » القسم الجبلي[2] وغور الأردن[3] . وفي الاصحاح الأول من سفر القضاة يطلق اسم « أرض كنعان » على سكان الجبال والسهول ومنطقة بئر السبع الواقعة في جنوبي البلاد ، والتي كانت تعرف باسم « النجب – Negeb » بمعنى الأرض الجافة .

ويحدد الدكتور جورج بوست أرض كنعان بالحدود الآتية : (وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة[4] شمالي لبنان الى الشمال وبادية سورية والعرب الى الشرق وبادية العرب الى الجنوب . ولم تمتد الى ساحل البحر الأبيض المتوسط في كل الأماكن الى الغرب لأن الفلسطينيين ما زالوا الى ان انقرضوا يقطنون ذلك الساحل[5]) .

* * *

ولما كان القطر الشامي ، ومنه فلسطين ، يتكون من عدة أقسام يختلف بعضها عن بعض ، من سهول ساحلية ، فجبال مرتفعة تُشرف على سهول وأغوار ، فسلسلة جبال أخرى تنتهي بالصحراء ، كان من الصعب نشوء حكومة

---

١ – تكوين ؛ ١٠ : ١٩ .
٢ – يشوع ؛ ١١ : ٣ .
٣ – سفر العدد ؛ ١٣ : ٢٩ .
٤ – بمعنى الطريق الى حماة .
٥ – قاموس الكتاب المقدس ؛ ٢/٢٦٨ بيروت ١٩٠١ م .

موحدة مستقلة قوية. ولذلك اشتمل على عدد كبير من الممالك المدينية الأمورية — الكنعانية المختلفة. فكانت كل منها تسعى لأن تضم أكبر عدد ممكن من الأراضي والقرى المجاورة لها . وكان لكل من هذه المدن ملكهـا وحكومتها ومعبودها وكهنتهـا . وكان الملك في بعض الأحايين ، يجمع في شخصه منصبي الحاكم والكاهن الأكبر . يأتمر الجميع بأوامر الملك الذي كان أحياناً يتقيد بمجلس المدينة العام المؤلف من رجال الدين والقضاء والأغنياء والأشراف . وكثيراً ما كانت المدن الكنعانية بيد ملوك صالحين يقضون بالعدل ويحفظون حقوق الأرامل واليتامى . وكان الابناء أو الإخوة يخلفون آباءهم أو إخوتهم على العرش على الأغلب . وقد ينتقل الملك الى أسرة أخرى أو تنتزع الإمـارة وتسلب نتيجة ثورة عناصر تصبح لها الغلبة . وحين الضرورة كانت تعقد مؤتمرات من المدن الكبرى للتداول في الشؤون العامة المشتركة .

ولم تكن المدن والإمارات الكنعانية ميّالة بطبيعتها الى توحيـد كلمتهـا وتحسين ادارتها ، بـل كان الشقاق سائداً بينهـا طمعاً في نهب الامتعة وضم الاراضي اليها .

(قال المؤرخ جورج رولنسون : ما تأسس حلف من الولايات الفنيقية كلها مرة واحدة ، حتى ولا حلف موقت . وما كان يرد الى الولاية المهددة أي نجدة من الولايات الأخرى شقيقاتها . الانطواء وتضارب المصالـح الخاصة ، وضعف الحس القومي ، كانت كلها تحول دون توحيد الكلمة والعمل في أيام الخطر والشدة . وكانت كل ولاية تسقط وحدها ، فتتبعها الولايات الأخرى واحدة واحـدة .

فما كان اولئـك الفنيقيون ليدركوا معنى التعاون ، ولا مالوا يوماً الى التضامن العام الذي فيه خير القومية الواحدة والوطن . ولنـا أن نقول ما كان هناك وطن واحد ، ولا حس قومي واحد ، حـتى ولا إله واحد يجمع شملهم ، ويربطهم برابطة وطنية واحدة .

وما عرف أبنـاء مدنهم المنحدرون من نسل واحد معنى الإخاء القومي ، ولا أدركوا مغزى الحياة الوطنية . وقـل فوق ذلك انهم كانوا متعادين في بعض

الأحيان، متخاذلين على الدوام [١]) .

الا ان هذه الإمارات كانت ولا شك، على جانب عظيم من الحضارة والمدنية في أمور أخرى مما سنذكره في حينه .

والكنعانيون الذين نزلوا الساحل أمام جبل لبنان عرفوا بعد القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد بالفنيقيين . فالكنعانيون والفنيقيون شعب واحد ، نسباً ولغة وديناً وتمدناً ، انقسم الى قسمين : سكن الأول فلسطين والثاني الساحل الشامي من مصب نهر العاصي الى جنوبي الكرمل. ومع أن اسم الفنيقيين أصبح أشهر من اسم كنعان عليهم الا أنهم ظلوا محافظين على نسبهم الكنعاني . وبقوا يسمون أنفسهم كنعانيين ولا يرضون عنه بديلاً .

ونظراً لما بين بيئتي القسمين الجغرافيين من الإختلاف لم يتشابها تماماً في حياتها . فالساحل السوري صيّر من كنعان أمة اشتهرت بملاحتها وخوضها عُباب البحور . وأما فلسطين فلعدم وجود موانىء صالحة على سواحلها ، ولتعرضها للغارات المتعددة من قبل الأمم القديمة، اتجه كنعانيوها الى الأعمال الزراعية والى الجبال والقلاع، وأحاطوا مدنهم بأسوار يلتجئون اليها كلما شعروا بقدوم غازٍ أو فاتح جديد .

حصل الفنيقيون على أكبر نصيب من العمران عن طريق التجارة ، كما أن اخوانهم في الجنوب اهتموا بالتغلب على صعوبات الحاجات العمرانية بترفيه حالتهم الإقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً ، اتخذت مثالاً نقلت عنه الأمم الأخرى .

* * *

ومما يجدر ذكره، ونحن بصدد الحديث عن الكنعانيين ان ابن خلدون المؤرخ العربي المغربي الكبير وكثير ممن درس تاريخ المغرب يؤكدون بأن الأمازيغ – أصل وأقدم سكان ليبيا والمغرب العربي كافة – هم من الكنعانيين [٢] . دعوا

---

١ – قلب لبنان ص ٤٢٩ - ٤٣٠ بتصرف .
٢ – تاريخ ابن خلدون ؛ ١١/١ .

بذلك نسبة الى جدهم « مازيغ بن كنعان [١] » ، ارتحـــلوا من ربوع الشام الى شمالي إفريقية عن طريق مصر .

وقد أطلق اللاتينيون ، ومن والاهم ، اسم « الـبربر » على الأمازيغ ومـــا زالوا يعرفون به الى اليـــوم . هذا وأن معظم البربر يعتقـــدون بأنهم مشارقة الأصل .

كان هؤلاء الكنعانيون المغاربة ينقسمون إلى عشائر متعددة وقبائل صغـيرة محلية ، حضارتهم كنعانية ترتكز على الزراعة .

وجاء في معجم البلدان /١/٣٦٨ : وانما هم (أي الـبربر) من الجبّارين الذين قاتلهم داود وطالوت ، وكانت منازلهم ناحية فلسطين ، فلما أخرجوا من أرض فلسطين أتوا المغرب فتناسلوا به وأقاموا في جباله) . وقال مثل ذلــك المؤرخ المسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هـ [٢] .

وفي تاريخ أبي الفداء [٣] ان الكنعانيين بعد تفرقهم سارت طائفة منهـــم الى المغرب [٤] .

وفي نحو ١٠٠٠ ق . م . نزل كنعانيـــو الشرق ــ الفنيقيون ــ سواحل المغرب العربي واستقروا فيه ، وأسسوا مع أبنـــاء عمهم الأمازيغ ، أسواقـــاً لتجارتهم أصبحت فيما بعد مدناً قائمة بذاتها ، تمتد من سواحل ليبيا حتى سواحل المملكة المغربية الواقعة على المحيط الأطلسي . ونتيجة لهذه المستعمرات أو المدن اختلط كنعانيو المشرق مع كنعانيي المغرب اختـــلاطاً وثيقاً فانتشرت اللغـــة الكنعانية بـــين الأمازيغ الذين اعتنقوا عقائد ابنـــاء عمهم الفنيقيين الدينية وتطبعوا ببعض عاداتهم وتعلموا منهم أصول التجارة والصناعة وغيرها .

---

١ ــ نفس المصدر ١/١٨ .

٢ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ؛ ٢/١١٩ القاهرة ١٩٥٨.

٣ ــ هو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة . توفي سنة ٧٣٢ هـ .

٤ ــ المختصر في أخبار البشر . ج١ ، المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ . ص ٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القبائل الكنعانية

كان الكنعانيون ، في فلسطين ، ينقسمون الى قبائل متعددة . منها :

(١) اليبوسيون:

دُعوا بذلك نسبة الى « يبوس » جدهم الأعلى . وكانت منازلهم في مدينة « يبوس[١] » وحولها. و « يبوس » هو اسم القدس العربي الكنعاني ، أقيمت على الجبل الجنوبي الغربي من القدس الحالية ويعرف اليوم باسم « جبل صِهيَوْن » أو « جبل النبي داود ٢٥٥٠ قدماً–٧٧٠ م ». وقد حصن اليبوسيون مدينتهم بسور عظيم كان له الفضل الأكبر في صد هجمات يوشع وقومه، وبقاء المدينة في يد أصحابها.

ويبدو أن « ملكي صادق » الذي هنأ ابراهيم عليه السلام على انتصاراته في حروبه ضد « كدَرَ لعُومر » العيلامي[٢] وقدم له ما يلزم من معونة ومأكل ومشرب كان كنعانياً يبوسياً من ملوك القدس التي كانت تُدعى في أيامه « شاليم[٣] » . واعترافاً بفضله قدم له ابراهيم عشر أمواله . ويقال إن « ملكي صادق » هذا كان هو وجماعته من المعتقدين بالتوحيد ، ويبدو أنه كان من جملة الذين آمنوا بدعوة ابراهيم لعبادة الله .

وعرفنا من اليبوسيين أيضاً :

(١) ملكهم « أدوني صادق » بمعنى – سيد العدل – الذي قتله اليهود ، بقيادة يوشع ، في احدى معاركهم ضد الكنعانيين أصحاب البلاد . وقتل معه

---

١ – ومما هو جدير بالذكر ان في سورية اليوم قرية تعرف باسم «يبوس» من أعمال «الزبداني» وعلى مسيرة ٣٢ كم منها .

٢ – عيلام ؛ كانت تقع غربي « فارس » وتمتد الى الخليج العربي . و « كدر لعومر » من ملوكها الأقوياء . تمكن من فرض سلطته على قسم كبير من بلاد العراق ، وذلك قبل ان تمكن حورابي (نحو ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق. م.) من توحيد العراق تحت سلطته . وفي احدى حروب « كدر لعومر » في فلسطين ، أخذ لوط عليه السلام أسيراً الا ان ابراهيم أدركه بجيش صغير فانتصر عليه واسترد ابن أخيه الأسير .

٣ – « شاليم » كان إله السلام عند الكنعانيين . وأول مرة ورد فيها اسم « اورشليم » هو في نقش مصري قديم يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وفي الواح « تل العمارنة » ، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ذكرت القدس باسم « اورسلمو » أو « أروسالم » .

ملوك آخرون من حلفائه . ويظهر أن المعركة كانت في جوار قرية « المغار » من أعمال الرملة . ويصف العهد القديم هذه المعركة ، بأن يوشع بعد أن أسر هؤلاء الملوك ، وكانوا خمسة ، أمر قواد جيشه ان يضعوا أرجلهم على أعناقهم إهانة لهم. (ثم ضربهم يوشع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمسة خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء . وكان عند غروب الشمس أن يوشع أمر فأنزلوهم عن الخشب وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها ووضعوا حجارة كبيرة على فم المغارة حتى الى هذا اليوم عينه[1]) .

(٢) « أرونة » أو « أرنان » اليبوسي من سكان القدس ، الذي اشترى منه النبي داود بيدره بست مئة شاقل من الذهب[2] حيث بنى عليه ، بعد حين ، الهيكل المعروف بهيكل سليمان .

ولما دخل داود القدس في القرن العاشر قبل الميلاد ، قاومه اليبوسيون مقاومة عنيفة إلا انهم في النهاية غُلبوا على أمرهم وانصاعوا للفاتح الجديد . وفي عهد ولده سليمان عومل اليبوسيون معاملة العبيد .

وقد بقيت قلة منهم الى ايام الحكم الفارسي وأيام المسيح عليه السلام . ولم نسمع عنهم بعد ذلك شيئاً .

(٢) العناقيون :

كانت منازلهم تمتد من جنوبي الخليل الى القدس . ونزل بعضهم الساحل فأقاموا في « غزة » و « جت[3] » وينسب اليهم بناء « اسدود[4] » .

---

١ – الإصحاح العاشر من سفر يشوع : ٢٦ – ٢٧ .

٢ – قال صاحب قاموس الكتاب المقدس . ح ٢/١٦٦ المطبوع في بيروت عام ١٩٠١ م (قيمة شاقل الذهب نحو ليرتين عثمانيتين . وكانت قيمة الذهب والفضة في تلك الأيام نحو عشرة أضعاف ما هي الآن).

٣ – جت : بمعنى معصرة . تقوم على بقعتها اليوم قرية « عراق المنشية » الواقعة شمال شرقي غزة وعلى بعد ٤٦ كم منها .

٤ – دعاها العناقيون باسم « اشدود » بمعنى « حصن ». تقع على الطريق بين يافا وغزة وعلى مسيرة نحو ٤٥ كم من الثانية وعلى بعد خمسة كيلومترات من البحر .

ونذكر من العناقيين « أربع » ويعتبر أعظم رجل ظهر في قومه . وهو باني ومؤسس مدينة الخليل . ونسبة اليـــه دعيت يومئذٍ « قرية أربع » بمعنى « مدينة أربع » .

وينسب الى العناقيين ايضاً بنـــاء « قرية سِفر » التي تقوم على بقعتها اليوم « بيت مِرْسِم » على مسافة ١٢ ميلاً للجنوب الغربي من الخليل . وبلدة« عَناب» وهي قرية « عَناب » على بعد ثلاثة أميال غربي قرية « الظاهرية » .

واشتهر العناقيون بطول قامتهم وكثرتهم وقوتهم وبأسهم في الحروب ، حتى انهم أرعبوا جواسيس اليهود الذين بعثهم موسى عليه السلام الى فلسطين لمعرفـة أحوالها وكيفية الدنو منها والتسرب اليها. ولما دخل اليهود البلاد ، بقيادةيوشع، حاربوهم وبعد معارك داميـــة بين الطرفين انتصروا عليهم وأعملوا السيف فيهم فأبادوهم . والناجون منهم التحقوا بأبناء عمهم في «غزة» و « جَتّ »و«اسدود» و « عاقر » و « عسقلان » .

(٣) الحوِّيون :

كانت منـــازلهم في نابلس . ثم انتشروا في شمال فلسطين حتى جبل الشيخ وجبل لبنان . وكانت « عيون » أهم مدنهم ويرجح انها « دِبْين » من أعمـــال مرجعيون في جنوبي لبنان . وقد نزل فريق منهم شمالي القدس وأنشأوا « قرية بعاريم » ، بمعنى « مدينة الغابات » وهي المعروفة اليوم باسم قرية العنب أو قرية « أبو غوش » على مسافة ثمانية أميال للشمال الغربي من القدس .

عرفنا من « الحويين » « حَمُور الحِوِيّ » رئيس مدينـــة « شكيم ــ بلاطه نابلس » الذي باع قطعة من أراضيه ليعقوب عليه السلام . وفي العهد القـديم أن « حمور » أغوى « دِينَة » ابنـــة يعقوب . فغضب لذلك ابناه « شمعون » و « لاوي » . وكان أن قتلا « حمور » وولده ونهبا شكيم .

ولما دخل اليهود فلسطين لاغتصابهـا ، حاربهم الحويون كما حاربهم غيرهم من

سكان البلاد باستثناء سكان « جبعون[1] » الحويين الذين سالموا الأعداء ، فكافأهم يوشع بأن جعلهم «محتطبي حطب ومستقي ماء[2]» لقومه. وفي عهد سليمان عومل الحويون معاملة الأرقاء ومن بعده لم نعد نسمع لهم ذكراً يُذكر .

(٤) العمالقة :

هم والكنعانيون شعب واحد ، كما قال الطبري . وكانت بلادهم تقع في جنوبي فلسطين وفي الأراضي الكائنة الى الغرب والشمال الغربي من « البتراء » وفي « سيناء » .

وقد روى الإخباريون عنهم قصصاً عن كبر أجسامهم وطولهم وعن أبنيتهم وقدمهم . ولا تزال قصصهم هذه تروى حتى اليوم .

لعل « الجرزيين » و « الجشوريين » الذين كانوا يقطنون في وقت ما ، الأراضي الواقعه بين جنوبي فلسطين ومصر وبلاد العرب يعودون بنسبهم الى هؤلاء العمالقة . والظاهر ان « جبل جرزيم » احد الجبلين المقامة عليها مدينة نابلس دعي بذلك نسبة الى « الجرزيين » الذين نزلوه في العصور السالفة . كما أن جماعة أخرى من العمالقة نزلت بلاد نابلس وعمّرتها ؛ بدليل ان هناك جبلاً نسب اليهم وكان يُدعى « جبل العمالقة [3]» . ومن المدن التي كانت تقع على جبل العمالقة هذا مدينة « فرعتون » المعروفة اليوم بإسم « فرعتا » ، على مسافة عشرة كيلومترات غربي نابلس .

وكان العمالقة يملكون عدداً من القرى والمدن ، وقد عنوا بحراثة الأرض وزراعتها ، كما عنوا بتربية الماشية والأنعام .

والأرجح ان لفظة « أجاج [4] » كانت اسماً عاماً لملوك العماليق ، كما كان

---

١ – بمعنى « تل » تقوم على بقعتها قرية « الجيب » التي ترتفع (٧١٠) أمتار عن سطح البحر . تقع شمالي القدس ، على مسيرة عشرة كيلومترات منها .

٢ – العهد القديم : سفر يشوع ؛ الاصحاح التاسع ٢٧ .

٣ – قاموس الكتاب المقدس : ١١٣/٢ .

٤ – ربما معناها « متأجج » أو « عنيف » .

فرعون اسماً عاماً لملوك مصر (١). ولما جيء بأحد ملوكهم أسيراً الى « صموئيل » احد قضاة اليهود أمر بتقطيعه إرْباً إرْباً (٢). وكان ذلك في « جِلْجُلْيَة » على مسيرة كيلومترين شرقي أريحا .

ولما كانت الطرق التجارية المارة بالعقبة والمنتهية عند غزة ومصر تمر في بلادهم وتحت حمايتهم فالراجح أنهم أثروا لمرور القوافل في بلادهم .

وقد اكتشف ، في القرن الماضي ، في « عين القديرات (٣) » آثار دلت على وجود قلعة كنعانية ترقى الى الألف الثاني قبل المسيح ؛ وبالطبع ليس من غاية لهذه القلعة المشيدة في أراض صحراوية الا المحافظة على الطريق التجارية الواصلة بين مصر والبحر الأحمر ، عن طريق العمالقة .

لا نعرف أين كانت تقع المدينة الرئيسية للعمالقة في جنوبي فلسطين. والأرجح انها كانت في مكان ما في بلاد بئر السبع . حاربهم « كَدِرْلعومَر » العيلامي إبان غزوته للبلاد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وهم أول من صدم اليهود حينما حاولوا اغتصاب البلاد ؛ وظلوا يحاربونهم ويكبدونهم خسائر كبيرة ، وأوقعوا الرعب في نفوسهم حتى أنهم أسروا في احدى معاركهم جميع من قاتلهم من اليهود. فكانوا مصدراً لمتاعب المغيرين طوال المدة التي كانوا يعسكرون أثناءها في منطقتهم .

وقد ساعدوا « عِجْلون » ملك المؤابيين في اخراج اليهود من أريحا كما كانوا كثيراً ما يغيرون بالاتفاق مع « المَدْيَنيين » ، الآتي ذكرهم ، وغيرهم على مزروعات اليهود فيتلفونها ويغنمون مواشيهم وحيواناتهم. وكان «سهل زرعين» أكثر مناطق اليهود تعرضاً لهذه الغارات التي كانت تمتد الى غزة .

أزعج العمالقة اليهود إزعاجاً بالغاً مما جعلهم يعملون للانتقام منهم . فحاربهم

---

١ – نفس المصدر : ١/٣٧ .

٢ – العهد القديم : اصم ١٥ – ٣٣ .

٣ – تقع هذه العين على نحو ثلاثة أميال شرقي « القصيمة » بالقرب من الحدود الفلسطينية ـ المصرية .

« شاول — طالوت » وانتصر عليهم . وفي هـذا يقول العهد القديم : « وقال صموئيل لشاول .... إضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة . طفلاً ورضيعاً وبقراً وغنماً وجملاً وحماراً[1] » ، وأعلن من بعده « داود » الحرب عليهم وذبح الكثيرين منهم . فالضربات الكثيرة التي أنزلها بهم اليهود أدّت الى انقراض اسمهم ولم نعد نسمع عنهم شيئاً بعد القرن الثامن قبل الميلاد . ويبدو أنهم ، كغيرهم من القبائل الكنعانية ، اندمجوا في الشعوب والقبائل العربية الأخرى .

٥ — الفِرِزّيون :

لعلهم من الكنعانيين . كانوا يقطنون القرى . وفي أيام سليمان بن داود عوملوا معاملة العبيد ولم يُسمع لهم اسم بعد القرن الخامس قبل الميلاد .

ومن سكان فلسطين القدماء قبيلة كانت تُدعى « أليفيم » ، ذكرها الدبس بقوله : « ... وكانوا (الأليفيم) يسكنون السهول الواقعة في الجنوب الغربي من فلسطين الى غزة . ويظهر أنهم « العويون » الذين قال فيهم موسى (تثنية ف ٢ عدد ٢٣) « العويون المقيمون بالقرى الى غزة ، أبادهم الكفتوريون الخارجون من كفتور واقاموا مكانهم »[2] .

ويذكر المطران الدبس بأن كفتور هي كريت والكفتوريون هم الفلسطينيون[3] .

ومن القبائل الكنعانية التي نزلت بلاد الشام « الجِرْجاشيون » وكانت منازلهم شرقي بحيرة طبرية ، تمتد الى الجليل والكرمل واليهم نسبت بحيرة طبرية ودعيت باسم « بحيرة الجرجسيين » . وذكر بعضهم انهم هم الذين أسسوا عكا . و « الصيدونيون » في صيدا[4] وفي شمالهم « السينيون » وكانوا يسكنون

١ — صموئيل الأول : الاصحاح الخامس عشر : ١ — ٤ .
٢ — تاريخ سورية المجلد الأول الجزء الأول ١٥٢ .
٣ — نفس المصدر ص ١١٠ .
٤ — اسمها القديم « صيدون » بمعنى الصيد وصيد السمك .

مدينة « سينا » أو « شيتنا » فوق «البترون» ولا يعلم محلها الآن[1] . فالعَرْقيون وكانوا يقيمون في جهات « عَرْقة » شمالي طرابلس الشام ؛ و « الحماثيــون » في ناحية « حماة » و« الأرواديون » في جزيرة أرواد وجوارها وغيرهم .

١ – تاريخ سورية للدبس المجلد الاول الجزء الأول ١١٣ .

أقوام عربية أخرى

وبالإضافة الى القبائل الكنعانية العربية المار ذكرها سكن فلسطين معهم عرب آخرون . نذكر منهم :

اولاً :

الأموريون :

ذكرهم البابليون بصور مختلفة : امورو، أماري ومارتو . وكانت « مارتو » مرادفة لمعنى « الغرب » . لأنهم كانوا يقيمون غربي بابل . وقد يكون اسمهم مشتقاً من « أمر » بمَعنى العلو والإرتفاع .

ان الأموريين الذين نزلوا شمال بلاد الشام أسسوا لهم دولة في منطقة الفرات الأوسط . وبعد مدة اجتاح هؤلاء العرب السوريون ، العراق ، وأسسوا لهم فيه امبراطورية عظيمة عرفت باسم « الدولة البابلية الأولى ١٨٠٠ – ١٥٣٠ ق م » نسبة الى عاصمتهم بابل التي تبعد خرائبها ٥٥ ميلاً جنوب بغداد. ويعتبر حمورابي (في نحو ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق م) المار ذكره أشهر ملوكهم .

والجماعة الأمورية التي نزلت جنوبي فلسطين وشواطىء البحر الميت ، أنشأوا لهم مدناً في « تل الحسي [١] » و « تل النَّجِيلَة » [٢] ، كما بنوا مدينة

---

١ – تلة تقع على مسافة ١١ ميلاً للجنوب الغربي من بيت جبرين وستة عشر ميلاً للشمال الشرقي من غزة . وقد وصفت « الوقائع الفلسطينية » المؤرخة في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٤ هذا الموقع بقولها : (تل أنقاض ، نقب جزء منه ، بقايا سد في الوادي الى الشرق ». والمعروف ان المدينة التي أقامها الأموريون على هذا التل كانت تسمى « عجلون » .

٢ – تلة تقع في الجنوب الشرقي من قرية « برير » الواقعة على بعد ١٨ كم للشمال الشرقي من =

« شَعَلَبيّم [1] ». وجددوا أو وسعوا مدينتي « لخيش » و « جازر » المـــار ذكرهما . وحصنوا جميع هذه المـدن وأحاطوها بأسوار حجرية ضخمة قوية ، فصاروا يسيطرون ، في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، على المواقع العسكرية في جنوبي البلاد .

عرفنا من الآموريين « يافيع » ملك لخيش أحد الملوك الخمسة الذين قتلهـــم يوشع في معركة « المغار » الآنفة الذكر .

وقد وجدت صور على جُدر « مقـبرة بني حسن » في مصر يعود تاريخها الى أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد — في عهد الأسرة الثـانية عشرة — يظهر فيهـــا الشيخ الآموري (أبشا — Absha » ، وهو غالباً من جنوبي فلسطين وبصحبته أبناء قبيلته من نساء وأطفـال ورجال ، المؤلفة من سبعة وثـــلاثين شخصاً ، ومعهم أمتعتهم محملة على ظهور الحمير ، أتوا للتجارة في الروائح والدهان العطرية الكثـيرة الإستعمال عند المصريين . وقد احضروا معهم هدية لحـــاكم الإقليم تيتـــلا [2] وغزالاً . والرجال جميعاً ملتحون ، وشعر رءوسهم كث غزير أسود اللون ووجوههم تشبه العصفور ، وقزحية عيـــونهم رمادية اللون ، وبؤبؤها أسود . يلبسون ملابس صوفية مزخرفة زاهية الألوان ، وعلى حافتها أهداب (شراريب) وبعضها طويـــل ويوضع فوق الكتفين ويصل الى ما تحت الركبة . ويلبس بعض الرجال نقبة يلفها حـول وسطه . وبعضهم ينتعل نعـــلاً ذاسيور ، والبـعض الآخر ، ومن بينهم زعيم القبيلة ، يمشي حافي القدمين . أما النساء فيلبسن أثواباً قصيرة متعـــددة الألوان ، ومنسوجة بعناية ودقة ، وهنّ جميعـــاً بلا استثناء يلبسن في أرجلهن أحذية حمراء ، ويضعن فوق رؤوسهن طرحة مثبتة فوق الرأس بجبل (كوفية وعقال) .

= غزة. وصفت الوقائع الفلسطينية هذا التل بقولها : (تل أنقاض وآثار سور مدينة، وأساسات بناء مربع وبقايا خزان في الوادي) .

١ — شعلبيم : تقوم على بقعتها قرية « سلبيت » الى الجنوب الشرقي من اللد .

٢ — التيتل : نوع من بقر الوحش . عظيم الرأس ، قصير القرنين . يوجد في الجبال العاليـة الوعرة .

ونرى أن بعض الرجـــال وصبياً صغيراً ، يحملون حراباً في أيديهم ، كما يحمل بعضهم أيضاً القوس وجعبة السهام وعصا الرماية . ومما يجدر ذكره ان نرى رجلاً ومعه وحماره . الرجل يحمل مضرباً ليلعب على قيثارته ذات الثمانية الأوتار ووراء ظهره إناء يعلق بحبال حول كتفه . وعلى ظهر حماره سرج يرتبط به رمح ومضرب عصي[1] .

وليس لهؤلاء الزوار أي علاقــة بسيدنا إبراهيم أو بأخوة يوسف كما ورد في بعض المؤلفات .

على ان هذه الرحلة لم تكن الوحيدة في بابها فقد كان عدد التجار الفلسطينيين الوافدين الى مصر أكثر من أن يحصى .

ومن الآثار الدينية التي خلفها الآموريون بشكل كنعاني معبودهم « رشف » بمعنى « النار » و « الصاعقة » . ويحتمل ان اسم بلدة « أرسوف » القديمة[2] مشتق من هــذا الإله الذي عبده الكنعانيون . و « داجون » وهو إله الحبوب عند الكنعانيين . وقد خلد اسم هذا المعبود الآموري ثم الكنعـــاني في القرى التي تحمل اسم « بيت دجن » في فلسطين . وقد شاعت عبــارة « داجون » في أماكن أخرى من الشرق العربي فضلاً عن انه أصبح معبود «الفلسطينيين» الأول.

ومن القبائل الآموريـــة التي نزلت شرقي الأردن « الزّمزَميّون » أو « الزُوزِيّون » وكانوا يقطنون شرقي البحر الميت ونهر الأردن . و « الإيميون » وكانت منازلهم في جهات « الكرك » وقد غزاهما « كدرلعومر » المــار ذكره وانتصر عليهم .

لم يقتصر الأموريون على مــا أسسوه من دول في سورية والعراق ، بل كانت لهم أيضاً مملكتان في جنوبي الشام وهما :

---

١ - تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ١٢١ ، دراسات في تاريخ الشرق القديم : ١٠١ — ١٠٢ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي : ٨٢/١ .

٢ — تعرف اليوم باسم قرية « الحرم » أو « سيدنا علي » للشمال من يافا .

(١) مملكة الرفائيين :

تمكن الرفائيون ، بعد عام ١٣٧٥ ق.م. من أن يؤسسوا لهم مملكة عرفنا من ملوكها « عوج » . وكان جباراً قامة وبأساً . وملكه يقع شمالي الأراضي الواقعة بين نهر الزرقاء وجبل الشيخ . وله ، كما يقولون ، سرير من حديد طوله ١٤ قدماً وعرضه ٦ أقدام . احتفظ به أهل عمّان عندهم بين تحف زمانهم . وكان لعوج عاصمتان : درعا [١] وعشتروت [٢] . وقد حاول عوج أن يمنع اليهود من المرور بأرضه في طريقهم الى فلسطين ، غير أنهم هزموه في موقعة دموية في درعا وقتلوه هو وبنيه . وبذلك انقرضت مملكته وقسمت مدنه المحصنة بين اليهود .

(٢) المملكة الآمورية :

تأسست هذه المملكة بعد زميلتها الشمالية بنحو قرن . وحملت اسم قومها . وكانت تشمل الأراضي الواقعة بين نهري « الزرقاء » و « الموجب » . وعاصمتها « حَشْبُون » [٣] . عرفنا من ملوكها «سيحون – Sihon » الذي دافع عن بلاده دفاع الأبطال حينما غزاه اليهود ، في طريقهم الى فلسطين إلا أنهم انتصروا عليه وقسموا ملكه فيما بينهم .

ثانيا :

(١) المَدْيَنيونْ :

عرب ، يرى بعض الباحثين انهم جماعة من بقايا « الهكسوس » . وانهم في

---

١ – إسمها القديم « ادرعي » . كانت مشهورة بخمورها الجيدة . وهي على بعد نحو أربعة أميال من الحدود الأردنية ، داخل الحدود السورية. عاصمة محافظة حوران . بها حسب احصاءات عام ١٩٦٠ « ١٩٠٤٠٩ » نسمات .

٢ – يرجح أن « تل عشترة » الواقع في « الجولان » ، من الأراضي السورية ، وعلى مسافة ٢١ كيلومتراً شرقي بحيرة طبرية هو البقعة التي كانت تقوم عليها مدينة « عشتروت » الأمورية .

٣ – بمعنى تدبير . تقع جنوب غربي عمان ، على بعد ٢٦ كم منها . تقوم قرية « حسبان » المار ذكرها على بقعتها .

الأصل قبيلة من المعينيين[1] الآتي ذكرهم. وكانت منازلهم تقع بين مصر وفلسطين والحجاز وامتدت يوماً الى مدينة بئر السبع نفسها، والى الشرق والشمال الشرقي من البحر الميت. ويرجح أن شتيتاً منهم نزلوا جهات طبرية واستقروا فيها. ولعل القبر الموجود في «حطين» — شرقي طبريـة — والذي ينسب الى شعيب النبي المديني، الآتي ذكره، يلقي ضوءاً على هذا الرأي.

اختلط المدينيون بالكنعانيين واقتبسوا بعض عاداتهم. وكانت لهم تجارة مع لبنان وفلسطين ومصر. وهم الذين سحبوا يوسف عليه السلام من البئر الذي ألقاه فيه إخوته وباعوه لقافلة تجارية عربية مقبلة من بلاد عجلون في طريقها الى مصر وهي حاملة «الكثيراء»[2] وبلساناً ولادناً. وكان الثمن الذي دفعته القافلة للمدينيين عشرين شاقلاً من الفضة[3]. ويرجح ان هذه الحادثة حدثت في أواسط القرن السابع عشر قبل الميلاد.

والمدينيون، كما هو معروف، أصهار موسى عليه السلام. وينسب اليهم النبي شعيب عليه السلام الذي ظهر في نحو أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ذكره القرآن الكريم عشر مرات. وقيل انه دفن في قرية «حطين»، واما ياقوت فقال إن قبره في قرية «خيارة» قرب حطين. وفي جنوبي السلط، بركة مـاء، الى جانبها شبه دائرة صغيرة تسمى «مقام النبي شعيب» يستحيل على البدو من سكان تلك الجهات أن يحلف أحدهم كاذباً بحق شعيب أو برب شعيب أمامها.

كان المدينيون يشتغلون بالزراعة والرعي. والمدن التي في حوزتهم كانت

---

١ — تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي: ١/٣١٤. بغداد ١٩٥١.

٢ — الكثيراء: نوع من الصموغ يسيل من بعض الأشجار. واذا وضع في الماء انتفخ وكون لعاباً لزجاً. وهذه الصموغ كانت من مواد فلسطين التجارية ايام الكنعانيين. وتستعمل في الصنائع للتغرية، وفي الطب للتلطيف والتصميغ.

٣ — وزن الشاقل يعادل ١١،٤٦ غراماً. قال جورج بوست (قاموس الكتاب المقدس: ٢/١٦٥) «قيمة كل شاقل من الفضة نحو اثني عشر غرشاً». وفي صفحة ٢٤٢ من الجزء الأول المطبوع عام ١٨٩٤ ذكر بأن من كل خمس شواقل من الفضة تعادل نحو نصف ليرة انكليزية.

تدفع لهم الخراج . وكان السكان المقيمون بها يزرعون الأرض مقابـــل النصف والثلث من المحصول[١] .

ولما دخل اليهود شرقي الأردن عقد المدينيون حلفاً مـــع ملك (موآب) لمحاربتهم . ووفقاً لما ورد في العهد القديم[٢] ، إن بني اسرائيل أغاروا على أهل مدين وقتلوا أربعــة من ملوكهم وغنموا رواحلهم وماشيتهم وأضرموا النار في جميع قراهم ومضاربهم .

وفي سفر القضاة ان المَدْينيين أذلوا الإسرائيليين وان الرب دفــع الإسرائيليين الى أيــدي المدينيين سبع سنين الى غير ذلك من الأقوال التي تشير الى تغلب أهل مَدين على الإسرائيليين[٣] .

إلا أن جدعون ، أحد قضاة اليهود، تمكن من أن ينتصر على اثنين من رؤساء مَدْين – أو ملوكها – « صَلْمُنّـاع » و « زَبَح » في « الجُبَيْهَة » في ظــاهر عمّان ومثّل بها .

والمدينيون هم الذين أدخلوا ، في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، الجمـل المدّجن الى فلسطين وسورية فكان له مفعول عظيم في الانتقال والحمل ، وفي الغزو على مسافات بعيدة .

ويظهر انه لم يعد لهم في فلسطين ، بعد عهد القضاة ، شأن يذكر ولعلهم ذابوا في القبائل العربية الأخرى . ويذكر بعض الباحثين ان عشيرة « اللياثنة » وعشيرة « الحسنات » في بلاد بئر السبع هم من بقايا المدينيين هؤلاء .

(٢) القَيْنيُّون :

كانوا مستقرين في بلاد مدين بين فلسطين وسيناء وشرقي خليج العقبــة . وهم من ذوي قرابة « شعيب » ولعلهم من المدينيين .

---

١ – شمال الحجاز : ص ٧٨ . تأليف ا. موسل. ترجمة عبد المحسن الحسيني . الاسكندرية ١٩٥٢ .

٢ – عدد ٣١ : ١-١٢ .

٣ – الاصحاح السادس : ١ ، ٦ .

ثالثاً :

المَعِينيّون :

ومن العرب الذين نزلوا فلسطين، في عهدها الكنعاني، « المعينيون » الذين تعد دولتهم من أقدم الدول العربية التي وصل إلينا خبرها . عاشت في اليمن وازدهرت على رأي أكثر المؤرخين بين سنة ١٣٠٠ – ٦٣٠ ق.م. وهناك من المؤرخين من يرجعهم الى الألف الثالث قبل الميلاد .

وقد بلغت حدود هذه الدولة، في أوج عزها، شمالي الحجاز وجنوبي فلسطين . فكانت « معان » مركز سلطتهم وتجارتهم . قال زيدان : [وامتد نفوذ المعينيين في إبان دولتهم الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط وشواطىء الخليج العربي وبحر العرب [1]] .

وقد اشتهر المعينيون بالتجارة فكانت قوافلهم تنقل السلع والبضائع المختلفة من جنوبي بلاد العرب الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط . ورأى بعض المؤرخين أنهم هم الذين أسسوا «غزة» التي كانت في نهاية الطرف الغربي لقوافلهم التجارية، او انهم على الأقل، ساعدوا على تقدمها ونموها .

ومما لا شك فيه ان بطوناً معينية غزت جنوبي فلسطين وكونت لها دولة في منطقة غزة وحافظت على كيانها الى عهد الاسكندر الكبير .

* * *

وكان يقطن مع القبائل العربية المار ذكرها – الكنعانية والآمورية والمدينية والمعينية – شتيت من الحثيين والحوريين . وهاك نبذة عن كل منهم .

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ١٠٦ القاهرة ١٩٣٩ .

الحثيون

الشعوب الآرية (الهندية الأوروبية) :

إن السهول الواقعة شرقي بحر الخزر ، والممتدة الى مصابّ نهر الدانوب مارة بروسيا الجنوبيـة وسواحل البحر الأسود الشمالي ، كانت مسكناً لقبائل رُحّل تعيش في الخيـام ، وتتجول بقطعانها من مرعى الى آخر انتجاعاً للكلأ ، حتى وصلت الى الهند شرقاً والى اوروبا غرباً . ولهذا أُطلق عليهـا الاسم الهندي الأوروبي ، كما دُعيت بالعنصر الآري . وجميع هذه الجماعات من جنس واحد ، وكانت تتكلم لغة واحدة ، ثم تفرعت لغتهم هذه الى عدة لغات ، وهي اللغات المحكية في الهند وفارس وأوروبا .

أخذت هذه الأقوام تهاجر من مراعيها خلال فترات زمنيـة مختلفة . فكانوا يقوضون خيامهم ويحملون متاعهم على عربات تجرها الثيران ويغيرون على المدن والأقطار المجاورة التي سمعوا بما تتمتع به من خير وافر وعيش رغيد .

كان لدى الآريين كثير من الحيوانات الأهلية ، أخصها الخيل التي استعملوها للركوب ولجر مركباتهم الحربية . فالآريون كانوا من أول من دجّن الخيل ، وأما الساميون فلم يعرفوها إلا بعد عصر حمورابي .

وفي نحو القرن العشرين قبل الميلاد أو قبل ذلك نزلت جماعـة منهم آسيا الصغرى[1] ، وتغلبوا على قبيلة « خَطيّ – Khatti » التي تقطن منطقـة نهر

---

١ – وفي نحو التاريخ المذكور قطعت جماعـة أخرى نهر الدانوب ، فنزل بعضها شبه جزيرة البلقان والبعض الآخر انحدر الى ايطاليا ، وهؤلاء أسلاف اليونان والرومان .

وفي نحو ١٨٠٠ ق. م ارتحل فريق من هؤلاء الآريـين فتوجه الى الجنوب وانتهت رحلته في بلاد الهند ، كما ان فريقاً آخر تسلق هضاب ايران فسكنها ونشأت منه الأمة الايرانية .

« قزيل ايرمق – النهر الأحمر » ، على مسافة ٩٠ ميلاً شرقي أنقره . ونتج من تمازج هذه القبيلة بالفاتحين الأمة الحثية التي اخذت بتوسيع نطاقها حتى احتلت معظم آسيا الصغرى . ثم اتجهت مطامعهم الى سورية فكانت « كركميش – Carchemish » ، جرابلس الحالية ، من أهم مدنهم وكونوا لهم مستعمرات قوية بين حلب (وكانت تدعى حلبا) وخليج الاسكندرونة وفي البقاع .

كما وان عناصر حثية كثيرة استقرت في فلسطين ، فنزلت « الخليل » و« بيتين » من أعمال رام الله – وجوارها . الا ان فلسطين لم تكن في أي وقت من تاريخها قسماً من الامبراطورية الحثية .

ترك الحثيون علاماتهم الفارقة ، الأنف الأقنى ، على وجوه من اختلطوا بهم من كنعانيين وأموريين وغيرهم من سكان البلاد الشامية . ويقول بعض العلماء انهم الأجداد القدامى للجنس الأرمني في الوقت الحاضر .

وذهب بعض الباحثين الى ان جماعة من « الحثيين » نزلوا قريتي « حَتّا » من أعمال غزة و « حطين » من أعمال طبرية ؛ وخلدوا اسمهم في هذين الموقعين . لأن « حَتّا ، حَطّا » أو « خَتّا ، خطّا » هو اسم الحثيين نفسه . كما وان آخرين ذكروا بأن « شاغور » التي تطلق على بعض الأماكن في سوريا ولبنان تعود بأصلها الى كلمة (ساغورا) الحثية .

والحقيقة ان « حَتّا » كلمة عربية . إما انها من لفظة « حتّ الورق عن الشجر ، يحت حتا سقط ، وحتّ الوسخ عن ثوبه فركه . والحتات من كل شيء ما تناثر . » . أو انها نسبة الى « الحُتّ » بالضم ثم التشديد ، وهي قبيلة عربية من كِنْدة نزلت هذه المنطقة وخلدت اسمها في القرية المذكورة . ومما هو جدير بالذكر ان هناك ، في مشيخة دُبَيّ من مشيخات ساحل عمان قرية تحمل الإسم المذكور ، انما يكتبونها بالألف المقصورة : حَتّى .

ويرجح الدكتور فريحة بأن لفظ « شاغور » سامي، يطلق على الأمكنة التي يتدفق منها الماء بغزارة كما هو الحال في شاغور جبّاتا .

والشاغور في فلسطين منطقة القرى الواقعة بين صفد وعكا ، وقد ذكرها

القلقشندي بقوله : « الشاغور ؛ كورة بين عكا وصفد والنـــاصرة . بها قرى متسعة.وهي قسمان : شاغور البعنة وهي جبل به قرى عامرة وشاغور عرّابة[1] وفيـــه عدة قرى)[2] . وفي القرن الماضي زار منطقة الشاغور هذه « ادوارد روبنصن » الأمريكي وذكر أن قرية « سَخْنين» هي قاعدة منطقة الشاغور [3].

أتقن الحثيون صناعة الخزف،وعلى الأخص النوع الأحمر المنقوش الذي انتشر استعماله في الشرق الأدنى . وقد بلغت هذه المصنوعات حتى اواسط فلسطين : الى جازر ولخيش وغيرها .

ولما أغار اليهود على فلسطين اتفق هؤلاء الحثيون مع الكنعانيين على محـاربة المغيرين .

وعرفنا من الحثيين « عفرون بن صوحر » الحـــثي الذي اشترى منه ابراهيم عليه السلام حقل « المَكْفيلة » ومغارتها بأربعمائة شاقل من الفضة .

كانت هذه المغارة صخرة ذات كهفين في وسط غابة من أشجار الزيتـون ، وتقع اليوم ضمن الحرم الخليلي . ودفن فيها الأنبياء ابراهـــيم وزوجته سارة ، واسحق وزوجته رفقـــة ، ويعقوب وزوجته ليئة (ليا) ويوسف الصديق . ويظهر ان احفاد ابراهيم اتخذت بعدئذٍ مساكنها بجوار هذه المقبرة التي أصبحت « حرماً » على مر العصور .

الحوريون :

شعب لا يزال أصله مجهولاً . عاشوا في الجبال شمالي الموصل وبـــين جبال « زاغروس » و « بحيرة أورمية » وفي نحـو عام ١٥٠٠ ق.م . أسسوا مملكتهم المعروفة باسم« مملكة ميتاني » ، التي امتدت سيطرتها من البحر الأبيض المتوسط الى شمالي ايران . وكانت لهم جاليات كثيرة ومستعمرات قوية في مختلف أنحاء

---

١ — المراد هنا « عرابة البطوف » .

٢ — صبح الأعشى ١٥٣/٤ و ١٥٤ بتصرف .

٣ — يوميات في لبنان ١٩٢/١ ترجمة أسد شيخاني .

بلاد الشام . ومنهم جماعة نزلوا البقاع الواسعة بين نهـــر الحسا وخليج العقبة . وهم الذين حل محلهم « الآدوميون » ، الآتي ذكرهم ، في نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ولازدياد انتشار « الحوريين » في بلاد الشام دعا المصريين – لوقت ما – أن يسموا بلاد كنعان باسم « خورو » أو « حورو » .

هجرة ابراهيم عليه السلام الى فلسطين

إبراهيم ، بمعنى « أبو العلو » و « أبو الجمهور » أو « الأب المكرّم » . ولكن أجمل أسمائه هو «خليل الله » الذي أطلقه عليه العرب والعالم الإسلامي . وهو « ابراهيم بن آزر (تارح) بن ناحور » . والأرجح انه « أموري » من العرب السوريين الذين حكموا العراق مدة ٢٧٠ سنة وأسسوا فيه الدولة البابلية الأولى المتقدم ذكرها . وأما القول بأنه (آرامي) فوهم. لأن الآراميين أخذوا ينزلون مشارف الجزيرة العربية بعد أيام هذا النبي بنحو ثلاثة قرون .

أخذ عليه السلام يدعو قومه في العراق، الى عبادة الله عز وجل ونبذ عبادة الأوثان ، والثورة على النقائص الخلقية التي كانت فاشية عندهم . ولما وجد أن دعوته هذه لم تلق آذاناً صاغية في وطنه عزم على الهجرة في سبيل نشر دعوته ومبادئه .

ففي نحو عام ١٨٠٥ ق . م . هاجر عليه السلام من بلده (أور — Ur)[١] العراقية ومعه زوجه (سارة) وابن أخيه لوط وزوجته وغيرهم .

استقر ابراهيم ، بعد رحيله من أور ، في « حاران »[٢] وبقي فيها حتى

١ — كانت مركز عبادة القمر في العراق . تقع أطلالها غربي مدينة « الناصرية » على بعد ثمانية أميال . كما تبعد عن البصرة للشمال بنحو ١٢٠ ميلاً . ويطلق عليها الأهلون اسم « تل المقيّر » . و« أور » كلمة سومرية بمعنى « مدينة ».

٢ — اسمها مشتق من اللغة الأكادية Kharanu ، بمعنى طريق . كانت ذات موقع تجاري عظيم لوقوعها على طريق القوافل بين بابل وسواحل البحر الأبيض المتوسط . تقع للشمال الشرقي من دمشق وعلى مسافة ٢٨٠ ميلا عنها ، كما تقع على مسافة ٢٠ ميلاً جنوبي مدينة «أورفه-الرها».=

موت أبيه . ثم أخذ ومن معه يتنقلون في بلاد الشام بين سهولها وجبالها وقراها ومدنها الى أن نزل عليه السلام وصحبه « شكيم – بلاطة نابلس » في فلسطين . ولكن لم يطل به المقام بل أخذ يتجول في جنوب بلادنا حتى استقر أخيراً في بلاد بئر السبع متنقلاً مع جماعته ومواشيه ، بينها وبين غزة والخليل .

وهكذا اتخذ عليه السلام بلادنا ، فلسطين ، موطناً جديداً له . وأخذ يدعو الناس الى الايمان بالواحد الخالق، والى اعتناق تعاليم الإسلام ومبادئه الاخلاقية . وعليه فان هجرته عليه السلام من العراق الى كنعان كانت في سبيل مبادئه الدينية والاخلاقية وليست اقتصادية مادية . فالعراق كما هو معلوم ، كان أكثر خصباً وأعلى رقياً من فلسطين .

وقد ذكر اسم إبراهيم في ٢٧ سورة من سور القرآن الكريم. وقد ذكره الله تعالى بقوله : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين[١] » .

ولما نزل عليه السلام مدينة « بئر السبع » احتفر بئراً وبنى مسجداً[٢] . فكان أقدم مسجد أقيم في فلسطين . كما بنى عليه السلام مساجد أخرى في « بيت ايل – بيتين » و « الخليل » وغيرها .

وبذلك تكون بلادنا ، فلسطين، أقدم بقعة ذكرها التاريخ عرفت التوحيد: الايمان بإله واحد لا شريك له يشمل بعنايته جميع الخلق . فلفلسطين فضل كبير على العالم لأن فيها وضعت أسس حياة العالم الدينية منذ نحو أربعة آلاف سنة . وقد كان ذلك قبل أن يكره «امنحوتب الرابع – ١٣٧٧ – ١٣٥٨ ق.م.» – الفرعون المصري الذي غيّر اسمه الى أخناتون – الناس على عبادة إله واحد

= وبعد نزوح ابراهيم عنها بقيت بقية عائلة والده مقيمة فيها . وقد ذكرها جغرافيو العرب باسم « حران » – بفتح أوله وتشديد ثانيه – . وما زال في موقعها اليوم قرية عربية صغيرة ، تتألف من بيوت مبنية من الطين ، تحمل نفس الاسم ، وتقع على نهر « بليخ » ، احد روافد الفرات ، في الجمهورية التركية .

١ – سورة آل عمران : ٦٧ وما بعدها .

٢ – تاريخ الطبري : ١/٣١١ .

بأكثر من أربعة قرون[1] .

واما لوط فهو لوط بن هاران – أخي إبراهيم – بن آزر (تارح) ، فقد بعثه الله الى سكان سدوم وعمورة وغيرهم من الأقوام المقيمة في جوار البحر الميت. وكانوا من ذوي الأخلاق الفاسدة، يأتون كل منكر. ولمّا لم يأبهوا لنصائحه ولم يرتدعوا أنزل الله عليهم العذاب وقلبت ديارهم وجعل عاليها سافلها . ونجا لوط وأهله إلا امرأته . قال الله تعالى : [فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود . مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد[2]] . وقال تعالى : [ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين . فخانتاهما فلم يغنيا عنهن من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين[3]] .

وذكر أن لوط وآله نزلوا ، بعد نجاتهما ، الجبال الواقعة شرقي الخليل . وفي قرية نبي نعيم – كفربريك القديمة – الواقعة على مسيرة ٨ كيلومترات شرق بلدة الخليل وترتفع عن سطح البحر بـ ٩٥١ متراً – قبر في جامعهـا ينسب الى النبي لوط عليه السلام .

* * *

كانت سارة زوج إبراهيم عاقراً ، ورأت أنها شاخت ولا يُرجى لها أن تكون أماً فكان أن تزوج عليه السلام بـ « هاجر » المصرية[4] التي آمنت بمـا

---

١ – كان أخناتون ؛ أول من ادخل عقيدة التوحيد الى الديانة المصريـة القديمة . فقد أمر بعبادة إله واحد فقط هو « أتون » أو « قرص الشمس » ، ونبذ جميع الآلهة الاخرى .
وعندما مات اخناتون خلفه الملك « توت عنخ آمون » الذي أعاد نظام تعدد الآلهـة الى الديانة المصرية .

٢ – سورة هود : ٨٣ .

٣ – سورة التحريم : ١٠ .

٤ – هاجر أم اسماعيل من « أم العرب » احدى قرى بلدة الفرما – بفتح الفاء والراء – وتقع خرائب هذه المدينة على بعد ثلاثة وعشرين ميلا جنوبي شرق بور سعيد . قال ابن خلكان (وفيات الاعيان ١/٥٠٤) ومن الاتفاق الغريب ان اسماعيل ابو العرب وامه من (ام العرب).=

جاء به ابراهيم ، وعرفت برجاحة عقلها ومواهبها .

وفي نحو عـام ١٧٩٤ ق.م. ولدت له في « الثميلة » ، إلى الجنوب الغربي من « عسلوج[١] » اسماعيل عليه السلام[٢] . واسماعيل هـذا هو الذي وصل بين بلاده ، فلسطين ، وبين المسلمين والنبي العربي بصلة خالدة في التاريخ . اذ قـام مع أبيه ببناء الكعبة المشرفة . واسماعيل ، هذا ، كما هو معروف جـد العرب العدنانيين ، نسبة الى عدنان أحـد أحفاده والذي ينتهي إليه نسب الرسول الأعظم . وقد ذكر القرآن الكريم اسماعيل وأثنى عليـه بقوله : [واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعـد وكان رسولاً نبياً . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً[٣]] .

واسماعيل بن ابراهيم البكر ، هو الذبيح الذي جـاءت قصته في القرآن الكريم ، وأن الله تعالى أمر والده بالكف عن الذبح وأنـه فدي بكبش يُذبح عوضاً عنه . قال تعالى : [... قال يا بني ! إني أرى في المنـام أني أذبَحُكَ فانظر ماذا ترى ، قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسْلَما وتله للجبين ، وناديناه أن يا ابراهيم . قد صَدَّقتَ الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم[٤]] .

بعضهم ذكر أن مسألة الذبح حصلت على « جبل مُوريّا » الذي أقيم عليـه الحرم الشريف بالقدس ، إلا ان الأكثرية ترى ان كبش الفداء كان في الحجاز على « مِنىً[٥] » ، الجبل الواقع الى يسار الذاهب الى عرفات .

= قال رسول الله : « اذا ملكتم القبط فأحسنوا اليهم فـان لهم ذمة وإن لهم رحما » . يعني ام اسماعيل إنها كانت منهم .

١ — تقع على الطريق العام بين « بئر السبع » و « العوجا » للجنوب من الأولى وعلى مسافة (٣١) كم منها .

٢ — بمعنى « ليسمع إيل » . و « إيل » إله كنعاني عنوا به الاله الأكبر .

٣ — سورة مريم : ٥٤ و ٥٥ .

٤ — سورة الصافات : ١٠١ - ١٠٧ .

٥ — منى : بالكسر والتنوين . تقع على مسافة ٧ كم من مكة المكرمة .

وفي العهد القديم ما يشير الى ان اسماعيل عليـه السلام توفي في فلسطين ، إلا أنه يظن بأنه دفن بجوار الكعبة هو وأمه .

وفدية اسماعيل تدل على أن بـــلادنا أول من وضعت حداً لأسوأ عادة من عادات ذلك الزمن، حيث كان الناس يقدمون القرابين البشرية وخاصة اولادهم، تكفيراً عن خطاياهم واسترضاءً لآلهتهم. إن إدراك الفلسطينيين بأن الله لا يرضى عن الذبائح الإنسانية ، يعتبر تقدماً دينياً كبيراً ورقياً حضارياً عظيماً فأوجـد مفاهيم خلقية جديدة للبشرية .

وبعد مولد اسماعيل بنـحو ثلاث عشرة سنة بشرت الملائكة [1] « سارة » بأنها ستحمل بولدها « اسحق » . وفي نحو عام ١٧٨٠ ق . م وُلد في «جرار[2]» لإبراهيم ولده الثاني « اسحق » بمعنى « يضحك » .

ولما توفيت سارة ، ام اسحق ، دفنها زوجها في مغارة « مكفيلة » المـــار ذكرها . وبعد وفاة «سارة» تزوج ابراهـيم امرأتين كنعانيتين رزق منهما ١١ ولداً [3] .

ولما كبر اسحق تزوج بـ « رفقـــة ، بنت عمه وكانت تقطن مع عائلتها في حاران » .

وأخيراً توفي ابراهيم عليه السلام فدفنه ولداه اسماعيـــل واسحق في مدفن العائلة في مغارة مكفيلة .

وقد سكن اسحق بعد وفاة أبيه، في أقصى الجنوب في فلسطين . وهناك ،

---

١ – ذكر بعضهم أن هذه البشرى حدثت حينما كان ابراهيم ناصباً خيامـــه تحت بلوطة من بلوطات ممرا ، في ظاهر الخليل . والشجرة المشهورة الآن هناك ربمـــا لا يزيد عمرها عن ٥٠٠ سنة .

٢ – كانت تقوم على التل المعروف باسم « تل جمة » الواقع على الجانب الأيسـر من وادي غزة، على مسافة ٢٥ كم للجنوب الشرقي من غزة ، كما يبعد عن بئر السبع بنحو ٣٥ كم نقب فيـه عام ١٩٢٧ م . وقد ذكرته الوقائع الفلسطينية في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٤ بقولها : « تل القاض . نقب جزء منه » . وبعضهم ذكر أنه اسحق عليه السلام ولد في بلدة بئر السبع .

٣ – تاريخ الطبري : ١ ، ٣٠٩ و ٣١١ .

وعلى الأرجح في « عين مويلح » ، على مسيرة خمسين ميلاً للجنوب الغربي من بئر السبع ولد له ولده « يعقوب [1] » الذي يلقب بإسرائيل ، بمعنى «جندي الله». ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب . وبعد سنين ذهب « يعقوب » الى أقاربه في « حاران » واقام بها مدة طويلة . وهناك تزوج بابنتي خاله « ليئة » و « راحيل » وكان له منهن اثنا عشر ولداً ذكراً . ولدوا جميعهم في سورية إلا « بنيامين » فقد ولدته أمه « راحيل [2] » في طريق بيت لحم ، وهم راجعون من « حاران » إلى أرض كنعان » .

وأولاد يعقوب هم :

(١) راؤبين (روبين) وهو بكر يعقوب (٢) شمعون (٣) لاوي (٤) يهوذا (٥) يَسا كر (٦) زَبولون (٧) يوسف[3] (٨) بنيامين (٩) دان .. (١٠) نفتالي (١١) جاد (١٢) أشير .

قال الله تعالى « ووصّى بها ابراهيمُ بنيه ويعقوبُ : يا بني ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتون إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوبَ الموتُ اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون[4] » .

واضطر يعقوب هو وأولاده الى النزوح ، عن طريق بلدة بئر السبع ، الى مصر في نحو عام ١٦٥٦ م بسبب القحط الذي حصل في فلسطين . وكان عدد هؤلاء النازحين سبعين شخصاً [5] .

---

١ – يعقوب : اسم يهودي بمعنى « يعقب » و « يخلف » .

٢ – راحيل : ام يوسف وبنيامين ماتت عقب ولادة بنيامين . ودفنت في طريق القدس – بيت لحم . ولم يزل قبرها يشاهد على بعد ميل شمالي بيت لحم .

٣ – يوسف اسم يهودي بحت . يقابله بالعربية « يزيد » .

٤ – سورة البقرة : ١٣٢ – ١٣٣ .

٥ – تكوين : ٤٦ : ٢٧ .

المدن الكنعانية

أنشأ الكنعانيون معظم مدن البلاد التي نعرفها اليوم . وقد وُجد في هيكل الكرنك في أرض الصعيد بمصر جدول لمدن البلاد الكنعانية يتضمن ذكر ١١٨ أو ١١٩ مدينة . وهي أقدم ذكر للمدن الكنعانية . ويظن أنها المدن التي افتتحها « طثميس الثالث ١٥٠١ – ١٤٤٧ ق.م. » . وذكر القائد اليهودي يوشع ، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، أن عدد المدن التي استولى عليها اليهود في فلسطين ، غربي الأردن ، بلغ ست مئة مدينة [١] .

والمعروف أيضاً ان البلاد كانت بالنسبة لتلك العصور ، مكتظة بسكانها الكنعانيين وغيرهم ، ويحتمل أن لا يكون عددهم ، قبل الغزوة اليهودية ، قد تجاوز ربع المليون [٢] .

كانت أزقة المدن الكنعانية ضيقة ومعوجة ، وكان بعضها مسقوفاً او معقوداً. وأصحاب المهنة الواحدة يقيمون في حي خاص بهم يسمى باسم مهنتهم. وكان للمدينة ساحة واسعة يجتمع فيها السكان لمقايضة بضائعهم وللتداول في شئونهم المختلفة . ومدن الكنعانيين كانت صغيرة قد لا تزيد مساحة أكبرها عن ٧٠ دونماً [٣] .

---

١ – قاموس الكتاب المقدس : ٣٢٢/٢ .

٢ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين لحتي : ٩٠/١ . ويقدر « جوليان هكسلي » ان عدد سكان الارض ، في فجر الحضارة ، منذ خمسة آلاف سنة نحو عشرين مليون نسمة على أعظم تقدير - الاهرام في ١٩٦٣/٨/٢٠ .

٣ – الدونم يعادل الف متر مربع .

ولما كانت مدنهم محصنة ومسورة كان سكان القرى المجاورة يلتجئون إليها وقت الخطر ، كما كانوا يقصدونها لبيع محصولاتهم وقت السلم .

وخير مثال يوضح حياة المدن الفلسطينية في الألف الثالث قبل الميلاد الصورة الآتية التي تبين الحالة التي كانت عليها مدينة جازر :

[ومدينة جازر الكنعانية تعطينا صورة للحضارة التي انتشرت في السهل الساحلي الفلسطيني ؛ فقد عثر المنقبون فيها على مدينة يحيط بها سور حجارته مقطوعة بأدوات حادة ، ومهذبة قليلاً ، وكان للسور أبراج بلغ ارتفاعها اثني عشر متراً. ويتوسط المدينة قصر ملكها أو حاكمها ، وكانت جدرانه مقصورة. أما طرق المدينة فكانت ضيقة معوجة . وكانت جازر تعتمد على مياه الأمطار وعلى نبع قريب منها ، لكن سكانها كانوا يخشون الحصار إذ يصعب عليهم الحصول على الماء من النبع فحفروا نفقاً له درج يصل من داخل المدينة الى النبع وبذلك أمنوا شر قطع الماء عنهم .

كانت حياة الجازريين أساسها الزراعة ، ولعل المحراث الذي استعملوه مصري الأصل . وكانوا ينتجون الحبوب وبعض الخضروات ، ويربون الماعز والأغنام بكثرة . وبالإضافة الى ذلك فقد اهتدوا إلى دولاب الخزاف وحياكة الأقمشة الصوفية . وكانت علاقتهم التجارية مع مصر متينة ؛ فاستوردوا من هناك الخواتم والأقراط والأساور والعاج ليصنعوا منها الإبر والأزرار . وثمة ما يدل على أن أهل جازر عبدوا الالهة الأم مع آلهة أخرى كثيرة. وكانوا يقدمون الأطفال ضحية للآلهة [1]] .

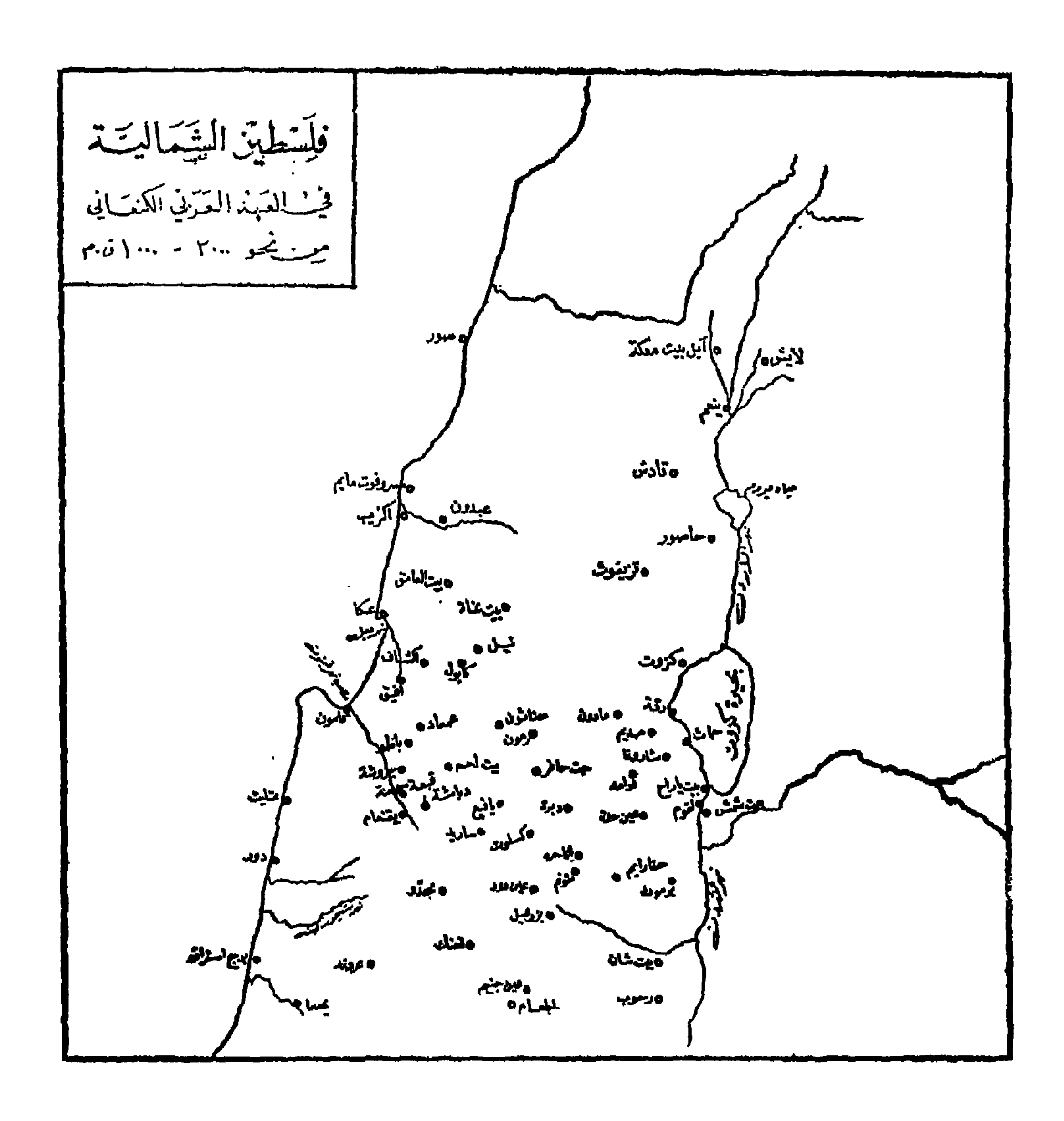
والمدن الكنعانية العربية ، منها ما بقي محافظاً على اسمه حتى اليوم ، ومنها ما تغير اسمه ، ومنها ما خرب وما زال خراباً الى يومنا هذا .

أولاً :

المدن الكنعانية التي ما زالت محافظة لأسمائها حتى اليوم ؛ أو حرفت تحريفاً بسيطاً : منها :

---

١ ـ العالم القديم لنقولا زيادة ١ : ٦٦ ـ ٦٧ . يافا ١٩٤٧ .



فلسطين الشمالية
في العهد العربي الكنعاني
من نحو ٢٠٠٠ - ١٠٠٠ ق.م
صور
آبل بيت معكة
لايش
قادش
مياه ميروم
حاصور
مسروفوت مايم
الكزيب
عبدون
بيت العامق
بيت عناة
عكا
كابول
أكشاف
أفيق
كنروت
رقة
حمات
مادون
حناثون
رمون
عماد
بيت لحم
جت حافر
بيت يارح
يانيع
دبرة
كسلوت
شونم
يزرعيل
تعنك
مجدو
دور
بيت شان
رحوب
عين جنيم
يبلعام

(١) **أريحا** : مدينة أُقيمت قبل الكنعانيين، قبل التاريخ الفلسطيني المدوّن. وقد مرّ ذكرها . وتلفظ اليوم « ريحا » . وهي كلمة سريانية بمعنى « الرائحة » و« الأريج » . والظاهر ان الآراميين الذين انتشرت لغتهم في الشرق العربي قبل الإسلام – وعرفوا فيما بعد بالسريان (السوريين) – تركوا طابعهم اللغوي في كلمة أريحا السامية .

ذكر اليعقوبي ان أهل ريحا وعمّان قوم من قيس وبها جماعة من قريش[١] .

(٢) **أشدود** : اسدود اليوم . وقد مرّ ذكرها . تقع شمالي عسقلان وعلى مسيرة ١٨ كم منهـا وهي التي دعاها « هيرودوس » بمدينة سوريا الكبيرة . وفيها قبر الصحابي عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح[٢] .

(٣) **بئر السبع** : عاصمة المنطقة المعروفة باسمها في جنوبي فلسطين ، وقد مرّ ذكرها – وبئر السبع كانت ملكاً لعمرو بن العاص فاتح فلسطين ، يقيم بها كلما اعتزل الناس ، كما كان يقيم بها بعض أهله . وأتت « سليمان بن عبد الملك » الأموي الخلافة وهو فيها . وفي ٢٢ تشرين الأول من عام ١٩٤٨ احتل اليهود هذه المدينة العريقة .

(٤) **بِزِق**–Bezek : كانت تقوم على بقعة القرية المتواضعة اليوم والمعروفة باسم « إبْزِيق » في أراضي طوباس من أعمال نابلس .

(٥) **بَنِي بَرَق** : بمعنى (ابن البَرْق) . وهي قرية « ابن بُراق » الواقعة للشمال الشرقي من يافا ، وعلى بعد عشرة كيلومترات منها . وفي المدة الأخيرة عُرفت هذه القرية باسم « الخيرية » .

---

١ – بلدانية فلسطين العربية : ١٠ .

٢ – صحابي قرشي ، من بني عامر بن لؤي . كان من كتاب الوحي للنبي . تولى عمل مصر نحو ١٢ عاماً . زحف في خلالها الى شمالي افريقية فافتتح مـا بين طرابلس الغرب وطنجة . وظفر بالروم بحراً في معركة « ذات الصواري » عام ٣٤ هـ . ثم عاد الى سورية . ومات باسدود فجأة وهو قائم يصلي عام ٣٧ هـ : ٦٥٧ م . وعبدالله بن أبي سرح هذا أخو عثمان بن عفان من الرضاع .

(٦) **بيت تَفوُّح** : بمعنى « بيت التفاح » . وهي « تَفوُّح » اليوم على بعد خمسة أميال للغرب من الخليل

(٧) **بيت داجون** : قد مَرَّ ذكر « داجون » وهي بيت دجن ، الواقعة على مسيرة عشرة كيلومترات للشرق من يافا . ينسب اليها « أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني» من رجال القرن الرابع الهجري . كان مقرئاً ، حافظاً ، ثقة[١] . وهناك قرى أخرى في فلسطين تحمل نفس الاسم أو تحريفه .

(٨) **بيت عَنُوت** : بمعنى « بيت الصّدى » . تقوم على بقعتها قرية « بيت عانون » أو « بيت عينون » . تقع على ثلاثة أميال للشمال الشرقي من الخليل وعلى مسيرة ميل ونصف ميل للجنوب الشرقي من « حلحول » وهي من القرى التي أقطعها الرسول عليه السلام لتميم الداري . نسب المقدسي اليها « الزبيب العينوني »[٢] .

(٩) **بيت لحم** : نسبة الى الاله « لحو » الكنعاني . وهي بالسريانية بمعنى « بيت الخبز » . قرية من أعمال حيفا ، تقع على مسافة (٧) أميال للشمال الغربي من الناصرة . وأما « بيت لحم » الواقعة على مسيرة عشرة كيلومترات ، جنوبي القدس ، فكانت تسمى « أفراتة » وسيأتي ذكرها في موضعه .

(١٠) **تِعِنَّك** : بمعنى « أرض رملية » . من أعمال جنين وقد مرّ ذكرها . ذكرت بين المدن التي افتتحها المصريون قبل الغارة اليهودية على فلسطين .

(١١) **تَقُوع** . ربما كان معناها « نصب الخيام ». وهي « تُقُوع » الحالية. قرية تبعد نحو ٦ أميال جنوب شرقي بيت لحم . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٣٧/٢) « بفتح أوله وضم ثانيه وسكون الواو والعين المهملة . من قرى بيت المقدس . يضرب بجودة عسلها المثل » .

(١٢) **جبَع** : بمعنى « أكمة » . قرية تقع في الشمال الشرقي من القدس ، على مسافة ٦ أميال منها . وتكثر الأماكن التي تحمل اسم « جبع » و « جبعة »

---

١ — معجم البلدان ٤١٧/٢ و ٤١٨ .

٢ — أحسن التقاسيم ١٠٨ .

و « جباع » في فلسطين ولبنان . وجميعها من جذر « جبع » وهي كلمة سامية مشتركة[1] بمعنى « أكمة » وتفيد « العلو » و « الارتفاع » .

(١٣) جَتّ كرمل : وهي قرية « جت » من أعمال طول كرم .

(١٤) جُدَيْرَة : بمعنى « حظيرة الغنم » . تقع على مسافة ٦ أميال للشمال الغربي من القدس .

(١٥) جِمْزو : بمعنى « كثيرة الجميز » . تقع على مسيرة أربعة كيلومترات للشرق من اللد .

(١٦) حَلحول : بمعنى « ارتجاف » . تقع على بعد أربعة كيلومترات للشمال من الخليل . تعلو عن سطح البحر ٣٢٧٠ قدماً : ٩٩٧ متراً .

وفي حلحول قبر ينسب الى « النبي يونس بن مَتى » يقصد للزيارة . ذكره الله تعالى في القرآن الكريم أربع مرات . وهو من رجال القرن التاسع قبل الميلاد . وفي عام ٦٢٣ هـ : ١٢٢٦ م بنى الملك المعظم عيسى الأيوبي منارة على المسجد الذي أقيم على القبر المذكور . وينسب الى حلحول « عبدالرحمن بن عبد الله الحلحولي الجعدي » المحدث الزاهد . توفي شهيداً في حروبه مع الصليبيين ، على أبواب دمشق عام ٥٤٣ هـ .

(١٧) رامة : بمعنى « المرتفعة » . تقوم على بقعتها اليوم قرية « الرام » ، على مسيرة ٨ كيلومترات للشمال من القدس . وهناك بقاع عديدة تحمل اسم « رامة » و « رام » في بلاد الشام .

(١٨) رَفيا : وهي رفح اليوم . تقع على الحدود الفلسطينية — المصرية .

(١٩) رَمُّون : بمعنى « رمان » . يرجح انها قرية « الرمانة » الواقعة على بعد ستة أميال للشمال من الناصرة . وفي بلاد الشام بقاع عديدة تحمل هذا الاسم أو ما يشابهه . قال أنيس فريحة : « رمون وجمعه رمّانة أصلاً اسم إله مشترك :

---

١ — المقصود من « سامي مشترك » أن الجذر يرد في أكثر اللغات السامية . والمقصود باللغات السامية هنا هي : الآمورية والكنعانية — بما فيها الفنيقية — والآرامية . وقد ذكرنا هذا التفسير في مكان آخر .

إله العاصفة والرعد ثم الخضرة . وكان رمزه زهرة الرّمان وسمي الرمان الثمر باسم الإله . وأرجح ان الأمكنة (ولاسيا حيث يوجد عيون) التي تسمى رمان أو رمانة بقية من اسم فنيقي قديم[1] » .

(٢٠) **شارونا** : ذكرت في خطابات « تل العَمارِنَة ». وهي قرية «سارونا» الواقعة في الجنوب الغربي من طبرية . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٣/١٧٠) بقوله « عقبة قرب طبرية . يصعد منها الى الطور (تابور) .

وفي لبنان قرية تحمل اسم « شارون » من أعمال « عاليه » . و « شارون » كلمة كنعانية بمعنى السهول والأرض المنبسطة. وقد أقام اليهود مكانها مستعمرة لهم كما سبق وذكرنا ذلك في محله .

(٢١) **صَرْعَة** : بمعنى مدينة « الزنبور » . وهي قرية « صَرْعَة » اليوم . تقع على رأس تل علوه ١١٥٠ قدماً وعلى بعد ١٤ ميلاً غربي القدس .

(٢٢) **طاباس** : بمعنى « ضياء » . وهي « طوباس » الواقعة للشمال الشرقي من نابلس .

(٢٣) **عَتْليت** : مدينة كنعانية (فينيقية) قديمة . تقع على الساحل للجنوب من حيفا . عرفت في العهد الروماني باسم Bucolon Polis . ذكرها ياقوت باسم « عتليت ؛ بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر لامه » وفي الحروب الصليبية كانت حصناً تعرف باسم « الحصن الأحمر » . عرفها الصليبيون باسم « Chastiau Pelerın » بمعنى « قلعة الحجاج » .

(٢٤) **عَزْموط** : بمعنى « قوي حق الموت » . قرية في ظاهر نابلس .

(٢٥) **عكا – عَكّو**[2] : بمعنى « رمل حار » ، وقد مر ذكرها . ذكرت بين المدن التي افتتحها طثميس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

فتحت عكا في حدود سنه ١٥ هـ . على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي

---

١ – أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٢ – وفي ظاهر جرش الجنوبي ، من أعمال البلقاء ، بقمة تعرف باسم « خربة عكا » ترتفع عن سطح البحر ٥٥٣ متراً .

سفيان كانت تصنع فيها السفن الحربية في صدر العهد الأموي .. وكانت مصانع سفنها تأتي في الدرجة الثانية بعد مصانع الاسكندرية . ومن عكا ركب معاوية اساطيله لغزو قبرس . والمعروف ان هشام بن عبد الملك وسّعها وجدد بناءها . وأقام له فيها قصراً فخماً .

وفي القرن الرابع للهجرة (العاشر الميلادي) إبتنى ميناءها المهندس المقدسي « أبو بكر البناء » جد مؤلف كتاب « أحسن التقاسيم » بناءً على أمر من « أحمد بن طولون » حاكم مصر .

وذكر الإدريسي المتوفى عام ٥٦٠ هـ : ١١٦٥ م عكا بأنها « مدينة كبيرة واسعة الأرجاء وكثيرة الضيلج (النيْلَج) [١] ولها مرسى حسن مأمون وناسها أخلاط [٢] » .

ووصفها العماد الأصفهاني [٣] « بأنها أم البلاد وأخت إرمَ ذاتِ العماد » .

وبطرد الصليبيين من عكا في ١٨ أيار من عام ١٢٩١ م دالت دولتهم وانتهت قصة الدول الصليبية بالشام . وفي نحو عام ١٧٤٩ م اتخذ ظاهر العُمَر ، حاكم فلسطين ، عكا عاصمة له . وشيد فيها قلعة حصينة لا تزال بعض آثارها باقية للآن . وأمام أسوارها في عام ١٧٩٩ م أضاع نابوليون ، كما قال ، مستقبله .

وينسب الى عكا :

(١) الحسن بن ابراهيم العكي . من رواة الحديث [٤] . (٢) حسن بن علي بن محمد بطحيش . فقيه وله نظم . (١٠٧٥ — ١١٢١ هـ : ١٦٦٤ — ١٧٠٩ م [٥]) . (٣) احمد بن بكر بن احمد بن محمد بطحيش العكي . ذكره المرادي بقوله :

---

١ — النيلج : شيء يتخذ من نبات (العظلم) بأن يغسل ورق العظلم بالماء ، فيجلو ما عليه من الزرقة ويترك الماء فيرسب النيلج أسفله كالطين فيصب الماء عنه ويجفف .

٢ — بلدانية فلسطين العربية : ١٦٢ .

٣ — مؤرخ ومن أكابر الكتاب . استخدم عند السلطانين نور الدين وصلاح الدين . توفي بدمشق عام ٥٩٧ هـ : ١٢٠١ م .

٤ — معجم البلدان ٤/١٤٤ .

٥ — الأعلام : ٢/٢٢٣ وسلك الدرر : ٢/٣١ .

« مفتي عكا وعالمها ومحيي ربوعها .. وله من التآليف فتاويه المشهورة . الملقبة باسمه ... وله بعض أشعار رائقة[1] » ولد عام ١٠٩٥ هـ . وتوفي عام ١١٤٧ هـ .

(٤) ميخائيل بن نقولا بن ابراهيم الصبّاغ . (١١٨٩ – ١٢٣٢ هـ : ١٧٧٥ – ١٨١٦ م) باحث . من الكاثوليك له اشتغال بالتاريخ . مات بباريس . له مؤلفات (٥) وولد في عكا الياس الأيوبي : ١٢٩١–١٣٤٦ هـ : ١٨٧٤–١٩٢٧م). مؤرخ . تعلم بها وبمصر اشتهر وتوفي بمصر . له عدة مؤلفات .

(٢٦) **عَناب** : بمعنى موضع العنب . وقد مرّ ذكرها . تقوم في بقعتها اليوم قريتان صغيرتان تعرفان باسم « عَناب الصغير » و « عَناب الكبير » . تقعان غربي قرية « الظاهرية » من أعمال الخليل .

(٢٧) **عين دور** : قرية تبعد ستة أميال للجنوب الشرقي من الناصرة . تكتب اليوم « إندور » .

(٢٨) **غزة** : بمعنى « قوي » أو « كنوز » و « مخازن » . بها قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول . كما نزلها والده عبدالله . وُلد فيها الإمام الشافعي – أعظم فلسطيني ظهر بعد الأسلام – فتحها معاوية بن أبي سفيان في عهد عمر بن الخطاب .

وفي فلسطين بقعة أخرى تحمل نفس الأسم تعرف باسم « خربة غزة » في قضاء بئر السبع .

وغزة أيضاً بلدة في « البقاع الغربي من أعمال « جب جَنّين » في لبنان .

وفي ظاهر « الدوحة » في قَطَر ، حي يعرف باسم « غزة » .

(٢٩) **فِرْعَتون** : بمعنى « أميري » . وهي « فَرْعتا » من أعمال نابلس وقد مر ذكرها .

(٣٠) **قَرْيوت** : بمعنى « مدن » . قرية من أعمال نابلس .

(٣١) **كابول**: قرية تقع على مسافة ٩ أميال للجنوب الشرقي من عكا . كانت من جملة المدن التي تنازل عنها سليمان لحيرام الفينيقي ، ملك صور ، لقاء مساعداته

---

١ – سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر – محمد خليل المرادي . ٢/١٥٢ – ١٥٥ .

الفنية التي قدمها لسليان في إقامة أبنيته في القدس .

وفي العهد العربي كانت مدينة من مدن « محافظة الأردن » اشتهرت بمزارع القصب . وكان سكرها أجود أنواع السكر المصنوع في بلاد الشام[1] .

(٣٢) **الكرمل** : بمعنى « مثمر » . تقوم على بقعتها اليوم قرية « الكرمل » الصغيرة ، على بعد عشرة أميال للجنوب الشرقي من الخليل . قال ياقوت : [بكسر الكاف وسكون الراء وكسر الميم ولام . قرية في أواخر نواحي الخليل بفلسطين من جهة البر[2]] .

(٣٣) **مخماس** : تقع على بعد (٨) كيلومترات للشمال من القدس .

(٣٤) **المجدل** : بمعنى « البرج » و « القلعة » و « المكان العالي للمراقبة » . تقع على مسافة ٢٥ كم للشمال من غزة وكانت تعرف باسم « مجدل جاد » نسبة الى « جاد » إله الحظ عند الكنعانيين .

وهناك « مجدل » آخر ذكرته النقوش المصرية باسم « مجدل يون » . يظن انها « المجدل » الواقعة في الشمال الغربي من قرية « زيتا » من أعمال طولكريم . وفي قرية المجدل منه تُرى جدران حبلات ، وشقف فخار وأعمدة .

وتكاثر الأماكن المسماة باسم « مجدل » في مختلف مناطق بلاد الشام .

(٣٥) **هربي** : كلمة كنعانية بمعنى « الكثرة » و « الوفر » . وهي قرية « هربيا » اليوم . تقع بين غزة والمجدل (عسقلان) . ينسب اليها الفقيه أبو الغنائم محمود بن الفضل بن حيدر المطري الهربياني . وفي بقعتها حصلت المعركة المسماة باسمها عام ١٢٤٤ م وقد انتصر فيها أهل البلاد على الاوروبيين انتصاراً عظيماً .

وفي الجمهورية اللبنانية اليوم قرية تعرف باسم « هربي » أو « هربة » في محافظة الشمال من قضاء عكار .

(٣٦) **يافا** : من الكلمة الكنعانية « يافي — Yafi » بمعنى «جميل» بنيت على

---

١ — أحسن التقاسيم : ص ١٦٢ .

٢ — المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٣٧٣ .

تلة ترتفع ١١٦ قدماً : ٣٥/٣ متراً عن سطح البحر .

(٣٧) يُوطّة : وهي قرية « يَطّـة » في جنوبي الخليـل . ترتفع (٨٧٤٨) قدماً عن سطح البحر . يظن ان « يحيى » عليه السلام وُلد فيها .

ذكرت بين المدن التي افتتحها طثميس الثالث في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كما ذكرت في رسائل « تل العمارنة » التي تعود بتاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وقد اشتهرت هذه المدينة بتجارتها في العهد الكنعاني .

فتحت على يد عمرو بن العاص وقيل فتحها معاوية بن أبي سفيان . أقـام « أحمد بن طولون ٢٢٠ — ٢٧٠ هـ : ٨٣٥ — ٨٨٤ م » صاحب الديار المصريـة والشامية والثغور قلعة يافا . وفي عام ٣٢٧ هـ : ٩٣٩ م توفي فيها « محمد بن جعفر ابن سهل أبو بكر الخرائطي » . فاضل من حفاظ الحديث وله مصنفات متعددة.

قال ياقوت : « ... وربما نسب اليها يافوني . ينسب اليها أبو العباس محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن عمير اليافوني (من علماء القرن الرابـع الهجري) ... وابو طاهر عبدالواحد بن عبدالجبار اليافوني[1] » وهما من الفقهاء ورواة الحديث .

وينسب اليهـا أيضاً « عمر بن محمد البكري اليـافي ابو الوفاء قطب الدين (١١٧٣ — ١٢٣٣ هـ: ١٧٥٩ — ١٨١٨ م). شاعر له علم بفقه الحنفية والحديث والأدب . وله ديوان شعر ورسائـل[2] . و « ابراهيـم الدبّاغ بن مصطفى بن عبد القادر » شاعر وأديب . ولد في يافا بلده وانتقل الى مصر في شبابه وتعلم في الأزهر وكف بصره في كهولته . له مؤلفات مطبوعة[3] . توفي عام ١٣٦٦ هـ : ١٩٤٧ م بعد أن عاش ستين سنة .

ومن حوادث يافا المفجعة : (١) ما ارتكبه فيها نابوليون من فظائع وحشية لطخت تاريخه بعار لا يمحى . وذلك انه لما دخل البلدة في عيد الفطر من عـام

---

١ — معجم البلدان ٥/٤٢٥ .

٢ الأعلام الجزء الخامس القاهرة ١٩٥٥ ص ٢٢٦ .

٣ — الأعلام الجزء الأول يا القاهرة الطبعة الثانية ص ٧٠ ١٩٥٤ . وعائلة « الدباغ » في يافا تعود بنسبها الى « عبدالعزيز الدباغ الحسني » ، ولي الله المدفون في « فاس » ببلاد المغرب .

١٢١٣ هـ : ٨ آذار ١٧٩٩ م ، بعد مجزرة رهيبة قتل فيها فضلاً عن الرجال ، الكثير من النساء والأطفال والشيوخ ، ثم أمر بقتل بقية الحامية وكانوا ٤٠٠٠ جندي . ساق الفرنسيون هؤلاء الأسرى الى التلال الرملية الواقعة في جنوب المدينة ، بالقرب من الشاطيء . وهناك قسموهم الى عدة فرق صغيرة أحاطت بكل فرقة ثلة من الجنود ، أمرتهم بالنظر الى البحر ... وانهالت عليهم بالرصاص ... ثم أجهزوا على الجرحى بالسلاح الأبيض .

تعتبر مجزرة يافا هذه وصمة كبرى في تاريخ حياة نابوليون لا يغفرها له التاريخ مهما انتحل له من أعذار .

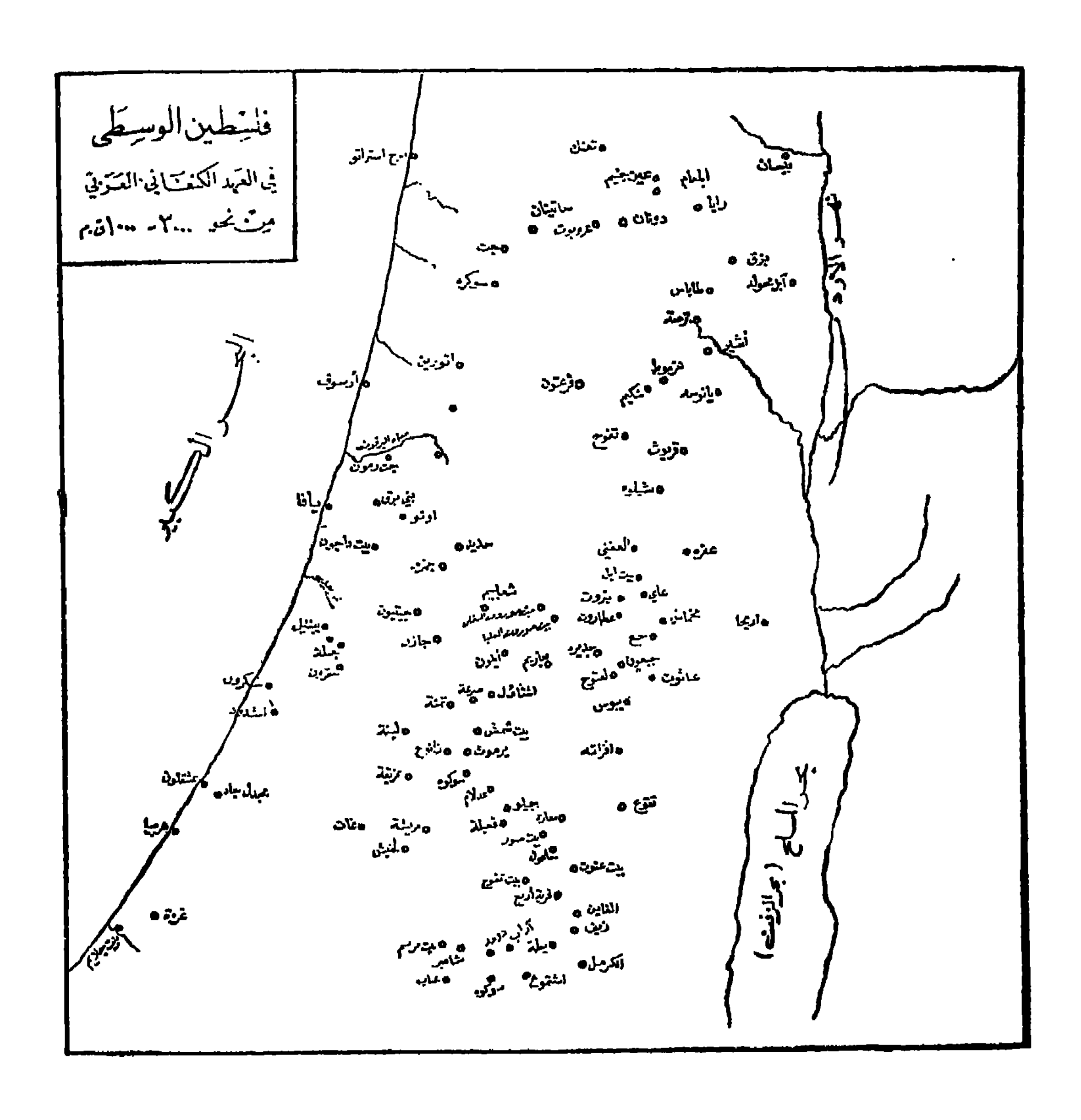
(٢) إن قوى الاحتلال البريطاني لما عجزت عن الإنتقام من الثوار والمجاهدين الذين اعتصموا في يافا في صيف عام ١٩٣٦ قامت بنسف البلدة القديمة التاريخية المزدحمة بالسكان مما سبب لليافيين أضراراً فادحة .

ولعل قبر الولي « ابراهيم العجمي » المدفون في حي العجمي بيافا هو لـ « برهان الدين ابراهيم العجمي » الذي ذكر صاحب الأنس الجليل (ص ٣٦٤) ولده (فخر الدين عثمان) بأنه كان من الفقهاء والعدول وكان موجوداً في سنة ٧٣٥ هـ .

ومن مشاهد يافا المسيحية « قبر طابيثا – غزالة » التي ذكر أنها أعيدت للحياة بعد موتها .

ومن المواقع التي تحمل اسم يافا : « قرية يافا » من أعمال الناصرة و « بيت يافا – ١٢٧٥ نسمة » من أعمال لواء عجلون ، تقع في جنوبي إربد و « يافه كوي » بمعنى قرية يافا من أعمال « مرسين » في جنوب الجمهورية التركية وهي محطة على الخط الحديدي الذي يصل مرسين بأضنة ، وعلى مسيرة عشرة كيلومترات من الأولى .

وتقع في ظاهر يافا عدة مواقع أثرية . عرف منها حتى اليوم : (١) تل جريشة أو تل نابوليون . يقع عند موقع « جريشة » متنزه أهل يافا . كانت تقوم عليه بلدة « جت رمون » التي تعود بتاريخها الى اكثر من ٥٠٠٠ سنة .


فلسطين الوسطى
في العهد الكنعاني العربي
من نحو ٢٠٠٠ - ١٠٠٠ ق.م
يافا
غزة
عسقلان
شكيم
اريحا
بيت شمش
تقوع
بحر الملح (بحر الزفت)

ويحتوي تل جريشة على أنقاض ومقبرة قديمة . (٢) تل قُدادي (بضم أوله) . يقع عند مصب نهر العوجا . ويعرف أيضاً باسم (الشونة) . كان من المواقع الحصينة . ويحتوي هــذا التل على بقــايا برج من العصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠ ق.م.) ومنحدر أساسات وشقف فخــار . ويعتقد أيضاً بأن « تل القصيلة » في ظــاهر « تل قدادي » الشرقي الشمالي ، من المواقع الأثرية في جوار يافا (٣) « مَكْمَش » أو « ظهر مكش ، تل القنطور » الواقع في الجنوب من قرية « الحرم – سيدنا علي » . ويحتوى « مكش » على تلال من الأنقاض (بينها تل القنطور) وأساسات مبان وشقف فخار وقطع أعمدة .

ثانياً :

المدن الكنعانية التي تغير اسمها او حُرّف تحريفاً ظاهراً ، منها :

(١) آبل بيت معكة : بمعنى « مرج بيت الظلم » . هي « آبــل القمح » ، اليوم قرية من أعمــال صفد . تقع على بعد ١٢ ميلاً للشمال الشرقي من « بحيرة الحولة » ، مقابل « دان – تل القاضي » . وتحتوي هــذه القرية على تل أنقاض (تل آبل) وقبور منقورة في الصخر وأدوات صوانية .

و « آبل » كلمة سامية مشتركة تفيد الكلأ والعشب والمرج .

(٢) أرْسُوف : يحتمل ان اسمهــا مشتق من « رَشف » المعبود الآموري الكنعاني المار ذكره . وتقع في جوار خرائبها اليوم قرية « الحرم » أو « سيدنا علي » على بعد ١٨ كم للشمال من يافــا . وفي العهد اليوناني عرفت أرسوف باسم « آبولونيا » . نسبة الى (ابولو) . ولها ذكر في الحروب الصليبية . كان بهــا خلق من المرابطين منهم : أبو يحيى زكريا بن نافع الأرسوفي وغيره . وينسب

اليها « مجلى بن جُمَيْع بن نجـــا » القرشي المخزومي الأرسوفي الأصل ، المصري المسكن والوفاة . قاض من أعيان الفقهاء المشار اليهم في وقته . تولى قضاء الديار المصرية سنة ٥٥٠ هـ : ١١٥٦ م[١] .

(٣) أشتاؤل : تعرف اليوم باسم قرية « إِشْوَع » ، على بعد ١٣ ميلاً للغرب من القدس ، وعلى مسيرة كيلومترين ونصف كيلومتر شرقي قرية « صَرْعَـة » المار ذكرها .

(٤) إشتَمُوع : بمعنى « طاعة » . وهي قرية « السَّمُوع » ، على بعد نحو ٧ أميال للجنوب من الخليل . واما قريـة « السَّمُّوع ٩٤٢ نسمة » الواقعـة في الجنوب الغربي من « إربد » في لواء عجلون فتلفظ بتشديد الميم .

(٥) أشقلون : بمعنى « مهاجرة » . وتعرف اليوم باسم « عسقلان » . تقع خرائبها على البحر ، على مسافة ثلاثة كيلومترات غربي « المجـدل » . تقوم على بقعتها « قرية الجورة » على بعد ٢٧ كم شمالي غزة .

افتتحت « عسقلان » في أيام عمر بن الخطاب على يد معاوية بن أبي سفيان . نزلها جماعة من الصحابة واتخذوها موطناً لهم . وفي أيام ابن الزُّبَير خربها الروم وأجلوا عنها أهلها . فلما ولي « عبد الملك بن مروان » الخلافة بناها وحصنها . ذكرها المقدسي بقوله : « جليلة ، كثيرة المحارس والفواكه ومعدن الجميز[٢] » .

ظهر منها الكثير من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء وأهل الصلاح . كما ولد فيها الخليفة الفاطمي ابو الميمون عبد المجيد، الملقب الحافظ بن محمد المستنصر تولى الخـلافة من عام ٥٢٤ – ٥٤٤ هـ : ١١٣١ – ١١٤٩ م ولعسقلان ذكر كبير في الحروب الصليبية .

وفي « عسقلان » « مشهد الحسين بن علي » رضي الله عنهما . يقال إنه كان به رأس الحسين ، وقبل ان يستولي الإفرنج على عسقلان نقله المسلمون الى القاهرة عام ٥٤٩ هـ . والذي بنى مشهد الرأس هذا هو أمـير الجيوش بَدْر الجمالي وكمله

---

١ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٣٠٠ القاهرة ١٩٤٨ .

٢ – أحسن التقاسيم ص ١٥٦ .

ابنه الأفضل وهما من وزراء الخليفة الفـــاطمي المستنصر بالله ابو تميم مُعَدّ : (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ : ١٠٣٦ – ١٠٩٤ م) .

وفي هذا المشهد دفن ايضاً رأس الكامل صاحب مَيّافارقين[1] . والكامل هذا هو محمد بن غازي (المظفر) بن العادل الملقب بالملك الكامل . حارب التتار زمناً طويلاً وهو ظاهر عليهم الى أن تغلبوا علية فقطعوا رأسه عام ٦٥٨ هـ : ١٢٦٠ م وطافوا به البلاد . ولما تمكن المسلمون من استخلاصه دفنوه في مشهد الحسين .

وفي ظاهر عسقلان « وادي النمل »؛ ويقال إنه المذكور في القرآن الكريم. وله موسم خاص يؤمه الناس من جميع النواحي المجاورة .

وبجبانة عسقلان خلق كبير من الصحابة والتابعين والأولياء والعلماء والشهداء ما لا يحصى ولا تعرف قبورهم .

(٦) أشنة : كان للكنعانيين مدينتان تحملان هـذا الاسم . تقوم على البقعة الأولى قرية « عِسْلِين » من أعمال القدس ، بالقرب من قرية « صرعة » المـــار ذكرها؛ وتعرف الثانية باسم «إدْنة» على بعد ٨ أميال للشمال الغربي من الخليل.

(٧) أشير : يرجح انها قرية « تياسير » على بعـد ١١ ميلاً للشمال الشرقي من نابلس .

(٨) أفْراتـة : بمعنى « المثمرة » . وهي بيت لحم اليوم . وفي عام ١٩٥٢ أقيمت طريق جديدة تصل هذه المدينة بالقدس طولها ١٤ كم .

(٩) إكزيب : بمعنى « السيل » . نسبة إلى الوادي الذي يمر بالقرب منها . وهي قرية « الزيب » ، على بعد ١١ ميلاً شمالي عكا . ذكرهـــا ياقوت (معجم البلدان ٣/١٦٢) بأنها قرية كبيرة على ساحل بحر الروم عند عكا ... ينسب اليها القاضي ابو علي الحسن بن الهيثم التميمي الزيبي » .

---

١ – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص ٢٢٠ . وتقع « ميافارقين » هـــذه في منطقة « ديار بكر » من أراضي الجمهورية التركية . بينها وبين بلدة « آمد – ديار بكر » مسيرة يومين بسير الدواب .

(١٠) **أناحرة** : بمعنى « مضيق » . يحتمل أن تكون قرية « الناعورة » من أعمال الناصرة تقوم على بقعتها .

(١١) **أونو** : بمعنى « قوي » . تقوم على بقعتها قريـــة « كفرعانة » ، على مسيرة ٧ أميال للجنوب الشرقي من يافا . وقد عرفت هذه القرية ، في وقت ما باسم « كفرعمّوني » بمعنى « قرية العَمّوني » .

(١٢) **أيلون** : بمعنى « بلوطة» ورد ذكرها في رسائل « تل العمارنـــة » . وهي « يالو » اليوم . تقع للشمال الغربي من القدس وعلى مسيرة ١٤ كم منها .

(١٣) **بيئروت** : بمعنى آبار وهي البيرة . وقد عرفت بهذا الاسم منذ العهد اليوناني . و « بـيروت » عاصمة الجمهورية اللبنانيـــة هي أيضاً تحريف لكلمة « بيئروت » الكنعانية . وقد ذكرت في النقوش المصرية باسم « بيروتا » .

وفي مختلف بقاع الشام قرى متعددة تحمل اسم « البيرة » .

(١٤) **بُصقّة** : بمعنى « مرتفع » أو « أرض صخرية » . يرجح انها قريـــة « الدواية » من أعمال الخليل .

(١٥) **بعل شليشه** : يرى بعضهم ان قرية « كفر ثلث » ، من أعمـــال طول كرم ، تقوم على بقعتها .

(١٦) **بيت إيل** : بمعنى « بيت الله » . وكان لها عند الكنعانيين اسم آخر وهو « لوز » بمعنى « اللوز » تقوم مكانها قريـــة « بيتين » من أعمال رام الله . وترتفع عن سطح البحر ٨٩٤ متراً .

(١٧) **بَعْلَة** : بمعنى « سيدة » . أطلق الكنعانيون هذا الاسم على بعض مدنهم . منها بلدة كانت تقوم على بقعة قريـــة « قطرا اسلام » على مسيرة ١٧ كم للجنوب من الرملة . وثانية دُعيت بـ « يعاريم » وسيأتي ذكرها . وثالثـــة كانت تقوم على « خربة ابي تلول[١] » الواقعة في الجنوب الشرقي من بلدة بئر السبع .

واما « جبل بعلة » فهو التلة التي تقوم عليها قرية « المَغَار — مَقَيّدَة — »

---

١ — تحتوي هذه الخربة على أساسات أبنية ، وتلول ، والقاش ، ثلاثة صهاريج ، وجدران حبلات ومغر الى الشمال .

في ظاهر قطرا اسلام .

(١٨) **بيت حورون العليا وبيت حورون السفلى**: بمعنى «بيت المغارة ». وتعرفـان اليوم باسم « بيت عور الفوقا » و « بيت عور التحتا » .

(١٩) **بيت شان** : بنيت قبل الكنعانيين وتقوم على بقعتهـا « بيسان » الحالية . وقد مرّ ذكرها . ولوقوعها على طريق دمشق وشرقي الأردن كان لها أهمية تجارية وعسكرية. فتحت على يد «شُرَحبيل بن حَسَنَة» في الفتوحات الإسلامية .

وسكن « بيسان » في صدر الإسلام « رجاء بن حَيْوَة الكِنْدي » شيخ أهل الشام . وهو الذي أشرف على بناية الحرم القدسي في عهد « عبد الملك بن مروان » .

(٢٠) **بيت شمش** : كانت تقوم في قريـة « العُبَيْديه » في جنوب بحيرة طبرية . وهناك « بيت شمس » أخرى ذكرناها في محلها .

(٢١) **بيت عَنَاة** : بمعنى « بيت الجواب » . وهي قرية « البِعْنَة » ، على مسافة ١٢ ميلاً للشرق من عكا ، على طريق صفد . و « البعنة » كلمة آراميـة بمعنى « بيت الغنم والضأن » . قـال أنيس فريحة : « هناك احتمال أن يكون الإسم « بعنا » بقية إسم إلهة سامية : عانات ، وفي الآشورية Anatu .... ولا يستبعد أن يكون اسم هذه الالهة باقياً في قريتين من قرى فلسطين : « بعنـا » شرقي عكا و « عناتا » شمال شرقي القدس [١] .

(٢٢) **تْزيفوت** – Tziphoth : مدينة ذكرتها النقوش المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، بين مدن الجليـل الأعلى . يرجح ان « صفد » الحالية تقوم على بقعتها .

(٢٣) **تِمْنَة حارس** : الأرجح انها قرية « كفل حارس » من أعمال نابلس .

(٢٤) **جازَر** : أنشئت قبل الكنعانيين ، في عصور ما قبل التاريخ . وقد مر ذكرها . وفي وقت ما اتسعت وأصبحت مساحتها ٩ هكتارات . وموقعها

١ – أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ص ٣١١ - ٣١٢ .

يعرف اليوم باسم « تل الجـَزَر » في قرية « أبو شوشه » على مسيرة اربعة أميال غربي قرية « عمواس » الواقعة على طريق يافا ــ القدس و « جـَـازَر » بمعنى « نصيب » أو « مهر العروس » .

(٢٥) حِبنَعة فِنحاس : الأرجح أن قرية «عَورتا » من أعمــال نابلس ، تقوم على بقعتها .

(٢٦) جَبنعُون : وهي قرية « الجيب » المتقدم ذكرها .

(٢٧) جَتّ : وهي عراق المنشية من أعمال غزة . ذكر أن مساحتها كانت نحو (١٢) فداناً .

(٢٨) جَت حافِر : بمعنى « معصرة البئر » يرجحان بقعة «خربة الزرّاع» في قرية « المشهد » الواقعة على مسيرة ثلاثة أميال للشمال من النـاصرة تقوم على بقعتها . وذكر بأن النبي « يونس » ولد في هذه البلدة الكنعانية .

(٢٩) جِلنجَال : بمعنى « متدحرج » . وهي قرية جلجوليه من أعـمـال طول كرم . وينسب الى جلجوليا القاضي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بـدر الدين حسن الجلجولي الشافعي . ولد ونشأ ببلده . عرف بفضله وتواضعه . باشر القضاء في جلجوليه ثم سكن القدس وتوفي فيها عام ٨٧٨ هـ [١] .

ومن نزلاء جلجوليا شمس الدين ابو العون محمد الغزي (المغربي) القــادري الشافعي ، شيخ السادة القادرية وهو الذي عمّر مشهد الولي المجاهد ابو الحسن علي بن عليل المار ذكره . توفي ابو العون في الرملة عام ٩١٠ هـ وهو جـد آل الفاروقي وأبو الهدى والخيري والتاجي في يافا والرملة وعكا وغيرها .

(٣٠) جَلّيم : بمعنى (كُوَم) . ربما هي « بيت جالا » اليوم .

(٣١) جُوشن : ذهب بعضهم الى انها هي « الظاهرية » من أعمال الخليل .

(٣٢) جِيلُوه : الاسم مشتق من جذر « جيل » بمعنى «رقص» و «فرح». وهي « جالا » القرية المتواضعة الواقعة على مسيرة كيلومترين للغرب من قريــة « بيت أمّر » من أعمال الخليل . وأما القول بـأن « جيلوه » هي « بيت جالا »

ــ الأنس الجليل ص ٣٩٥ .

الحديثة فهو وهم .

وفي لبنان قرية تحمل اسم « وادي جيلو» تقع في محافظة الجنوب من أعمال صور .

(٣٣) **حداشة** : بمعنى «حديثة » . ذكر بعضهم انها قرية « عِبْدِس » من أعمال غزة . وقال آخرون انها « خربة الجديدة[١] » الواقعة بين عراق المنشية وخربة « عجلان » .

تكثر البقاع التي تحمل اسم « حداشة » أو « حَدّاثه » و « الحدث » بمعنى الجديدة والحديثة في لبنان .

(٣٤) **حديد** : مدينة كنعانية . تقوم على بقعتها قرية « الحديثة» على مسافة ثلاثة أميال للشمال الشرقي من اللد .

(٣٥) **حفاريم** : بمعنى « حفرتان » . وهي « الطيبة » للشمال الغربي من بيسان. عرفت هذه القرية في العهد الروماني باسم « أغربينيا– Q grppiina » .

(٣٦) **حَلْقَه** : بمعنى « نصيب » يرجح انها « بِرْكا » الواقعة على بعد نحو ١٤ كم للشمال الشرقي من عكا . وآخرون ذكروا بأنها كانت تقوم على « خربة الهَرْبَج » للجنوب الشرقي من حيفا[٢] .

و « برقا » ايضاً قرية من أعمال السلط بها ٤٦١ نسمة .

(٣٧) **حَمّات** : كان للكلدانيين بلدتان تحمل كل منها اسم « حمّات » بمعنى ينابيع حارة . الأولى كانت تقوم ، على الأرجح ، على البقعة المعروفة اليوم باسم « حمّامات طبرية » الواقعة على بعد ميل جنوبي بلدة طبرية والثانية تقع غربي نهر الأردن ، يعرف موقعها اليوم باسم «تل الحمّة » في أراضي طوباس من أعمال نابلس .

(٣٨) **خاتيتان** : ذكرت في النقوش المصرية . لعلها قرية « إيثان » الصغيرة الواقعة في غربي قرية « عتيل » من أعمال طول كرم .

---

١ – تحتوي خربة الجديدة على صهاريج ، وحجار مبعثرة وشقف فخار .

٢ – تحتوي خربة الهربج ، على « تل أنقاض ، بقايا تحصينات منقورة في الصخر » .

(٣٩) دَبْرَة : بمعنى « مرعى » . تعرف باسم قرية « دَبّورية » اليوم ، تقع للشرق من الناصرة ، في السفح الغربي لجبل تابور .

(٤٠) دومة : بمعنى « سكوت» وبقعتها تعرف باسم «الدير» أو « الدومَة» وهي قرية صغيرة على مسافة ميلين ونصف الميل شمالي قرية « الظاهرية » من أعمال الخليل .

وفي فلسطين ولبنان وسورية وشمال الجزيرة العربية أماكن تحمل أسم « دومة » و « دوما » .

(٤١) دَنّة : تقوم على بقعتها قرية« السيميا » في ظاهر قرية السموع من أعمال الخليل .

(٤٢) دُوَر : بمعنى « مسكن » . اشتهرت كمركز تجاري بحري بين مصر وفلسطين . وهي قرية « الطنطورا » الواقعة على البحر جنوبي « عتليت » وعلى بعد ٣٠ كم للجنوب من حيفا .

(٤٣) راقم : بمعنى « خدمة حدائق الأزهار » . يحتمل انها كانت تقوم على موقع « قلندية » في ظاهر القدس .

(٤٤) رَبّيت : بمعنى « جمهور » . قال بعضهم انها قرية « رابا » على بعد ٧ أميال للجنوب الشرقي من جنين .

(٤٥) زانوح : بمعنى « أجَمة » .كان للكنعانيين قريتان تعرفان بهذا الاسم. الأولى ويظن أن موقعها كان في قرية « بيت عَمْرة » الصغيرة ، على مسيرة كيلومترين للشمال الغربي من قرية « يَطّة » من أعمال الخليل . والثانية كانتتقوم على « خربة زَنوع» الواقعة على بعد ١٤ ميلاً للجنوب الغربي من القدس.وتحتوي هذه الخربة على صهاريج ومُغر وقطع أعمدة ونحت في الصخور ومعصرة وطرق قديمة تؤدي الى خربة علياء والى قرية بيت نتيف .

(٤٦) سوكور : ذكرتها النقوش المصرية . تقوم على بقعتها قرية « شويكة» في ظاهر طول كرم الشمالي . وذكر « العهد القديم » بلدتين كنعانيتين باسم « سوكوه » ، تقعان في قضاء الخليل . الأولى تعرف بقعتها اليوم باسم « خربة

شويكة » أو « الشويكة » على بعد عشرة أميال للجنوب الغربي من الخليـل . والثانية كانت تقوم على « خِربة عبّاد » ، على مسيرة ١٣ ميلاً للجنوب الغربي من بيت لحم . وتحتوي هذه الخربة على أساسات أبنية وجدران مع شوارع .

وظهر من « شويكة » طول كرم علمـاء منهم : (١) أحمد بن محمد الشويكي الحنبلي . ولد في نحو (٨٧٥) هـ . في قريته هـــذه ثم نزل دمشق وأخذ عن علمائها . تنقلت به الأحوال الى أن عُين مفتياً للحنابلة بدمشق . توفي بالمدينـــة المنورة عام ٩٣٩ هـ[1]. (٢) عبدالحليم بن عبدالله الشافعي. نشأ في بلده شويكة. وطلب العلم في مصر . ذكره المرادي بقوله : « كان فريد عصره علماً وأدباً ... وكان له أدب وشعر نضير عديم النظير . توفي في عكا عام ١١٨٥ هـ[2] .

(٤٧) شامير : تقع في الجنوب الشرقي من « بيت مرسم » . ويعرف موضعها اليوم باسم « البيرة» وهي قرية متواضعة تقع على مسيرة ١٣ ميلاً للجنوب الغربي من « الخليل » .

وهناك « شامير » ثانية كانت في جبال نابلس ظن بعضهم أنها « صانور » من أعمال جنين وآخرون انها « سبسطية » من أعمال نابلس .

(٤٨) شَعَلَبِّيم : بمعنى «مأوى الثعالب» أو «بنات آوى» . مدينة آمورية وقد مر ذكرها .

(٩٤) شكيم : بمعنى « منكب » و « نجد » و « ارتفاع » . وهي « بلاطة ــ نابلس » .

(٥٠) شمرون : بمعنى « حارس » ربما كانت قرية « السميرية » الواقعة على مسيرة خمسة كيلومترات شمالي عكا تقوم على بقعتها . وذكر آخرون انها « تل الشّمونية » في مرج بني عامر ، شرقي الناصرة .

(٥١) شو َنم : بمعنى « موضع الراحة » . وهي قريـة « سولم » الواقعة في الجنوب الشرقي من الناصرة .

---

١ ــ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ٢/٩٩ .

٢ ــ سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، للمرادي ٢٠٤ - ٢٠٨ جزء ٢.

(٥٢) صَدَّيم : بمعنى « جوانب » . وهي قرية « حِطين » اليوم .
وينسب الى حطين « أبو محمد هياج بن عبيد بن الحسين الحطيني » . كان عالماً فقيهاً ، عرف بزهده وورعه ، سكن مكة المكرمة فكان فيها فقيه الحرم في عصره . توفي عام ٤٧٢ هـ وقد نيف على الثمانين[١] .

وزار هذه القرية « ناصر خسرو » المار ذكره ودعاها باسم « حظيرة » . ولعل هذا الخطأ أتى من النساخ. قال الرحالة : «ثم يممت وجهي شطر الجنوب. فبلغت قرية تسمى «حظيرة» . وفي الجانب الغربي منها وادٍ به عين ماء عذب، تخرج من الصخر ، وقد بني امامها مسجد على الصخر به بيتان صخريان ، فوقهما سقف من الصخر أيضاً وعليها باب صغير يستطيع الزائر دخوله بصعوبة. وهناك قبران متجاوران، أحدهما قبر شعيب والثاني قبر ابنته التي كانت زوجة موسى. ويُعنى أهل هذه القرية بهذا المسجد عناية فائقة من تنظيف وإنارة وغير ذلك[٢] .

(٥٣) عَرُوبوت : ذكرت في النقوش المصرية . لعل قرية « عَرّابة » من أعمال جنين تقوم على بقعتها . وقال بعضهم إن « أُربوت » المذكورة في العهد القديم (الملوك الأول : ٤/١٠) هي « عرابة » هذه .

(٥٤) « عرونة » أو « عرون » : ذكرت في النقوش المصرية . كانت تقوم على « تل عارة » في قرية « عارة » ، الواقعة على الممر الجبلي المسمى باسمها للشمال من طول كرم .

(٥٥) عطاروت : يعرف موقعها اليوم باسم « كفر عقب» للشمال من القدس. وهناك « عطاروت » ثانية ذكرت في محلها .

(٥٦) عَفَرَة : تعرف اليوم باسم قرية الطيبة من أعمال رام الله . وفي العهد اليوناني دعيت باسم Aphairema .

(٥٧) العَفَني : بمعنى « المتعفن » . يرجح انها قرية « جِفْنَة » للشمال

---

١ – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ١٣٨ .
٢ – بلدانية فلسطين العربية ص ٥٢ .

الغربي من قرية « بيتين » المار ذكرها . واشتهرت « جفنة » في ايام الرومـان بجودة عنبها .

(٥٨) عَمْعاد : ظن بعضهم انها « خربة العمود » في قضاء عكا . والراجح انها « شفا عمرو » ، على بعد ٢٢ كم للشمال الشرقي من حيفا .

(٥٩) عنانوت : بمعنى « أجوبة » . وهي قرية « عناتا » ، على بعـد أربعة أميال للشمال الشرقي من القدس . راجع ما كتبناه عن « بيت عَنَاة – البعنة » .

(٦٠) عين جِنّيم : بمعنى « عين الجنائن » . وهي جنين اليوم . وفي لبنان مواقع متعددة تحمل مثل هذا الاسم أو ما يقاربه . وفي غربي « إربد » ايضاً قرية تعرف باسم « جنين الصفا ٧٨١ نسمة » من أعمال لواء عجلون .

(٦١) عين حَدَّة : بمعنى « العين السريعة » يرجح انها قرية « الحَدَّثا » من أعمال طبرية .

(٦٢) قادَش : بمعنى « حرم » و « مقدس » . وهي قرية « قَدَس » اليوم، على مسيرة عشرة أميال شمالي صفد .

(٦٣) قرية أَرْبَع : بمعنى « مدينة أَرْبع » . وهي « الخليل[1] » . وقـد تقدم ذكرها . عرفت فيا بعد باسم « حبرون » بمعنى « صحبة » .

(٦٤) قرية سِفر : مر ذكرها . بمعنى « مدينة الكتب » . لعلها بنيت في أواسط الألف الثالث قبـل الميلاد وعرفت باسم « دَبير » ، بمعنى « مقدس » . كان باستطاعة هذه المدينة أن تسيطر على المواصلات بين بلاد الخليل وبلاد بئر السبع . بلغت مساحتها نحو ٣ هكتارات .

و « قرية سِفر » اليوم هي « بيت مِرْسِم »، تقع على مسافة ١٩ كم للجنوب الغربي من الخليل ، وترتفع ٤١٥ متراً عن سطح البحر .

---

١ – الخليل : هي البلدة التي أقطعها رسول الله ، مع بعض القرى المجاورة ، للصحابي تميم الداري . ظهر منها علماء وفضلاء كثيرون . ذكرها جغرافيو العرب بأنها تقع في وهدة بين جبال كثيفة الأشجار من زيتون وتين وعنب وجميز وتفاح وخرنوب وغيرها من الفواكه. قال المقدسي المتوفى في نحو عام ٣٨٠ ﻫ : ٩٩٠ م. « وحبرى مشهورة بالفواكه ، وخاصة في جبل يحيط بها من كل جانب يسمى « جبل نصرة » .

(٦٥) قَعيلة : بمعنى « حصن » يعرف موقعها اليوم باسم قريــة « قيلا » المتواضعة أو خربــة « كيله » على مسافة تسعة أميال للشمال الغربي من الخليل.

(٦٦) كسلوت : بمعنى « صلب » . وهي قريــة « إكسال » من أعمـــال الناصرة . تقع غربي جبل الطور ، على بعد ثلاثة أميال منه .

(٦٧) لِبْنَة : بمعنى « البياض » . مدينة كنعانية . يرجح ان قرية « تل الصافي » من أعمال الخليل تقوم مكانها .

والمواقع التي تحمل هذا الإسم أو ما يشابهه « لُبّن ، لبنان ... » تعود الى جذر سامي مشترك « لبن » ويفيد البياض .

(٦٨) مَعارَة : بمعنى « موضع عار عن الأشجار » . يرجح أنهـــا قرية « بيت أومّر » ، على بعد سبعة أميال شمالي الخليل . ذكر أن « متّى » والد النبي يونس مدفون فيها .

(٦٩) مَقّيدة : بمعنى « موضع الرعاة » وهي قرية « المَغار » من أعمال الرملة . وقد مر ذكرها .

نسب إليها ياقوت (معجم البلدان ١٦٠/٥) « الفقيه أبا الحسن محمد بن الفرج المغاري » .

(٧٠) مُوصة : بمعنى « خروج » . من المحتمل أن تكون «كالونيا » الواقعة على مسافة سبعة كيلومترات للشرق من القدس تقوم مقامها .

(٧١) نَعَرات : قال بعضهم إنها قرية « عين الديوك » بقرب أريحا .

(٧٢) نفتوح : بمعنى « فتح » . يرجح انهــا قرية « لِفتا » على بعد ميلين للشمال الغربي من القدس تقوم على بقعتها .

(٧٣) يافيع : بمعنى « بهيج » . وهي قرية « يافـــا » للجنوب الغربي من الناصرة ، على أمد ميلين منهـــا وتعرف أيضاً باسم « يافة الناصرة » و « يافة الجليل » .

(٧٤) يانُوحة : بمعنى « راحة » و « اطمئنان » . تعرف اليــوم باسم « يانون » من أعمال نابلس .

(٧٥) يَبنئيل : وهي « يبنا – يُبْنَى » من أعمال الرملة وعلى بعد ١٢ ميلاً للجنوب من يافا . تقع شرقي البحر بنحو ثلاثة أميال . ذكرها المقدسي بقوله : يبنى بها جامع نفيس . معدن التين الدمشقي الفائق [1] » .

نفى صاحب الأنس الجليل أن يكون « أبو هُرَيرَة » الصحابي الجليل قد دفن في يبنا . بل قال انما بها بعض ولده [1] . والواقع ان المدفون في هذه القرية هو « ابو قِرْصافة » صاحب رسول الله .

(٧٦) يَبُوس : وقد مرّ ذكرها . عرفت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وعرفت باسم « أروسالم » و « ياروشاليم » وهي كلمة كنعانية بمعنى « دع شاليم يؤسس » . وهي القدس اليوم .

وفي سورية قرية تحمل اسم « يبوس » على بعد ٣٢ كم من بلدة الزبداني .

(٧٧) يرفئيل : بمعنى « الله يشفي » . وهي « رافات » من اعمال الرملة : تقع غربي القدس وعلى بعد ٢٤ كم منها .

(٧٨) يرموث : كانت تقوم على موقع قرية « كوكب الهوا » من أعمال بيسان . وهناك « يرموث » أخرى سنذكرها في محلها .

(٧٩) يزرعيل : بمعنى « الله يزرع » . وهي قرية زرعين من أعمال جنين .

(٨٠) يَعَاريم : بمعنى « مدينة الغابات » . وتعرف ايضاً باسم « قرية بعل » بمعنى « مدينة بعل » ، قرية العنب اليوم . ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٢/٢٦٥) باسم « حصن العنب » من أرض بيت المقدس . ومَرّ بها الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري ، ذكرها بقوله « قرية العنب ؛ وقد رأينا في الطريق – من اللطرون الى قرية العنب – كثيراً من نبات السداب الذي ينبت برياً على الجبال وفي الصحراء . وقد رأيت في هذه القرية عين ماء عذب يخرج من الصخر . وقد بنيت هناك احواض وعمارات [2] » .

---

١ – أحسن التقاسيم : ١٧٤ .

٢ – بلدانية فلسطين العربية ١٨٩ .

وفي القرن الماضي نسبت الى عائلة « أبو غوش » زعيمة هذه المنطقة التي اتخذتها مقراً لها . وما زالت الى يومنا هذا تُدعى باسم قرية أبو غوش فضلاً عن اسمها القديم : قرية العنب .

(٨١) يَفتاح : كانت تقوم على بقعة قرية « كَرْتوميا » الواقعة في الشمال الغربي من الخليل .

ثالثاً :

المدن العربية الكنعانية التي كانت عامرة ولكنها خراب اليوم :

(١) آبل محولة – Abel Meholah : يرجح انها كانت تقوم على « تل سفري » من أعمال نابلس .

(٢) إبق : ذكرتها النقوش المصرية . تقع في أقصى الجنوب من جبال « فقوعة » وعلى بعد ١٥ كم من بيسان [1] .

(٣) إبلعام : كانت تقوم على خربة « بلعمة » على بعد كيلومترين للجنوب من جنين .

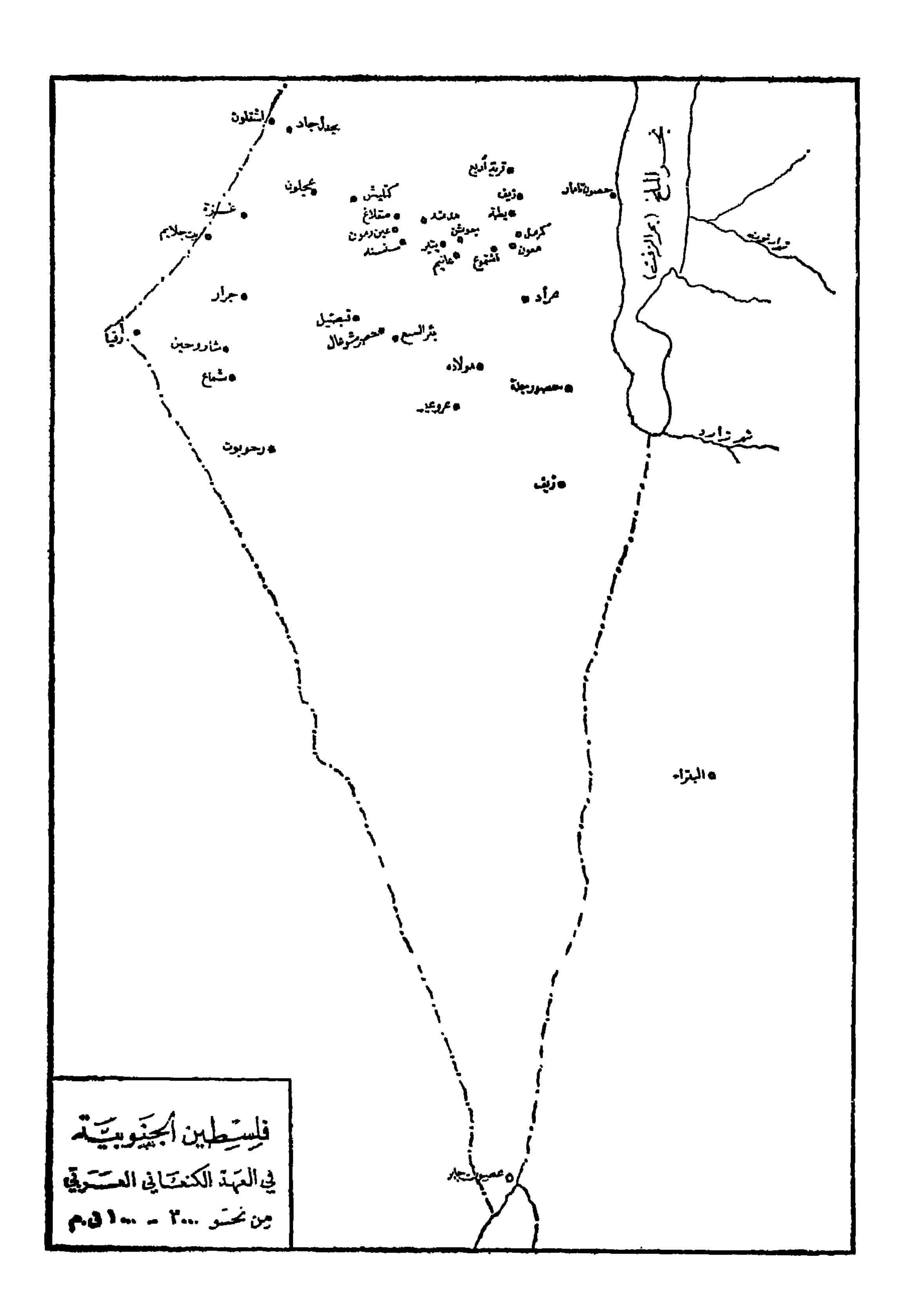
(٤) إتورين : ذكرت في النقوش المصرية . لعلها خربة « بورين » على بعد خمسة كيلومترات غربي طول كرم . وتحتوي هذه الخربة على تل من الأنقاض وأساسات . وفي عام ١٩٤٩ أقام عليها اليهود مستعمرة دعوها Beerotayim . بلغ عدد سكانها في نهاية عام ١٩٥٠ (٢٦٠) نسمة .

(٥) أدامة : يرجح أنها من جذر « أدم » وهو سامي مشترك يفيد الاحمرار والسمرة . وهي خربة دامية ، على مسيرة خمسة أميال للجنوب الغربي من طبرية . وتحتوي هذه الخربة على معصرة زيتون وقطع أعمدة وبركة وعلى أنقاض وأساسات .

(٦) آرب : بمعنى « كمين » . موقعها اليوم يعرف باسم « الرابية » للشرق

---

١ – مصر القديمة : ٤/٦٦٤ و ٦٧٥ للدكتور سليم حسن . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ .


أشقلون
مجدل جاد
قرية أربع
عجلون
زيف
حصون تامار
غزة
بيت جلايم
يطة
مدمنة
عين رمون
كرمل
معون
أشتموع
عانيم
بحر الملح (بحر لوط)
جرار
عراد
بئر السبع
حصر شوعال
شاروحين
رفيا
مولاده
عروعير
رحوبوت
زيف
نهر زارد
البتراء
عصيون جابر
فلسطين الجنوبية
في العهد الكنعاني العربي
من نحو ٣٠٠٠ - ١٠٠٠ ق.م

من قرية « دومة — قضاء الخليل » المار ذكرها .

(٧) **أزنوت تابور** : بمعنى « قمم تابور » . يعرف موقعها اليوم باسم « خربة أم جبيل » بالقرب من جبل طابور في ناحية الناصرة . وهذه الخربة تحتوي على أسس ، جدار قديم ، وحبلات ومدافن منقورة في الصخر ، وصهاريج ، وقطع أعمدة .

(٨) **أفيق** : بمعنى « قوة » و « قلعة » . أي المدينة المسورة المحصنة . ذكرتها الكتابات المصرية القديمة . تقع على الطريق القديمة التي تخترق السهل الساحلي ، يرجح أنها كانت عند « رأس العين » حيث منابع نهر العوجاء ، على بعد نحو ١٧ كم للشمال الشرقي من يافا .

وهناك بلدتان كنعانيتان أُخريان تحملان نفس الإسم (أفيق) . واحدة كانت تقوم على « تل الكردانا » من منابع نهر النعامين المار ذكره ، والثانية كانت تقوم ، على الأرجح ، في الموقع المسمى اليوم باسم « خربة كنعان » الواقعة في جنوب غربي الخليل .

(٩) **اكزيب** : وهي غير اكزيب الساحلية المار ذكرها . لعلها كانت تقوم على « تل البيضا » الواقع بين « بيت جبرين » و « عدلاّم » الآتي ذكرها .

(١٠) **إكشاف** : بمعنى « سحر » . يرجح انها كانت تقوم على « تل كيسان » للجنوب الشرقي من عكا . وهي « إكسافو » المذكورة في جداول طثميس الثالث التي تعود بتاريخها الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقد خيمت عليه وفي جواره جيوش صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد الأوروبيين . وهذا التل يحتوي على أنقاض وأساسات جدران وتحصينات وبئر .

(١١) **إلتقون** : بمعنى « الله أساسها » . يرجح انها كانت تقوم على البقعة التي تعرف اليوم باسم « خربة الدير » على مسيرة نحو ميلين للجنوب الشرقي من قرية حوسان من أعمال بيت لحم .

(١٢) **عقرون** : كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم «خربة المقنع» على مسيرة ستة أميال للجنوب الشرقي من قرية « عاقر » الحالية من أعمال

الرملة . وهذه الخربة تحتوي على تل انقاض على سطحه شقف فخار ، واساسات جدران في مساحات ممتدة .

(١٣) باطن : موقعها يعرف اليوم باسم « خربة إبطين » للجنوب الشرقي من حيفا .

(١٤) بيت العامق : بمعنى « بيت الوادي » يحتمل انها كانت تقوم على البقعة المعروفة باسم « تل مياس » بالقرب من قرية « عَمْقا » ، على بعد عشرة كيلومترات للشمال الشرقي من عكا .

(١٥) بيت جلايم — Beth Eglaim : وبقعتها تعرف اليوم باسم « تل العجول » على بعد سبعة كيلومترات للجنوب من غزة . وكانت ميناءً له علاقات تجارية واسعة مع مصر وسوريا وجزر البحر الأبيض المتوسط . وقد اكتشف فيها سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤ مصوغات وحلى وذهب وفير مما يدل على يسرها العظيم .

(١٦) بيت داجون : يرجح انها كانت تقوم على بقعة « الجلمة العتيقة » على سفح الكرمل . وهذه الخربة تحتوي على « تل أنقاض وبقايا جدران وشقف فخار على وجه الأرض وصهاريج ومُغُر في الصخور » .

(١٧) بيت شمش : بمعنى « بيت الإله الشمس » . كانت تقوم على « تل الرُّمَيْلَة » قرب خربة « عين شمس » في جوار قرية « عرطوف » ولبيت شمش الكنعانية هذه موقع جغرافي هام لوقوعها على تقاطع طريق القدس — يافا وطريق القدس — غزة . ولعلها بنيت مع « بيت مِرْسِم » في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد .

(١٨) بيت صور : بمعنى « بيت الصخر » . تعرف بقعتها اليوم باسم « خربة برج السور » . ذكرها ياقوت المتوفى عام ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م بأنها قرية قرب الخليل ، على جانب الطريق .

(١٩) بيت فالَط : بمعنى « بيت الهرب » . بقعتها تقع في الجنوب الشرقي

من بلدة « بئر السبع » ، للشمال من « عرعرة » الآتي ذكرها .

(٢٠) **بيت يأراح** : هي خربة « الكرك » اليوم الواقعـة في الجنوب من بحيرة طبريـة . تعود بتاريخها الى أواسط العصر البرونزي . وفي العهد اليوناني والروماني عرفت باسم « فيلوتيريا — Philoteria» .

(٢١) **ترالة** : بمعنى « ترنح » . تقوم على بقعتها اليوم « خربة أرحا » بين القدس ورام الله .

(٢٢) **تِرْصَة** : بمعنى « فرح ». خرائبها تقع على « تل الفارعة » على مسافة سبعة كيلومترات للشمال الشرقي من نابلس .

(٢٣) **تفُّوح** : يحتمل انها كانت تقوم على موقع «الشيخ ابو الزَّرْد» في قرية ياسوف الواقعة على مسيرة ١٦ كم للجنوب من نابلس . ومما هو جدير بالذكر ان هذه القرية كانت قد اشتهرت ، كما ذكر ذلك جغرافيو العرب ، بتفاحها .

(٢٤) **تِمْنَة** : بمعنى (القسم المعين). كان للكنعانيين مدينتان تحملان نفس الاسم . الأولى كانت تقوم على موقع الخربة المعروفة اليوم باسم « خربة تِبنة[1] » التي تعلو ٧٤٠ قدماً عن سطح البحر ، على بعد ميلين من بلدة « بيت شمس » المتقدم ذكرها . وتحتوي هذه الخربة على جدران مهدمة وقطع أعمدة ومغائر ومعاصر خمر وصهاريج . والثانية يرجح انها « تبنة » التي تبعد تسعة أميال للجنوب الغربي من بيت لحم .

(٢٥) **جبثون** : بمعنى « ارتفاع » . كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم « تل مالات » الواقع غربي قرية « ابو شوشه — جازر » من أعمال الرملة . وهذا التل عبارة عن « تل انقاض يحتوي على شقف فخار وبقايا بركة » .

(٢٦) **جِبْعَة** : بمعنى «تل» وهي« تل الفول » على مسيرة ستة كيلومترات شمالي القدس . وهذا التل يعلو عن القدس بنحو ١٦٠ قدماً .

(٢٧) **جت رِمون** : بمعنى « معصرة الرمان » . كانت تقوم على « تل

---

١ — و « تبنة » ايضاً قرية من أعمال إزرع في جنوب سورية . وكذلك قرية من أعمال صيدا في لبنان . و « تبنة » بمعنى « التبن » .

جريشه » في ظاهر يافا – راجع ما كتبناه عن يافا – .

(٢٨) جدور : بمعنى سور . وهي خربـة الجدور على بعد ٧ أميال للشمال الغربي من الخليل .

(٢٩) جرار: كانت تقوم على رأي السر فلندرزبيتري على « تل جَمَّة » المار ذكره ويقع هذا التل على بعد ١٢ كم للشمال من « تل الفارعة » .

(٣٠) حاصور : بمعنـى « المخـيم » و « المعسكر[1] » و « الحصن » أو « جدران » . وهي خربة « وقاص » أو «القدح» على مسافة ستة كيلومترات للغرب من « جسر بنات يعقوب » .

كانت « حاصور » تعتبر من أكبر مدن الكنعانيين تتراوح مساحتها بين ١٥ و ١٦ فدانـاً . وأخيراً اتسعت وأصبحت مساحتها نحو ١٠٠ فدان . وتحتوي « خربة وقاص » على أنقاض وبقايا أبنية وجدران وصهاريج ومعصرة .

وهناك « حاصور » كنعانية أخرى يعرف موقعها اليوم باسم « الجبارية » على بعد نحو ٩ أميال من « العوجا » في « النجب » .

(٣١) حافر : بمعنى « بئر ». ذكر بعضهم انها كانت تقوم على بقعة « تـل الإفشار » في وادي الحوارث من أعمال طول كرم .

(٣٢) حَرُوشة : يحتمل انها كانت تقوم على « تل عمرو » في قضاء حيفا .

(٣٣) حصَرَجدَّة : بمعنى قرية السعد . يحتمـل انها « خربة غـزَّة » الواقعة في الجنوب الغربي من « رأس الزُّوَيرَة » على مسيرة تسعة أميال شرقي بئر السبع . تحتوي هذه الخربة على بقايا مدينة وجـدران مبنية بالصوان ومغر وأساسات أبنية وصهاريج ومخفر الى الشمال الشرقي .

(٣٤) حصر شوعال : بمعنى « قرية الثعالب » يظن ان موقعها « الوطن » في الشرق من بئر السبع .

(٣٥) حصّون تامار : بمعنى « رملة النخيل » . سكنها الآموريون في أقدم

---

١ – ويقابلها بالسريانية « حرتا » وفي العربية « الحيرة » . وحرتا اليوم قرية من أعمال لواء عجلون فيها (١٤١٤) نسمة . و « الحيرة » ، عاصمة اللخميين ، كانت تقع بالقرب من الكوفة.

عصورها . وهي « عين جدي » اليوم . سميت بهذا الإسم من جداء الوعول التي تكاثر في هذه الجهات . تقع على بعد نحو ميــل من البحر الميت ، بقرب منتصف شاطئه الغربي وعلى مرتفع يعلو ٦٠٥ أقدام عن سطحه . وفي قمتها عينان درجة حرارتها ٨٠ف° : ٢٦و٧° مئوية . احتلها اليهود في ١٦/٣/١٩٤٩ م .

(٣٦) حَنّاثون – Hannathon : بمعنى « المنظور اليه بالنعمة » . يحتمــل انها كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم « تل بدوية » في قضاء الناصرة . ويحتوي هذا التل على انقاض أبنية وقاعات معقودة وحجارة بنــــاء وأنقاض خان .

(٣٧) دبّاشة : يرجح انها كانت تقوم في محطة « تل الشّمام » بالقرب مــن « تل قَيْمون – يقنعام » الآتي ذكرها . وعن معنى « دبّاشة » قـــال أنيس فريحة : « دِباش ؟ بمعنى العسل أو الدبس . ربمـــا كان معنى الجذر « دبس » الأصيل السمرة المائلة الى الحمرة . ويسمى العسل والدبس بلونه »[١] .

(٣٨) دوثان : بمعنى « آبار » . وتعرف أيضاً باسم « حفيرة عرّابــة » . تقع للشرق من بلدة « عرّابة » من أعمال جنين . كانت تمر منها طريق القوافل بين فلسطين وشرقي الأردن .

(٣٩) رَحوُب : مدينة كنعانية لم يذكرها العهد القديم . بقعتهــا تعرف اليوم باسم « تل الصارم » في جنوبي بيسان . وامـــا التي ذكرها العهــد القديم (عد ١٣ : ٢١) وتُدعى أيضاً (بيت رحوب) فموقعها غير معروف . ذكر بعضهم انها كانت تقوم على «بانياس» بالقرب من الحدود السورية – الفلسطينية.

(٤٠) رُحوبوت : بمعنى «الأماكن الرحبة». يظن انها خربة «الرُّحَيْبَة» على بعد ١٩ ميلاً للجنوب الغربي من مدينه بئر السبع .

(٤١) رَقّة : بمعنى « شاطىء » . يظن انها كانت في موقع طبرية الحالي . ومما هو جدير بالذكر ان « الرقة – بفتح أوله وتشديد ثانيه – » اليوم مدينــة سورية تقع على شاطىء الفرات وفي الحرب العالمية الثانية شاهدنا جسراً على نهر

١ – أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ص ١٢٩ .

الفرات ، عند هـــذه المدينة ، أنشأته السلطات العسكرية البريطانية بواسطة (شركة هاسوليل – بونة) اليهودية . وقد كتب اليهود على قاعدة الجسر العبارة التالية باللغة العربية « هذه هي الحدود الشمالية لمملكة اسرائيل » !!

وهناك « رقة » ثالثة كانت من مدن « َمدْيَن » .

و « الرَّقـَّة » كل أرض الى جانب وادٍ ينبسط عليها الماء ايام المد ثم ينحسر عنها ، فتكون مكرمة للنبات[1] » قال الأصمعي : الرقاق (جمع الرَّقـــة) الأرض اللينة من غير رمل .

(٤٢) رَقُّون : يرجح ان موقعها كان في « تل الرَّكيت » على شاطيء البحر على بعد أربعة كيلومترات للشمال من مصب نهر العوجاء .

(٤٣) ساريد : بمعنى « باق بعد غيره » . تقوم على بقعتها اليوم خربـــة « تل شدود » على بعد خمسة أميال للجنوب الغربي من الناصرة . ويحتوي التل المذكور على انقاض وشقف فخار وصخور منحوتة .

(٤٤) سَنْسَنَة : بمعنى « سعف النخل » . كانت تقوم على خربة « الشمسانيّات » من أعمال الخليل ، على مسيرة ١٦ كم للشمال الشرقي من بلدة بئر السبع .

(٤٥) َشارُوحَين: بمعنى « المسكن الحسن » كانت تقوم على « تل الفارعة » وهو تل على بعد ٢٤ كم للجنوب الشرقي من غزة وعلى مسيرة ٣٠ كم للغرب مـــن بلدة « بئر السبع » . نقب فيه عام ١٩٢٧ – ١٩٢٩ يحتوي التل المذكور عـــلى انقاض ومقابر قديمة وسد مبني بالحجارة .

(٤٦) شكرون : يرجح أن « خربة ُصقـْرير » أو « سكرير » الواقعة على مسيرة أربعة أميال للشمال من اسدود تقوم على بقعتها . ذكر العرب هذه الخربة باسم « السكرية » . وهي تحتوي على أنقاض خان وعقود وصهريج وبركة بئر .

وقال آخرون ان « شكرون » المدينة الكنعانية كانت تقوم على « تل الفول » شرقي قرية قطرا من أعمال الرملة .

(٤٧) شماع : موقعها يعرف اليوم باسم « خربة الفـار » غربي بئر السبع .

---

١ - معجم ما استعجم : ٦٦٦/٢ .

تحتوي هذه الخربة على آثار أنقاض ممتدة وعلى أسس وآبار وقطع رخامية وتاج عمود وعمود صغير .

(٤٨) شيلوه : بمعنى « موضع الراحة » . تقع خرائبها في أراضي قريـــة « قريوت » من أعمال نابلس وتعرف باسم « خربة سَيْلُون » .

(٤٩) صَعَنَنِّيم : قال بعضهم انها كانت تقوم على بقعة « خان التجار » على مسيرة ثلاثة أميال للشمال الشرقي من جبل طابور وذهب آخرون الى انهـا كانت تقوم بالقرب من « خربة بَسُّوم » الواقعة على مسيرة نحو خمسة أميال للغرب من النهاية الجنوبية لبحيرة طبرية .

(٥٠) صفاة : بمعنى « برج المراقبة » . يرى بعضهم انهـــا كانت تقوم على « تل المشاش » الواقع على مسيرة ثلاثة أميال شرقي بئر السبع .

(٥١) صِقْلاغ : يحتمل انها « تل خويلفة » في قضاء بئر السبع .

(٥٢) صَيْعُور : بمعنى « صُغْر » . يحتمل انهــا « قرية سعير » على مسيرة خمسة أميال للشمال الشرقي من الخليل .

(٥٣) صَيْلع : بمعنى « ضلع » . يحتمل انها « خربة صلاح » الواقعة شمال غربي القدس .

(٥٤) زيف : كان للكنعانيين مدينتان تحملان نفس الاسم . الأولى يعرف موقعها اليوم باسم « الزّيفة » في الجنوب الغربي من« كُرْنب » من أعمـــال بئر السبع . والثانية كانت تقوم على « تل زيف » أو « خربـة زيف » على مسيرة أربعة أميال للجنوب الشرقي من الخليل · ويعلو هذا الموقع ٢٨٨٢ قدمـاً عن سطح البحر .

(٥٥) عانيم : بمعنى « ينبوعان » . هي « خربة غونية التحتـا » على بعد نحو ١١ ميلاً للجنوب الغربي من الخليل و ٣ أميال للجنوب من السموع. وتحتوي هذه الخربة على جدران متهدمة ومغر وقوس. بينما تحتوي «خربة غونية الفوقا» على مغائر وصهاريج وأسس .

(٥٦) عاي : بمعنى « كومة خراب » أو « أنقاض » . بقمتها تعرف اليوم

باسم « التل » . شرقي رام الله ، على الطريق القديمة التي كانت تصل أريحا بالأراضي الجبلية ، وعلى مسيرة كيلومترين ونصف كيلومتر للجنوب الشرقي من قرية « بيتين » المـار ذكرها . استولى عليها اليهود بعد أن أبادوا سكانها الكنعانيين البالغ عددهم ١٢،٠٠٠ نسمة . وقد كشف التنقيب في هذه المدينة عن معبد يُعد من أقدم المعابد التي وُجدت في فلسطين حتى اليوم ، يرجع تاريخه الى حوالي عام ٢٦٠٠ ق . م .

(٥٧) عَبْدون : بمعنى « مستعبد » . يُرجح ان تكون « خربة عَبْدَة » الواقعة على بعد عشرة أميال للشمال الشرقي من عكا تقوم على بقعتها . وفي هذه الخربة جدران متهدمة وصهاريج وبقايا معصرة .

(٥٨) عَجْلون : مدينة آمورية وقد تقدم ذكرها .

(٥٩) عَدُلاّم : بمعنى « مخابىء » . من مدن الكنعانيين العظيمة . يقوم على بقعتها اليوم « تـل الشيخ مذكور » على مسافة ١٥ كم للشمال الشرقي من بيت جبرين . وهذا التل يحتوي على مقام عليه قبة وفيه كتابة . وأكوام حجـارة ومغر وبئر وبقايا معصرة .

(٦٠) عَرّاد : بمعنى « حمـار الوحش » . مدينة كنعانية تعرف بقعتها اليوم باسم « تل عراد » على مسيرة ١٧ ميلاً للجنوب من مدينة الخليـل . وقد كان لأهل عراد حروب مع اليهود حين غارتهـم على البلاد . وتمكن ملوكهم وزعماؤهم بمحالفتهم مع العمالقة وغيرهم من ان يهزموا اليهود ويشردوهم بعيداً عن ناحيتهم . و « تل عراد » يحتوي على انقاض عليه آثار سور محيـط . وشقف فخار وصهاريج ومغر .

(٦١) عروعير : بمعنى « خرابات » . وهي خربة « عَرْعَرَة » على بعد ١٢ ميلاً للجنوب الشرقي من بلدة بئر السبع .

(٦٢) عزيقة : كانت مساحتها أربعين دونماً . تعرف اليوم باسم « خربة تل زكريا » في ظاهر قرية زكريا الجنوبي الغربي . يرتفع التـل ٤٠٠ متر عن سطح البحر .

(٦٣) **عصيون جابر** : بمعنى « ظهر الجبّار » . يرجح انهـا كانت تقوم على « تل الخُلَيفة » على بعد كيلومترين من ساحل البحر الأحمر ، وفي منتصف الطريق بين « المرشش » الفلسطيني ومدينة « العقبة » الحالية . ويخترقها اليوم خط الهدنة.

(٦٤) **عطاروت** : بمعنى « أكاليل » . كانت تقوم على بقعـة « المزار » في وادي الفارعة في الغور النابلسي .

(٦٥) **عَنَاثُون** : هي خربة « عنيت » اليوم في الشمال الشرقي من القدس .

(٦٦) **العوّيم** : بمعنى « خراب » . كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم « خربة حيّان » للجنوب الغربي من « عاي » المتقدم ذكرها وعلى مسافة نحو ٣ كيلومترات للجنوب الشرقي من « بيتين » .

(٦٧) **عين رمُّون** : بمعنى ينبوع ماء الرمان . يرجح انها « ام الرمامين » أو « أم الرمالي » ، على بعد ٩ أميال للشمال الشرقي من بئر السبع . وهي خربـة تحتوي على أساسات أبنية على موقع ممتد . وحجارة منقوشة وعليها أفاريز وعمود ومعصرة وصهاريج .

(٦٨) **الفارة** : بمعنى « مدينة العجل » ذكروا انها « عين فارة » الواقعة على مسيرة ثمانية أميال للشمال الشرقي من القدس . وهذه « العين » تزود القدس بالمياه .

(٦٩) **القاين** : هي خربة « يقين » على بعد ٣ أميـال للجنوبي الشرقي من الخليل .. وقد ذكر المقدسي « يقين » هـذه بقوله : « على فرسخ من حبرى ، على جبـل صغير يشرف على بحيرة صُغر (لوط) وموضع قريّات لوط . وفيها مسجد بناه ابو بكر الصباحي ، فيـه موضع مرقد ابراهيم قد غاص في القف[١] نحو ذراع . يقـال إن ابراهيم لما رأى قريّات لوط في الهواء ، رقد ثم قـال : اشهد ان هذا هو الحق اليقين[٢] » : وقال ياقوت وصاحب المراصد : « من قرى بيت المقدس . بها مقام آل لوط النبي . كان مسكنه بعد رحيله من زغر . وسميت باقين ، فيما يزعمون ، لأنه لما سار بأهله ، ورأى العذاب قد نزل بقومه سجد في

---

١ – قف العشب أو الشجر : بمعنى يبس ؛ وقفت الارض : يبس بقلها .
٢ – أحسن التقاسيم ص ١٧٣ .

هذا الموضع وقال : أيقنت أن وعـد الله حق « فسمي بذلك[1] » . وفي الأنس الجليل (ص ٤٤) أن باني المسجد في قرية « يقين » وهو محمد اسماعيل الصباحي وكان البناء في شهر شعبان من عام ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) . وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب .

(٧٠) قبصئيل : بمعنى « مجموع من الله » يظن انهـا كانت تقوم على البقعة المعروفة باسم «خربة حورا» في قضاء بئر السبع. وهذه الخربة تحتوي على أنقاض من مدينة وأكوام من الحجارة وأساسات وفي الخارج خمسة حصون وصهاريج .

(٧١) قبعاسومنة : ذكرت في حروب طثميس الثالث ، تقوم مقامهـا « خربـة الشيخ بريك » للجنوب من حيفا[2] تحتوي هـذه الخربة اليوم على تل أنقاض وأساسات وبركة وقطع معمارية .

(٧٢) قَطَّة : بمعنى « صغيرة » . ظن بعضهم انها كانت تقوم على بقعـة « خربة قطينة » الواقعـة للجنوب الغربي من « تل قيمون » في قضاء حيفـا . وتحتوي هذه الخربة على أنقاض وأساسات جدران وصهريج مبني بالحجـارة الى الجنوب الشرقي .

(٧٣) كِتْلِش : تعرف بقعتهـا اليوم باسم « خربة المقحز » للشرق من « تل النجيلة » المار ذكره .

(٧٤) الكفيرة : « الكفر » بمعنى « القريـة » . وهي جذر سامي مشترك يفيد الإخفاء. وسميت القرية « كفر » لأنها « مخبأ ».والكفير تصغير الكفر على الطريقة العربية .

وتكثر الأماكن التي تحمل اسم « الكفير » في مختلف أنحاء بر الشام .

و«الكفيرة» بلدة كنعانية يرجح انها « خربة الكفيرة » الواقعة على مسيرة ٨ أميال للشمال من قرية الجيب من أعمال القدس .

(٧٥) قلمون – Calamon : تقع في الجنـوب الشرقي من حيفا – Efa .

---

١ – معجم البلدان : ٤٢٦/٥ .

٢ – مصر القديمة للدكتور سليم حسن ٦٦٥/٤ .

لعلها كانت تقوم على البقعة المعروفة باسم « تل أبو حوام » بالقرب من مصب نهر المقطع . وهي أقرب ميناء لبيسان ومجدو . والأرجح انها تأسست بين سنتي ١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق . م في عهد نشاط العلاقات التجارية ببلاد بحرايجة . وهذا يعلل وفرة الآثار القبرصية والإيجية التي عثر عليها في هذا المكان .

واسم « قلمون » يطلق في الشام على عدة أمكنة منها « جبل قلمون » المشرف على دمشق وقرية « قلمون » بجوار طرابلس في لبنان .

(٧٦) كِنّروت : أو « كِنّارَة » . بلدة كنعانية تقع على ساحل بحيرة طبرية الشمالي الغربي . وقد دُعيت بحيرة طبرية باسم « بحيرة كنروت » نسبة اليها ، في العصور الكنعانية . كانت تقوم على الخربة المعروفة اليوم باسم « خربة العُرَيْمة » التي تحتوي على تل من الأنقاض وبقايا جدران وأساسات وعلى مجرى ماء منقور في الصخر .

(٧٧) لايش : بمعنى « أسد » و « شجاع » . كانت تقع في أقصى الشمال من فلسطين . بناها الصيداويون ، على الطريق التجاري التي كانت تصلها جنوباً ببلاد العرب وشمالاً ببلاد الشام [1] وداخلية آسيا . ثم دُعيت « لايش » فيما بعد باسم « دان » بمعنى « قاضي » . وموقعها يعرف اليوم باسم « تل القاضي » حيث أحد مخارج الأردن .

وفي العهد القديم من « دان الى بئر السبع » ويعنون بذلك معظم اتساع الرقعة اليهودية في القديم . والمسافة بين البقعتين ٢٤٠ كم .

(٧٨) لَباوات : بمعنى (لبوات) . يحتمل انها كانت تقوم في نواحي « تل الفارعة » في قضاء بئر السبع .

(٧٩) لَحْمام : بمعنى « مآكل » . يرجح انها « خربة اللحم » على بعد ميلين ونصف الميل للجنوب من بيت جبرين . وتحتوي هذه الخربة اليوم على « أسس وأكوام حجارة وآبار وصهاريج وكهوف » .

(٨٠) لخيش : أقيمت قبل الكنعانيين وقد مرّ ذكرها . والتنقيب في « تل

---

١ – تبعد « لايش » نحو ٤٠ كم عن الساحل اللبناني ونحو ٦٤ كم عن دمشق .

الدوير » الذي كانت تقوم عليه لخيش – كشف عن سلسلة من المدن الواجدة بنيت فوق بقـــايا الأخرى . وهناك ايضاً اكتشفت بقايا معبد ، شيد في أيام أمنحتب الثالث بقي حتى أيام رعمسيس الثاني ، وعظام ثيران وكباش وحيوانات أخرى ، تبدو أنها قدمت ذبائح للآلهة . وفي لخيش أيضاً اكتشف جعران أثري منقوش عليه اسم فرعون امنحتب الثالث – ١٤١٢ – ١٣٧٥ ق . م . ويخلد قصة قيامه بصيد وأنه قتل أكثر من مئة أسد في السنوات العشر الأولى لحكمه .

(٨١) لقوم : بمعنى « حصن » . يعرف موقعهـــا اليوم باسم « خربة المنصورة » أو « خربة الخشة » عند رأس وادي الفيجاس من أعمال طبرية.

(٨٢) مادون : – بمعنى « خصومة » . وفسر بعضهم اسمها بأنها « مكان القضاء والحكم » . يظن ان مكانها اليوم خربة تعرف باسم « خربة مَدّين » أو « قرن حطين » ، على بعد نحو ثلث ميل جنوبي قرية حطـــين . وتحتوي هذه الخربة على حظيرة مستديرة من حجار الدبش وأكوام حجارة وسلاسل وشقف فخار وبقايا غرف مربعة وصهريج معقود على قمة في الجهة الجنوبية .

(٨٣) جَدُّو : أقيمت قبل الكنعانين. كانت مساحتها نحو ٥٠ دونماً . وقد تقدم ذكرها .

(٨٤ – ٨٦) (مدن سدوم ، صَبُوئيم وعَمُورَة) : لم يتـــحقق موقعها ، وعلى رأي كثير من علماء العهـــد القديم أنها تقع تحت المياه الضحلة الواقعة في جنوبي البحر الميت .

(٨٧) مَدْمنة : بمعنى « مزبلة » . يحتمل انهـا خربة « ام الديمنة » ، في قضاء الخليل ، على بُعد ١٣ ميلاً للشمال الشرقي من بئر السبع . وهي خربـــة تحتوي على أكوام حجارة وأسس ومغائر وصهريـج .

(٨٨) مدينة الملح : يظن أنها كانت تقوم على بقعة خربة قمران المار ذكرها.

(٨٩) مريشة : بمعنى « تلك قمة أكمة » . تعرف بقعتهـا اليوم باسم « تل صندحنة » الذي يرتفع ٣٣٥ متراً عن سطح البحر ، على مسافة نحو كيلومترين جنوبي بيت جبرين . و « صندحنة » كلمة لاتينية مشتقة من « سانطا آنا » .

(٩٠) مِسْرفوت مايم : بمعنى « المياه الحـــارة » هي « خربة المشيرفة » بالقرب من رأس الناقورة وعلى مسيرة نصف ميل من البحر. وتحتوي هذه الخربة على « أساسات جدران ومغارة وصهاريج » .

(٩١) المِصْفاة : تعرف أرضهـــا اليوم باسم « تــل النصبة » ، على بعد كيلومترين الى الجنوب من البيرة . ويشرف هذا التل على الطريق الحديثة والقديمة التي تسير من القدس الى الشمال .

(٩٢) مَعُون : كانت تقوم على « تل معين » على بعد نحو ١٤ كم للجنوب من الخليل وعلى بعد نحو كيلومترين ونصف الكيلومتر عن قرية « الكرمل » المار ذكرها .

(٩٣) مَكَتَـه : بمعنى « صخري » . يعرف موقعها اليوم بأسم « مَخنَـة » الواقعة في اراضي قرية بورين من أعمال نابلس .

(٩٤) مولادة : بمعنى « مولد » . يرجح انها خربة « تل الملح » على بعد ١٥ ميلاً للجنوب الشرقي من بئر السبع . وهذه الخربة تحتوي على تل أنقاض عليه آثار بناء مستطيل وجدران . وموقع ممتد فية دور مهدمـــة . وشقف فخار وأكوام نفايات قديمة . وفي الجوار مبان مهدمة وصهاريج .

(٩٥) تآنة شيلوه « مدخل شيلوه » . أرضها تعرف اليوم باسم « خربة تانا الفوقا » على مسيرة سبعة أميال للجنوب الشرقي من نابلس.

(٩٦) نصيب : بمعنى « تمثـال » . وهي خربة « بيت نصيب » للغرب من قرية « بيت اولا » من أعمال الخليل .

(٩٧) نيل Neiel— : كانت تقوم على الأرض المعروفة باسم « خربة يعنين » في شمالي كابول من قضاء عكا. وتحتوي هذه الخربة على أساسات جدران على تل، قسم منه مكون من الأنقاض ومن مدافن وبئر .

(٩٨) يتّير : يظن انها خربة «عتّير» على بعد نحو ١٣ ميلاً للجنوب الغربي من الخليل . تقع على خط الهدنة ، في القسم المغتصب من الوطن العزيز . تحتوي هذه الخربة على أبنية متهدمة وأساسات ومغر ومدافن وصهاريج ومعصرة وأعمدة

وتيجان أعمدة ومقام .

(٩٩) يحما اويحام – Yaham : ذكرت في النقوش المصريـة . كانت تقوم على البقعة المعروفة باسم « تل الأساور » للجنوب الغربي من قريـة « عارة » المتقدم ذكرها .

(١٠٠) يرموث أو يرموت : يرجح انها كانت تقوم على (خربة اليرموك) على بعد ٨ أميـال للشمال من بيت جبرين و١٦ ميلاً للجنوب الغربي من القدس . تحتوي هذه الخربة على جدران ساقطة وأساسات وتل أنقاض وصهاريج ومغر.

(١٠١) يَقْنُعام : بمعنى « مجموع الشعب » . كانت تقوم عند « تل قيمون » بقرب طرف الكرمل الشرقي ، وعلى بعد نحو ١٢ ميـلاً الى الجنوب الغربي من الناصرة . وذكرها ياقوت (معجم البلدان ٤/٤٢٤) بقوله : قيمون بالفتح ثم السكون وآخره نون حصن من أعمال فلسطين .

(١٠٢) يَنْعَم–Yano'am مدينة كنعانية ذكرت في متون «تل العمارنة[1]» . كانت تقوم على « خربة تل الناعمة »[2] الواقعة على نهر الأردن للشمال من بحيرة الحولة . وهذه الخربة اليوم عبارة عن تل أنقاض وآثار ممر وطريق قديمة .

* * *

وهناك مدن كنعانية عربية أخرى كثيرة في مختلف أنحاء البلاد ، اندثرت ولم يتمكن الباحثون من معرفة مواقعها حتى اليوم .

---

١ – مصر القديمة لسليم حسن ٤/٤٠٧ .

٢ – ص ١١٢ من كتاب :
The Westminster Historical Atlas of The Bible. Philadelphia : 1945 .

المدنية الكنعانية

الزراعة

اهتم كنعانيو فلسطين بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً حتى سمي وطنهم « الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً » . وقد وصف المصريون خيراته الزراعية ، في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، بقولهم [كانت بساتينهم ملأى بفواكههم ، ووجدنا أنبذتهم في دنانها ، كالماء في كثرتها ، وكانت حبوبهم في الاجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطىء][1] .

كانت الزراعة المهنة الرئيسية للسكان، وكثيراً ما كان الكنعانيون يصدرون القمح والشعير والزيتون والتمر والعنب وغيرها الى الاقطار التي تطلبها .

زرع الكنعانيون :

القمح : كان أهم الحبوب لديهم . عُرف في فلسطين في عصور ما قبل التاريخ كما ذكرنا ذلك سابقاً .

الشعير : اتسعت زراعته في البلاد وكان الفقراء يصنعون منه خبزهم .

العدس : زرعه الكنعانيون بكثرة . وكانوا أحياناً يصنعون منه خبزاً .

الكرسنة : نوع من الحبوب يشبه العدس . يُعطى علفاً للدواب .

كما زرعو الفول والحمص والبصل — وقد ولعوا بأكله — والثوم والقثاء (الفقوس) وبعض الخضار وغيرها . وذهب بعضهم الى ان الكنعانيين عرفوا

---

١ — الحضارة المصرية جون ولسون ، تعريب أحمد فخري القاهرة ١٩٥٥ ص ٢٩٩ .

البطيخ الأخضر .

وزرع الكنعانيون من الفواكه والأشجار :

الزيتون : عرفته فلسطين قبل تاريخها المدون . وكان الكنعانيون يجمعون ثمره ، كما هي الحالة اليوم بخبط الشجرة أو النفض . ومعاصره كانت منقورة في الصخور ، كما تشهد بذلك بقاياها في مختلف أنحاء البلاد. وكانوا ينيرون مساكنهم بزيت الزيتون في سُرُجٍ بسيطة الصنع . وقيمة الزيتون في تلك العصور كانت كبيرة . لأنه كان يستعمل في الأكل – محل الزبدة عندنا – وللدهن مكان الصابون ، كما كان يستعمل في الإضاءة .

ويقال إن شجرة الزيتون نقلت من فلسطين الى مصر في عهد الأسرة التاسعة عشرة ١٣٥٠ – ١٢٠٠ ق . م .

العنب : عرفته فلسطين ، كالزيتون ، في عصور ما قبل التاريخ . كان ولا يزال من أشجارها الرئيسية . وقد اشتهرب به ، في تلك العهود ، « عين جدي » و « وادي الصرار » – الذي كان يفضل عنبه على غيره – وجنوبي فلسطين وخاصة الخليل ومنطقتها . وكانوا يصنعون منه «الدّبس» [1].

التين : كانت محاصيله من جملة المحاصيل المهمة عند الكنعانيين. فإذا نقص حمله أو أصابته آفة عد ذلك ضربة على البلاد . وكانوا يجففونه ويدخرونه ، كما هي الحالة اليوم ، مؤونة لهم .

الرمان : كانوا يستخرجون من عصارته نوعاً من الخمر ، كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره . ويذهب البعض الى ان الهكسوس هم الذين أدخلوا زراعته ، من فلسطين ، الى مصر .

الجميز : ما زال من الأشجار المعروفة . وكان يكثر في الغور واما الآن فلا يوجد منه فيه سوى القليل . وكانت شجرة الجميز احدى الأشجار المقدسة في مصر وفي بلاد العرب . اشتهر خشبه بالصلابة والمتانة . وكان يستعمل في

١ – عرفه الكنعانيون باسم « دباس » – وعنهم أخذ اليهود هذه التسمية – وسماه البابليون « دشبو » والآراميون « دبشا » .

البناء ، الا انه أقل قيمة من الأرز . وقد وجدت نقوش مصرية مصنوعة من خشب الجيز ، لم تزل على حالتها الأصلية مع أنها من عهد ٣٠٠٠ سنة .

النخيل : من الأشجار القديمة . وسميت مدينة أريحا (مدينة النخل) لكثرة ما كان فيها من شجره . كما ازدانت عين جدي بأشجاره فدعيت (حصون تامار) أي (رملة النخيل) . وكان النخل رمزاً مقدساً عند الكنعانيين .

اللوز : من الأشجار التي عرفها الكنعانيون . ولعل تسميتهم لمدينة (لوز) – بيتين الحالية – باسمها هذا يعود لكثرة أشجارها فيه . وكان يعد من أجود منتوجات الكنعانيين الزراعية . وكانت أشجاره تزين نابلس وجبالها حتى جبل الكرمل

التفاح : اشتهر برائحته الزكية وهناك مدن كنعانية اخذت اسمها من هذه الشجرة . مثل بيت تفوح وتفوح وقد مر ذكرها .

الفستق : وقد اشتهرت زراعته في أكثر المشرق وقد قدم اللوز والفستق والبلسان والدبس – المصنوغ من عصير العنب – كهدايا ليوسف بن يعقوب عندما ذهب اخوته لمصر لشراء القمح .

إ – (فن البستنة) والعناية بالأشجار المثمرة وتحسين نتائجها، وتربية الأزهار فن زراعي كنعاني قديم اقتبسه سكان البحر الأبيض المتوسط عن بلادنا . وقد عاد (تحتمس الثالث) الفرعون المصري من غزواته لبلاد الشام ، في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومعه الكثير من أشجارها وزهورها التي ادخل زراعتها لبلاده .

ومن مزروعات البلاد في عهد الكنعانيين العرب :

الكتان : وهو نبات معروف يستعمل في نسيج بعض الأقمشة . كانوا يعملون منه فتائل للقناديل ، كما كانت النساء تقوم بغزله . وأشهر مزارع الكتان الفلسطيني ، منذ أكثر من ٣٥٠٠ سنة ، كانت في أغوار أريحا ، ولكن فلسطين لا تعرف زراعته اليوم .

الخرنوب : أو الخروب . وكانوا يستخلصون منه الدبس ويتاجرون به مع مصر . ويرسلون اليهـــا حبوبه فيجمعه المصريون ويشربونه كما نشرب القهوة .

البطمة : شجر من الفصيلة السمّاقيــة . ينمو بكثرة في بلاد الشام ويُعمّر سنين عديدة .

البلوط : من المناطق التي عرفت بأشجار بلوطها بلاد آدوم . وكثيراً مــا كان ابراهيم عليه السلام يقيم خيامه في ظل هذه الشجرة .

البلسان : شجر يبلغ طوله ١٤ قدماً ذوساق ناعمة وأوراق صغيرة يستخرج من فروعه وسوقه البلسم المعروف برائحته العطرة الذي طالمـا أطنب الشعراء والمؤرخون القدماء بمدحه . واشتهرت فيه ، في تلك العصور ، سهول أريحا التي كانت مصدراً رئيسياً لثروتها ، وبلاد عجلون . وكانت القوافل التجارية تحمله الى مصر وتبيعة لسكانها الذين كانوا يستعملونــه في تحنيط موتاهم . وكان البلسان يستعمل علاجاً ضد الألتهابات .

السرو : كان يستعمل لبناء المراكب وآلات الطرب ولبناء البيوت المشيدة . ويطلق على السرو البري « الشربين » وهو من أشجار غابات الجبـــال دائمــة الخضرة . والشربين أكبر ورقاً من السرو وأصغر ثمراً .

الدّلب : شجرة تنمو عند مجاري المياه .

الأثل : وهو نوع من الطرفاء .

الرّتم : نوع من الشيح ينمو في الصحــــاري . ويصنع فحم من جذوره وجذوعه .

الآس : شجر جميل المنظر عطري الرائحة ، جميل الأزهار ، لذيذ الثمار . أوراقه دائمة الخضرة . وينمو الآس بغزارة في فلسطين وسورية والبلقاء وجبل عجلون ، ويعرف أيضاً باسم « الحبق » و « الريحان » و « حمبلاس[1] » .

الحنّاء : وهو النبات العطري المعروف ويرجح ان الكنعانيين استعملوا الحناء في أفراحهم في خضاب أيديهم وأرجلهم كما زينوا معابدهم بزهورها . ويقال

١ ـ اعتاد المسلمون وضع الآس الرطب ونحوه على القبور ولاسيا في الأعياد .

إن « المكسوس » كانوا يقدسون شجرة الحناء . ويرى بعضهم انهم هم الذين ادخلوا زراعتها الى مصر وغيرها .

السوسن : واحدته (سوسنة) . كان يزرع هـذا الزهر الجميل في البساتين وضرب به المثل في الجمال . وكان من أحب الأزهار لنفوس الكنعانيين .

الكزبرة : كانت تزرع لأجل بزرها العطر . وهو كروي الشكل ذو رائحة وطعم خاصين به .

القِرْفة : عرفها الكنعـانيون . وهي القشر الداخلي من شجرة من الفصيلة الغارية ، تعلو نحو تسعة أمتار .

الصفصاف : شجرة قديمة تنمو غالباً بقرب الماء . ويقال بأن أصله من بابل .

الشونيز : نبات من الفصيلة الشقيقية يسمون بزره « حبة البركة » وينثرونه على الخبز للذة الطعم .

السنط : وقد مر ذكره. كان يكثر حول البحر الميت وفي غور الأردن وفي البادية الفلسطينيـة . ودعي الوادي الواقع في شرقي الأردن ، بالقرب من بلدة الكفرين باسم « وادي شِطّيم » ، بمعنى وادي السنط لكثرة ما كان فيه من أشجار السنط في عهد الكنعانيين .

زوفا : نبات عرفه الكنعانيون . و « الزوفا » اليوم من النباتات التي يغلى ورقها ويشرب غلاؤه عند الاصابة بالزكام .

الكُرْكُم : هو الزعفران . وتجمع أقلام الزعفران وتجفف . وكانت تستعمل للصبغ . واليوم يستعمل لصبغ الأرز لإكسابه طعماً لذيذاً أو رائحة ذكية .

وقد نقل الكنعانيون — الفنيقيون — الزيتون والكرمـة والنخيل والرمان والتين واللوز الى مختلف مستعمراتهم التي أسسوهـــا على سواحل البحر الأبيض المتوسط . كما أدخلوا من هذه السواحل الى بلاد الشام :

الدّفلى : نبات زهره كالورد الأحمر .

النعنع : يزرع في الجنائن ويستعمل طعاماً .

النرجس : زهر أبيض ينبت بين الصخور وفي الجبال وهو ذو رائحة ذكية.

الغار : واحدته غارة ويسمى « الرند » .
شقائق النعمان : نبات يزهر في أوائل الربيع وله زهرة حمراء .
الأقحوان أو القحوان : واحدته « أقحوانة » و « قحوانة » نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة وغيرها .

* * *

اعتمد الكنعانيون في بادىء الأمر ، على قوة سواعدهم في زراعة الحبوب الى أن أدخل المحراث من مصر ، وكان هذا المحراث خفيفاً بسيطاً ، وكانت سكته من خشب . والأرجح ان الفلسطينيين هم الذين أدخلوا المحراث الحديدي الى فلسطين ؛ وهو يشبه الى حد كبير المحراث الذي ما زال مستعملاً في بعض أنحاء البلاد الى اليوم . وكانوا يحرسون البذر بعد زرعه خوفاً عليه من الطيور ولم يكن للحقول أسوار من حولها بل كانت حدودها تعرف بواسطة حجارة تقام بين صاحب الأرض وجاره .

وكانوا يحصدون بمناجل أسنانها من الصوان متصلة بمقبض خشبي أو عظمي . وقد ظل هذا المنجل الحجري موضع الاستعمال الى أن استبدل بالمنجل الحديدي في حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. ثم تحزم الحبوب المحصودة فتنقل الى البيادر وهناك تدرس وتذرى . فالبيدر هو موضع الدراس ومحل دوس الحصيد . ويسمى جُرْناً . وينتخب على مرتفع معرض للهواء . والدراس هو فصل الحبوب من السنابل وقطع القش تبناً . وكانوا يستعملون الثيران للدراسة . وأما عملية الدراسة فكانت تتم بزلاّجة خشبية في أسفلها حجارة صخرية أو صوانية صلبة صغيرة . فعند مرورها على القش تمزقه تبناً وتفصل الحبوب عن السنابل . وبعد درس الحبوب تذرى بمذراة خشبية كبيرة ذات أصابع كالشوكة يرمى بها خليط التبن والحنطة في الهواء ، فيطير التبن الى جانب وتقع الحبّة وحدها على الأرض .

وينام صاحب الغلة أو الناطور على البيدر بقربه ليحرسها . وبعد تمام الدراس تخزن الحبوب ويخزن التبن في البيوت أو في آبار جافة بنيت خصيصاً لذلك .

ومن أدواتهم الزراعية الفأس ، وكانوا يستعملونها للتحطيب وأعمال النجارة

الزراعية .

وأوقات الزراعة والحصاد كانت عند الكنعانيين كما هي في هذه الأيام : يبدأ البذار بعد المطر المبكر وينتهي قبل المطر الجارف . وأما الحصاد فيختلف وقته حسب ارتفاع الأرض. ففي الأراضي المنخفضة في وادي العربة وبلاد بئر السبع يبتديء في أيار ، وفي الجبال يتأخر الى حزيران وتموز .

ومن الأمور التي اعتمدها الفلاح الكنعاني الزراعة البعلية والتناوب في زراعة الأرض وإراحتها سنة في كل بضع سنوات .

والفلاح الكنعاني كان إما مالكاً للأرض التي يزرعها أو عبداً يعمل لسيده فيها . وكانت أجرة العامل تدفع من محاصيل عمله .

وقد وجدت بقايا الأعمال الزراعية الكنعانية بين ١٥٠٠ و ١٣٠٠ ق. م في « بيت مِرْسم » ، كما عثر فيها وفي « تل الفول » — في ظاهر القدس — على محاريث ومناجل حديدية تعود بتاريخها الى حوالي القرن العاشر قبل الميلاد .

* * *

واشتغل الكنعانيون بالرعي فكان لهم وخاصة لملوكهم وأغنيائهم قطعان كبيرة ومواش كثيرة يستخدمونها في الحراثة والنقل والجر والدراسة والأكل . وكان رعاتهم منتشرين فوق الوهاد والجبال التي تكسوها الغابات . ومن أشهر مراعيهم السهول الساحلية والداخلية وأراضي شرق الاردن وغيرها .

وكان راعي الغنم يلازم القطيع ليلاً ونهاراً ويجمع الغنم عند تشتتها ويرعاها ويقودها ويحامي عنها . كما كان يستخدم الكلاب لحراسة القطيع .

وأهم حيوانات الكنعانيين الداجنة :

الأبقار : كان الكنعانيون يستعملون الثور — ذكر البقر — للفلاحة والجر والحمل .

الحمير : لعل الحمار هو أول ما دُجِّن من حيوانات الحمل . وأول تدجين له، على ما ذكر ، كان إما في ليبيا أو في مصر . واستعمله الكنعانيون للفلاحة

والجر والحمل .

الخيول : كانت تستعمل الخيول لخدمة الطبقات الارستوقراطية ولركوب الجند ولجر المركبات . وقد عرفها الكنعانيون في نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

الجمال : وقد أدخلها « ا َلمد َينيّون » لفلسطين .

والأغنام والماعز والكلاب والخنازير وغيرها .

ومن حيوانات البلاد البرية والوحشية في تلك العصور ، السباع وكانت تقطن جوانب نهر الأردن ، وحمار الوحش « الفراء » ، والدببة والذئاب والضباع والنمور وبنات آوى والثعالب والظباء والتيتل — وقد مر ذكره — والأيائل[1] (مفرده أ ّيل وأ ّيل وأ ّيل) واليحامير[2] والأوز والو َبر[3] والأرنب البري وغيرها .

٢
الصناعة

كانت مكانة الصناع والتجار تأتي بعد طبقة الملاكين الاقطاعيين والمحاربين في سلاح المركبات . وتعتبر صناعة الخزف — وقد َمرّ ذكرها — من أقدم الصنائع ، وتعد بين الحرف الأولى التي أتقن عملها الإنسان . وقد درّت على عمالها أرباحاً كثيرة . وقد كان لاستعمال « الدولاب » أثر بعيد في تحسين هذه

١ — حيوان من ذوات الظلف . للذكور منه قرون متشعبة لا تجويف فيها . اما الأناث فلا قرون لها .

وهذا الحيوان شديد السرعة ويعطش كثيراً في الركض . واذا جاع ضعف . ومن عوائده القفز على الصخور .

٢ — اليحمور : حيوان من عائلة الأيائل. قصير الذنب . لكل من قرنيه ثلاث شعب . وهو أكبر من الغزال وأصغر من الأيل . واليحمور كلمة آرامية .

٣ — الوبر : مر ذكره . وهو حيوان صغير . قصير الذنب والأذنين . يلتجيء الى الصخور وهو سريع الحركة ، يقفز من صخرة الى صخرة . جمعه وبور ووبار .

الصناعة التي بلغت ذروتها قبل عام ١٥٠٠ ق . م .

والكنعانيون يعدون بين أقدم الشعوب التي عرفت المعادن والتعدين في سيناء وفلسطين . ففي نحو ٢١٠٠ – ١٢٠٠ ق . م . استخرجوا النحاس والحديد من بلادهم ولم يكتفوا باستعمالها في صناعاتهم بـل مزجوها بمعادن أخرى لصنع الفولاذ والبرونز .

[وقد وجدت السكاكين ورءوس الحراب والفؤوس الحربية والخـارز واللاقط في أريحا من العصر الذي سبق قدوم بني اسرائيل . وبعد ١٥٠٠ ق . م تظهر في فلسطين أشكال حثيـة وقبرصية وميكانية من الأسلحة . واكتشفت أساور وخلاخل وأقراط وخزائم ومشابك للصدر من البرونز والفضة والذهب في مختلف المواقع . واستخرجت صنوج صغيرة من القرن الرابع عشر مثـل « تل أبو حوّام » قرب حيفا[١]] .

وقد صنع الكنعانيون الإبر والدبابيس والأزرار . كانت أزرار الفقراء منهم تصنع من الخزف أمـا الأغنياء فكانت تصنع من العظم أو العـاج .

وقد تعلم الكنعانيون صناعة العاج من المصريين . ثم ما لبثوا أن ادخـلوا عليها تحسيناً ملحوظاً . وقد عثروا في « مجدُّو » على تحف من العاج تعود بتاريخها الى القرن الثاني عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد .

واقتبس الكنعانيون من المصريين صناعة الزجاج الذين هم أول من اكتشفوها . ومما يروى بهذا الصدد ان الكنعانيين استنبطوه بعد ذلـك عند رمال نهر النّعـامين » كما ذكرنا ذلك سابقاً . [.. وذلك ان مركباً موسوقاً نطروناً[٢] رسا في البحر بقرب حيفا ونزل ملاّحوه الى البر ليطبخوا غذاءهم . ولما لم يجدوا حجارة يسندون عليها طناجرهم أسندوها على كتل من النطرون فأذابت النـار النطرون واختلط بالرمل فتكوّن من ذلك زجاج ؛ وهذا لا ينافي ما هو واضح

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/٩٥ - ٩٦ .

٢ – هو كربونات الصوديوم .

في آثار مصر عن أقدمية هذه الصناعة عند المصريين .[1]] . ولم يكن الزجاج القديم شفافاً وكان يصنع دائماً بالقوالب ولم يظهر الزجاج المنفوخ إلا في العهـــد الروماني .

واما المرايا فكانت تصنع من المعادن فقط ، مثل النحاس أو البرونز وذلك بعد صقلها وتلميعها جيداً .

وكانت صناعة الغزل خاصة بالنساء حتى في بيوت النبـــلاء . وكن يغزلن الصوف والكتان وشعر الإبــل . ولا شك ان الصوف كان أول مادة استعملت في الغزل والحياكة . ثم عرف الكنعانيون الكتان الذي زرعوه . وامـا القطن والحرير فلم يعرفا في ذلك العهد .

وقد عثر في مجدو على مغزل وبكرتين من العظم لغزل الخيوط تعود بتاريخها الى حوالي سنة ١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق .م . [كان الغزل يصير بقذف البكرة إلى أسفل . والبكرة كانت « ثقـــالة » تفيد في ضبط المغـزل في مكانه وأيضاً « حدافة » لادامة دوران المغزل . ونجد عادة لكل مغزل بكرة واحدة فقط . ولكن بكرتي هذا المغزل يتطلبها كبر حجمة . والراجح ان الغـازل كان يبدأ العمل بالبكرتين معاً ، وعندما يثقل الغزل كثيراً كان يزيل احدى البكرتين ليخفف الثقل .

وكثيراً ما تشاهد اليوم في قرى الشرق الأدنى الفلاحات يستعملن مثـــل هذه المغازل [2]].

وتدل بقايا آلات الغزل والنسيج والصباغة التي عـثر عليها في بيت مرسم والخيش بأن هاتين المدينتين كانتا أشهر المـــدن الفلسطينية التي اشتهرت بصناعة المنسوجات في تاريخها .

ومن الصناعات التي تقترن باسم كنعانيي الساحل — الفنيقيين — صناعة « صبغ

---

١ — قاموس الكتاب المقدس : ١/٨٠٥ وتاريخ سورية للدبس المجـــلد الأول - الجزء الأول ص ٣٤٤ .

٢ — متحف الآثار الفلسطيني ص ١٠٥ .

الأرجوان [1]، التي اشتهرت به صيدا وصور وعكا التي عثر فيها على الأصداف الكثيرة التي تحمل الصباغ المذكور .

ويقصون قصة اكتشاف صبغة الأرجوان بقولهم : إن أحد ملوك الكنعانيين كان يتنزه مع امرأته على شاطىء البحر ، ومعهما كلبهما ، بين صور وعكا . وبينما كان الكلب يلهو على الشاطىء أكل صدفة بحرية كانت بين الصخور فاصطبغت شفتاه بلون أحمر قاني ، مائل الى اللون البنفسجي . فأعجبت به الملكة إعجاباً عظيماً . وطلبت من زوجها ان يأتيها بثوب مصبوغ باللون المذكور . فأمر الملك بجمع كمية من الأصداف المماثلة للصدفة التي أكل منها الكلب . وبعد اختبارات عديدة تمكن الكنعانيون من استخراج المادة الحمراء من الأصداف المذكورة ، وصبغوا ثوب الملكة .

ومن ذلك الحين أخذ أهل صور وغيرهم يجمعون مقادير كبيرة من هذه الأصداف ويستخرجون منها مادة الصباغ ، واستعملوها في صبغ الأقمشة المختلفة . وقد اشتهر الصباغ المذكور في العصور القديمة شهرة فائقة في الشرق القديم [2] . فكان الملوك والشرفاء والأغنياء يتنافسون في لبس الأقمشة المصبوغة بالأرجوان تمييزاً لهم عن سواهم الذين لا يمكنهم شراء هذه الأقمشة لارتفاع أثمانها .

والمعروف ان هذه الصبغة تستخرج من حيوان صغير يعرف باسم « موركس ترونكولوس – Murex Trunculus » يعيش في صدفة كالحلزون . وله تحت رأسه غدة تحتوي على مادة مائعة . فإذا استخرجت هذه المادة وعرضت للشمس فإنها تتلون تباعاً باللون الأخضر ، فالأزرق فالأحمر فالأرجوان .

وقد كان الكنعانيون يصطادون الموركس بالشباك والسلال . ويستخرجون الغدد من الحيوان وهو حي لأن اللون يفسد بعد الموت .

وكانت العادة أن ينشأ أبناء الصناع على تعلم صناعة آبائهم . [وهنالك ما

---

١ – صبغ أحمر ، ويقال أحمر أرجواني « أي قانيء » .

٢ – لم يتاجر الفنيقيون بالصباغ نفسه ، وانما بالأقمشة المصبوغة فيه .

يحمل على الاعتقاد بأن أصحاب الحرف كانوا ينتظمون في نقـــابات . والنقابات كانت تتألف من جماعات ترتبط بعضها ببعض بروابط المهنة والقربى وتعيش في أحياء خاصة . وقد وجدت مثل هذه المنظمات في فلسطين قديماً ، منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد [1]] .

٣
التجارة

كانت البضائع في هذا العهد ، كما كانت جارية لوقت قريب ، تنقل من مكان الى آخر امـــا بواسطة القوافل في البر ، أو تجري بالسفن بطريق البحر . وفي حدود القرن العشرين قبل الميلاد كان للسلع الفلسطينية والسورية سوق رائجة في مصر . فكان التجار السوريون والفلسطينيون يهبطون مصر ومعهم خشب الأرز[2] وعطره والأقمشة المصبوغـــة والمطرزة والحجارة الكريمـــة والعبيد والزيتون وزيته والصموغ والزفت والعسل والعنب والخمور والبلسان والكثيراء — وقد مرّ ذكرها — وغيرها . وكان المصريون يحملون الى بر الشام الكتان والفخار والفراء وغيرها ، معرضين أنفسهم لمخاطر الصحراء وللوحوش وقطاع

---

١ — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٥٤ .

٢ — الأرز من أثمن الأشجار في غابات المشرق وأعظمها . وقد اشتهرت جبال لبنان قديماً بنمو الأرز فيها وكثرته . وهو اليوم في مواقع محصورة أعظمها حرج بشرّي (١٨٥٥ متراً) ، فوق بلدة (بشري) في سفح قمة ضهر القضيب . وفي هذا الحرج نحو أربعمائة أرزة بينهـا أرزة يبلغ محيط جذعها ١٤،٥٦ متراً . وارتفاعها ٢٥ متراً و ١٢ شجرة يزيـــد عمرهـا على ألف وخمسمائة سنة . ويتراوح عمر الباقي منها بين الثلاثمائة والألف سنة .

ويصلح خشب الأرز لمنـــافع كثيرة ، ولهذا اتسعت تجارته في القديم ، اذ كان يستعمل في الأبنية الفخمة الأنيقة والتماثيل والأعمدة وفي الجسور وغيرهـا . واستعمله البابليون والآشوريون واليهود في بناء معابدهم وقصورهم . وكان ينقل الى مصر ويعمل منه أثاث البيوت . وكثيراً ما كانت الفراعنة وملوك بابل وآشور والفرس يفرضون على لبنان دفع أخشاب الأرز كجزية لهم .

ولما كان السوس لا يأكل خشبه فإنه يبقى مدة طويلة . وقد أثبت بعض المؤرخين بقاءه مدة تزيد عن ثلاثة آلاف سنة . وقد اتخذت الجمهورية اللبنانية ، اليوم شجرة الأرز شعاراً لها .

الطرق الكنعانية

الطرق . وقد كانت تجارة مصر مع فلسطين وسوريا يجري معظمها بطريق البحر ، على أن هذا لم يكن عائقاً لقيام التجارة بينها وبين مصر بالقوافل عن طريق الصحراء[1] .

فكانت المحاصيل المصرية ترد الى سهول فلسطين الجنوبية وسواحل يافا وعسقلان وغزة،ويؤخذ بدلاً منها النبيذ وزيت الزيتون، وهما من أهم حاصلات البلاد . وقد كان يجتمع في فلسطين أيضاً رجال القوافل السورية الذين كانوا يوثقون الروابط التجارية بين بلاد نهر العاصي وبلاد سهل فلسطين الساحلي . ومن المحتمل جداً ان انتشرت بوساطتهم بعض السلع أو الصناعات الفنية المصرية بين مصر وبلاد دِجلة والفرات منذ عهد ما قبل الأسرات[2]

فكانت الطريق التي تربط مصر ببلاد الشام تبدأ في دلتا النيل مارة بالقرب من بلدة القنطرة الحالية ، فساحل سيناء ، حتى تصل الى قرب مصب وادي العريش ومنه الى رفح ووادي غزة فتل العجول فغزة حيث تلتقي بالطريق الآتية من « إيلات — العقبة » ووادي العربة. ومن غزة تستمر الطريق في سيرها حتى تصل الى عسقلان فأسدود متجنبة الشاطىء لكثرة رماله. وبعد « اسدود» تنقسم الطريق الى فرعين : فرع يسير محاذياً الشاطىء ماراً بـ « يبْنا » و « يافا » و « الطنطورا » فساحل الكرمل ومنه الى عكا وصور وصيدا والشمال .

والفرع الثاني يتجه من « اسدود » الى « عاقر » ، و « جازر — أبو شوشة » و « رأس العين » ومن هذه الى ممرات « عارا » و « عرعرة » فمجدُّو ومنها الى مرج بني عامر . ثم يجتازون نهر الأردن عند البقعة التي أُقيم عليها جسر بنات يعقوب فدمشق ، ومنها الى شمال سورية وآسيا الصغرى . ويتفرع من دمشق فرع آخر يصلها بالعراق عن طريق « تدمر » والبادية .

ومن وادي الأردن كان يسير للشمال فرع آخر ماراً بوادي الليطاني وسهل البقاع فحماة ومنها الى سورية الشمالية .

---

١ — مصر القديمة ٢/٢٦٦—٢٦٧ لسليم حسن . القاهرة . لم يذكر تاريخ الطبع .
٢ — نفس المصدر : ٢/٢٦٧ .

وهذه الطريق التي تربط بلاد الشام بمصر وغيرها تعتبر أول طريق تجارية دولية سلكها الانسان في التاريخ .

وهناك طريق أخرى تربط مصر بفلسطين تبدأ من « بحيرة التمساح » مارة بشمال سيناء حتى تصل الى بئر السبع . ومن هـذه الى الخليل والقدس ونابلس ومرج بني عامر حيث تلتقي مع الطريق الأول .

كما كانت شرقي الاردن تتصل مع مصر بالطريق التي تمر في « العقبة » ، فبلاد آدوم وموآب – مارة بـ « ذيبان » و « حُسبان » و « عمّان » و «يابيش جلعاد (تل أبو خرز) – ودمشق .

ويرجح ان العمالقة ، من الكنعانيين ، سيطروا في وقت ما على طرق التجارة بين غزة والعقبة كما ذكرنا ذلك في بحث سابق . وتوضيحاً لذلـك نقول : كانت تأتي السفن التجارية من الهند وآسيا والخليج العربي وغيرهـا وفيها خيرات تلك البلاد ، وتضعها في الموانىء الجنوبية للجزيرة العربية . فكانت القوافل العربيـة تنقلها من الموانىء المذكورة الى شمال الجزيرة مـارة ببلاد اليمن والحجاز فإلى جنوبي فلسطين الى أن تستقر أخيراً في غزة على شاطىء البحر الفلسطيني . ومتى وصلت القوافل الى غزة تبيع ما لديها ثم تعود محملة بمـا تجده في أسواق غزة من سلع بلاد الشام ومصر وآسيا الصغرى وسواحل البحر الأبيض المتوسط ، لتبيع بعضاً منها في أسواق المدن التي على طريق عودتها للجزيرة ثم تصل آخر المطاف الى الموانىءالعربية فيجنوبي الجزيرة لتبيع ما لديها الىتجار الهند وآسيا وغيرها.

* * *

كانت المقايضة «المبادلة» ، أي سلعة بسلعة ، هي الوسيلة الغالبة في التجارة، إلا انهم استعملوا في بعض الصفقات التجاريـة حلقات من الفضة ثم من الذهب ذات أوزان معلومة لتبادل السلع المختلفة . ففلسطين لم تعرف النقود المسكوكة ، إلا في عهد الفرس ، في القرن الخامس قبل الميلاد . ووحـدة الوزن كانت مبنية على « الشاقل » الذي يزن (١١و٤٦) غراماً . وهو في أصله مـأخوذ من النظام

البابلي[1] . وشاقل الفضة يساوي في عملة هذه الأيام نحو ١٢ قرشاً أردنياً (ليرة لبنانية) وشاقل الذهب يعادل نحو (١٨٠) قرشاً أردنياً .

ومعظم تجـــارة الكنعانيين الداخلية كانت أيام المواسم والأعياد الدينية ، فكانوا يبيعون سلعهم من زيت وخمر وصوف ومواش للذبيحة وغيرها .

والطرق الداخلية في فلسطين ، كالطريق التجارية الدولية الموصلة بين مصر والشام المار ذكرها ، لم تكن معبدة بالحجارة أو بغيرها . بل كانت لكثرةالسير عليها مهّدتها أرجل المارين وحوافر الحيوانات، ولا يستبعد أن تكون الطرقات التي أنشئت في عهد الفرس وفي عهد الرومان — أعظم بنائي الطرق والجسور في العصور القديمة — سارت الى حد كبير على الطريق التي أنشأتها أقدام الكنعانيين وحوافر حيوانات نقلهم وبهائمهم في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد . ومنأشهر الطرق الكنعانية في فلسطين، فضلاً عن الطريق الدولية المتقدم ذكرها، الطريق الداخلية التي تقطع أواسط البلاد من شمالها الى جنوبها. مبتدئة من بيسان — التي تتصل ببلاد عجلون أو بدمشق — ومنها الى مرج بني عـامر مارة بجنين ودوثان ونابلس وبيتين والقدس وبيت لحم والخليل وبئر السبع والرُحيْبَة وعين مُويَلح فالصحراء ومصر .

ومن « بيتين » يسير فرع يصلها بأريحا عن طريق « مخماس » .

وهناك طريقان فرعيان كانتا تصلان هذه الطريق الداخليـة بسهول البلاد الساحلية : الأولى تمتد من عاقر الى القدس عن طريق « وادي الصرار » والثانية كانت تصل السهل الساحلي بـ « دوثان — سهل عرّابة » مبتدئـة من « باقة » مارة بـ « أفراسين » وبمرات عرابة . وهذه الطريق بالنسبة الى « بيسان » وما جاورها من غور الأردن ودمشق أقصر من طريق السهل الساحلي — عـارة ، واللجوُّن ومرج بني عامر — .

وكثيراً ما كانت هذه الطرق صالحة لسير العربات التي تجرهـا الحيوانات .

---

١ — الشاقل تعود بأصلها الى الفعل الأكادي — البابلي — « شقالو — Shacalu » ومعناه « وزن » .

وقد عرف الكنعانيون هذه العجلات منذ أزمنة بعيدة. وبعد أن دخل الحصان البلاد ، في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، استعملوه في جرها .

واما تجارة كنعانيي الساحل اللبناني – الفينيقيين– فهي غنية عن كل تنويه. فقد وصلت سفنهم الى معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط ، فأنشأوا عليها مستعمراتهم[1] . وكما حملوا في سفراتهم البحرية السلع التجارية حملوا معهم أيضاً بذور العلم والتمدن وأهمها الحروف الهجائية الآتي ذكرها .

ولما كانت الكتابة المسمارية هي المنتشرة بين الكنعانيين منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد فكان تجارهم يكتبون معاملاتهم التجارية على ألواح الآجر ، كما كانوا يدونون عقودهم التجارية ومراسلاتهم باللغة البابلية القديمة بوصفها لغة التجارة المستعملة في جميع آسيا الغربية – فضلاً عن انها كانت لغة الدبلوماسية الدولية – وذلك بسبب النفوذ والشهرة التجارية الواسعة التي كانت للبابليين في عهد حمورابي (نحو ١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق م) .

هذا والشبه شديد والقرب عظيم بين اللغتين الكنعانية والبابلية وكأنها لغة واحدة تعددت لهجاتها .

وقد استعمل الكنعانيون ، في مخابراتهم ومعاملاتهم التجارية ، الخواتم الاسطوانية التي اخذوها عن العراق . وكانت هذه الخواتم تصنع من الأحجار اللينة . وكانت عملية الختم تتم بإدارة الاسطوانة على الصلصال أو الطين اللين .

بقي الكنعانيون يستعملون الواح الآجر للكتابة حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، حيث استبدلت بأدراج بردية وأصبح تجار البلاد وحكامها يقيدون حساباتهم في هذه الادراج . ولذلك كثرت كمية أوراق البردي التي كانت تأتي

---

١ – ومن هذه المستعمرات « لِبْدَة » و « أويا » وتقوم عليها الآن مدينة « طرابلس الغرب » و « صبراته » في ليبيا و « أوتيكا » و « قرطاجنة » – أعظم وأهم المستعمرات الكنعانية على الاطلاق – في تونس ؛ و « عنابة – بونة » و « بجاية » و « جيجل » في الجزائر و « سدار – مليلة » و « طنجيس – طنجة » و « سبته » الواقعتان على مضيق جبل طارق وبقعة « المهدية » الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي للشمال من بلدة « الرباط » و « أزمور » في جنوبي الدار البيضاء وغيرها وهي كثيرة .

الى فلسطين من مصر مقابل مصنوعات فلسطينية وفنيقية أخرى .

ولما استحال على الكنعانيين كتابـــة حساباتهم على الأدراج البرديـة بالخط المسماري أخذوا يقيمون الخط المصري مقامه تدريجياً . وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد كانت كنعان تستعمل الحروف التي أخذوا أصولها عـن عرب سيناء الذين كانوا قد اقتبسوا اصولها من الكتابة المصريـــة الهيروغليفية[1] . ومن ثم انتشرت هذه الحروف ، بعد أن يسرها وسهلهـا الكنعانيون – الفنيقيون – ، في بلاد اليونان ومنها الى سائر ممالك أوروبا بحيث أصبحت مع الزمن أماً لكل الحروف الهجائية الأوروبية .

١ – تاريخ العرب المطول لحتي ورفاقه ١/٩٣ . دار الكشاف، بيروت ١٩٤٩ .

العمارة

تدل بقايا البيوت التي عثر عليها المنقبون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بأن منازل الكنعانيين كانت مربعة صغيرة يلحق بعضها بعضاً ، وهي غير منتظمة وغير متينة وتتألف من طبقة واحدة . فمنازل الفقراء كانت بسيطة وصغيرة ، تقام خارج سور البلدة . وتبنى عادة من حجارة غير منحوتة أو من اللّبِن (وهو مزيج من التراب والتبن يخلطان معاً بالماء) أو من قضبان مورقة بطين . واما منازل الملك والاغنياء فقد كانت تبنى داخل السور من حجارة منحوتة ؛ ولها باحة في وسطها وحولها الغرف التي يتراوح عددها بين أربع أو ست . والمدخل في صدر الباحة التي كثيراً ما تكون مبلطة . وأحياناً يكون في وسطها بئر . وبعض البيوت كانت مزوّدة بعنبر للقمح. وتبنى عادة « عُلّية » فوق البيت . واما النوافذ ، فعلى الغالب ، تطل على الباحة . وبعضها كان يفتح على الطريق . وكان السطح محاطاً بحائط لمنع سقوط الذين يمشون عليه . ويستعملونه لتجفيف الكتان والعنب والتين وغيرها .

وكان الكنعانيون يجلسون على الأرض أو على الحصر . واستعملوا الكراسي والدواوين ، وكانوا عادة يفرشون فراش نومهم على الأرض . واذا استعمل قليلهم الأسرة فكانت غالباً مصنوعة من الخشب . وقد عثروا على سرير مصنوع من الفخار في معبد « عاي » وعلى آخر من الحجر الكلسي في جازر . وقد وجدت سرر مشابهة لهذين السريرين في ما بين النهرين[١] .

ومفاتيح بيوت كنعان كانت أحياناً ضخمة وكبيرة ، تصنع من الخشب أو

---

١ - متحف الآثار الفلسطيني . ص ٥٧ .

المعدن . وما تزال المفاتيح الكبيرة الحجم المصنوعة من الخشب أو المعدن ، معروفة في بعض قرى فلسطين والشام ومصر .

المآكل

عرف الكنعانيون « الفريكة »[1] و « الطحين » . فكانوا يطحنون حبوبهم في مطاحن يدوية مؤلفة من حجرين مستديرين شديدي الصلابة . وفي منتصف الحجر السفلي محور يدخل في ثقب في مركز الحجر العلوي . وتسكب الحبوب في هذا الثقب . فتطحن ويخرج دقيقها من بين الحجرين عند محيط دائرتهما . ويدار الحجر العلوي بواسطة مسكة من خشب مثبتة في وجهها العلوي بقرب محيطه – كما يفعل البعض في القرى الى يومنا هذا .

وكانوا يخبزون خبزهم في « التنّور » . وهو آلة مصنوعة على هيئة اسطوانة يشعل فيها قش وخشب وشوك . حتى إذا حمي جداره الباطن ألصق به مرقوق الخبز . ومتى نضج استخرج وألصق مكانه غيره . وما زال خبز التنور شائعاً ومرغوباً لدى الكثيرين من الناس .

وخبز الكنعانيين يصنع في الغالب من الحنطة الا انهم أحياناً يصنعونه من الشعير والعدس . واما عجينهم فكانوا يعجنونه في معاجن أو في قصع من الخشب .

وعمل الخبز، بوجه عام، كان من أعمال النساء . وكثيراً ما كان يطحن الدقيق ثم يخبز حالاً بحيث لا تكاد تمضي ثلث ساعة بين المباشرة في طحن الحب وتكميل الخبز وتقديمه للآكلين[2] .

واكثر انواع الوقود شيوعاً هو الحطب ثم العشب الجاف والشوك الذي يحدث شقشقة عند احتراقه والجل المجفف . كما كانوا يصنعون الفحم الخشبي من نبات

---

١ – المفروك من الحب . وجرت عادتهم أن تشوى السنابل قبل فركها . والظاهر أن الحبوب كانت تؤكل كما هي في عصور ما قبل التاريخ ، ثم صارت تصنع فريكاً وتؤكل .
٢ – قاموس الكتاب المقدس : ١/٤٠٤ .

الرتم والبلوط .

وكانت مائدة الكنعانيين تتألف من قطعة جلد مستديرة ، تمد على الأرض أو الحصيرة. ولعل ملوكهم أو زعماؤهم استعملوا في اواخر الألف الثاني قبل الميلاد، ما كان شبيهاً بما يعرف الآن بالطبلية[١] .

وكان الكنعانيون يستعملون أصابعهم في الأكل . أما السكاكين والشوكات وما يقوم مقامها فلم تكن معروفة بينهم . وتستعمل الملاعق أحياناً حينما تكون الشوربة أو سائل آخر بين الطعام . واستعملوا السكين لقطع المفاصل الكبيرة من اللحم وكانوا يفضلون الساق على باقي أجزاء الجسم . ويظهر ان أوقات الأكل عندهم كانت كما هي عندنا اليوم . فالغذاء عند الظهر والعشاء عند الغروب أو بعده .

وعرف الكنعانيون « الجدّرة » أكلة العدس المعروفة . وكانت تصنع من العدس والبرغل . والمظنون انها كانت من الطعام الذي كان يطبخ ليعقوب عليه السلام[٢] . وكان اللحم يؤكل في مناسبات خاصة وفي الأعياد فقط ويطبخ في قدور ذات فوهات واسعة[٣] . وكان لحم الغنم مأكلاً مستطاباً ؛ لذلك كان حيوان الكنعانيين المختار للذبائح .

ولكثرة النحل كان العسل متوفراً جداً . ويحتمل انهم كانوا يستعملون طريقة التدخين لجني العسل . وذلك أن يطلق الدخان في الخلية الى ان يهجرها النحل . وكان أفقر الناس يعتمدونه في طعامهم . أكلوه طعاماً ومخلوطاً مع الحليب والقشدة . وكان الكنعانيون يستخدمون العسل حيث نستخدم السكر اليوم. ولذلك أكثروا من تربية النحل. ويبدو أن العسل والبلح كانا المادتين الرئيسيتين اللتين استعملهما الكنعانيون لصنع الحلوى .

وعرف الكنعانيون اللبن والجبن وكانا قسماً من طعامهم اليومي ، ولعلهم

---

١ – نفس المصدر : ٢/٣٩٧ .
٢ – قاموس الكتاب المقدس ٢/٨٥ .
٣ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٩٤ .

كانوا يخثرون الحليب بأزهار الأرضي شوكي البرية ثم يضعون ما يتجمد منه في سلال يحفظونه فيها لحين الحاجة . وقد عرفوا أيضاً الدبس والخل والخمر ، وذكر أنه كان أكثر شيوعاً من الماء . وكانت تقدم هذه في أثناء الضيافات والأعياد . أما الخضار فكانوا يسلقونها سلقاً. ويحتمل أنهم عرفوا « ام الفلافل — الطعمية » التي تعمل من الفول ، من المصريين .

وكان السمك من الطعام المألوف والمهم عند الكنعانيين . وهو يكثر في بحار فلسطين وفي بحيراتها العذبة وفي أنهارها . واشتهر بصيده سكان السواحل ولا سيا عكا ويافا وعسقلان . وكان اليافيون يأتون بسمكهم الى القدس ويسلمونه الى تجاره . وكان يكثر السمك في بحيرة طبرية وقد ذكروا أن بها أكثر من ٣٠ نوعاً من السمك وكانوا يصطادونه بالشباك التي ترمى باليد من الشاطىء .

والطبخ كان منوطاً بربة البيت . وكانت أدوات مطبخهم الجرار والكؤوس والصحون تصنع من الصلصال الدقيق رقيقة الجدران تكون في الغالب مزينة بخطوط مشط متوازية أو متموجة[١] . وكانت أباريقهم ، وهي خزفية أيضاً ، — تشبه أباريق الشاي الحديثة — ترد اليهم على الأرجح من سورية[٢] .

وأما القدور فكانت تصنع من الطين الخشن الممزوج بكثير من الرملات أو ذرات الحجارة المسحوقة . وكانت الرملات تفيد في تماسك أجزاء الطين وتمنع القدر من الانكسار عندما تحمى على الموقدة [٣] .

ومياه الشرب كانت تؤخذ من الينابيع أو ترفع من الآبار بواسطة دلو ، وقد يستعملون بكرة لرفع الدلو . ويحملون هذه المياه أما بجرار أو في قرب من الجلد . وقد احتفظوا بمياه الأمطار بآبار خاصة شيدوها لهذا الغرض . وكانوا يسقفونها ويبطنونها بخشب أو طين وقد ينحتونها في الصخر بعناية كاملة ، كما يفعل مثل ذلك القرويون وغيرهم في هذه الأيام .

---

١ — متحف الآثار الفلسطيني ص ٦٢ .
٢ — نفس المصدر ص ٦٣ .
٣ — المتحف الفلسطيني ص ١٠٤ .

وكان الكنعانيون يعتنون الاعتناء الكلي بنظافة آبارهم فيبنون على أفواهها رصيفاً من الحجارة النظيفة ويغطونها بحجر كبير يمنع سقوط الأوساخ فيها . ولم تصنع هذه الآبار في المدن والقرى فقط بل كان منها الكثير في الحقول والطرقات لأجل المواشي والعُمّال والزراع والمسافرين .

والمصابيح كانت عبارة عن صحون خزفية بسيطة ذات فتحة صغيرة في طرفها لوضع الفتيل . وقد عثروا على مصابيح متعددة في مختلف أنحاء فلسطين يعود أقدمها الى ما بين ٣٠٠٠ ــ ٢٠٠٠ ق.م. منها سراج ، وهو عبارة عن صحن منبسط حافته مطوية في بضعة مواضع تركز فيها الفتائل[١] . وآخر عثروا عليه في « عاي » يحمل ست فتيلات [٢] . كما عثروا في مجدو على سراج لأربع فتائل[٣] .

الثياب

ثياب الكنعانيين بمجموعها تشبه ملابس البدو في هذه الأيام . وكانت تتألف من سروال يستر النصف الأسفل من الجسم ومن قميص ورداء طويل فوق القميص . وأخيراً أخذوا يمنطقون أرديتهم . والمنطقة هي الزنار غايتها ضبط الرداء . وكان يصنع من حبل أو جلد أو بوص يثبت بعروة . وقد يزين أحياناً بالتطريز أو بمعادن ثمينة أو جواهر . ويطرح فوق هذا الثوب قطعة شال أبيض لها أطراف ملونة ، فوق المنكب أو تحت الإبط .

وكانوا يلبسون في الشتاء فروة أو جلد غنم أو معزي .

ولباس النساء لم يكن يختلف كثيراً عن لباس الرجال الا في الثوب الخارجي، الذي كان أكثر اتساعاً من رداء الرجال. وكن يتزين بالأقراط والأساور وغيرها. واستعملت النساء « الكحل » فكن يستعملن الكحل الأخضر المصنوع من حجر

---

١ ــ متحف الآثار الفلسطيني ص ٦١ .
٢ ــ نفس المصدر ص ٥٠ .
٣ ــ نفس المصدر ٦٣ .

الدهنج لتكحيل الجفنين السفليين والكحل الأسود المصنوع من سلفيد الرصاص لتكحيل الجفنين العلويين والحاجبين،واما المكحلة فكانت من الزجاج الملون[1] . وعادة التكحيل كانت متفشية في الأزمان القديمة وكانوا يعتبرون الكحل ليس زينة فحسب بل واقياً للعين من الأمراض أيضاً[2] . وعثر المنقبون على مرايا من البرونز وأمشاط من العاج وغيرها من أدوات الزينة .

واستعمل الكنعانيون الدبابيس لشبك الثياب . ويعود أقـدم النماذج التي عثروا عليها الى ما بـين ٣٠٠٠ و ٢٠٠٠ ق . م ، كانت مصنوعة من النحاس مثقوبة الوسط.وقد شاع استعمالها في المدة الواقعة ما بين ٢٠٠٠ – ١٦٠٠ ق م. واما الدبابيس الذهبية التي عثروا عليها وعلى رأسها خرز من الأحجار الكريمة ، في المدة المذكورة ، فكانت تستعمل للزينة[3] .

وأحذية الكنعانيين ونعالهم كانت قطع جلد على هيئة أخمص القـدم ، تشد بواسطة سيور من جلد أو خيوط تسهيلاً لخلعها .

وقد ذكرنا في فصل سابق وصفاً للألبسة التي كان يلبسها أهل فلسطين منـذ نحو أربعة آلاف سنة .

اللغة المحكية

كانت اللغة الكنعانية ، وهي عربية قديمة بادت ، السائدة بين أهل البلاد . ولا شك ان لغة القبائل الكنعانية كانت تختلف عن لغة القرآن الكريم التي نتعلمها ونكتب بها اليوم . فإن بين الإسلام وبين هذه القبائـل ما ينوف على ثـلاثين قرناً والأمم تتغير تقاليدها ولغاتها بتغير الأقطار وتبدل الأقاليم وتوالي العصور . والكلمات الآتية تبين لك شيئاً عن المشابهة بـين اللغتين العربيتين : العربية الكنعانية والعربية الحديثة :

---

١ و ٢ – متحف الآثار الفلسطيني ص ١٢٢ و ١٢٣ .
٣ – متحف الآثار الفلسطيني الصفحات ٦٤ ، ٧١ ، ٨٧ .

عربية كنعانية	عربية حديثة
صيدون	صيد
جشور	جسر
دقق	دقيق
قرت	قرية أو مدينة
قدموس	قديم ، قدماء
طيابا	طيب ، طيبة
داب	دابّة
كتن	كتان
يشمع إيل	اسماعيل
لاهام	لحم
أوتيك	عتيق
دامور	تُمور
بِصَّة	بَصَّة (المستنقع)
باراق	بَرْق
حمور	حمار
شمش	شمس
لسن	لسان
نحس	نحاس

وغيرها وهي كثيرة .

وهذه قـائمة بمفردات كنعانية ما زلنـا نستعملها كما هي في لغتنا العربية الحديثة :

جبل ، لون ، أم ، أب ، أخ ، ثاني ، ثلاث ، أربع ، سبع ، ثمان ، تسع ، راس ، يد ، بيت ، أرض ، تين ، تحت ، كلب ، قبر وغيرها .

واذا كانت اللغة الكنعانية هذه لغة أهل فلسطين فإنها كانت كذلك لغـة

القبائل النازلة في سيناء وشرقي الأردن . واما لغة التجارة والحكومة فكانت اللغة البابلية القديمة كما ذكرنا ذلك في فصل سابق .

بقيت اللغة الكنعانية هي اللغة المحكية في البلاد مدة طويلة إلى أن حلّت محلها الآرامية التي لا تختلف كثيراً عن الكنعانيه كما سيأتي بيانه .

وقد انتشرت اللغة الكنعانية في معظم البقاع الشمالية من افريقية . ومع أن قرطاجنة خربت عام ١٤٦ ق. م وتشتت سكانها الا ان اللغة الكنعانية ظلت مستعملة مدة طويلة الى ما بعد الميلاد بقرون .

الموسيقى

[لم يعن شعب سامي بالفن الموسيقي كما عني به الكنعانيون . فقد اقتبسوا كثيراً من عناصر موسيقاهم من شعوب مختلفة توطنت الشرق الأدنى القديم : وسموا به الى أعلى ما عرف في الموسيقى عند معاصريهم . ذلك لأن طقوس العبادة الكنعانية كانت تقتضي استخدام الغناء . وهكذا انتشرت ألحانهم وأدوات موسيقاهم في جميع بقاع المتوسط . وتكاثر الطلب على اقتناء مغنيهم ومغنياتهم من الجواري في مصر زمن الأمبراطورية الحديثة][1] .

ومن آلات طربهم :

(١) **العود** : وقد عرفه المصريون بعد دخولهم لفلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٢) **المزمار** : آلة موسيقية لم تزل مستعملة بين الرعاة في أيامنا هذه .

(٣) **الربّابة** : آلة طرب ذات أوتار . شكلها مثلث كان يدق عليها بالأصابع .

(٤) **القيثارة** : وقد ظهرت لأول مرة منذ نحو أربعة آلاف سنة .

وجميع الآلات المار ذكرها هي من ذوات الأوتار .

---

١ - لبنان في التاريخ للدكتور فيليب حتي ص ١٢٩ .

(٥) **الناي** : ويسمى الآن « الزّمارة » . وهو عبارة عن أنبوبة ذات ثقوب جانبية ، وينفخ بها إمـــا من ثقب بقرب طرفها أو من طرفها ، وتفتح الثقوب الأخرى أو تسد حسب المراد . وربما كان الناي أقدم جميع آلات الطرب . ولا يزال معروفاً لدى الرعاة في مصر والشام .

(٦) **البوق** : على هيئة القرن . وكانوا يصوتون بـه في الأعياد وعند إعطاء إشارة الحرب .

(٧) **القرن** : كانت القرون تصنع من المعادن وبعضها كان يصنع من الفضة .

(٨) **الصُّنُوج** : وهمـــا صفيحتان مستديرتان من النحـاس . إذا ضربت إحداها على الأخرى رنّتا . ومن الصنوج القديمة ما يعرف باسم (الفقيشات) .

(٩) **الدُّف** : ويشبه الآلة المعروفة في أيامنا هذه .

وقد تعلم اليهود كيفية استعمال هذه الآلات الموسيقية وغيرها من الكنعانيين. وليس لدينا فكرة عن الألحان التي كانت تنشد على هذه الآلات .

أسلحة الكنعانيين الحربية

كانت أسلحتهم الهجومية تتألف من السيف ، وكان غـالباً قصيراً ذا حدين وكان له غمد . والرمح وقد ظهر في فلسطين في نحو ٢٠٠٠ ق.م. وعثروا عليـه في بيسان وتل الدوير وتل العجول[١] وهو عبارة عن عصا من خشب على طرفها الواحد رأس من معدن . والمزراق وهو يشبه الرمح إلا أنه أصغر منه . والسهم وهو آلة مستدقة طيـــارة تصنع من الخشب برأس برونزي أو صواني . وتحمل السهام في علبة تسمى « الجَعْبَة » تعلق على الكتف من وراء بحيث تسهل للمقاتل أخذ السهام عند الحاجة . ويقال لها أيضاً (الكنانة) بكسر الكاف . وتكون تارة من جلد ، وتارة من خشب . والقوس ووتره كان يصنع من الجـــلد أو شعر الفرس أو أوتار الحيوان . والمقلاع الذي كانت ترمى منه الحجارة بقوة عظيمة ودقـــة عجيبة . والفأس والخنجر وقـد ظهر في فلسطين بين عامي ٢٠٠٠ —

١ — متحف الآثار الفلسطيني ص ٦٤ .

١٦٠٠ ق.م. وكان مقبض بعضها مصنوعاً من العاج . والحربة ، وكانت تركب على عود طويل من الخشب وتستعمل قذائف عنـد القتال والسكاكين والنبابيت الثقيلة .

ومن أسلحتهم الدفاعية التُرْس ؛ وهو الآلة التي يتقى بهـا الضرب والرمي عن الوجوه ونحوه، والأرجح انه كان من أقدم أدوات الحرب . وكان يحمل على الذراع اليسرى . ويسمى الترس الكبير (المِجَنّ) . وكانت التروس تصنع في الغالب من الخشب الخفيف وتغطى بطبقات متعددة من الجـلود السميكة التي كانت تمسح بالزيت وتصقل جيداً . وكثيراً ما كانت تُلبَّس بصفائح سميكة من المعدن . سطحه الخارجي كان محدباً وذلك لمنع الأسهم من خَرْقه . والدّرع وهي آلة يغطى بواسطتها الصدر والظهر وأحيانـاً البطن ويعتبر الجزء الرئيسي من أدوات الدفـاع . ويصنع من صفائح النحاس كما صنع من صفائح الجـلد أو القماش . والجرموق ويصنع من الجلد أو النحاس لوقاية الساقين . والخوذة وكانت غطاء الرأس . وإذا تأملنا خطر جروح الرأس فلا يستبعد أن تكون الخوذة من أقدم وسائل الدفاع .

وتعتبر المركبات الكنعانية من أهم أدوات الحرب لدى الكنعانيين . وكانت تلقي الرعب في قلوب اعدائهم اليهود . وكانت المركبة تعد عادة لراكب واحد. ولها دولابان (عجلتان) ويجرها حصانان . وبجانب المركبة جعبة القوس وبيت الرمح . واذا أعدت المركبة لإثنين جعلت جعبات للأسلحة في الجانب الثـاني . والمحاربون في سلاح المركبات كانوا يعدون في مقدمة الطبقات الاجتماعية المؤلفة منهم ومن النبلاء .

وكان الكنعانيون يحيطون مدنهم بأسوار ذات أبواب وأبراج يلتجئون إليها كلما شعروا بخطر أو بقدوم فاتح جديد . وقد بلغ ارتفاع أسوار أريحا واحداً وعشرين قدماً . وإذا حوصروا فكانوا يدافعون عـن أنفسهم برمي الحجارة الكبيرة من الأسوار الى رؤوس المقتحمين ويسكبون عليهم زيتاً حاراً ومـاءً ساخناً ورملاً مُحْمىً وزفتاً غالياً ويرمونهم بحلقات محماة إلى درجة الحمرة . وقد

يخرجون أحياناً فيقتحمون أعداءهم محاولين خرق متاريسهم وحصونهم .

عبادة الكنعانيين

كان الكنعانيون وثنيين يعبدون الأصنام . ولا تختلف ديانتهم عن غيرها من الديانات القديمة من حيث عبادتها لقوى الطبيعة التي لها أثر في حياة البشر اليومية . فعبدوا الشمس والقمر وقدّسوهما لاعتقادهم إنهما إلهان يراقبانهم من عليائهما ويحاسبانهم على أفعالهم . ومن أصنامهم المشهورة « بعل » ومعناه «رب» أو « سيد » و « صاحب » أو « مالك » . وهي عندهم إلهُ الشمس التي عُزي اليها الفضل في خصوبة الأرض واستنبات الزرع . ولعل الشمس أول معبودات الناس و « عشتاروت » — إلهُ القمر — وغيرهما . « البعل » يمثل قوة الخليقة الذكرية و « عشتاروت » القوة الأنثوية . ومن معبوداتهم « مِلْكارت »[1] ومعناه « ملك المدينة » وهو إلهُ صور و « داجون » وقد مر ذكره وكان إله الغلاّت الغذائية . وقد عبده فيما بعد « الفلسطينيون » ، الآتي ذكرهم ، على صورة رأس إنسان ويدي إنسان وجسم سمكة مغطاة بالفلوس والزعانف . ودعوه «داج — Dag» بمعنى سمكة كبيرة . و «بعل زبوب» أي «إلهُ الذباب» وهو إله « عقرون » . ولا يزال سبب تسميته بهذا الاسم مجهولاً . ولعلهم كانوا يلجأون اليه ليحميهم من شر الذباب الذي يكثر في فصل الصيف . وذكر بعضهم انه كان إله الطب عندهم .

ويظهر ان عبادة « الحيّة » كانت عادة كنعانية متفشية كثيراً ، كما يستدل من تماثيل الثعابين الكثيرة التي تزين أدوات العبادة وأوانيها . وقد وُجد نصب للحية في قصر بيت مرسم يرجع بتاريخه الى ما بين عامي ٢٠٠٠ — ١٦٠٠ق.م. القسم الأسفل منه من الحجر الكلسي منقوشة عليه الاهة تسير الى اليسار لابسة ثوباً طويلاً يصل الى قدميها . وترى حيّة كبيرة ملتفة حول ساقي الالهة[2] .

---

١ — لما وصل الفنيقيون في سفراتهم الى « مضيق جبل طارق » أطلقوا عليه اسم « أعمدة ملكارت » نسبة الى معبودهم هذا .

٢ — متحف الآثار الفلسطيني ص ٧٥ .

و « ساري » وهو إله الحرب عند الكنعانيين، وقد كان له معبد في « النبي ثاري »[1] . وإن كلمة « ثاري » التي تذكر اليوم علماً لبعض الاماكن في لبنان وفلسطين باسم « النبي ثاري » انما هي تحريف لكلمة « بيت ساري » أي « معبد ساري » .

وكان الكنعانيون يقدسون الينابيع وبعض الآبار والأشجار (وخاصة أشجار الجميز) ، حيث الينابيع تروي الأرض بالماء فتنمو به المزروعات ويستقي منها الناس . وما زالت هذه العادة شائعة في كثير من انحاء الوطن العربي . فعبادة الينابيع والأشجار أو تقديسها معروفة عند العرب وغيرهم من الأمم القديمة . فقد صور هذا الخصب لهم وجود قوى كامنة في تلك الأرضين كانت السبب في نظرهم في بعث الحياة للانسان ، كما اعتقدوا في الأشجار بأنها تزيل عنهم الآلام وتشفي من الأمراض .

ويرجح أن « قرية سِفْر – بيت مِرْسِم – » كانت مركزاً لتعليم ديانة الكنعانيين . وقد عرفت هذه المدينة بحب أهلها للعلم وبكثرة من نشأ فيها من الكُتّاب والأدباء وغيرهم . فقد كانت مركزاً عظيماً للثقافة الكنعانية . ومع الأسف ان آثارهم المختلفة ذهبت بها عوادي الزمن .

ويظهر انه لم يكن للقبائل الكنعانية في أقدم أيامها هياكل ومعابد بل كانوا كانوا يختارون الأماكن المرتفعة كالجبال والتلال ذات المناظر الجميلة ، فيقيمون عليها ، في الهواء الطلق ، نُصُباً يسمونه « بيت الاله » فيعبدونه . وعنهم أخذ اليهود ذلك فأقاموا معابدهم على قمم الجبال[2] .

أقام الكنعانيون معابدهم في مختلف أنحاء بلادهم ، وكانوا يضعون داخلها

---

١ – بقعة تقع ضمن أراضي قرية « قولة » من أعمال اللد .

٢ – قال أنيس فريحة في المقدمة التاريخية لكتابه « أسماء المدن والقرى اللبنانية » : « ونحن نميل الى الاعتقاد بأن أسماء الأمكنة التي فيها لفظة « دير » أو « مار » كانت قديماً أسماء معابد وهياكل لآلهة الفنيقيين سكان البلاد القدماء. وقد لا يكون الواحد منا مغالياً اذا زعم أن كل معبد أو دير أو مزار أو أية بقعة مقدسة قائماً على روابي لبنان أو في وهاده كانت يوماً أماكن مقدسة قديمة ومعابد لآلهة لبنان القديم » وأرى ان هذا القول ينطبق أيضاً على فلسطين .

تمثال الأله المعبود . وبالقرب منه مكان لتقديم الضحايا التي كانت إما بشرية أو حيوانية . وكانت الضحايا البشرية عندهم أعظم الضحايا ويقدمونه بهـا غالباً بكر أولادهم أو أحدث مولود لهم ، زاعمين أن هذه الضحايا تستجلب بركات الآلهة على أصحابها. وقد استبدلت فيما بعد، الذبائح البشرية بذبائح من الحيوان. وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام كما ذكرنا ذلك في فصل سابق .

وأقدم الهياكل الكنعانية التي عثروا عليها هي التي وُجدت في « أريحا » و« مجدُّو » و « عاي »، وتعود بتاريخها الى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. ثم عثروا عليها في « جازر » و « بيسان » و « تِعِنّك » وغيرها . وعثروا في بقايا بعض المعابد على مغاسل للأقدام وقد وُجدت المغسلة في الغرفة الكبرى من المعبد . ولا بد ان العابدين كانوا يستعملونها للغسل قبل العبادة[1] .

قال المطران الدِّبس : [كانت كهنة بعل وعشتروت عند الفينيقيين (الكنعانيين) في أعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون أيديهم الى الكتف ويحملون بأيديهم سيوفاً أو يتنكبون حراباً ويتأبطون دفوفاً أو معازف يضربون بهـا ويرقصون ويضجون ويدورون على عقب واحد ، وينعطفون برأسهم الى الأرض عند دورانهم فيمرغون شعورهم بالوحول ويعضون أذرعهم ويخدشون أجسامهم بسيوف وحراب ...

وكان لهؤلاء الكهنة نفوذ في أمور مملكتهم يصغي لهم الحكام ويستشيرونهم ويعملون بمشورتهم[2] .

كانت توابيت الكنعانيين عبارة عن جرار من الفخار ، يطوى فيها الميت طياً ، كما يكون الطفل قبل الولادة في بطن أمه .

وأما توابيت الملوك فمنها ما هو من الصخر الصلد ومنها ما هو من الخشب المزين بقطع من القيشاني الملون .

---

١ – متحف الآثار الفلسطيني ١٣١ .

٢ – تاريخ سورية : الجزء الأول – المجلد الاول ٣٦٧ .

وقد وجد في الجرار وفي توابيت الملوك الكثير من السكاكين والملاعق والحلى والتعاويذ وغيرها . وهذا يدل على انهم كانوا يعتقدون انه من حاجات الرحلة في الظلمات الأبدية .

ولم يؤمن الكنعانيون، بوجه عام، باليوم الآخر وبالحساب والثواب والعقاب. فالموت عندهم كان النهاية الأبدية للحياة .

[لم يكن الثواب والعقاب عندهم أمراً يتعلق بالسلوك الاجتماعي أو التصرف الخلقي بقدر ما كان يتعلق باقامـــة الفروض والطقوس الدينية . وكان الثواب والعقاب عندهم غنماً أو غرماً مادياً ينالهالعابد على هذه الأرض . فكانوا ينظرون الى الصحة والثروةوالفلاح المادي والبنين وما شابهها أنها ثواب على القيامبفروضهم الدينية ، واذا حرموا هذه اللذات فانهم كانوا ينظرون الى الأمر على انـه عقاب لتركهم فروض دينهم[1]] .

وكانت مزاولة السحر والعرافة والتنبؤ بالغيب اشياء مألوفة لدى الكنعانيين وقــد عثروا ، في البلاد ، على تمائم تعود بتاريخها الى مـــا بين عامي ١٦٠٠ — ١٢٠٠ ق. م. فتمائم مجدو كانت مصنوعة من القيشاني واما تمائم « تل العجول » فبعضها كان على صورة كبش من الفضة والبعض الآخر كان على صورة ضفدع من العقيق الأحمر[2] .

ومما هو جدير بالذكر انــه بينما كانت الوثنية سائدة بين الكنعانيين انتشرت ديانـــة التوحيد بين جماعات منهم ، على أثر قيام ابراهيم عليه السلام بدعوتـــه الاسلامية .

* * *

كان للأب عند الكنعانيين مقام رفيع وسلطة قوية ؛ وكانوا يعتقدون بتأثير رضاه وغضبه . وكان له حق التحكم في أولاده سواء تزوجوا ام لا . واذا مات رب العائلة تناط رياستها الى ابنه الأكبر .

---

١ — لبنان في التاريخ ص ١٦٨ .

٢ — متحف الآثار الفلسطيني ١٢٧ .

وكان الختان شائعاً بين الكنعانيين[1]، كما كان شائعاً عند المصريين منذ عصور ما قبل التاريخ (أي منذ عام ٤٠٠٠ ق. م) وعند قبائل كثيرة في الجزيرة العربية منذ عصور طويلة . والأدوات المستعملة للختن هي السكاكين الحجرية كالمدية والموسى .

وكانوا يحلقون بعض أجزاء رءوسهم وكانوا يدهنون شعورهم بزيت عطر ولاسيما في الأعياد والمواسم . وكانوا يعتبرون حلق الرأس وجزه دلالة على الحزن الشديد والتوبة على الخطية .

وكانوا يخلعون نعالهم حين دخولهم للمعابد وغيرها دليلاً على الاحترام .

والظاهر ان انتخاب العريس والعروس كان منوطاً بالأقارب . وكان للكنعانيين أعياد يحتفلون بها منها بداية حصاد الشعير وآخر عيد ختام حصيد القمح وعيد الكروم وغيرها .

وكانت سنة الكنعانيين مؤلفة من اثني عشر شهراً قمرياً . ولما كانت السنة القمرية أقل من السنة الشمسية بنحو ١١ يوماً ، فكانوا ضبطاً للفصول ، يضيفون بين حين وآخر شهراً على سنتهم . ولعلهم أخذوا ذلك عن السومريين ، سكان العراق في فجر تاريخه . وقد ورثت بعض الأمم الشرقية هذا التقويم القمري ، وما زالت تستعمله في شؤونها الدينية .

وقد عرف الكنعانيون « الاسبوع » الذي يعزى اختراعه الى العراق القديم.

قال بريستيد : [وحوالي ٢٠٠٠ ق. م كان جميع هؤلاء الساميين الغربيين قد بلغوا درجة من المدنية لا يستخف بها معظمها مستمد من مصر وبابل وبعضها — وهو القليل — مقتبس من بلاد اليونان. لأن وطنهم ، الذي هو الطرف الشرقي من بحر الروم ، على السكة السلطانية التي بين هذه البلدان فكان لهم اتصال بها غير منقطع[2]] .

وقال حتي : [ومن المعروف الآن ان اليهود أخذوا الكثير من أعيادهم

---

١ — قاموس الكتاب المقدس ١/٤٠٦ .

٢ — العصور القديمة ص ٩٢ .

وطقوسهم الدينيـــة عن سكان البلاد القدمـــاء ، الذين كانوا يفوقونهم حضارة ورقياً[1]] .

والمؤسف أن الكنعانيين ، بفرعيهم ، أنشأوا حضارة زاهرة من أرقـــى الحضارات السامية القديمة . – ومع أنهم هم الذين بسّطوا الكتابة بالنسبة للخط الهيروغليفي حتى أصبح الخط الكنعاني أساساً لخطوط العالم المتمدن – لم يتركوا لنا آثاراً مدونة في مختلف العلوم والفنون التي اختصوا بهـا كالتجارة والزراعة والصناعة ومسك الدفاتر والمحاسبات التجارية وغيرهـا. واذا استثنينا المصادر الكلاسيكية – اليونانية والرومانية وبعض النقوش الكنعانيـة القليلة المقتضبة فان أكثر ما لدينا من معلومات مصدره العهد القديم ورسائل تل العمارنة وكتابات اوغاريت التي عثروا عليها في شمال اللاذقية .

---

١ – لبنان في التاريخ ص ١٦٧ .

هجرات سامية عربية أخرى الى الشام

الآراميون

في نحو عام ١٥٠٠ ق . م . أي بعد مرور نحو الف وخمسمائة عام على استقرار الكنعانيين في فلسطين ولبنان تعرضت بلاد الشام لهجرة عربية أخرى؛ وهي هجرة الآراميين ومعهم القبائل المؤابية والآدومية والعمّونية . نزل الآراميون ، من العرب الساميين[١] ، شمالي الشام وشواطىء الفرات الأوسط ، كما نزل آخرون منهم جنوبيه الشرقي .

ومن الدول الآرامية التي ظهرت في سورية دولة (آرام النهرين) وكانت تقع بين نهري الفرات ورافده الخابور . ودولة « فدّان آرام » وعاصمتها « حاران – حَرّان » ، وقد مر ذكرها ، ومملكة « صوبا » نسبة الى عاصمتها « صوبا »[٢] . ثم انتقلت هذه المملكة في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد الى دمشق وأصبحت تحمل اسم « آرام دمشق » . وهي أهم الممالك الآرامية . فكانت تمتد بين لبنان والصحراء والفرات واليرموك .

عرف الآراميون بنشاطهم التجاري ، فكانت قوافلهم لا تكتفي بالتنقل بين العراق والشام بل تعدتها الى مصر وفارس والهند وآسيا الصغرى . وكما نقلت القوافل التجارية البابلية في العصور الخالية الكتابة المسمارية الى آسيا الغربية ، كذلك حملت قوافل الآراميين التجارية معها أيضاً الحروف الهجائية التي تعلموها

---

١ – مصر القديمة للدكتور سليم حسن : ١٨٥/٥ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ .

٢ – يظن ان موقعها كان في « مجدل عنجر » جنوبي زحلة في البقاع .

من جيرانهم وأبناء عمهم الفينقيين . وهكذا صارت هذه الحروف ، بعد زمن ، حروف الشعوب الشرقية (باستثناء الصين واليابان) . وكذلك انتشرت لغتهم التي احتفظوا بلهجتها السامية الأصلية ، والتي نسميها الآرامية حتى أصبحت لغة الهلال الخصيب برمته . ففي نهاية القرن الثامن قبل المسيح أخذت الآرامية تحل محل الكنعانية وظلت لغة البلاد المحكية الى الفتح العربي الاسلامي،عندما حلت العربية محلها .

والآراميون هؤلاء عرفوا بعد تنصرهم باسم « السريان » ولغتهم السريانية . وهي لا تختلف كثيراً عن اللهجات السريانية الباقية الى يومنا هذا .

كان الآراميون من ألد أعداء اليهود ، وقد استمرت الحرب بينهما مدة طويلة كما سنبينه في حينه .

وقد اندمج الآراميون (السريان) أخيراً بالعرب، بعد الفتوحات الاسلامية نظراً لتشابه أصلهم وقرابتهم .

واما قبائل الموجة الأخرى من مؤابيين وآدوميين وعمونيين فقد نزلوا الجنوب الشرقي من الشام . ولغتهم فرع من الآرامية وهي لهجات قبائل أكثر مما هي لغات أمصار وأقطار ، والاختلاف بين هذه اللهجات واللغة الكنعانية لم يكن كثيراً .

ثم تحضرت هذه القبائل فقاموا بزراعة الحبوب والكروم ، وأنشأوا لهم المدن العديدة المنيعة ، فضلاً عن قطعان المواشي الكثيرة التي كانوا يملكونها . وأخيراً تمكنوا في نحو القرن الثالث عشر قبل الميلادأن يؤسس كل منهم دولة في الأقسام التي نزلوها :

١ – الآدوميون

نزلوا البقاع الواقعة بين نهر « الحسا » وخليج العقبة . وحلوا محل الحوريين الذين كانوا قد استوطنوها قبلهم . واقتبسوا منهم طريقة معيشتهم ونظمهم . و« آدوم » كلمة من جذر سامي مشترك يفيد الإحمرار . وقد أطلقت على البقاع المذكورة لاحمرار صخورها وتربتها. وإليها نسب هؤلاء البدو الساميون .

ويظهر انه كان لكل قبيلة من الآدوميين ، في باديء الأمر ، أمير أو شيخ . ثم تحولت هذه المشيخات الى ملكية (١) حينما تمكن بعض الشيوخ من التغلب على غيرهم . وقد ذكر العهد القديم أسماء ثمانية من ملوكهم (٢) . وكانت « بُصرة »(٣) عاصمتهم أو من أشهر مدنهم . كما كانت « سالع – بترا » أشهر مدنهم الجنوبية .

والمعروف ان العمران والمدنية شملت بلاد آدوم، ويستدل على ذلك بما يشاهد الآن من خرائب الثلاثين مدينة من مدنهم الممتدة من البحر الأحمر الى مسيرة ثلاثة أيام (٤) . وكانت « أيلَة – العقبة » تحت سيطرتهم مدى قرون طويلة .

وأشهر من عرفناه من الآدوميين هو « أيوب » عليه السلام الذي ظهر على الأرجح في نحو منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

و « أيوب » من أنبياء العرب، ذكر في القرآن الكريم أربع مرات . كان عليه السلام يشتغل بالزراعة ، كما كان يهتم بتربية الأنعام من الثيران والأغنام والحمير والجمال . وقد توالت عليه المصائب والنوائب فدمّرت أملاكه وأهلكت أولاده وبعثرت أمواله . ثم أصيب بقروح حتى هزل جسمه . فصبر عليه السلام على ما نزل به من آلام ومصائب صبراً عجيباً . فكان المثل الأعلى للصبر . فزع أيوب الى ربه . قال تعالى : [وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٥)] فاستجاب له ربه فعادت اليه عافيته ورزقه الأموال والأولاد ..

[وأيوب ذاته الذي تغنى بأنفس ما أنتجته القريحة السامية القديمة من القريض كان عربياً لا يهودياً . يدلك على ذلك بناء اسمه « أيوب »(٦) . ومسرح الحوادث التي يرويها كتابه هو شمالي الجزيرة. أما موطنه «عوص» فهو «عَوْص»

---

١ و ٢ – سفر التكوين ٣٦ : ١٥ – ١٩ و ٣١ – ٣٩ .

٣ – هي البصيرة ١٢١٩ نسمة ، الحديثة . تقع الى الجنوب الغربي من الطفيلة وعلى بعد عشرين ميلاً الى الجنوب الشرقي من البحر الميت – تعلو (١١٠٠) متر عن سطح البحر .

٤ – قاموس الكتاب المقدس : ١/٥٤ .

٥ – سورة الأنبياء ٨٣ .

٦ – إن لفظ أيوب مشتق من فعل عربي هو آب يؤوب أي تاب يتوب . فمعنى أيوب تائب.

في نواحي « آدوم[١] ». أضف اليه ان صديقه «أليفار» كان من أهل « تيماء[٢] ». ولعل هذا السفر وضع أصلاً في اللغة العربية . فإذا صح ذلك كان أقدم ما لدينا من مخلفات آداب عرب الشمال [٣]] .

وقد لقبه « فيكتور هوغو » الأديب الفرنسي المشهور ، ببطريرك العرب . وقال في كتابه (عن شكسبير) وهو يتحدث عن العباقرة : إن أيوب كان أديباً وهو أول من ابتدع اسلوب الفواجع (Drama) . وقد ضاع شعره العربي ولم يبق منه غير الترجمة العبرية المنسوبة الى موسى][٤] .

وقال جورج سارتون : [إن كتاب أيوب آية من آيات الأدب العالمي . وقد عده « تنيسون » أعظم شعر في التاريخ] . وقال أيضاً [كتاب أيوب قصيدة لا مقالة علمية . والرجـــل الذي كتبه شاعر عبقري ، وصف بإحكام ودقة عجائب الكون وحكمة الله ، وقد جمع بين المعرفة والواقعية في خيـــال بديع ولغة جميلة جداً [٥]] .

وكان الآدوميون من ألد أعداء اليهود فمنعوهم من المرور في بلادهم وهم آتون من سيناء ، ثم حاربوهم حروباً كثيرة في مختلف العصور . وتمكن « أمصيا » ؛ احد ملوك اليهود ، في أوائل القرن الثـــامن قبل الميلاد ، من قتل عشرة آلاف آدومي وسبي عشرة آلاف آخرين في جنوبي البحر الميت ، وأتى بالأسرى الى « البتراء » ، وأمر بطرحهم من رؤوس شواهقها فتكسروا أجمعين[٦] .

كان الآدوميون وثنيين يعبدون الأصنام.ومن أصنامهم صنم يدعى (Koze)،

---

١ – يذكر بعضهم أن الخرائب التي تسمى باسم « العيس » بجوار « نجـل » – بفتح النون وكسر الجيم – الحديثة ، على مسافة ميل من الشوبك هي نفس « عوص » موطن أيوب .

٢ – تقع في شمالي الجزيرة العربية في منتصف طريق القوافل القديمة بين مكة ودمشق .

٣ – تاريخ العرب (مطول) : ١/٥٥ لحتي ورفاقه ، دار الكشاف ، بيروت .

٤ – الأعلام، للزركلي ١/٣٧٩ .

٥ – تاريخ العلم الجزء الثاني . ترجمة جماعة من الأساتذة ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٠ و ٩١ .

٦ – الأيام الثاني ؛ ٢٥ : ١١ – ١٢ .

الذي يذكرنا باسم الصنم « قزاح » ، الذي كان يعبد على مقربة من مكة[١] .

ولما حلّ الأنباط محل الآدوميين في نحو عام ٥٠٠ ق.م هـاجر هؤلاء الى فلسطين واستقروا في جنوبهـا حتى ان « الخليل » اصبحت من مدنهم و « بيت جبرين » من قلاعهم .

وفي عهد الرومـان تمكن « هيرودوس » الآدومي العربي من تأسيس دولة الهرادسة في اوائل العهد الروماني كما سنبينه في مكانه .

٢ – المؤابيون

حل « المؤابيون » محل « الإيميين » من الآموريين المـار ذكرهم . وأسسوا مملكتهم في شمالي مملكة « آدوم » بين « الموجب » و « الحسا » . وبلاد مؤاب عبارة عن هضبة ترتفع نحو ٣٢٠٠ قـدم عن سطح البحر . وهي بلاد زراعية تصلح لرعي المواشي . ومن مدنها القديمة « قير حارسة » وتقوم على بقعتها مدينة « الكرك » اليوم . ويرجح انها كانت عاصمتهم .

وقد حارب المؤابيون ، كغيرهم من سكان الشام ، اليهود وهم في طريق غارتهم على فلسطين . وفي عصر القضاة أخضع المؤابيون ، بقيـادة ملكهم « عجلون » اليهود وضربوا عليهم الجزية ، كما نقلوا عاصمتهم الى « أريحا » .

وفي نحو منتصف القرن التاسع قبل الميلاد قام في « مؤاب» ملك عظيم يدعى « مِيشَع » ، وسع حدود مملكته حتى وصل الى «معان». وخلد أعماله وحروبه مع اليهود الذين ضربهم ضربة قاصمة ، في الحجر المؤابي الشهير الذي عثر عليه في « ديبان[٢] » عام ١٨٦٨ م والموجود الآن في متحف اللوفر بباريس . وخطوطه مكتوبة باللغة المؤابية .

وذلت التنقيبات الأثرية على انتشار المـدن والقلاع والطرق في مؤاب ، في

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢/٢٣٣ لجواد علي ، بغداد ١٩٥٢ .

٢ – تقوم على بعد ثلاثة أميال الى الشمال من نهر الموجب ، وعلى مسيرة ٦٤ كم من عمان . بها ٨٠٠ نفس . اسمها محرف عن اسمها القديم « ديبون » ، بمعنى هزال .

القرن السادس قبل الميلاد ، كما عثروا على رؤوس منحوتة تلبس ما يشابه الكوفية والعقال ، ومن تحتها الشعر المجدول في غدائر طويلة .

وكان « شموش – الشمس » أهم معبود عند المؤابيين ويزعمون إنه كان يُسر بالذبائح البشرية .

واختفى اسم المؤابين ، كافة ، في القرن الثاني قبل الميلاد .

٣ – العمُّونيون

حلوا محل « الزوزيين » من الآموريين ، كانت عاصمتهم « رَبّة عموُّن » . والظاهر انه مع الزمن سقطت كلمة « رَبّة » من اللفظ للتخفيف وبقيت«عمون» تدل على اسم المدينة الذي حُرِّف الى « عمّان » . وكانت مساحة « عموُن » ٦٠ أكراً[١] . منها ٢٩ للمدينة العليا و ٣١ للمدينة السفلى .

وقد حارب « العمونيون » اليهود واشتركوا في معركة « قرقر » ، الآتي ذكرها ، عام ٨٥٣ ق.م مع السوريين حلفائهم ضد الآشوريين ، وكانوا كغيرهم يعبدون الأصنام . وكان تقديم الضحايا جزءاً مهماً من طقوسهم الدينية . وذلك لاعتقادهم ان الآلهة لن ترضى عنهم وتستجيب دعاءهم دون ذلك . وكانت الضحايا إما بشرية وإما حيوانية حسب أهمية الأمر المراد تحقيقه . ومن أشهر أصنامهم « مُولَك » وهو مصنوع من نحاس وجالس على عرش من نحاس أيضاً ، ورأسه رأس عجل كبير مزين بأكليل . وهو ماد ذراعيه الى الأمام . وكان العرش والصنم مجوفين . وكانت تشعل النار في التجويف حتى إذا وصلت حرارة الذراعين الى الحمرة وضعوا عليهما قربانهم . وفي تلك اللحظة تُدَقُّ الطبول وترتفع أصوات المرتلين من الكهنة حتى لا يسمع صراخ الذبيحة وهي تحترق في تلك الأثناء. ثم يتفرق الناس وهم يتضرعون الى الإله ان يحقق آمالهم التي قُدِّمت الضحية من أجلها . وبمثل هذه الطقوس كان الفنيقيون يقومون بعبادة « مِلْكارت » إله مدينة صور .

---

١ – الأكر أو الفدان الانكليزي يساوي ٤٠٠٤٦٧ من الدونمات .

وقد اقتبس اليهود عبادة « مُولك » من العمونيين . واستمروا في عبادته مدة طويلة. ومن الأماكن التي مارس فيها اليهود عبادة هذا الصنم «وادي جهنم»[1] في القدس وسبب هذه التسمية يعود الى أن اليهود أخذوا يرمون فيه ضحايا « مولك » وقاذورات بيوتهم . ويشعلون فيه ناراً دائمة منعاً لانتشار العفونة منه ، فصار بذلك مرادفاً لجهنم .

* * *

يرى العلامة المحقق السير جيمس فريزر (ان الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم ذراري القبائل التي استوطنت فلسطين قبل الغزوة الاسرائيلية — وقد مرّ ذكرها جميعاً — وانهم ما زالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها ، ولا اقتلعوا منها ، ولئن طغت عليهم للفتوح موجات فإنهم ثبتوا وأقاموا)[2] .

---

١ — يشرف على الوادي المذكور اليوم « مقبرة باب الرحمة » ، بجوار سور الحرم الشرقي . تضم الكثير من رفات الشهداء والصحابة والمجاهدين والعلماء والصالحين وغيرهم . منهم « شداد بن أوس » بن أخي « حسان بن ثابت » الخزرجي وعبادة بن الصامت الأنصاري أول من تولى القضاء في فلسطين ، وذي الأصابع التميمي .

٢ — خمسون عاماً في فلسطين : ١٠٥ .

علاقات الكنعانيين مع مصر

إن العلاقات بين مصر وفلسطين قديمة جداً تعود الى عصور ما قبل التاريخ. وذلك ان صحراء سيناء لم تكن في يوم من الأيام عقبة أو حائلاً يمنع السفر والانتقال ، وخصوصاً ان سكانها من البدو كانوا دائماً وما زالوا حتى اليوم ، فروعاً من القبائل التي تعيش وتتجول في المنطقة التي نسميها اليوم شمال الجزيرة العربية والأردن وجنوبي فلسطين .

وأقدم ما عثرنا عليه من العلاقات بين القطرين كان بسبب استخراج النحاس من سيناء . فقد استخرج المصريون النحاس وغيره منذ عهد الأسرة الأولى [1] . وكان سكان جنوبي فلسطين ومن جاورهم من بدو سيناء يهاجمون المناجم المذكورة وينهبون ما فيها من معادن وأحجار ثمينة .

وقد ورد في الآثار ان الملك « سمِرْخت » الذي يرجع تاريخه (غالباً) الى الأسرة الأولى أوفد بعثة لاستخراج النحاس من مناجمه في سيناء ، رغماً عن أخطار البدو المتوحشين التي اعترضت تلك المشاريع . وقد أخبرنا الملك المذكور انه عاقب هؤلاء البدو ، وأثبت ذلك على صخور « وادي مغارة » حيث كان يستخرج النحاس . وقد تكررت هذه الغارات في عهد خلفاء

---

١ – يعد المؤرخون عام ٣٢٠٠ ق. م بدء العصر التاريخي لمصر . ويشتمل تاريخ وادي النيل القديم على ثلاثة أعصر أو ثلاث دول : الدولة القديمة والدولة المتوسطة أو عصر الاقطاع والدولة الحديثة أو عهد الأمبراطورية . وتولى الأمر في الدول المذكورة أسرات مختلفة بلغ عددها نحو ثلاثين أسرة . وتاريخ الأسرة الاولى والثانية يمتد من ٣٢٠٠ – ٢٩٨٠ ق. م .

« سمر خت » إلا ان المصريين كانوا ينتصرون على البدو انتصارات باهرة [1] .

وقد استمر المصريون في استخراج معادن سيناء في عهد الأسرة الثـــانية وغيرها من الأسر التي تلتها ، كما ثابر البدو في نهب ما يمكنهم من الحصول عليه من خيرات تلك المناجم مما اضطر معظم أولئك الملوك لإرسال الجيوش لتأديبهـم . ومن أهم الحملات التي وصلت الينا الحملة التي أرسلها « بيـــبي الأول » من الدولة السادسة (٢٦٢٥ – ٢٤٧٥ ق.م.) بقيادة « أوني – Uni » والمؤلفة من عشرة آلاف جندي ، كتأديب للقاطنين بين التيه والبحر الميت . فقتل منهم خلقـــاً كثيراً وعاث في أشجارهم وكرومهم – من تين وعنب – وعاد الى مصر بالغنائم والأسرى ، بعد أن أقام الحصون ووضع فيها الحاميـــات . ويصف « أوني » جيوشه الغازية بأسلوب شعري فيقول :

لقد عاد هذا الجيش سالماً بعد أن خرب بلاد البدو .

» » » » » » » نهب سكان بلاد الرمال .

» » » » » » » أزال قلاعهم .

» » » » » » » قطع أشجار تينهم وكرومهم .

» » » » » » » حمل الحديد والنار بين كل سكانهم .

» » » » » » » ذبح كل جنودهم بعشرات الألوف العدة .

» » » » » » » جاء معه بجنود عدة أسرى .

ولقد أثنى علي جلالته لهذا أكثر من أي شيء .

ولقد أرسلني جلالته خمس مرات لقيادة هذا الجيش لسلب بلاد البدو في كل مرة يثورون ! ومعي فصائل من الجنود ، وقد عملت بطريقة امتدحني جلالته من أجلها [2]] .

وحدث بعد ذلك أن نشبت ثورة في جهة الكرمل اضطرت فرعون [3] مصر

---

١ – تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي : ٣٠ .

٢ – مصر القديمة للدكتور سليم حسن الجزء الأول ص ٣٧٣ و ٣٧٤ . مطبعه كوثر بمصر.

٣ – « فرعون » تحريف كلمة « برعو » باللغة المصرية القديمـة معناها « البيت العظيم » أو « الرجل المظيم » .

أن يرسل « أوني » بأسطول بحري[1] يحمل الجنود لمعاقبة الثوار . ونزلت فصائل الجيش خلف مرتفعات الكرمل وقبضت على الثوار بأكملها وقضت على جميع العصاة .

ويعلق المرحوم الاستاذ سليم حسن ، مؤلف مصر القديمة ، على الحملة بقوله : [ان الحملة التي قام بها « أوني » الى فلسطين تعد الأولى من نوعها في تاريخ مصر ، بل وفي تاريخ العالم على ما نعلم . إذ الواقع أنها تعتبر أول حملة اشترك فيها الجيش والأسطول دوّنها لنا التاريخ . وقد برهن المصريون في هذه الحملة على انهم بحارة حقيقيون، لا كما يدعيه البعض بأنهم غير أكفاء في جوف اليم . ولقد فطنوا بسرعة بل وقدروا الميزة التي يجنيها الجيش من نقله بواسطة البحر الى نقطة الهدف التي يريدها . فتجنبوا الطرق الصحراوية الطويلة الخطرة التي ربما أفنت الجيش وجعلت عودته مغامرة عظيمة . لذلك يمكننا القول بأن مصر كانت أول دولة في العالم قامت بحملة حارب فيها الجيش يحميه أسطوله .

والظاهر أن سبب قيام الفرعون بهذه الحملة الى فلسطين ما يقال عن هجرة جم غفير من الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين « مسوبوتاميا — Mesopotamia » وتقدمهم في هجرتهم الى أن وصلوا الى فلسطين والحدود المصرية ، فاضطر فرعون مصر إذ ذاك الى منع هؤلاء المهاجرين الآسيويين من دخول مصر[2]] .

* * *

لقد كانت فلسطين ملجأ للمضطهدين السياسيين من مصر ، وكان أهل البلاد — الكنعانيون العرب — يستقبلون هؤلاء الملتجئين اليهم بكل حفاوة وتكريم . وقد وصلتنا قصة « سنوحي — Sinuhi [3] » أحد كبراء المصريين الذين أتوا الى

١ — يرجح الله استخدام الطرق البحرية في تلك الأيام، وخصوصاً قبل معرفة استخدام الجمال ، كان قد سبق اتخاذ طريق البر للوصول الى السواحل الفلسطينية .

٢ — مصر القديمة : ٣٧٣/١ و ٣٧٤ .

٣ — تعني كلمة « سنوحي » ابن الجميز .

الشام حرصاً على حياتهم . وتتلخص هذه القصة بما يأتي :

كان « سنوحي » أحد رجال البلاط في عهد الملك « أمنمحت الأول — Amenemhet [1] » ومن المرجح انه لم يكن من الحزب الذي كان يؤيد ولي العهد وشريك الملك في الحكم « سنوسرت الأول — Senwosret [2] » .

ولما توفي « أمنمحت » إرتاع سنوحي ورأى أن يهرب خلسة . وفي الحال غادر مصر ونزل فلسطين بعيداً عن سلطة الملك الجديد. وفي فلسطين أجاره شيخ بدوي وخلصه من الموت جوعاً وزوّده بالماء والحليب المغلي ، وسمح له بالإقامة بين قبيلته . ثم أخذ « سنوحي » يتنقل في البلاد حتى بلغ « جُبَيْل » ومنها صعد الى جبال لبنان العالية . ثم انحدر الى فلسطين، أقرب بلاد الشام الى مصر، مرة أخرى واستقر بها . وكان يصادف في كل مكان ينزله حفاوة وجوداً وإلحاحاً من كل أمير للنزول عنده . وصادف أن شاهد قبيلتين تقتتلان فانتصر للقبيلة الضعيفة وانضم اليها ولم يمض وقت حتى ولّت القبيلة المعتدية هاربة وكان ذلك بفضل الزعيم المصري . فأقبل رئيس القبيلة المنتصر على « سنوحي » يقدم له شكره ويظهر له إعجابه وتقديره . ثم زوّجه كبرى بناته وأقطعه أراضي واسعة ، فيها الحدائق ذات الأشجار المثمرة كالتين والعنب والزيتون وفيها الأراضي لزراعة الحبوب ، كما أعطاه كثيراً من المواشي . ورئيس هذه القبيلة هو « آمون شي » أمير « رتنو العليا » وهي فلسطين .

أقام « سينوحي » مدة طويلة عند نسيبه حتى كبر أولاده ، ولما تقدم في السن استأذن فرعون مصر بالعودة الى بلاده فأذن له . ويصف « سنوحي » حنينه الى وطنه بقوله : [إلهي ! اسمح لي بأن أرى المكان الذي لا يزال قلبي

١ — هذا الفرعون هو مؤسس الأسرة الثانية عشرة من الدولة المتوسطة . ويعد عهد هذه الأسرة أزهى عصور الدولة المذكورة. وامتد حكم مؤسسها مدة ثلاثين سنة : ٢٠٠٠ — ١٩٧٠ ق. م. وفي عهده شن بدو سيناء وبئر السبع عدة هجمات على شرق الدلتا فطردهم وعاقبهم وأقام الحصون على حدود مصر الشرقية لحراسة البلاد ووقايتها من شرهم.

٢ — كان القدماء ، الاغريق ، يسمون « سنوسرت » باسم « سيزوستريس — Sesostris ».

يتعلق به . وهل أشتهي شيئاً آخر غير أن أموت وأدفن في بلدي الذي وُلدت فيه؟إني أتضرع إليك،فهل تساعدني يا إلهي ؟ إبعث إليّ بالحظ الحسن . إمنحني سلامك . إشفق عليّ أنا الغريب . إرض عني واسمع صلاتي من بعيد . ارفع غضبك عمن جال في الأرض طريداً شريداً وأرجعه الى وطنه] .

ولما تهيأ « سنوحي » للسفر ودّعه أصدقاؤه متألمين لفراقه . وشيعوه لمسافة بعيدة ، ودعوا له بالسفر السعيد . ولما وصل إلى مصر ، بعد غياب ٢٥ سنة ، استقبل فيها استقبالاً حافلاً .

وقد وصف « سنوحي » المنطقة التي عاش فيها بقوله : [كان الإقليم الطيب الذي نزلته (يا)[١] . كان لي فيه الأراضي الكثيرة حيث التين والعنب والعسل والزيتون وسائر الأثمار والحنطة والشعير والمواشي التي لا تحصى ! أما الخمر فكانت أكثر شيوعاً من الماء ، وأما غذائي فكان من الخبز واللحم والطيور المحمّرة ، كما كنت أزوّد بكميات كثيرة متنوعة من الزبدة والحليب] .

وقد ذاع صيت هذه القصة في مصر وظلت تنسخ وتقرأ نحو ٥٠٠ سنة . وتعتبر هذه القصة من أوائل القصص في تاريخ العالم ، وأقدم قصة شهيرة من نوعها خطها الإنسان[٢] .

السيادة المصرية :

كانت التجارة من العلاقات الوثيقة التي ربطت بين فلسطين ومصر كما بينا ذلك في فصل سابق ، ولكن هذه العلاقات ما عتمت أن أصبحت صلات سياسية . فقد تمكن رُسل « سيزوستريس الأول . ١٩٧٠ — ١٩٣٥ ق.م. » ابن أمنمحت الأول المار ذكره أن تجوب البلاد الفلسطينية الجنوبية بانتظام حتى « جازر » . وانتشر المصريون في تلك الأنحاء ، وانتشرت تبعاً لذلك اللغة المصرية فصار اسم فرعون هناك مقروناً بالخوف والوجل[٣] .

---

١ — لا نعرف موقعه اليوم .

٢ — سورية في الأدب المصري القديم لأنيس صايغ ص ٢٠ بيروت ١٩٥٧ .

٣ — تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي ١٢١ .

ويرجع تاريخ أقدم رواية وصلت إلينا عن غزو المصريين لبلاد الشام الى عهد الملك « سيزوستريس الثالث[1] ١٨٨٧ – ١٨٤٩ ق.م. » . وتذكر الآثار ان هذا الفرعون قام بحملته ومعه قائده « سبك – خو Sebek-Khu » أدّت الى توسيع سيادته حتى نابلس . وقد افتخر هذا القائد بالنصر قائلاً [: لقد أهدى إليّ جلالة الملك عصا ذهبية وفضية ومدية من مخلوط الذهب والفضة . وكذا أسلحة الأسير الذي استوليت عليه . كل هذه الهدايا قدّمها إليّ جلالة ملكي بيده[2]].

ويظهر من أسماء المدن التي عثر عليها في النقوش المصرية ان البلاد الشامية الواقعة جنوبي « النهر الكبير »[3] ، ودمشق استمرت حتى أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة ، الذي امتد حكمها من نحو ٢٠٠٠ – ١٧٨٨ ق.م. » تابعة لمصر . ثم انقطعت هذه الصلة بظهور الهكسوس .

---

١ – تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي ١٢٠ .

٢ – المصدر نفسه ١٢١ .

٣ – يقع على بعد نحو ٢٨ كم شمالي طرابلس الشام ويشكل اليوم الحد السياسي بين شمالي لبنان وسورية . يبلغ طوله نحو (٥٠) كم .

الهكسوس[1] في مصر

إن شعب الهكسوس، كما روى البعض عرب[2] يشمل الكنعانيين[3] والآموريين وغيرهم من الساميين سكان سورية وفلسطين. ولا يبعد أن تكون القبائل الكنعانية القريبة من مصر أصابت أكبر قسط من حملة الهكسوس على مصر. غير أن هذا المزيج كان يضم حشداً من الحوريين والميتانيين والحثيين وغيرهم من غير الساميين فضلاً عن قبائل « الخابيرو — Khabiru» السامية[4].

وذكرهم المؤرخ يوسيفوس اليهودي: « قال بعضهم إنهم عرب » و « انهم رعاة اخوة فنيقيون »[5]

---

١ — إن كلمة الهكسوس بمعنى ملوك الرعاة تتألف من شقين: « هيك » ومعناها في اللغة المصرية القديمة « ملك » أو « حاكم » و « سوس » بمعنى « راعي » أو « الأقطار ». وبهذا تفسر هكسوس بحاكم الأقطار. والاكتشافات الأثرية الأخيرة في فلسطين أظهرت مقابر عديدة ترجع الى عهد الهكسوس مؤرخة بأسماء ملوكهم.

٢ — تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي ١٤١، ومصر القديمة: ٤/٥٩.

٣ — تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي ١٤٢ وتاريخ لبنان لمرتين ١٥.

٤ — قال حتي: « الخابيرو ... ليس إسماً عرقياً وانما تسمية أطلقت على جماعات من الرحل والأجانب والأشقياء المستعدين للانضمام الى صفوف أي جيش لقاء أجر أو بدافع الحصول على الغنائم ». — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/١٧٣ — وذكر برستيد الخابيرو بأنهم بدو آراميون ساميون وكان هؤلاء الخابيرو يعملون في أوقات السلم كعصابات متجولة مخاطرة تغير على المدن والقرى عابثة في الأرض فساداً. — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ص ٢٥٧ —.

٥ — تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ٥٤ وتاريخ سورية للمطران الدبس لمجلد الأول — الجزء الأول ٢٣٠.

قال جورج سارتون : « ويجوز أن يكون الهكسوس ، بما في أمرهم من غموض ، وهم الذين غزوا مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهم عين الفنيقيين أو العرب أو ينتسبون اليهم »[١] .

وقال جواد علي : « والمعروف ان الهكسوس الذين حكموا مصر كانوا من العرب في رأي كثير من العلماء ، بل في نظر قدماء المصريين ، كما حكى ذلك الراهب المصري المؤرخ « مانيتو – Manetho »[٢] في كتابه المؤلف باليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد[٣] » .

فهذه الجماعة العربية بجموعها – الهكسوس – حكموا سوريا وفلسطين ثم غزوا مصر في نحو عام ١٦٧٥ ق . م . فدخلوها ونشروا لغتهم فيها وأصبحت تابعة لهم . وأسسوا فيها بلدة دعوها باسم « آفاريس – Avaris » ، كانت قرب بحيرة المنزلة ، في شمال شرقي الدلتا ، لتكون وسطاً بين مصر وسوريا . ويعرف مكانها اليوم باسم «صان الحجر» أو «صالحجر» . وكانت اسماء ملوك الهكسوس كنعانية أو آرامية . والغالب ان حكمهم لمصر لم تزد مدته على مائة سنة . وقد كانت امبراطوريتهم ضخمة مترامية الاطراق ممتدة الجوانب من الفرات الى الشلال الأول في مصر ، ولذلك لا يبعد أن تكون مصر وسورية اتحدتا تحت ادارتهم وكوّنا مملكة واحدة[٤] ، فكان ذلك أول وحدة للقطرين عرفها التاريخ .

قال المرحوم الدكتور سليم حسن مؤلف مصر القديمة : « وكان الهكسوس مثقفين ذوي حضارة وعرفان ، فنهلت مصر من موردهم ، واستنارت بمدنيتهم التي انتظمت فنون الحرب ، ونواحي الصناعة ، وأخذت عنهم كثيراً من

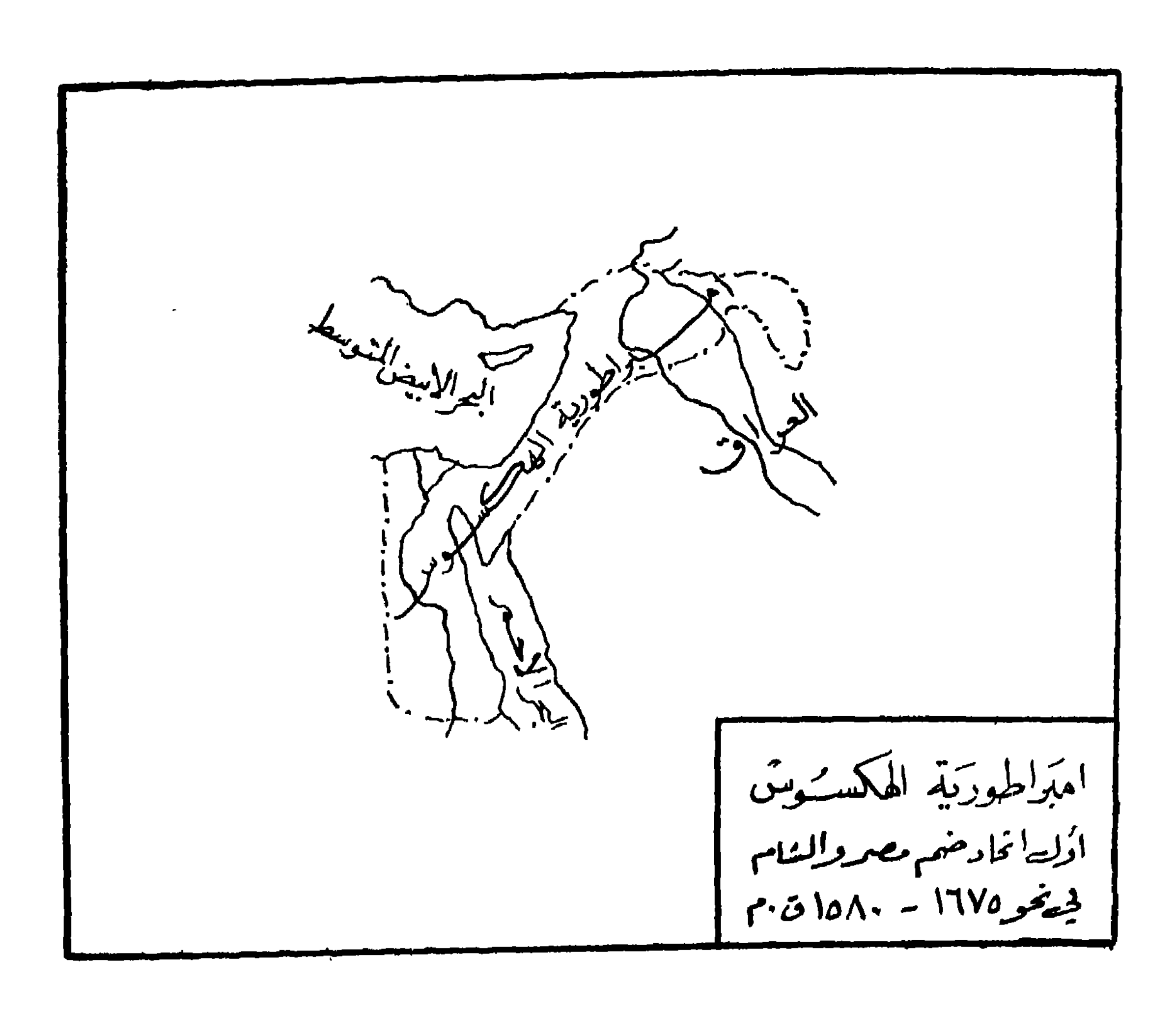
---

١ – تاريخ العلم ٢٣٩/١ القاهرة ١٩٥٧ .

٢ – كاهن مصري من سمنود . عاش أيام بطليموس الأول الذي حكم مصر من عام ٣٠٥ – ٢٨٥ ق. م. صنف تاريخاً عن وطنه ، مصر ، باللغة اليونانية .

٣ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٣٤٢/٢ .

٤ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ١٤٢ .


البحر الأبيض المتوسط
العراق
امبراطورية الهكسوس
أول اتحاد ضم مصر والشام
في نحو ١٦٧٥ - ١٥٨٠ ق.م

المخترعات التي لم تعرف قبل في وادي النيل[١] » .

وقال : « ويتضح من الآثار التي عثروا عليها ان الهكسوس كانوا على جانب عظيم من المدنية ، بل كانوا أكثر تقدماً ، في بعض النواحي من جيرانهم في وادي النيل ، الذين كانوا يعتبرون أقدم منهم[٢] » .

وقال ايضاً : « وقد استمرت ثقافة الهكسوس تطبع الحياة المصرية بطابعها الخاص الى مدة لا يستهان بها في عهد الأسرة الثامنة عشرة التي طردتهم من البلاد[٣] » .

والهكسوس هم الذين أدخلوا الخيل الى القطر المصري[٤] للمرة الأولى ؛ ودرّبوا المصريين على استعمال العجلات الحربية[٥] التي لم تكن معروفة لديهم ، كما علموهم غيرها من الاسلحة الحربية كالدروع التي تلبس فوق الجسم والسيف الحديدي المنحني والقوس المركب[٦] الذي كان قد عرفه الأكاديون في العراق في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد . وذهب البعض الى ان الهكسوس هم الذين أدخلوا زراعة الرمان والتمرحناء والكثير من الزهور وغيرها الى مصر .

---

١ مصر القديمة صفحة (د) من مقدمة الجزء الرابع .

٢ — المصدر نفسه : ١٦٤ .

٣ — نفس المصدر : ٥٦ .

٤ — قال حتي : (وقد دجن الحصان في أزمنة بعيدة في مناطق شرقي بحر قزوين على أيدي القبائل الهندو — أو روبية البدوية . ومن هناك انتقل الى بلاد ما بين النهرين فسورية . ومن ثم دخل الجزيرة العربية قبل التاريخ الميلادي) ـ لبنان في التاريخ ص ٩١ .

٥ — كانت العربات خفيفة ذات عجلتين . وكان رجلان يستقلان كل عربة ، أحدهما للقيادة والآخر للقتال . وكان الأخير مسلحاً بأقواس وسهام ورماح ودرع ، وبذلك كان قائد المركبة يتعرض للخطر الداهم لأنه لم يكن مسلحاً . أما عمله فكان توجيه العربة بحيث تتخذ أحسن وضع يتيح لزميله المقاتل اطلاق سهامه وقذف رماحه .

٦ — وربما كان ادخال هذا القوس المركب الى مصر لا يقل في أهميته عن أهمية الحصان والعربة. فقد كان هذا النوع من الأقواس مصنوعاً من طبقات من الخشب وأوتار العضلات والقرن يغرونها معاً ، وكان يمكن الرمي بمثل هذا القوس الى مسافة أبعد بكثير وبقوة أشد من ذلك القوس الصغير البسيط الذي كان مستعملاً في مصر قبل ذلك . ـ الحضارة المصرية لجون ولسون . تعريب أحمد فخري ص ٢٧١ .

(وبلغت صناعة المعادن في عهدهم ذرى جديدة في سورية ومصر. وتقدمت صناعة الحلى والخزف والعاج والنقش تقدماً بارزاً . وكان الحفر في العظم معروفاً في سورية منذ العصر الحجري ولكن صناعة التنزيل أدخلت غالباً في هذا العصر ، وكانت الأشياء المنزلة في أول الأمر ذات رسوم بسيطة من خطوط ودوائر . ولا تزال صناعة التنزيل التي تقوم على أدخال قطع من العظم أو العاج بقصد الزخرفة في الصناديق الخشبية أو قطع الأثاث صناعة مزدهرة في دمشق . وتظهر أفكار جديدة في صنع الخزف في عهد الهكسوس . وبلغت صناعة الخزف ، وهي من أكثر الصناعات نجاحاً في فلسطين ذروتها في نهاية هذه الفترة[1]) .

وقد عثروا على فخار ملون في « بيت مِرْسم » و « تل كيسان » في سهل عكا وغيرها يعود الى عهد الهكسوس ، كما وجد اسم احد ملوكهم (خيان) منقوشاً في « جازر – أبو شوشة » .

وقال سليم حسن : (كان الهكسوس يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الأجتماعي الصحيح ، فقد خططوا البلدان المنظمة التي راجت فيها التجارة ، فكان الساحل الشامي يزخر بالموانىء الصالحة للتجارة ، وقد كان صانع الفخار عضواً هاماً في الجماعة . فقد كانت أوانيه الجميلة الصنع يوضع فيها محاصيل الحقول الخصبة ، وكان الحداد وصائغ المجوهرات كل ينتج في صناعته بمهارة فائقة ، ولم تشهد من قبل السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط إتقاناً في ميدان صناعة المعادن ، والواقع ان هذا الأتقان لم يكن ميسوراً قبل تقدم عمل السبائك والتفنن فيها ، وهو ما ظهر على يد الهكسوس في صناعتها[2]) .

وبنى الهكسوس مدناً ذات حجم لا بأس به في جبال القدس وأواسط فلسطين ، كما أخذت مدينة « تل العجول » في جنوبي غزة تزداد أهميتها[3] .

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١٥٨/١ .
٢ – مصر القديمة : ١٦٥/٤ .
٣ – الحضارة المصرية لجون ولسون ص ٢٧٠ .

وكان الهكسوس يحصنون مدنهم بسياج مستطيل أو مربع طوله نحو نصف ميل ، تحيط به أسوار مرتفعة وكثيفة ومنحدرة، من الطين المرصوص القاسي . وزيادة في التحصين كانوا ، في غالب الأحيان ، يحفرون خندقاً حوله . وتظهر هذه الحصون في « شكيم – نابلس » و « حاصور » و « أريحا» و «تل العجول» و « تل كيسان » وغيرها .

(وفرض الهكسوس في سورية وفلسطين طبقة اقطاعية حاكمة على السكان المحليين . وكان مجتمعهم منظماً تنظيماً ضعيفاً في دولة إقطاعية نوعاً ، تتمركز فيها الثروة في أرستقراطية مؤلفة من محاربي المركبات بصورة خاصة . وكان النظام تسيطر عليه الصفة العسكرية . وحضارتهم في سورية تشمل القرن الثامن عشر والسابع عشر[١]) .

هذا وقد امتزجت دماء الهكسوس وطرق حياتهم وعاداتهم في نفوس الكنعانيين من أهل البلاد[٢] . ولما أغار اليهود على فلسطين كان الكنعانيون يرتكزون الى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس[٣] .

ويرجح أن نزوح يعقوب وعائلته الى مصر وتسنم ولده « يوسف » أسمى الوظائف كان أثناء حكم الهكسوس على مصر[٤] .

وقد تمكن « أحمس – Ahmose ١٥٨٠ – ١٥٥٧ ق. م . » مؤسس الاسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠ – ١٣٥٠ ق م[٥] في مصر من اخراج الهكسوس من بلاده فنزحوا الى فلسطين وسورية حيث كانوا على رأس اتحاد من امرائها .

تعقب «أحمس» الهكسوس في فلسطين فحاصرهم في «شاروحين» الحصينة،

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/١٥٩ .
٢ – مصر القديمة : ٤/٥٦ .
٣ – نفس المصدر ٤/١٨٥ .
٤ – مصر القديمة ٤/١٩٧ .
٥ – بظهور الأسرة الثامنة عشرة تبتدىء بعصر الدولة الحديثة أو عهد الأمبراطورية .

المار ذكرها ، عام ١٥٧٣ ق.م . مدة ثلاث سنوات – وقبل ست سنوات – . ولما استسلمت المدينة كان أحمس حاضراً ، واشترك في الغنائم . ويعتبر هذا أول حصار من نوعه في التاريخ وبرهاناً قوياً على شدة مقاومة الهكسوس ، وطول صبر أحمس الأول في ذلك الحصار الخطير على حدود القطر المصري[1] . ولم يكتف أحمس باخراج الهكسوس من « شاروحين » بل واصل طردهم وتبعهم الى فنيقية وسوريا .

وفي غزوات احمس القوية أصاب التخريب مدن « تل العجول » و « بيت شمش » و « شيلوه » و « بيت الزور » وغيرها .

وبعد وفاة « أحمس الأول » تولى العرش ابنه « أمنحتب الأول – Amenhotep » ثم « تحتمس الأول – Thutmose » وقد تمكنا من غزو بلاد الشام مرات كثيرة ، مطاردين فيها الهكسوس ، وكلاهما مد فتوحاته حتى نهر الفرات . وفي أيام هذين الفرعونين أخذ أمراء سورية والعرب يقدرون قدر مصر ويعجبون بقوتها ومكانتها فأرسلوا اليها مع البدو وسائر الفلسطينيين الجزية وهدايا ثمينة فتضخمت المالية المصرية ، وساعد هذا تحتمس الأول على إصلاح ما تلف من المعابد والهياكل المصرية التي أهملت زمن الهكسوس[2] .

ويظهر ان الجيوش المصرية كانت تتبع في زحفها على فلسطين طريقاً واحداً وهي انهم كانوا يقطعون ساحل سيناء ، ثم ساحل فلسطين حتى مضايق « وادي عارة » التي تنتهي عند « مجدو » . ومن هناك يعبرون سهل مرج بني عامر فالوهاد الموجودة بين بحيرتي طبريه والحولة ثم ينزلون المضايق الواقعة بالقرب من السفح الغربي لجبل الشيخ وجبال لبنان الشرقية ومنها يسيرون الى وادي الليطاني فبعلبك ثم وادي نهر العاصي فالى سورية الشمالية والفرات .

وفي عهد « تحتمس الثالث (طثميس) ١٥٠١ – ١٤٤٧ ق. م » شقت معظم

---

١ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ١٤٧ .

٢ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ١٧٤ .

البلاد السورية عصا الطاعة على مصر وقد كان ملك « قادش[١] » الهكسوسي صاحب السلطة والنفوذ على كثير من إمارات سورية وفلسطين . ولم يجرؤ أهل جنوبي فلسطين على عصيان مصر لأنهم اعتبروا بما حصل لمدينة « شاروحين »التي ذاقت الأمرين وقت حصار أحمس الأول في حروبه مع الهكسوس . ولذلك جبن سكان جنوبي فلسطين الا قليلاً منهم عن مشاكسة المصريين . ثم استعمل الأهالي في شمالي سورية وفلسطين نفوذهم مؤثرين على أهالي جنوبي فلسطين ليتحدوا معاً في مقاومة المصريين طالبين منهم أن يتركوا لهم بعض القوات والامدادات الحربية في مقابل اشراكهم معهم في ذلك الكفاح . فنجم عن ذلك أن انحاز بعض أهالي جنوبي فلسطين الى الثوار وقامت حرب أهلية مركزها «شاروحين» وامتد العصيان بعد ذلك الى غربي سوريا ثم الى شرقي نهر الفرات[٢] .

زحف تحتمس بجيوشه لإخضاع الثائرين مبتدئاً من مدينة «ثارو — Tharu» قرب القنطرة — وكان ذلك في نحو ١٩ نيسان ١٤٧٩ ق. م. فوصل الى غزة الواقعة على مسافة مائة وستين ميلاً من مدينة « ثارو » في ٢٨ نيسان أي بعد مسيرة تسعة أيام . والمرجح ان عدد جيوشه كانت تتراوح بين عشرين وثلاثين ألفاً[٣] .

اخترقت الجيوش المصرية السهل الساحلي وأرسل تحتمس قائده « جهوتي — Djehuti » ليستولي على يافا فحاصرها ولما امتنعت عليه وعجز عن اقتحامها لجأ الى الحيلة وهي تشبه في بعض نقاطها « قصة علي بابا والأربعين لصاً ». وذلك ان « جهوتي » دعا أمير يافا ، الى وليمة أقيمت خارج المدينة ، وفي أثناء هذه الوليمة قتل المصريون الأمير اليافي وأرسلوا من يخبر زوجته بأن زوجها الأمير

---

١ — وهي غير « قادش » الفلسطينية المار ذكرها . كان موقع هذه المدينة التي بقيت مدة ثلاثة قرون ملتقى الجيوش ، على أكبر تل يقع جنوبي بحيرة حمص أو « قدس » ، على بعد ١٥ كم من مدينة حمص ، ويدعى باسم « تل النبي مند » . ولعل العرب كانوا يعلمون بأن هذا التل تقع عليه مدينة « قادش » القديمة ، مما جعلهم يسمون البحيرة باسم « بحيرة قدس » .

٢ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ١٨٧ .

٣ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ١٨٨ — ١٨٩ .

قتل القائد المصري . وأنــه سيعود الى يافا ومعه (٥٠٠) كيس مملوءة بالغنائم الكثيرة . وعلى أثر ذلك فتحت يافا أبوابها لأميرها . وأدخلت حينئذ الأكياس الخمس مئة محمولة على حمير ، وكان في كل كيس منها جندي يحمل أدواته الحربية. ولما فتحت هذه الأكياس خرج منها المسلحون واستولوا على يافا . وبعد ذلــك أرسل الفاتح أهل يافا الى معابد مصر للعمل فيها حتى الوفاة عبيداً أو إماء[1] .

وأخبر « جهوتي » الملك عن سقوط يافا بما يلي : [إفرح : إن أباك الصالح أمون قد سلمك العدو في يافا ، وكل شعبه ومدينته . أرسل من يأخذهم كأسرى حتى تمــلأ بيت أبيك أمون راع ملك الآلهة بالعبيد الذكور والاناث الذين سيركعون تحت قدميك الى أبد الآبدين][2] .

استمر المصريون في زحفهم فوصلوا بلدة (يحم) أو (يحما) المار ذكرها ، بالقرب من قرية عارة ، والواقعة على مسافة ٨٠ ميلاً من غزة[3] . والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام ، استطاع في خلالها « تحتمس » أن يطلق عيونه على مواقع العدو ومكامنه . ثم عقد الفرعون مجلسه الحربي ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التي يجب أن يقتحمها الجيش الى « مجدو »[4] .

وأخيراً استقر الرأي على الوصول الى « مجدو » عــن طريق المرور بممرات « عرونة — تل عارة » .

وفي ذلك الوقت كانت القوات السورية الثائرة قــد اجتمعت بقيادة ملك قادش وسارت جنوباً حتى آخر حدود حلفائها البالغ عددهم ٣٣٠ أميراً . جاء كل منهم ومعه رجاله وتحصنت في مدينة مجدو المشهورة (التي تساوي ألف مدينة) .

ولما وصلت الجيوش الغازية الى « مجدو » بدأت بحصارها الذي امتد سبعة شهور : من أيار الى كانون الأول . وبعد أن فتــك الجوع بالمحصورين اضطروا

---

١ — للتفصيل راجع بحث « احتلال يافا » في كتاب « سوريــة في الأدب المصري القديم » ١١٠ - ١١٧ .

٢ — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١٤٢/١ .

٣ و ٤ — مصر القديمة ٣٩٨/٤ .

للتسليم وغنم تحتمس غنائم فاخرة الا ان ملك قادش تمكن من الفرار .

استولى المصريون وقتئذ على تسعمائة وأربع وعشرين عجلة حربية وفي ضمنها عجلتا ملك قادش ومجدو (وهما مصنوعتان من الذهب والفضة) ، وعلى ألفين ومائتين وثمانية وثلاثين حصاناً ، وعلى مائتي زرد منها زرد الملكين المذكورين ، وقباب ملك قادش المزركش الغالي ، وعلى ألفين من البهـائم الكبيرة واثنين وعشرين ألفاً وخمسمائة رأس من الغنم وأثاث ملك قادش البديع وصولجانه الفضي وتمثال فضي يحتمل انه تمثال معبوده وتمثال لشخصه مصنوع من الآبنوس الملبس بالذهب واللازورد وكميات كبيرة من الذهب والفضة . ولا يخفى ان الأغنام المذكورة سبيت في الأراضي حول مجدو لأننا ذكرنا ان المدينة سلمت لأن ضغط القحط كان عليها شديداً . وجمع المصريون ما يقرب من مائة وثلاثين ألفـاً من مكاييل الحبـوب من السهول المجاورة علاوة على مـا استنفده الجيش المصري في أثناء حصاره لمجدو[1] .

وهكذا بلغت جيوش تحتمس الثالث مرج بني عامر ، وهـذا أقدم جيش معروف للآن دخل هذا السهل التاريخي الذي أصبح منذ ذلـك الوقت معتركاً حربياً حتى الحرب العالمية الأولى حيث اقتحمه المارشال اللنبي الإنكليزي ، بعد أن ألحق هزيمة ساحقة بجيوش العثمانيين .

جد تحتمس ، بعد استيلائه على مجـدو ، في اللحاق بـأعدائه فوصل الى منحدرات لبنان الجنوبية فقدم له أمراء البلاد خضوعهم وطاعتهم . ثم عاد الى مصر فكان لعودته أكبر سرور . وأقيمت الحفـلات العظيمة ابتهاجاً بالنصر . وقد تلا ذلك غزوات عدة فاستولى على كثير من المدن السورية حـتى وصل الى « كركميش » على الفرات . ولكن سوريـة لم تصبح ولاية مصرية بكل معنى الكلمة ، إلا بعد أن تمكن تحتمس الثالث من اخضاع قادش نهائياً . وبإخضاعها انهـار آخر صرح لمملكة الهكسوس التي حكمت مصر سابقاً . وصارت كنعان

١ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ١٩٣ بتصرف . وصادر الغالبون من القصر الملكي ٨٧ ولداً ونحو ١٨٠٠ من العبيد الذكور والأناث .

— فلسطين — ولاية مصرية نحو أربعة قرون .

قال برستيد : [ان حملات تحتمس الثالث الحربية [١] كانت مرتبة منظمة كأعماله الإدارية ، فبمجرد انتهاء فصل المطر في سوريا وفلسطين ، كان يرافق جيشه في أسطوله الضخم ويبحر الى الموانىء السورية أو الفلسطينية حيث يقدم له الولاة ما يلزمه من الأغذية والمعدات الحربية يجلبونها من البلاد المجاورة . وجرت العادة أن يرافق الملك في حركاته كلها رئيس حجابه المدعو « إنتف » العريق الأصيل ، وكلما زحف تحتمس الثالث في داخلية البلاد كان « إنتف » هذا في المقدمة يستطلع مقاومة الأعداد . وكلما حل بمدينة وأراد المبيت يجهز « إنتف » قصر حاكمها لمليكه . وقد قال إنتف : « إذا وصل سيدي مصحوباً بالسلامة الى المكان الذي أنا فيه كان يجدني قد نظمته وجهزته بكل ما يحتاج اليه في البلاد الأجنبية . وربما فاقت وسائل راحته ونعيمه ما هو بالقطر المصري . كيف لا وقد كنت أنظف الحجرات وأعدها وأرتب أثاث كل حجرة على حسب ما يليق بها . وكنت أرى السرور على وجهه » .

وكان إنتف هذا يشرف أيضاً على ترتيب مقابلات الملك وادارة شؤونه وقت حروبه الكثيرة ، وإذا ما حضر رؤساء سوريا ليقدموا له الجزية ويعلنوا له الولاء والخضوع كان إنتف يقدمهم لجلالته . وكان هذا الأمير يخبر الولاة بالمبالغ والأشياء التي يتحتم عليهم تقديمها للملك ، وهو الذي كان يتسلم الجزية وهدايا الذهب والفضة والخيرات الطبيعية][٢] .

ويعتبر تحتمس الثالث الذي يلقبه مؤرخو الغرب بنابوليون الشرق ، أول رجل في التاريخ أسس امبراطورية حقيقية فهو لذلك أقدم بطل معروف على الأرض [٣] . ولا غرو فقد خضعت لإمبراطورية سورية وأعالي الفرات [٤]

---

١ — بلغت حملات تحتمس الحربية المنظمة في سوريا ست عشرة حملة في خلال عشرين عاماً .

٢ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٢٠٤ — ٢٠٥ .

٣ — نفس المصدر : ٢١١ .

٤ — ان الأمبراطورية المصرية لم تشمل بلاد العراق في عصر من عصورها .

وجزر البحر الأبيض المتـــوسط وشواطىء ليبيا وهضاب الصومال وشلالات النيل العليا .

ويبدو أن من أهم الأسباب التي دعت تحتمس لإقــامة هذه الإمبراطورية ، أن يبعد عن مصر خطر هجوم آخر كهجوم الهكسوس .

ويعتبر عهد تحتمس عهداً ممتازاً في القطر المصري وبلاد الشرق عامة . ولم يظهر في التاريخ الى ذلك العهد ملك جمع إيراد مملكته الشاسعة وأقام عليهـــا ادارة حكومية مركزية ثابتة كما فعل .

ونظراً لما خلفه هذا الفرعون من الذعر والهلع اللذين غرسهما بطشه وجبروته في غزواته المتعددة لسوريا وفلسطين ، فقد ظل اسمه يقذف الرعب في السوريين والفلسطينيين حتى بعد موته بعدة أجيال .

فلسطين من منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد
إلى أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد

بعد وفاة تحتمس الثالث ثارت البلاد على الحكم المصري ، إلا أن المصريين تمكنوا من إخماد تلك الثورات .

وفي أواخر عهد «أمنحتب الثالث – Amenhotep ١٤١١ – ١٣٧٥ق.م» ، الذي رمى بنفسه بين أحضان النساء [١] ، تطلع الحثيون ، وكانوا يحكمون بعض أجزاء آسيا الصغرى ، للاستيلاء على شمالي سورية . وكذلك تعرضت فلسطين لغارات البدو الخابيري – Khabiri المار ذكرهم . وبذلك أخذ سلطان مصر يتدهور في بلادنا .

وفي عهد خليفته « أمنحتب الرابع » أو « اخناتون ١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق.م » تمكن الحثيون من إخضاع معظم شمالى سورية وفينيقية ، كما تمكن الخابيرو ، بمساعدة ولاة البلاد كجازر وعسقلان ، من بسط نفوذهم على معظم فلسطين . فاضطر (عبدي خيبا – Abdi-Khepa) ، الوالي المصري في بيت المقدس أن

---

١ – جاء في خطاب كشف حديثاً في « تل العمارنة » أرسله هذا الفرعون الى أمير جازر « ميلكيلي » يطلب اليه أن يرسل اليه أربعين من العذارى يتخيرهن من حسان قومه وأجملهن قواماً . وأن يكن صبيحات الوجوه ، وليس في احداهن ما يشين جمالها ، أو يزري بمحاسنها... وسأتخذ من هذه الهدية مقياساً لحسن ذوقك وخبرتك . كما طلب « أمنحتب » من « عبدي خيبا» أمير القدس ، أن يرسل له احدى وعشرين فتاة من أبكار بلاده يتمتع بهن في قصره الفرعوني .
مصر القديمة : ٥/٢٠٢ .

يبعث بالرسائل الكثيرة السريعة الى اخناتون مبيناً الخطر على النفوذ المصري في فلسطين راجياً مساعدته على صد بدو الصحراء . وبلغت الثورة وسوء النظام وقتئذٍ درجة سُرقت فيها قوافل الملك علناً تحت جُدُر مدينة يالو . ثم خرب الثوار أريحا وبيت مرسم ونهبوا المعبد المصري في « لخيش » ، والأهم من ذلك تدميرهم لمركز الإدارة الرئيسي الحصين لمصر في غزة .

وإليك ترجمة خطاب والي بيت المقدس الى اخناتون [١] :

[ستضيع جميع أرض جلالتك التي ثارت عليّ . أما إقليم (شيري — Seir) الواصل الى « جنتي كرمل — Genti-Kirmil » فقد شق عصا الطاعة عليّ وكذلك أمراؤه . لقد كانت سفن جلالتك الساعد القوي في بسط سلطتك على بلاد النهرين وقادِش ، أما الآن فقد احتل بدو الخابيري بلاد فرعون. ولم يبق لسيدي والى مطيع فالكل عصاه ... ليحترس الملك على قطائعه وبلاده ... وليرسل المدد ... لأنه إذا لم تصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات جلالة فرعون سدى ... وإذا تعسر إرسال جنود هذه السنة فليرسل جلالة فرعون ضابطاً يلازمني للحضور أنا واخواني كي نموت مع سيدنا الملك] .

وذكر « عبدي خيبا» في آخر خطابه حاشية لكاتب أخناتون هذه ترجمتها:

[اطلع جلالة سيدي فرعون على هذه الكلمات : إن جميع اراضي سيدي فرعون سائرة نحو الضياع . أخذ الفلسطينيون يهاجرون رعباً من فظائع بدو الخابيري. فتركوا بلادهم واعتصموا بالجبال ... والتجأ بعضهم الى مصر . حيث وصفهم الضابط المصري المنوط بهم بقوله : (لقد أتلفت أمتعتهم وحطمت مدنهم وأحرقت حاصلاتهم ... وضرب الجوع أطنابه في بلادهم وهم فوق الجبال كالأغنام[٣])] .

أرسل فرعون مصر ، أخناتون ، حملة بقيادة (بيخورو — Bikhuru [٢])

---

١ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٢٥٧ .

٢ — تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٢٥٨ .

٣ — كان اخناتون قد عين قائده هذا ، في وقت ما ، والياً على الجليل .

أحد قواده ، الا انه لم يتمكن من إخضاع الثائرين . وبذلك خرجت معظم سوريا وفلسطين من أيدي المصريين . وقد يئس ولاة مصر في جنوبي فلسطين من اصلاح الحالة والاحتفاظ بنفوذ فرعون فقتل بعضهم وانضم الباقون الى الخابيرو وبذلك تقلص ظل المصريين عن هذه البلاد .

وقد عثر الباحثون في « تل العمارنة »[1] بمصر عام ١٨٨٧ م على نحو ثلاثمائة لوحة خزفية مكتوبة بالخط المسماري ، عرف أنها المراسلات الدبلوماسية التي وجهها ملوك المدن الكنعانية وولاتها الى الملكين « أمنحتب الثالث » و « أمنحتب الرابع » المار ذكرهما . واكثر هذه المراسلات استغاثة أولئك الملوك والولاة لكي يبعث ملك مصر بنجدته لصد غارات الحثيين والبدو – الخابيرو – . وكانت هذه المكاتبات مكتوبة باللسان البابلي ، اللسان الشائع في جميع المنطقة في تلك الحقبة .

[ويجب أن نذكر أن كنعان في هذه الفترة كانت مجزأة بين مصر والمملكة الحثية . ويبدو من هذه الرسائل أن أمراء المدن الكنعانية المستقلة كانوا يحاولون بث الدسائس قصد الوقيعة بين الدولتين المصرية والحثية . هذا على الصعيد الدولي ، أما على الصعيد الوطني فقد كان الأمراء يحيكون المؤمرات ويدبرون المكايد بعضهم ضد البعض الآخر . ومما زاد في شدة الفوضى عصابات متجولة تعرف بقبائل الخابيرو (والتي لا يجب ان يخلط بينها وبين العبران) التي كانت تغير على المدن والقرى عابثة في الأرض فساداً][2] .

---

١ – هجر « أمنحتب الرابع » العاصمة ـ طيبة ، الأقصر الحالية ـ وأقام مدينته الجديدة « أخت أتون ـ Akhetaton » ونقل اليها الوثائق الخاصة بالمراسلات السياسية . وتقوم اليوم على خرائب العاصمة الجديدة هذه ، التي هدمت وخربت بعدئذ ، قرية تعرف باسم « تل العمارنة» على النيل في شمالي أسيوط ، وعلى مسافة ٢٠٠ ميل الى الجنوب من القاهرة . والعمارنة ، جمع عمران ، وهي قبيلة عربية من ثعلبة طيء من القحطانية ، سكنت هناك في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي .

والألواح الخزفية المكتشفة في هذه القرية هي مصدرنا التاريخي الرئيسي عن تلك الفترة .

٢ – لبنان في التاريخ : ٩٨ .

ظلت فلسطين حرة خارجة عن حكم مصر حتى السنة الأولى من عهد « سيتي الأول — Seti ١٣١٧ — ١٣٠١ ق . م . » أحـــد ملوك الدولة التاسعة عشرة (١٣٥٠ — ١٢٠٥ ق . م .) الذي زحفت جيوشه فاحتلت بلاد بئر السبع ، فقابله هناك بدو تلك الجهات المعروفـة باسم (الشاسو) أو (الشوس) فشتت شملهم ، واستمر في زحفه الى مرج بني عامر ومنه عبر الغور فاحتل حَوران حتى بلغ جنوبي لبنان . وقد تعددت غزوات سيتي لفلسطين وسورية . ويمكن القول ان كل ما أحدثه هذا الفرعون هو أن املاك مصر وصلت وقتئذٍ ، بوجه التقريب ، الى جنوب نهر الليطاني أي الى ما يقرب من ثلث ممتلكاتها السابقة في بلاد الشام . ولذلـــك كان طبيعياً أن يستمر « سيتي » في فتوحاتـه ، فالتقى بالجيوش الحثية ، ويظهر انه رأى عـــدم الفائدة من نضالهم لرسوخ قدمهم في سورية .

والحثيون ، وقد مرّ ذكرهم ، اشتهروا ببسالتهم وعنـــادهم في الحروب ، وكانت مشاتهم مسلحين بالقوس والنشاب والسيف والرمح ، وفي أغلب الأحيان بالبلط أيضاً . وأهم فرقهم العجلات ، وقد كانت العجلة الواحدة لثلاثة رجال . ولما طمعوا في السيطرة على سورية اصطدموا فيها مع المصريين . فكانت بينهم حروب امتدت سنين طويلة .

ولما توفي سيتي الأول خلفه ابنه « رعمسيس الثـاني — Ramses ١٣٠١ — ١٢٢٤ ق.م.» على العرش. عادت الحرب بين المصريين والحثيين. فجهز رعمسيس الجيوش الجرارة وزحف بها في السنة الخامسة من حكمه[1] . وكان لا يزال في ريعان الشباب ممتلئاً حمـــاسة وقوة . فاجتاز فلسطين ثم وصل الى نهر العاصي فمدينة قـــادش ، حيث نصب معسكره وبقي هناك أياماً يُرسل طلائع جيشه

---

١ — كان رعمسيس قبل ذلك قد غزا فنيقية لمعرفة مدى استفادته من سواحلها في محاربـــة الحثيين . ولما رجع الى بلاده نقش على صخرة ، عند نهر الكلب ، نقشاً خلد به غزوته هـــذه . والنهر المذكور، وطوله سبعة كيلومترات ، يصب في جنوبي بلدة جونية على مسيرة نحو ١٢ كم من شمال بيروت في البحر .

ليستطلع آثار العدو ، ثم جاء الى معسكره اثنان من البدو ، زعما أنهما هربا من الجيوش الحثية ، وان ملك الحثيين تقهقر شمالاً الى حلب . فصدق رعمسيس الخبر ، وذهب بقسم من جيشه نحو « قادش » بعد أن أمر باقي الجيش باللحاق به . وكانت حيلة من ملك قادش أراد بها أن يغدر برعمسيس . فلما رأى ان حيلته قد نجحت فاجأ فرعون مصر على غير استعداد ففصل بينه وبين معظم جيشه . ولم يبق معه إلا حاشية وقليل من جنوده المخلصين . فلولا شجاعة رعمسيس وقوته الذاتية التي أدهش بها الأعداء لقضت عليه فرق العجلات الحثية قضاءً عاجلاً . ولكنه تمكن بشجاعته النادرة من مقاومة الأعداء نحو ثلاث ساعات حتى أدركته بقية جيوشه، فنجا من الخطر المحدق به . وتعد هذه المعركة من أعظم المعارك المعروفة في التاريخ القديم . وبعدها جمع فرعون مصر ما بقي من جيشه وعاد الى مصر . فكان نجاحه الوحيد في هذه المعارك، التي غلب فيها، هو نجاته من القتل أو الأسر .

فهذه الهزيمة أثرت في ولاة فلسطين فنزعوا من قلوبهم خشية مصر، وخرجوا عليها . ولما علم بذلك رعمسيس عاد الى فلسطين وقضى ثلاث سنوات يحارب لإخضاعها فتمكن من استرداد عسقلان والقدس والكرمل . ثم عادت الحرب بينه وبين الحثيين سجالاً مدة ست عشرة سنة حتى ملّ الفريقان فأبرما الصلح في نحو عام ١٢٦٩ ق . م . وانقضى النزاع ولم تتم الغلبة لأحد . وبموجب الصلح المعقود بينهما كان على الطرفين ان يمسكا عن الحرب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وأن يساعد كل فريق الآخر في حالة هجوم دولة أخرى عليه .

ولما أتى ملك الحثيين في نحو عام ١٢٥٦ ق . م . لزيارة مصر ومعه ابنته ليزفها زوجة لرعمسيس أقام له هذا مهرجاناً عظيماً ، واستقبله بحفاوة نادرة . فعد الشعب المصري مجيء ملك الحثيين الى ديارهم خضوعاً لفرعونهم .

فمعاهدة الصلح بين المصريين والحثيين هي أقدم معاهدة دولية معروفة عُثر عليها بنصها . ويظهر ان هذا الاتفاق كان يجعل « قادش » و « جُبَيْل » حداً . فجنوبها للمصريين وشمالها للحثيين . فساد السلام بعدها بين البلدين ، فأمنت

السبل وراجت التجارة براً وبحراً .

وقد حافظ الفريقان على العمل بمقتضى هذه المعاهدة . ولم يرو لنا التاريخ حدوث حرب أو نزاع بين الأمتين خلال تلك المدة الطويلة . ويبدو أن هذه الحروب المشؤومة أضعفت البلاد فسهلت للفلسطينيين غزوها من البحر ، ولليهود غزوها من الشرق كما سيأتي بيانه .

وقد ثار أهل فلسطين حوالي عام ١٢٢٣ ق.م. في أيام« مرنفتاح بن رعمسيس Merenptah ١٢٢٤ – ١٢١٥ ق . م . » واشترك في هذه الثورة أهالي غربي سورية . والظاهر أن «مرنفتاح» توجه بنفسه لإخضاع الثائرين . فأخذ عسقلان ثم توجه لجازر التي دافعت عن نفسها دفاعاً مجيداً . حتى اضطر مرنفتاح أن يحاصرها فسلمت له أخيراً ، فنحل لنفسه بعدئذٍ لقب « محاصر جازر » وكان له في اخضاعها الشرف[1] .

لقد كانت الصدمة التي وجهها هذا الفرعون للعصاة شديدة للغاية تمكن بها من اخضاع فلسطين اخضاعاً تاماً[2] . توفي « مرنفتاح » أو « مرنبتاح » على رأي آخر ، عام ١٢١٥ ق . م . ودفن بطيبة بالوادي الذي دفن فيه اجداده . وقيل إن الضغط على اليهود في مصر كان في عهد أبيه رعمسيس، وأن خروجهم، بقيادة موسى ، كان في ايام حكم « مرنفتاح » .

* * *

وقد عثر على وثيقة أدبية يعود تاريخها الى النصف الأول من حكم الأسرة التاسعة عشرة ١٣٥٠ – ١٢٠٥ ق . م. جاء فيها ذكر لبعض البلدان الشامية بقلم رحالة مصري رحل اليها وصوّر الرحالة سياحته بأنها ملآى بمخاطر قاسية. ولما ذكر بعض المواقع في جبال لبنان قال إنه يكثر فيها العلّيق والبلوط وأشجار الأرز الباسقة . وان أسودها أكثر من الفهود والضباع ، وان البدو يحيطون بها من كل جانب ، وان الخيل والعربة كانت تتسلق مرتفعاتها بصعوبة

١ و ٢ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٣١٤ .

كبيرة . والأماكن التي زارها الرحالة هي شمال سورية وقادش وجُبيل وصَربا وبيروت وصيدا ونهر فازانا — الليطاني اليوم — وصور التي يؤخذ اليها الماء في القوارب [١] . وكانت غنية بالسمك حتى أنه كان فيها أكثر من الرمال . و (باككنا — عكا) و « مجدو » ونهر الأردن وغزة ورفح ويافا — ذات المراعي الخضراء والجنائن الجميلة والثمار الناضجة من كل نوع . اما الفتاة التي تقوم بحراسة الكرم فهي جميلة للغاية وتسحر بنظراتها الألباب — واكشاف وغيرها[٢] .

* * *

سمح رعمسيس الثالث ١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م . مؤسس الأسرة العشرين ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م. لبعض القبائل الايجية أن يستقروا في سواحل فلسطين الجنوبية كما سيأتي ذكره. وبعد وفاة رعمسيس الثالث كان خلفاؤه ضعافاً فانعدم نفوذ مصر بسوريا تماماً . اما نفوذها على فلسطين فلم يكن الا اسمياً حتى انه في السنة الخامسة من أيام رعمسيس الثاني عشر ١١١٨ — ١٠٩٠ ق . م. مَرّ رسول مصري يسدعى « وينامون — Wenamon » بمدينة « دور — الطنطورا » في طريقه الى « جُبَيْل » لإحضار الخشب اللازم لمعابد مصر. ولما وصل « وينامون » الطنطورا سرقت أمواله . وتتألف من أواني الذهب وزنها خمس دبنات[٣] ، وأواني فضية يبلغ مقدارها عشرين دبناً ، وفضة في كيس يبلغ مقدارها ١١ دبناً . فعمد « ويناموين » الى حاكم المدينة ، وكان من « الثكل » الآتي ذكرهم ، وقص عليه ما حصل له . فرفض مساعدته واضطر ويناموين أن يمكث بدوره تسعة أيام بلا جدوى[٤] .

---

١ — وذلك لأن صور كانت تقع على جزيرة صخرية . والكلمة ، كنعانية بمعنى « صخر » .

٢ — للتفصيل راجع « مغامرات في مساجلة » . ص ٦٦ — ٧٦ من كتاب : سورية في الأدب المصري القديم .

٣ — الدبن يساوي ٩١ غراماً .

٤ - تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ٣٤٦ . وللتفصيل عن رحلة « ويناموين » لسوريةراجع ذلك في « سورية في الأدب المصري القديم » ص ٧٧ — ١٠٠ ، و « مصر القديمة » لسليم حسن ٥٠٩/٧ القاهرة ١٩٥٠ .

الحكم المصري في فلسطين

« من أوائل القرن السادس عشر الى خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد » .

قال جون ولسون : [... أقام تحتمس في آسيا حكماً عسكرياً وسياسياً ، وعين مندوباً سامياً للمنطقة كلها ، ومفتشين مقيمين في المدن الهامة للإشراف على الأمراء المحليين ، وجعل من غزة في فلسطين المركز الرئيسي للإدارة : فإن هذه المدينة لم تثر على تحتمس الثالث في أيام موقعة مجدو ، ولم تذكر بين المدن التي أخضعها . وكان في غزة القديمة حصن من النوع الذي يطلق عليه الآسيويون اسم «مجدل»واستخدمه المصريون ليكون مركز السيطرة على أول الطريق الرئيسي الذي يسير الى فلسطين — سوريا . وعلى هذا الطريق كان يسافر « مبعوثو الملك الى جميع البلاد الاجنبية » . فقد كان هؤلاء المبعوثون لفيفاً من الرجال المخاطرين الأشداء،الذين كانوا يركبون عرباتهم ويسيرون بها في بلاد وعرة غير آمنة،ليقوموا بواجبهم كرسل فرعون وسفرائه . وكانوا يحملون رُقماً من الطين محررة باللغة الدبلوماسية في تلك الأيام، وهي المسارية الأكدية ، يحملونها من طيبة ليوصلوها الى بوغاز كوي ، في الأناضول ، أو يسيرون بها من تل العمارنة الى جبيل ، يؤدون بذلك عملاً جليلاً لربط أطراف امبراطورية كانت طرق المواصلات فيها على أبسط حالة بدائية . وأحسن تحتمس الثالث تنظيم تلك الأمبراطورية الى الحد الذي مكن هؤلاء الناقلين للبريد من السفر مئات الأميال بعيداً عن مصر وهم آمنون على أنفسهم[1]] .

قال برستيد : [إن الفراعنة لم يسبق لهم أن خبروا تنظيم الممالك لأن هذه كانت أول مملكة عندهم من هذا النوع . ولعدم الخبرة الكافية في تولي الأحكام عجزوا عن ضبط الحكم في سورية ، فكان حكمهم فيها مختلاً معتلاً، وكانت مصر مقام حاكم للبلدان الشرقية ، فكان على عمال مصر فيها ان يرسلوا اليها تقاريرهم كل عن القسم الذي يتولى إرادته من البلاد المقهورة. وكانت تحت إمرة كل من أولئك

---

١ – الحضارة المصرية : ٢٩٨ – ٢٩٩ .

العمال قوة عسكرية -في الغالب سودانية- لحفظ النظام واستتباب الأمن والراحة في البلاد ، وجباية الجزية من الأمراء الوطنيين[1] الذين أقرّهم المصريون ، يوم فتحوا بلادهم ، في مراكزهم ، ولم يطلبوا منهم سوى الاعتراف بالسيادة العليا لمصر وتأدية الجزية[2] المضروبة عليهم . وجـاء المصريون بأبناء هؤلاء الامراء ليكونوا رهائن عنـدهم على ولاء والديهم وليربوهم كمصريين . وكان فرعون عند وفاة أمير منهم يأمر بأرسال ابنه الذي يكون قد تخلق بأخلاق المصريين ليحكم مكان أبيه . وهاكم ما كتبه أحد أولئك الأمراء السوريين . قـال : « لما كنت صغيراً أحضرني مندوب مصر السامي[3] الى مصر حيث قمت على خدمة مولاي بأن كنت حاجباً لدى بابه » . وكتب عبدي خيبا ، أمير القدس : « لا أبي ولا أمي بل يد الملك القوية أجلستني في بيت آبائي » . ولم يكن اهتمام مصر بسوريا منصرفاً الى تأييد السلام وحفظ النظام في بلاد اختل أمنها وتشوش نظامهـا ، بل كان جل ما طمح المصريون اليه،وأجمع رأيهم عليه هو استنضاب معين ثروتها وموارد رزقها إشباعاً لمطامعهم . وكانت مصر ترسل سفنها كل سنة لتحمل اليها مقادير كبيرة من محـاصيل البلاد من غنم ومعزى وخشب وحنطة وخمر وزيت وأشياء أخرى من السلع النفيسة ، بعضهـا من صنع سورية ، والبعض الآخر من صنع بلدان أخرى شتى تصل اليها بطريق التبادل التجاري بينها وبين البلدان الواقعة الى الشرق منهـا . وكان يرمز الى حكم مصر لسورية وفلسطين بتشييد هياكل في مراكز الحكومة ، كانوا ينصبون فيها تماثيل آلهة مصر وفراعنتها .

١ – « يرجح ان أمراء تلك البـلاد كانوا يجمعون الضرائب بأنفسهم ويبعثون ببعضها الى فرعون مصر . ولا نزال نجهل المقدار المسموح لكل أمير ان يستبقيه لنفسه ، كما اننا لا نعرف بالضبط مقدار الجزيـة التي كان يأخذها فرعون من البلاد الآسيوية » - تاريـخ مصر الى الفتح الفارسي ٢١٤ - .

٢ – كانت الجزية تتألف من الحبوب والزيوت والخمر والعبيد والاماء الأحداث . هـذا الى خيول وثيران وماشية وأخشاب ثمينة وذهب وفضة ونحاس وقصدير فضلاً عن منتوجات مصانع البلاد المختلفة ، وأواني الزينة المصنوعة والحلاة بالأزهار وغيرها .

٣ – كان تحوتي ، فاتح يافا ، في عهد تحتمس الثالث ، أول حاكم عين لسوريا . وكان يلقب « حاكم البلاد الشمالية » .

فعلى هذا النمط كان حكم مصر لسورية : كان موصوفاً بالرخاوة والفساد ، واهي الأركان متداعي الجدران فينهار سريعاً إذا لها الفراعنة عن الأمور الحربية وراء حدود بلادهم[1]] .

وقال حتي : [ولم تكن القرون الأربعة للحكم المصري كافيــة لجعل سورية مصرية ، كما ان أربعة قرون من الحكم التركي لم تكن كافية لجعل سورية تركية . ولم يتأثر السكان الوطنيون الا قليلاً بالفكرة واللغة المصريتين.وبقيت بضع كلمات مصرية في العربية الحديثة ، ولكن معظمها انتقلت بطريق اليونانية والقبطية . وفي العصور الفنيقية ، كما في العصر الحديث، هاجر كثير من السوريين الى وادي النيل ولكن قليلين جداً من المصريين هاجروا الى سورية . وكان معظم العلاقات التجارية بيد الفنيقيين . ويبدو أن إقليم مصر كان لا يسمح لسكانهــا بالعيش في بــلاد أخرى خاصة حيث الأمطــار وموجات البرد في الشتاء تتطلب مقدرة على المقاومة . وقد قال المثل الشائع ان من اعتاد على شرب مــاء النيل يجب أن يشرب منه دائماً[2]] .

وقال مثل ذلك المرحوم سليم حسن في مصر القديمة : ١٨٧/٥ .

* * *

كانت اللغة المصرية القديمة منتشرة في جميع المدن الفلسطينية المشهورة ، وخاصة في بَيْسان ، كما كانت اللغة الكنعانية منتشرة في كثير من مــدن مصر الشمالية . واللغة المصرية القديمة ، التي كان يتكلم بها المصريون القدماء قريبة جداً في أصول مفرداتهــا من لغات البربر وإفريقية الشرقية ، كما تشبه اللغات السامية في كثير من قواعدها . وهذه اللغة تقلبت في أطوار عــدة انتهت باللغة القبطية الأخيرة التي استمرت حتى احتل العرب المسلمون مصر في القرن السابــع للميلاد (٢٠ هـ : ٦٤٠ م .) وفي عهد الوليد بن عبــد الملك الأموي رؤي استبدالها باللغة العربية عام ٧١٤ م . وفي عام ٩٩٧ م أمر الحاكم بأمر الله الفاطمي بإبطالها

---

١ – العصور القديمة : ٦٩ – ٧٠ .

٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١٤٨/١ .

ومعاقبة المتكلمين بها . إلا أنها بقيت في مصر وعلى وجه محدود جداً الى القرن الرابع عشر الميلادي .

وكلمة Copt الأوروبية مأخوذة من كلمة « قبط » العربية وهذه محرفة عن « ايجبتوس – Aigyptos » اليونانية ومعناها مصري .

ومن الكلمات القبطية التي تسربت إلى العربية :

(١) **مدمّس** : وهـو الفول المطبوخ بالطريقة المعروفـة . واسمه القديم « متمس » أي الفول المطمور .

(٢) **بيصارة** : وهي الفول المسلوق بالطريقة المعروفـة . واسمها القديم « بيصورو » ومعناها : الفول المطبوخ .

(٣) **مِش** ؛ بكسر أوله . وهو صلصة الجبنة القديمة .

(٤) **حَلّوم** ؛ واسمها القديم « حالوم » . وهي الجبنة . وتطلق اليـوم على بعض الأنواع الجيدة منها .

(٥) **ياما** ؛ بمعنى كثير . وهي الكلمة القبطية (آما) .

(٦) **شوب** ؛ بمعنى حار .

(٧) **إمْبُو** : بمعنى شرب أو ماء . وأصلها مأخـوذ عن كلمة (امبمو) القبطية بمعنى إشرب .

(٨) **مَمْ** : بفتح أوله . بمعنى أكل . مأخـوذة عن القبطية (موم) بمعنى : كُلْ .

(٩) **البرسيم** : النبات المعروف بهذا الإسم .

(١٠) **فوطة** : وهي المنشفة .

(١١) **واوا** : بمعنى ألم أو وجع أو ورم .

(١٢) **ست** ؛ بمعنى السيدة و « سي » بمعنى الرجل .

(١٣) **طوب** ؛ بمعناها المعروف . ويراد بها كلمة « اللبِـن » – بكسر الباء. و « دُبُش » ومعناها الطوب الصغير أو الحجر الصغير غير المنحوت .

(١٤) **الشونة** ؛ أصلها (شوني) وتستعمل بمعناها المعروف اليوم : مخزن

غــــلال .

(١٥) **الفاس** ؛ أصلها « فوسي » و « الطورية » وأصلها « طوري » .

(١٦) **واحة** ؛ كلمة مصرية قديمة تطلق ، كما نعـــلم ، على البقعة الخضراء في وسط الصحراء ، وتنبجس فيها المياه .

(١٧) **بُعْبُع** ؛ بمعنـــى « عفريت » وتستعمل لتخويف الأطفـــال وأصلها (بوبو) وهو اسم عفريت مصري ، يصوَّر بهيئة بشعة ومخيفة جداً .

(١٨) **كُخ** : كلمة قديمة بمعنى قذارة .

.وللتفصيل راجع كتاب (آثار حضارة الفراعنة في حياتنـــا الحالية » لمحرم كمال،القاهرة ١٩٥٦ .

* * *

ومن الآثار المصرية التي عثروا عليها في فلسطين : جعران أثري منقوش عليه اسم الفرعون « امنحتب الثالث » ، في لخيش ، وبقايا قلعة مصرية في بيسان وُجد عليها لوحات تعود بتاريخها الى عهد « سيتي الأول » و « رعمسيس الثاني » كما عثر فيها أيضاً على تمثال لرعمسيس الثالث . وفي « مجــــدو » على قاعدة تمثال لرعمسيس السادس ، وعلى نقش عليـــه اسم « شيشنق » الفرعون المصري . وفي « سبسطية » وجدوا إناءً فاخراً من المرمر عليه اسم « اوسركون الثـــاني ٨٧٠ ــ ٨٤٧ ق . م . » من ملوك الأسرة الثانية والعشرين . وغيرها .

* * *

وأخيراً نازع الكنعانيين ، سكان البلاد ، قومان مختلفان عن بعضهما البعض، أغارا على البلاد ، في عصر واحد وهما « الفلسطينيون » و « اليهود ».

قال حتي : [وقد كانت بلاد كنعان قبل هذا الغزو الفلسطيني قـــد أصيبت بالفقر والخراب ، وكان أهلوهـــا قد ذلت نفوسهم وفقدوا كل بأس ونشاط ، وذلك من جراء الحملات العسكرية التأديبية العديدة التي قام بهـــا فراعنة مصر ضد بلاد كنعان ، ومن جراء فداحـــة الجزية والغرامات التي كان المصريون

يفرضونها على السكان . فلم يستطع أهل كنعان أن يصمدوا في وجـه الغازي من جهة الصحراء . (أي جموع العبرانيين) ولا أن يقاوموا هذه الشعوب القادمـة من وراء البحار (الفلسطينيين)] [1] .

ولا شك أيضاً أن مـــا كان بين ملوك الكنعانيين من الإنشقاق والحروب ، وضعف الدولة المصرية التي لم تكن قادرة على السيطرة التامة على البلاد (في نحو ١١٠٠ ق.م) ، وآشور التي لم تكن قد نشطت بعد لاكتساح سوريـة ؛ كانت من الأسباب التي مهدت لليهود الإستيلاء على بلادنا . ولولا ذلك جميعه لتعذر على القائد يوشع – يشوع اليهودي وجنده افتتاح هذه البلاد ، ولتغير مجرى تاريخها وتاريخ اليهود .

وفي النهاية كان مقدراً أن ينتصر اليهود ، بعد معارك داميـــة بينهم وبين الكنعانيين الذين كانت مقاومتهم باسلة وعنيفـــة ، كما ذكرنا ذلك في محله . قهر اليهود الكنعانيين فقتلوا ملوكهم وتملكوا أرضهم ، ودمروا مدنهم فالتجأ قسم عظيم منهم إلى ديار أبناء عمهم الفنيقيين ، ومن بقي منهم امتزج بغيرهم من الأمم الأخرى .

١ - لبنان في التاريخ : ١١١ - ١١٢ .

الفلسطينيون

زحف الهنديون — الأوروبيون على بلاد اليونان وجزائرها في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد فاضطر سكانهـا « الإيجيون »[1] الى الفرار ، فقطعوا البحر وأخذوا يفدون على سواحل سورية ومصر وتمكن « مرنفتاح » الفرعون المصري من صدهم في حوالي ١٢٢٥ ق . م .

ثم كثرت هذه الهجمات في عهد خلفاء « مِرْنِفْتاح» الى أن تمكن رعمسيس

---

١ – الأيجيون دعوا بذلك نسبة الى بحر ايجه الواقع بين آسيا الصغرى وبلاد اليونان . ويمتاز بكثرة جزره المنتشرة فيه على مسافات قريبة، وهي بقايا أرض ممتدةمن آسيا الى اوروبا لم يغمرها الماء لارتفاعها .

إن أكبر هذه الجزائر هي « كريت » التي تعد أقرب جزر أوروبا الى مصر ، وقد كانت طيلة ألف وستمائة سنة تقريباً (٣٠٠٠ – ١٤٠٠ ق. م) موطناً لحضارة زاهرة نشرت نفوذها في كل جزر بحر ايجه وشواطىء الأناضول ، وقسم من شبه جزيرة البلقان . وامتد هذا النفوذ غرباً حتى شواطىء « صقلية » . وتعد الحضارة الايجية المذكورة أصل الحضارة الاغريقية .

إن سكان كريت وغيرها من الجزر والبـلاد المجاورة قوم يعرفون بالايجيين ، وهم من الشعوب البيضاء التي امتازت بصفاء الذهن والذكاء ولا ينتمون الى عنصر معين واحد ، بل يرجح أنهم من عناصر مختلفة ولا يتصل نسبهم باليونان المعروفين في التاريخ . وقد أثبتت الحفريات الأخيرة أن كريت كانت مقر الحضارة الايجية . وقد بلغت عاصمتها « كنوسوس » أوج عظمتها في المدنية في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد . وقد أتقن الكريتيون صنع الأواني الخزفيـة اتقاناً لم يبلغه الصناع المصريون .

والذي قضى على الايجيين هؤلاء هم اليونان الذين يعودون بنسبهم الى الآريين : — الهنديـين الأوروبيين. وقد نشأ عن غزو اليونانيين لبلاد ايجه هجرة جماعات كثيرة من سكان كريت والجزر الأخرى الى مختلف شواطىء القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. ومن هذه الجماعات المهاجرة (بكسر الجيم) « الشكاليون » و « الفلسطينيون » .

الثالث ١١٩٨ – ١١٦٧ ق . م . المار ذكره أن يصد هـؤلاء الغزاة في معركة بحرية وبرية في عام ١١٩١ ق . م . ففي الآثار المصرية مشهد من الصور الناتئة تمثل لنا صورة لهـذه المعركة البحرية التي نشبت في مكان مجهول من سواحـل سورية ، ولعل هذا المكان المجهول كان في عـكا أو في « دور – الطنطورا » أو فيما بينهما .

[... ويستدل من صور تلك المعركة أن جنود رعمسيس السردينيين شقوا صفوف اعدائه واستولوا على عجلاتهم[1] ، ولما كانت قوات الاعداء تشمل أيضاً بعض السردينيين ، اضطر هؤلاء الأخيرون أن يحاربوا أبناء وطنهم المنتمين الى الطرف الثاني . وقـد تمكن رعمسيس الثالث من الوصول الى ميناء على شاطىء فنيقية راقب منها سير المعركة البحرية التي دارت رحاها بين أسطوله وأسطول اعدائه ، وأدار حركة الدفاع من الشاطىء . اما الأسطول المصري فكان مزوداً بخيرة البحارة المصريين المسلحين جيداً ، ولذلك ألحقوا الهزيمـة والتلف بسفن الأعداء قبل ان تصل الى الشاطىء . ومما زاد الطين بلة أن رعمسيس وضع على الشاطىء المقابل لمكان المعركة قوة برية مصرية مسلحة بالسهام صُوِّبت أسلحتها الفتاكة نحو رجال أسطول العدو فأصلتهم ناراً حامية ، واشترك في القتال فرمى اعداءه بسهامه . وبعد ذلـك تقدم الأسطول المصري نحو الاسطول الأجنبي ليحتل وحداته ويفتك برجاله ، فانتشر الذعر بين الأعداء ، وانعدم النظـام بينهم ، فغرق من سفنهم ما غرق ، ثم دب الرعب في نفوسهم فوجموا لما أصابهم والقوا سلاحهم في البحر ، وكانت سهام جلالته تصيب جسم كل من يصوبها نحوه فتردية في الماء قتيلاً .

وبعد ذلك سحبت السفن مقلوبة الى الشاطىء وكانت القتلى كوماً مكدسة على ظهر السفن من مقدمها الى مؤخرها ، وألقيت جميع أمتعة الأعداء في البحر ، تذكاراً لمصر ، ومن حاول من الأعداء الهرب عـائماً نحو الشاطىء تأسره القوات

---

١ – كان لهؤلاء الوافدين عجلات حربية ضخمة ، كل واحدة لها عجلتان تجرها ثيران .

المصرية هناك] [1] .

وقال المرحوم سليم حسن : « وقـد انتهت المعركة بالنصر المبين ، وهي أول موقعة حربية بحرية مصورة عرفت في التاريخ العالمي . وقد ظهرت فيهـا كل الحركات الحربية التي جرت خلال المعركة بشكل رائع » [2] .

وفي احدى هجمات هؤلاء الإيجيين، أو سكان البحر كما يسميهم المصريون ، لفلسطين كان عددهم كافياً لاحتلال ساحلها فسمح لهم رعمسيس الثـالث بنزولهم بصورة دائمة ، واستقرت مجموعة « الثكاليين – Thekel » أو « ثكر » منهم في « دور – الطنطورا » جنوبي الكرمل وأسسوا لأنفسهم دويلة مستقلة . والغالب ان الثكاليين هؤلاء من جزيرة « صِقلـِّيَّة [3] » إلا أنــه لم ترد أخبار عنهم في تاريخ اليهود ، فلا يبعد أنهم تفرقوا واختلطوا مع الكنعانيين القاطنين بالأراضي الممتدة بين بيسان ومرج بني عامر ومجدّو حتى الساحل [4] .

وأمـا المجموعة الثانية فهي « بليست – Peleset [5] » أو « بلستي » الذين ذكرهم العهد القديم باسم « الفلسطينيين » [6] ، وهم قوم أتوا من جزيرة « كريت» فسكنوا « غزة » [7] وجوارها ثم ازدادت هجرتهم من كريت فامتد استعمارهم

---

١ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٣٢٣ – ٣٢٤ .

٢ – مصر القديمة : ٧/٣٠٢ – ٣٠٣ .

٣ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ٣٢٢ .

٤ – المصدر نفسه ٣٤٥ .

٥ – Palaeste بالستا اسم مكان في « أبيروس » في بلاد اليونان .

٦ – ورد اسمهم في نقش لرعمسيس الثالث P - R - S - T ربما Purusti . وفي النقوش الآشورية Palashtu أو Pilishti .

٧ – يرى بعضهم أن أول نزول للفلسطينيين في بـلادنا كان حوالي عام ١١٨٤ ق. م في الوقت الذي كان فيه اليهود يتمكنون في شرقي الأردن. ومما يدل على قدوم الفلسطينيين من جزر اليونان ، وخاصة كريت ، نماذج الخزف التي أدخلوها معهم الى البلاد وعثروا عليها في « لخيش » و « جازر » (وقد جلب الفلسطينيون معهم أواني خزفية للشرب لها «بزبوز» لسكب السوائل، وخاصة لترويق البيرة من الرواسب،وقد اكتشفت كميات كبيرة من هذه الأباريق مما يشير الى انهم كانوا مولعين بشرب الخمر) .

« أحجار تتكلم » ص ٧٦ ، لجون إلدر – تعريب عزت زكي ،القاهرة .

لشمال غزة حتى امتلكوا الساحل الى الكرمل ، وللشرق وصلوا الى سفوح الجبال وأخذوا يتأهبون لسحق الإسرائيليين الذي كانوا قد وضعوا لهم موطأ قدم في وطننا .

فالكاليون والفلسطينيون هم أول من أتى لفلسطين من سكان أوروبا . ولعل غزوتهم الى هذه الديار كانت أول فتح غربي ذكره التاريخ لهذه المنطقة من الوطن العربي .

* * *

كانت مدن الفلسطينيين المهمة خمسة : غزة وعسقلان واسدود وعقرون وعراق المنشية — جت [1] — وتذكر عادة بينها « يبنا » الواقعة شمالي اسدود وعلى بعد ١٥ كم منها . ومما يسترعي الانتباه أن جميعها تقع للجنوب من تلال روبين الرملية . كما وان عسقلان هي الوحيدة التي تقع على البحر مباشرة . وأما غيرها فواقع على الطريق الداخلي الموصل بين مصر وسوريا والعراق . وكانت « جَتّ » أبعد مدنهم في الداخل . ولم يكن لأية مدينة منهم سيادة أو زعامة سياسية على غيرها ، بل كانت كل منها مستقلة استقلالاً تاماً في شئونها ، الا انهم كانوا يتحدون حين الخطوب ، وحين تعرضهم للأخطار . ويبدو ان السيادة كانت (لإسدود) . وكان يلقب حاكم المدينة بلقب « سيرين — Seren » .

---

١ — الكنعانيون هم الذين بنوا هذه المدن . وأما « الفلسطينيون » فأقاموا مدينتي « اللد » و « صقلاغ » . وفي اللد ولد ودفن فيها القديس جاورجيوس ـ وهو على رأي البعض الخضر عند المسلمين ـ . ونسب اليها ياقوت (معجم البلدان ١٥/٤) « أبا يعقوب بن سيار اللدي » من علماء القرن الرابع الهجري كما نسب اليها مؤلف الأنس الجليل (ص ٣٩٥) القاضي شهاب الدين أحمد ابن علي اللدي الشافعي ، من مدرسي الحرم القدسي . توفي في بيت المقدس عام ٨٨٠ هـ . ومن فقهاء اللد في القرن الثاني عشر الهجري « يس اللدي » ذكره المرادي (٢٣٧/٤) بقوله : « الفقيه الشافعي المحدث المفسر المنطقي النحوي الأديب المفنن » . رحل الى الأزهر ، وأخذ العلم عن شيوخه . ولما عاد الى بلاده توطن نابلس وتصدر فيها للتدريس . وكانت وفاته في حدود ١١٩٠ هـ . وأما « صقلاغ » فيرجح أنها كانت تقوم على البقعة التي تعرف اليوم باسم « تل خويلفة » على بعد ٢٥ كم للشمال الشرقي من بلدة « بئر السبع » .

والأرجح انها كلمة فلسطينية بمعنى « سيد ».

تمكن الفلسطينيون في الساحل من البلاد وتفوقوا براً وبحراً فعظمت صولتهم وقويت شوكتهم حتى تمكنوا من تدمير « صيدا » الفنيقية . وقد اشتهروا بالتجارة في البر والبحر واستفادوا من سكناهم على جوانب الطريق التجاري الدولي الممتد بين مصر والشام بأن أثروا من التبادل التجاري ومن المكوس التي فرضوها على السلع التي تجتاز بلادهم .

ويعتقد انه كان للفلسطينيين هؤلاء تأثير كبير في تدريب وتشجيع جيرانهم الفنيقيين على الأسفار البحرية البعيدة التي قاموا بها . وكان من نتائجها اكتشاف الفنيقيين لمجاهل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وشرقي المحيط الأطلسي [١] .

وللفلسطينيين تأثير عظيم آخر على المدنية الكنعانية ، وذلك انهم أدخلوا معهم الى البلاد صناعة الحديد التي كانوا يتقنونها . فأول مصانع للحديد انشئت في بلادنا كانت في جنوبها الغربي ، في النواحي التي كان قد استقر فيها هؤلاء الفلسطينيون . وبذلك رفع الفلسطينيون ، في نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد، درجة الثقافة السورية من استعمال البرونز الى درجة أرقى منها وهي استعمال الحديد [٢] .

فاق الفلسطينيون اليهود ، ألد اعدائهم ، في التمدن والعمارة . فتدل بقايا منازلهم عن فن رفيع في البناء ، بينما المنازل اليهودية بدائية صغيرة واطئة السقوف . كما فاقوهم في الفنون الحربية . فكان لهم عدد كبير من العجلات

---

١ – مصر القديمة ٩/٥٠٨ القاهرة ١٩٥٢ – وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/٢٠٠ .

٢ – مصر القديمة ٩/٥٠٨ . إن أقدم الآثار الحديدية التي عثروا عليها في فلسطين كانت في « تل الفارعة » و « تل جمة » و « مجدو » المار ذكرها .

ان أصل استعمال الحديد بدأ عند الحثيين ، في آسيا الصغرى ، على الأرجح . وانه انتقل على أيديهم او من عندهم ، في نحو منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، الى منطقة البحر الايجي وبلاد ما بين النهرين ومصر .

الحربية والفرسان واستعمل مشاتهم الخوذ [1] والدروع والجرموقات النحاسية .
ومن اسلحتهم الحربية : الحربة والرمح وكان لكل منهم حامل سلاح . ورماة النبال فيهم كانوا اشهر من نار على علم ، وكانوا يحصنون مدنهم بأسوار وأبراج .
وتعزى انتصاراتهم العظيمة الى تحالف قواتهم والى عجلاتهم الحربية واستخدامهم الحديد في مختلف أسلحتهم اللازمة للدفاع والهجوم ، الأمر الذي لم يكن معروفاً عند اليهود .

وقد عرفنا من الفلسطينيين «جالوت» أو «جُليات – Goliath» بمعنى «سبي» أو «نفي» ، كما يسميه اليهود . وكان من الأبطال المعدودين بين الفلسطينيين . وُلد في عراق المنشية وقتل في احدى المعارك مع اليهود ، قتله داود عليه السلام. وفي هذا يقول القرآن الكريم : «وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء [2]» . ويظن أن هذه المعركة كانت في «وادي السَّنط [3]» . ونتيجة لهذه المعركة طارد اليهود اعداءهم حتى «جت» و «عقرون» .

وعرفنا من الفلسطينيين أيضاً أخيش – «Achich» ملك عراق المنشية . كان قد لجأ اليه داود عليه السلام مرّتين هرباً من الملك «طالوت – شاول» الذي صحت نيته على قتله .

ومن أهم المعارك التي حصلت بين الفلسطينيين واليهود معركة «أفيق – رأس العين» التي انكسر فيها اليهود انكساراً تاماً . قدّرت قتلاهم بنحو ٣٠،٠٠٠ نسمة [4] . وغنم الفلسطينيون منهم غنائم كثيرة أهمها «تابوت العهد [5]» الذي

---

١ – كانت تعرف الخوذة عند الفلسطينيين باسم (كوبع) – بفتح الباء – ويرجح ان كلمة «قبعة» العربية فلسطينية الأصل .

٢ – سورة البقرة : ٢٥١ .

٣ – يقع هذا الوادي ، وقد مر ذكره ، على بعد ١٤ أو ١٥ ميلاً للجنوب الغربي من بيت لحم . عرضه ربع ميل وجوانبه شديدة الانحدار . ويقال إن المبارزة بين داود وجالوت حدثت في موقع يعرف اليوم باسم «خربة الشويكة» جنوبي قرية زكريا. وتقع هذه القرية على بعد ٩ أميال من بيت جبرين و ١٣ ميلاً للجنوب الغربي من بيت لحم .

٤ – العهد القديم : صموئيل الأول ٤/١٠ .

٥ – تابوت العهد : عبارة عن صندوق خشبي طوله ثلاثة أقدام و (٩) بوصات وعرضه =

أتوا به من « مجدل يابا [١] » الى اسدود حيث احتفظوا به وكان ذلك في نحـــو عام ١٠٥٠ ق . م . ونتيجة لهذه المعركة تقدم المتصرون حتى بلغوا « مخماس » في جوار القدس .

ولما انتخب اليهود « طالوت – شاول » ملكاً عليهـم في نحو ١٠٢٠ ق . م كان ذلك بمثابة اعلان حرب آخر على الفلسطينين ، فلم يمض وقت طويل حـتى عادت المعارك الى شدتها بين الطرفين وانتصر اليهود على اعدائهم وطردوهم حتى السهل الساحلي .

وفي معركة « جبل جُلْبوْع [٢] » انتصر الفلسطينيون انتصاراً عظيماً آخر على اليهـــود . ففيها قتل « طالوت » وبنوه الثلاثة وكان ذلك في نحو عام ١٠٠٤ ق . م . وهكذا تم للفلسطينين احتلال شمالي البلاد وتمكنوا من السيطرة على الطريق التجارية الدولية المارة في سهل مرج بني عـامر والغور والتي تصل بلادهم مع دمشق وغيرها .

وعندما ملك داود ، بعد طـــالوت ، حارب الفلسطينيين وهزمهم هزائم منكرة حيث كان اليهود ، بمعرفته ، قـد تمكنوا من صهر الحديد واستخدامه في الحروب[٣] . وفي عهد ولده سليمان خضع له الفلسطينيون طيـلة حكمه . وبعد انقسام المملكة اليهودية كان الفلسطينيون يحاربون كلا المملكتين من وقت لآخر الا انهم خضعوا لهم في القرن التاسع والثامن قبل الميلاد . وبما ان بلادهم كانت

=وعلوه قدمان وثلاث بوصات.وضع فيه اليهود ملفات سننهم وشرائعهم وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ليستنصروا به . ولما اغتصبوا البلاد من أصحابها وضعوه في « شيلوه ـ خربة سيلون »لمدة طويلة . وبعد أن مكث هذا التابوت عند الفلسطينيين مدة سبعة أشهر عاد اليهود وتمكنوا مـن استرجاعه . ولما أقام سليمان عليه السلام معبده في القدس نقل اليه هذا التابوت .

١ – صموئيل الأول ١/٥ . وقد ذكر العهد القديم (مجدل يابا) الواقعة في جوار رأس العين باسم (حجر المعونة) .

٢ – بمعنى « عين متفقعة » . ويعرف اليوم باسم « جبل فقوعة » نسبة الى قرية « فقوعة » التي تحمل معنى الاسم القديم .

٣ – وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في سورة سبأ ٩ و ١٠ والأنبياء ٧٧ .

تقع على الطريق بين مصر وآشور فكثيراً مـا اشتبكوا في الحروب التي وقعت بين تلك القوات . فأخذ « ترتان » قائد جيوش « سرجون الثاني » الآشوري في القرن الثامن قبل الميلاد . مدينتهم « اسدود »– بعد حصار استمر ثلاث سنين– كما أخذت مصر غزة .

وقبل السبي البابلي كانت مملكة الفلسطينيين قد انقرضت ولم يبق الا القليل من مدنها وشهرتها . وفي أيام الاسكندر المكدوني، في القرن الرابع قبل الميلاد، لم تكن لهم قوة. ومما أدى الى انقراضهم اندماجهم بالشاميين ووقوع بلادهم ممراً وميداناً لجميع الحروب التي وقعت بـين الآشوريين والمصريين وبـين هؤلاء والكلدانيين . واخيراً حروب الرومان والمكابيين .

والفلسطينيون باعتبارهم مجتمعاً أجنبياً في فلسطين فإنه لم يكن لهم أي ضمان يضمن بقاءهم الا استمرار تجديد دمائهم بالهجرة . وقد كان ذلـك من الامور المستحيـلة في الاحوال التي كانت تحيط بهم . وعلى مر الزمن هضمتهم البلاد بأن اختلطوا بسكانها. ولم يتركوا الا القليل من الآثار كبعض الفخار وآلات زراعية وفئوس من حديد وقراديم وغيرها .

* * *

تأثر الفلسطينيون بكثير من العادات والتقاليد التي كانت للقبـائل العربية الكنعانية ، صاحبة البلاد حتى ان بعض أسمائهم كانت سامية . وعبـادتهم كانت تتألف من ذكر وانثى كما هي العادة عند الساميين. ومن آلهتهم «داجون» اله الحبوب عند الكنعانيين ، وقد مر ذكره . وكان مركز عبـادته في اسدود ومقر زوجته « عشتاروت » في عسقلان . وقد عبـدوه في غزة وبيت دجن ومحلات أخرى . والمشهور ان « داجون » الفلسطينيين كان رأسه ويداه كرأس الإنسان ويديه وجسمه جسم سمكة ، متأثرين بذلك من مهنتهم البحرية .

لقد اختفى اسم الفلسطينيين من التاريخ ، الا ان اسمهم بقي علماً على هذه البلاد . فنسبة اليهم دُعي هـذا القطر بفلسطين . وكان « هيرودوتس » المؤرخ

اليوناني أول من أطلق هذا الاسم على الجزء الجنوبي الغربي من سورية في كتـابه الاول الذي كتبه عام ٤٥٠ ق . م . مع ان هذا الاسم لم يطلق في بادىء الامر الاعلى السهل الساحلي الذي سكنوه – الممتد بين يافا وغزة مسافة نحو ٥٠ ميلاً طولاً و ١٥ ميلاً عرضاً – . وكلمة فلسطين بمعنى « غرباء » أي بلاد المتغربين[١] ولعلها مشتقة من كلمة « فلاش – Falach » وأصلها سامي بمعنى يهاجر .

وقد أحيا الرومان اسم فلسطين . ففي نحو عام ٤٠٠ م كانت فلسطين تضم، بوجه عام، ما كان يعرف في عهد الانتداب البريطاني البغيض ١٩١٧ – ١٩٤٨ باسم فلسطين وشرقي الاردن موزعة بين ثلاثة أقسام أو محـافظات . وبواسطة الرومان انتشر استعمال « فلسطين » في العالم الغربي .

---

١ – قاموس الكتاب المقدس : ٢/١٧٠ .

اليهود في بلادنا

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوةً لِلَّذِينَ آمنوا اليهودَ » [1] .

صدق الله العظيم

« لم تكن فلسطين غيرَ بَيْئَةٍ مُخْتَلَقَةٍ لليهود » .

غوستاف لوبون

تكاثرت عائلة « يعقوب – إسم اثيل » ونمت بعد نزوحهم الى مصر في نحو عام ١٦٥٦ ق.م[2] كما ذكرنا ذلك في فصل سابق . وأضحى الإسرائيليون بتوالي الأيام جزءاً من سكان مصر. غير ان الفراعنة استعبدوهم وأخذوا يشغلونهم في الأعمال الشاقة إذلالاً لهم وخوفاً من قيامهم عليهم. وقد عوملوا على الأرجح ، في عهد رعمسيس الثاني معاملة لا تطاق . فاتجهت أفكار زعمائهم للنزوح عن مصر ؛ وقد تم لهم ذلك في عهد موسى[3] عليه السلام .

---

١ – سورة المائدة : ٨٢ .

٢ – ص ٩٢ من كتاب Palestine and Israel . وكان اليهود في مصر يعيشون في البقعة الكائنة شمال بلدة « بلبيس ». وخير المراجع التي تذكر خروج اليهود من مصر هي القرآن الكريم والعهد القديم . ولم يعثر للآن على أثر مصري أو فلسطيني يشير الى ذلك اشارة صريحة .

٣ – قال أنيس فريحه : « موسى اسم عبراني : موشه . واختلف كثيراً في تفسير الاسم فنهم من يرده الى جذر « مشى » الوارد في أكثر اللغات السامية ومعناه غسل ونظف (مسى) ومنهم من يرى انه مصري الأصل « Mesu » أو « Mes » ومعناه ابن وولد . والتوراة تفسره « منتشل من الماء » . – أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ٣٠٩ – ٣١٠ .

تربى موسى في بلاط رعمسيس المذكور وتخرج فيه على أيدي معلمين مَهَرَة في فنون مصر العلمية والدينية . وعرفه الناس والكهنة بإبن بنت فرعون . فنشأ مصري التربية ، اسرائيلي العواطف ، وكان معلموه يتوسمون فيه ذكاءً سامياً ويخشون ما سيكون له من الشأن في مستقبل الأيام . ولو أتم حياته بين ظهرانيهم لبلغ أعلى الرتب عندهم ، ومع ذلك لم ينس ما ألمَّ بقومه من الألم والظلم ، فكان يختلط بهم كثيراً ، حتى أنه رأى ذات يوم مصرياً يضرب يهودياً فهاج الدم في رأسه وضرب المصري فأصاب منه مقتلاً ، فاضطر الى الهرب الى صحراء التيه . وفي الصحراء تزوج بابنة شعيب النبي العربي المَدْيَنيّ .

رأى عليه السلام أن لا خلاص لقومه من الذل الذي هم فيه إلا بنزوحهم عن مصر . فعبر هو وقومه ، البالغ عددهم حوالي (٥٥٥٠) نسمة [١] « بحيرة المنزلة » [٢] في طريقهم الى سيناء ؛ لا البحر الاحمر ومن ثم الى فلسطين وكان ذلك في نحو ١٢٢٧ ق.م على رأي بعض الثقات من المؤرخين . وفي الصحراء عطشوا وجاعوا ولكن الله أنزل عليهم المَنّ والسلوى طعاماً ، وضرب موسى الصخرة فانفجرت منها المياه وشربوا . وقد ساق الله لهم الغمام ليظلهم ويقيهم وهج الشمس . قال تعالى : (وَظَلّلْنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [٣] .

وقال عز وجل : (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ؛ قد علم كل أُناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) [٤] .

والظاهر أن اليهود لم يكتفوا بما أنعم الله عليهم من نعمة وهم في الصحراء

---

١ — مصر القديمة : ١٣٣/٧ .
٢ — نفس المصدر : ١٢٠/٧ .
٣ — سورة البقرة الآية ٥٧ . المنّ ؛ مادة تزهر على أوراق بعض الأشجار مثل الطرفاء وغيرها . يميل طعمها الى الحلاوة . فيها لبن وهي سهلة الهضم . والسلوى الطائر السماني الذي كان يغطي الأرض فيأخذ كل انسان منه حاجته .
٤ — سورة البقرة ٦٠ .

القاحلة ، إذ يقول عز وجل في كتابه : [وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون] (١) .

وقد جاء في أسفار العهد القديم ، التي يقدسها اليهود ، عن ميوعتهم وجبنهم ما يأتي :

[فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم . ففزعوا جداً وصرخ بنو اسرائيل الى الرب . وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذ تنالنموت في البرية . ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين . لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية](٢) .

وقالت هذه الأسفار أيضاً : [فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية . وقال لهما بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع ، فأنكما أخرجتمانا الى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع](٣) .

أرسل عليه السلام رجلاً من كل قبيلة الى أرض كنعان ليتجسسوا ولما عادوا قالوا إن الأرض تفيض لبناً وعسلاً ، غير انه ليس لنا طاقة على حرب من فيها . فجبن اليهود عن التقدم لفقدانهم همة الفاتحين ونشاط الغزاة الذين ينالون السيادة بشرف الانتصار على غيرهم ، فغضب الله عليهم وقضى عليهم أن يتيهوا في البرية أربعين سنة ، حتى يموت الجيل الذي ألف الجبن وينشأ جيل جديد تعود الدفاع

---

١ – سورة البقرة ٦١ .

٢ – سفر الخروج ؛ الإصحاح ١٤ : ١٠ – ١٢ .

٣ - نفس المصدر ، الإصحاح ١٦ : ٢ – ٣ .

عن نفسه والمحاربة في سبيل ربه . قال تعالى :[يا قوم ! ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى « إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما، ادخلوا عليهم الباب. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين. قالوا يا موسى إنا لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . قال ربّ إني لا أملك الا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين][1].

وقالت أسفار اليهود حول الجواسيس ، الإثني عشر التي أرسلها موسى ، ومن بينهم « يشوع بن نون » و « كالب بن يَفُنَّة » ما يأتي : [فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان ... وقال لهم أنظروا الى الأرض ما هي ؟ والشعب الساكن فيها أقوي أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ وكيف هي الأرض التي هو ساكن فيها أجيدة أم ردية ؟ وما هي المدن التي هو ساكن فيها . أمخيات أم حصون ؟ وكيف هي الأرض أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من تمر الأرض . وأما الأيام فكانت أيام بكورات العنب .

---

١ - سورة المائدة الآيات ٢٤ - ٢٩ . ولتفسير هذه الآيات راجع الجزء السادس من تفسير القرآن الكريم للمرحوم السيدمحمد رشيد رضا. من صفحة ٣٢١ - ٣٣٨ . هذا وان قول اليهود لموسى عليه السلام : (اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » يذكرنا حين قام « المقداد ابن عمرو » في غزوة بدر التي كان عدد المسلمين فيها ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً وثلاثة أفراس وسبعين بعيراً ، وعدد أعدائهم المشركين نحو الف رجل معهم مائة فرس وسبعمائة بعير . فقال : (يا رسول الله ! امض لما أمرك الله فنحن معك . والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا « انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى « برك الغماد » لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه). الطبري : ٢٧٣/٢) - الطبعة الأولى . بالمطبعة الحسينية المصرية لم يذكر تاريخ الطبع . و « برك الغماد ، ميناء باليمن وهناك جماعات كثيرة منتشرة في حوران وشرقي الأردن والبقاع وفلسطين تذكر انها من أحفاد هذا الصحابي الجليل .

فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية «صين[1]» الى «رحوب[2]» في « مدخل حماة » . صعدوا الى الجنوب وأتوا الى حبرون . وكان هنـــاك بنو عناق ... وأتوا الى وادي « أشكول [3] » وقطعوا من هناك زَرَجُونة [4] بعنقود واحد من العنب وحملوه بالدقرانة [5] بـــين اثنين مع شيء من الرمان . ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً [6]] .

قدّم هؤلاء الجواسيس ، بعد عودتهم ، تقريرهم لموسى عليه السلام . وقـــد وصفوا بلادنا بما يأتي : [ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا إليها . وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها . غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جداً ... وليس لنا طاقة على حربهم[7]] . إلا ان « يشوع بن نون » و « كالب بن يَفُنَّة » لم يوافقا على الجملة الأخيرة وقالا : بل في طاقتنا حربهم . فـــال الشعب اليهودي لرأي الأكثرية [فرفعت كل جماعـــة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة . وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر . ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض ؟ لنسقط بالسيف. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس خيراً لنـــا أن نرجع الى مصر . فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع الى مصر[8]] . وممـــا أدّى الى غضب الله عليهم وقضى بتيههم أربعين سنـــة في

---

١ – صين : زاوية التيه الشمالية الشرقية . تقع غربي بلاد الآدوميين .

٢ – يظن انها تقوم على بانياس بالقرب من الحدود الفلسطينية السورية .

٣ – يقع هذا الوادي ، على الأرجح ، في شمالي الخليل . وظن البعض ان موقعه اليوم يعرف باسم « عين الخشكلة » .

٤ – الزرجونة : قضيب الكرم وجمعه زرجون .

٥ – الدقرانة : خشبة تنصب ليعرش عليها الكرم . جمعها الدقران .

٦ – سفر العدد : الإصحاح ١٣ : ١٨ – ٢٥ .

٧ – سفر العدد الإصحاح ١٣ : ٢٧ وما بعده . ويتضح من هـــذا التقرير ما كانت عليه بلادنا ، فلسطين ، من تقدم وعمران وما بها من خيرات قبل غزو اليهود .

٨ – سفر العدد الإصحاح ١٤ : ١ – ٤ .

الصحراء [1] .

وفي نهاية الأربعين سنة حاول موسى أن يدخل فلسطين من طرفها الجنوبي ، عن طريق بئر السبع ، إلا أنـــه فشل نظراً للمقاومة العنيفة التي صادفها من السكان فاضطر أن يسير إلى شرق الأردن فأرسل موسى الى ملك آدوم يستأذنه في المرور بأرضه فمنعوه من المرور . وبعد كثير من الأخذ والرد أذنوا لهم أن يمروا في حدودهم الشرقية [2] على أن يأخذوا منهم أثمان المأكول والمشروب مما اضطر موسى وقومه لأن يتحولوا عن بلاد آدوم ونزلوا جبل هور [3] الواقع على حدود الآدوميين حيث مات هارون .

استمر اليهود في رحلتهم فنزلوا « وادي الحسا » ومنـــه الى « الموجب » . فاصطدموا مـع « سيحون » ملك الآموريين الذي أبى ان يسمح لهم بالمرور بأرضه فهزموه وقتلوه فكان ذلك أول انتصار لليهود في طريقهم إلى فلسطين ، واستولوا على أرضه . ثم تقدموا شمالاً الى حَوْران . فانتصروا على ملكهــا « عوج » وأخـــذوا أرضه كما ذكرنا ذلك في بحث سابق . وهكـــذا تمّ لليهود الإستيلاء على جميع البلاد الواقعة بـين نهر « الموجب » جنوباً وبلاد حوران شمالاً . والفضل في ذلك يعود الى كثرة اليهود بالنسبة الى أعدائهم والى التنظيمات التي أدخلها موسى ، وما كان لشخصيته الفذة القوية من التأثير عليهم .

توفي موسى وهو يقود قومه في طريقه الى فلسطين ، فرأى بلادنا من الجبال العالية في شرقي الأردن دون أن يدخلها . ويروى انه دفن في « جبل نَبا [4] » على مسيرة عشرة كيلومترات للشمال الغربي من مأدبا .

---

١ – سفر العدد ؛ الإصحاح ١٤ : ٣٣ .

٢ – كانت آدوم في تلـــك الأيام تشتمل على السلسلة الرملية الواقعة شرقي « وادي عربة » قرب بحيرة لوط الجنوبي الى خليج العقبة .

٣ – يرى الاكثرون أن « هارون » دفن في الجبل المذكور ، ويعرف اليوم باسمه : (جبل النبي هارون) ويقع بالقرب من البتراء . وهذا الجبل يعلو ٤٨٠٠ قـــدم فوق سطح البحر و ٤٠٠٠ قدم فوق سطح العربة و ٦١٠٠ قدم فوق سطح البحر الميت. وعند سفح هذا الجبل، الى الجهة الشرقية يقع وادي موسى .

٤ – يعلو هذا الجبل ٢٦٤٤ قدماً عن سطح البحر. والراجح ان «نبا» مشتقة من الكلمة

كان عليه السلام من أعاظم القواد وكبار الشارعين الذين ذكرهم التاريخ، ولعله أعظم يهودي ظهر منذ الخليقة الى الآن، ولعله لم يقم في الأمة اليهودية رجل تمكن من ان يخدمها كما خدمها. فهو الذي ثارت في نفسه العصبية القومية عندما رأى ما يحيق ببني قومه من الأرهاق والظلم وما يقاسونه من ضروب العذاب وصنوف الذل والأستعباد، فرأى ان بقاء قومه على هذه الحالة يؤدي بهم الى الفناء. فأخذ يفكر في وسيلة تمكنه من انقاذهم ورفعهم بعد ذلك الى مستوى الأمم العظيمة. وشرع يهيء الخطط اللازمة لفكرته هذه فرأى ان لا قبل له بالمصريين، ولا يمكن لقومه أن يخلفوهم في أرضهم فعمد الى إخراجهم. ووجد ان اقرب قطر لمصر هوفلسطين، المعروفة بخصب تربتها وكثرة أشجارها وأثمارها وزروعها ومراعيها. وان سكانها، الكنعانيين وغيرهم متخاذلون، فأهواؤهم متفرقة وآراؤهم متضاربة فاختارها دون غيرها من الأقطار. واستعمل لإقناع قومه دهاءه وكل ما أوتيه من قوة وبيان.

لقد نجح في إخراج قومه من مصر ولكنه لم يقدر أن يتمم غايته، لأنه تأكد جبنهم تجاه الكنعانيين أصحاب البلاد. وأسف لفقدانهم الروح الحربية وتعودهم الخضوع والذل فأبقاهم في التيه حتى مات الجيل الأول ونشأ فيه جيل تعود على الأعتماد على النفس، وألف الخشونة واحتمال المشاق.

وفي هذه الأثناء أوحى الله اليه شريعة دينية وأدبية ومدنية من شأنها أن تبعث امته من رقادها وتحفظ كيانها الى أمد بعيد. ولم يفت في ساعده ما لاقاه منهم من العناد والإصرار من حيث طلبهم الرجوع الى مصر واطراحهم عبادة

= السامية «نبو» بمعنى العلو والإرتفاع. وقد ذكر كثير من العلماء بأن موقع (سياغة) الواقع للشمال من جبل نبا هو المكان الذي شاهد موسى منه فلسطين. وهناك مات ودفن فيها.

وفي غور أريحا، وعلى مسيرة ٣٢ كم من القدس قبر ينسب الى النبي موسى وموقعه ليس بعيداً عن مفترق الطريق الواصل بين القدس وأريحا وعلى مشهده قبة بناها الظاهر بيبرس عام ٦٦٨هـ. وينزل عند هذا المشهد، في أوائل الربيع، الكثير من أهل بيت المقدس وغيرها بعد احتفالاتهم بوسمه المعروف باسم «موسم النبي موسى». ويعتبر هذا الموسم من أضخم الإحتفالات التي تقام في فلسطين ويشترك فيه جماعات كبيرة من مختلف انحاء البلاد.

الله والاستعاضة عنها بعبادة الأوثان . فقد كان حليماً ، بعيداً عن طلب المجد الدنيوي متحلياً بالشجاعة والأيمان والأمانة لأمته مما جعله يتلقى جميع العقبات بصدر رحب وقلب واسع . ولولاه لقضى المصريون على اليهـــود في مصر وباد العبران كما باد من عاصرهم من الأمم القديمة . ولولاه لتحول مجرى تاريخ هــــذه البلاد الى صورة أخرى .

وقدر عدد اليهود الذين مروا بقيادته في شرقي الأردن بطريقهم الى فلسطين لا يتجاوز ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ نسمة هــذا إذا لاحظنا أحوال الحياة وقلة المـــاء والتموين المحدود من الطعام والمساحة القليلة لرعي الأغنام[1] .

---

١ – مصر القديمة : ٩/٩٠-٤ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١٩٤/١. وأما عدد اليهود في فلسطين ، في تواريخ مختلفة فقدر بما يأتي :

بلغ تعدادهم في القرن العاشر قبل الميلاد بنحو ستمائة أو سبعمائة الف نسمة . وحوالي عـــام ٧٠٠ ق . م قدروا بـ « ٦٠٠،٠٠٠ » شخص . وفي التـــاريخ الذي هدم فيه الرومان القدس كانوا اكثر من مليون شخص . وبعد ذلك التاريخ قـــل عددهم في فلسطين الى أن وصل أدنى حدوده في العصور الوسطى.ففي عام ١١٧٠–١١٧١م زار«بنيامين تودولا – «Benjamen of Tudela الإسباني فلسطين وذكر ان فيها ٢٠٠ يهودي – ص ١٥ من كتاب Guide de Terre Sainte » للأب مايسترمان – وفي خـــلال القرن المذكور لم يكن في القدس سوى يهودي واحد . – تاريخ القدس لعارف العارف ٢٣٥ – دار المعارف بمصر ١٩٥١ .

وفي عام ١٢٦٧م كتب موسى بن نحمان جيروندي – Moses ben Nahman Girondi أن في القدس عائلتين يهوديتين يعملون في الصباغة . – ص ٥٧ من كتاب The handbook Of Palestine and Transjordan

وبعد ذلك بنحو ثلاثة قرون بلغ عددهم في هذه المدينة ١١٥ يهودياً يعيشون عيشة الفقـــر والذل والحرمان . وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر عجز يهود القدس ، وعددهم ١٥٠ شخصاً ، عن دفع دينهم البالغ الف قرش مما اضطرهم لرهن كنيسهم الكبير لدى الدائنـــين . – تاريخ القدس لعارف العارف ٢٣٥ –.

وكان عددهم في فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ٨٠٠٠ نسمة كما ذكر موسى حاييم منتفيوري الثري الإنكليزي اليهودي – العالم العربي لنجلاء عز الدين ص٣٠٠ – موزعين على أربع مدن هي القدس وطبريا والخليل وصفد . وفي سنة ١٨٤٥ م بلغ عددهم نحو ١٧،٠٠٠ نسمة .

واما احصاؤهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي هذا القرن فقد قدروا بما يأتي :=

غارات اليهود على فلسطين

تولى يوشع قيادة اليهود بعد وفاة موسى، وكان من القواد الذين آزروا موسى في جميع أعماله، ومن جملة الجواسيس الذين أرسلهم الى فلسطين لمعرفة أحوالها وأخبارها وكيفية الدنو منها كما بينا ذلك سابقاً.

وكانت خطة يوشع وقومه في حروبهم تهدف الى إبادة سكان فلسطين إبادة كاملة والحلول محلهم. وبهذا تقول أسفار اليهود: [إذ أدخلك الرب إلهك الى الأرض التي أنت داخل لترثها، استأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك: الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إلهك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً[1]. لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم ... تعملون بهم هكذا: تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون أشجارهم وتحرقون تماثيلهم بالنار][2].

=

في سنة ١٨٨٢ م : ٢٤٠٠٠ نسمة .
« « ١٨٩٠ م : ٤٧٠٠٠ « .
« « ١٩٠٠ م : ٥٠٠٠٠ « .
« « ١٩١٤ م : ٨٥٠٠٠ « .
من سنة ١٩١٦ – ١٩١٨ م : ٥٦٦٧١ « .
« « ١٩٢٢ م : ٨٣٧٩٠ بلغت نسبتهم لمجموع السكان ١١،١٪
« « ١٩٣١ م : ١٧٤٩١٠ « « « « ١٦،٩٪
« « ١٩٤٤ م : ٥٥٤٠٠٠

وفي ٣١ آذار من عام ١٩٤٧ م بلغوا : ٦١٤٢٣٩ بلغت نسبتهم لمجموع السكان ٣١٪

وفي نهاية عام ١٩٦٣ قدر عددهم بأكثر من مليوني نسمة. العدد الذي لم يصلوا اليه في أي حقبة من تاريخهم رغماً عن وجود أربع عشرة دولة عربية مستقلة – بما فيها موريتانيا – تضم نحو ١٠٠ مليون نسمة.

وبهذه المناسبة نذكر ان عدد اليهود في العالم بلغ في عام ١٩٦٧ م ١٧٠٧٩٧٠٨٠٠ نسمة. بينهم ٥٥٠٠٠٠٠ في الولايات المتحدة الأمريكية بينهم أكثر من ٢٠٢٤٠٠٠٠ شخص في نيويورك وضواحيها.

١ – بمعنى الهلاك والافناء.

٢ – سفر التثنية الإصحاح السابع ١ – ٥.

وفي مكان آخر تقول الأسفار اليهودية : [حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح . فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود يكون لك للتسخير ويستَعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. واذا دفعها الرب إلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. واما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرّمها تحريماً [1] الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب الهك][2] .

وأما الأسرى فكانوا يمثلون بهم تمثيلاً فظيعاً فيقطعون أيديهم وأرجلهم [3] أو يوضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرّهم في أتون الآجر » [4] .

عبر يوشع وجنده نهر الأردن[5] وعسكروا أمام أريحا . فكانت أول مدينة فلسطينية حاصرها اليهود وافتتحوها عنوة ، بمساعدة من فيها من عاهرات[6] ، فقتلوا سكانها وحرقوا بناياتها بعد أن نهبوا ما فيها من نفائس وأموال . وفي ذلك قالت أسفار اليهود : [صعد الشعب الى المدينة – أريحا – وأهلكوا كل من في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... وأحرقوا المدينة مع كل ما بها . انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب[7]] .

---

١ – بمعنى الافناء .

٢ – سفر التثنية الاصحاح العشرون : ١٠ – ١٧ .

٣ – سفر القضاة ؛ ١ : ٦ و ٧ .

٤ – سفر صموئيل الثاني ؛ ١٢ : ١٣ .

٥ – يعتبر السرفلندرز بيتري تاريخ دخول اليهود لبلادنا كان في ١١٨٦ ق . م . – ص ٩٢ من كتاب Palestine And Israel .

٦ و ٧ – سفر يشوع الاصحاح السادس .

وبعد أن تم لليهود إخضاع أريحا توجهوا الى « عاي » – الواقعة خرائبها في جوار « دير دبوان » – فهزم أهل هذه البلدة ، اليهود في أول الأمر مما اضطر يوشع لأن يرسل جيشاً كبيراً لإخضاعها . خرج ملك « عاي » لصد المغيرين فدارت الدائرة عليه . ويصف اليهود أعمالهم في هذه المدينة بقولهم : [تفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها ، غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم ... وكان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف ... فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً ، جميع أهل عاي ... لكن البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها اسرائيل لأنفسهم ... وأحرق يشوع « عاي » وجعلها تلاً أبدياً خراباً ... وملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء. وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل المدينة][1].

وفعل اليهود مثل ذلك في مدن « لبنة – تل الصافي » و « لخيش – تل الدوير » و « عجلون – تل الحسي » و « حبرون – الخليل » و « دبير – بيت مرسم » وبذلك تم ليوشع الاستيلاء على معظم جنوبي فلسطين باستثناء بعض الحصون ومدن جازر ويبوس وغيرهما[2] .

وأما ما فعلوه في حاصور – وتقع خرائبها في جنوبي الحولة – فقد ذكرته الأسفار اليهودية كما يأتي: [ثم رجع يشوع في ذلك الوقت وأخذ حاصور وضرب ملكها بالسيف ، لأن حاصور كانت قبلاً رأس جميع تلك الممالك . وضربوا كل نفس بها بحد السيف وأبادوهم . ولم يبق نسمة إلا وأحرقوها بالنار. فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف ... وكل غنيمته تلك المدن والبهائم نهبها إسرائيل لأنفسهم ، وأما الرجال فضربوهم جميعاً بحد السيف حتى أبادوهم ، لم يبقوا نسمة[3]] .

استمر يوشع وقومه في افناء الكنعانيين رغماً عن مقاومتهم الرائعة والباسلة...

١ – سفر يشوع الاصحاح الثامن .
٢ – سفر يشوع ؛ ١٠ : ٢٩، ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٨ .
٣ – سفر يشوع الاصحاح الحادي عشر .

وقد لا نجد مثيلاً لهذا الاسراف في القتل والنهب والتخريب والاستمتاع بهـــا بدون مبرر في تاريخ الحروب . وستبقى هذه الأعمال الوحشية التي قام بها اليهود ضد سكان فلسطين مثلاً أبدياً لفظاعتهم ووحشيتهم [١] .

قال « ول ديورانت » : [أقـــام يشوع حكمه على قانون الطبيعة الثاني ، وهو أن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً . وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة [٢]] .

وهكذا بالتدمير والقتل والحرق والنهب [٣] تمكن يوشع وقومه من إخضاع قسم كبير من المدن الكنعانية ، كما بقي قسم منها مثل « بيسان » و « تِعِنّك » و « مجدو » و « أفيق – رأس العين » و « عكا » وسهولهـــا والطنطورا وقسم كبير من شمال شرقي فلسطين و « يبوس » و « جازر » وغيرهـــا في أيدي الكنعانيين . فضلاً عن الساحل – من الكرمل الى سيناء – الذي بقي في أيدي الفلسطينيين .

ولما مات يوشع تولى أمر اليهود كبار شيوخهم وقـــد عرف عهدهم بعهد (القضاة) . ويصف غوستاف لوبون هذا العصر بقوله : [كان بنو إسرائيل أقل من أمة ، كانوا أخلاطاً من عِصابات جامحة ، كانوا مجموعـــة غير منسجمة من قبائل ساميّة صغيرة أفاقة بدوية ، تقوم حياتهـــا على الغزو والفتح والجَدْب

---

١ – ومشاهد أريحا وعاي وغيرها تكررت بعـد نحو ٣١٥٠ سنة في دير ياسين ١٩٤٨ ثم في غيرها من المدن والقرى الفلسطينية كمجزرة قبية عام ١٩٥٣ ومجزرة غزة ١٩٥٥ ومذبحة كفر قاسم ١٩٥٦ ومذابح قطاع غزة ١٩٥٦ ... الى آخر هذه السلسلة من المجازر الرهيبة .

٢ – قصة الحضارة المجلد الأول – الجزء الثاني ص ٣٢٧ القاهرة : ١٩٥٠ .

٣ – قال غوستاف لوبون : (لم تقتصر فظائع اليهود في فلسطين ، على ما قاموا به من قتـل وسلب في أيام قائدهم يوشع ، بل إن العهد القديم مملوء بالوقائع التي تـدل على وحشيتهم التي لا أثر للرحمة فيها في عهـد ملوكهم الذين كانوا يأمرون بحرق جميع المغلوبين وسلخ جـلودهم ونشرهم بالمنشار ، وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل ، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون من غير نظر الى الجنس ولا الى السن، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء) .

– اليهود في تاريخ الحضارات الأول ص ٤٧ ترجمة عادل زعيتر ١٩٥٠ – .

وانتهاب القرى الصغيرة حيث تقضي عيشاً رغيداً دفعة واحدة في بضعة أيام ، فإذا مضت هذه الأيام القليلة عادت حياة التيه والبؤس[1]] .

بلغ عــدد القضاة (١٤) قاضياً وانتهى عصرهم في نحو السنة ١٠٢٠ ق.م ، بعد أن امتد نحو قرن ونصف قرن . وهاك بعض حوادث عصرهم :

تمكن كنعانيو حاصور وغيرهم من سكان شمالي فلسطين، بعد الضربة الشديدة التي أنزلها بهم يوشع ، أن يجمعوا قواهم ويستنجدوا بأبناء عمهم كنعاني لبنان ، فأرادوا أن يأخذوا بثأرهم والتقى الجمعان عند مجرى نهر المقطع في مرج بني عامر. كان اليهود بقيادة القاضية « دَبورَة » و « باراق » ، والكنعانيون بقيــادة « سيسرا » قائــد جيوش ملك حاصور . انتصر اليهود على الكنعانيين . وذلك ان « سيسرا » في إبّان اشتداد المعركة اضطر الى الإلتجاء الى جماعة من اليهود كانت بينهم وبين ملك حاصور حالة سلام وصلح ، اعتقاداً منه بأنهم يحمونه من شر أعدائه . استقبلته « ياعيل » إحدى نساء هذه الجماعة في خيمتها بالترحاب وأمنته على حياته . وبعد أن نام في الخيمــة مطمئناً أتت « ياعيل » بوتد الخيمة وضربته في صدغه فمات . ونظم اليهود في هذا الحادث أغنية نصر[2] تمجد هذا الغدر .

والقاضي « جدعون » الذي حارب « المَدْينيين » ، و « شمشون » صاحب القصص في نزاعه مع الفلسطينيين ، وقد صبغت قصة حروبه مع أعدائه هؤلاء بطبقات من الزينة حاكها خيال القصاصين اليهود .

ويعتبر صموئيل آخر القضاة وأشهرهم . والتقليد يذكر أنه دفن في القريــة التي تعرف باسم « النبي صموئيل » في ظاهر القدس .

تأسيس اليهود لمملكة في فلسطين

اختلط اليهود في « عصر القضاة » بالكنعانيين وتزوجوا من بنــاتهم وكانت

---

١ – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ص ٣٢ .

٢ – سفر القضاة : ٤ : ١٥ ٢٤ .

نتيجة ذلك أن تقدموا في الزراعة وتعلموا منهم سكنى المدن ، والبناء بالحجارة ورفع الأسوار وغيرها . إلا ان نتيجة الحكم في ذلك العصر كانت الفوضى لعدم الارتباط بحكومة مركزية ، كما كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملاً هاماً في جمع كلمة هؤلاء في وحدة شاملة مؤقتة . حملهم ذلك جميعه على النظر في فوائد الحكومة الملكية وتعيين ملك ذي سلطان دائم عليهم . ولعل ما شاهدوه من أبهة الملك في الشعوب المحيطة بهم شوقهم أيضاً الى الإقتداء بهم ، وعليه رأوا أن ينضموا تحت قيادة رجل حكيم يكفيهم شر أعدائهم . فجمعوا كلمتهم ونصبوا عليهم ، بعد استشارة صموئيل ، « شاول بن قيس » ملكاً وبذلك تحولت المحالفة الواهنة بين القبائل (الأسباط) اليهود الى مملكة يهودية وكان ذلك في نحو ١٠٢٠ ق . م .

ومما يلاحظ ان القبائل الإسرائيلية أخذت تجمع كلمتها وتضع نفسها تحت قيادة رجل واحد في الوقت الذي انحط فيه نفوذ مصر في فلسطين [1] ، فقد كانت مصر قد انتهت كقوة عالمية النفوذ [2] . وقال سليم حسن : [لم يكن في مقدور الفلسطينيين والعبرانيين أن ينالوا أي نجاح في تثبيت أقدامهم في هذه البلاد لو كانت الإمبراطورية المصرية قادرة على استعمال كل نفوذها هناك] [3].

ولد « شاول » أو طالوت » في « جَبْعَة – تل الفول » في ظاهر القدس . عُرف بطول القامة وضعف الخلق والطباع السوداوية ، وذكر انه كان مصاباً بالصرعة . وقد أفسد حياته وفقد نفوذه بين قومه لشدة حسده داود ، الأمر الذي جعله يقوم بأعمال هستيرية شاذة في سبيل القضاء عليه ، فهرب داود من بطشه . وكانت أيامه (١٠٢٠ – ١٠٠٤ ق . م) حرباً مع الفلسطينيين وأخيراً قتل في احدى محارباته معهم كما ذكرنا ذلك في فصل سابق .

ولم يكن حكم « طالوت » ذا سيادة حقيقية على جميع البلاد التي كانت ما

---

١ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي : ٣٥٦ .

٢ - الحضارة المصرية ٤١٧ .

٣ – مصر القديمة : ٥٠٥/٩ .

تزال في معظمها تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين . وتولى من بعده « داود ابن يسي » .

داود[1] **عليه السلام** ؛ (حوالي ١٠٠٤ – ٩٦٣ ق.م.) : بعد مقتل طالوت انقسم اليهود الى قسمين : قسم بايع « إشبوشت بن طالوت » بالملك وقسم آخر أعلن « داود » خليفة لطالوت . وأفضى هذا الإنقسام إلى حرب دارت بين الطرفين : بين بيت طالوت وبيت داود . وأخيراً أخذ أمر داود يتقوى على خصمه . وبعد مقتل « إشبوشت » أقر جميع اليهود لداود بالملك .

وُلد داود في بيت لحم ، كان قصير القامة ، أشقر الشعر ، رائع الجمال وذا قوة عظيمة . أدخل المركبات الحربية والآلات الحديدية في الجيش الإسرائيلي وأسس ملكه على دعائم قوية . حارب الفلسطينيين فانتصر عليهم وعلى غيرهم من الأقوام التي تقطن في فلسطين وشرقي الأردن . وفي العهد القديم ان اليهود قسوا على العمُّونيين بأن نشروهم بمناشير حديد وبوارج حديد وفؤوس[2] . وبذلك أضحت شرقي الأردن تحت حكمه ، فأصبحت في قبضته طريق التجارة بين سوريا وبلاد العرب .

ومما هو جدير بالذكر ان معظم قواد « داود » كانوا من غير اليهود فإنهم كانوا من الحثيين[3] والمؤابيين وغيرهم .

---

١ – كلمة يهودية بمعنى « محبوب » .

٢ – الأيام الأول ، الاصول العشرون : ١ – ٤ .

٣ – منهم القائد « اوريا الحثي» الذي رأى داود أن يتخلص منه ليتزوج زوجته«بيتشبع». وقد ذكر المؤرخ الطبري هذه القصة بقوله : (أشرف – أي داود – على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير من مكان كذا وكذا مكان اذا سار اليه لم يرجع. قال ففعل فأصيب فخطبها فتزوجها.قال: وقال قتادة: بلغنا انها أم سليمان) – تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ص ٢٥٠ من الجزء الأول . الطبعة الأولى . القاهرة – . وقد أشار الى هذه الحادثة المسعودي واليعقوبي وصاحب الأنس الجليل وغيرهم من مؤرخي المسلمين في تواريخهم .

رقصة داود مع « بيتشبع » » مذكورة في الملوك الثاني ف ١١ من العهد القديم .

ويظن بأن « أوريا الحثي » قائد داود ، قتل على قمة قلعة عمان .

اتخذ داود في أول الأمر « الخليل» عاصمة له . ولما فتح « يَبُوس – القدس» التي عجز اليهود عن اقتحامهـا حتى ذلك التاريخ – انتقل اليها . وجعل « جبل صهيون » مقراً لحكه وبنى عليـــه قلعة وقصراً ، بنيـا بالحجر وبخشب الأرز اللبناني . قام ببنائها كنعانيون من صور ، ونجارون أرسلهم اليه ملكها « حيرام ٩٨١ – ٩٤٥ ق . م . » .

وأشد نقمة نزلت بداود هي تمرد ابنه « أبيشالوم » عليه ورغبته في أن يحل في الملك محل أبيه . فقـــد استطاع « أبيشالوم » في بادىء الأمر أن ينتصر على والده ، واضطره للفرار الى أرض العمُّونيين . وهناك نظم داود جيشه والتقى مع ولده فانتصر عليه وقتله . ثم أخذ يوطد علاقاته التجارية مع الفنيقيين فوفق في ذلك الى حد ملحوظ . وقـــد بلغ تعداد اليهود في عهده نحو ستمائة الف أو سبعمائة ألف نسمة[1] .

إن نواة الأمة اليهودية التي وضعها في الصحراء منقذها الأكبر موسى ، بلغت ما أمكنها أن تصل اليه من اتساع في عهد « داود » هـذا . فكانت مملكته تمتد تقريباً من جبل الكرمل وتل القاضي الى جبل الشيخ شمالاً[2] والى حدود مصر ونهر الموجب[3] جنوباً . وكانت تمتد الى الصحراء شرقاً . وأما الساحل الفلسطيني الممتد شمالي يافا الى جنوب غزة فكان تابعاً لمصر . ومن هـــذا يتضح ان عموم فلسطين لم تقع تحت حكم اليهود حتى في ذروة فتوحاتهم .

وأهم الأسباب التي ساعدت داود على قيـــام مملكته هذه ، فترة الفراغ التي كانت تمر بمصر وآشور ، وضعف الدولة المصرية التي استشرى فيها الفساد وساد عليها الانحلال . حتى كان الكهنة يسيطرون سيطرة تامة على كافة شئون الدولة في ذلك العصر . فانقطعت جيوش مصر عن أن تكون قوة ضاربة في ميادين

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٢٠٤ . أي ان عدد سكان المملكة اليهودية في عهد « داود » هذا يساوي عدد اليهود الذين جلبوا الى فلسطين في ظل الحكم البريطاني الغادر .

٢ – لم تدخل دمشق تحت الحكم اليهودي في يوم من الأيام .

٣ – ان الأراضي اليهودية لم تتعد نهر الموجب في جميع أدوارها .

الفتح والغزو . كما كانت تلـــك الحقبة فترة ضعف بالنسبة لمملكة آشور وفترة اضمحلال بالنسبة للمملكة الحثية . ممـــا مكن داود من انشاء مملكته رغماً عن القلاقل الداخلية ، والمؤامرات ، والانقسامات التي تميز بها عهده .

لعل داود ثاني رجال العبران بعد موسى ، وهو من الأنبياء المرسلين جمع بين النبوة والملك . وقد ورد اسمه في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً . واعطاه الله الزبور . كما في قوله تعالى « وآتينا داود زبوراً[1] » . وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمـــده والثناء عليه والتضرع له ، وبعض أخبـار مستقلة كما قال تعالى(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) . والزبور يسمى عند أهـل الكتاب « المزامير » وعددها مائـــة وخمسون مزموراً ، وليست كلها لداود . بعضها منسوب لغـــيره وبعضها غير منسوب لأحد .

وكان داود شاعراً مجيداً ، وملحناً ومغنياً من أبرز الموسيقيين . ويذكرون انه دفن على قمة « جبل صهيون[2] » في الجامع المسمى باسم « النبي داود[3] » .

ثم ملك بعد ولده « سليمان » . فكان ثالث ملوك اليهود الا انه لم يتمكن من المحافظة على المملكة التي ورثها عن أبيه .

سليمان بن داود : في نحو ٩٦٣ — ٩٢٣ ق.م.

سليمان بمعنى « سليم » و « ذو السلم » بمعنى « فردريك » عند الألمان . وُلد في القدس . أمه « بيتشبع » المار ذكرها . وقـــد ذُكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم ست عشرة مرة .

وفي أول عهده زاحمه أخوه « أدونيّا » على الملك ، ولكنه تمكن من ان يقضي على هذه المزاحمة .

---

١ — سورة النساء : ١٦٣ .
٢ — بمعنى « الجبل المشمس » — بضم الميم — أو الجبل الجاف .
٣ — يقع هذا المسجد الشريف في القسم المغتصب من القدس ، عاصمة بلادنا . أزال اليهود جميع الآيات القرآنية الكريمة والكتابات العربية التي كانت منقوشة على الضريح والجدران ، واستبدلوها بكتابات يهودية . وحولوا الجامع الى معبد يهودي .

وبعد أن استقر لسليان الملك نشطت المشاريع التجارية والصناعية واستخراج الحديد والنحاس من « وادي عَرَبة » . فكثر إيراده (الذي قدر بما يساوي عشرة ملايين دولار سنوياً تقريباً [1]) مما دعاه للقيام بأعمال عمرانية ضخمة عهد بإقامتها إلى مهندسين وعمال كنعانيين - فنيقيين . وأشهر هذه الإنشاءات :

(١) **معبد سليان** : بني في الموضع الذي اشتراه داود عليه السلام من « أرونة اليبوسي » . يُعد المعبد (ويذكره بعضهم باسم هيكل سليان) من أجمل أبنية العالم في عصره . قطعت حجارته من محجر يقع الى الشرق من باب العمود يقال له « محجر سليان » . وأما أخشابه فكانت من أرز لبنان . حملها الفنيقيون من موانئهم الى يافا . وتم بناء المعبد في سبع سنين . وقد سخر سليان ثلاثين ألف عامل لإقامته . وبني حسب رسوم وضعت في عهد داود قبل مماته . والذين قاموا بإنشاء هذا المعبد هم مهندسون فنيقيون من صور ، برياسة المهندس حيرام أو « حورام [2] » . ولقاء هذه المساعدة تنازل سليان لملك صور الفنيقي ، حيرام ، عن عشرين مدينة فلسطينية تقع في الجليل [3] شرقي عكا .

مرت على هيكل سليان أدوار كثيرة . فقد هُدّم وأعيد بناؤه أكثر من مرة . والمشهور أن الحرم الشريف اليوم يقوم على الساحة التي كان يقوم عليها الهيكل المذكور .

ومما هو جدير بالذكر أن معبد سليان لم يكن معبداً لجميع اليهود إلا في عهد سليان ومعبداً لأقلية منهم في عهد خليفته وولده « رَحُبْعام » ؛ حيث وجه الإسرائيليون وجوههم نحو معبدين أقامها « يَرُبعام » أول ملوك المملكة الإسرائيلية . الأول كان في « بيتين » في شمالي القدس والثاني في « دان - تل القاضي » . كما وأن السامريين ، وهم طائفة يهودية ، تعتقد بأن الهيكل بني فوق

---

١ - قاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك ورفاقه ٤٨٢/١. بيروت ١٩٦٤.
٢ - للتفصيل راجع سفر الملوك الأول الاصحاح الخامس .
٣ - سفر الملوك الأول : الاصحاح التاسع : ١١ .

جبل جرزيم في ظاهر نابلس .

وقد قدّس اليهود هـــذه الهياكل الثلاثة قدسية لا تقل عن قدسية الآخرين لهيكل سليمان .

(٢) **القصر الملكي** : استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة [١] . وكانت مساحته (١٥٠،٠٠٠) قدم مربع . ويبدو أن غرفـــه كانت كثيرة لكثرة نساء الملك وحاشيته . وذكر أنه كان لسليمان سبع مئة زوجـــة وثلاث مئة سرية [٢] من مختلف الأقوام والأمم كالمؤابيين والعمونيين والآدوميين والحثيـــين والفنيقيين وغيرهم .

(٣) **بيت وعر لبنان** : وهو قسم من القصر الملكي . بلغت مساحته أربعة أضعاف مساحة الهيكل كله . وبه الخزائن ومستودع السلاح . وربما سمي بهذا الإسم بسبب أعمدة خشب أرز لبنـــان المحيطة به [٣] . وكان في مقدمة هذا البيت باب كبير يجلس أمامه سليمان يقضي بين الناس ويلفظ الأحكام .

والمعروف أن سليمان بنى قصراً فخماً آخر لزوجته بنت فرعون .

(٤) وسع أسوار القدس فصارت تحيط بالأحياء المضافة إليها. كما أمر بإقامة المباني والثكنات العسكرية والحصون في مختلف أنحاء مملكته . أشهرها الحصون التي أنشئت في « بيت عور التحتا » و « مجدو » و « حاصور » و « عين جدي » وغيرها من المدن التي تقع على الطرق التجارية الواقعة بـين فلسطين ودمشق وفنيقية ومصر والبحر الأحمر . بناها لحماية التجارة ولجباية الضرائب من التجار الذين كانوا يمرون ببلاده .

وفي المصادر العربية ان أول من أقام حَيْراً [٤] على قبور ابراهيم وعائلته هو « سليمان بن داود » الأمر الذي لم أر له ذكراً في العهـد القديم . إذ من المستبعد

---

١ – للتفصيل راجع سفر الملوك الأول الاصحاح السابع .

٢ – تاريخ اليعقوبي ٥٩/١ بيروت ١٩٦٠ وتاريخ ابن خلدون : ١٤٥/١ .

٣ – للتفصيل راجع سفر الملوك الأول الاصحاح السابع .

٤ – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ص ١٦٨ – ١٦٩ وص ٣٣ من تاريخ الأنس الجليل . والحير : بالفتح بمعنى الحمى .

جداً أن لا يقوم سليمان بمثل هذا العمل مع مقبرة أجداده الأولين .

وكان سليمان يستخدم العمال في أعماله السالفة الذكر حسب نظام السخرة . وكما ساعده الفنيقيون في إقامة هيكله ومبانيه المختلفة فقد ساعدوه أيضاً بأن بنوا له أسطولاً تجارياً كان يرسله ، بقيادتهم الى السواحل السورية والإفريقية ليأتيه بمحاصلات تلك البلاد وجعل له ميناءً على البحر الأحمر[1] لتنقل إليه سلع بلاد العرب والهند وغيرها . فكان له من جميع ذلك أرباح طائلة .

ويبدو أن سليمان لم يكن كأبيه في المقدرة الحربية . فقد ثار عليه الكنعانيون بقيادة ملك « جازر » فعجز سليمان عن اخضاع الثائرين مما دعاه ليستنجد بـ (شيشنق – Shishonk) الأول فرعون مصر[2] . عرف هذا الفرعون بأنه كان حاكماً قوياً ، شجاعاً نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم وتاريخها المجيد. فرحب بالنجدة التي طلبها سليمان وجعلها مقدمة لبسط نفوذه على فلسطين. فتمكن من اخضاع الثورة واستولى على « جازر » عنوة وأحرقها ثم أهداها لسليمان الذي شيدها من جديد . وهكذا أصبحت سيادة مصر على فلسطين فعلية ، مما دعا برستيد لأن يقول : «والظاهر أن سليمان الحكيم كان والياً وقتئذ تحت النفوذ المصري هناك. ويرجح انه تزوج بكريمة فرعون الذي أوسع له الأقاليم تحت إشرافه بضم مدينة جازر المهمة اليه[3]] .

هذا وقد خسر سليمان البلاد التي كان يحكمها في شرقي الأردن ولم يبق له إلا « أيلة – العقبة » ونواحيها .

وسليمان مثل أبيه جمع بين النبوة والسلطنة . واشتهر بحكمته وذكائه وذاكرته .

ومما هو جدير بالذكر أن اهل القصص وأهل التفسير يذكرون أن ملكة سبأ

---

١ – هو ميناء «عصيون جابر» وكانت هذه المدينة مركزاً لصهر الحديد والنحاس المستخرجة من « وادي العربة » .

٢ – مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ٩٤٥ – ٧٤٥ ق . م وهذه الأسرة ليبية الأصل . وقد ذكر العهد القديم هذا الفرعون باسم « شيشق » .

٣ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ٣٥٧ – ٣٥٨ .

— في اليمن — زارت سليمان وانه تزوج منها وأتت له بولد . ويذكر ملوك الحبشة اليوم ، أنهم أبناء سليمان من ، منليك الأول ، الولد الذي أنجبه منها . ولذلك نجد ضمن ألقاب ملكها الحالي « أسد يهوذا » .

كانت مملكة سليمان منقسمة الى اثنتي عشرة ولاية ، في كل ولاية حاكم يجمع الأموال الأميرية ويجمع الجزية والضرائب التي كانت تؤخذ عيناً من الماشية والغلال . مما استلزم اقامة مخازن واسعة لاختزان هذه الضريبة المفروضة .وكان على حكام المقاطعات الاثنتي عشرة أن يقدم كل منهم ميرة للقصر الملكي شهراً في كل سنة .

إن سليمان وإن لم يكن في مقدرة أبيه الحربية لكنه تفوق عليه وعلى أمته بحكمته وغناه وفخامة آثاره . وتمتع اليهود في معظم مدته بالهناء والراحة . وقد اتحدت الأقاصيص على ان تجعل اسم « سليمان » ، في كل العصور مرادفاً للقوة والبهاء والحكمة[1] .

إلا أن ملكه كان في النهاية نازلة ثقيلة على المملكة اليهودية ، لأنه اضطر لاتمام مقاصده الكبيرة الى وضع مكوس فادحة على شعبه فأرهقهم بالضرائب مما جعل القبائل اليهودية تنقم عليه . فثار عليه بعضهم بقيادة « يَرُبعام بن نباط » الذي سوّلت له نفسه الملك. ولما فشل فيما سعى اليه التجأ الى « شيشنق »فرعون مصر الذي رحب به . فكان ذلك سبباً لانقسام اليهود وبداية لأفول مجدهم وعزهم الذي لم يدم أكثر من سبعين سنة أو أقل .

وأخيراً توفي سليمان في القدس ودفن الى جانب قبر أبيه داود . وهكذا بموت سليمان دفن معه حلم اليهود باقامة قوة يهودية ضخمة الى الأبد .

* * *

يتضح مما تقدم ان استقرار اليهود بفلسطين تم بالتدريج ، وأنهم قضوا زمناً طويلاً ليكون لهم سلطان لمدة قصيرة ، في معظم بلادنا ، لا أن يكونوا سادتها.

---

١ — مصر القديمة : ٩/٥١٦ .

انقسام المملكة اليهودية

كانت الأمة اليهودية تتمتع ، بوجه عام ، في هناء السلم في عهد سليمان . لكن ذلك لم يدم لهم في أواخر حكمه فقامت عليه الفتن والثورات في مختلف أنحاء المملكة . ولما توفي خلفه ابنه « رَحبْعام » . فقال له شعبه : « إن أباك ثقّل نيرنا ، وأما انت فخفف من نيرنا » فأجابهم قائلا : [أبي حمّلكم نيراً ثقيلاً وأنا أزيد على نيركم . أبي أدّبكم بالسياط ، وأنا أُؤدبكم بالعقارب] [1] . فثارت عليه القبائل اليهودية ، ما عدا قبيلتين . ثم أسس العشرة أسباط (القبائل) مملكة لهم في الشمال،واستدعوا « يربعام » الذي كان قد عاد من مصر ، ونصّبوه عليهم ملكاً . وجعلوا « شكيم – نابلس » عاصمة لهم . وبقيت « القدس » – التي لم يُقدَّر لها ان تكون عاصمة للدولة الموحدة أكثر من ٧٣ سنة – عاصمة للسبطين الواليين. وهكذا انقسمت مملكة داود وسليمان الى قسمين وبذلك صار من السهل على أعدائهم سلب استقلالهم . فخسروا ما كسبوه من البلاد المجاورة ، وضعف شأن التجارة وارتد فريق كبير من اليهود عن عبادة الله الى عبادة الأوثان.

المملكتان العبرانيتان

كانت حياة العبرانيين (في فلسطين)تشبه حالة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم،فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار .... ومن الأول الى الآخر لم تكن (مملكتهم) سوى حادث طارىء في تاريخ مصر وسورية وأشور وفنيقيا ، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم .

ه . ج . ولز : موجز التاريخ .

انقسمت المملكة اليهودية الى دولتين صغيرتين ، لا يُرجى لهما الاستقرار . وقد تعارضت ميول هاتين المملكتين وتنافرت مصالحها ، فما كانتا الا دولتين ضعيفتين ، لم تنعما بالاستقلال الحقيقي حتى انتهى بهما الأمر الى تلاشيهما ، لما نشب

---

١ – الملوك الأول : الاصحاح ١٢ : ١٠ – ١١ .

مملكتا اليهود في القرنين
التاسع والعاشر قبل الميلاد

في نحو ٩٢٣ - ٨٤٠ ق.م

- يلاحظ أن قسماً كبيراً من فلسطين
لم يتمكن اليهود من الاستيلاء عليه
في أوج امتداد حكمهم -

الفينيقيون
صيدا
صور
دان
قادش
حاصور
كابول
عكا
مملكة آرام
دور
مجدو
يزرعيل
مملكة اسرائيل
يابيش جلعاد
السامرة
شكيم
فنوئيل
مملكة عمون
أفيق
يافا
شيلوه
ربة عمون
اللد
بيت ايل
اريحا
يبنئيل
الفلسطينيون
جازر
اورشليم
حشبون
اشدود
عسقلان
جت
غزة
المملكة اليهودية
مملكة موآب
جرار
رفيا
بئر السبع
قير حارسة

بينهما من حروب دامية ، ومنازعات سياسية ، واستنجاد كل منهما بالممالك المجاورة لمساعدتها على أختها، وما تعرضت له كل منهما من أزمات دينية ومتاعب داخلية وخارجية .

والحق أن اليهود لم ينعموا في استقلالهم الكامل الا في أيام داود وبعض أيام سليمان . وبعد الانقسام أصبح استقلالهم محدوداً . وجزئياً .

[لم يكن سكان هاتين المملكتين على شيء من التصافي والتواد ، بل كثيراً ما كان ينشأ بينهم من التباغض والتضاغن ما يحدوهم الى الخصام وامتشاق الحسام. كانت مملكة اسرائيل في شمالي فلسطين غنية متقدمة تغص أسواقها بسلع الصناعة والتجارة ، وتتدفق أرضها بالنعم والبركات ، وكان أهلها على جانب من التمدن يعيشون في سعة ورخاء ، مما يدل على أنهم كانوا من أهل اليسار .

وأما مملكة يهوذا ، في جنوب البلاد ، فكانت على عكس أختها في الشمال ، قصيرة ، متأخرة وأرضها جديبة ، ولم تكن ذات مدن كبيرة ، لأن كثيرين من سكانها كانوا لا يزالون في حال البداوة يتنقلون بمواشيهم من مكان الى مكان ارتياداً للماء والكلأ .

وقد آل هذا التباين بينهم الى النزاع في كثير من الشؤون ولاسيما الدينية منها[١]] .

المملكة الاسرائيلية[٢]

« ٩٢٣ – ٧٢٢ ق . م »

كانت مساحتها ضعف مساحة اختها ، كما كان عدد سكانها ثلاثة أمثال عدد سكان المملكة اليهودية .

عاشت المملكة الاسرائيلية نحو قرنين تولى عرشها في خلالها ١٩ ملكاً . لقي عشرة منهم حتفهم قتلاً بأيدي بني قومهم . كما لقي آخرهم نهايته في الأسر .

١ – العصور القديمة لبرستيد ص ١٨٠ .

٢ – نسبة الى « اسرائيل » لقب « يعقوب بن اسحق » .

وكانت العواصم «شكيم» ثم «فنوئيل[1]»ثم « ترصة » ثم السامرة — سبسطية».
وكانت « زرعين » مصيف بعض ملوكها .
وهاك ملخصاً لتاريخها :

أولاً :

إن القسم الأعظم من أهالي هـذه المملكة بمن فيهم ملوكها ، كانوا يتعصبون لعبادة الأوثان[2] حتى ان « يربعام بن نباط[3] » أول ملوكها أقـام عجلين من الذهب ، تشبهاً بالمصريين الذين رآهم يعبدون « أبيس » بهيئة عجل أيام لجوئه الى مصر . وضع أحدهما في « بيتين » والثاني في « دان » في شمالي فلسطين . وأمر اليهود أن يعبدوهما قائلاً: هذه هي آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من مصر . فأخذوا يحجون اليها بدلاً من التوجه الى معبد سليمان في القدس .

ولما تزوج ملك اسرائيل « آخاب بن عمري في نحو ٨٧٤ — ٨٥٢ ق. م . » « ايزابيل » بنت ملك صور اعترف بالديانـة الكنعانية فعبد « بعل » وسجد له وأقام له مذبحاً في « بيت البعل » الذي بناه في السامرة . ومع ان هـذا الزواج كان تدبيراً سياسياً واقتصادياً حيث ضمن للمملكة الاسرائيلية صداقة الفنيقيين وموانئهم وأسواقهم لتصريف تجارتها فانتشرت تجارة المملكة وتضخمت ثروتها واتسع عمرانها في مختلف أنحائها ونعم سكانها بالرخاء واعتبر معاصرو آخاب انه من أنجح الملوك . إلا أن ذلك جميعه لم يخفف من وطـأة المنازعات الدينية في

---

١ — الأرجح أن موقعها يعرف اليوم باسم « تلول الذهب » ، على نهر الزرقاء على بعد نحـو أربعة أميال شرقي نهر الأردن .

٢ — عبد اليهود الأوثان في فجر تاريخهم، في سيناء . وانا لنقراء في سفر الخروج (الاصحاح ٣٢ : ٢٥ — ٢٨ — كيف كانوا يرقصون وهم عراة امام العجل الذهبي مما دعا موسى عليـه السلام لاعدام الكثيرين منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن . وهناك شواهد كثيرة تـدل على أن اليهود عبدوا الأفعى في هيكل سليمان الى أيام (حزقيا) — حوالي عام ٧٢٠ ق . م . من ملوك يهوذا .

٣ — إن نباط والد « يربعام » من قرية « صردة » كان من موظفي الملك سليمان . وصردة هي قرية « دير غسانة » اليوم .

اسرائيل . فقام عـدد كبير من الصالحين يعظون الشعب وينصحونه بالاقلاع عن عبادة الأوثان . وكان في مقدمة هؤلاء الناصحين النبيان «الياس[1]»و«اليسع[2]» عليهما السلام . لم ينتصح آخاب وقومه ، وقيل انه لم يكن في جميع اسرائيل في ذلك العهد ، إلا ٧٠٠٠ شخص لم يعبدوا الأوثان .

فالنزاع الديني الذي يُعد من أهم حوادث هـذه الدولة كان من الأسباب التي أدّت الى انتشار الفوضى وفساد الحكم وضعف المملكة .

ثانياً :

النزاع على العرش : ان ملوكها لم يكونوا من سلالة واحدة . فالقائـد أو الزعيم الذي يقوى ويتغلب على خصومه يعلن نفسه ملكاً ، ويعمل على استئصال جميع أفراد العائلة المـالكة التي كانت تحكم قبله حتى لا يحاولوا استرداد عرشهم منه . وأشهر هؤلاء القادة « عمري » الذي يعد من ، أوجه عديدة، أقوى ملك استولى على عرش المملكة الاسرائيلية، حتى ان الآشوريين كانوا يسمون اسرائيل « بأرض عمري » . وكان حكمه حوالي « ٨٨٥ — ٨٧٤ ق. م.». وملكت عائلته نحو ٤٥ سنة .

يرجح ان « عُمْري » كان عربياً ، كما يدل عليه اسمه ، يعود بـأصله الى « الانباط » القبيلة العربية المعروفة . وأهم أعماله بنـاء وتحصين مدينة السامرة التي نقل اليها مركز الملك وذلك حوالي عام ٨٨٠ ق . م .

ثالثاً :

الحروب مع الدول المجاورة : ومنها الحروب التي قامت بينها وبـين اختها

---

١ -- ولد النبي الياس في قرية « تشبة » . والراجح انها خربة « الأستيب » أو « لستيب » الزاقعة شمال غربي مدينة « عجلون » في شرقي الأردن . وقـد ذكره الله عز وجـل في سورة الانعام (٨٥) وفي سورة الصافات (١٢٣) .

٢ - ولد اليسع بالقرب من منابع « وادي المالح » للشرق من قرية « تياسير » من أعمـال نابلس . ذكره الله عز وجل في سورة الانعام (٨٦) وفي سورة ص (٤٨). وذكر بعضهم انـه دفن في قرية « سبسطية » .

الشمالية ، كما سنذكر ذلك حين كلامنا عن المملكة اليهودية .

وفي نحو منتصف القرن التاسع قبل الميــلاد قام في « مؤاب » ملك يدعى « ميشع » الذي لم يكتف بالإمتناع عن دفع الجزية لإسرائيل بل وسع حدوده حتى وصل الى « معان » وخلد أعماله وحروبه مع اليهود ، الذين ضربهم ضربة قاصمة ، في الحجر المؤابي الشهير الذي تقدم ذكره .

كان الآراميون في سورية يعدون من ألد الأعداء للملكة الإسرائيلية . وقد استمرت الحرب بينهما في معظم سني القرن التاسع قبل الميلاد . وكان النصر فيها حليف السوريين حتى انهم في احدى حروبهــم تمكنوا من حصار « السامرة » عاصمة المملكة الإسرائيلية . وفي حوالي عام ٨٠٥ ق . م . قـام « حَزَائيل بن بنهَدَد » ملك آرام الدمشقي بحملة ضد إسرائيل فوسع ممتلكاته في شرقي الأردن حتى نهر الموجب ووصلت فتوحاته الى «جت – عراق المنشية» في السهل الساحلي الفلسطيني . وكان مزمعاً ان يقتحم القدس غير أنه تحول عنها بعد أن قــدم له ملكها الكنوز والهدايا الذهبية . وهكذا أضحت إسرائيل وكأنها تابعة لآرام . وبعد وفاة « حزائيل » الذي كان يعد أعظم محــارب آرامي ، خسر خلفاؤه ، بسبب هجمات الآشوريين المتكررة ، كل ما كان قد استولى عليه .

رابعاً :

الآشوريون يُنهون المملكة الاسرائيلية :

الآشوريون من البدو الساميين ، نزحوا من الجزيرة العربيــة واستوطنوا آشور شمالي العراق [١] في نحو الألف الثــالث قبل الميلاد . وأول محــاولة للآشوريين للظهور كدولة عظمى كانت في عهد « تغلاث فلاسر الأول ١١١٧ – ١٠٨٠ ق . م. Tiglath - Pileser » الذي خضعت له الشام في نحو (١٠٩٤ ق. م .) . وبعد أن استقر في سورية ، واقترب من حــدود مصر خافه فرعونها

١ – لعــل أول غزوة أتت من العراق على فلسطين كانت غزوة « كدر لعومر العيلامي » الذي حكم العراق في أوائل القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد مر ذكرها .

« نسوبانبدد » [1] وأرضاه بالهدايا حتى لا يمسه بسوء .

وبعد مدة تمكن الشاميون من استرداد بلادهم من الآشوريين إلى أن جـــاء « آشور ناصر بال الثاني ٨٨٤ — ٨٥٩ ق.م Ashur-Nasir Pal » الذي اكتسح شمالي سورية ودخل لبنان وخضعت له المدن الفنيقية. وفي عهد ولده « شلمناصر الثـالث ٨٥٩ — ٨٢٤ ق.م — Shalmaneser » طمع الآشوريون بالإستيلاء على بقية الشام . فتحالف ضدهم الاسرائيليون وكانوا بقيادة ملكهم « آخـــاب بن عمري » المـار ذكره ، والفنيقيون والسوريون بقيادة « بَنْهَدَد » ملك دمشق والعرب بقيادة « جندب » ملك «عربي[2] ». نشبت معركة عند « قَرْقَر[3] » على نهر العاصي عام ٨٥٣ ق.م ، لاقى الآشوريون مقاومة شديدة ممـــا اضطر شلمناصر للإنسحاب الى الفرات . إلا أن جيوش « بنهـدد » أصيبت بخسائر فادحة مما جعل آخاب ، ملك إسرائيل ، ينتهز الفرصة فيغدر بحليفه الدمشقي ويهاجمه . غير انه لم يقدر قوة خصمه حق قدرها فَدُحِر وأصيب بسهم طائش أرداه قتيلاً فتشتت جيشه . وبعد مدة عاد شلمناصر وجدّد هجومه على دمشق، وأخيراً تمكن من التغلب على مقاومة الآراميين ، بعـــد أن حشد جيشاً ضخماً قوامه (١٢٠) ألف محـــارب . وهكذا تم للآشوريين اكتساح جميع بر الشام الشمالي . ولما علم بذلك ملك إسرائيل أعلن خضوعه التـــام للفاتحين بتقديمه لهم الهدايا الثمينة والجزية .

ومما هو جدير بالذكر أنه في عهد « تغلاث فلاسر الثاني » ، في أواخر القرن التاسع قبل الميلاد[4] ثارت عليه قبيلة عربية ، كانت تقيم في جنوبي فلسطين على حدود مصر ، بقيادة ملكتها « حبيبة » مما اضطره لخلعها وأقام مكانها رجلاً من

---

١ — هو مؤسس الأسرة الحادية والعشرين المصرية ١٠٩٠ — ٩٤٥ ق . م . وامتد حكمه نحو خمس سنوات : ١٠٩٠ — ١٠٨٥ ق . م .

٢ — رأى بعضهم أن « عربي » مقاطعة تقع في مكان ما جنوبي شرقي مملكة دمشق .

٣ — هي قرية « قرقور » اليوم . الى الجنوب من بـــلدة « جسر الشغور » ، على مسيرة ٨ كيلومترات منها .

٤ — وكذلك ظهرت في آشور، في اواخر القرن المذكور ، الملكة (سمو — رمات في نحو =

خاصته [1] .

ولما امتنع الاسرائيليون، بعد مدة ، عن تقديم الجزية في عهد «تغلات فلاسر الثالث ٧٤٥ – ٧٢٧ ق . م » حمل حملاته على فلسطين فاستولى على الجليل والسهل الساحلي وأرسل لهما من يدير شئونهما من الآشوريين لحكمها . وانتهى بزحفه الى حدود مصر ، ونصب تمثالاً لنفسه في قصر « حانون » أكبر رؤساء غزة أو ملكها . وعين « أدبئيل » أو « أدبعيل » ، وهو شيخ قبيلة عربية تدعى بهذا الإسم أيضاً – كانت تقوم في جنوب غربي البحر الميت وفي بلاد غزة حتى حدود مصر – نائباً عنه على خمسة عشر موضعاً في أرض عسقلان ، وفوضه أمر حماية الحدود والمحافظة عليها من الغزو [2] .

وأرسلت له عمُّون وآدوم ومؤاب الجزية، كما دفعتها له من قبلهم اسرائيل . وهكذا تم لتغلات فلاسر إخضاع جميع بلاد الشام . وكان ذلك فيا بين ٧٣٤ و ٧٣٢ ق . م .

ولما حاول « هوشع بن أيلة – ٧٣٣ – ٧٢٢ ق . م » آخر ملوك المملكة الاسرائيلية أن يحالف فراعنة مصر ليخلع عنه سلطة الآشوريين زحف هؤلاء

= ٨١١ – ٨٠٨ ق . م .) التي كان لها شأن كبير في عالم الأساطير. اشتهرت بالاسم اليوناني « سميراميس » المحرف عن اسمها الآشوري . واعتبرها اليونانيون بمثابة إلهة . ونسبوا اليها الكثير من الأعمال الجليلة . وذكرتها الأساطير الواردة في المصادر الاغريقية بأنها كانت ابنة الهة نصفها سمكة ونصفها الآخر حمامة. وان عبادتها كانت منتشرة في عسقلان الفلسطينية . وبعد ان ولدت هذه الالهة ابنتها سميراميس تركتها في ناحية عسقلان ، فأخذها الحمام وصار يرعاها . ثم عثر عليها كبير رعاة الملك فرباها ولما كبرت تزوجها الملك .

والاسم « سمو – رمات » مركب من كلمتين : «سمو» ومعناها الحمامة و « رمات » ومعناها المحبوبة . فيكون معنى اسم الملكة « محبوبة الحمام » .

ومما يسترعي الانتباه بهذا الصدد انه كانت تقع على مسافة أربعة أميال للشمال من عسقلان قرية يونانية تعرف باسم « Peleya » ، بمعنى حمامة . واليوم تقوم قرية « حمامة » العربية على بقعة سميتها اليونانية .

١ – العرب قبل الاسلام : ٩١ .

٢ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ١/٢٩١ و شمال الحجاز تأليف ا . موسل ص ٨٦ .

على السامرة، عاصمته، وبعد حصار امتد ثلاث سنوات تمكن « سرجون الثاني » عام ٧٢٢ ق. م من دك أسوارها وسبى وجـوه المملكة ونخبة الشعب وأرسلهم الى بلاده . وقدر عدد المسبيين بـ ٢٧،٢٨٠ نسمة .

[ولم يشكل المسبيون سوى قسم صغـير من سكان المملكة الشمالية ، غربي الأردن ويقدر عددهم بأربعمائة الف نسمة [1]] . وهكذا لحقت الأمة اليهودية الذلة والمسكنة . اما البـــاقون من الإسرائيليين فقسم منهم هاجر الى المملكة الجنوبية ، والقسم الباقي بقي في البلاد يؤدي الجزية . وحـــل محل الراحلين عن البلاد مسبيون آخرون ممن سباهم سرجون من شعوب الأمم الأخرى [2] ومن بينهم جماعة من قبيلة« ثمود » .

ويبدو أن قسماً من الذين بقوا في البلاد من سكان السامرة بعد خرابها استقروا بالقرب منها في بقعة دعوهـــا باسم « إجنِسِنْيا » بمعنى « من الجنس أو العرق ذاته [3] » أي انهم ليسوا من الغرباء .

وفي اثناء حصار السامرة أخذ سرجون قسماً من جيـوشه مصمماً أن يصفي حسابه مع مصر التي كانت تميل لمساعدة اعدائه . فالتقى الطرفان على الحـــدود المصرية في « رفح » — التي كان الآشوريون يسمونها « رفيحـو » — وانتصر الآشوريون ولم تتخلص مصر من الغزو الا بتقديم مختلف الهدايا للغازي .

« المملكة اليهودية[4] »

٩٢٣ – ٥٨٦ ق.م.

اشتملت هذه المملكة على بعض القسم الجنوبي من بـلادنا ، فكانت مساحتها

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٢١٣ .

٢ – يرى بعض أهل البحث ان الطائفة السامرية في نابلس اليوم هي من نسل وبقايا المسبيين الذين أنزلهم سرجون مكان الراحلين . اختلطوا بالكنعانيين وباليهود الباقين في البلاد .

٣ – راجع تفسير كلمة « جنسنايا – Jinsna'ya » في صفحة ٩٦ من كتاب « أسمـاء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » . و « اجنسنيا » اليوم قرية متواضعة من أعمال نابلس تقع في ظاهر سبسطية الشرقي .

٤ – نسبة الى هذه المملكة دعي « اليهود » باسمهم هذا . وأصله من « يهوذا » اسم سبط =

المملكة اليهودية

بعد زوال مملكة إسرائيل

في نحو ٧٠٠ ق.م

نحو (٣٥٠٠) ميل مربع وعدد سكانها حوالي ٢٠٠،٠٠٠ نسمة . دامت نحو ١٣٦

=(قبيلة) من أسباط بني اسرائيل.سميت بذلك نسبة الى جدهم «يهوذا» رابع اولاد «يعقوب» .

وكلمة « يهودي » مثل كلمة « اسرائيلي » تعنيان اليوم معنى واحداً وهما تعنيان في الوقت نفسه « عبراني » . و « عبراني » هو الاسم الذي لقب به الكنعانيون ابراهيم عليه السلام بعبوره نهر الفرات في طريقه الى فلسطين ، بمعنى انه وجماعته أتوا من بلاد أخرى . وبالاسم المذكور عرفهم المصريون والفلسطينيون .

ولفظة « يهود » أعم من لفظة « عبرانيين » و « بني اسرائيل » . ذلك ان لفظة « يهود » تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممن أُدخل في دين اليهود وهو ليس منهم .

ان القسم الأكبر من « اليهود » اليوم لا يمتون بصلة الى يهود التاريخ ، بل ينتسبون الى عناصر وثنية مختلفة اعتنقت الديانة اليهودية على أثر تشتت اليهود وانتشارهم في مختلف انحاء الأرض بعد السبي البابلي .

قال الدكتور « مارتن سيدل - Martin Seidel »: « وبعد السبي البابلي استوطن الكثيرون من اليهود في ما كانت تدعى حينئذ مملكة « أديابين » وتعرف الآن ببلاد كردستان الواقعة شمالي وشرقي دجلة . وقد تهود كثيرون من الأمم في تلك النواحي » . نقلاً عن «صافي الينبوع في زمن يسوع » ترجمة القس بشارة بارودي ص ١٧٩ بيروت ١٩٠٨ .

وقال في موضع آخر (ص ٢٠١) : « وقد ظن اليهود الاتقياء ، ولا سيما الذين عاشوا في زمن قيصر وأوغسطوس ان الله يسر بغيرتهم على الشريعة وجذبهم الأمم اليها . والذلك قيل في الكتبة أنهم يطوفون البحر والبر ليكسبوا دخيلاً واحداً . وقد شهد يوسيفوس وهوراس وسنيكا وغيرهم بشدة رغبة اليهود في اكتساب عدد وافر من الدخلاء في جميع أنحاء المملكة الرومانية».

والمعروف أيضاً أن هناك عرباً تهودوا في الجزيرة العربية حينما نزلها اليهود على أثر ما حل بهم من نكبات في مختلف الازمنة .

وتعتبر « مملكة الخزر » التي اعتنقت الديانة اليهودية في القرن الثامن للميلاد أعظم الجماعات التي تهودت خلال العصور المتتالية . وكانت رقعتها تمتد بين نهري (الفولغا) و (الدون) وتمتد حتى شواطىء بحر خزر والبحر الأسود . وقد عاشت قوية منتعشة مدة طويلة وبعد اندثارها تشتت ابناؤها من القوقاز واوروبا الشرقية الى مختلف الانحاء وقسم كبير منهم هاجر الى العالم الجديد . وشعب « الخزر » شعب غير سامي ، وهو خليط يعود بأصله الى أواسط آسيا وشرقها.

وقال الفريد ليلينتال ، مؤلف ثمن اسرائيل : « ولا نغالي اذا قلنا ان عدداً كبيراً من المسيحيين يجري في عروقه الدم العبراني -- الاسرائيلي القديم أكثر من فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصريتهم اليهودية ، » ص ٢٣٠ . وقال أيضاً : (قال علماء تاريخ الجنس البشري، في جامعة كولومبيا : «ان اليهود هم شعب يعتنق الديانة اليهودية،وهو خليط من جميع الاجناس بما فيها الزنجي والمغولي...أما يهود أوروبا فهم أيضاً خليط من عدة سلالات مختلفة » ص ٢٣١ . بيروت ١٩٥٤ م .

سنة بعد خراب المملكة الشمالية. وهي مدينة في بقائها المؤقت، وتأخير سقوطها للثورات التي كانت تعصف في الدول المجاورة ، وتولى عرشها ، في المدة التي ظلت فيها قائمة ، وهي نحو ٣٣٧ سنة عشرون ملكاً بينهم ستة مـاتوا قتلاً بأيدي بني قومهم ، ودفنت رفات ملكين آخرين باحتقار عظيم من الشعب . وأما ملوكهم الأربعة الأخيرون فقد كانوا ألعوبة في أيدي المصريين والبابليين . وجميع هؤلاء الملوك من نسل « داود بن يسي » الا « عثليا ٨٤١ – ٨٣٥ ق.م.» ابنة ابن عمري من ملوك الدولة الشمالية .

ومن أشهر حوادث هذه المملكة :

أولاً :

الحروب بينها وبـين أختها الشمالية : وقــد امتدت (٥٠) سنة . وانتهت بتحالف « يهوشافاط ٨٧٢ – ٨٥٢ ق.م. » ملك يهوذا مع « آخاب بن عمري » ملك اسرائيل المار ذكره ، بأن تزوج ابن الأول ، بعثليا المار ذكرها بالرغم من مخالفة شيوخ المملكه اليهودية ومتدينيها لهذه المصاهرة . ولكن هـذه المحالفة لم تدم طويلاً فقد عادت الحرب بين المملكتين الى سابق عهدها ، وامتدت اكثر من نصف قرن . حتى ان جيوش المملكة الشمالية تمكنت ، في إحدى حروبها ، من الوصول الى القدس فهدمت قسما من سورهـا ونهبت مـا في الهيكل والقصور الملكية من كنوز وذهب وفضة ثم عادت غانمة الى السامرة . وكان ذلـك ، في أوائل القرن الثامن قبـل الميلاد ، في عهد أَمصْيا ، ملك المملكة اليهودية . الا أن حملات « تغـلاث فلاصر » الآشوري على البلاد عام ٧٣٢ ق. م . وخضوع المملكتين اليهوديتين له وضعاً حداً لهذه الحروب .

ويضاف الى ما تقدم ؛ المعارك الدامية التي كانت تنشب بين المملكة اليهودية وبين الأمم المجاورة كالمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والعرب وغيرهم . حتى إن العرب والفلسطينيين تمكنوا في وقتٍ ما من دخول القدس ، فغنموا مـا في القصور الملكية من نفائس وكنوز كما سبوا أولاد الملك ونساءه .

ثانياً :

العلاقات الدولية : لما انقسمت الدولة اليهودية الى مملكتين رأى «شيشنق»، فرعون مصر المــار ذكره ، أن الوقت قد حان لبسط نفوذه على فلسطين كلها . واتخذ من طلب « يَرُبعام » ، أول ملوك اسرائيل ، حمايته من عدوه «رحبعام» ملك الجنوب سبباً لدخول البلاد . توجه شيشنق الى فلسطين وغزاها وكان ذلك في السنة الخامسة للملك رحبعام ، فدخل القدس وغنم مــا في هيكلها وخزائن حكومتها من كنوز وأموال ممــا عاد على خزانة مصر بالثراء العظيم . ثم سار الغازي ومعه قواته الليبية والعربية[1] شمالاً حتى وصل الى بحيرة طبرية وشرقي نهر الأردن . وقد جاء ذكر المدن والمواقع التي افتتحها شيشنق في فلسطين ، وهي أكثر من ١٥٠ بقعة ، في صفحة ١٢٤ – ١٢٦ من الجزء التــاسع من كتاب مصر القديمة .

حمل الغازي في عودته الى مصر الغنائم المختلفة التي غنمها من اليهود وقد عاشت مصر بعدها مدة تقرب قرنين من الزمان تنفق من الغنــائم التي حملها شيشنق من فلسطين[2] . وهكذا أضحت المملكة اليهودية ، في بدء تشكيلها خاضعة لسلطة المصريين . ولما أصبحت فلسطين ، منذ عام ٧٣٢ ق. م ، خاضعة للآشوريــين أخذ فراعنة مصر ، الذين خافوا من صولة أهل العراق وامتداد نفوذهم ، يدسّون الدسائس ويؤلبون اليهود وملوكهم على الآشوريين . فامتنع اليهود عن دفــع الجزية الى (سنحاريب بن سرجون الثاني ٧٠٥ – ٦٨١ ق.م.) مما اضطره للزحف على فلسطين مرتين . وحينما تم للآشوريــين فتح مصر في عهد « أسرحدون بن سنحاريب » أصبحت المملكة اليهودية خاضعة لهم خضوعاً تاماً .

ولمــا استولى الضعف على الآشوريين نهض المصريون وطردوهم من بلادهم ، ثم سعوا لإعادة نفوذهم في فلسطين . ففي عام ٦٤٠ ق.م. أحس « بسامتيك الأول ٦٦٣ – ٦٠٩ ق.م. » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين بقدرتــه على تجديــد

---

١ – تاريخ سورية للدبس الجزء الأول – المجلد الثاني ص ٣٩٧ ، بيروت ١٨٩٥ م .
٢ – مصر القديمة ١٣٣/٩

غزوات المصريين القدمـــاء بآسيا فأراد أن يسترجع سلطة مصر على بلاد الشام وينتزعها من آشور. فبدأ بغزو فلسطين وحاصر مدينة « اسدود» عدة سنوات، ولكنه اضطر لأن يوقف فتوحاته بالنسبة لغزوة « السكيثيين[1]– Scythians» الذين أتوا من الشمال بعد ما زحفوا على آشور واقتربوا من حدود مصر . قـــال هيرودوتس : إن بسامتيك أرجع هؤلاء الغزاة ببعض النقود والهـــدايا ونجى وطنه بهذه الطريقة . ولكن المرجح أنه قهرهم حقاً [2] .

توفي بسامتيك الأول عــــام ٦٠٩ ق.م فتولى الملك من بعده ابنـــه نخـــاو « ٦٠٩ – ٥٩٣ ق.م » وبدأ بغزو فلسطين من السنة الأولى من حكمه ، فاستولى على غزة وعسقلان عنوة ، وفي سهل مجدو التقى مــــع جيوش « يوشيا ٦٣٩ – ٦٠٨ ق.م » ملك يهوذا في نحو عام ٦٠٨ ق.م فهزمهم شر هزيمة ، وأصيب فيها اليهودي بجروح مميتة . واستمر نخــاو بزحفه حتى نهر الفرات وبذلك تمكن من استرجاع عموم سورية .

لم تدم امبراطورية نخاو طويلاً فتمكن الكلدانيون[3] من النهوض وعملوا على

---

١ – السكيثيون ، أو « الأشكوز » كما يلقبهم الآشوريون شعب اختلف في أصله آري أم مغولي ؟. كان يسكن ، في القرن السابع قبل الميلاد بـــين نهري الدانوب والدون في جنوبي روسيا ويعيشون فيها عيشة بدوية ، يرعون الماشية ويركبون الخيـــل ، ويقيمون في مركبات يغطونها بنوع حقير من اللباد . يجرونها معهم الى حيث الماء والكلاء . انتشر السكيثيون في معظم أنحاء بلاد الشام. ويرى بعض المؤرخين أن قبائل « يأجوج ومأجوج» المذكورة في القرآن الكريم هم من السكيثيين .

ويظهر ان مدينة « بيسان » التي سميت في وقت مـــا « سكيثوبوليس – Scythopolis » أخذت هذا الاسم من بقايا السكيثيين الذين سكنوها على اثر غارتهم على الشام .

٢ – تاريخ مصر الى الفتح الفارسي ، ص : ٣٩١ .

٣ – دعي الكلدانيون بهـــذا الاسم نسبة الى قبيلتهم « كلدي » السامية التي نزلت في أيام سنحاريب الأشوري جنوبي العراق وانتشرت فيـــه . وقد نجـــح زعيمهم « نبوبولاسر – Nabopolassar » في خلع نير الآشوريين عن بلاده وأسس في جنوبي العراق دولة جديـدة عرفت بالدولة الكلدانية أو البابلية الحديثة .

ويعد عهد « بختنصر بن نبوبولاسر ٦٠٥ – ٥٦٢ ق . م . » ، بحق ، من العهود المجيدة في التاريخ البشري. وعلى الرغم من كثرة حروبه الموفقة التي خاضها كان من أعاظم الملوك المعمرين=

أن يحلو محل الآشوريين[1] . فقام بُخْتَنَصَّر الكلداني الذي مـــا زال قائداً في جيش أبيه «نبوبولاسر» والتقى مع نخاو في كركميش على الفرات عام ٦٠٥ ق.م. حيث انهزم الجيش المصري ؛ وبذلك فتحت أمامه طريق سوريا .

سار بختنصر مكتسحاً بلاد الشام ، ولم يتوقف إلا عنـــد حدود مصر إذ جاءته الأنباء بموت أبيه وتوريثه عرش المملكة الكلدانية (البابلية) . وهكذا دخلت الشام تحت السيادة البابلية وأدّت لها الجزية . ولكن المملكة اليهوديـة رفضت تأدية الجزية وثارت على « بُخْتَنَصَّر » فجرد عليها جيوشه فحاصرت القدس ، وبعد حصار قصير استسلمت المدينة وسُبي الملك وعائلته وسبعة آلاف رجل وألف عامل وأرسلوا الى العراق وهم مكبلون بالحديد .

وكأنما كل ذلك لم يؤدب اليهود حيث رفضوا الخضوع الى بابل وامتنعوا عن دفع الجزية – بتأثير من مصر – مما اضطر « بُخْتَنَصَّر » لأن يهاجم القدس . واستمر على حصارها مدة سنة ونصف . ثم ثُغرت الأسوار وأُخذت المدينة في صيف عـام ٥٨٦ ق.م. وأُحرق الهيكل وبيت الملك وخربت المدينة وجعلت أكواماً من الأنقاض . ونقل من أهلها زهاء (٥٠،٠٠٠) أسير الى بابل . وبذلك ذاق اليهود الذل المهين . وأضحت فلسطين تابعة للكلدانيين .

= البنائين ولعله كان أعظم ملوك العراق القديم من هذه الناحية .

ومن أعماله الانشائية توسيعه نطاق عاصمته – بابل – حتى بلغت مساحتها ١٢ ميلاً مربعاً ، وتزيينها بالبنايات الضخمة والمعابد العظيمة . ولكي يصل بـــين المعابـــد والقصر الامبراطوري ودواوين الحكومة أنشأ شارعاً عظيماً كانت تمر فيه المواكب في الأعياد . وكان التل الذي بني عليه برج بابل الشهير يعلو كل الأبنية المذكورة التي كانت حوله . وكانت تتوج سطح القصر الملكي الاشجار الاستوائية الخضرة النضرة مرتفعة طبقة فوق طبقة مكونة جنة باسقة . وهذه الحدائق التي كانت على سطح قصر بختنصر هي الجنائن المعلقة التي عدها اليونان من عجائب الدنيا السبع .

١ – يذكر الآشوريون اليوم بأنهم من أحفـــاد الآشوريين القدمـــاء . ويقيمون في العراق (ويعرفون فيه باسم الآثوريين) وايران وتركيا . بلغ عددهم في العراق ، حسب تقديرات عام ١٩٦١ م ، حوالي ٣٦،٠٠٠ نسمة . وتقطن غالبيتهم في المنطقة الكردية . ومن الآشوريـين جاليات في سورية ولبنان ، كما آثر الكثيرون منهم الهجرة الى اوروبا وامريكا – سيما الى روسيا والولايات المتحدة – .

مظاهر الحياة اليهودية

المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين الذين أخذوا منهـــم الكثير من حضارتهم وثقافتهم ولغتهم وآدابهم وكتابتهم وطقوسهم الدينية .

دخل اليهود فلسطين وهم بدو رحل يسكنون الخيام ويرعون الأغنام ، ولما اغتصبوا مدنها وقراها ومزارعها ، وكان معظمها ان لم يكن كلهـــا مكتظاً بالسكان [1] . وقد وجدوا فيها بيوتاً مملوءة بكل خير لم يبنوها ؛ ومدناً عظيمة جيدة لم يؤسسوها ، وآباراً محفورة لم يحفروهـــا ، وأشجاراً مثمرة مغروسة لم يغرسوها [2] . وتعلموا من الكنعانيين العرب ، الزراعـة وهكذا تم لهم بفضل هؤلاء الانتقال من الهمجيـة ، ومن مرحلة المرعى والتنقل الى مرحلة الإستقرار والزراعة .

واقتبس اليهود من الكنعانيين صنع الخبز على التنور ، وصنع الخمور وممارسة تربية النحل واستخراج الزيت من الزيتون واستعماله في المصباح ليلاً ، كما تعلموا منهم الكثير من الأمور المتعلقة بالتدبير المنزلي وبعض المعرفـــة في فن إنشاء الطرق وصنع الثيـاب . فكانت ملابس اليهود تسير حسب الطراز الكنعاني . فكانت ملوكهم تلبس قميصاً طويلاً من نوع خاص . وكان قضاتهم وأنبياؤهم يلبسون نفس القميص .

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود لم يقوموا بما يترتب عليهم من التقيد بمـا جاء في التوراة التي أنزلت على موسى ، ونشر مـا جاء فيها بين الناس بل عملوا على

---

١ ــ جغرافيا الكتاب وتاريخه لـ (تشارلس فوستر كنت) ص ٩٤ ترجمـة نقولا يعقوب غبريل . بيروت ١٩٢٣ .

٢ ــ سفر التثنية : الاصحاح السادس : ١١ .

تكذيبها . قال الله تعالى : [مَثَلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً . بِئس القوم الذين كَذّبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين [1]].

وصفوة القول إن ثقافة اليهود كانت دون المستوى العادي ، وأكثرها مأخوذ من الكنعانيين والمصريين . فلم يقدموا للعالم شيئاً ذا قيمة عالية ، وكان تاريخهم مغموراً لم يتميز بشيء بارز رفيع .

وهاك ما قاله بعض المؤرخين بهذا الصدد . قال برستيد : [ولا يخفى أن مدن الكنعانيين كانت ذات حضارة قديمة ، نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة ، ومنازل متقنة حوت كثيراً من أسباب الراحة والرفاهية ، وحكومة وصناعة وتجارة ، ومعرفة بالكتابة وديانة — حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون السذّج من الكنعانيين لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم . وقد أحدث اختلاط الطرفين تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين. فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا يبنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين ، وخلعو عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية ، ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية . وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً في المنظر الخارجي ولا في المهنة ولا في اسلوب المعيشة لأنهم اقتبسوا الحضارة الكنعانية ، كما يقتبس المهاجرون الى أمريكا في هذه الأيام عادات الأمريكان وأخلاقهم وملابسهم][2] .

وقال أيضاً : [وقد اكتفى اليهود بآداب اللغة ولم يحفلوا بسواها ، فلم يكونوا يعرفون التصوير بالألوان ولا نحت التماثيل ولا فن البناء . فكانوا اذا احتاجوا الى شيء من هذه يأخذونه عن جيرانهم في مصر وفنيقية ودمشق وآشور] [3] .

---

١ - سورة الجمعة الآية : ٥ .

٢ - العصور القديمة ١٧٧ - ١٧٨ .

٣ - العصور القديمة ١٨٢ .

وقال المؤرخ « فيليب فان نس ميرز » الأمريكي : [لم يقم العبرانيون بخدمة تذكر للعالم ولا ابتكروا اسلوباً جديداً في هندسة البناء . وأما في النحت فلم يكن لهم شأن البتة ، لأن ديانتهم نهتهم عن أن يصنعوا تمثالاً منحوتاً] [١] .

وقال حتي : [ظل النـاس حتى الفترة الأخيرة يجهــلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون للحضارة العبرية واللغة والفنـون وفن العمارة والأدب والزراعـة والصناعة] [٢] .

وقال فريحة : [ان كثيراً من عناصر الحضارة الكنعانية ، حتى اللسان الكنعاني الذي أصبح لغة اليهود الرسمية ، أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحضارة اليهودية رغم عدائهم لهم] [٣] .

وقال أيضاً : [وأنت اذا قرأت بين سطور التاريخ الذي دوّنه العبران (ومن جهة نظرهم الخاصة الى التاريـخ) تستطيع بالرغم من تحيزهم الظاهر ، وتعصبهم البادي للعيان ، أن ترى بيسر أن أساتذة العبران في الحضارة والفنون كانوا سكان البلاد . فلا غرو أن تكون لغة البلاد الأصلية قد تغلبت على لغـة الفاتحين [٤] .]

وقال الشيخ نسيب وهيبة الخـازن . [ونصوص مكتبات رأس الشمرة [٥] تثبت على ان الانتاج الأدبي كان عظيماً في فلسطين ولبنان وسوريـة قبل عصر ملوك اسرائيل ؛ وان هذا الانتاج الأدبي هو في الواقع المورد الذي نهل منـه كتّاب التوراة] [٦] .

---

١ ـ التاريخ العام للكليات والمدارس العالية ؛ ١/٢٩ النسخة المترجـة للعربية . المطبعة الأميركانية في بيروت ١٩٢٨ .

٢ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/١٩١ .

٣ ـ من مقدمة كتابه (اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها) .

٤ ـ من مقدمة كتابه « أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » .

٥ ـ مدينة كنعانية تقـع خرائبها اليوم في البقعة المسماة باسم « اوغـاريت » أو « رأس الشمرة » على مسافة عشرة كيلومترات للشمال من اللاذقية وتبعد عن البحر كيلومترين .

٦ ـ اوغاريت ٧٨ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١ .

وقد أخذ اليهود الكثير من أعيادهم وطقوسهم الدينيــة عن الكنعانيين حتى أنهم عبدوا آلهتهم[١] . وبذلك قال أحدهم « الدين العبري طراز خاص من الدين الكنعاني[٢] » .

وهاك ما ذكره بعض المؤرخين في هذا الشأن :

قال سليم حسن : [وقد نتج عن الاختلاط من جهة الزراعة والتزاوج مــع السكان الأصليين ، ان أخــذ العبرانيون من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات التي كان يعدها السكان الجدد ضرورة للخصب وضمــان المحاصيل الطيبة ومعنى ذلك ان العبرانيين قد اتخذوا مجموعة عظيمة من الشعائر والأحفال بما في ذلــك تقديس العمد الخشبية و«الشجرة المقدسة» التي تدعى « العشيرة » و «المرتفعات» وغيرها .

ولا نزاع في أن رقص «داود » أمام التابوت ليس إلا صدى للرقص الكنعاني الخاص بالخصب .

ولا تزال بقايا هذا الرقص موجودة حتى يومنا هــذا عند الدراويش (وهو المعروف بالذكر)][٣] .

وقال حتي: [كانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على الآلات الموسيقية. وكان الموسيقيون والمغنون الأول في الهيكل كنعانيين في اشخاصهم وتدريبهم . وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاهــا سليمان لم يكن هناك من نموذج يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني[٤]] .

وهاك أخيراً ما قاله « غوستاف لوبون » عن المجتمع اليهودي :

[لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أيُّ شيء تقوم به حضارة ، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة صَغرَت في َشيد المعارف البشريــة ، واليهود لم

---

١ – سفر القضاة ؛ الاصحاح الثالث : ٦ .
٢ – اوغاريت : ٤٧ .
٣ – مصر القديمة : ٩/٥٣٣ – ٥٣٤ .
٤ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٢٢٣ .

يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ ، واذا ما صارت لليهود مدن في نهاية الأمر فلما أدت اليه احوال العيش بين جيران بلغوا درجة رفيعة من التطور ، بَيْد أن اليهود كانوا غاية في العجز عن أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم فاضطروا في إبان سلطانهم ، أي في عهد سليمان ، الى الإستعانة بالخارج ، فجلبوا منه لذلك الغرض بَنائين وعمالاً ومتفننين لم يكن بين بني إسرائيل قِرْن لهم] [١] .

* * *

بقي اليهود في العراق – بابل – نحو سبعين سنة . وتعرف هذه الحِقْبَة في تاريخهم باسم « السبي البابلي » وقد تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ منهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة ، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم لإتباع أكثرهم البابليين وتخلقهم باخلاقهم . ولما استولى الفرس على العراق أمر ملكهم (كورش) بارجاعهم الى القدس .

* * *

لما تمكن اليهود من معظم فلسطين ، بعد أن اغتصبوها من أصحابها الكنعانيين انتشرت فيها لغتهم – التي تأثرت كثيراً بلغة الكنعانيين – وأضحت اللغة المحكية في معظم أنحاء البلاد ، ولما قضى سرجون الثاني حوالي عام ٧٢٢ ق . م . على المملكة الإسرائيلية ، وسبى أسباطها ، وبعد ان ضرب بختنصر عام ٥٨٦ ق . م. القدس ونفى أهلها ضربت اللغة العبرانية ضربة كادت أن تكون قاضية ، لأن متكلميها في بابل استعاضوا عنها بالآرامية وحافظوا عليها بعد رجوعهم الى فلسطين . وبذلك تمكنت الآرامية من يهود فلسطين وأصبحت في أوائل القرن الثالث قبل المسيح لغتهم المحكية .

هذا ويبلغ عدد المتكلمين في اللغة العبرية في العالم ، في عام ١٩٦٢ م نحو مليونين [٢] .

---

١ – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى تعريب عادل زعيتر ص ١٥ .

٢ – ص ٧٢١ من كتاب The World Almanac , And Book Of Facts .

الفرس وفتحهم لفلسطين

٥٣٨ ــ ٣٣٢ ق.م.

الفرس أمة شرقية ذات حضارة قديمة ، تعود بأصلها الى القبائل الهندية الأوروبية التي هاجرت من موطنها الأصلي (السهول الواقعة شرقي بحر خزر وشماليه والممتدة الى الدانوب) في نحو عام ١٨٠٠ ق.م. ؛ ونزلت هضبة ايران الواقعة بين بحر خزر ومرتفعات أرمينيا شمالاً والخليج العربي جنوباً ، ونهر السند شرقاً ، والجبال المختلفة التي تفصلها عن العراق وآسيا الصغرى غرباً .

وقد كانوا في أول أمرهم قبائل بدوية يتنقلون مع ماشيتهم ثم توطنوا وامتهنوا مهنة الزراعة . وسكنت القبائل المادية منهم شمالي الهضبة ، كما أن أبناء عمهم قبائل الفرس استقرت في جنوبها . وكانت السيادة في بادىء الأمر للماديين ، وقد استطاعوا بمحالفتهم ومصاهرتهم « نبوبولاسر » الكلداني من الإنقضاض على الآشوريين وتدمير عاصمتهم نينوى عام ٦١٢ ق.م.

ولما ضعف أمر الماديين انتقلت السيادة الى الفرس ، أهل الجنوب وقد تمكن ملكهم « كورش الثاني ٥٥٠ — ٥٣٠ ق.م. » من التغلب على الماديين وتكوين دولة فارسية عظيمة تشمل جميع ايران . ثم أخذ كورش في بسط سلطانه على ما جاوره من البلاد الى أن دخل آسيا الصغرى واشتبك مع « الليديين » الذين كانوا يشغلون جزءاً كبيراً منها . فاستولى على « ساردس[1] » عاصمتهم عام

١ — تقع « ساردس » اليوم على بعد (٥٠) ميلا للشرق من مدينة « إزمير » أعظم ميناء تركي على بحر إيجه . وليست ساردس اليوم سوى قرية اسمها « صارت » .

٥٤٦ ق.م. وأخذ ملكها « قارون – كريسوس » الذي يُضرب المثل في غناه أسيراً . ويقـــال إن كورش غنم من خزائن قارون مالاً تساوي قيمته اليوم (١٢٠) مليون جنيه استرليني .

وتوجه « كورش » بعد ذلك الى « بابل » عاصمة الكلدانيين ففتحها في عـام ٥٣٩ ق.م. ثم قاد جيشه وهاجم بلاد الشام ففتحها عـام ٥٣٨ ق.م. وضمها الى دولته . وكان اليهود قد ساعدوه حين فتحه لبابل ، فالتمسوا منه أن يأذن لهم بالعودة الى فلسطين فوافقهم على طلبهم . وقد كان لزوجته « استير » التي يتصل نسبها بملوك اليهود[1] تأثير كبير في تلبيته هذا الطلب . فعاد قسم منهم لا يزيـد على الخمسين ألفاً . وبقي القسم الآخر ، ومعظمهم من الأغنياء في بلاد مـــا بين النهرين مفضلاً البقاء فيها على العودة الى فلسطين . وتمكن الذين عادوا الى القدس من تجديد هيكلهم الذي كان قد تهدّم عام ٥٨٦ ق.م. وكان الفراغ من بنائـه في عام ٥١٦ ق.م.

وقد حاول سكان جنوبي الشام الذي كان يقطنه حينئذٍ الفنيقيون والسوريون (الآراميون) والسامريون والعرب[2] – بقيادة شيخهم جشم – والفلسطينيون وسكان شرقي الأردن من مؤابيين وعَمّونيين وغيرهم ، أن يقاوموا رجوع هؤلاء اليهود ؛ لأنهم وجدوا في عودتهم خطراً يتهددهم بإحياء مملكة اليهود إلا أنهم لم يفلحوا في مسعاهم لأن قوات الفرس قضت على هذه المقاومة .

ومما هو جدير بالذكر أن اليهود الذين بقوا في البلاد ، بعد السبي ، لم يشعروا بالعطف على العائدين من العراق .

كان نقل اليهود من العراق الى فلسطين تدبيراً سياسياً من كورش ، فقـــد استعملهم كجواسيس ماهرين في مراقبة أعدائه ، وكعنصر فعـــال يبذر بذور التفرقة بين خصومه ليكونوا بذلك عوناً له في فتح مصر وفي تثبيت أقدامـه في فلسطين .

---

١ – تاريخ مختصر الدول لابن العبري بيروت ١٩٥٨ .

٢ – كانوا يقيمون في جنوبي فلسطين حتى الخليل وفي المدن الساحلية .

* * *

تمكن زعماء العبران بعد عودتهم من السبي أن يضعوا مجموعة قوانين دينية ، اتصل كثير منها إليهم من الأزمنة الغابرة. وعرفت هذه الديانة بالديانة اليهودية. وفي تنظيمهم هذا جعلوا رئيس كهنتهم زعيماً لهم . وبذلك أضحوا جماعة لها دينها الخاص ويرأسها كاهنها . وأما لغتهم المحكية فكانت اللغة الآرامية ؛ وأما العبرية فكانوا يستخدمونها كلغة دينيـة . ولم يَسْعَ اليهود لضم كتابات آبائهم وأجدادهم في مجلد واحد إلا بعد التاريخ المسيحي . فجمعوها إذ ذاك ونشروها باللغة العبرانية التي كتبت بها أولاً ، وهي التوراة [1] المطبوعة كما هي الآن .

* * *

وبعد موت كورش خلفه ابنه قمبيز « ٥٣٠ — ٥٢١ ق. م. Cambyses » وفتح مصر عام ٥٢٥ ق. م. بمساعـدة الاسطول الفنيقي والعرب الذين كانوا يقطنون جنوبي فلسطين بين غزة والقدس وسيناء[2] . ويظهر أن العرب تحالفوا مع الفرس وأصبحوا حلفاءهم وأصدقاءهم ولم يخضعوا لهم كما خضع غيرهم. وبذلك مهّدوا الطريق لقمبيز للوصول الى مصر . ولو كانت علاقاتهم معه غير ودية لما تمكن الفرس من القيام بذلك الغزو[3] .

وبدخول مصر تحت الحكم الفارسي أصبحت جميع بلدان الشرق ، من دلتا النيل وبحر إيجه وشواطىء البوسفور غرباً الى نهر السند شرقاً تحت سيادة الفرس.

وتوفي قمبيز في مكان غير معروف في سورية وذكر بعضهم انه مات في بلدة على رأس جبل الكرمل وذكر آخرون انه توفي في جهات « حماة » .

وقد تمكن «داريوس الكبير ٥٢١ — ٤٨٥ ق. م. — Darius The Great » من عبور مضيقي البوسفور والدردنيل والوصول الى ضفاف الدانوب والاستيلاء على تراقية . ثم جهز حملة لفتح بلاد اليونان ، فأشعل بذلك الحروب الطويلة التي

---

١ – التوراة : لفظ عبري معناه الهدى أو الارشاد .
٢ – تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢/٣٤٠ .
٣ – المصدر نفسه ٢/٣٣٩ .

عرفت باسم « الحروب اليونانية – الفارسية المشهورة » والتي انتصر فيها اليونان مما كان له أعظم الأثر في تاريخ العالم .

نظم داريوس الكبير امبراطوريته المترامية الأطراف تنظيماً دقيقاً ، وهذا التنظيم من أجلّ الأعمال الخالدة التي حفظ ذكرها تاريخ العالم بأسره .

لقد حكم دارا بابل ومصر حكماً مباشراً ، وقسم بقية امبراطوريته الى عشرين ولاية ، وعين عاملاً على كل قسم منها يُدعى « مَرزُباناً[1] » . وسنّ لها نظماً عادلة توافقها . وقد ساس هؤلاء العمال الذين كان يعينهم دارا بنفسه ، شعوب ولاياتهم بالحكمة والسداد ، كما كان لهذه الشعوب شيء من الاستقلال في ادارة شؤونهم الداخلية ما داموا يدفعون الضرائب في أوقاتها ، ويرسلون أولادهم للخدمة في الجيش الفارسي .

وقد كانت جميع بلاد الشام مع قبرص ، تؤلف الولاية الخامسة من الامبراطورية الفارسية ، ومركزها « دمشق » . وتسمى « ولاية ما وراء النهر » أي الفرات . وانتقل حكم هذه الى « صيدا » في كثير من السنين . وقسمت هذه الولاية الى سبعة أقسام (ألوية) . منها « لواء فنيقية » و « لواء العربية » ويعني بذلك فلسطين وشرقي الأردن والصحراء المتاخمة لها بما فيها بادية الشام . وكان حكامها من الوطنيين أهل البلاد ولهم سلطة واسعة في إدارة الشؤون الادارية والمحلية .

أصلح الفرس الضرائب وربطوا أجزاء امبراطوريتهم ببعضها ، ونظموا البريد فعبدوا الطرقات وجهزوها بالمحطات التي كان يستريح فيها رسل البريد

---

١ – بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء . وتفسيرها في العربية . «حافظ الحد» . وهذا الاسم لا يطلق عند العجم الا على الرجل المقدم المعظم . وكان « المرزبان » يعين من الرعية الفارسية . وله سلطة مطلقة في جميع القضايا المدنية ، وكان عليه أن يحفظ الأمن في ولايته ويجري العدل ويجمع الجزية التي يرسل ما فرض عليه منها الى الخزينة الملكية . ويقوم الى جانبه قائد وأمين سر مستقل كل منهم عن الآخر ويتصلان بالعاصمة مباشرة . فقائد الجيش كان يترأس الجنود الفارسية والمحلية ، وأما أمين السر فكانت وظيفته الحقيقية تجسس الاخبار وارسال التقارير السرية الى الامبراطور .

الذي صار يسير بسرعة وانتظام . وقال « هيرودوتس – Herodotus » : [لا يمكن لانسان أن يسير بالسرعةالتي يسير بها هؤلاء السماة الفرس]. وقال أيضاً: [إنه كان عند نهاية كل أربعةفراسخ[1] محاطٌ ملكية ونزُل فخمة،وكان الطريق كله يخترق أقاليم آمنة عامرة بالسكان][2]. وكان في كل محطة خيول بديلةمتأهبة لمواصلة السير بالبريد .

وسكّ الفرس النقود لأول مرة في تاريخ الشرق القديم . وقد أخذوا ذلك عن « ليديا » التي كان أهلها أول من استعمل النقود في القرن السابع قبل الميلاد . فتولى « دارا » سك النقود الذهبية ، وأذن لولاته « مرازبته » بسك النقود الفضية . وقد ظل الجنيه الفارسي الذهبي ، وكان يسمى « الداريق[3] » النقد الرئيسي في داخل الإمبراطورية وخارجها نحو قرنين. وكانت نسبة قيمة الجنيه الذهبي والنقد الفضي كنسبة ١٣و٥ إلى ١ [4] . والمعروف ان النقودالحقيقية لم تظهر في فلسطين الا حوالي عام ٦٥٠ق.م. [5] وكان لصك النقود تأثير عظيم في تسهيل الحياة التجارية في الشرق إذ أن النقد أسهل في التعامل من « المقايضة ». وبإنتشار النقود ظهر في الأسواق العامة فئة من صغار التجار ، توافرت لهم فرصة البيع والشراء . ففي طريق المبادلة لم تكن التجارة ميسورة لغير فئة قليلة من كبار التجار الذين كان في مقدورهم اقتناء كميات كبيرة من السلع المتبادلة . أما الآن فقد صارت النقود سهلة التداول . يقدر التاجر أن يقتني منها أية كمية ، كبيرة كانت أم صغيرة .

وكانت اللغة الآرامية لغة التجارة والكلام والمعاملات في الشام إلا أن ولاة الفرس كانوا يكتبون أوامرهم الرسمية الى ولاتهم بلغاتهم الفارسية مع ترجمتها الى

---

١ – كان الفرسخ يعادل ٣٫٤ ميل .

٢ – قصة الحضارة الجزء الثاني لـ « ول ديورانت » ص ٤١٣ .

٣ – لفظة فارسية مشتقة من كلمة « زريق » وهي القطعة من الذهب . وكانت قيمة الدريق الذهبي الاسمية خمسة ريالات أمريكية .

٤ – قصة الحضارة ٢/٤١٤ .

٥ – قصة الحضارة ٢/٣٣٣ .

اللغة الآرامية .

[وقد جاء في نتيجة أبحاث العالم « كليرمون جانو – Clermont - Janneau » المنشورة في مجلة الآثار : « جميع دواوين الحكومة والوزارات في الإمبراطورية الفارسية ، وخاصة في المقاطعات الغربية ، كانت آرامية وكذلك . الدواوين ونقوش العملة في تلك المقاطعات والوثائق الرسمية والأوامر الملكية . وينطبق ذلك أيضاً على مصر] [1]

* * *

حكم الفرس فلسطين نحو مائتي سنة ، آخرها ٣٣٢ ق . م . وقد امتازوا عن الأمم الأخرى التي حكمتها قبلهم ، بأنهم حكموا بالعدل والإنسانية . فإن تنظيم المملكة الحسن والإصلاحات الإدارية والإقتصادية التي قامت بها الإمبراطورية، قد أفادت البلاد وأبناءها فاستتب الأمن وعاش الناس في بحبوحة من العيش والطمأنينة . قال ول ديورنت : [وقد بلغت الإمبراطورية الفارسية في عهد دارا الأول من حيث النظام السياسي مبلغاً لم يصل اليه غيرها من الإمبراطوريات اذا استثنينا الإمبراطورية الرومانية في عهد تراجان وهدريان ، والأنطونيين] [2] .

وكانت الجزية السنوية زهيدة ويقال ان داريوس الأول لم يطلب من ولايته الخامسة (بلاد الشام وقبرص) الا نصف ما يأخذه من الجزية من مصر . وقدر بعضهم الجزية السنوية المفروضة على الولاية المذكورة بـ (٣٥٠) وزنة من الفضة [3] . وهي جزية خفيفة نسبياً . وأما عشائر العرب البدوية المنتشرة في الشام وعلى حدود مصر فكانت معفاة من الجزية [4] .

والمشهور ان الفرس هم الذين أدخلوا زراعة شجر الجوز ، كما عملوا على رفع

---

١ – من الساميين الى العرب ٨٤ . بيروت ١٩٦٢ .

٢ – قصة الحضارة ٤٢٣/٢ .

٣ – الوزنة من الفضة تساوي ٥٠٠ جنيه انكليزي – قاموس الكتاب المقدس لبوست : ١٨٩/٢ .

٤ – تاريخ سورية للدبس المجلد الأول – الجزء الأول ص ٣٣٠ .

مستوى « فن البستنة » في فلسطين .

وبعد دارا بدأ الإنحطاط والتدهور في هذه الإمبراطورية ومن عوامل ذلك فشلها في حروبها مع اليونانيين الذين أنهكوا قواها . [ولو أن ملوك الفرس كان لهم من النشاط ما لكورش ودارا الأول لكان لهم أن يملكوا ويحكوا. ولكن الملوك المتأخرين كانوا يعهدون بأكثرشئون الحكم الى الأشراف الخاضعين لسلطانهم، وإلى خصيان قصورهم . أما هم فكانوا يقضون أوقاتهم في الحب أو لعب النرد أو الصيد . وكان القصر يموج بالخصيان يسرحون فيه ويمرحون ، يحرسون النساء ويعلمون الأمراء ، وقد استخدموا ما تخولهم هذه الأعمال من ميزة وسلطان في حبك الدسائس وتدبير المؤامرات في عهد كل ملك من الملوك] [1].

وبعد مدة وصلت الدولة الى حالة أصبح فيها الجيش ضعيفاً ليس فيه الا المرتزقة من الجنود ، كما أصبحت الرعايا تخضع لحكامها بغير رضاها . ولا تحمل لها أي ولاء . هكذا آل الأمر الى فساد الحكومة وتقهقرها فخضعت بعدئذ الى الاسكندر الكبير عام ٣٣٠ ق . م .

* * *

ومن آثار الفرس الباقية الى يومنا هذا ، في بلادنا فلسطين ، بقايا قصر ومعبد لهم عثر عليه في « لخيش – تل الدوير » المار ذكرها . قال حتي : [ويرجح انه كان مقراً فارسياً يحوي مصارف للمياه مستديرة من الآجر وبعض الملاحق الأخرى لتأمين الراحة] [2] . كما عثر « السر فلندرز بتري – Sir Flinders -- Peterie » في ، تل الفارعة ، في جنوبي فلسطين ، على أنقاض قبر فارسي ، وعلى مجموعة من القطع الفارسية الجميلة من الصحاف الفضية بين قطعها قدح فضي ومغرفة .

ولعل الإحتفال «بعيد البيض» بمصر والشام (خميس الأموات وشم النسيم) يعود بتقليده الى « بيض رأس السنة » الذي كان يعرفه الفرس ويهدوا فيه

١ – قصة الحضارة ٤١٦/٢ .

٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٤٩/١ .

أحبارهم وأصدقاءهم كمية من البيض في اليوم الأول من كل عام (أوائل الربيع). لأن فقس البيض كان يرمز عندهم الى حياة جديدة .

* * *

في اللغة العربية اليوم بعض ألفاظ تعود بأصلها الى اللغة الفارسية . مثل : بَسْ بمعنى حسب . وجُلاب وأصلها من « كُل » بمعنى « لذيذ » أو « ورد » و « آب » بمعنى ماء . وخشاب وأصلها « خوش » بمعنى لذيذ وحسن . وآب . وفولاذ وأصلها بولاد ، وإبريق وهي محرفة عن « إبريز » ومعناه « يصب الماء ». و « فردوس[1] » بمعنى « البستان » وقد أتت بطريق الآرامية . وطربوش[2] وأصله « سَر » بمعنى « رأس » و « بوش » بمعنى « غطاء » . و « زنبق » و « بلوظة[3] » و « ياسمين » و « نرجس » و « فرْمان[4] » والكوز والجرة والكعك والجاموس والطبق والميزان وغيرها وهي كثيرة .

ولا شك أن هذه الكلمات الفارسية تسربت الينا بعد الفتح الاسلامي وليس للحكم الفارسي هذا أي تأثير .

وقد ذهب بعضهم الى أن الفرس هم الذين نقلوا الدجاج الهندي (ديك الحبش) من الهند الى بلاد الشرق الأدنى ، ولم يكن معروفاً فيه قبل ذلك .

---

١ — جمعها « فراديس » وتصغيرها « فريديس » دخلت لفظة « فردوس » الى جميع اللغات السامية في أزمنة قديمة . وهناك مواضع كثيرة في لبنان وفلسطين تحمل هذا الاسم .

٢ — لبس العثمانيون ، وكان منهم الفلسطينيون،الطربوش في القرن الماضي . فكان في بادىء أمره ذا لون أحمر ، طويلا أكثر من نصف ذراع وله شرابة . ثمّ استبدل بالطربوش المغربي وهو مستدير له شرابة زرقاء ، أمر ابراهيم باشا المصري في لبسه عام ١٨٣٨ م . وفي عهد السلطان عبد العزيز العثماني ١٨٦١—١٨٧٦ م لبس في شكله الحاضر . وأخيراً بدأ الناس بالتخلص منه وتركوا رؤوسهم حاسرة .

٣ — البالوظة : تصنع من الدقيق والماء والسكر أو العسل . وهي التي عرفها العرب باسم « الفالوذج » . أخذوها من الفرس كما يدل اسمها .

٤ — الفرمان ، بسكون الراء . ومعناها « الامر » مطلقاً . ثم اختصت بأمر الملك أو السلطان . وقد استعملت في البلاد العربية منذ منتصف القرن السابع للهجرة . وتجمع على « فرامين » و « فرمانات » .

فلسطين في عهد اليونان

٣٣٢ ــ ٦٣ ق. م.

مكدونيا :

هي البلاد التي تقع الى الشمال من بلاد اليونان . والمكدونيون سكانها نوع من اليونان يتكلمون اللغة اليونانية وكانوا أقل حضارة منهم ، إلا أنهم عرفوا بخشونتهم وشدة بأسهم في القتال . ولم يكن في تاريخهم ما يثير الاهتمام ، الى أن استولى على العرش شاب من أبناء البيت المالك يُدعى « فيليب » . وقد عرف هذا كيف يخلق أمة وجيشاً . وانتهز فرصة غفلة المدن اليونانية فحاربها وانتصر عليها وأصبح بفضل انتصاراته هذه سيد بلاد اليونان . ومن ذلك الحين اندمج تاريخ الاغريق بتاريخ مكدونيا .

عزم فيليب بعد أن أخضع اليونان ان يقوم بحرب عظيمة على الفرس إلا أن المنية عاجلته فقتل عام ٣٣٦ ق. م. وخلفه ولده الاسكندر[١] . وكان فتى رائع الجمال وفارساً شجاعاً منقطع النظير . فقد حقق جميع مشروعات أبيه واكتسب بين عظماء الفاتحين إسماً خالداً .

تولى الاسكندر المُلك وهو ابن عشرين سنة ، فاستخف اليونان به لصغر

١ ـ الكسندر : اسم إغريقي الأصل ، معناه « المدافع عن البشر . أي حامي الناس وحارسهم . وهو المعروف عند العرب باسم « الاسكندر ذي القرنين » وأصل تلقيبه بذلك غير معلوم . ولعله مأخوذ من صورته الظاهرة على بعض النقود المسكوكة التي زينت بقرني كبش الإله « آمون رع » المصري الذي تشبه الاسكندر (والذي نرجحه ان الربط بين « ذي القرنين » والاسكندر هو فرض وليس حقيقة .

سنه وثار عليه بعضهم إلا أنه أخمد ثورة الثائرين وأكره جميع المدن اليونانية أن تعترف بسلطانه عليها . ثم وجّه همه لإخضاع الفرس والإنتقام منهم لما فعلوه في غزواتهم على بلاد اليونان . ففي عـام ٣٣٤ ق.م. عبر الإسكندر بجيشه مضيق الدردنيل الى آسيا الصغرى وانتصر على الفرس في جميع وقائعه معهم . وبذلك تم له الإستيلاء على الأناضول . ثم قصد الغازي بلاد الشام ولما وصل الى مدينـة « إيسُّوس » ، قرب الإسكندرونة ، انتصر عليهم انتصاراً حاسماً . وكان ذلك في عام ٣٣٣ ق.م. وبعد هذه الواقعة أمر الإسكندر بنـاء مدينة تحمل اسمه ، تقع على أبعد منعطف في شرقي البحر وسمّاها « الإسكندرونة » .

وبعـد انتصاره في « إيسُّوس » سار الإسكندر جنوبـاً ووجهته سوريا ومصر ، وبعد أن استولى على دمشق مركز الجيوش الفارسية في الشام خضعت له جميع المدن الفنيقية إلا صور . فإن حصارها كان أصعب مشاريع الإسكندر الحربية كلها . لأنها كانت قسمين : صور البرية وصور الجزيرة التي تبعد عـن الشاطىء حوالي ٧٠٠ متر.وبعد أن خضعت له الأولى وصل الجزيرة بالبر بأن هدم مباني الأولى وألقى أنقاضها في البحر . وقـد قاوم الصوريون الإسكندر مقاومة عنيفة وأخيراً تم له الإستيلاء على الجزيرة بعـد حصار دام سبعة أشهر . وكان ذلك في عـام ٣٣٢ ق.م. وانتقم الفاتح بإحراق المدينة وأعمل السيف في أهلها ، فلم يسلم منهم إلا القليل .

ومنذ ذلك الوقت فقد الفنيقيون ، كنعانيو الشمال ، في سورية استقلالهم في بلادهم ، ورضخوا لحكام البلاد الذين حكموها بعد الإسكندر .

سار الفاتح بعد ذلك نحو القدس، ففتحت له المدينة المقدسة ابوابها ، ورحب اليهود من سكانها ، الذين ساعدهم الفرس على العودة من بابـل ، بقدمه ترحيباً بالغاً . ومنها توجه الى غزة فامتنعت عليه فحاصرهـا . وقاومت البلدة بقيادة « باتيس — Batis » من أشهر قـواد الفرس ، مستعيناً بجيوش عربيـة — من الأنباط — مقاومة عنيفة اضطرت الإسكندر الى نصب آلات القتال والحصار ، إلا أن العرب هاجوها لإحراقها ، كما هاجموا المكدونيين الذين كانوا متحصنين في

مراكز القيادة وراء تلك الآلات. وقد اضطر المكدونيون الى مغادرة مواضعهم هـذه الى أماكن جديدة ، وكادوا يهزمون هزيمة منكرة لو لم يأت الإسكندر إليهم بمساعدات قوية في الوقت المناسب . وقد أصيب هو بجراح وإن كانت طفيفة إلا أنها شديدة الألم . ثم ظلت تؤلمه زمناً غير قصير . وأخيراً وبعـد حصار شهرين ، أظهر فيهـا الغزيون بطولة لا تقل عن بطولة الصوريين اخترق المكدونيون حصون البلدة ودخلوها . وعامل الإسكندر أهلهـا كما عامل أهل صور ، فأعمل فيهم السيف ومن سلم منهم باعه بيع الرقيق ، وقطع الحامية إرْباً إرْباً . واما القائد « باتيس » فقد عوقب بطريقة يعجز القلم عن وصفها . وذلك بأن ثقب عقبا قدميه وأدخلوا بالثقبين حبلاً وربطوه بمركبة جرته في أنحـاء المدينة الى أن فاضت روحه .

وقـد وجد الاسكندر كنوزاً عظيمة من ذهب وحلي ومجوهرات في غزة ، كما عثر على مقادير كبيرة من اللبان والمر والبخور والصموغ والتوابل . لأن المدينة كانت المستودع الرئيسي على البحر الأبيض المتوسط لمنتجات الجزيرة العربيـة وغيرها .

وبسقوط غزة تم للاسكندر فتح بلاد الشام . ثم قـدم الاسكندر الى مصر ودخلها بدون عناء . وفيها أنشأ مدينة حديثة سمّاهـا (الإسكندرية) نسبة اليه . وما زالت هذه المدينة تعد الى اليوم من أهم مدن العالم وموانئه[1] .

وبعد أن استتب الأمر للاسكندر في مصر، ارتحل منها وعاد الى بلاد الشام فمر في فلسطين وسوريا ومنها اتجه شرقـاً الى العراق . وفي موقعة « كوكميلة — Gaugamela[2] » عام ٣٣١ ق. م. قاتل دارا الثالث في معركة حاسمة، فكانت هذه الواقعة الفاصلة ابتداء سقوط امبراطورية الفرس . ثم استأنف الاسكندر

---

١ — في الشرق العربي وغيره من البلاد التي افتتحها الاسكندر مدن وقرى وأماكن عديدة تعرف بالاسكندرية أو الاسكندرونة ... نسبة الى الاسكندر هـذا . وكان مقـدراً لثغر « الاسكندرية » الذي أقيم على البقعة التي كانت تقوم عليها قرية « راكوتيس — Rakotis » ان تصبح أعظم المدن والبقاع التي حملت اسم الاسكندر .

٢ — تبعد عشرين ميلا الى الشمال من « إربيل » .

ملاحقة دارا فسار منحدراً الى بابـل ثم قصد الى بلاد الفرس نفسها ، فاستولى عليها وعلى ما وجدوه فيها من نفائس وغنائم . ثم أخذ بلاد الأفغان والتركستان الروسية وما جاورهما ، كما عبر مضايق جبال « هيالايا » فدخل الهند واستولى على مقاطعة «البنجاب » ثم سار جنوباً متتبعاً نهر السند حتى بلغ شواطىءالمحيط الهندي . ولولا أن رجاله أبوا التقدم لكثرة مـــا لاقوا من التعب الناشيء عن الزحف المستمر والقتال الطويل ثماني سنوات متتابعات ، لتمكن من التوغل في آسيا أكثر مما وصل اليه . فعاد الى بابل وأخذ فيها ينظم دولته العظيمة ولكنه أصيب بحمى قضت على حياته عام ٣٢٣ ق. م. وكان عمره يقـــل عن ٣٣ سنة بأربعة أشهر .

* * *

كان الاسكندر من أعاظم الساسة ، كما كان من أعاظم القـادة العسكريين . فلم يرَ الشرقيين أقل درجة من بني قومه اليونان لأنه كان يرغب في ادماج الشرق بالغرب ، باتحاد شعوبه في عالم واحد ودولة واحدة تحت سلطانه . وقد شرع في ذلك فملأ البلاد المفتتحة بالتجار اليونانيين ، وتزوج زوجة فارسية ، وتبعه قواده وعشرة آلاف من أتباعه المكدونيين فتزوجوا زوجات آسيويات ، اعتقاداً منه بأن ذلك من أعظم الوسائل لامتزاج الشرق والغرب . وكانت امبراطوريتهتقوم على أساس المساواة بين الناس جميعاً، باعتبارها جماعة عالمية نظمت بحيث يكون لأفرادها مستوى واحد وسيد واحد .

ومن أهم نتائج فتوحات الاسكندر انتشار الحضارة اليونانية واللغة اليونانية في الشرق ، واصطباغه بالصبغة اليونانية .

* * *

لم يكن للإسكندر خليفة يخلفه على العرش ، كما وانه لم يترك وراءه وصية . فاختلف قواده على مصير امبراطوريته ، فوقعت بينهم حروب ومنـــازعات عظيمة صارت فلسطين على أثرها عرضة لحروب أخرى . فبعد وفاة الاسكندر

عام ٣٢٣ ق. م. كانت فلسطين من حصة القائد « لاوميدون — Laomedon».
وفي عـام ٣١٩ — ٣١٨ ق . م . تملـك « بطلميوس الأول ، صاحب مصر ، ٣٢٣ — ٢٨٣ ق . م . » الذي حاول أول الأمر أن يشتريها من لاوميـدون ولكنه لم يوفق في ذلك. فتريث بطلميوس حتى انتهز ضعف صاحبها واستولى عليها عَنْوَة. وفي ربيع عام ٣١٥ ق . م . غزا القائد « أنتيغونوس — Antigonius » صاحب آسيا الصغرى سوريا فاستولى عليها ووصلت جنوده الى غزة . ولمـا كانت أطماع أنتيغونس في امبراطورية الإسكندر لا حد لها ، حدث بينه وبين قواد الإمبراطورية الآخرين ، الذين أرادوا كبح جماح أطماعه ، حروب دامية كانت نتيجتها القضاء عليه فخرصريعاً في احدى معاركه معهم عام ٣٠١ ق.م. فتمكن حينئـذٍ بطلميوس من استرداد فلسطين وضمها الى مملكة البطالسة [١] الذين ساسوا أهلها بحكمه وتؤدة من عام ٣٠١ — ١٩٨ ق . م .

ويعتبر عـام ٣٠١ ق . م . بداية عهد جديد . ففيه أصبحت امبراطورية الاسكندر مقسمة كما يلي : (١) بـلاد اليونان ومكدونيـا (٢) آسيا الصغرى (٣) مصر . وكانت من نصيب القائد بطليموس الذي استولى أيضاً على لبـنان وجنوبي الشام وبَرْقة . واتخذ الاسكندرية عاصمة له التي كان لمعاهدها أثر قوي في تقدم أوروبا فيما بعد (٤) واستولى سلوقس مؤسس الدولة السلوقية على

١ — ان امبراطوريـة البطالسة (٣٢٣ — ٣١ ق . م .) كانت أهم الدول التي خلفت امبراطورية الاسكندر من حيث تأثيرها في تمدن العالم . وكان مؤسسها بطليموس الأول الملقب بسوتر - Soter أي المنقذ ٣٢٣ — ٢٨٣ — ق . م . وقـد قصد أن تكون عاصمتـه ، الاسكندرية ، مركز علوم العالم بأسره . فأسس فيها المتحف الذي صار فيما بعد جامعة عظمى تلقى فيها العلوم الشرقية ، على غرار نظام الجامعة في عصرنا . وأنشأ أيضاً مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي يقال انه كان فيها أكثر من (٧٠٠،٠٠٠) كتاب. وقد قصد هذين المعهدين كبار العلماء والفلاسفة للتدريس والبحث والتأليـف . ومن بينهم « اقليدس — Euclid » المهندس الكبير وكتابه في الهندسة لا يزال يدرس في المدارس اليوم. و«اراتسثنيس—Eratosthenes» الاسكندري وهـو عالم جغرافي فلكي تمكن من معرفـة حجم الأرض . و « أرخميدس — Archimedes » أحد خريجي جامعة الاسكندرية . وكان من أعظم رجال العلم في عصره . وهو أول من اكتشف « الثقل النوعي » وغيره .

بقية بلاد الشام والعراق وإيران .

وبما هو جدير بالذكر ان الرومان هم الذين ورثوا هذه الإمبراطورية الواسعة فاستولوا عليها باستثناء ايران .

* * *

لم يرض السلوقيون عن ضم قسم كبير من سورية الى مصر ، ولما لم يكن باستطاعتهم أن يأخذوها من البطالسة بالقوة اكتفوا بالمطالبة بها ، وتأجل الصراع بين البطالسة والسلوقيين الى اكثر من ثمانين عاماً . ولما آنس السلوقيون بأنفسهم المقدرة على اخراج البطالسة مما يملكونه في سورية هاجموهم في عام ٢١٩ ق . م . في عهد « أنطيوخوس الثالث – Antiochus » الملقب بالكبير ٢٢٣ – ١٨٧ ق . م . وهكذا ابتدأت الحرب التي امتدت أكثر من عشرين عاماً بين الأسرتين اليونانيتين . وقد جرّت الحروب المذكورة على البلاد أعظم الويلات وأمرّ الشدائد .

استولى أنطيوخوس الثالث على صور وعكا ، ثم استولى على بيسان والجليل وأم قيس وغيرها . وانضمت اليه بعض القبائل العربية . ولكن قلعة « فيلادلفيا – عمّان » [1] المنيعة أخّرت تقدمه الى ان استولى عليها بقطع الماء عنها . ثم ترك قوتين احداهما لحماية هذه القلعة والأخرى لاحتلال بلاد نابلس . وعلى أثر هذه الإنتصارات نهض «بطلميوس الرابع المصري – ٢٢١–٢٠٣ ق.م.» فأثار الحماس في جنوده والتقى بأعدائه في جنوبي رفح في ٢٢ حزيران من عام ٢١٧ ق . م. فكان الجيش البطلمي يتألف من ٥٠،٠٠٠ راجل و ٥٠٠٠ فارس و ٧٣ فيلاً افريقياً . بينما كان جيش أنطيوخوس يتألف من ٦٢،٠٠٠ راجل و ٦٠٠٠ فارس و ١٠٢ من الفيلة الهندية . وكان بين الجيوش السلوقية أكثر من

---

١ – وسع اليونان « عمان » ، وأعادوا بناءها ودعوها باسم «فيلادلفيا – Philadelphia» ومعناها « المحبة الأخوية » ، نسبة الى « بطلميوس الثاني ٢٨٣ – ٢٤٧ ق . م . » الملقب فيلادلفوس – Philadelphos » ، الا ان هذا الاسم لم يتغلب على اسمها السامي العربي ، فلما زالت سيطرة اليونان عن البلاد عاد الى فيلادلفيا اسمها العربي القديم . وما زالت معروفة به الى هذا اليوم .

١٠،٠٠٠ من العرب وسائر رجال القبائل .

ولما التحم الجيشان تراجعت الأفيال الإفريقية أمام الأفيـال الهندية ولكن هذا لم يفت في عضد البطالسة فتمكنوا أخيراً من الإنتصار على اعدائهم انتصاراً تاماً فرجع هؤلاء من رفح الى غزة ومنها الى شمال سورية تاركين وراءهم ١٠،٠٠٠ قتيل و ٤٠٠٠ أسير . ونتيجة لهذه المعركة عـــاد البطالمه واستردوا أملاكهم في فلسطين ولبنان ، وجنوبي سورية .

تمتعت البلاد بعد ذلك مدة ستة عشر عاماً بالهدوء والسلام . الا ان قيـــام الإضطرابات والفـــتن الداخلية في مصر أتاحت للسلوقيين فرصة ثمينـة لمعاودة هجومهم على البطالسة . وبذلك تعرضت البـــلاد لمعارك دامية امتدت ثلاث سنوات . وقد تمكن أنطيوخوس الثالث أخيراً أن ينزل بأعدائه هزيمة فادحـة في معركة (بانيون – Panion [١]) عنـد المكان الذي يجري فيه نهر الأردن . فاستولى على جميع أملاك البطالسة في سوريا ولم يواف عـام ١٩٨ ق . م . حتى كان البطالسة قد فقدوا كل جنوبي بلاد الشام بعد ان امتـد حكمهم فيه اكثر من مائة سنة : ٣٠١ – ١٩٨ ق . م .

السلوقيون

كانت بابـــل في أول الأمر عاصمتهم ثم بـــدا لمؤسس الدولة « سلوقس نيقاتور ٣١٢ – ٢٨٠ ق . م . » إنشاء عاصمة أكثر مناسبة من بابـل . فبنى له عاصمة حديثة سمّاها « سلوقية » على ضفة دجلة الغربية ، عشرين ميلاً جنـــوبي بغداد . وقد أسس سلوقس المذكور « أنطيوخية – أنطاكية » على نهر العاصي في شمالي سورية ، وعلى بعد نحو ٢٨ كم من البحر لتكون عاصمة لنصف المملكة الغربي وسمـــاها باسم والده « انطيوخوس [٢] » ثم أصبحت بعـد مدة عاصمة

---

١ – هي « بانياس » الحديثة ، وقد تقدم ذكرها .

٢ – شيد سلوقس ما لا يقل عن ست عشرة مدينة تحمل اسم والده ، وخمس مـدن تحمل اسم والدته في مختلف أنحاء مملكته .

لجميع المملكة السلوقية واشتهرت وذاع صيتها في أطراف المعمورة ، فأصبحت من المراكز المهمة في نشر المدنية اليونانية في الشرق ومن أغنى المـــدن في العالم فيما بعد .

وسلوقس هذا هو الذي أنشأ أو جدد بعض المدن السورية منها « اللاذقية » ودعاها باسم « لاوديسية Daodicia » نسبة لأمه . ثم حرف اسمها الى اللاذقية .

ومن أشهر خلفاء «سلوقس الأول»«انطيوخوس الثالث ٢٢٣ — ١٨٧ق.م.» المار ذكره وقد تمكن من الاستيلاء على البلاد الشامية التي كان قـــد تولى أمرها البطالسة أصحاب مصر . واما خلفاؤه فكانوا اشخاصاً لا فائدة منهم .

كان اليونان أعظم شعوب العالم القديم تقدماً ومدنية وحرية. وكانوا مَثَّالين ومهندسين وعلماء ورياضيين وشعراء وفلاسفة ... ومن اليونان تعلم شباب الشرق الأوسط كيف يفكرون تفكيراً جديداً وكيف يدركون أن العالم كان مليئاً بالافكار المذهلة ، وبالتالي كيف ينفلتون من التقاليد البالية .

ففي عهد البطالمة حاول « بطلميوس الرابع» بعد انتصاره في موقعة رفح عام ٢١٧ ق. م. نشر المدنية اليونانية بين اليهود، ولما أبوا عليه زاد في الضرائب المفروضة عليهم . ولما انتقل الحكم الى السلوقيين استمر هؤلاء في التشديـــد على اليهود لقبول آدابهم وحضارتهم مما أدّى الى ظهور حزبين يهوديين: حزب اقتدى باليونان وأخذ يقتبس جميع مظاهر الحضارة اليونانية من آراء جديدة وحريـة وافرة وآفاق واسعة . وحزب آخر كان يقبح ذلك ويتعصب لعقائده الدينية القديمة ويتشبث بالبقاء على أساليب الحياة اليهودية التي درج عليها . وكلما ازداد الأول اخلاصاً لرأيه ، إزداد الثاني تعصباً عليه . ولما حكم « انطيوخوس الرابع ١٧٥ — ١٦٣ ق . م . » ، أهم ملك معروف من خلفـاء انطيوخوس الثالث ، ضغط على اليهود ليتركوا تقاليدهم وآدابهم ويصطبغوا بتقاليد اليونان وآدابهم ، وأنذر من يخالف أمره بأشد العقوبة . ووضع لهم حكامـــاً عرفوا بشدة بغضهم لليهود . فأدى ذلك الى ثورتهم بقيادة العائلة المكابية عام ١٦٧ ق . م .

قاد الثورة رئيس هذه العائلة « متتيا بن يوحنا » وبعد وفاته تولى أمر القيادة

ولده يهوذا الذي كتب له النصر في كثير من مواقعه مع السلوقيين .

كان هدف المكابيين الذين ثاروا على الحكم السلوقي الدفاع عن آدابهم وثقافتهم ثم تطور الى ثورة سياسية تنـــادي بالاستقلال . وبسبب الفساد الذي طرأ على السلوقيين ، وانهاكهم بالملذات فضلاً عـــن كثرة الثورات الداخليـة وانقسام ولاتهم،كل ذلك مكن اليهود من الفوز بأمنيتهم مما اضطر السلوقيين الى الاعتراف باستقلال المكابيين . وأعلن ، في عام ١٤١ ق . م . « سمعان» أحد قواد الثورة حاكماً وكاهناً أعظم على قومه . الا ان هذا الاستقلال لم يدم طويلاً لقلة عددهم وضعفهم الداخلي الناشيء عن انشقاقهم وانقسامهم ، وخصوصاً بعـد أن شرع الرومان في توسيع سلطتهم وبسط ظلمهم على البلاد والاقطار. فكان ذلك عاملاً على زوال استقلالهم .

وقد أكره رئيسهم الخامس « هركانوس ١٣٥ – ١٠٤ ق.م. » الآدوميين ، سكان جنوبي فلسطين على التهود . وكان اليهود في نهاية رياسته يملكون كل البلاد الواقعة جنوبي الكرمل ، عدا مدن الساحل: عكا وعسقلان والطنطورا وغيرها.

واتخذ « أرسطوبولس الأول بن هركانوس ١٠٤ – ١٠٣ ق.م. » أحـــد رؤسائهم لنفسه لقب ملك . كان ملكه القصير مملوءاً بالجرائم الكبيرة . فــترك أمه تموت جوعــاً في السجن ، ومن حسده قتل أحب إخوتـــه إليه ، وسجن الآخرين . وأفظع جرائمه إرغامه هو وأخوه اسكندر من بعـــده سكان الجليل العرب (الأيطوريين) الآتي ذكرهم ، بعد أن ضم بلادهم الى ملكـه، على التهود واعتناق اليهودية بحد السيف .

قـــال المؤرخ « توينبي – Toynbee » إن أقدم حادث تاريخي معروف من حوادث « التعصب الديني » هو قيام اليهود المكابيين بقيادة « اسكندر جنيوس» بإكراه سكان الجليل من غير اليهود على اعتناق اليهودية وذلك في الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد[1] .

وقد بلغت فتوحات هذه الدولة في عهد « اسكندر جنيوس – Alexender

١ – العالم العربي ٢٩٧ لنجلاء عز الدين .

Jannaeus ١٠٣ – ٧٦ ق.م. » أخي ارسطوبولس ذروتهـــا . فقـد امتدت حدودها حتى كادت تصل الى حدود مملكة داود .

عرف الملك اسكندر بقسوته الشديدة وأعماله الوحشية . فقد ذكر أنـــه [فتح مدينة كان العصاة تحصنوا فيها . وقبض على ثماني مئة رجل وأتى بهم الى أورشليم وصلب جميعهم في يوم واحد . واستحضر نساءهم وأطفـــالهم فأبسلهم تجاه عيونهم . وصنع في ذلك اليوم مأدبة لنسائه وسراريه في مكان مشرف على القتلى . فكان هـــذا المشهد الأليم لهن من أسباب المسرة . وكان ذلك لسنة ٨٦ ق.م. [1]] .

وتبع استيلاء اسكندر على غزة عام ٩٦ ق.م. مذابح مخيفة أدت الى تحول الشاطىء المزدهر بين غزة وعسقلان الى صحراء بلقع .

وأخيراً مات هـــذا المكابي ، لكثرة نهمه في الطعـام وعكوفه على الملاذ ومعاقرة الخمرة عام ٧٦ ق.م.

ولما ظهرت روما وتمكنت من الإنتصار على أعدائها أخذت العلاقات تنشأ بينها وبين المكابيين . وبدأت هـذه العلاقات بمصادقة المكابيين للرومان ، ثم تطورت الى سيطرة الرومان على المكابيين وانتهت باستيلاء الرومـــان على فلسطين ، كما استولوا على الأقسام الأخرى من بلاد الشام .

* * *

وأخيراً شملت القلاقل والاضطرابات مختلف أنحاء المملكة السلوقية ، ممـــا أدى الى ضعفها ، فصار من السهل على خصومها أن ينقضوا عليها الى أن تمكن « بومبي » القائد الروماني من أن يضع حداً لهذه المملكة عـــام ٦٤ ق.م. حينما استولى على سورية .

وفي عهد حكم السلوقيين لديار الشام أنشأ العرب فيها حكومتين : الإيطورية في البقاع ولبنان وشمالي فلسطين ، والأنباط في البتراء .

---

١ – تاريخ سورية ليوسف الياس الدبس المجـــلد الثالث – الجزء الثاني ص ٢٦٣ بيروت ١٨٩٨ م .

الايطوريون

« إيطورية » مقاطعة بين اللجاة والجليل . ماؤها غزير وترابها بركاني وأكثر أراضيها مخصب جداً . والأيطوريون ، سكانها ، جيل من العرب يرقى نسبهم الى العرب العدنانية . يتكلمون الآرامية ، وكانوا في بادىء أمرهم يقيمون في شرقي نهر الأردن في أيام « شاول – طالوت » ، وقد حاربوا اليهود . ويظهر انهم هاجروا نحو الشمال[1] واستقروا في المنطقة التي نسبت اليهم مؤخراً . ثم شمل سلطانهم البقاع[2] وحَوْران والجولان وفلسطين الشمالية . ويرجح ان «خلقيس – Chalcis »[3] وهي « عنجر[4] » اليوم ، عاصمة ملكهم . وعرف الأيطوريون بيأسهم وحذقهم رمي السهام . وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد ، في أيام ضعف السلوقيين ، توغلوا في لبنان الشمالي واستولوا على « شكا[5] » وأنحاء « جُبيل[6] » وأضحت طرابلس مركزاً لهم في هذه الجهات . ولما استولى الرومان على الشام حاربوا الأيطوريين وحولوا بلادهم الى مقاطعة رومانية ألحقوها بسورية .

الأنباط : سنبحث عنهم في فصل قادم بما فيه الكفاية .

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢٩٢/١ .

٢ – هو السهل الواقع بين سلسلتي لبنان الغربي ولبنان الشرقي . وعلوه يتراوح بين ١٠٠٠ و ٩٠٠ متر عن سطح البحر . طوله حوالي ١٢٠ كم وعرضه نحوه ١٥ كم . عرفه الكنعانيون باسم « بقعة » بمعنى السهل أو الفجوة بين جبلين . وذكرته التوراة باسم مدخل حماة أي الطريق الى حماة . وأطلق عليه اليونان والرومان اسم « مرمياس » أو « ماسياس » و Coela Syria بمعنى سورية المجوفة . واسماه العرب « بقاع كلب » نسبة الى قبيلة « كلب » التي أقامت فيه ، كما دعوه « بقاع العزيز » نسبة الى الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين الأيوبي .

٣ – كلمة يونانية بمعنى النحاس .

٤ – اختصار « عين الجر » التي ذكرها المقدسي ، بهذا الاسم في أحسن التقاسيم . وتقع في قضاء زحلة من أعمال محافظة البقاع في الجمهورية اللبنانية . والجنوب الشرقي من بيروت وعلى بعد ٥٨ كم منها .

٥ – بمعنى « الطين » . تقع على الساحل للجنوب من طرابلس بنحو ١٩ كم .

٦ – تقع على الساحل للشمال من بيروت بنحو ٣٨ كم .

الحالة الاقتصادية في فلسطين في عهد اليونان

كانت قوافل الأنباط التجارية تجوب جنوبي الشام حاملة بضائعها المختلفة للاقطار التي تطلبها وسنفصل ذلك في فصل قادم .

وكانت فلسطين تصدر الى مصر النبيذ والنطل (أول ما يرفع من عصارة العنب بعد السلاف) والعسل والزيت والتين وغيره من الفواكه ، والقار – الزفت – والبخور والمر والزعفران والعبيد وعطر الورد وجلد النمر[1] وغيرها من المواد التجارية التي تأتي الى فلسطين أو تنتج فيها .

وكان للحروب الكثيرة المتتالية أثر كبير في تغذية أسواق الرقيق بما تدفق اليها من أسرى الحروب ، كما كان قرصان البحر يزودون الأسواق بمن يقنصون . وهكذا راجت أسواق تجارة الرقيق واتسعت كثيراً مما أدّى الى تنقل المشتغلين بالنخاسة من غزة الى حوران .

ومما يذكر ان أميراً من أمراء العرب واسمه « توبياس – Tubias » أرسل الى بطلميوس الثاني ٢٨٣ – ٢٤٧ ق. م. هدية من أنواع الحيوان النادر ، كما أرسل الى « أبولونيوس » وزيره هدية أخرى من احسن انواع العبيد . قال توبياس في خطابه : [الى الملك بطلميوس من توبياس : لك التحية. لقد أرسلت اليك جوادين وستة كلاب وحماراً مهجناً ومطيتين بيضاوين عربيتين وجحشين مهجنين وعيراً وحشياً . ولك التحية .][2]

وفي عهد البطالمة كانت توجد ثلاثة أنواع من العملة المتداولة في فلسطين من الذهب ومن الفضة ومن البرونز. وكانت القطعة الذهبية تتألف من ثماني دراخمات. واما العملة الفضية فكانت هي القاعدة الأساسية وأكثرها شيوعاً ، وقطعتها الرئيسية كانت ذات أربع دراخمات ، وتدعى « ستاتر – Stater » أو « تترا – دراخم – Tetradrachum » . اما الوحدة الرئيسية في العملة البرونزية فهي

---

١ – تاريخ مصر في عهد البطالمة للدكتور ابراهيم نصحي ، ٢/٦٠٣ القاهرة ١٩٤٦ .

٢ – نفس المصدر ٢/٣٧٩ .

« الاوبول – Obolos »[١] وتنقسم الى ثمانية اقسام تدعى « خالكي – Chalci » ونسبة الفضة الى البرونز كانت ٦٠ : ١[٢] .

وكانت للبطالمة فيصور وصيدا وعكا – بطوليميس – ويافا وغزة دور لسك العملة[٣] .

ومن المراكز التجارية الفلسطينية المهمة في عهد اليونان مدينة « مريسا[٤] » وقد أسسها أو جدّد بناءها الصيداويون[٥] في القرن الثاني قبل الميلاد .

وقد تقدمت الزراعة والصناعة في فلسطين في العهد اليوناني تقدماً ملموساً ، فقد نشطت زراعة الكرمة والزيتون والفواكه والخضار كما أخذت « البستنة » بالتحسن والتقدم . ومما هو جدير بالذكر أن «أبولونيوس » وزير مالية بطلميوس الثاني ومن كبار ملاكي الأراضي في مصر كانت له أراض زراعية كثيرة في فلسطين ، كما كانت له قرية لإنتاج النبيذ والزيتون[٦] .

ويعتقد أن البطالمة أدخلوا الى فلسطين زراعة الفاصوليا والخروع والقرع. وكان البلوط ، في عهدهم يغطي جبال الأردن الشمالية ، وشجر البلسان منطقة البلقاء وأريحا التي احتكرت تجارة البلسم المستخرج منه . كما عرف الجليل وساحل طبرية بشجيراته الذكية .

---

١ – الأوبول كانت تساوي نحو سبعة مليات تقريباً.والدراخمة الواحدة تساوي ٦ أربولات.

٢ – تاريخ مصر في عهد البطالمة : ٤٢٣/٢ .

٣ – نفس المصدر : ٤١٨/٢ .

٤ – اسمها القديم « مريشه » ودعيت « مريسا » في العصر اليوناني . تقع في جوار « بيت جبرين » وقد تقدم ذكرها . نقب فيها في عام ١٨٩٨ – ١٩٠٠ م .

٥ – هناك مواقع مختلفة في أنحاء البلاد تحمل اسم « صيدا » . مثل قرية بهذا الاسم في قضاء طول كرم و « صيدون » من أعمال الرملة جنوبي « جازر – أبو شوشة » و « بيت صيدا » ، وبقاياها على الشاطىء الشرقي من نهر الأردن قرب مصبه في بحيرة طبرية وغيرها ... مما يدل على ان جاليات صيداوية كانت تنزل في مختلف أنحاء فلسطين وتؤسس فيها مستعمرات لها .

٦ – تاريخ مصر في عهد البطالمة : ٤٤٥/٢ .

وكانت فلسطين ، تـأتي بعد مصر في تموين الأسواق العالميـة بالبردي[١] – البابيروس – الذي كان الفلسطينيون يصنعون منه غرابيلهم وأحياناً قواربهم يعبرون فيها نهر الأردن . واستمرت البلاد في صنع الزيت والخمور والأرجوان والزجاج والمنسوجات والخزف . وقـد أخذت تقلد الخزف اليوناني الذي غمر أسواقها ، كما أخذ الانباط باستخراج الحديـد وغيره من معادن الغور ووادي عَرَبة .

[كان جميع سكان سورية آمنين من أي ضيق يتعلق بضرورات الحيـاة بسبب الوفرة الكبيرة التي تقدمها بلادهم][٢] .

---

١ – البردي بفتح الباء – Cyperus Papyrus والحلفـاء وانواع أخرى من القصب دخلت الى فلسطين من مصر . وهو نوع من الفصيلة السعدية ، ينمو في مستنقعات النيل والحولة وطبرية . سوقه في غاية المتانة والليونة ، تنثني بعضها على بعض بسهولة . واصطنع المصريون من البردي الورق المعروف بورق البابيروس. وكيفية صنع الورق من هذا النبات هو أنهم كانوا يأخذون البردي ويقسمونه الى قطع مستطيلة بعد قشرها . ثم توضع متعارضة في طبقتين أو ثـلاث ، ثم تبلل بالماء ، ثم تضغط وتلصق هذه القطع بعضها ببعض بالغراء أو بالخياطة ويضربونها بمطرقة حتى تدخل القطع بعضها ببعض وتصبح قطعة واحدة ، فيصقلونها ويجففونها في الشمس . وبذلـك تكون جاهزة للكتابة .

وتخلدت الأهمية العظمى لاختراع البابيروس في كلمتين شائعتين في كثير من اللغات الأوروبيـة وهما (Paper – ورق) و (Bible – الكتاب المقدس) . فاليونانيون كانوا يطلقون على ورقة البردي كلمة (بيبلوس – Byblos) وعلى القطعة منـه (بيبليون – Byblion) . وعندما ترجموا أسفار العهد القديم العبرية الى لغتهم اليونانية أطلقوا عليهـا (Ta Biblia) وعنهم أخذ سائر أهل أوروبا .

ومن المحتمل أن تكون كلمة (بيبلوس – Byblos) نفسها مشتقة من اسم ميناء (بيبلوس– جبيل) الفنيقي التي كان الورق المصري (البابيروس) يصدر الى بلاد اليونان عن طريقها .

وقد ظل البردي أحسن ما يستعمل للكتابـة في دواوين الحكومة وفي الشئون التجاريـة والاغراض الخاصة ونشر الكتب لمدة طويلة . وما ان حـل القرن الرابع للميلاد حتى كان استخدام البردي قد بطل تماماً في كافة أنحاء الأمبراطورية الرومانية –ومنها فلسطين – ؛ وحل محله استخدام الرقوق المصنوعة من جلود الحملان والخراف المدبوغة .

وأخيراً نشر العرب الورق العادي الذي اخترعه الصينيون في القرن الثاني قبل الميـلاد في مختلف الاقطار التي افتتحوها بعد الاسلام ومنها أوروبة عن طريق الاندلس .

٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ٣٠٧/١ .

* * *

كانت فلسطين في عهد السلوقيين مقسمة الى ثلاثة ألوية : (١) الجليل . (٢) السامرة (بلاد نابلس) . (٣) القدس . وهذه الأخيرة كانت ذات تنظيم خاص . لكنها تدفع الضريبة للدولة . وكان كل من هذه الألوية مقسوماً الى عدد كبير من الأقضية .

وكان لعكا في عهدهم نوع من الاستقلال فأخذت تدبر شؤونها بمجلس خاص لها كما كان لها الحق في سك النقود .

* * *

ومن الذين اشتهروا في عهد اليونان في بلادنا الشاعر « ملاجر — Meleager حوالي ١٤٠ — ٧٠ ق . م . من أم قيس . ويرجح انه كان يحسن معرفة اللغتين الفنيقية واليونانية فضلاً عن لغة بلاده الآرامية . والفيلسوف « أنطيوخس » العسقلاني الذي أسس ، فضلا عن أكاديميته السورية ، واحدة في الاسكندرية وأخرى في أثينا . وحضر « شيشرون » ، الآتي ذكره ، أكاديميته الآثينية مدة ستة شهور وكان يتكلم عنه بتعابير الود والاحترام ويصفه « بلوطرخس » بأنه « رجل مقنع وخطيب قوي » ويذكر سترابو اثناء وصفه لعسقلان أن مولد أنطيوخس فيها عنوان شهرة للمدينة[١] .

مميزات العصر اليوناني لفلسطين

كانت سكان البلاد الشامية ، قبل فتح الإسكندر لها ، تتألف من السامريين ومن السوريين الذين ينتمون إلى الآراميين ، والكنعانيين ومن العرب الذين يقطنون الجنوب ، والذين كانوا قد احتلوا قسماً كبيراً من سورية الشرقية وجعلوا لهم فيها المستعمرات الكثيرة ، ومن اليهود ومن بقايا الأمم الفاتحة كالآشوريين والمصريين والبابليين والحثيين والفرس وغيرهم .

فتح الإسكندر المكدوني الشام عام ٣٣٣ ق.م. ولم يغير هذا الفتح أحوالها

١ — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ؛ ١/٢٨٠ .

تغييراً يذكر ، فإن الإسكندر كان إذا امتلك بلداً أمّن أهله وجعل عليهم عمالاً من أصحابه مع عـــدد كافٍ من الجند لردّ غارات الأعداء ، ثم يسير بجيشه الى أقطار جديدة ليستولي عليها .

ومن أهم نتائج فتوح الإسكندر ، نشره المدنية الهلينية (اليونانية) في البلاد المفتتحة . وقـــد اجتهد اليونان من بطالمة وسلوقيين ، في نشر لغتهم وأفكارهم وتقاليدهم وعلومهم ودياناتهم في أنحاء الشرق بواسطة عوامل ثلاثة أهمها وأولهـا مئات المدن التي أسست في آسيا الصغرى ومصر وسورية [1] . وقد كثر ورود اليونان الى هذه المدن الجديدة والى غيرها فانتشروا في أنحـاء البلاد واختلطوا بسكانها. وبنيت هذه المدن حسب مخطط موضوع وزينت بالمسارح والحمّامات[2] والملاعب والساحات العامة وغيرها .

ومن المدن التي بناها اليونانيون في بلادنا « جَدَارا – Gadara » وهي « أم قيس » الحالية ، (١١٩٦ نسمة) غربي إربد وتقوم على مرتفع بارز يعلو ٢٠٠٠ قدم عن سطح بحيرة طبرية . و « بلا – Pella » وهي خربة « فِحْل » أو « طبقة فحل ٢٨٧ نسمه » الواقعـة مقابل « بيسان » جنوبي جسر المجامع على بضعة أميال . وذلك نسبة الى « بلا » عاصمة المكدونيين منذ عهد « فيليب الثاني » والتي وُلد فيهـــا ولده الإسكندر الكبير . والمدينة اليونانية بنيت على البقعة التي كانت عليها مدينة « فيحيلو Phihilu » الساميّة المذكورة في رسائل « تل العمارنة » . والإسم الحالي « فِحْل » تحريف لهذا الإسم . و « ديون » ولعلها قرية « إيدون ١٧٠٠ نسمة » من أعمال إربد . و « أربيلا – Arbila » وهي « إربد» و « جَرَش » التي بناها « انطيوخوس الرابع ١٧٦ – ١٦٤ق.م.» وسمّاها أنطاكية نسبة إليه . ثم دُعيت « جرازا – Gerasa » ومنهـــا حرف اسمها الحالي . و « فيلوتيريا – Philoteria » ويرجح أنهـا خربة « الكرك » في

---

١ – روي ان المدن التي أنشأها الاسكندر نفسه في مختلف أنحاء الاقطار التي افتتحها زادت عن السبعين كوسيلة لتحقيق تقارب أوثق بين الشرق والغرب .

٢ - يبدو أن اليونان هم الذين أدخلوا الى فلسطين الحمامات العامة .

جنوبي بحيرة طبرية و « آزوتوس » وبنيت على البقعة التي كانت عليهـــا بلدة « اسدود » الكنعانية .

وجدّد اليونان بناء « فيلادلفيا – عمّان » و « بَيْسان – سكيثوبوليس » و « آبولونيا » وهي « ارسوف » القديمـــة وقرية « الحرم – سيدنا علي » اليوم وقـــد مرّ ذكرها . و « يوبا – يافا » المشهورة باسم عروس البلاد الفلسطينية و « رفيا – رفح » آخر حدود فلسطين من جهة مصر و « بطوليمايس – عكا » نسبة الى بطلميوس الثـــاني و « بوكولون بوليس – Bucolon Polis » ، بمعنى مدينة رعاة المواشي وهي « عتليت » اليوم و « أكديبا – Ecdippa » قريـة الزيب و « اكزالات – Exaloth » وهي قرية إكسال وغيرها . إلا أن هذه الأسماء اليونانية لم تتغلب على الأسمـاء السامية – العربية القديمة . فلمـــا زالت سيطرة اليونان وتأثيرهم عاد إليها اسمها القديم وما زالت تعرف به الى يومنا هذا.

وثاني العوامل التي ساعدت على نشر المدنية اليونانية في البلاد ، المدارس التي أنشأوها في مختلف المدن لنشر حضارتهم وفنونهم ، والمسارح والمعابـد التي أقاموها لإشاعة عاداتهم وتقاليدهم .

والعامل الثالث ، هو حاشية الملوك الذين أسسوا لهم ممالك جديدة في آسيا وافريقيـــة . فتخلق سكان الشرق الأدنى بأخلاق اليونان واقتبسوا الكثير من عاداتهم وعلومهم وفنونهم الجميلة . إلا أن التـأثير اليوناني ، مع عظم انتشاره في القطر الشامي – ومنه فلسطين – الذي قيـل بأنه اصطبغ بالصبغة اليونانية ، كانت صبغته هـذه غالباً سطحية ومحصورة في المدن الكبرى . ولاسيا المدن الساحلية التي كان معظم أهلها من أصل يوناني . وأمـــا سكان القرى فقد آثروا البقاء على عاداتهم السابقة والنطق بلغة آبائهم والاحتفاظ بتقـاليدهم وأفكارهم . وكان أكثر شيوع هذا التمدن الأجنبي بين اماثل القوم والأسر الغنيـة الذين أهملوا اللغة الوطنية ليتكلموا بلغة اليونان ، وعلموها أولادهم . فضلاً عن ان اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية للبـلاد ولغة التجارة والعلم والأدب والمدارس . على ان اللغة المذكورة لم تصبح قط لغة العامة الذين كانوا يتكلمون بالآرامية السريانية.

وهذه الحالة تشبه ما نشاهده اليوم في الشرق العربي ، فان اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية منتشرتان في الدوائر وبين المتعلمين في حين أن لغتهم التي يتكلمون بها هي العربية .

ولكن اقامة اليونانيين لم تدم طويلا ، وأهم الأسباب العاملة على انقراضهم هي سكناهم المدن ، حيث كانت وفياتهم تفوق مواليدهم ، وانقطاع الهجرة اليونانية من بلادهم .

لم يترك البطالسة والسلوقيون في البلاد سوى بعض الآثار والنقود التي يُعثر عليها في بعض الأنحاء . وفي العربية اليوم كلمات يونانية الأصل تسرب الكثير منها الى العربية بواسطة اللغة السريانية أو نتيجة للاتصال المباشر بين الروم والعرب في العصور المتوسطة ، كما انتقلت حينئذٍ كلمات عربية كثيرة الى اللغة اليونانية . فمن الكلمات اليونانية التي تسربت الى اللغة العربية : إنجيل وأبرشيّة وكرميد واكليروس وإيقونة[1] ، وأسقف ، والنقرس (مَرَض) ، والبطريق والبطاقة (الرقعة) والبرج — وفي بلاد الشام كثير من الأمكنة تحمل هذا الاسم أو مشتقاته (برج ، برجا ، بريج) — وغيرها وهي كثيرة .

١ — الايقونة : لفظ يوناني معناه الصور أو الرسم . وهو يستعمل في المصطلحات الدينية للاشارة الى صور القديسين .

اللغة الآرامية في فلسطين

من اللغات السامية التي تكلمها أهل سورية اجمالاً من نحو القرن السادس قبل الميلاد الى نهاية القرن الثامن بعد المسيح . وكانت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية التي كانت تتفاهم بها الأمم الحيّة في القرون الأولى قبل الميلاد ، من ايران شرقاً الى سوريا غرباً ؛ ومن آشور شمالاً الى فلسطين جنوباً . والآرامية التي كانت لغة السيد المسيح ، لم تزل حتى الآن لغة الطقوس الكنسية لمعظم مسيحيي الشرق الأدنى من نساطرة[1] ويعاقبة[2] وسريان كاثوليك وموارنة[3] .

---

١ و ٢ — قال جورج سارتون : « الرأي المعتمد فيما يتعلق بالمسيح هو ان له طبيعتين (إنسانية وإلهية) لكن شخصه واحد . وادعى النساطرة ان هنالك طبيعتين وشخصين وبناءً على ذلك دانهم (مجمع أفسوس) سنة ٤٣١ م . أما اليعاقبة فقد اعتصموا بالنقيض الآخر مدعين ان المسيح ذو طبيعة واحدة وشخص واحد . فدانهم كذلك « مجمع خلقدون » سنة ٤٥١ م . وتم نقل العلوم من اليونانية الى العالم الاسلامي على يد هذين الفريقين (المتعارضين) من هراطقة المسيحية : النساطرة واليعاقبة . وكان الآسيويون من هذين الفريقين يتكلمون لغة واحدة هي السريانية » — تاريخ العلم ، الجزء الثاني ص ٣٢٩ .

وبهذه المناسبة نذكر ان « أفسوس » مدينة تقع على بحر إيجه ، على بعد نحو ٣٠ ميلاً للجنوب من ازمير . تقوم على بقعتها اليوم بلدة (آياصولوغ) التركية . والراجح انها المكان الذي وقع فيه حادث أهل الكهف في القرن الثالث للميلاد واما « خلقدون » فهي « قاضي كوي » حي من أحياء استانبول .

٣ — تتألف الطائفة المارونية من عناصر لبنانية مسيحية مختلفة : ان الجراجمة الذين كانت منازلهم في جبل اللكام وجبل طوروس ، التي تشكل الحدود الطبيعية بين سوريا والاناضول ، بدأوا يتسللون الى سوريا منذ ولاية معاوية بن أبي سفيان عليها . وفي عام ٦٨٩م ، اثناء خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ — ٧٠٥ م .) اجتاحوا لبنان واستقروا فيه. وبعد اندماجهم =

ولما فتح العرب سوريا والعراق ، في القرن السابع بعد الميلاد ، كانت اللغة السريانية[1] ، وهي لهجة من لهجات الآرامية لغتها المحكية . ولم تنقرض اللغة السريانية من جبال لبنان إلا منذ ثمانية قرون. وكان أهل «بشري» و«حصرون» والقرى المجاورة لها في شمالي لبنان ، الى قبل نحو ٢٥٠ سنة يتكلمون بالسريانية. وما زالت قرى « مَعْلُولا[2] » المسيحية و « بَخْعَة[3] » و « جب عدّين[4] » المسلمتين من جبل قلمون من أعمال دمشق يتكلمون اللغة السريانية حتى الآن الى جانب العربية .

ويمكن القول بأنه تناوبت في فلسطين ، منذ أقدم الأزمنة التاريخية حتى اليوم ، ثلاث لغات : وهي الكنعانية والآرامية ثم العربية الحديثة .

وفي العربية اليوم كلمات آرامية الأصل عرّبها العرب واقتبسوها من

=بسكانه من أبناء دينهم النصارى اصبحوا يعرفون بالمردة. وقد أسفرت عملية الاندماج هذه بين الجراجمة ونصارى لبنان عن قيام الطائفة المارونية التي لا تزال الطائفة القوية السائدة في لبنان . ودعيت بذلك نسبة الى القديس المتقشف « مارون » شفيعها ، الذي عاش في أواخر القرن الرابع ومات حوالي ٤١٠ م في شمال سورية – للتفصيل راجع لبنان في التاريخ ص ٢٩٨ – ٣٠٠ .

ثم انتسب الى هذه الطائفة العديد من العائلات العربية التي تعود بأرومتها الى عدنان وقحطان .

١ – اعتنق الآراميون المسيحية ، منذ القرن الأول للميلاد . واختاروا اسم « السريان » – السوريين – تحاشياً من الاسم الآرامي الذي كان رمزاً للوثنية .

٢ – تقع قرية معلولا – ومعناها المدخل – في الشمال الشرقي من دمشق وعلى مسيرة (٥٥) كم منها . ترتفع بنحو ١٣٠٠ متر عن سطح البحر ، يقطنها نحو ٣٠٠٠ شخص بينهم ٥٠٠ مسلم والباقي مسيحيون .

٣ – بخعة تعرف اليوم باسم « الصرخة » تقع شمالي معلولا على بعد خمسة كيلومترات منها . تعلو ١٥٥٠ متراً عن سطح البحر . سكانها أكثر من ١١٠٠ نسمة ، جميعهم مسلمون .

٤ – تقع قرية « جب عدين » في الجنوب الغربي من معلولا وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلو متر منها . ترتفع ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر . سكانها أكثر من ٢٠٠٠ نسمة ، جميعهم مسلمون .

ويرجع احتفاظ هذه القرى السريانية بلغتهم الى ارتفاعها ومنعتها وبعدها عن الطرق طوال القرون الماضية .

السريانية . وهاك بعض هذه الكلمات : أتون ، أرز (الرز) ، بور ، السبت ، كفر (بمعنى القرية) ، بطيخ ، بلوط ، بطة ، بركة ، توت ، الحور ، خابية ، خص ، دجال (كذاب) ، زفت (القار) ، زنار ، المكس (الضريبة) ، سرادق، كورة (البقعة التي تجتمع فيها قرى) ، ناعورة ، دولاب (لاستقاء الماء) ، يم (البحر) ، الجدل ، قس — بمعنى شيخ وتطلق اليوم على رئيس من رؤساء الدين المسيحي — الشماس — بمعنى معاون وهو دون القس — والدير — ومعناها المسكن عموماً ولا سيا المحصن، ثم خصوا بها مساكن الرهبان — و«مار» بمعنى السيد والشفيع والرب . وترد هذه الكلمة السريانية في تركيب أسماء أمكنة وكنائس عديدة في فلسطين وغيرها من بلاد الشام . مثل مار الياس ومار سابا وغيرها وهي كثيرة .

وقد ترك الآراميون — الذين عرفوا فيما بعد بالسريان — طابعهم اللغوي في تسمية بعض المدن والقرى في فلسطين . منها :

(١) إدنا : بمعنى الأذن . قرية من أعمال الخليل . وفي لبنان أيضاً قرية بهذا الاسم تعرف باسم « مار إدنا » من أعمال كسروان .

(٢) بتّير : بمعنى « محل الطير » أو « الزريبة للحيوانات الداجنة » . قرية من أعمال القدس . وفي لبنان قرية تحمل نفس الاسم من أعمال « المتن » . وهناك قرية « بتير » — بدون تشديد التاء — قرية من أعمال الكرك بها ٤٣٥ نسمة .

(٣) بِدْيا : تحريف « بَدَّة » بمعنى « المعاصر — معاصر الزيت » قرية من أعمال نابلس . وفي مشيخة « الفُجَيْرَة » من مشيخات ساحل عمان قرية تحمل نفس الإسم .

(٤) بِدُّو : قرية من أعمال القدس .

(٥) بَرْبَرَة : بمعنى « بدوي » . من أعمال غزة . وفي لبنان قريتان تحمل اسم « بَرْبارة »: الأولى من أعمال جُبَيل والثانية من أعمال عَكار .

(٦) بَرْقة : بمعنى « البرق » و « اللمعان » . وقد تكون تحريف

« برجــا — Barga » . بمعنى البرج . وَبرْقة اليوم قرية من أعمال غزة .

(٧) بُرَيْر : تصغــير لكلمة « بَرّ » الآرامية . بمعنى الحقـــل . قرية من أعمال غزة .

(٨) بَلْعا : بمعنى « البالعة » و « المزدردة » من أعـمال طول كرم . وفي لبنان أيضاً قرية بهذا الإسم من أعمال « البترون » .

(٩) بيت ثول : يرجح انهـــا تحريف « تولا — Tulla » الآرامية . بمعنى « التل » أو « الظل » وهي قرية من أعمال القدس .

(١٠) بيت جبرين : هي « بيت جُبْرًا » أو « بيت جُبْــري » الآرامية بمعنى بيت أو محلة الرجال الاقوياء (الجبابرة) . تقع للشمال الغربي من الخليل .

(١١) بيت جَنّ : بمعنى بيت الملجأ . قرية من أعمال عكا .

(١٢) بيت حنينا بمعنى « بيت المخيمين » و « بيت النــازلين » . قرية من أعمال القدس . و « حنينا » قرية صغيرة « ١٢٢ نسمة » في جنوب مـــأدبا من محافظة عمان .

(١٣) بيت ريما : من « ريمـــات » بمعنى « الصخر العظــيم » . من أعمال رام الله . وقرية « بيت ريما » قرية قديمة . ذكرها العهد القديم (قضاة ٩/٤١) بإسم (أرومة) .

(١٤) بيت لاهيا : بمعنى « بيت مقفر » من أعمال غزة . وفي كل من سورية ولبنان قرية تحمل نفس الاسم. وفي شرقي الأردن (كفر لاهيا) خربة بالقرب من الحدود الأردنية السورية .

(١٥) بيتا : بمعنى « البيت » قرية من أعمال نابلس .

(١٦) تمرة : بمعنى الثمر . قريتـــان واحدة من أعمال عكا والثـانية من أعمال الناصرة .

(١٧) الجانية : الأرجح انها تحريف لكلمة « جيـــنيا » السريانية ، بمعنى ملجأ ومخبأ . من أعمال رام الله .

(١٨) جَبُّول : بمعنى « الخزّاف » . قرية من أعمال بيسان .

(١٩) الجيّة : بمعنى « المكان المبهج الرائق اللطيف » . من أعمال غزة في جوار عسقلان . و« الجِيّة » أيضاً قرية على ساحل البحر بين صيدا وبيروت من أعمال قضاء الشوف . ولعل قرية « الجـاية – ٢٣٧ نسمة » في منطقة معان في شرقي الأردن تحريف لكلمة « الجِيّة » .

(٢٠) َحجّة : وتعرف اليوم باسم « قرية َحجّة » من أعمال نابلس . بمعنى عيد والسوق والموسم والمجتمع . وفي المنطقة الجبلية من اليمن بـلدة تحمل نفس الإسم ، كما وان في ناحية صيدا من أعمال لبنان قرية يقال لها أيضاً « حجة » .

(٢١) َحدَثا : قرية من أعمال طبرية . بمعنى الحديث والحديثة .

(٢٢) َحوّارة : بمعنى « البياض » . قرية من أعمال نابلس . ُدعيت باسمها هذا لبياض ترابها . وفي كل من شرقي الأردن – في ظاهر إربد الشرقي ٢٣٤٢ نسمة – ولبنان من أعمال طرابلس – قرية تحمل نفس الإسم .

(٢٣) َخرْ َبثا : بمعنى « الخربـة المقفرة » من أعمال رام‌الله « َخرْبثـا الحارثية » .

(٢٤) الدّلهميّة : من أعـمال طبرية . وفي البقاع من أعمال زحلة في لبنان قرية تحمل نفس‌الإسم . وقرية « الدّلهمية » في سوريا تقع في « الجولان » على مسيرة ٢١ كم من القنيطرة .

قال أنيس فريحة : « ليس الاسم واضحاً . أرجح أنـه مركب من لفظين « Mayya » و « Dâlha » بمعنى معكّر المـاء . أو « Dâlûha Dmayya » بمعنى تعكير الماء . وقد يكون من الإستقاء ونشل الماء (١) » .

(٢٥) دِنّابَة : الأرجح انها تحريف كلمة « دنوب » و « دنوبا » السريانية . بمعنى الطرف والمؤخرة ومن الجبل سفحـه . وموقع « دنابة » الجغرافي – في نهاية السهل وأول الجبل أو بالعكس – يعزز معنى اسمها السرياني . وهي قرية من أعمال طول كرم .

(٢٦) دير أستِيا : الكلمة الثانية سريانية « إستا » بمعنى الحائط والجدار .

---

١ – اسماء المدن والقرى اللبنانية ص ١٣٤ .

قرية من أعمال نابلس .

(٢٧) **ديوك** : بمعنى الموقع المشرف والمطل . من أعمال أزيحا .

(٢٨) **زيتا** : بمعنى شجرة الزيتون وثمره وزيته . ثلاث قرى : واحدة من أعمال طول كرم ، والثانية من أعمال نابلس والثالثة من أعمال الخليل .

وفي لبنان قرية تحمل اسم « زيتا » من أعمال صيدا .

. وفي سوريا قريتا « زيتا البحيرة » و « زيتا الغربية » وهما من أعمال حمص .

(٢٩) **سَجَد** : من « سِجْدَة » الآرامية . بمعنى « المكان والسجود » ربما كان المكان محل عبادة . وهي محطة من محطات الخط الحديدي الواقع بين يافا والقدس . وفي لبنان قرية تعرف باسم « سُجُد » من أعمال النبطية .

(٣٠) **سِلوان** : بمعنى الشوك والعُلَّيق . تقع في القدس . وهي التي أوقف عثمان بن عفان ، الخليفة الثالث ، عين مائها على ضعفاء بيت المقدس[1] .

(٣١) **شوفة** : من جذر « شوف » ومعناه الإرتفاع والعلو والتطلع . قرية من أعمال طول كرم .

(٣٢) **صَرْطة** : قد تكون تحريف لكلمة « صردا – Serda » السريانية . و « صرد » بمعنى البرد . وعليه يكون معنى اسمها « المكان البارد » . وقد ذكرها صاحب كتاب المراصد المتوفى عام ٧٠٠ هـ : ١٣٠٠ م. بقوله : « سُرْطة : قرية من جبال نابلس[2] » .

(٣٣) **صَرَفند** : ربما كانت تحريف كلمة « صَرْفة » السريانية . ومعناها صهر المعادن وتنقيتها . وهما قريتان من أعمال الرملة . و « صرفند » أيضاً قرية بين صيدا وصور في الجمهورية اللبنانية .

(٣٤) **صَرة** : بمعنى الصر والعقد والتضييق . فيكون معناها « الضيقة » . قرية من أعمال نابلس .

(٣٥) **صَفَد** : بمعنى « الشَدّ » و « الربط » . أقصى مدينة في الشمال .

---

١ – معجم البلدان ٣/٢٤١ .

٢ – بلدانية فلسطين العربية ، ١٠٤ .

وفي جنوب لبنان قرية تعرف باسم « صفد البطيخ » من أعمال « بنت جبيل » ، على مسيرة ثلاثة كيلومترات من الحدود الفلسطينية – اللبنانيـة . و « صفد » أيضاً قرية من أعمال مشيخة « الفُجَيْرَة » على الساحل العماني في الخليج العربي ، وينسب الى مدينة صفد الفلسطينية : (١) خليل بن أَيْبَكْ بن عبدالله الصفدي صلاح الدين : ٦٩٦ – ٧٦٤ هـ : ١٢٩٦ – ١٣٦٣ م . أديب ومؤرخ . له زهاء مائتا مصنف . منها « الوافي بالوفيات » و « امراء دمشق في الاسلام » . قبره في صفد معروف .

وفي عـام ٧٢٧ هـ : ١٣٢٧ م . توفي في صفد شيخ الرّبوة محمد بن أبي طالب الانصاري . وهو مؤلف كتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » .

(٢) احمد بن موسى بن خفاجة : فقيه شافعي . ترك صفد ونزل باحـــدى قراها . فكان يفتي ويصنف. له «شرح التنبيه» في فقه الشافعية بعشرة مجلدات. توفي عام ٧٥٠ هـ : ١٣٥٠ م .

(٣) ابراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني . ولد في صفد عام ٧٧٧ هـ: ١٣٧٦م. كان ينعت بقاضي القضاة له مؤلفات . توفي عام ٨٧٠ هـ: ١٤٦٥ م . في دمشق.

(٤) عبدالله بن محمد السبتي : شيخ علاّمة . تولى قضاء المالكية بصفد . ولد عام ٨٤١ هـ . وتوفي بصفد عام ٩١٠ هـ .

(٥) محمد بن يعقوب شيخ الاسلام سبط ابن حامد الصفدي الشافعي ، شيخ صفد ومفتيها . كان شيخ المملكة الصفدية وملاذ الناس من طلبة العلم وغيرهم . كان يرجع اليه في الإفتاء والتدريس . توفي في بلده عام ٩٥٤ هـ[١] .

(٦) أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي . فقيـه متأدب . ولد في صفد . توفي فيها عام ١٠٣٤ هـ : ١٦٢٥ م . له مؤلفات . منها كتاب عن عهد الأمـير فخر الدين المعْني الثاني[٢] .

(٧) صالح بن علي الصفدي . مفتي الحنفية فيهـــا . له « بغية المبتدي » .

---

١ – الكواكب السائرة : ٦٢/٢ .

٢ – خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي ٢٩٧/١–٢٩٨ .

اختصر به متن الكنز في الفقه توفي عام ١٠٧٨ هـ : ١٦٦٧ م[١] .

(٨) احمد بن محمد الصفدي . ولد ببلده صفد . نزل دمشق وأخذ الكثير عن علمائها وشيوخها . ثم اخذ يدرّس فيها الحديث والعقائد والفقه . له مؤلفات وديوان شعر . توفي عام ١١٠٠ هـ[٢] .

وولد في صفد « ظاهر العُمَر[٣] — ١١٠٦ — ١١٩٦ هـ: ١٦٩٥—١٧٨٢م ». الذي امتلك جنوبي الشام من صيدا الى يافا ومن صفد الى شرقي الأردن . وله منشآت كثيرة لا تزال تحمل اسمه في مختلف انحاء الجليل .

(٣٦) طُرْعان : من أعمال الناصرة . بمعنى « حظيرة الغنم والضأن » .

(٣٧) طَلوُزة : بمعنى « صغار » و « أحداث » . وقد تكون تحريف لكلمة « طَلوُشة » بمعنى لزج طيني أو صبي صغير . قرية من أعمال نابلس . و « طلاشة » قرية في جنوبي لبنان من أعمال مرجعيون .

(٣٨) عزون : من « عَزّ » بمعنى قوي واشتد . من أعمال قلقيلية . و « العزونِيّة » قرية من أعمال عاليه في الجمهورية اللبنانية .

(٣٩) عيلوط : بمعنى « المرتفع » و « القمة » . قرية من أعمال الناصرة . و « عيلوت » ايضاً قرية من أعمال « المتن » في لبنان .

(٤٠) عين قينيا : بمعنى « عين القصب » قرية من أعمال رام الله ، وفي لبنان أيضاً قرية تحمل نفس الاسم من أعمال « حاصبيا » .

---

١ — نفس المصدر ٢/٢٣٨ .

٢ — نفس المصدر ١/٣٥٩ .

٣ — ينتسب هذا الزعيم الفلسطيني الى حمولة « الزيادنة » التي تذكر انها من اعقاب الحسن بن علي بن ابي طالب ، وانها في نحو « ١٧٠١م » غادرت منازلها في جهات « معرة النعمان» ونزلت برية طبرية . ثم أخذ نجم « الزيادنة — نسبة الى جدها زيدان » في الظهور فانتشروا حول طبرية وفي الناصرة وعرابة البطوف وغيرها .

وقد لمع منها الشيخ ظاهر العمر الذي يعتبر اعظم فلسطيني ظهر في القرن الثامن عشر .

ويوجد اليوم أسر عديدة يجمعها اسم « الزيادنة » في الناصرة وفي بضع قرى في الجليل مثل الدامون والبعنة وكفرمنده وغيرها .

(٤١) قانا : بمعنى « العِشّ » . ومنه وادي قانا و« قانا الجليل – كفر كنة» من أعمال الناصرة . و « قانا » أيضاً قرية من أعمال صور في لبنان .

(٤٢) قُبية : بمعنى « مجتمع الماء » قرية تقع على بعد سبعة أميال شمال شرقي اللد . تعلو ٨٤٠ قدماً عن سطح البحر . وهي اليوم من اعمال رام الله .

(٤٣) كفردان : بمعنى « قرية الحاكم » او « قريـــة القاضي » . من اعمال جنين . وفي لبنان قرية تحمل نفس الاسم في البقاع من اعمال بعلبك .

(٤٤) كفرعانة : « عانة » بمعنى الغنم والضأن . وهي من اعمال يافا .

(٤٥) الكفير : تصغير « كفر » على القاعدة العربية بمعنى « القرية الصغيرة» من اعمال جنين . والكفير قرية في الجنوب اللبناني . وفي شمالي سورية، فيما نعلم، أربع قرى تحمل نفس الاسم .

(٤٦) كوكبا : بمعنى « كوكب » . قرية من اعمال غزة. وفي لبنان قريتان تحمل نفس الاسم : واحدة في الجنوب من اعمال حاصبيا . والثانية في البقاع من اعمال راشيا. وفي سورية أيضاً قريتان بالاسم المذكور الاولى من اعمال «عفرين» والثانية من اعمال « المعَرّة » .

(٤٧) المطلة : بمعنى « مِظلة » . وهي قرية من اعمال صفد . وفي لبنان قريتان تحملان نفس الاسم الاولى في قضاء الشوف والثانية في قضاء عالية .

(٤٨) الناقورة : وقد مر ذكرها .وغيرها.

والطابع الآرامي في مدن وقرى الجمهورية اللبنانية أقوى ممـــا هو في فلسطين. ففيها اسماء أماكن آرامية محضة بقيت الى يومنا هذا على لفظها القديم. مثل بحمدون (بيت حمدون) وبيت مري (بيت السادات والأرباب) وبكفيا (بيت الصخر) وبرمّـــانا (بيت الرمان) ولبنان بمعنى أبيض و « الشوير » تصغير عربي للفظ سرياني أصلاً ، وهو الشوار بمعنى ارتفع وعلا . وغيرها وهي كثيرة .

الرومان في فلسطين

٦٣ ق . م . — ٣٩٥ م .

تمهيد في أصل الرومان :

تعرضت شبه جزيرة ايطالية ، الواقعة في وسط البحر الأبيض المتوسط ، في القرن السادس عشر قبل الميلاد لغزوات القبائل الإيطالية التي أغارت عليها من الشمال . وقد استقرت القبائل المذكورة أخيراً في شبه الجزيرة التي دُعيت باسمها ، وكانت القبائل اللاتينية ، وهي قسم من القبائل الإيطالية المستقرة ، قد سكنت في الجزء الجنوبي من نهر « التيْبَر » وكانت تعيش على الزراعة والرعي. وقد أسس هؤلاء اللاتين على النهر المذكور ، في القرن الثامن قبل الميلاد ، مدينة « روما » التي ينتسب اليها الرومان . وكانت « روما » في أول أمرها قرية صغيرة ثم عظمت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت سيدة لجميع القبائل اللاتينية المجاورة .

ثم أخذت روما في توسيع نطاقها وبسط سلطانها على ما جاورها من البلدان، حتى اذا أهَلّ القرن الثالث قبل الميلاد كانت روما قد أصبحت سيدة ايطاليا . وبعد أن تمت لها هذه السيادة أرادت أن توسع ملكها الى ما وراء شبه الجزيرة فوجدت « قَرْطاجَنّة » عقبة في سبيلها .

كان الفنيقيون قد أسسوا مدينة « قرطاجنة » في القرن التاسع قبل الميلاد، بالقرب من « تونس » الحالية . ثم أخذت في التقدم حتى صارت دولة عظيمة بثروتها وتجارتها وأسطولها ومستعمراتها الكثيرة في غربي البحر الأبيض المتوسط . فكان لا بد من نشوب الحرب بين روما وقرطاجنة ، لأن قرطاجنة

كان لها السيادة على البحر الأبيض المتوسط ، وكانت روما آخذة في توسيع نطاق تجارتها في ذلك البحر وترغب في الحصول على السيادة البحرية . وقد قامت الحرب بين الطرفين ودعيت باسم « الحروب البونية » ومعناها «الفنيقية» لأن القرطاجنيين فنيقيو الأصل .

اشتبكت روما مع قرطاجنة – التي كانت عاصمة العالم التجارية – في صراع امتد اكثر من مائة عام (٢٦٤ – ١٤٦ ق.م .) وقد خسرت قرطاجنة الحرب، ونتيجة لذلك أضاعت مستعمراتها وأملاكها واستقلالها . كما أحرقت عاصمتها وهدم كل ما بقي شاخصاً بعد احتراقها . وبقيت خراباً الى يومنا هذا . وقد قام القرطاجنيون في دفاعهم عن عاصمتهم بأكثر مما تستطيعه قوات البشر للذود عن أوطانهم .

وسرعان ما أخذ النفوذ الروماني بعد ذلك ينتشر في شمالي افريقية ، وانتهى باستيلاء الرومان على بقية أقطار المغرب العربي .

تطلع الرومان الى الشرق فاستولوا على الأقطار التي كان يحكمها خلفاء الإسكندر المكدوني ، ففتحوا مكدونيا وبلاد اليونان واستولوا على قسم كبير من آسيا الصغرى، ثم تقدموا الى سورية وتم لهم الإستيلاء عليها عام ٦٣ ق . م. على يد القائد « بومبي – Bompey » دون عناء كبير يذكر . وكان ذلك نهاية الدولة السلوقية واعتبرت سورية الجغرافية ولاية رومانية عاصمتها « أنطاكية » مركز حاكم عام الولاية .

وكان الحاكم العام ، مطلق الصلاحية لمدة سنة واحدة يُدعى « بروقنصل ». وفي عهد الإمبراطور « أوغسطس » أُلغي هذا النظام وأضحى الحاكم العام يرجع في الأمور الهامة الى روما ويبقى في ولايته ما دام قادراً على القيام بمهام منصبه على أكمل وجه .

ترك الرومان حكام البلاد الوطنيين يدبرون شؤون مقاطعاتهم وكان فيهم زعماء من العرب يحكمون بعض المدن في شمالي سورية . وكان على جميع المسؤولين في المدن والمقاطعات أن يرجعوا الى الحاكم العام في أمورهم السياسية والقضائية .

وأن يدفعوا الضرائب المطلوبة وأن يقدموا الجند حين الحاجة .

وقد سمحت روما لجميع حكام المناطق وأمرائها بسك النقود الفضية والنحاسية ، على أن تضع صورة الإمبراطور على قطعها النقدية . واحتفظت لنفسها بحق ضرب النقود الذهبية .

ولما زحف « بومبي » على سورية كان جنوبها ينقسم الى ثلاثة أقسام : قسم تحت نفوذ المكابيين وآخر يحكمه الأنباط ، والثالث وكان يعرف باسم « المدن اليونانية » . وسنذكر نبذة عن هذه الأقسام الثلاثة :

المكابيون

إن أول وال عين على سورية هو « اولوس غابينيوس – Oulus Gabinius ٥٧ – ٧٥ ق. م. » أحد قواد بومبي فاتح سورية ، الذي أمر باعادة بناء عدد من المدن، كان المكابيون قد هدموها مثل «السامرة – سبسطية » و بَيْسان وغزة والطنطورا ؛ وبتجريد كاهن اليهود «هركانوس الثاني » من لقب الملك ، كما فرض ضرائب ثقيلة على اليهود ، وبإعادة حرية المدن اليونانية التي كان المكابيون قد ضموها الى ممتلكاتهم . إلا انه سمح لليهود ، كما سمح لغيرهم ، بالاحتفاظ بشيء من الاستقلال الداخلي وان يسيروا حسب شرائعهم وتقاليدهم في مقاطعة القدس .

ولما قام بعض المصريين بثورة ضد الأمبراطور « يوليوس قيصر » سار « أنتيباتر – Antipater [1] » مستشار هركانوس الثاني وسيد فلسطين الحقيقي في جيش قوامه ثلاثة آلاف جندي مسلحين بالمعدات الثقيلة الى مصر لمساعدة الامبراطور في حروبه في مصر ، كما ساعده أيضاً عدد من مشايخ العرب في سيناء وجنوبي فلسطين بتأثير من « أنتيباتر » ؛ حتى قيل إن فوز « يوليوس قيصر » يومئذ يرجع الى « أنتيباتر » ، لذلك منحه حقوق المواطنة الرومانية . وأقامه

١ – أنتيباتر هذا من اهالي عسقلان . أدومي الأصل يهودي المذهب بالاسم . كان كغيره من الآدوميين الذين اجبرهم هركانوس المتقدم ذكره على التهود . عرف بغناه الوافر وثروته الضخمة . كان غاية في الذكاء ، وبحذقه ودهائه تيسر له القبض على زمام الأمور .

نائباً عنه في فلسطين عـــام ٤٨ ق. م. مع بقاء هركانوس رئيساً الكهنة ورئيساً لطائفته في الظاهر .

ابتدأ أنتيباتر يتصرف في البلاد كما يشاء وأقام أولاده حكاماً عليها ، فقـــد عين بكره « فصايل » واليــاً في القدس ، و « هيرودوس » ابنه الآخر والياً على « الجليل ». ولما قتل « يوليوس قيصر » احتال بعضهم على أنتيباتر وقتلوه بايعاز من هركانوس .

وبعد مقتل يوليوس قيصر اندلعت حرب أهلية بين القواد الرومانيين كانت نتيجتها ان اقتسم حكم الامبراطوريــة كل من « أنطوني » و « اوكتافيوس » . فكانت سورية ومصر من نصيب « أنطوني ». إلا ان « الفريشيين » ملوك الفرس الأرساكيون[1] ، اغتنموا فرصة الحروب الأهلية التي تلت مقتل يوليوس قيصر واستولوا (٤٠ – ٣٨ ق. م.) على بلاد الشام ، بمـا فيها فلسطين . غير ان أنطوني تمكن بعد مدة قصيرة من استعادة البـــلاد . وفي عام ٣٧ ق. م. دخل مدينة القدس وعين « هيرودوس بن أنتيباتر » الآدومي ملكاً على اليهود ، الذي تمكن من الانتقام لأبيه والأخذ بثأره. فهذا العسقلاني – نسبة الى مسقط رأسه، وكانت أمــه عربية من أسرة كبيرة معروفــة من الأنباط – قضى على مُلك المكابيين. وذلك انه حاصر، بطلب من الرومان ، « أنتيغونس بن أرسطوبولس الثاني » – الذي ساعد الفرس على دخول فلسطين – آخر زعمـــائهم بالقدس وتغلب عليه . ثم أعدم سنة ٣٧ ق. م. بناءً على أمر من « انطوني » ؛ وانقضى بموته ملك المكابيين بعد أن دام نحو ١٢٥ سنة، مارسوا في أثنائها استقلالاً ذاتياً

١ – تمكن « أرساكس » أحد زعماء ايران في نحو ٢٤٧ ق.م. من التغلب على الحـــاكم السلوقي في الجزء الشمالي الشرقي من ايران ، في المنطقة المعروفة باسم « فرثيا » أو « بارثيا » . وقد تمكن خلفاء « أرساكس » من تثبيت حكمهم . سادت هذه الدولة الفرثية أو الأرساكيـة – نسبة الى أرساكس – شؤون ايران قرابة خمسة قرون . وكانت خصماً عنيداً للرومان لمدة طويلة . وامتدت سلطة ملوكها الى نهري الدجـــلة والفرات وبحر قزوين ونهر السند والمحيط الهندي . وفي عام ٢٢٦ م احتلت مكانها دولة ايرانية اخرى باسم الدولة «الساسانية » التي بقيت حتى سنة ٦٥١ م. حين استولى العرب على البلاد وحكموها بولاتهم .

كان تارة ضيقاً، وتارة واسعاً تحت سيادة السلوقيين والرومان كما مارسوا استقلالاً كاملاً لمدة قصيرة في زمن السلوقيين .

ومما هو جدير بالذكر ان الكثيرين من اليهود كانوا يكيدون للمكابيين عند السلطات السلوقية ثم الرومانية ، كما كانوا يتعاونون معها ضدهم ، فضلاً عما عرف عن ملوك المكابيين من فساد وحب للذات مما كان سبباً من الأسباب التي دعت لانهيار دولتهم .

الهرادسة الآدوميون ٣٧ ق.م. — ١٠٠ م.

انتقل الملك بعد المكابيين إلى هيرودوس بن أنتيباتر الآدومي الذي أحبّه الرومان حبّاً جماً ، لأنه ساعدهم على توطيد حكمهم في البلاد ، واجتهد في نشر آدابهم وتقاليدهم ومدنيتهم . فرضي عنه الأمبراطور أوغسطوس . حتى قيل إنه لم يفضل أحداً عليه سوى وزيره الأول . فكان كلما أتى الى الشرق يقصده هيرودوس ليقدم له الهدايا والمعونة ، فصارت له حظوة ومكانة عند الأمبراطور فولاّه عدة ولايات فضلاً عن فلسطين — باستثناء بعض المدن اليونانية في الساحل وفي شرقي الأردن — فكان حكمه يشمل البلاد الواقعة بين الصحراء والبحر ، من سفوح جبل الشيخ الى سيناء .

زيّن هيرودوس السامرة ، مقره المحبب ، ورتبها ترتيب مدينة رومانية وسمّاها « سَبَسْطِيه » إكراماً لأغسطس . لأن « سبسطيه — Sebastos » كلمة يونانية بمعنى أوغسطس اللاتينية أي « السعيد » أو « المقدس » .

وبنى هيرودوس أيضاً مدينة « قيصرية — قيسارية » نسبة الى قيصر أوغسطس عام ١٠ ق.م. أقامها على البقعة التي كانت مبنية عليها مدينة فنيقية صغيرة تعرف باسم « برج استراتون — Turris Stratonis » . وستراتون تحريف للاسم الفنيقي عبد عشتروت . ويمكن أن يكون ستراتون — الذي سميت المدينة والبرج باسمه — هو ملك صيدا حين فتحها الإسكندر .

استغرق بناء « قيصرية » اثنتي عشرة سنة . سحب إليها مياه الشرب من

مملكة هيرودس الكبير

في أقصى امتدادها

صيدون
دمشق
الولاية السورية
بانياس
صور
بطولمايس
بيت صيدا
كفرناحوم
رافانا
صفوريس
الناصرة
دور
قيصرية
سكيثوبوليس
بلا
الديكابوليس
جرزا
سبسطية
اماثوس
ابولونيا
نيابوليس
أنتيباتريس
الكسندريوم
يوبا
فصايلس
فيلادلفيا
بيرية
اللد
يبنا
اريحا
نيكوبوليس
آزوتس
القدس
عسقلان (مستقلة)
هيروديوم
بيت جبرين
ماخيروس
غزة
حبرون
مملكة الأنباط
مسادا
رفيا
بئر السبع

نهر الزرقـــاء الواقع في شمالهـا وزينها بالقصور والمسارح والهياكل والملاعب والتماثيل . منها تمثال أوغسطس قيصر كان من الفخامـة بحيث تراه السفن وهي قادمة من بعيد . وبنى هيرودوس لها سداً في البحر عرضه ٢٠٠ قدم . فصارت ميناءاً حسناً ، اتساعه مئتا قدم وعمقه في بعض الأماكن مئة وعشرون قدماً . وأضحت ميناء فلسطين عامة وميناء سبسطية — الواقعة على بعـــد نحو ٤٠ كم للجنوب الشرقي من قيصرية — خاصة . مما كان له التأثير السيىء على يافا والقدس. كما كانت من أهم مراكز الاسطول الحربي الروماني في سوريا . فاتسعت وأمست من أعظم مدن فلسطين وقاعدة الرومانيين فيها . وقد بلغت مساحتها نحو ٣٧٠ هكتاراً

ولما تكاثر عدد المسيحيين في فلسطين أصبحت قيصرية ، مركز الديانـــة المسيحية فيها ، كما كانت غزة مركز الديانة الوثنية [١] .

---

١ — واتماماً لتاريخ قيصرية — قيسارية — نقول :

افتتح العرب المسلمون هذه المدينة ، بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، عام ١٨ هـ : ٦٣٩ م . وهي آخر ما افتتح من مدن فلسطين .

وينسب الى قيسارية :

(١) عبد الحميد الكاتب بن يحيى بن سعد ، مولى بني عامر بن لؤي بن غالب ، الكاتب البليغ المشهور. وبه يضرب المثل في البلاغة حتى قيل «فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد». وكان في فن الكتابة وفي كل من العلم والأدب إماماً . وهو أول من أطال الرسائـــل واستعمل التحميدات في فصول الكتب . وكان كاتب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في الشام . قتل معه في مصر عام ١٣٢ هـ : — ٧٥٠ م . وممن تخرج عليـه « يعقوب بن داود » وزير المهدي العباسي — وفيات الأعيان لابن خلكان . ٣٩٤/٢ — ٣٩٦ — القاهرة : وابن العميد هو محمد ابن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل — من أئمة الكتاب . لقب بالجاحظ الثاني في أدبـه وترسله . ولي الوزارة في الدولة البويهية أربعاً وعشرين سنة . كان حسن السياسة خبيراً بتدبـــير الملك . مدحه المتنبي . توفي عام ٣٦٠ هـ : ٩٧٠ م .

(٢) ابراهيم بن أبي سفيان القيسراني . من رواة الحديث . مـات سنة ٢٧٨ هـ . — معجم البلدان ٤٢٢/٤ — .

(٣) عمرو بن ثور القيسراني مات سنة ٢٧٩ هـ . — معجم البلدان ٤٢٢/٤ .

(٤) محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن أبي ربيعة القيسراني . من علمـــاء القرن الرابع الهجري معجم البلدان ٤٢٢/٤ .
=

وبنى هيرودوس مدينة « أنتيباتريس – Antipatris » وهي خربـة رأس العين اليوم حيث منابع نهر العوجاء للشمال الشرقي من يافا – نسبة الى أبيـه ، ومدينة « فصايل – Phasaelus » نسبة الى أخيه وأعـاد بناء قلعة « قرن

= (٥) ابو عبدالله محمد بن يوسف بن واقد الضبي الفريابي . نزل قيسارية ، سكنها وتوفي فيها ١٢٠–٢١٢ هـ : ٧٣٨–٨٢٧ م. عالم بالحديث . روى عنه البخاري ٢٦ حديثاً ، له من الكتب التفسير ، كتاب الطهارة . كتاب الصلاة . وغيرها . الفهرست لابن النديم ص ٣٢٠ القاهرة ١٣٤٨ هـ. وفرياب بلدة من نواحي بلخ من أعمال خراسان .

(٦) ابو محمد عبدالله بن علي القيسراني . من الفقهاء . سكن حلب . وله بها عقب . توفي في حلب سنة ٥٤٤ هـ . أو سنة ٥٤٣ هـ . – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ص ٣٤٨ – .

وهناك شعراء ووزراء نسبوا الى هذه البلدة . عرفوا باسم « ابن القيسراني » . وهي عائلة نزلت قيسارية ، ثم عكا ، ولما أخذ هذه الافرنج انتقلت الى حلب . وهي تعود بنسبها الى خالد ابن الوليد القرشي المخزومي القائد المشهور – أو الى قبيلته – ،عرفنا منها:

(٧) محمد بن نصر المخزومي الخالدي ، ابو عبـدالله شرف الدين بن القيسراني . ٤٧٨ – ٥٤٨ هـ : ١٠٨٥ – ١١٥٣ م . كان من الشعراء المجيدين والأدباء المتفننين . ولد بعكاء وتوفي في دمشق – وفيات الاعيان : ٨٢/٤ . القاهرة ١٩٤٨ .

(٨) خالد بن محمد بن نصر المار ذكره، ابو البقاء موفق الدين. وزير من أعيان الكتاب.ولد بحلب استوزره نور الدين بدمشق ومات بها في أيام صلاح الدين عام ٥٨٨ هـ : ١٢٩٢ م . وهو جد عبدالله الآتي ذكره . – الاعلام ٣٤٠/٢ – .

(٩) عبدالله بن محمد القرشي المخزومي ٦٢٣ – ٧٠٣ هـ : ١٢٢٦ – ١٣٠٣ م. من علماء الوزراء . شاعر أديب.ولد في دمشق وولي بها الوزارة ايام السعيد بن الظاهر . توفي في القاهرة. الاعلام : ٢٧٠/٤ – القاهرة ١٩٥٤ .

وقد أشاد جغرافيو العرب بجمال قيسارية وخيراتها وأشجارها من نخيل ونارنج وأترنج . وفي القرن السابع للهجرة – الثالث عشر الميلادي – ذكرها ياقوت بأنها أقرب لأن تكون قريـة منها بمدينة . وفي القرن الثامن الهجري ذكرها ابو الفداء بأنها خراب .

وفي عام ١٨٨٤ م . نزلت جالية من « البوسنة » من أعمـال الأمبراطورية العثمانية – وهي اليوم من أعمال يوغوسلافيا – في قيسارية وعمرتها . ولم يأت عليهم بطن حتى استعربوا . وتقع « قيصرية – قيسارية » على مسيرة نحو خمسين كيلومترا للجنوب من حيفا .

صَرْطَبَة [1] » وهما بالغور النابلسي .

وزيّن أريحــا – التي كانت تقع على بعد كيلومترين للجنوب من « تــل السلطان » – بالمسارح والملاعب والقصور . واكتشفت خرائب قصر هيرودوس الشتوي في أريحا عام ١٩٥٠ – ١٩٥١ . كان هذا القصر أعجوبة زمانه . وقــد أظهر التنقيب أن مساحته كانت ٢٨٤ × ١٥٢ قدماً ، يضم ٣٦ غرفة . وقــد دهنت جدرانه ونقشت بالألوان البديعة وتوفرت فيه وسائل الترفيه كالحمّامات الفخمة المزودة بموارد المياه البارد والساخن وقــد غُطيت أرضها بالبلاط الملوّن المنقوش وبرسوم رائعة . وقد وجدت في القصر جرار الخمور المستوردة من جزر البحر المتوسط ولم تمتد إليها الأيدي بعد[2] . وفي جنوب أريحا بنى قلعة دعاها باسم « قُبْرُص[3] » نسبة الى أمه . وكانت هذه القلعة تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم « تل العقبة » .

ولم ينس « هيرودوس » عسقلان مسقط رأسه . فبنى فيهــا رواقاً فخماً وساحات عامة (فورم) تزينها الأعمدة وغيرها . وبنى في القدس قصراً فخماً ومسرحاً ومدرجاً وميداناً لسباق الخيل . وكانت تقــام مختلف الألعاب في الملعب الكبير الذي شيده هيرودوس خارج القدس على شكل الملاعب الرومانية . فكانت المدينة تغص باللاعبين والمصارعين والعربات وسائقيها أو جــارّيها . وترصد الجوائز للفائزين . وكثيراً ما كانت مصارعة الناس للحيوانات الوحشية ، أو مصارعة بعضهم بعضاً تقام في الملعب المذكور ، كما كانت تقــام في غيره من الملاعب .

ومما يذكر أن الرومان كانوا يدرّبون المصارعين على نوع من الصراع أُبيح فيه

---

١ – هي « قلعة الكسندر يوم » نسبة الى بانيها « اسكندر المكابي » المتقدم ذكره ، على مرتفعات قرن صرطبة التي تعلو ٧٤٠ متراً عن غور الأردن و ٣٧٧ متراً عن سطح البحر . و « صرطبة » كلمة عبرانية – Sartava – بمعنى الجزار وذلك لكثرة الذين ذبحهم اسكندر المكابي ١٠٣ – ٧٨ ق . م . في احدى حروبه في هذه القلعة .

٢ – الحفريات الاثرية في الاردن وفلسطين ص ٥ .

٣ – بمعنى الحناء وشجر الحناء .

للواحد أن يقتل الآخر .

ويعتبر تجديد بناء هيكل القدس ، الذي أقامه هيرودوس إرضاءً لليهود أهم مشروعاته . وكان أضخم وأفضل من الذي بناه سليمان بن داود حتى شاع القول « مَنْ لم ير هيكل هيرودوس لم ير شيئاً جميلاً في العالم » . إلا أن اليهود رغماً عن كل ذلك كانوا يكرهونه لإزالته ملكهم ولخروجه على ديانتهم ولحبه للمدنية الرومانية ــ اليونانية .

وفضلاً عما تقدم فإن هيرودوس شيد كثيراً من القصور والقلاع والأبراج وغيرها في مختلف أنحاء مملكته وفي مدن أخرى خارج حكمه . ومن الأبنية التي شادها في فلسطين « حصن هيروديوم » وكان يقوم على التل المخروطي الشكل للجنوب الشرقي من بيت لحم . ويعرف اليوم باسم « جبل الفريديس » و « جبل الإفرنج » . يرتفع عن سطح البحر ٧٥٨ متراً بينما يرتفع عن جواره بنحو ١٠٠ متر . وذكر بأن هيرودوس دفن في هذا الحصن .

وقلعة « مَسّادا » الواقعة غربي البحر الميت وتعلو عنه (١٧٠٥) أقدام . وكانت من أعمال الخليل تعرف باسم « خربة سَبَّة » و « مصعدة » . ذكرتها الوقائع الفلسطينية بأنها حصن ومبان مهدمة ومعسكرات رومانية ومعدات حصار .

ويرجح أن السور الضخم الذي يحيط بالحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل هو من بقايا بناء هيرودوس[1] .

وقد عاش في بلاط « هيرودوس » الكاتب « نيقولاوس الدمشقي » المؤرخ والفيلسوف. وُلد في دمشق عام ٧٤ ق.م. وكان صديقاً لهيرودوس وله مؤلفات تاريخية ومقالات فلسفية كتبها باليونانية .

---

١ – إن هذا السور يعد من أبدع الآثار الفلسطينية. وقد اعجب به جميع الجوالة الغربيين. من سائح (بوردو) الذي زار الاماكن المقدسة عام ٣٣٣ للميلاد الى الذين زاروه في القرن الماضي بأذن من الحكومة العثمانية . ففي عام ١٨٦١ م . زار الحرم الابراهيمي ولي عهد بريطانيا وفي عام ١٨٦٦ زاره المركيز « دي بوت » البريطاني وفي عام ١٨٦٩ م . زاره ولي عهد المانيا فريدريك الثاني وغيرهم .

وفي عام ٢٢ ق. م. أصيبت فلسطين بمجاعة شديدة وذلك لانقطاع الأمطار فمات بسببها كثيرون . وبذل هيرودوس جهده في العناية بالبائسين . فاشترى من ماله حنطة كثيرة من مصر ووزعها على الناس مجاناً .

تزوج هيرودوس بعشر نساء وكان ولد له منهن عدة بنين. ومع انه اعتنق اليهودية – لأسباب سياسية – فقد كرهه اليهود مع كل أعماله وسخائه ؛ ومع انه جدد لهم بناء معبدهم وخفف بؤسهم أيام القحط . كرهوه لأنه كان أجنبياً عنهم ومحباً لنشر الحضارة الرومانية واليونانية التي كانوا يكرهونها . وكان يشعر بهذا الكره فحقد عليهم وجفاهم .

وقد عرف هيرودوس بقسوته وقوة ارادته . وكان واسع الحيلة ، غاية في الذكاء ، حاد الذهن ، عنيفاً صارماً وسحق بقسوة المعارضة لحكمه المطلق .

وقبل وفاته عام ٤ ق. م. ذهب الى وادي « زرقاء معين » الذي يصب شرقي البحر الميت ليستشفي بمياهه المعدنية . ثم انتقل الى أريحا حيث توفي ، بعد ان ملك ثلاثاً وثلاثين سنة وله من العمر سبعون عاماً . ولما ذاع نعيه فرح اليهود بذلك فرحاً عظيماً. ولقب «هيرودوس» بالكبير لما قام به من الأعمال الضخمة. وفي آخر سنة من حكمه ولد المسيح عليه السلام[1] .

بعد موت هيرودوس الكبير :

أوصى هيرودوس قبل موته بتقسيم أملاكه بين أولاده الثلاثة : أرخلاوس وأنتيباس وفيلبُّس، وقد أقر الأمبراطور أوغسطس الروماني الوصية . ولكن لم يلقب خلفاء هيرودوس بملوك بل جعلهم ولاة .

خلف « أرْخِلاوُس[2] – Archelaus » أباه على القدس والخليل وبلاد نابلس وآدوم . وكان مقر ولايته في أريحا التي جرّ لسهولها الخصبة المياه للري ،

١ – ان التاريخ الميلادي الشائع متأخر عن الحقيقي أوبع سنوات. لأن المسيح عليه السلام ولد وتوفي في عهد حكم هيرودوس . فسنة ١٩٦٣ مثلاً يجب ان تكون ١٩٦٧ م . وعليه فان هيرودوس توفي في السنة الرابعة قبل الميلاد، نقول ذلك متابعين قول المؤرخين في هذا الاصطلاح.

٢ – اسم يوناني معناه « حاكم الشعب » .

بواسطة قنوات ، من التلال الغربية . وتنسب اليــه مدينة « أرخيلايس » التي أقامها في الغور على البقعة التي تقوم عليهــا اليوم « عوجا التحتا » . ولكنه أساء السيرة بظلمه وجوره فضمت أملاكه الى روما رأساً. وعين الرومان عليها والياً يرجع الى حاكم سورية العام المقيم في أنطاكية ، في كثير من اموره . وبعد عزله نفاه اوغسطس الى فرنسا حيث توفي وكانت مــدة حكمه عشر سنوات : ٤ ق. م. — ٦م.

ومن ولاة الرومــان الذين تولوا هذا القسم من فلسطين — القدس — نابلس — آدوم — الخليل — بعد أرخيلاوس ، « بيلاطس البنطي » الذي وقعت حوادث سيدنا عيسى عليه السلام في عهده . وكان «بيلاطس» هذا في بادىء أمره موظفاً مالياً في فلسطين ، ثم عهد اليه الامبراطور طيباريوس بادارة جميع امورهـــا . فلبث في عمله عشر سنوات كاملة : ٢٦ — ٣٦ م .

و « هيرودوس أنتيباس » حكم مــدة ٤٢ سنة : ٤ ق. م. — ٣٩ م . وكان حكمه يشمل البلاد الواقعة بــين نهر الليطاني وبحر الجليل وسهول عكا وصور في غربي الأردن ومقاطعة « بيريه — Perea[1] » الممتدة بين « وادي اليابس » في الشمال « ونهر الموجب » في شرقي الأردن . وكان مثل أبيه راغباً في المجد ورغد العيش . أعاد بناء مدينة « سفوريس — صفورية » وأحاطها بسور . وأصبحت أهم حصن في مملكته . وفي عام ٢٠ م. بنى مدينة طبرية[2] اكراماً للأمبراطور

---

١ — كلمة يونانية بمعنى « ما وراء » .

٢ — كانت طبرية بعد الفتح العربي الإسلامي عاصمة لـ « جند الأردن » . كما كانت غالبية سكانها من « الأشعريين » . وهي قبيلة يمانية .

واشتهرت طبرية ، كما ذكر المقدسي (أحسن التقاسيم ١٨٠) بالكاغد — الورق ، والــبز (الثياب من الكتان والقطن) وبصناعة الحصير . ومنه حصير الصلاة؛ وتشترى الواحدة بخمسة جنيهات مغربية ، كما ذكر ذلــك الرحالة ناصر خسرو الفارسي — بلدانية فلسطين العربيــة ص ١٤٤ — .

قال ياقوت : (والنسبة اليها « طبراني » على غير قياس . فكأنه لما كثرت النسبة بالطبري الى طبرستان أرادوا التفرقة بــين النسبتين فقالوا طبراني ، كما قالوا صنعاني وبهراني ونجراني) . وطبرستان اليوم مقاطعة ايرانية تقع على الساحل الجنوبي من بحر قزوين . =

طيباريوس[1] – Tiberius – وتقع اليوم على بعد ستة أميـال من مخرج نهر

= وينسب الى طبرية :

معـــاوية بن عبدالله بن يسار الأشعري ، أبو عبيد الله . ١٠٠ – ١٧٠ ﻫ : ٧١٨ – ٧٨٦ م . اتصل بالمهدي ، والد هارون الرشيد ، قبل خلافته . فكان كاتبه ووزيره . وكان المهدي يعظمه ولا يخالفه .

ولما أضحت الخلافة الى المهدي فوض اليه تدبير المملكة والدواوين فنهض بالاعباء وجعـل للوزارة شأناً . وفي أواخر أيامه فقد ثقة المهدي فعزله . ويوم وفاته امتلأت جسور بغداد بموالية واليتامى والأرامل والمساكين وكان عبدالله بن يسار ، والد معاوية ، كاتباً من كتاب بني أمية في طبرية – الاعلام ٨/١٧٤ وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ١٢٦ – .

ونسب ياقوت الى طبرية خمسة فقهاء نذكر أحدهم وهو سليمان بن احمد بن ايوب بن مطـير اللخمي أبو القاسم : ٢٦٠ – ٣٦٠ ﻫ : ٨٧٣ – ٩٧١ م . أحد الائمـة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين والمشايـخ المعمرين والمصنفين المحدثـين والثقات الاثبات المعدلين . له مؤلفات كثيرة أهمها المعجم الكبير في أسماء الصحابة . رحـل الى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة وتوفي بأصبهان . وقيل مولده بعكا .

واشتهر من طبرية أيضاً :

زرعة بن موسى ابو العـلاء الطبراني النصراني ، ظهر في القرن السادس الهجري . شاعر وكاتب . كان كاتباً عند امراء بني منقذ أصحاب قلعة « شيزر » قرب المعرة في شمالي سوريـة . خطط الشام : ٤/٤٢ .

والميمون الطبراني ، سرور بن القاسم الطبراني أبو سعيد . رحل من بلدته طبرية الى حلب وتفقه هناك بفقه العلويين . ثم انتقل الى اللاذقية . والتف حوله من فيها منهم . واستمر الى أن توفي عام ١٠٣٥ ﻫ . وغيرهم .

وذكر بعضهم ان « أبا بكر يموت بن المزرع – بضم الميم وفتح الزاي وبعدهـا راء مشددة مفتوحة ، ثم عين مهملة – العبدي البصري ، – ابن اخت أبي عثمان الجاحظ – مات عـام ٣٥٣ ﻫ . في طبرية . وكان يموت هذا أديباً اخبارياً وله ملح ونوادر . وكان لا يعـود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه . وفيات الاعيان ج ٦ ص ٥٣ القاهرة ١٩٥٠ .

وبظاهر طبرية مشهد به قبر سكينة بنت الحسين وبه قبر آخر يقال إنه قبر عبدالله بن العباس ابن علي بن أبي طالب – ص ١٩ من كتاب الارشادات الى معرفة الزيارات لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى عام ٦١١ ﻫ . طبع دمشق ١٩٥٣ – .

ومن مشاهد طبرية أيضاً قلعتها الكبيرة وجامعها المعروف باسم « جامع الزيداني » نسبة الى « ظاهر العمر » الزيداني المتقدم ذكره .

١ – طيباريوس ابن زوجة الامبراطور اوغـطس الذي كان قـد تبناه . تولى الحكم بعـد اوغـطس وامتد حكمه نحو ٢٤ سنة : ١٥ – ٣٩ م .

الأردن ، من بحيرة طبرية وضعف ذلك من مدخله فيها . ثم نقل اليها مركز حكومته ، وزينها بالبنايات العامة الضخمة وحصنها فجعلها أمنع مدينة في الجليل. وكان أكثر سكانها من اليونانيين . ودعا بحيرتها باسمها :«بحيرة طبرية».

ومن أعمال « أنتيباس » هذا المخزية والمجرمة زواجه بـ « هيروديا » إبنة أخيه « أرسطوبولس » البارعة الجمال والماجنة . وكانت هيروديا قبلا تزوجت عمها « هيرودوس فيلبس» ثم تركته أثناء حياته وألقت بنفسها بأحضان عم آخر لها هو « أنتيباس » هذا .

انتقد يحيى عليه السلام[1] ، بشجاعة هذا الزواج الجديد . وقال لأنتيباس بإصرار إنه لا يقر هذا العمل لأن الشريعة تعتبره في حكم الزنا . وعلى أثر ذلك أمر أنتيباس بسجنه ثم قطع رأسه .

وفي استشهاده يذكرون ان « هيروديا » انتهزت فرصة احتفال « هيرودس أنتيباس » بمولده ، فأخرجت له فتاتها « سالومي » – من زوجها الأول – في زينتها . ولما رقصت امامه سُرَّ منها وطلب اليها ان تقول ما تتمناه ليعمله لها.

---

١ – ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام قبل ولادة المسيح بستة أشهر . وكان أبواه متقدمين في السن عندما بشرا بولادته : (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ، ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين . قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء–سورة آل عمران ٣٩و٤٠ – .

هذا وان سيدتنا مريم أم المسيح عليها السلام كانت قريبة « اليصابات » ام يحيى ، ويحتمل ان تكون أم اليصابات عمة العذراء أو خالتها أو ابنة عمها . وزكريا والد يحيي ، هو الذي كفل مريم ، والدة المسيح ، بعد وفاة والدها عمران الذي توفي وابنته صغيرة تحتاج الى من يكفلها ويقوم بشأنها .

لا نعلم أين ولد يحيى ، فقد ذهب بعضهم الى انه ولد في « عين كارم » الواقعة على مسيرة سبعة كيلومترات للغرب من القدس وقال آخرون انه من المحتمل ان تكون ولادته في « يطة » أو في « الخليل » . ولما بشر والده به كان يعمل في خدمة معبد سليمان في القدس – وقد ذكر زكريا في القرآن الكريم ثمان مرات واما يحيى فقد ذكر خمس مرات – وكان يحيى يعمد الناس ، أي يغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا . وقد « اعتمد » منه السيد المسيح . والعهد الجديد يدعو يحيى باسم « يوحنا المعمدان » . وكان عليه السلام شاباً قوي البنية ، نشأ على الوحدة والانفراد والتقشف ، فكان يلبس ملابس خشنة من وبر الابل وكان طعامه جراداً وعسلاً .

وكانت أمها لقنتها انها – اذا قال لها عمها ذلك – تطلب منه رأس يحيي بن زكريا ويقدم لها في طبق . ففعلت ووفى لها عمها ، الحاكم بذلك . فأتوا اليه بيحيي من السجن فقطع رأسه ووضعه في طبق وسلم الى سالومي ، التي أتت به الى أمها . وذكر بعضهم ان زكريا والد يحيى قتل في الحادث المذكور أيضاً.

والمشهور ان المكان الذي سجن واستشهد فيه يحيى عليه السلام هو قلعة « ماخيروس » وتعرف اليوم باسم « المكاور – ٤٦٥ نسمة » الواقعة بجوار مأدبا على بعد نحو ٨ كيلومترات شمالي نهر الموجب .

وأخيراً توجه « هيرودوس أنتيباس » الى روما لكي يطلب لنفسه لقب « ملك » غير ان « كاليغولا » الأمبراطور عزله ونفاه هو وهيروديا الى « ليون » في فرنسا وتوفيا فيها .

واما « هيرودوس فيلِبُّس » فقد كان والياً على « الجولان » و « اللجاة » . حكم من ٤ ق . م . – ٣٤ م . وهو الذي جدّد ووسع مدينة « بانيون[١] » المار ذكرها . وسمّاها « قيصرية فيلِبُّس » – تمييزاً لها عن « قيصرية » فلسطين التي أقامها والده – واتخذها مقراً له . كما أعاد بناء مدينة « بيت صيدا[٢] » وصيّرها مدينة يونانية وسمّاها « جوليا – يولياس » اكراماً لابنة الامبراطور أوغسطس . هذا وتميز « فيلبس » بالعدل والاعتدال .

ومن الذين حكموا من سلالة هيرودوس، « أغريبا الأول ٤١ – ٤٤ م . » حفيد هيرودوس الكبير . تعلم في روما وتولى الحكم على بلاد القدس ونابلس وهو الذي خص بيروت بكثير من التحسين والتجميل . فقد بنى فيها أبنية عديدة منها قصور فخمة، أقامها في رمل الأوزاعي، وميداناً للألعاب ومسرحاً للخيل في حي « ميناء الحصن » وحمّامات وأبنية عامة ذات أروقة مسقوفة ...

---

١ – هي مدينة « بانياس » الحديثة.وقد مر ذكرها . قال اليعقوبي في القرن الثالث الهجري، « والجولان ومدينتها بانياس ، وأهلها قوم من قيس ، اكثرهم بنو مرة وبها نفر من اهل اليمن » وقد ذكرها مؤرخو العرب باسم « مدينة الصبيبة » ايضاً – بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر – نسبة الى الحصن المنيع الذي كان فيها.

٢ – كانت تقع في الجهة الشرقية من مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية .

أنفق على جميع ذلك مبالغ طائلة بدون حساب . وبعد ان ملك برهة قصيرة توفي فجأة في قيسارية .

وكان آخر من تولى الأمر من الهرادسة « أغريبا الثاني بن أغريبا الأول » الذي بنى له قصراً لإقامته في بيروت ومسرحاً فخماً تقام فيه الحفلات التمثيلية كما زينها بمختلف التماثيل . وزاد أغريبا أيضاً في أبنية « قيصرية فيلبس — بانياس » وجملها وسمّاها « نيرونية » اجلالاً للإمبراطور نيرون .

واشتهر أغريبا هذا بطاعته وخضوعه التام للرومانيين . فساعدهم في جميع حروبهم التي نشبت بينهم وبين اليهود . وبعد أن طرد الرومان اليهود من القدس توجه الى روما ومات فيها عام ١٠٠ م. فكان آخر الدولة الآدومية أو آخر دولة الهرادسة التي أسسها هيرودوس الكبير في جنوبي الشام . وضمت روما أملاك هذه الدولة اليها .

المدن اليونانية :

انتشر اليونان في المدن الفلسطينية وخاصة في المدن التجارية الساحلية . وينحدر هؤلاء النازحون من المحاربين القدماء والتجار والصناع وأرباب الأعمال والمغامرين اليونانيين الذين أتوا طلباً للرزق أو لأسباب سياسية أو غيرها . وأشهر هذه المدن التي كانت تتكلم اليونانية واصطبغت بالصبغة اليونانية غزة و « انثيدون [1] » وعسقلان ويافا وعَكّو — عكا — ودور — الطنطورا — كما كان منهم جالية في القدس ومنطقتها وبعد تأسيس طبرية وقيصرية — قيسارية كان أكثر سكانها منهم .

وكان لكل مدينة أرض شاسعة يقيم بها السكان الأصليون الذين كانوا يعتمدون الى حد كبير على عمل أيديهم كمورد رزق لهم . الا انهم لم يشعروا بالحرية التي ينعم بها سكان المدينة . وعليهم أن يدينوا بالطاعة لهم .

---

١ — كان هناك بقعتان تحمل هذا الاسم . الأولى على الساحل شمالي غزة ؛ والثانية للجنوب الشرقي من غزة ، شرقي دير البلح ، تعرف خرائبها اليوم باسم « الدميثة » .

وكانت هناك عشر مدن متلاصقة الأملاك . فمنحت جميعها وَحدَة تجارية وثقافية ودفاعية تحمي تجارتها وتدرأ عنها خطر غارات البدو وغيرهم. وقد سميت هذه المجموعة بمدن الاتحاد اليوناني «الديكابوليس[1] – Decapolis » أي المدن العشر. لأن عدد المدن كان عشراً أو ما يقرب من ذلك. وقد انضمت اليها مدن أخرى فيما بعد . وكان هذا الاتحاد يتألف من المدن الآتية : « بيسان – Scythopolis » ، « جَـرش – Geraza » و « فِحْـل – Pella » و « أم قيس – Gadara » و « عَمّان – Philadelphia » و « قناتا – قنوات Kanatha » في جبل العرب من أعمال سورية ، و « قلعة الحصن – Hippos » وتقابل مقابل طبرية في الجانب الشرقي من البحيرة ، و « ديون – إيدون » و « دمشق » و رافانا – Raphana – الرافة » في حوران. ثم انضمت اليه مدن أُخرى مثل « بُصرى » و « درعا » و « كابيتولياس – بيت راس [2]» وغيرها . وكانت عَمّان أقصى هذه المدن جنوباً ، وتقع على الطريق التجاري الواقع بين دمشق والجزيرة العربية وكانت هناك طرق تجارية أخرى من عَمّان الى بيسان مارة بجرش و فحل. ويرجح ان بيسان لوقوعها على الطريق بين فلسطين وشمال الأردن والصحراء كانت قصبة هذه المدن المتحالفة مع أنها هي المدينة الوحيدة بين الديكابوليس، التي تقع غربي الأردن .

وقد كانت كل مدينة من مدن الديكابوليس مركزاً لإقليم زراعي متسع ، وكان سكانها من ملاك الأراضي وقام أكثرها مكان قرى قديمة كان يقطن بها السكان الأصليون وأكثرهم من العرب .

ولما أصبحت هذه المدن مراكز تجارية رائجة ، ازداد ثراؤها ورخاؤها وأضحت مبانيها الجديدة تنافس أحسن ما شيد في المدن التي أسسها المرادسة في فلسطين[3] .

---

١ – تتألف من كلمتين : Deka بمعنى عشرة Polis بمعنى مدينة .
٢ – من أعمال إربد في شرق الأردن . لها ذكر في شعر حسان بن ثابت والنابغة الذبياني .
٣ تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي؛ ص ٣٥٣ تأليف م. رستوفتزف القاهرة .

منح « بومبي » المدن اليونانية ، في مختلف الأنحاء السورية ، استقلالها الذاتي الذي كانت تتمتع به من قبل في تصريف شئونها الداخلية ، فاحتفظت بقوانينها وحكامها الذين كان يتبعهم الموظفون ومجلس الشورى . وتركت مقاليد الحكم في أيدي أكثر المواطنين الأحرار ثراءً .

واهتمت روما بإدخال العنصر الروماني واللغة اللاتينية – لغة الرومانيين القدماء – ونفوذها وعاداتها وآدابها للبلاد ، وقد اتخذت بعض المدن اليونانية ، والمدن التي أنشأها ولاتها أو جددوا بناءها لهذا الغرض فضلاً عن مراكزها العسكرية الكبيرة .

وجميع المدن المار ذكرها وان كانت مستقلة استقلالاً داخلياً إلا أنها كانت خاضعة لسلطان الرومان في المسائل الخارجية والقضائية . وعليها أن تدفع الضرائب المطلوبة للامبراطورية وأن تقدم لها جنوداً عند الحاجة .

الانباط[1]

يشكلون الموجة العربية السامية الرابعة التي أتت الى مشارف الجزيرة العربية في نحو عام ٥٠٠ ق . م . وهم من العرب العدنانية ، انما لا نعرف موطنهم الاصلي الذي جاء وامنه على وجـــه التحقيق ، ولا الزمان الذي هاجروا فيه منه[2] . ويظن انهم كانوا بدواً رحلا في بادية شرقي الأردن ، ثم نزلوا بلاد آدوم بعد أن طردوا منها سكانها الآدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال فنزلوا جنـــوبي وغربي فلسطين وظهر منهم الهرادسة المار ذكرهم . وثبت أيضاً ان جماعـــة من النبط سكنت في الاقسام الشرقية من دلتا النيل[3] .

[كان النبط في بادىء أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافـل يتعاطون التجارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون«الاسفلت» من سواحله الشرقية . وكانت لهم أماكن محصنة تحصيناً طبيعياً يلتجئون اليهـا فتصعب على العدو مباغتتهم ومهاجمتهم في هـــذه الحصون ، كما كان لهم عـــلم بصحاريهم وبمواضع الماء فيها يحتمون بها عند الحاجة ويتخلصون بذلـــك من تعقيب الجيوش][4] .

[كان الأنباط لا يزالون رحلا في القرن الرابع قبل الميلاد، يعيشون في خيام ويتكلمون العربية ويكرهون الخمر ولا يهتمون بالزراعة. وفي القرن التالي تركوا حياة الرعي واتبعوا حياة الاستقرار ، وعملوا في الزراعة والتجارة. وفي أواخر

---

١ – ذكرهم اليونان والرومان باسم « نباتاي » .

٢و٣ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ١٥/٣ .

٤ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ١٦/٣ .

القرن الثاني كانوا قد تحولوا الى مجتمع منتظم جداً متقدم في الحضارة ومتصف بالتصور والترف][1].

ومن أقدم مـا بلغنا من أخبارهم مقاومة كتيبتهم في غزة عام ٣٣٢ ق. م. لجيوش الاسكندر كما ذكرنا ذلك في فصل سابق ، وارسال « انتيغونس » المتقدم ذكره، حملتين على البتراء في نحو عام ٣١٢ ق. م. لحرمان مصر من طريق القوافل بين البتراء وغزة ، كما أرسل حملة ثالثة نحو البحر الميت لحرمان مصر من قطرانه الضروري للسفن والتحنيط . ولكن هذه الحملات جميعها باءت بالفشل .

وكانت العداوة على أشدها بين الأنباط – العرب – والمكابيين – اليهود –. فقد سارع الحارث الثاني « حوالي ١١٠ – ٩٦ ق. م. » لمساعـدة غزة في عام ٩٦ ق. م. بينما كان المكابيون يحاصرونها. وفي حوالي ٩٠ ق. م. انتصر الأنباط على أعدائهـم اليهود نصراً كبيراً في معركة حدثت بينهما على الشاطىء الشرقي لبحيرة طبرية .

ويعتبر الحارث الثالث في نحو «٨٧ – ٦٢ ق. م. » المؤسس الحقيقي لمملكة الأنباط . فقـد هزم اليهود مراراً وحاصرهم في القدس . وفي عام ٨٥ ق. م. تمكن من الاستيلاء على دمشق وسك فيها النقود . وفي عهده بدأت عاصمة البتراء تتخذ مظاهر مدينة يونانية نموذجية .

ولما دخل بومبي دمشق عـام ٦٤ ق. م. ترك للحارث سيادته عليها . فكان ذلك أول اتصال للأنباط بالرومان ، ثم أخـذ الأنباط يقومون بدور حليف للرومان . وقد أنجدوا في أيام ملكهم « مالـك الأول » يوليوس قيصر سنة ٤٧ ق. م. في حصاره لمدينـة الاسكندرية فأمده بقوة من جيشه كما ساعده حينئذ « أنتيباتر » الآدومي ومشايخ العرب كما ذكرنا ذلك سابقاً .

استأجر الانباط من « كليوبطرا[2] » زوجة أنطوني القيصر الروماني المـار

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ٤١٧/١ .

٢ – لما اصبحت مصر تحت حكم « انطوني » التقت به كليوبطرا ملكة مصر الجميلة ، آخر البطالسة. فسحره جمالها وهجر زوجته أخت اوكتافيوس (اوغسطس) . وافقدت كليوبطرا=

ذكره حتى استغلال القطران في البحر الميت . وعلى أثر نكبة « أكتيوم » عـام ٣١ ق. م. التي حلت بأنطوني وكليوبطرا فكرت الاخيرة في تكوين دولة جديدة على شواطىء البحار الهندية ولكن النبطيين أحرقوا مراكبها وبذلـك حالوا دون مرادها .

وقد أدرك الرومان ما للبحر الاحمر من قيمة في تجارتهم فأرسلوا في عـام ٢٤ ق. م. ، في أيام أغسطس ، في عهـد الملك النبطي « عُبَيْدة الثالث ٢٨ – ٩ ق. م.[1] » حملة حربية كبيرة تضم بعض الانباط الى بلاد العرب قصد احتلالها والاستقرار في اليمن . وتولى الوزير النبطي « سيلاوس (صالح) – Syllaeus » مهمة التموين والارشاد ، وباءت هـذه الحملة بالفشل التام وعادت الى مصر . وينسب المؤرخ «استرابو[2]» الذي رافق هذه الحملة الفشل الى النبطيين ، وبخاصة الى « سيلاوس » الذي قال « إنه غرّر بالرومان عمداً لتظل طرق النقل التجارية المؤدية الى اليمن ومواردها بأيدي بني قومـه الانباط الذين كانت لهم السيادة التجارية على تلك الطرق ولذلك أعدمه الرومان في روما .

وقد بلغت مملكة الأنباط أوج عزها في أيام الحارث الرابع (٩ ق . م . – ٤٠ م) فكانت تشمل جنوبي فلسطين والبلاد الواقعة بين سهل البقـاع شمالاً

=عشيقها كل ارادته مدة تسعة أعوام كاملة. فهام بها وكان قد وهبها قسماً كبيراً من الشام فكانت السواحل الفلسطينية وأريحا مع حدائقها التي كان يكثر فيها البلسم والبحر الميت من جملة ما وهبه لكليوبطرا . ولما رأى (اوكتافيوس – اوغسطس) ان انطوني انقطع لكليوبطرا وانصرف عن امور الدولة أثار عليه الرومان، فأعلنت الحرب بين الطرفين والتقى الاسطولان في «اكتيوم» الواقعة على الساحل الغربي من بلاد اليونان . وانتهـى الأمر بانتصار اوكتافيوس الذي أعـاد لهيرودوس الكبير ما كان انطونيوس قد وهبه لكليوبطرا .

ان مجون انطوني وكليوبطرا واهمالها لشئون الدولة كانت من أهم الأسبـاب التي أدت الى احتلال الفرس للشام .

١ – يقال انه مدفون في مدينة « عبدة » التي انشأها او جددها، وخرائبهـا تقع اليوم في منطقة بئر السبع في القسم الذي سلبه اليهود .

٢ – مر ذكره . افرد هذا المؤرخ للعرب فصلاً من مؤلفه الجغرافي ذكر فيه مدنهم وقبائلهم على عهده ووصف كثيراً من احوالهم التجارية والاجتماعية .

ومدائن صالح[1] جنوباً باستثناء الديكابوليس .

وليس بمستبعد أن تكون « نَبَط » من أعمال « راشيا » في البقاع (لبنان) و « النَّبَطِيَّة » – المدينة المعروفة في جنوبي لبنان – كانتا مستقرين لجماعة من الأنباط نزلوا فيها [2] ونسب المكان إليهم .

تابع الحارث نشر الحضارة الرومانية في مملكته . ويمكن أن يرجع تاريخ الأماكن المرتفعة التي لا تزال قائمة في « البتراء » والقبور الجميلة التي تمثلها قبور الحِجر (مدائن صالح) الى زمن حكمه [3] .

وكان « هيرودوس أنتيباس » المتقدم ذكره قد تزوج ابنة الحارث الرابع هذا ، ثم طلقها ليتزوج من « هيروديا » – وقد مر ذلك – مما نشأت عنه حزازات بينه وبين الحارث . انتهت بحروب طاحنة كان الظفر فيها للحارث وفشل هيرودوس فشلاً تاماً مما دعاه للإستنجاد بسيده وحاميه القيصر طيباريوس . غضب القيصر وكتب الى عامله « فيتليوس – Vitellius » أن يسير فوراً لمحاربة الحارث الرابع والقبض عليه . وبينما كان العامل يهم بالزحف على الأنباط توفي طيباريوس عام ٣٧ م . فتوقف عن الحرب وعاد إلى مكانه ، فضلاً عن أن أيام هيرودوس ، بعد وفاة حاميه ، لم تدم طويلاً فقد عزله الرومان ونفوه كما بينا ذلك في فصل سابق .

وفي القرن الأول للمسيح كان الأنباط يقطنون في منطقة واسعة تمتد من الفرات فتتاخم بلاد الشام ثم تنزل حتى البحر الأحمر[4].

وأنجد (مالك الثاني ٤٠ – ٧٠ م) طيطوس الروماني حينما هاجم اليهود في القدس عام ٧٠ م بنحو (٦٧) ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة . وفي أثناء حكمه استولى الرومان على دمشق وبموته ينتهي عصر الأنباط الذهبي الذي امتد أقل

---

١ – تقع في شمالي الحجاز وعلى مسيرة نحو ٣٨٠ كم من الحدود الاردنية – السعودية .

٢ – اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ٣٤٩ .

٣ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٤٢٢/١ .

٤ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢٤/١ .

من ١٢٥ عاماً .

زوال الأنباط :

أخذ الرومان في نهايــة القرن الأول للميلاد بتصفية الممالك الصغيرة المنتشرة في بلاد الشام تأهباً للقتال مع الدولة الفارسية « الفريثيين » المتقدم ذكرها . وفي نهاية حكم « مالك الثالث ١٠١ — ١٠٦م.» آخر ملوك الأنباط رفضوا الاعتراف بخلف له . فتحركت جيوش تراجان الامبراطور الروماني ضد البتراء . وفي عام ١٠٦ م قضى على سيادتهم وضم بلادهم الى الامبراطورية الرومانية التي أصبحت جزءاً من الولاية العربية الرومانية . ومما أضعف هذه الدولة تحول طرق التجارة عن مدينتهم « البتراء » وانتقالها الى الشمال حيث مدينة « تدمر » .

التجارة النبطية :

كان البطالسة من المنافسين الخطرين لتجارة الانبــاط في البحر الأحمر . فأخذوا ينشئون الاساطيل لحماية سفنهم وتجارتهم وموانئهم[1] التي أقاموها على ساحل البحر الأحمر من تعرض الانباط عليها . وبذلك شاطروا الانباط وغيرهم من تجار الجزيرة العربية ، لمدة طويلة،أرباحهم العظيمة التي كانوا يجنونها مع مصر والشام .

ولكن البتراء في أيام السلوقيين وأوائل الحكم الروماني لسوريا أخذت تشغل مركزاً خطراً على طرق القوافل بين جنوب الجزيرة العربية من جهة وبين ثغور البحر الابيض المتوسط وبلاد العراق من جهة أخرى .

فالقوافــل التجارية كانت تأتي من الحجاز وغيرها حامــلة بضائع آسيا ومحصولات اليمن وافريقية ، وتضع بعض أحمالها وأموالها في مكة المكرمة ،

١ — منها مدينة « برينيكي — Berenice » التي أنشئت عند رأس خليج العقبة ، غربي العقبة اليوم . وذهب البعض الى ان مؤسسها هو « بطليموس الثاني ٢٨٣ — ٢٤٧ ق . م . » ودعاها باسم والدته .

ثم تظل في طريقها الى البتراء. واذا نقلت البضائع المذكورة في السفن فانها كانت تضع حمولتها في « العقبة » ومنها تحملها القوافل الى البتراء . فكان النبطيون يستطيعون توجيـه التجارة حيث تملي عليهم رغبتهم وأرباحهم ، فكانوا يرسلون قسماً من تلك البضائع الى مصر وقسماً عن طريق بلاد السبع الى غزة ؛ وقسماً الى « سلوقيـة » على الدجلة ، وقسماً الى « الجرعاء ـ العقير » على الخليج العربي والباقي يرسلونه الى الشمال نحو « أنطاكية » عن طريق دمشق والى عكا ومنها الى فنيقية ــ عن طريق عمّان وجرَش ــ .

[وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم . وقد اقتضى ذلك بالطبع وضع حرس قوي لحماية القوافل واجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع مشايخ الباديـة لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور « ترانسيت »][1] .

وكانت السلع الرئيسية التجارية تتألف من المر والتوابل والبخور من جنوبي الجزيرة العربية والحرير والخام من الصين فضلاً عن الانتاج المحلي التي كانت تنتجه بلاد الأنبـاط . وخاصة الاسفلت المستخرج من الساحل الشرقي للبحر الميت ، وزيت السمسم ــ الذي كانت زراعته تكثر في منطقة البـتراء ــ والذي كانوا يستعملونه مكان زيت الزيتون . كما كان الانباط يستوردون المنسوجات الحريرية الفاخرة من دمشق وغزة ، والحنـاء من عسقلان والأواني الزجاجية والأرجوان من صيدا وصور ، واللؤلؤ من الخليج العربي فضلاً عن التين المجفف والجوز والجبن والعطور والصوف وزيت الزيتون وغيرها .

[وصلت علاقات البتراء التجارية الى مناطق تعتبر من أبعد المناطق المتمدن آنذاك . وقد تركت آثاراً كتابيـة مبعثرة بين « بيتولي Puteoli » التي كانت مرفأ لروما لمدة من الزمن وجرعاء على الخليج العربي . كما وجـدت وثائق نبطية أخرى في بعض جزر بحر الأرخبيل ومصر وعند مصب نهر الفرات][2] .

---

١ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام : ٣/١٩ .
٢ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٤٢٥ .

وكان للنبطيين مواهب خاصة في التجارة . ويروي اليونان عنهم أنهم كانوا شرفاء وكانوا لا يتقاضون على الإطلاق بل يقومون بعهودهم بأمانة .

والتجار الأنباط كانوا الى حد ما يتكلمون لغتين العربية والآرامية (السريانية)، ولا بد أن بعضهم كانوا يعرفون لا اللغتين العربية والآرامية فحسب ، بل اليونانية وبقدار أقل اللاتينية أيضاً[1] .

الأنباط والزراعة :

عرف الأنباط باعتمادهم على التجارة ، ولكنهم كانوا يُعنَون أيضاً بالزراعة والاستفادة من تربة بلادهم . فأقاموا السدود والخزانات ليحتفظوا بكل قطرة ماء ؛ وحفروا الآبار لجمع مياه الأمطار وخزنها فيها ، أو واصلوا الحفر الى أن استنبطوا المياه الجارية تحت الأرض ، وبإنشائهم المصاطب حفظوا التربة من الإنجراف ، ولم يكتفوا باستغلال البقاع الصالحة للزراعة فحسب ، بل استفادوا أيضاً من زراعة بعض الأماكن الواقعة في « وادي العَرَبَة » القاحل مثل « وادي الطلاح [2] » الذي لم يكن مسكوناً .

[يقول عالم الآثار جلوك في كتابه « الناحية الأخرى من الأردن » (لقد تمكن الأنباط من توسيع رقعة الأرض الزراعية ومدها الى داخل حدود الصحراء؛ بشكل لم يسبق لأي من سكان الأردن أو سورية أو الجزيرة العربية أن قاموا بمثله ، ولا حتى تمكن أي شعب آخر أن يعالج مسألة الأراضي الجبلية الوعرة وضفاف الأنهر من أجل حجز وحفظ أمطار الشتاء الغزيرة التي كانت تتساقط في فترة قصيرة كما عالجها الأنباط) . وبعد الإطلاع على المراجع التاريخية العديدة تبين لنا أن الأنباط تفوقوا على غيرهم في ابتداع الطرق الهندسية لتخزين المياه وحفظها بمختلف الطرق والوسائل حتى انهم تمكنوا من جعل الحياة ممكنة في

---

١ – نفس المصدر : ٤٢٧/١ .

٢ – والراجح أنه موقع «ذات أطلاح» الذي استشهد فيه الصحابي «كعب بن عمير الغفاري» عام ٨ هـ : ٦٢٩ م وجميع سريته يوم بعثه اليها الرسول عليه السلام .

أصعب المناطق الصحراوية . وتظهر هذه الحقيقة بجلاء في مدينتهم « البتراء » الشهيرة حيث تمكن المهندسون في ذلك العهد من استغلال المياه ، حتى آخر نقطة واستخدامها لأغراض الشرب والزراعة ، وامتدت هذه المنشآت ووسائل خزن المياه حوالي البتراء ، وانتشرت على الطرق التجارية حيث كانت تقام القلاع والحصون والمراكز الأخرى وذلك من أجل تزويد القوافل والجنود والسكان والعمّال ومواشيهم وحيواناتهم بحاجتهم من المياه] [1] .

والمعروف ان الأنباط هم الذين ادخلوا الى الجزيرة العربية زراعة كثير من الفواكه مثل الرمان والتفاح والمشمش والبطيخ والموز وقصب السكر والكرمة وغيرها .

وثروة الأنباط الحيوانية كانت وافرة . وهي الأغنام ، وكانت بيضاء الصوف ، والماعز والثيران وقد عرفت بكبر حجمها والجمال والحمير وغيرها .

* * *

وفي حقل الصناعة اشتهر الأنباط في عماراتهم المحفورة في الصخور، ووصلت صناعة الخزف والفخار ، من الطين الطبيعي المائل الى الحمرة ، في صنع الصحون والأباريق والكؤوس والفناجين ... وتزيينها برسوم الأزهار وأوراق الكرمة وغيرها لدرجة تدعو الى الإعجاب .

وقد استفاد الأنباط أيضاً من استعمال النحاس والحديد اللذين عثروا عليهما في وادي عربة .

ويمكن القول بوجه عام بأن الأنباط الذين كانوا منظمين والعارفين لحقوق بعضهم البعض انهمكوا في تجارتهم وزراعتهم وصناعتهم مما أدّى الى عدم وجود فقراء معدمين في مجتمعهم .

* * *

---

١ ـ مجلة الرائد العربي ، العدد الحادي عشر ايلول ص ٣٩ (بيروت) .

وما زالت آثار الأنباط تغمر البلاد التي حلّوا بها . فعاصمتهم « البـــتراء » بوادي موسى المنحوتة من الصخر الورديّ الجميـــل ، لا تزال أنقاضها الضخمة الرائعة تجذب اليها العدد الكبير من السياح. ويحيط بالبتراء جبال صخرية عالية، بحيث يكاد يستحيل الدخول اليها إلا من ممر ضيق لا يتجاوز عرضه الثمانية أمتار يعرف باسم « وادي السّيق » يبلغ طوله الكيلومترين . وكان مبلطاً في الأزمنـة القديمة ولم يزل البلاط ظاهراً في بعض المواضع . وجدرانه صخور رملية متعددة ملونة بألوان قرمزية ونيلية وصفراء وأرجوانية وغيرها . ولا تزال بقايا الأقنية منحوتاً بعضها في الصخر تسير على جانبي المدخل حيث كانت الميـاه تنساب من وادي موسى الى البتراء .

وأهم آثار المدينة اليوم بقايا معبد ، يعرف اليوم باسم « خزنة فرعون » وهو بناء شامخ منحوت في الصخر مزخرف بالأعمدة الجميلة والرسوم البديعـة . وفي أعلاه ترس مثلث الشكل عليه ما يشبه الجرّة . وقـد ظن بدو هذه الجهات أن فرعون كان يخبىء أمواله فيها فدعوها بخزنة فرعون . ومن آثارها المهمة أيضاً « الدير » وهو عبارة عن غرف منقورة في الصخور ويشبه الخزانـــة في طرازه وأسلوبه ، الا أنه أقل زخرفة وجمالاً . والراجح انه ، أي الدير ، كان معبداً لإله ذو الشرى الآتي ذكره .

ويرى في البتراء أيضاً مسرح مدرج ، منحوت في الصخر قطره ١١٧ قدماً ، وفيه ٣٣ صفاً من المجالس يتسع لنحو ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متفرج ، كما يشاهد فيها كثير من القبور والبيوت المحفورة في الصخور وغيرها .

واما لفظة « البتراء » (بطرا) فيونانية معناها الصخر العظـيم والشاهق. ترجمة كلمة « سالِع » أو « سِلـْعا » الآرامية التي كانت تطلق عليها قبل ذلك . ذكرها جغرافيو العرب باسم « الرّقيم » . قال ياقوت : « يزعم بعضهم ان بـه (الرقيم) اهل الكهف والصحيح انهم ببلاد الروم [1] » .

والفضل في كشف موضعها الحالي يعـود الى « يوهان لودفيغ بركهارت –

---

١ – معجم البلدان : ٣/٦٠ .

Johan Ludwig Burckhard [1] الرحالة السويسري الذي زارها عام ١٨١٢ م .

وتبعد البتراء عن عمان بنحو ٢٨٥ كيلومتراً الى الجنوب.

وقد أعاد الأنباط بناء كثير من المدن الآدومية والمؤابية القديمة . والراجح أن « عَبْدَة » و « الخَلَصَة [٢] » و « سُبَيْطَة » – وجميعها في بلاد بئر السبع – أسسها الأنباط . وكانت مدناً عامرة غاصة بالسكان . والمعروف أن الأنباط استعملوها كمحطات ومخافر لقوافلهم التجارية التي تصل بين عاصمتهم وغزة . ويقال ايضاً ان « الحُمَيْمَة [٣] » ، بين العقبة ومعان، هي بلدة نبطية. ويرى الدكتور حتي ان « إرَم » المذكورة في القرآن الكريم (سورة ٦٩ : ٨) هي جبل رَم الموقع النبطي المكتشف حديثاً على بعد ٢٥ ميلاً الى الشرق من العقبة [٤] .

ومن آثار الأنباط الباقية في بلاد الشام بعض أطلال معابدهم ، كخربة التنور الواقعة على قمة جبل في جهات وادي الحسا، وأقدم آثار ام الجمال – على بعد بضعة أميال للشرق من المفرق ، وغرندل بوادي موسى وغيرهما .

والمشهور ان قبيلة « الحويطات » المنتشرة في جنوبي الشام وسيناء هي من

---

١ – تمكن هذا الرحالة من القيام برحلة الحجاز فتزيا بزي مسلم اسمه « ابراهيم بن عبدالله » ، يريد الحاج وزيارة مسجد الرسول وقبره . وقد صحب الحجاج في حجهم . ووصف موسم الحج وصفاً دقيقاً ، وكتب عن مكة والمدينة كتابة علمية . وقد زار آثار الانباط وعاصمتهم .

٢ – الخلصة : نبت طيب الريح يتعلق بالشجر . وجمع الخلصة خلص . وذو الخلصة صنم من أصنام العرب .

٣ – مر ذكرها. قامت على البقعة التي كانت عليها بلدة « Ammatha – أماثا » النبطية، في جنوبي الجبل المسمى باسمها (١٢٣٧ متراً) . وقد كانت في العهد الروماني عظيمة الأهمية فوضعوا فيها حامية من رماة العرب الفوارس . ومن جملة المولودين فيها الخلفاء العباسيون السفاح والمنصور وفيها ربيا ، والمهدي بن المنصور ووالد هارون الرشيد . ولم يبق من الحميمة اليوم سوى اطلال مبعثرة وسط صخور حمراء تحيط بها الجبال العالية تنتشر حولها عشيرة « النجيدات » من قبيلة الحويطات .

٤ – تاريخ العرب – مطول – ، دار الكشاف بيروت ، ٦٧/١ .

أحفادهم .

حضارة الأنباط :

كان الأنباط يتفاهمون بلغة عربية ، إلا أنهم كانوا يكتبون كتاباتهم بالآرامية ، التي كانت شائعة في ذلك العصر ، مع اختلاف قليل بين كتابتهم وبين الخط الآرامي الأصلي . وبالتدريج انفصلت الكتابة النبطية عن الآرامية . وحوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد اتخذت طابعها المميز وأصبحت ذات صفة ثابتة[1] ؛ ومما يزيد في أهمية الحروف النبطية أن الأبجدية العربية قد انحدرت منها مباشرة[2]. وكتابة الأنباط هذه هي التي تحولت فيما بعد الى الخط النسخي .

وكان الأنباط يعبدون الأصنام ومن أصنامهم « ذو الشرى » إله الشمس وهو الإله الرئيسي عندهم و « اللات » وكانت إلاهة القمر و « المَنَاة » و « العُزّة » و « هُبَل » وغيرها . وهي الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز. وكانوا يدفنون موتاهم في المقابر المنقورة في الصخور المصنوعة على هيئة حُجَر ، وضعت جثث الأموات فيها .

وكان « النبط » يحجون الى معبد صنمهم « ذو الشرى » باحتفال سنوي ضخم مهيب . كان الناس يقصدونه من أماكن نائية للاحتفال به . وقد بنوا له معبداً سامقاً في الجو على الجبل في الموضع المعروف باسم « الدير » يرتقي المتعبدون اليه على سلالم طويلة نحتت في الصخر[3] .

[وكانوا يقدمون الضحايا الى معبد ذلك الاله (ذو الشرى) ، فيصبون دماءها على الصخرة أو امامها . ويستند الصنم الى قاعدة مكسوة بالذهب ، كما ان جدران المعبد كانت مكسوة بغشاء من الذهب والتصاوير الجميلة التي تمثل تقديم القرابين الى الصنم . ومن بين الأسماء التي عثر عليها في كتابات العربية النبطية أسماء منسوبة الى هذا الاله هي « عبد ذي شرى » و « تيم ذي شرى »] [4] .

---

١ و ٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/٤٢٧ .
٣ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٣/٩٤ و ٥/١٠٩ .
٤ – نفس المصدر : ٥/١١٠ .

قال حتي : [كانت حضارة الأنباط عربية في لغتها ، آرامية في كتابتها ، سامية في ديانتها ، ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية ، وهي لذلك حضارة مركبة ، سطحية في مظهرها الهليني ، ولكنها عربية في أساسها وبقيت كذلك][1].

وقال جواد علي : [لقد أظهر هؤلاء الرعاة – الأنباط – مقدرة فائقة وكفاية تقدر في تكييف أنفسهم ، وفي أخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة. لقد تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيها من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في « آدوم » واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشئون الحياة . وأخذوا من « الهلينية » تنظيم المدن وأصول الادارة والفن . وحولوا مدينتهم الصخرية الى مدينة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابلياتهم للمدنية . كما اقتبسوا من « الفرث – Parthian » ما يلائمهم ويوائم حياتهم وحاجاتهم . وضربوا النقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا ، وأثبتوا أن العربي كيفما كان أمره قابل للتطور والإبداع والأخذ والاقتباس ، وأنه اذا هيئت له الظروف وأرشده المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً ، ليفيد قومه والبشرية خير افادة. وعن طريقتهم انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الرومان أو الشام أو في بطرا الى اليمن. كما كانوا واسطة لنقل « الهيلينية » الى العرب الجنوبيين][2].

* * *

توفي تراجان الذي قضى على سيادة الأنباط ، وخلفه « هدريان ١١٧ – ١٣٨ م » فأتم الطريق التي كان تراجان أمر بانشائها بين البتراء ودمشق. وجعل « بُصرى » عاصمة للولاية العربية ، ووصل بينها وبين العقبة بطريق معبدة ، فأصبحت « بُصرى » محطة تجارية كبرى . وزار « هدريان » الشام مرتين :

---

١ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ١/٤٢٦ .
٢ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٣/١٦ – ١٧ .

الزيارة الاولى كانت عام ١٢٥ م والثانيــة كانت في عام ١٢٩ م . وقوس النصر القائم فيجرش اليوم والمؤلف من ثلاثة أقواس متحدة شيد احتفاءاً بزيارة هدريان لجرش في تلك السنة . وهو الذي أمر ببناء هيكل الشمس في بعلبك الذي اكمله خلفاؤه . كما أمر بتشييد القــــلاع والحصون في الصحراء لمنع غارات البدو على البلاد .

سيدنا عيسى عليه السلام
المسيحية (١)

وُلد المسيح عليه السلام ، أيام أوغسطوس قيصر « ٢٧ ق.م.–١٤ ب.م. » ، وذلك بعد دخول الرومان ، بلادنا ، فلسطين بنحو ستين سنة ، وذلك في بلدة بيت لحم التي كانت مسقط رأس أجداده – بالنسبة لأمه التي اصطفاها الله وطهرها على نساء العالمين – من سلالة النبي داود . ولكنه تربى عليه السلام ، ونشأ في الناصرة . وكان أكثر تلاميذه من الجليل . ولما بلغ الثلاثين من عمره أخذ يتجول في فلسطين مبشراً بوحدانية الله ورأفته وحبه للبشر ، وبخلود النفس والثواب والعقاب . وهو آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل . وقد

---

١ – المسيح، اي الممسوح بدهن الكهنوت والملك . وهي تحريف لكلمة « مشيا » العبرانية التي كان يستعملها اليهود لقباً لملوكهم الذين كان يمسحهم رجال الدين بالدهن ليتولوا الملك . ولما كان اليهود ينتظرون مجيء المسيح من جيل الى جيل استعملوا « مشيا – المسيح » للملك المنتظر أيضاً .

وكلمة « مسيحي » تطلق على كل من يتبع الديانة التي نادى بها السيد المسيح ؛ وأطلقت لأول مرة على تلاميذ المسيح في « أنطاكية » مقر أول كنيسة أنشأها القديس بولس ، أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر .

واما « يسوع » بمعنى « المخلص » اشارة الى انه سبب لتخليص الكثيرين من آثامهم . وهي تحريف يوناني لـ « يشوع » العبرية .

والمسيح عليه السلام كان يدعى « يسوع الناصري » نسبة الى بلدة « الناصرة » . ودعي تلاميذه « ناصريين » . ومن الناصرة اشتق أسم « النصارى » .

وقدر عدد المسيحيين ، على اختلاف مذاهبهم، في عام ١٩٦١ بنحو (٩٠٤،٣٣٢،٥٠٠) نسمة بينما بلغ عدد سكان العالم في تلك السنة : (٢،٦٨٤،٦٦٠،٠٠٠) نسمة .

ذكره القرآن في ثلاث عشرة سورة ، في ثلاث وثلاثين آية منه. ومن أهم تعاليمه ما جاء في عظته الشهيرة على الجبل[1] وهي مذكورة في انجيل[2] « مَتّى » من الإصحاح الخامس إلى نهاية الإصحاح السابع . وننقل أدناه بعض هذه العظة :

[سمعتم أنه قيل عين بعين، سن بسن . وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخّرك ميلاً فاذهب معه اثنين . من سألك فأعطه . ومن أراد ان يقترض منك فلا تردّه .

سمعتم إنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قُدّام الناس لكي ينظروا إليكم ..... فمتى صنعتَ صدقة فلا تُصَوّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في الجامع وفي الأزقة لكي يمجّدوا من الناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أُجورهم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء .

---

١ – يعتقد ان المسيح ألقى موعظته الخالدة هذه في « قرون حطين » التي ترتفع الى علو نحو ألفي قدم عن الأراضي المجاورة لها . وتقع في الشمال الغربي ، بالقرب من مدينة طبرية . وفيها أيضا حدثت موقعة « حطين » التي انتصر فيها صلاح الدين على الأوروبيين كما ذكرنا ذلك في مكان سابق .

وبعضهم يذكر انه ألقاها عليه السلام من احدى التلال التي ترتفع نحو مائتين وخمسين متراً عن سطح البحيرة ، الواقعة في السهل المنبسط للشمال الغربي من البحيرة .

٢ – الانجيل : كلمة يونانية معناها « البشارة » و « البشرى » أو « الخبر السار » . والاناجيل أربعة وهي : « إنجيل متى » و « انجيل مرقص » و « انجيل لوقا » – ويرجح انه كتبه في قيسارية – و « انجيل يوحنا » . وتعرف هذه المجموعة بالعهد الجديد .

والاناجيل ترجمة لحياة المسيح ، يرجح انها كتبت في القرن الأول للميلاد . ويضاف اليها سبعة وعشرون سفراً تحتوي على أعمال للرسل ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا القديسين، ورؤيا القديس يوحنا، وجميعها ما عدا سفر الرؤيا الأخير تذكر نشاط هؤلاء القديسين في التبشير، ووصايا وارشادات في صدد رسالة المسيح كما احتوت اخباراً عما وقع لهم .

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوس والصدأ ؛ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكتنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يُفسِدُ سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون .

ولا يقدر أحد ان يخدم سيدين : لأنه إما أن يُبغض الواحد ويُحبّ الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

لا تدينوا لكي لا تُدانوا. لأنكم بالدينونة التي تُدينون تُدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك . وأما الخشبة في عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول لأخيك : دَعني أُخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك . يا مرائي ! أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذٍ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك .

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطئة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً . هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . واما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . فإذاً من ثمارهم تعرفونهم] .

* * *

وقد شعر عَبدَة الأصنام واليهود في سورية وفلسطين بما سيلحق دينهم من الفشل عاجلاً أو آجلاً من جراء مناهضة الديانة الجديدة لهم ، فأخذوا يدافعون عن دينهم وتوسيع نطاق عبادة . ولكن دعاة النصرانية لم يعبأوا بذلك بل ازدادوا نشاطاً في نشر دينهم، ولم يرهبهم مناهضة الوثنيين واليهود لهم وارهابهم بأنواع العذاب وصنوف الموت . فمات كثيرون منهم شهداء .

وكما كانت فلسطين مقر النبتة الأولى للديانة المسيحية ، فمنها أيضاً خرج الحواريون يبشرون برسالة عيسى عليه السلام في أنحاء العالم. وأخذت النصرانية

بالإنتشار في سورية وآسيا الصغرى واليونان ومصر وغيرها من الأقطار . وقد كانت فلسطين بطيئة في قبول النصرانية اذا قوبلت بغيرها من بلاد الامبراطورية الرومانية . ولعل السبب راجع الى مقاومة اليهود لها، وتعصب السكان للوثنية. ان انتشار النصرانية ، في فلسطين ، كان في ضواحي المدن والقرى أكثر منه في نفس المدن .

والحواريون ، هم تلاميذ المسيح الذين تركوا أعمالهم العادية ليشدوا أزره فاحتملوا شظف العيش وحالوا بينه وبين أعين الرقباء الذين يتبعون ظله أينما سار ويطاردونه حيثما حل واستماتوا في سبيل نصرته وكانوا اثني عشر رجلاً . وهم الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله : [فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال من أنصاري الى الله ، قال الحواريون ، نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين] [1].

ومن الأمور الغامضة اختياره عليه السلام لـ « يهوذا الأسخَرْيوطي » أو — القريوتي نسبة الى بلدة « قريوت » » احدى قرى نابلس اليوم — الذي خانه في نهاية الأمر فعرّف اعداءه بمكانه ، وباعه لهم بثلاثين من الفضة . ولكن الله جلت قدرته أخفاه عن أعين الناظرين ورفعه اليه .

وهاك بعض الفلسطينيين من هؤلاء الحواريين :

(١) **بطرس** : بمعنى صخر . ولد في مدينة « بيت صيدا » المار ذكرها . وكان صياداً يعيش على صيد الأسماك . كما كان خطيباً مفوهاً ، فصيحاً ، سريع الخاطر ، طلق اللسان . مات مصلوباً في روما في نحو سنة ٦٥ م .

(٢) **أندراوس** : بمعنى « ذو مروءة » أخو بطرس المار ذكره . وكان مثله يحترف صيد السمك . تتلمذ في بادىء أمره على « يحيى — يوحنا المعمدان » ثم كان من أتباع المسيح عليهما السلام . مات مبشراً ، في نحو عام ٦٢ م. ، في

---

١ — سورة آل عمران : ٥٢ و ٥٣ .

بلاد اليونان .

(٣) **يوحنا بن زَبدي** : أخو يعقوب الآتي ذكره . من بيت صيدا [١] . ويرجح أنه كان ابن خالة المسيح الذي كان يحبه حباً جماً ، حتى انه قبل صعوده الى السماء أوصاه أن يهتم بأمه . مات موتاً طبيعياً في ختـام القرن الأول للميلاد وهو واضع الإنجيل المسمى باسمه . ألفه في سني شيخوخته . وكان آخر انجيـل كتب . ويوحنا أصغر حواريي المسيح . وليوحنا ايضاً سِفر الرؤيا .

(٤) **يعقوب بن زَبَدي** : بَشّر في القدس ومنطقتها . وكانت حرفته مع أبيه وأخيه صيد السمك . استشهد عام ٤٤ م. بأمر من هيرودوس أغريبا الذي تقدمت ترجمته .

(٥) **يعقوب بن حَلْفي** : بشّر في القسم الجنوبي الغربي من فلسطين ، ثم في مصر ، حيث استشهد .

(٦) **مَتّى** : بمعنى « عطيـة الله » . من « كفرناحوم[٢] » . وهـو كاتب الإنجيل المنسوب إليه ، اول الأناجيل الأربعـة وأقدمها عهداً . ويرى بعضهم أنه كتب انجيله ، على الأرجح ، بالآرامية السريانية في القدس بـين السنة الستين والسبعين من الميلاد . وكان متّى في الأصل جابياً من الجباة في بلده « كفرناحوم » وضواحيها . يُظن أنه استشهد في الحبشة بطعنة رمح .

وأشهر حواريي المسيح من غـير الفلسطينيين « بولس » ، بمعنى « صغير » . ولد في « طرسوس[٣] » من أعمال « كيليكيا » في الجمهورية التركيـة . وروى بعضهم ان أصل أهله من قرية « الجِش » في الجليل من أعمال صفد. وهو يهودي. اسمه العبراني « شاول » والرومـاني « بولس » . تعلم في القدس ، عرف بنباهته

---

١ – بعضهم ذكر ان موطن (زبدي) وولديه « يوحنا » و « يعقوب » هي قرية « يافة الناصرة » .

٢ – تقوم على بقعتها اليوم خرائب « تلحوم » للشمال الشرقي من ساحل بحيرة طبرية وعلى بعد (١٥) كم من بلدة طبرية ، وهي التي اختارها المسيح عليه السلام لإقامته بعد الناصرة وفيها أظهر الكثير من معجزاته وألقى الكثير من تعاليمه .

٣ – تقوم على سهل خصيب ، على بعد ١٦ كم شمالي البحر الأبيض المتوسط .

وذكائه وفطنته . وكان عالماً باليونانية والفلسفة اليونانية . آمن بالسيد المسيح ونشر تعاليمه في مختلف الأقطار . والأرجح انـــه استشهد في روما ، في عهد نيرون ، الأمبراطور الروماني المعروف بظلمه حوالي عام ٦٧ أو ٦٨ م .

وذكر بولس في بعض رسائله مـــا كان عليه اليهود من تدهور وانحرافات في أخلاقهم ودينهم . وهاك نبذاً منها: [انهم لما عرفوا الله لم يمجدوه ولم يشكروه بل سفهوا في أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية وقـد زعموا انهم حكماء ، فصاروا حمقى ، واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه الفساد بشبه صورة إنسان ذي فساد، وطيور ذوات أربع وزحافات . فلذلـك اسلم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لتضحية اجسادهم في ذواتهم الذين ابدلوا حق الله بالباطــــل ، واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق ؛ لذلك أسلمهم الله الى أهواء الفضيحة فغير إناثهم استعمالهن الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة وكذلك الذكران أيضاً تركوا استعمال الانثى الطبيعي والتهبوا بعشق بعضهم بعضاً. ففعل الذكران بالذكران الفحشاء ، ونالوا بأنفسهم الجزاء اللائق بضلالهم . وبما انهم لم يؤثروا أن يستمروا على معرفـة الله أسلمهم الله الى رأي مرذول حتى يعملوا بمـا لا يليق ممتلئين من كل إثم وشر وزنا وبخل وخبث مفعمين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وإساءة نمامين مغتابين ممقوتين من الله شتامين متكبرين مفتخرين مخترعين شروراً عاقين للوالدين لا فهم لهم ولا نظام ولا ودّ ولا عهد ولا رحمة][1] .

وقال ايضاً عن اليهود : [ضلوا كلهم فرذلوا وليس أحد منهم يعمل الصلاح. حناجرهم قبـور مفتحة وقـــد غشوا بألسنتهم وسُمُّ الإضلال تحت شفاههم . وأفواههم مملوءة لعنة ومرارة.وأرجلهم سارعة الى سفك الدماء. وفي مسالكهم خصم ومشقة ولم يعرفوا سبيل السلام . وليست مخافة الله أمام أعينهم . أم الله لليهود فقط ؟ أليس هو للأمم أيضاً . بل للأمم ايضاً][2] .

---

١ – الإصحاح الأول من رسالة بولس الى أهل رومية : ٢١ – ٣٢ .
٢ – الإصحاح الثالث من رسالة بولس الى أهل رومية .

وجاء في الرسالة الاولى من بولس الى أهل(تسالونيكي)[١] من اعمال اليونان: [فإنكم أيها الاخوة إقتديتم بكنائس الله في اليهودية إذ قد أصابكم من أمتكم ما أصابهم من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع والأنبياء واضطهدونا وهم لا يرضون الله ويقاومون جميع الناس ويمنعونا ان نكلم الأمم لخلاصها حتى يستتموا خطاياهم كل حين . فان غضب الله قد حلّ عليهم الى النهاية][٢] .

وقد شيد في روما ، في مكان استشهاد كل من بولس وبطرس ، كنيستان كبيرتان : إحداها كنيسة القديس بطرس والأخرى كنيسة القديس بولس والى هاتين الكنيستين اللتين تضمان رفات الشهيدين يأتي آلاف من المسيحيين للزيارة والتبرك .

اضطهد الرومان المسيحيين اضطهادات شديدة الى أن كان عهد الامبراطور « قسطنطين ٣٠٦ – ٣٣٧ م » باني القسطنطينية الذي تنصر ، فأمر برفع جميع القيود المفروضة على النصارى ، وعمّم الديانة المسيحية وبنى عدة كنائس ، وهيلانة امه هي التي أقامت كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد التي يرجح أنها اقدم كنيسة في العالم – في بيت لحم وغيرها . وكذلك « أفتروبية » امرأة « مكسميان » حمي قسطنطين بنت كنيسة على قبر ابراهيم الخليل وعائلته في بلدة « الخليل » . وقد انتشرت بعد ذلك الكنائس والأديرة والصوامع في بلاد الشام وغيرها خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين .

وصفوة القول ان فلسطين تعد قلب الديانة المسيحية ، وهي لذلك لدى المسيحيين أقدس ارض على وجه المعمورة ، ففيها ولد المسيح ، وفيها عاش طول حياته (٣٣ سنة) ، ومنها رُفع الى السماء ، وفيها بشر ودعا قومه للإيمان . وكثير من بقاعها تثير في نفوس النصارى ذكريات دينية مختلفة .

---

١ – هي (سلانيك) الحديثة . أكبر مدن مكدونيا.سميت كذلك على اسم اخت الاسكندر الأكبر .

٢ – الإصحاح الثاني من رسالة بولس ١٤ – ١٧ .

حرب اليهود والرومان

« لا أمة في الأرض ، في كل أجيال التاريخ منذ بدء الخليقة الى الآن تحملت مـا تحمل إسرائيل من الكوارث والويلات. على أن تلك الكوارث والويلات لم تكن من صنع غير إسرائيل » .

– المؤرخ اليهودي يوسيفوس –

كان معظم اليهود في العهد الروماني يمارسون سياسة الابتعاد عن الحضارة الرومانية ، متمسكين بديانتهم وخصائص حياتهم وتقاليدهم . وبالرغم من التسامح الذي أظهره حكام الرومان نحو اليهود من بقاء احكامهم الدينية في يد مجامعهم ومحاكمهم ، واعفائهم من الخدمة في الجيش ، ومن عبادة الأمبراطور التي كانت الدين الرسمي للامبراطورية كلها وغيرها ، أخذوا يبثون بغض الحكم الروماني لأولادهم منذ الصغر ، لما كان يلقيه عليهم رجال الدين والزعماء على مسامعهم في المجالس من الأقوال للقيام بوجه الرومان . وكان تيّار العدوان للرومان يخف ويقوى حيناً بعد آخر حسب مقتضى الأحوال . ولما ازداد اليهود في إظهار بغضهم وعدائهم اضطر الولاة الذين تولوا أمر اليهود أن يعاملوهم بالقسوة فازدادت الحالة سوءاً . وانتهز اليهود فرصة عدم وجود حامية رومانية كافية في البلاد ، فأعلنوا ثورتهم وقامت حروبهم مع الرومان التي ابتدأت في ٨ تشرين الثاني من عام ٦٦ م. وانتهت في ٨ أيلول من عام ٧٠ م . وباشر الثوار مهاجمة حاميات الرومان ففتكوا بالكثير منها . ولما علم الرومان بذلك سارت

جيوشهم الى فلسطين ، فساعدهم اليونان والسوريون من أهـــل البلاد وفتكوا بالجماعات اليهودية وقتلوا جميع من وقع بيدهم ، حتى قيل إن أهل « قيصرية – قيسارية » ذبحوا نحـــو عشرين ألفاً من اليهود ، والبَيْسَانيين فتكوا بنحو ثلاثة عشر ألفاً ، كما قتل أهل عكا وعسقلان نحو أربعة آلاف نفس . إلا أن اليهود تمكنوا في أماكن كثيرة من تعقب الجند الروماني والإيقاع بـه ، فذبحوا عدداً عظيماً منه ولما بلغ « نيرون – Nero ٥٤ – ٦٨ ب.م. » القيصرُ الروماني المشهور أن اليهود قتلوا عدداً كبيراً من جنوده غضب وجعل يفكر في أخـــذ الثأر منهم ، وكبح جماحهم وإخضاعهم لسلطاته . فانتخب لذلك أشهر قواده « فلافيوس فاسبسياتوس – Flavius - Vespasian » وهو رجل تمرس بالمعارك وقاسى أهوالها فجاء ومعه جنده الى فلسطين عام ٦٧ م. من الشمال وتبعه بعدئذ ابنه « طيطوس – Titus » مع جيوشه من مصر . ولحقت بهم جنود كثيرة من الشام وبلاد العرب . وكانت الجيوش العربية بقيادة ملك الأنباط « مالك الثاني» المار ذكره . ولما رأى اليهود استعداد الرومانيين الهائل شرعوا يُعِدُّون وسائل الدفاع .

كانت خطة « فاسبسياتوس » أن يحتل جميع البلاد أولاً ثم يحاصر القـــدس نفسها . ولما تم له اخضاع شمالي فلسطين – وكان قد اتخـذ « عكا – بطولمايس » مقراً لعملياته الحربية في الجليل – نزل قيصرية مركز ولاة الرومان وأكبر ثغر فلسطيني في ذلك العصر واتخذها مقراً لقيادته . ثم اتجه نحو الساحل فاحتله . وفي السنة التالية ٦٨ م تمكن من احتلال الغور وبـلاد نابلس وجنوبي فلسطين . وفيما كان فاسبسياتوس قادماً الى القدس لحصارها استُدعي لتولي الملك في روما، بعد أن نصبه جنوده امبراطوراً في قيسارية عام ٦٩ م ، على اثر وفاة نـيرون . فسار الى روما وفوّض أمر الحرب لابنه طيطوس .

تقدم طيطوس الى القـدس ومعه الفرق العربية والسورية (الآرامية) التي تشد أزره وعسكر في « تل الفول » على بعد ستة كيلومترات شمالي القـــدس ، ويعلو عن جبل الزيتون بمئتي قدم . وبعد حصار شديد تمكن الرومان من دخول

المدينة المقدسة من الشمال ، حيث يقوم اليوم « باب الساهرة » وكان ذلك في آب من عام ٧٠ م . فأعمل الفاتحون في القدس نهباً وحرقاً وقتلاً وأحرق المعبد الذي بناه هيرودوس . وقد بيع كثير من الأسرى عبيداً وأصبحت المدينة قاعاً صفصفاً .

ومن أهم الأسباب التي دعت لتغلب الرومان وحلفائهم على اليهود الانقسامات الداخلية والتحزبات الدينية والمنازعات التي كانت بين اليهود أنفسهم .

* * *

وفي عهد « تراجان ٩٨ – ١١٧ م » ثار اليهود في الولايات الرومانية الخمس (ميسوبوتاميا ، قبرص ، مصر ، بَرْقَة وفلسطين) التي كانوا يقطنونها. الا ان تراجان كاد يقضي عليهم في الأقطار الأربعة الأولى قضاء تاماً . وقد ساعده في حروبه سكان البلاد ، وذلك لأن اليهود لم يقتصروا في عدائهم على الرومان ، بل تعداهم الى السكان وأبدوا نحوهم من القسوة والهمجية ما يكاد أن لا يصدق . [فكان اليهود يأكلون من لحوم من قتلوهم . ويشربون من دمهم ، ويحتزمون بأمعائهم ، ويلتفون بجلودهم . وقد شطروا كثيرين من رأسهم إلى أسفل وأرغموا كثيرين أن يصارع بعضهم بعضاً ويتجالدون بالسيوف الى أن يهلك بعضهم بعضاً [1]] .

وقد عاجلت المنية تراجان قبل أن يتغلب على اليهود في فلسطين ، فكان ذلك من حظ خليفته « هدريان ١١٧ – ١٣٨ » .

قاد اليهود زعيم اسمه « سمعان » المدعو أيضاً « بركوكب » الذي توفرت فيه صفات اللص والقاتل . وادعى انه « مَسِيّا – المسيح المنتظر » . وأخيراً انتهت الثورة عام ١٣٥ م بعد أن نكل هدريان بالثائرين أشد تنكيل ثم منعهم من دخول القدس والسكن فيها والدنو منها . وقد رُخص للمسيحيين أن يقيموا بها على الا يكونوا من أصل يهودي . وسمى المدينة « ايليا كابيتوليتا –

١ – تاريخ سورية ليوسف الياس الدبس مطران بيروت الماروني . الجزء الثاني من المجلد الثالث ص ٥٦٩ .

Aelia - Capitolina[1] ، — وهو الإسم الذي عرفه المسلمون عند الفتح — . وشدد هدريان على اليهود في جميع أنحاء فلسطين ، وقتل منهم خلقاً عظيماً ، فأصابهم من معاملته أكثر مما أصابهم من طيطوس وبختنصر . وقد اخذ الرومان منهم كثيرين من الأسرى ثم باعوهم بأبخس الأثمان . وهكذا انتهت صلة اليهود بفلسطين ولم يعد لها وجود طوال السنوات الألف والثمانمائة التي تلت . ثم أمر هدريان ببناء هيكل للمشتري [2] على أنقاض هيكل هيرودوس ، ونصب تمثاله بالقرب من الصخرة .

وبعد هذه الحروب لم تقم لليهود قائمة . فإنهم تشتتوا في أقطار العالم المعروف ، في اوروبا وآسيا وافريقيا ، بعد تاريخ مملوء بالإنحرافات الدينية والأخلاقية والإجتماعية ، وبما اقترفوه من آثام ونقضوه من مبادىء ووصايا التي ندد بها أنبياؤهم وقادتهم وصبوا بسببها على قومهم اللعنات .

* * *

مما يسترعي الإنتباه ، في تاريخ بلادنا ، فلسطين ، ان سكانها وسكان سائر بلاد الشام من غير اليهود ، كانوا دائماً يقفون من اليهود موقف العداء . وهذه ظاهرة ظلت تتكرر في مختلف الأدوار التاريخية التي مرّت على البلاد قديماً وحديثاً . مما يدل على ان اليهود فضلاً عن أنهم لم يتمكنوا من تأسيس دولة مستقلة استقلالاً كاملاً الا لمدة وجيزة جداً ، لم يبرهنوا على أنهم أمة تستطيع أن تعيش بجوار الأمم الأخرى عيشة هدوء وسلام دون أن يكيدوا لها المكائد وينشروا فيها القلاقل والفتن .

ومما عرف به اليهود بتاريخهم الطويل تمردهم على حكام البلاد — سواء في

---

١ — مشتقة من اسم أسرة القيصر هدريان المدعوة (ايليا) .

٢ — يعد المشتري (جوبيتر) احد آلهة الرومان ، سلطان العالم الأعلى . فكان حامي الرومانيين الخاص . وهو مثل (زفس) عند اليونان . ويظهر ان عمر هذا الهيكل كان قصيراً . فان العرب المسلمين لما دخلوا القدس ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ، لم يروا أثراً لهذا الهيكل وغيره بل وجدوا مزبلة دلهم عليها بطريرك المدينة .

ذلك من أحسن اليهم أو من أساء — . وآخر تمرد لهم كان على بريطانيا ، التي أعدتهم للسيادة المطلقة على فلسطين، وعاملوها كأنها ألد عدو ، وهي التي كانت في مقدمة من أحسن اليهم باعطائهم وعد بلفور المشؤوم الذي قُدّر له ان يغير مجرى تاريخ فلسطين العربي ، وبتأييدها لدعواهم الباطلة في المحافل الدولية وغيرها ... وبريطانيا هي التي سهلت لليهود استملاك الأراضي في بلادنا ، وهي التي أوقفت جميع أسلحتها البرية والبحرية والجوية لحمايتهم وأذنت لهم باقتناء السلاح بينا حرمته على العرب ، أهل البلاد .

ومع ذلك فاليهود هم الذين جلدوا ومثّلوا بالجنود البريطانيين في فلسطين ، وهم الذين صرعوا في القاهرة ، في خريف عام ١٩٤٤ م ، اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط ، وتربصوا بكل قائد عام من «مونتغومري» الى «ايفلين باركر» ، وهددوا بالقتل «ماك ميكل» و «غورث» المندوبين الساميين . وقد نجا الأول هو وزوجته باعجوبة من محاولة اغتيالها في صيف عام ١٩٤٤ م .

وقد دمّر اليهود الكثير من ممتلكات الحكومة البريطانية في فلسطين . فقد قُدّرت خسائر الحكومة نتيجة للعمل التدميري الذي قام به اليهود في ثلاثة أيام من عام ١٩٤٤ بنحو ثلث مليون جنيه استرليني .

وفي صيف عام ١٩٤٦ وصلت حملة المنظمات الارهابية اليهودية في فلسطين ، ضد البريطان رقماً قياسياً بانفجار أحد أجنحة البناء الذي كان يضم قسماً من القيادة العسكرية وجميع دوائر سكرتارية الحكومة . فقتل في هذه الحادثة وفي لحظة واحدة ، ما يقرب من مائتي شخص منهم بعض الضباط البريطانيين وأكثرهم من المدنيين .

ومن يعش ير ما ستلاقيه الولايات المتحدة الأمريكية من هؤلاء اليهود نتيجة لإحسانها اليهم : فسيلاقون إساءة تفوق إساءتهم لبريطانيا .

* * *

وقد وصف اليهود كثير من أنبيائهم بأنهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء . وقد

تكرور وصفهم بذلك في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .

إن الدولة اليهودية التي كانت أحسن حالاً من ناحية الصلاح والدين من أختها الإسرائيلية ، قد بلغ فيها الانحراف مبلغاً عظيماً في معظم أدوارها . وكان الهيكل والمعابد في مختلف أنحـاء البلاد مملوءة بالرجاسات ومسرحاً لإقامة الطقوس الدينية . [حتى ان جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنـه شفق على شعبه وعلى مسكنه . فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه] — اخبار الأيام الثاني : الإصحاح ٣٦/١٤ — ١٧ — .

وكان المسيح عليه السلام لا يأمن اليهود على نفسه (إنجيل يوحنا . الإصحاح الثاني : ٢٤) . ومما قاله عنهم : إن « الخلاص هو من اليهود » — إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع : ٢٢ — .

[وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الانبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم . أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم] — إنجيل متى — الإصحاح ٢٣ : ٣٠ — ٣٣ — .

وهاجم السيد المسيح كهنتهم لأنهم استغلوا عبـاد الله تجارياً . وجعلوا من الهيكل مغارة للصوص . فالصرافون الذين كانوا يجلسون إلى موائدهم في الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة الكبار ويبتزون الأموال دونما رحمة أو شفقة من الزائرين والمصلين والحجاج .

ومن تفريطهم في تهالكهم على المادة وحب المال أنهم كانوا يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل ليستولوا على ذلك المال . في حين أن الناذرين في أشد الحاجة الى ما يصرفونه على أنفسهم وعيالهم وآبائهم وأمهاتهم .

وها مـا قاله « برنابا [1] » في الفصل الثاني والثلاثين : [... أجـاب

---

١ - يهودي من قبرص ، اعتنق الديانة المسيحية وقطع علاقاته الدنيوية وابتدأ يبشر مع « بولس » في نشر دعوة المسيح بين الناس .

يسوع : ... تقولون لأولاد الآباء الفقراء « قدموا وانذروا نذوراً للهيكل . وهم إنما يجعلون نذوراً من النزر الذي يجب أن يعولوا بـــه آباءهم . وإذا أحب آباؤهم أن يأخذوا نقوداً يصرخ الأبناء ان هذه النقود نذر لله . فيصيب الآباء بذلك ضيق . أيها الكتبة [1] الكذابون المراءون .! إنكم تفعلون ذلك لتملأوا كيسكم ...] .

وقال تعالى في سورة البقرة : [ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقــاً كذبتم وفريقاً تقتلون ، وقالوا : قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلاً ما يؤمنون][2] .

قال مؤلفو قصص القرآن : [وكان من حقهم أن يعتبروا بما كان ، « أي بما حل فيهم بختنصر وغيره » . وأن يقابلوا النعمة بالشكران ؛ لكن أنى للنفوس التي طبعت على الشر أن تسترْوح الخير وتميل الى الصلاح ؟ وأنى لسلائل القوم الذين تمالأوا على يوسف وآذوا موسى من بعده أن تأنس نفوسهم الى الاطمئنان أو تنسى العدوان ؟ فإنهم ما عتموا أن رجعوا أدراجهم الى الشر ، وأخـــذوا يخبطون في حبال الظلم والبغي ، حتى اذا قام فيهم زكريا ويحيى نبيين رحيمين ، رسولين كريمين ، سفكوا دمها ! كأن بنفوسهم عطشاً الى الدماء ، وكأن وتراً بينهم وبين الأنبياء، وعادوا الى الشر والعدوان وعاد الله بهم الى المكر والانتقام وسلط عليهم « جودرز[3] » ، كما سلط على من قبلهم بختنصر ، وأعـــاد الكرة عليهم من ذهاب ملكهم ، وتخريب معابدهم . وهكذا مُزقوا كل ممزّق وتفرقوا

١ – كانت صناعة الكتابة ، بين اليهود ، في الاكثر مختصة بطبقة من الشعب . وفي أيام المسيح كانت وظيفتهم أن ينسخوا الكتاب المقدس . فاصبحوا اعلم بأحكامه من سواهم . وكانت هذه الصناعة ، في بادىء امرها مكرمة ، غير انه لما طالت بأهلها المدة ، انحرفوا عن واجباتهم الاصلية مما دعا المسيح لأن يكشف عن بعض أعمالهم .

٢ – الآية : ٨٧ – ٨٨ .

٣ – جودرز بن اشكان من ملوك فارس في القرن الأول للميلاد . اكثر القتـــل في اليهود وأنزل بهم الذل (الطبري ؛ ١ : ٥٨٠) .

تحت كل كوكب ؛ وضرب الله عليهم أبـد الدهر الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتدون[1]][2] .

قال كلرمون كانو – Clermont - Ganneau –: [لما دخل المسلمون أرض اليهودية لم يجدوا يهوداً. لأن حروب فاسبسيانوس وطيطوس وتراجان وهدريان واضطهادات مـلوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية والوثنية . بل أمعنوا في القضاء عليها . وذروا رمادها في الرياح الأربع ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية . وجميع اليهود الذين تراهم ، بلا استثناء ، هم من الطرّاء على فلسطين مؤخراً نزلوها بعد أن بادوا منها مدة خمسة عشر قرناً][3].

وقال المرحوم الاستاذ فارس الخوري : [فحكم التاريخ اذن على متمسك اليهود التاريخي الذي يتذرعون أن لهم الحق بالبلاد هو انه يستحيل عليهم القفز الى الوراء مدة عشرين قرناً وعشرين قرناً ملؤها الفراغ التام . وكل من أوتي ذرة من التعقل يستطيع أن يدرك حالاً ان هذه الحجة واهية عقيمة الجدوى . واننا لو أقررنا مبدءاً كهذا وتسامحنا به لما بقي شعب في موطنه . ويصدق هـذا في الدرجة الأولى على سكان القارتين الأميركيتين][4] .

---

١ – سورة البقرة : ٦١ .

٢ – ص ٢٢٠ – ٢٢١ لمؤلفيه : محمد احمد جاد المولى بك ، محمد ابو الفضل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، السيد شحاته ، القاهرة ١٩٣٩ .

٣ – خطط الشام : ١/٩٥ لمحمد كرد علي دمشق ١٩٢٥ .

٤ – مجلة الابحاث التي تصدر عن الجامعة الامريكية في بيروت عدد ديسمبر ١٩٤٨ ص٢٦.

نظرة عامة الى حكم الرومانيين في فلسطين

٦٣ق. م. ـــ ٣٩٥ م .

حكم الرومان بلاد الشام مـدة طويلة ، نعمت البلاد في معظمها بعهـد من الطمأنينة والاستقرار . ومع ذلك فإن عدد النازحين منهم اليها ، خلا الحـكام والموظفين ، كان قليلا لا يعبأ به . وأكـثرهم من التجار والسياح ورجال العلم . وكان هؤلاء يقيمون في الغالب في المدن والسواحل . ولذلك فـإن تأثر القرى بالحضارة الرومانية كان ضئيلا . وكان هدف الرومـان الرئيسي في بلاد الشام ، ومنها فلسطين ، أن يجعلوها قاعدة ضد العدو وأن يستثمروا مواردها . فكانت هناك ضرائب للرؤوس دون تفرقة بين ذكر وأنثى (من سن ١٤ للذكور و ١٢ للإناث حتى سن ٦٥) ، وخراج الأملاك ١٪ وعشر الغلة [١] ، وضرائب أخرى تجبى على المياه والطرق وعلى التجار وأصحاب الحرف. وعرف ملتزمو الأعشار والضرائب عند الرومانيـين بظلمهم وصرامتهم [٢] . وكانت هناك ضرائب على الصادرات وضرائب على الواردات تدفع في الحال قبل أن تنقل البضائع خارجأو داخل بوابة المدينة .

وكانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية ، وفي حقلي الأدب والتجارة فقـد ظلت اللغة اليونانية اللغة السائدة ، واما لغة السوق والبيت فكانت الآرامية ،

---

١ - خطط الشام : ٤٨/٥ دمشق : ١٩٢٧ . وتسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للأب هنري لامنس اليسوعي : ٢٤/١ .

٢ - قاموس الكتاب المقدس ١٠٣/٢ .

كما كانت لغة القبائل في جنوبي فلسطين العربية .

ومن الميراث اللغوي الذي أخذناه عن اللاتينية بعض كلمات مثل « دينار Denarius » و « الفلوس والمفرد « فلس » ، وأصله من اللفظ اللاتيني Follis ومعناه كيس النقود ، وقنصل وبطرس – بمعنى صخر – والرطل والأوقية والفسطاط والبريد والسجل والشرطي وغيرها .

سكان سورية :

كان عدد سكان بلاد الشام ، قبل عصر الإمبراطورية الرومانية يقدر من ٥ – ٦ ملايين نسمة ، بينهم ما يقرب من مليون في فلسطين . وفي القرن الأول للميلاد ، كان سكان يافا والجليل والقدس وغور أريحا وبلاد نابلس وعمّان خليطاً من المصريين والعرب والفنيقيين [١] . وفي القرن الثاني للميلاد كان في الشام نحو سبعة ملايين نسمة [٢] ، وهو أعلى رقم وصل اليه سكانها في العصور القديمة . وكان عدد سكان شرقي الأردن اكثر مما هو عليه الآن . فقد بلغ عددهم نحو مليون وربع مليون نسمة [٣] . فبينما يبلغ عدد السكان في مدينة جرش ٣٠٠٠ نسمة في الوقت الحاضر ، بلغ عدد سكان هذه المنطقة في أيام الرومان ما يقرب

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٢/٣٦٩ .

٢ – في بلاد الشام اليوم نحو ١١،٥٨٩،٣٦٤ نسمة . توزع على اقسامها السياسية كما يلي :

المملكة الاردنية الهاشمية	:	١،٧٩٩،٥٢٥	كما قدرت في ١/١/١٩٦٤ ؛ وذلك بما فيهم العائدون الفلسطينيون
قطاع غزة	:	٤١٥،٧٨٢	
الجمهورية العربية السورية	:	٤،٩٦٩،٠١٠	
الجمهورية اللبنانية	:	١،٩٣٢،٧٤٧	
لواء الاسكندرون	:	٢٤٠٠،٠٠٠	(تقديراً) مساحته ٤٨٠٦ كم
القسم المنتهب من فلسطين	:	٢،٢٣٢،٣٠٠	تقديرات عام ١٩٦٢ . بينهم ما يقرب من ٢٤٨،٠٠٠ من العرب

المجموع العام لسكان بلاد الشام : ١١،٥٨٩،٣٦٤ نسمة .

٣ – ص ١٢٨ من كتاب : The River Jordan . Nelson Glueck Philadelphia 1945 .

من ٢٥٠،٠٠٠ نسمة[١].

وكان الفلاحون وسكان القرى يعيشون على زراعة أراضيهم ورعاية أشجارهم وزرعهم . وكان هناك بعض القرى يملكها كبار المـلاكين الذين يعيش القرويون في كنفهم .

المدن الفلسطينية في عهد الرومان :

إن الوصف الآتي لمدينة « كفرناحوم » – الواقعة على ساحل بحيرة طبرية –، وقد تقدم ذكرها ، يعطينا صورة واضحة عمـا كانت عليه المدن الفلسطينية في عهد الرومان :

[شوارعهـا ضيقة مرصوفة بالحجر الأبيض . والبيوت صغيرة متلاصقة في ارتفاع متقارب بحيث تستوي سطوحها . وغالباً ما تكون فوق السطح عليـة للضيف القادم ، يستطيع أن يصل اليها من الخارج بدون إزعاج أهل البيت عن طريق درجات خارجيـة توصل الى السطح . وأحياناً كانت الدرجات الواحدة توصـــل الى سطوح عـــدة منازل متقاربة في مستواها ، لا يفصل السطح عن السطح إلا حواجز صغيرة . امـا السطح فهو المكان المفضل للجلوس بعد ان تنكسر حـــدة حرارة الشمس وتميل الى المغيب . وهناك تجتمع الجـــارات والصويحبات ويجلسن معاً وهن يلكن الأحاديث .

وفي أثناء النهار تستطيع ان تستمع الى ضجيج التجار في سوق المدينـــة ، وأسراب الباعة المتجولين وهم يذرعون طرقات المدينة الملتوية الضيقة وينادون على سلعهم التي يحملونها على رءوسهم أو على الدواب ، ويعلو بين الحين والحين نباح الكلاب ومشاجرات الصبية ومساومات الباعـــة مع المشترين . وهناك سوق للأسماك وقسم منه للتمليح وعمل « الفسيخ » .

وهناك حي الصيادين . ولعلك تتخيلهم وهم ينظفون شباكهم وقـد فاحت رائحتها . أما الشحاذون فما أكثرهم ! انك تصطدم بهم في مسيرك بين كل خطوة

---

١ – مجلة الرائد العربي العدد الحادي عشر ايلول ١٩٦١ ص ٣٩ .

وأخرى. وإنك لا ريب تشمئز وتتقزز من قروحهم الفاغرة والصديد يسيل منها والكلاب الأليفة تلعقها في رمق .

ولن تعدم في مسيرك أن ترى جندياً رومانياً يدق الأرض في قدميه في اعتداد، وقد لمعت خوذته في أشعة الشمس بينما الناس يفسحون له الطريق][1].

[ومدينة كفرناحوم أنيقة وكبيرة بمبانيها الفاخرة ومجمعها الفخم بأعمدته الرخامية الذي ما تزال خرائبه باقية حتى الآن. ولكونها مركزاً تجارياً هاماً[2] فقد بلغ تعداد سكانها من خمسة عشر الى عشرين الفاً من النفوس][3] .

* * *

ومن المدن التي بناها الرومان أو أعادوا بناءها في فلسطين :

« ايليا كابيتولينا – Alia - Capitolina القدس ، « نيابوليس Neapolis : نابلس » ، « فصايلس – خربــــة فصايل » ، « يامنيا – Iamnia : يبنا » ، «طيبارية – طبرية » ، « اليثروبوليس – Eleutheropolis : بيت جـبرين » ، « ديوسبوليس –Diospolis : اللد » ، « صفوريس – Sephoris : صفورية » ، « قيصرية – قيسارية » ، « عمواس – القبيبة »[4] و « سبسطية » وغيرها .

وبهذه المناسبة نذكر انه كان في فلسطين ، في غربي الأردن ، في نحو القرن الرابع للميلاد (٣١) مدينة و ٤٢٢ قرية .

هذا وما زال الكثير من مدن وقرى بلادنا تحتفظ باسمائها التي عرفت بها في عهد الرومان أو حرفت تحريفاً ظاهراً نذكر منها :

---

١ – فلسطين كما عرفها المسيح ٧٧ – ٧٨ بتصرف للدكتور عزت زكي . مطبعــة النيل المسيحية . القاهرة .

٢ – كانت تمر بكفرناحوم الطرق الآتية : من الشمال ؛ دمشق ، العراق ولبنان . ومن الجنوب ؛ الجزيرة العربية ، مصر ، فلسطين وشرقي الاردن .

٣ – فلسطين كما عرفها المسيح ص ٧٩ .

٤ – وهي غير « عمواس » الواقعة على طريق يافا – القدس . وتقوم مقام عمواس الرومانية هذه اليوم ، قرية « القبيبة »الواقعة في الشمال الغربي من القدس ، وعلى مسيرة ١٤ كيلومتراً منها .

أولاً:

« دَفْنا – Dephne »، «عكبرة – Acchbare »، « الجش – Gishala »، « ميرون – Meroth »، « تليل – Thella »، من أعمال صفد التي كانت تعرف حينئذٍ باسم « صفت – Sepht ».

« عَمْقا – Kefar Amiqo »، البيرْوة – Biri »، « كفر سُمَيْع – (Ca) Parasima »، «يانوح – Yanoah[1] »، « مجدل كروم – Bet Kerem» من أعمال عكا .

« كفر مندة – Kfar Mandi »، « معلول – Mahalol »، « الرينة – Rani »، « نين – Nain » من أعمال الناصرة .

« عيلبون – 'Ailabo »، « الطابغة – Heptapegon »، « ياقوق – Huqoq »، « كفر سبت – Kfar Shubtay »، « غرين – Kfar Nimra »، « عولم – Ullama »، « عِيا – Kfar Yamma »، و «سمخ – Kfar Samah » من أعمال طبرية .

ثانياً :

« إعبلّين – Abelin »، « طبعون – Tib'on »، و « شفاعمرو –[2] Shefar'am » من أعمال حيفا. وذكرت حيفا[3] باسم « ايفا – Efa » لأول مرة

---

١ – « يانوح » كلمة سامية قديمة بمعنى « يرتاح » . وفي الجمهورية اللبنانية قريتان تحملان اسم « يانوح » . الاولى من اعمال محافظة جبل لبنان والثانية من أعمال صور .

٢ – ذكرها ياقوت باسم « شفر عم » كانت مقراً لقيادة صلاح الدين الايوبي عام ٥٨٦ هـ : ١١٩٠ م . حينما حارب الصليبيين الذين نزلوا عكا .

٣ – مر في حيفا الرحالة « ناصر خسرو » المتوفى عام ٤٣٨ هـ: ١٠٤٧ م. وذكرها بأنها قرية بها نخل وأشجار كثيرة . وعمال يصنعون السفن البحرية المسماة بالجودي ، وأن صياغ العجم يستخدمون الرمل المسمى بالرمل الملكي ، الذي يكثر في الطريق بين حيفا وعكا . وذكر الصليبيون حيفا باسم « Cayphas» وفي القرن الثامن عشر شيد الظاهر العمر فيها قلعة حصينة. ولما مرَّ بها « كتشنر » رئيس بعثة التنقيب الفلسطينية عام ١٨٣٣ م. قال انها بلدة فقيرة يسكنها ٤٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٠٤ م . لم يزد عدد سكانها عن عشرة الاف نسمة ، بلغوا نحو ٢٠،٠٠٠ قبيل الحرب العالمية الأولى. بينهم ٥٠٠٠ يهودي و ٧٠٠ اوروبي والباقي عرب.

في القرن الرابع للميلاد. ويرجح بعضهم أن بقعتها قديمة أنشئت في عهد الفنيقيين.

وكانت تقع في ظاهر حيفا ، في العهد الروماني ، المدينتان الآتيتان :

(١) « سيكامينيوم — Sycaminum » . يرى بعضهم ان بقعتها تعرف اليوم باسم « تل السمك » على مسيرة نحو خمسة كيلومترات للغرب من حيفا . والتل المذكور يحتوي على [تل أنقاض . أساسات أبنية . أرضيات مرصوفة بالفسيفساء . مرسى وصخور منحوتة . مقبرة منقورة في الصخر ، الى الشرق أساسات كنيسة أرضيتها مرصوفة بالفسيفساء بجانب الطريق العمومي] .

(٢) « قسطرا ساماريتانورم — Castra Samaritanorum » : في الشمال من سيكامينيوم .

ثالثا :

«سيلة الظهر — Kfar Sila» ، « الفندقومية — Pantacomia » ، « عطارة — Atarus » ، « جلبون — Gelbus » ، « عرّبونه — Araba » ، « بيت قاد — Bet Hacath » من أعمال جنين .

« عورتا » ، « يتما » ، «بيت دجن — Bet Dajon » ، « عقرباء — Acrabein » ، « قراوى — Coreae » ، « بيت فوريك — Perekh » ، « تلفيت — Talfa » و « ياسوف — Yishub » من أعمال نابلس .

« قلقيليه — Calecailea » ، « جلجوليه — Galgulis » ، « عنبتا » ، « كفرقاسم» ، «بيت ليد — Lod» ، «كفرسابا — Capharsaba » ، و « جت — Gitta » من أعمال طول كرم[1] التي كانت تعرف حينئذ باسم « بيرتا سوريقا — Birta-Soreqa » .

رابعا :

« برزيت — Berzets » ، « عارورة — Aruir » ، « جمالا — Caphar Gamala » ، « بيتللو » « بيت اللو » — Ilon » ، « بيت لقيا —

---

١ — تحريف (طوركرم) وفي عام ٧٠٥ ﻫ : ١٣٠٤ م . أوقفت هذه القرية على المدرسة الفارسية ، التي انشأها الامير فارس البكي نائب السلطنة المصرية بالأعمال الساحلية .

« Kfar - Leqtaya » ، و « جفنة — Gophna » من أعمال رام الله .

« كسلة — Chasalon » ، « قبو — Qobi » الواقعة غربي « بتير » من أعمال القدس .

« دورا[1] — Adora » ، « زكريا — Kfar Zecharia » ، « بيت نتيف — Beth Letepha » ، و « زكرين — Kfar Dikrina » من أعمال الخليل .

خامساً :

« رنتيه » ، « بدرس — Petros » ،

« السافرية — Safarea » ، « إدنبة — Denab » ، « رنتيس Remfthis » ، « بيت نوبا — Bethannaba » ، « عنابة — Betho Annabà » ، « مدية — Modin » ، و « صرفند العمار — Serefin » من أعمال الرملة ويافا .

سادساً :

« السوافير — Safir » من أعمال غزة .

سابعاً :

والأماكن الآتيـة تقع في قضاء بئر السبع : « عبـدة — Eboda » ، « سبيطة — Isbeita » و « الخلصة — Elusa » . وغيرها .

* * *

وكان معظم سكان المدن يرتدون الملابس اليونانية ، تماماً كالملابس التي يرتديها سكان الاسكندرية وروما وأثينا وتتكون من الرداء والعباءة ، وعلى الرأس كانوا يضعون القبعة أو الكاب . وفي الاقدام كانوا يحتذون الصنادل أو الأحذية المكشوفة . اما الأثاث فكان يوناني الطراز .

وقيل ان المتجول في مدن فلسطين في أيام المسيح كان يشعر وكأنه يتجول في روما أو في أثينا .

---

١ — ارقها الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين الايوبي على الحرم الابراهيمي عام ٦١٢ هـ .

(كانت نساء الريف يخرجن سافرات ، كما هي الحالة اليوم . اما نساء المدن فكن يلبسن براقع تقتصر على الرأس فقط، أو تحيط بالرأس وتتدلى على الاكتاف بما يشبه طريقة الحجاب الحديثة . ويظهر الوشم أحياناً على تماثيل النساء وغالباً ما يكون على الصدر وهي عادة لا تزال موجودة .

كانت انواع اللهو في المدن اليونانية الرومانية والساحلية هي من النوع اليوناني الروماني العادي كالمصارعة وسباق العربات والمباريات الموسيقية والتمثيلات المسرحية . وكان ركوب الهجُن شائعاً في المناطق المجاورة للصحراء . وكان الصيد محبباً لدى الأغنياء واستعملت كلاب الصيد أحياناً . اما الحمامات العامة التي كانت قد ظهرت في سورية السلوقية فقد ظلت موجودة في الفترة الرومانية[1]) .

وقد عرفت « قيصرية – قيسارية » براقصي الباليه ، وغزة بموسيقيها ، وعسقلان بمصارعيها .

بنى الرومان في فلسطين المعابد والهياكل وشيدوا أيضاً أبنية أخرى كالحصون والقلاع والقصور والمسارح لتمثل فيها الروايات ، والمعاهد العمومية والحمامات والاسواق العمومية ذوات الأعمدة والأقواس الجميلة وغيرها . الا ان الدهر طمس تلك الآثار . وبقي قسم كبير من بعض القلاع والحصون وغيرها من الآثار قائماً في القرن الماضي ، ثم لم يزل البناؤون يقطعون حجارتها الضخمة لأبنيتهم المستحدثة حتى كادوا يطمسون آثارها .

واما في شرقي الأردن فبقايا آثار الرومان فيها ما زالت كثيرة ومعظمها يعود بتاريخه الى القرن الثاني للميلاد . منها اطلال معبد لزفس والمسرح اليوناني وكلاهما في عمّان[2] ، ومنها معظم آثار « ام الجمال » ومعبد جرش وحماماتها

---

١ – تاريخ سورية ولبنان : ٣٣٢/١ – ٣٣٣ بتصرف .

٢ – وفي قلب المدينة يشاهد السائح المدرج اليوناني الذي بني في الصخر بحجارة طبيعية جمعت من المقالع القريبة اليه ؛ والذي يعتبر اكبر مدرج في الشرق اذ يتسع لحوالي عشرة الاف شخص .

واما مسرحها الكبير فقد بني في أواخر القرن الأول للميلاد في عهد الامبراطور « دوميتيان – Domitian ٨١–٩١ م » . ومما يشاهده السائح في جرش « بوابة النصر » التي أقيمت عام ١٣٥ م . كما يشاهد قاعة البرلمان التي تُدعى بالفورم – Forum ، ويمر بالشوارع التي تنتصب الى جانبها الأعمدة التي تبهر الناظر اليها ، ويشاهد آثار عجلات العربات الرومانية على بـــلاط الشارع ، ثم يسير الهوينا داخل ذلك الشارع متجهاً بخشوع ووقار نحو معبد « أرتميس » الذي لا يضاهيه معبد روماني آخر ... وغيرها من الآثار في مختلف أنحاء شرقي الأردن .

الزراعة :

عرفت فلسطين في مختلف عهودها أنها بلد زراعي ، اتسمت حياة العامة من أهلها بالطابع الريفي ، فكان الرومانيون يُرَغبون المزارعـين في غرس الكرم والزيتون وغيرهما من المحاصيل الزراعية . فانكب أهل الجبـــال والسهول على الزراعة واستثمروا اراضيهم المشهورة بخصبها وجودة تربتهـــا كمرج بني عامر والسهل الساحلي .

وأشهر مزروعات البلاد الحبوب التي كانت ، كما هي الحالة اليوم ، غـــذاء السكان الرئيسي ، كما كان يزرع فيها القطاني والخضار والتوابل وبعض الارز على السواحل فضلاً عن اشجار الكرمة والزيتون والتين والخوخ والنخيل والليمون الحامض والعُناب الىجانب أشجار الصنوبر والسرو والعفص والخروب والعرعر وغيرها . وقد زرع البابيروس في الغور. واستخدم كمادة في الكتابة ، واستمرت زراعة الكتان والقطن والبلسان وغيرها . وكانت فلسطين تصدر الكتان الذي يعتبر من أجود الأصناف . وقد بعث الرومان بأغصان البلسان الى روما كعلامة لانتصاراتهم في حروبهم مـــع اليهود . كما وأن « طيطوس » وضع الحراس على مزارع البلسان لحمايتها من العابثين .

وكانت نبتة « النعنع » منتشرة في فلسطين ، كما كانت أراضيها ، كما هيالحالة اليوم ، تغطيها شقائق النعمان الحمراء التي دعاها الإنجيل باسم « زنابق الحقل » .





وكانت « طاريشا – Taricheae : المجدل » الواقعة على ساحل بحيرة طبرية مشهورة بصناعة الصباغة . وعرفت بيسان بنسيج الكتان ، والطنطورا وقيسارية واللد وعكا وغزة وعسقلان بنسيج الحرير وصبغه بالأرجوان ؛ فكانوا يأتون بالحرير غير المنسوج من الصين ، ينقله التجار الى موانىء سورية (بيروت ، صيدا ، صور ، غزة وغيرها) فتصبغه وتنسجه معامل الشام . وكانوا يصنعون الفخار في جرش ، والزجاج من الرمل الساحلي قرب عكا . وكان سكان الساحل الشامي يصبون الزجاج في القوالب صباً . ولما عرفوا طريقة صنعه بالنفخ ، في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، شاع استعماله جنباً إلى جنب مع طريقة الصب [1] .

واستعمل الفلسطينيون أوراق البردي في صناعة الحبال كما استعملوه للكتابة.

ومن موارد البلاد المعدنية الملح المستخرج من السواحل ، والاسفلت أو الزفت من البحر الميت ، والنحاس من وادي عَرَبة وفي جوار أريحا ومنابع الأردن كما استخرجوا الحديد في العربة وفي الجبال المشرفة عليها .

وبحسب ما ورد في الإنجيل مَتّى ٢٠ : ٢ كان الدينار الروماني هو معدل الإيجار اليومي للعامل الواحد . وقيمته تعادل نصف ليرة لبنانية أو ستة أو سبعة قروش مصرية [2] .

التجارة :

كانت المدن الساحلية ، والمدن التي تقع على طرق القوافل كالبتراء وجرش وغزة وغيرها أغنى مدن البلاد . وتجارها يأتون في المرتبة الأولى في ثروتهم

---

١ - يعود تاريخ صناعة الزجاج الى اكثر من ثلاثة آلاف سنة خلت . واختلف المؤرخون حول البلاد التي ظهرت فيها هذه الصناعة . فقد عرفها المصريون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ؛ واخذت صناعة الزجاج في العراق ، تتقدم ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد .

وقد ذكرنا في فصل سابق وصف «بليني – Pliny» لكيفية اكتشاف الفنيقيين مادة الزجاج أو ما يشبهه بالقرب من حيفا .

٢ – قاموس الكتاب المقدس : ٣٨٣/١ طبع عام ١٩٦٤ .

وغنام. يفوقون بذلك كبار الملاك ورجال الصناعة. وكانت التجارة كالصناعة، فردية وأما الشركات فكانت نادرة .

وأهم صارات البلاد ، نبيذ غزة وعسقلان فكان يصدر الى مصر ثم الى بلاد الحبشة والهند ، والكتّان المصنوع في بيسان وارجوان قيصرية وتمر أريحا وزفت البحر الميت الذي كان يرسل لمصر .

واشتملت الواردات على الخزف من اليونان وإيطالية ، والمرّ والبخور والبهارات من جنوب الجزيرة العربية وما جاورها ، والجواهر والسكر والأرز من الهند ، والحرير من الصين والسمك المجفف من مصر وغيرها .

وكانت الأسماك مصدر تجارة لا بأس بها لسكان بحيرة طبرية؛ فالسمك الذي يصطاد من هذه البحيرة كان يملح ويحفظ في جرار من الخزف في بلدة « المجدل »، المار ذكرها ، ليصدر بعد ذلك الى روما واسبانيا . إلا أن عكا كانت أهم مركز لتجارته . وكان السمك جزءاً كبيراً من الغذاء الشعبي لسكان السواحل .

ومما ساعد على ازدهار التجارة سهولة النقل لكثرة الطرق والجسور التي أنشأها الرومان ، وتقدم الصناعة وحالة السلم والإستقرار التي استقرت في الإمبراطورية نحو قرنين من الزمان وغيرها .

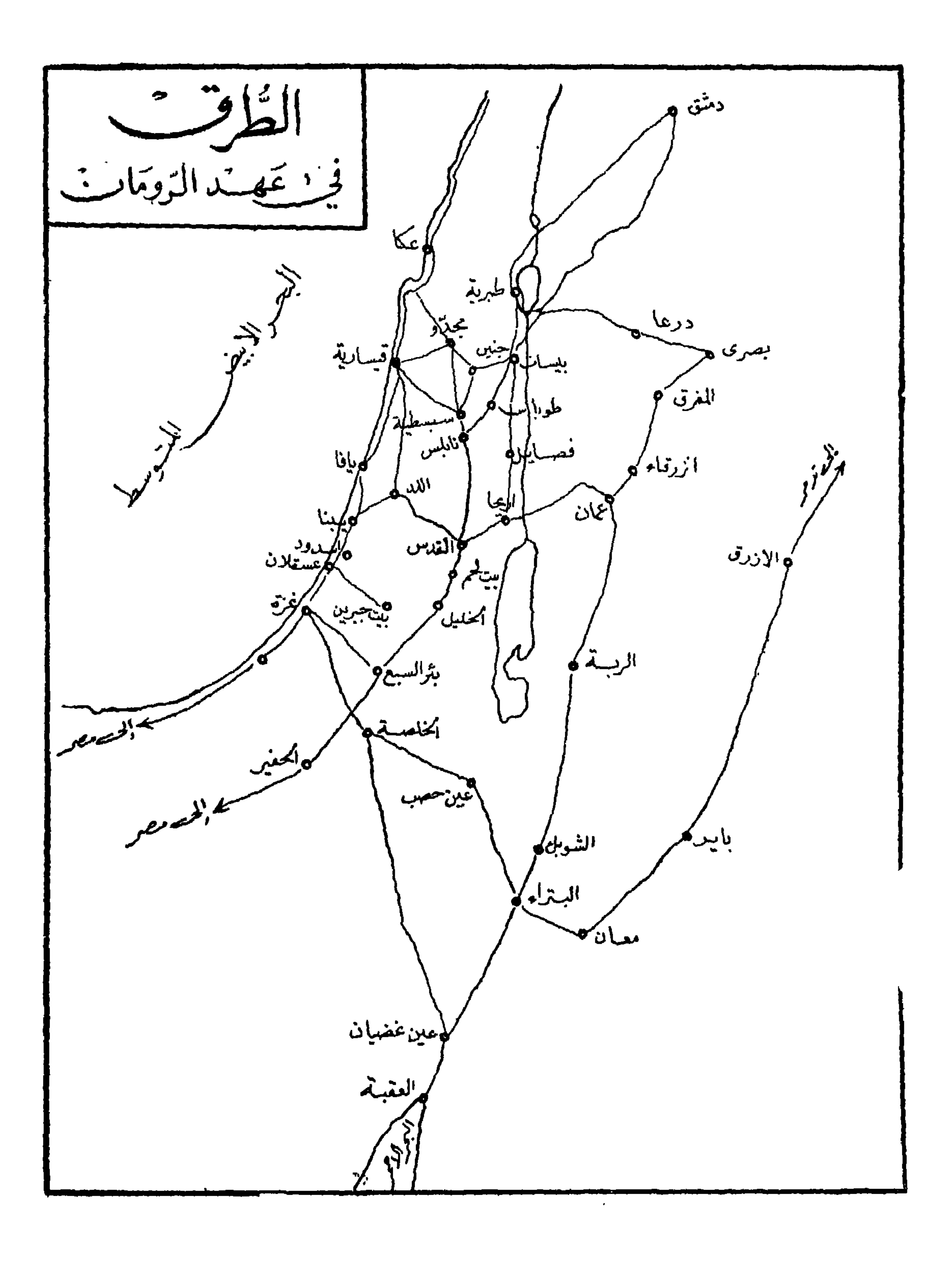
واما الأسفار البحرية فلم تكن أمينة ومريحة . وكانت العادة أن تتوقف الأسفار في البحر من شهر تشرين الثاني حتى أوئل آذار خشية عواصف الشتاء . وكانت السفن التي تحمل على ظهرها مئات الأشخاص ، والمركب الذي لم يزد طوله عن ٢٠٠ قدم يعتبر مقياساً جيداً لسفينة معتدلة الحجم .

* * *

وكان النقد المستعمل هو « الأورليوس – Aurues » الذي سكه قيصر . (قتل قيصر عام ٤٤ ق. م.) . وفي عهد قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) سك نقد جديد محل الأورليوس ، عرف باسم « صوليدوس – Solidus » أو « بيزنت – Bezant » يزن ٤،٥٥ غرامات من الذهب تعادل قيمته ٨٣،٥ من







الطرق
في عهد الرومان
دمشق
عكا
طبرية
مجدو
جنين
بيسان
درعا
بصرى
قيسارية
المفرق
طوباس
سبسطية
نابلس
فصايل
يافا
ازرقاء
اللد
يبنا
اريحا
عمان
القدس
عسقلان
بيت لحم
غزة
بيت جبرين
الخليل
الازرق
بئر السبع
الربة
الخلصة
الحفير
الى مصر
الى مصر
عين حصب
الشوبك
باير
البتراء
معان
عين غضيان
العقبة
البحر الأبيض المتوسط

(١) طريق الساحل : وهي امتداد للطريق الساحلية الممتدة على الساحل السوري . مبتدئة من انطاكية ومنتهية في رفح ومنها الى مصر . وتمر الطريق المذكورة بعكا وقيسارية ويافا ويبنا واسدود وعسقلان وغزة ورفح . وعند قيسارية كانت الطريق تنحرف الى الداخل فتصل الى رأس العين واللد وتلتقي مع الطريق الساحلية في « يبنا » .

ويعتبر القسم الممتد حتى عكا أول طريق أنشأه الرومان في فلسطين . وكان ذلك في عهد الامبراطور نيرون Nero ٥٤ — ٦٨ م .

(٢) الطريق الجبلية وتبتدىء من دمشق — بيسان (اما عن طريق طبرية أو عن طريق جسر المجامع) ، ثم الى زرعين ، جنين ، قباطية ، سبسطية ، نابلس ، حوارة ، البيرة ، القدس ، بيت لحم ، الخليل ، بئر السبع ، الحفير ، سيناء ومصر .

(٣) طريق الغور : وتبتدىء في بيسان وتنتهي في أريحا ، مارة بفصايل . وهناك طريق أخرى في الغور ، تبدأ من بيسان وتنتهي في نابلس مارة بـ «تياسير» و « طوباس » .

(٤) عَمّان — القدس .

(٥) القدس — أريحا .

(٦) عمّان — الربّة (بجوار الكرك) ، ذات راس ، عين نجِل (بجوار الشوبك) ، البتراء ، العقبة .

(٧) العقبة — عين غِضْيان (في وادي العربة) — غزة .

(٨) بُصرى — درعا — بيت راس — أم قيس — طبرية .

(٩) بُصرى — المفرق — خربة السمراء — الزرقاء — الرصيفة .

(١٠) البتراء — معان — باير — الأزرق — تدْمر .

(١١) البتراء — وادي عربة — عين حِصْب (في العربة) — الخَلَصَة — غزة .

وبعض هذه الطرق يتصل بالطرق الطويلة التجارية التي تخترق الحجاز وتهامة





فيها مدرسته لتدريس الديانة المسيحية وليواصل عمل « أوريجانس » . وكانت مكتبة المدرسة تضم نحو ثلاثين ألف كتاب ، كثير منها من خط يد بمفيليوس مديرها . واشتهر من طلابه « يوسابيوس » المؤرخ الفلسطيني الآتي ذكره .

وأنشأ أسقف القدس « اسكندر » المتوفى عام ٢٥١ م مدرسة دينية في القدس مع مكتبة كبيرة جمع اليها الكتب الدينية المعروفة في ذلك الوقت .

(كان الأستاذ، في ذلك الوقت، يجلس على كرسي عالٍ في حين كان الطلاب يجلسون على مقاعد واطئة . وكانت السنة المدرسية تبدأ في الخريف وتدوم دون انقطاع حتى بداءة الصيف ، ثم تتبع ذلك العطلة وتدوم أربعة أشهر في فصل الحر. وكانت الدروس تدرس في الصباح، كما كان بعض الطلاب الكبار يستمعون الى المحاضرات بعد الظهر كذلك . وفي أيام الأعياد وميلاد الملوك وغيرها كانت المدارس تقفل أبوابها ، وتقام مصارعات الوحوش والألعاب والروايات في دار التمثيل .... ومع انه كان من المسموح للطلاب في غزة أن يحضروا التمثيل فقد كان من عادة أساتذتهم أن لا يحضروا . وكانت الراحة يوماً واحداً في مناسبة الأعياد الثانوية .... وكانت تفرد أيام للخطابة بين حين وآخر يلقي فيها الأكفاء من الطلاب أو الأساتذة نماذج خطابية ، ويدعى لسماعها الأصدقاء والآباء . وكان من الصعب حفظ النظام في تلك المناسبات. فكان يحدث أن يقبل الخادم ليدعوا الطلبة للدخول ولكنهم كانوا يظلون في الخارج يغنون، وكثيراً ما كانوا يتهامسون أثناء الخطابة متحدثين عن سائقي العربات والخيول والراقصين ، أو يصفقون للأستاذ في غير موضع التصفيق . وكثيراً ما كان الطلاب – كما هم في العصور الحديثة يستمرئون الكسل ، كما كانت المشاجرات شائعة بينهم .

وفي القرن الرابع نفسه كان الآباء كثيراً ما يرسلون أبناءهم الى الفراش دون عشاء عقاباً لهم. وكان من الإجراءات التأديبية الفعّالة حرمان المذنب من الذهاب الى الحمّامات العامة [1] .

---

١ – الامبراطورية البيزنطية تأليف نورمان بينز . تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ص ١٩٩ – ٢٠١ بتصرف القاهرة ١٩٥٠ .

* * *

وظهر في فلسطين ، في عهد الرومان ، علماء وقديسون كثيرون منهم :

(١) **المورخ يوسيفوس بن ماتاتياس** أحـــد كهنة القدس . وُلد في القدس عام ٣٧ م . وتوفي عام ١٠٠ م . ومع انــه يهودي ألحق بعائلة « فاسبسيانوس » الرومانية واعتبر كتابع لها ، يتمتع بحقوق المواطن الروماني . ودُعي « يوسف فلافيوس – Josephus - Flavius » له مؤلفات عن تاريخ اليهود وحروبهم. منها كتاب باللغة اليونانية في « تاريخ عاديات اليهود : Joudaike Archaioloigia » تنتهي حوادثـــه بسنة ٦٦ للميلاد . وكتاب آخـــر في تاريخ حروب اليهود « Periton Joudaikou Polemou » من استيلاء انطيوخس على القـــدس سنة ١٧٠ ق.م. إلى الاستيلاء عليهـــا مرة ثانية في عهد « طيطس – Titus » سنة ٧٠ ب.م. وكان يوسيفوس شاهد عيان لهذه الحادثة .

(٢) **القديس يوستينوس** : في نحو ١٠٠ – ١٦٥ م. ولد في نابلس من أبوين وثنيين . نشأ وترعرع فيها . وبعد تنصره كرّس حيـــاته للدفاع عن المسيحية وشرع يتجول و يُبشر بها . ثم حطت رحاله في روما ، في عهـــد « أنطونينوس بيوس ١٣٨ – ١٦١ م. » وأسس فيها مدرسة له يدرس فيهـــا الفلسفة المسيحية التي برع فيهـــا . وقد بدأت مدرسته متواضعة فكان يستقبل طلابه في بيته ويعلمهم بدون أجر . وله مؤلفات دينية كثيرة . منها حواره مـــع « تريفون » الحاخام اليهودي ، الذي يعتبر أقدم دفاع مسيحي ضد تهجمات اليهود . ويظهر منه ان « يوستينوس » أفحم اليهودي حتى أبكمه .

(٣) **يوليوس الافريقي** : هو يوليوس سكتوس افريكانوس . ولد في القدس لا في افريقية كما ارتأى بعض العلماء المحدثين [١] . فالواقع ان أسرته كانت في افريقية ثم هـــاجر أجداده الى فلسطين وسموا فيها الإفريقيين . التحق بالجيش الروماني ضابطاً وحارب مع جيوش سبتيموس سويروس في شمال سوريـــة عام

---

١ – آباء الكنيسة الجزء الثاني لأسد رستم ص ١٥٠ بيروت ١٩٦٢ . وص ٣٩ – ٤٠ من الجزء الثاني ، المجلد الرابع في تاريخ سورية ليوسف الدبس بيروت ١٨٩٩ م .





أقام في روما . وهو معاصر لـ (شيشرون [1]) الذي مدحه بحماسة .

و « ارسطون البلاوي » نسبة إلى « بلا – Pella » وهي « طبقة فحل » الحالية . وهو من كبار أعيان النصف الأول من القرن الثاني . تعلم في الاسكندرية . وصنف في حوالي السنة ١٤٠ م دفاعاً عن النصرانية ضد تهجمات اليهود وانتقاداتهم [2] .

---

١ – شيشرون – Cicero اعظم خطباء الرومان وادبائهم . عاصر يوليوس قيصر . ويعد من اعظم من أنجبتهم روما علماً وتهذيباً . ولا يزال ما كتبه شيشرون يعد نموذجاً لأنفس اساليب الانشاء البليغ للأدباء من جميع الأمم .

٢ آباء الكنيسة ١/٦٣ بيروت ١٩٦١ .

مملكة تدمر

تقع بلدة تدمر (بها الآن ، حسب احصاءات ١٩٦٠ ، « ٩٨٣٥ » نسمة ») شرقي حمص على مسافة ١٥٥ كيلومتراً منها . وتعلو عن سطح البحر ٤٠٠ متر . وهي قديمة جداً ومن أجمل مدن العالم. وقد قيل إن بانيها هو « سليمان بن داود » وهذا غير صحيح. فقد ورد اسم تدمر في النصوص القديمة التي وُجدت في مدينة « ماري[1] » وتعود بتاريخها إلى القرن العشرين قبل الميلاد ونص حثي يعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، وفي نص اشوري يعود الى القرن الحادي عشر قبل الميلاد . ويظن أن كلمة « تدمر » لهجة قديمة لكلمة « تمر » . وذلك لوجود النخيل فيها بكثرة . وقد رأى بعض الباحثين انه لما تغلب عليها الإسكندر أطلق عليها اسم « بالميرا — Palmyra » من لفظة « بلما — Palma » ومعناها النخل . وذلك لما كان يكتنفها من غابات النخيل الكثيفة .

* * *

والتدمريون من العرب شأنهم في ذلك شأن الأنباط . ومن أهم الأسباب التي دعت لنشوء تدمر وقوعها على الطريق الرئيسي بين العراق وسوريا . غير انها لم تزدهر تماماً الا بعد انحطاط البتراء . إذ تحولت اليها الطرق التجارية فكانت السفن تضع حمولتها في الخليج العربي ثم تنقله الزوارق صاعدة في الفرات الى

---

١ — تقع في سوريا ، يعرف موقعها اليوم باسم « تل الحريري » للشمال من بلدة (البوكال) على الشاطىء الغربي من الفرات . تعود بتاريخها الى حوالي منتصف الالف الثالث قبل الميلاد .





فلسطين في عهد الامبراطورية الرومانية الشرقية

٣٩٥ م. — ٦٣٦ م.

انقسم الرومان عام ٣٩٥ م. الى قسمين : الدولة الرومانية الشرقية والدولة الرومانية الغربية . وكانت سورية ، ومنها فلسطين ، تابعة للدولة الرومانية الشرقية [١] . وكان الروم يولون عليها حكاماً باسمهم جعلوا مركزهم في دمشق ، وبقيت في حوزتهم الى أن فتحها العرب المسلمون في القرن السابع . والمرجح ان بر الشام كان مقسوماً في نحو عام ٤٠٠ م. الى الأقسام الإدارية الآتية :

(١) فلسطين الأولى — Palaestina Prima . وتشمل ديار نابلس والقدس والخليل والسهل الساحلي حتى رفح . وعاصمتها « قيسارية » .

(٢) فلسطين الثانية — Palaestina Secunda وتشمل الجليل وأم قيس وقلعة الحصن وطبرية وعاصمتها بيسان .

(٣) فلسطين الثالثة Palaestina Tiertia : — وهي بلاد الأنباط وديار السبع . وكانت البتراء مدينتها الرئيسية .

(٤) فنيقية البحرية أو الأولى — Phoenica Prima . وعاصمتها صور وكانت تشمل حيفا وعكا وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وارواد .

---

١ — اتخذت هذه الامبراطورية مع مرور الزمن اللغة اليونانية لغة لها . وهي التي اطلق عليها العرب اسم « اللغة الرومية » . كا انهم سموا الامبراطور البيزنطي (نسبة الى بيزنطية التي اقيمت مكانها القسطنطينية) ملك الروم ، ومملكته بمملكة الروم وسموا آسيا الصغرى ببلاد الروم . حضاراتها يونانية رومانية عدلها الجوار مع الشرق واعتناق المسيحية .

(٥) فنيقية الثانية أو « فنيقية التي تقابل لبنان » . وعاصمتها « حمص » . ومن مدنها بعلبك ودمشق وتدمر .

(٦) سورية الأولى . ومركزها انطاكية . وكانت تضم « سلوقية » واللاذقية وحلب .

(٧) سورية الثانية . ومركزها « أفاميا – قلعة المضيق[1] » ومن مدنها حماة والرَّستن .

والراجح ان هذا التقسيم حوفظ عليه الى نهاية العهد البيزنطي في سورية وفلسطين .

* * *

استمرت الحالة الاقتصادية ، كما كانت في السابق وتمتعت البلاد في عهد الدولة الرومانية الشرقية براحة طويلة . ووصفت فلسطين بأنها [تكثر فيها الأراضي المزروعة والمعتنى بها كثيراً . وكانت بلاد العرب الرومانية بلاداً تنتج أنواعاً كثيرة من البضائع وتنتشر فيها الحصون والقلاع القوية وتضم بين مدنها الكبرى « بصرى » و « جَرَش » و « عَمَّان » . وجميعها منيعة جداً بسبب أسوارها القوية [2]] .

والمعروف أن زراعة شجر التوت دخلت البلاد في عهد « يوستنيانوس » في القرن السادس للميلاد . وجلبت شرانق دود الحرير من الصين فأخذت البلاد تنتج الحرير[3] . ومن ثم اشتهرت غزة وعسقلان بمنسوجاتها الحريرية التي كانتا تصدرانها .

وقد برع البيزنطيون في صناعة الفسيفساء التي اقتبس اهل البلاد عنها كثيراً. وما زال الناس يعثرون على بقايا هذه الصناعة في مختلف أنحاء البلاد .

---

١ – تقع على مسيرة ٢٤ كيلومتراً للغرب من بلدة « خان شيخون » القائمة على الطريق العام بين حماة وحلب وعلى بعد ٣٩ كم من الأولى .

٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : ٣٩٥/١ .

٣ – الدولة البيزنطية ص ٢٧٢ .





[حينما يكتب « بروكوبيوس » عما يشاهده فقد أثبتت الايام صدقه. وكان شجاعاً فيما اقدم عليه من عمل عظيم ، منطقياً في ترتيب مادته، يستحوذ على لب القارىء وانتباهه في قصصه، ولغته اليونانية واضحة خالية من الالتواء والتعقيد، فصيحة لا تكاد تقل في فصاحتها عن لغة اليونان الاقدمين][1] .

(٥) البطريرك « بطرس » الذي انتخب عـــام ٥٢٥ م . لإدارة الكنيسة الاورشليمية . وكان من « بيت جبرين » .

(٦) زخريا الخطيب ، من ميناء غزة . وقد انتخب في القرن السادس للميلاد اسقفاً لجزيرة « مدللي » من جزر بحر إيجه .

(٧) كيرلس البَيْساني ، من قدّيسي القرن السادس للميـــلاد . قضى آخر أيام حياته في « دير مار سابا » شرقي بيت لحم . رغب في تدوين سيرة القديسين لكنه توفي قبل أن ينجز كتابه[2] .

(٨) القديس يوحنا موسخوس الفلسطيني . من الأعيان الذين وصلت حياتهم بين القرنين السادس والسابع . دَوّن أشياء كثيرة عن الرهبـــان والأديرة في عصره . ومصنفه هذا مفيد لتاريخ الحضارة [3] .

* * *

ومن حوادث فلسطين في عهد الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) :

(١) أقر الامبراطور « ليون الأول ٤٥٧ — ٤٧٤ م. » امرىء القيس شيخ « دومة الجندل » وأطرافها ، بعد تنصره ، على حكم النواحي التي كان قد استولى عليها من فلسطين الثالثة » وعلى غيرها من الأراضي التي حصل عليها ومن جملتها جزيرة « تيران[4] » . وكانت هـــذه الجزيرة تعرف باسم « ايوتابا — Iotaba » . وكان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو

---

١ — نفس المصدر ٢٥٤ .

٢ — الروم ١/٢١٥ .

٣ — المصدر نفسه ١/٢١٦ .

٤ — تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ ٣/٤٥١ .

الآتية منها، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى امرؤ القيس على تلك الجزيرة صار يجبيها لنفسه حتى صار غنياً جداً [1]. إلا أن الروم عادوا واستولوا على أملاك هذا الشيخ بسبب النزاع الذي وقع بين أولاده وورثته بعد وفاته .

و « تيران » دُعيت بذلك نسبة الى نوع من طيور البحر أو عجل البحر . والرأس الذي يمتد من البر قريباً منها يعرف باسم « رأس القصبة » وكانت إدارياً تابعة لفلسطين الثالثة . وكان سكان « تيران » من اليهود ، ولربما استفادوا من النزاع الذي وقع بين أولاد امرىء القيس فأخذوا يستولون على الأرباح التجارية لأنفسهم ثم استفادوا من موقعهم الجغرافي لبعده عن سلطة الحكومة . فأعلنوا استقلالهم . ولكنهم لم يستطيعوا أن يظلوا مستقلين مدة طويلة حيث تمكن الروم في عام ٤٩٠ م. من التغلب على الجزيرة وإعادة حكمهم إليها ، وأضحت المكوس تجبى لحساب الامبراطور البيزنطي .

وحينما احتلت قوات اليهود هذه الجزيرة إبان الغزو الانكليزي الفرنسي اليهودي على مصر عام ١٩٥٦ قال ابن غوريون رئيس وزراء السلطات اليهودية [إننا نريد تيران لأنها كانت مركز دولة عبرية قديمة انتهى أمرها قبل ألف وأربعمائة عام [2]] .

وقد ذكر ياقوت (معجم البلدان ٦/٢) هذه الجزيرة باسم « تاران » [تقع في بحر القلزم بين القلزم وأيلة ، يسكنها قوم من الأشقياء يقال لهم « بنو جدّان » يستطعمون الخبز ممن يجتاز بهم ، ومعاشهم السمك ، وليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب ، وبيوتهم السفن المكسرة ، ويستعذبون الماء ممن يَمرُّ بهم في لديمة [3] ، وربما أقاموا السنين الكثيرة ولا يمر بهم إنسان . وإذا قيل لهم :

---

١ — نفس المصدر ؛ ٤٥٠/٣ .

٢ — الطريق الى السويس ص ١٦٦ ترجمة خيري حماد . القاهرة ١٩٦٢. وذلك لأن اليهود يعتقدون ، وهو اعتقاد لا اساس له من الصحة ، بأنه ظهرت قبل الاسلام دولة يهودية امتد سلطانها السياسي حتى شمل المدينة المنورة وشمال الحجاز بأجمعه .

٣ — الديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق جمعها « ديم » بكسر الاول وفتح الثاني و « ديوم » بضم الاول والثاني .



أشد تنكيل . وقـد كان لليهود اليد الطولى في عمليات الدمار والنهب والسلب والقتل . وقد سبى الفرس كثيراً من نصارى البلاد فبادر اليهود الى شراء عـدد كبير من المسبيين يتراوح عددهم بين ٨٠ و ٩٠ الفاً وذبحوهم[١] .

ولكن الفرس لما استقر بهم المقام في سورية ، بعد ان اقتحموا مصر ، ساروا بالناس سيرة يحمدون عليها . فما لبثوا ان عطفوا على اهل البلاد وسمحوا بجمع الاموال لتعمير الكنائس المتهدمة ، ثم سمح كسرى بان يرجع الأسرى الراغبون في العودة الى بلادهم وبان تعمر بيوت الدولة . وأخيراً امر بطرد اليهود من القدس .

على ان حـكم الفرس لم يطل في سوريا ، فان هرقـل لم يكن بالرجل الذي يتسرب اليأس الى قلبه ، بل كان كبير النفس ، عالي الهمة فأثار الشعور في بلاده ضد الفرس ثم هجم عليهم وكان حليفـه النصر . وكانت المعركة الفـاصلة في « نينوى[٢] » عـام ٦٢٧ م . وفيها محق جيش فارس . فطلب الفرس الصلح ، فأجابهم الروم اليه . وبذلك عادت سورية الى الروم . والى هـذه الحرب أشار القرآن الكريم بقوله : (ألم ، غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) .

وفي ١٤ أيلول من عام ٦٢٨ م . احتفل هرقل ببيت المقدس برفع الصليب بعد ان استرده من الفرس . ومـا زال المسيحيون في لبنان وسورية يعيدون عيـد الصليب في ١٤ ايلول من كل عام ذكرى للاحتفال المذكور .

ومما يذكر ان عامل هرقل على غزة والبحر الميت ، بعد استرداد بيت المقدس من الفرس كان عربياً اسمه (امروء القيس) ويعرف باسم « دوق غزة والبحر الميت » .

غير ان المقام لم يدم للروم في بلاد الشام طويلاً فاستولى عليها العرب عـام ٦٣٦ م . كما استولوا على غيرها من أقطار الشرق . وبذلك غيروا ، في وقت قصير وجه الشرق كله . وبهذا الفتح فقدت البلاد طابعها القديم واكتسبت الطابـع

١ - تاريخ سورية للدبس الجزء الثاني المجلد الرابع ص ٥٤٧ .

٢ - كانت عاصمة للآشوريين . تقع خرائبها في جوار « الموصل » على نهر الدجلة .

العربي الذي ميزها بلغة جديدة ونظام اجتماعي جديد وديانة جديدة .

* * *

وما زال في البلاد بقايا قلاع وكنائس وأديرة وأبراج وآبار وغيرهـا تعود بتاريخها الى ايام الرومان والبيزنطيين . منها كنيسة في « مأدبا » ، تقوم عليها اليوم كنيسة الروم الأورثوذوكس . يرجع عهدها الى القرن الرابع للميلاد. كانت أرضها مرصوفة بفسيفساء تمثل خريطة فلسطين ومدنها الرئيسية . وما زال قسم من هذه الأرض محفوظاً الى اليوم . وكنيسة المهد في بيت لحم ، كما نراها اليوم ، يعود بناؤها الى يوستنيانوس المتقدم ذكره . وذلك لان الفرس ، لما احتلوا البلاد عام ٦١٤ م. رأوا على مدخلها صورة لثلاثة من الرجال بملابس فارسية، مما دعاهم لتركها على حالها .

وقد برع الرومـان في حماية الحدود الشرقية للبلاد ، ففضلاً عن الحصون والقلاع التي بنوها على جانبي الطريق لحماية القوافل التجارية والمسافرين ، فانهم وضعوا حداً لغزوات القبائل البدوية باعانة سنوية مالية يدفعونها لهم. ثم أخذوا يجندون العدد الكثير ممن برع فيالرماية من القبائل المذكورة ويلحقونهم بالجيوش المختلفة المرابطة في البلاد . كما رأى الروم — وكذلـك الفرس — أن خير وسيلة لدفع شر البدو ان يساعدوا بعض القبائل المجـاورة على ان يستقروا على التخوم يزرعون ويتحضرون ، ثم يكونوا رِدْءاً لهم يصدون غارة البدو الذين يغزون وينهبون . وبذلك ابتعد البدوي عن الغارات والغزو واستتب الأمن .





حرب ، فباعهم أبو كرب للفرس والأحباش [1] .

قال المسعودي : (وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والجولان ، وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها ، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام)[2] .

(كان ملك الغساسنة يتوسع ويتقلص حسب الظروف . فيصل الى مقربة من دمشق ، والى فلسطين الثانية و « الكورة العربية » و « فنيقية لبنان » ، وفي « فلسطين الثالثة » وفي ولايات سورية الشمالية في بعض الأحيان . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجده تارة أخرى أقل من ذلك بكثير لضعف الأمير المالك، ولطمع القبائل فيه ولاختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر « حسّان بن ثابت[3] » ان ملك الغساسنة كان يمتد من حَوْران الى خليج العقبة)[4] .

(وعند ظهور الإسلام لم يكن للأسرة الحاكمة من غسان ذلك السلطان الذي كان لها قبل عهد غير بعيد عنه . كانت حكومتها قد تجزأت الى مشيخات ، والى حكومات قبائل انتزعت السيادة المطلقة من امراء غسان ، فلم يبق للأسرة الحاكمة القديمة ما كان لها من جاه سابق ونفوذ[5]) .

وفي تاريخ ابن خلدون ٧٧/٢ ان قبيلة طيء ورثت أرض الغساسنة .

وأخيراً انتهى أمر الغسانيين باستيلاء العرب المسلمين على بلاد الشام .

واستدل المنقبون من الآثار التي عثروا عليها على وجود خط دفاعي كان يفصل حوران عن البادية مؤلف من حصون وأبراج .

---

١ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢٠٥/٣ و ١٣٢/٤ .

٢ – مروج الذهب ومعادن الجوهر : ١٠٩/٢ .

٣ – هو أبو الوليد ، الخزرجي الانصاري . صحابي . شاعر الرسول عليه السلام . توفي عام ٥٤ هـ : ٦٧٤ م . في المدينة بعد أن عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الاسلام . كان رضي الله عنه شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام .

٤ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ١٥٣/٤ وامراء غسان لثيودور نولدكه ص٥١ بيروت ١٩٣٣ .

٥ – تاريخ العرب قبل الاسلام : ٢١٤/٦ بغداد ١٩٥٦ .

وبما هو جدير بالذكر ما ذكره ابن خلدون من انجاعة الغساسنة الذين لحقوا بالروم ، بعـــد منصرفهم من الشام ، ظلوا في القسطنطينية حتى انقراض ملك القياصرة، وبعد ذلك نزلوا بلاد الشركس الواقعة بين بحر خزر والبحر الأسود، وهناك اختلطوا بالشراكسة ودخلت أنساب بعضهم في بعض حتى ليذكر كثير من الشركس انهم من نسب غسان[1] .

ووفد بعض شعراء الجاهلية الى بلاط الغسانيين فبالغ هـؤلاء في اكرامهم . وقد وفد عليهم فيا نعرف « النابغة الذبياني »[2] و « الأعشى »[3] و« لبيد »[4] و « الْمرَقّش الأكبر »[5] و « علقمة الفَحْل »[6] و « حسان بن ثابت » المتقدم ذكره .

* * *

وقد ذكر في « مسالك الأبصار » أن للغساسنة بقايا في بـلاد الشام بالبلقاء

---

١ – تاريخ ابن خلدون ٢/٧٧ .

٢ – هو زياد بن معاوية توفي في نحو ٦٠٤ م . شاعر جاهلي من الطبقة الأولى . من أهـل الحجاز . كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عــكاظ فتقصده الشعراء ، لتعرض عليـه أشعارها .

٣ – هو ميمون بن قيس المعروف بأعشى قيس . ويقال له « أعشى بكر بن وائل » . من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات . عــاش طويلا . أدرك الاسلام ولم يسلم . لقب بالأعشى لضعف بصره توفي عام ٧ هـ : ٦٢٩ م . وقبره في « منفوحة في نجد معروف الى اليوم .

٤ – هو لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري . من أهالي عالية نجد ومـن أصحاب المعلقات . أدرك الاسلام وأسلم . ويعد من الصحابة . عاش عمراً طويـلا . توفي عام ٤١ هـ : ٦٦١ م . قال صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

٥ – هو عوف بن سعد من بني بكر بن وائل . شاعر جاهلي . وشعره مـن الطبقة الأولى. ولد باليمن ونشأ بالعراق توفي في نحو ٥٥٠ م .

٦ – هو علقمة بن عبدة (بفتح العين والباء) . من بني تميم . شاعر جاهـلي من الطبقـة الأولى . كان معاصراً لأمرىء القيس . توفي في نحو ٦٠٣ م .

واليرموك وحمص[1] .

وترجع بعض الأسر المسيحية التي تعيش في سورية ولبنان مثل آل المعلوف – ومنهم الحامرة في الناصرة – وآل عطية وآل الخازن وغيرهم بأصلهم الى الغساسنة[2] .

و « العزيزات » و « الحدادين » – ومنها جماعات في لبنان – وآل قعوار وغيرهم من مسيحيي شرقي الأردن وفلسطين يعودون بأنسابهم الى الغساسنة .

وجاء في تاريخ الناصرة للقس « أسعد منصور » ان معظم الروم والكاثوليك من سكان الناصرة هم من أحفاد الغساسنة[3] .

---

١ – صبح الأعشى الجزء الأول ٣١٩ .

٢ – لبنان في التاريخ ص ٣١٢ وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص ٤٤٦ .

٣ – ص ٢٠٥ مطبعة الهلال بمصر .

القبائل العربية التي استقرت في فلسطين ومشارفها قبل الإسلام

كانت القبائل العربية تختلف إلى الشام قبل الإسلام بقرون طويلة . وقد تقدم ذكرما عرفناه من هذه القبائل التي نزلت جنوبي الشام-فلسطين وأطرافها- وما قامت لهم فيه من دول وحكومات .

ومن القبائل التي استقرت في فلسطين ومشارفها قبيل الإسلام :

(١) ثمود : من العرب البائدة كانت منازلهم بالحجر - بالكسر ثم السكون- (مدائن صالح) ووادي القرى بين الحجاز والشام . ذكرت في جملة الشعوب التي تغلب عليها سرجون الثاني الآشوري الذي أنزل جماعة منهم في « السامرة - سبسطية » عام ٧٢٢ ق. م.

وفي القرن الثاني للميلاد ، بعد القضاء على البتراء ، استقرت طائفة من ثمود في بلاد « الأنباط و « حسمى » التي تقع اليوم في الأردن ، وتمتد من جنوبي الشراة وتنتهي في شمال الحجاز وقد مر ذكرها .

وآخر ذكر عثرنا عليه للثموديين هو التحاق خيالة منهم بجيش البيزنطيين في القرن الخامس للميلاد .

(٢) سَلِيح : كجريح بطن من قُضاعة من القحطانية [١] . نزلوا في بادىء أمرهم بقيادة « الجِدْرِجان بن سَلمَة » ناحية فلسطين على بني « أُذَيْنَة بن السَّمَيْدَع » من عاملة [٢] .

---

١ - قال المسعودي ١٠٦/٢ : « وكانت قضاعة بن مالك بن حمير أول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم » .

٢ - معجم ما استعجم ٢٣/١ .

وفي تاريخ ابن خلدون (٢/٢٤و٧١) أن طيطوس الرومـــاني ، هو الذي ولاّهم ملوكاً على العرب في القرن الأول للميلاد . ثم انتشروا في أواخر القرن الثاني للمسيح في أطراف الشام بين البلقاء وجبـــل الشيخ الى جبال فلسطين . وكانت الدولة في بطن من بطونهم يقال لهم « الضّجَاعمة [1] » دانوا بالنصرانية. ولم يزالوا سادة تلك الديار وملوكها تدين بالولاء لملوك الروم الى أن غلبتهـــم « غسّان » بالقوة وحلت محلهم .

(٣) جُذام : بضم الجيم وبالذال المعجمة . وهم « بنو جُـذام بن عديّ » من القحطانية . والنسبة اليها جُذامي . والجُذام في أصل اللغة اسم للداء المعروف. قيل إن جُذام ، وأصل اسمه عمرو ، ابتلي به ، وقيل بل إنه مأخوذ من الجـذم وهو القطع .

لما هلكت ثمود وتشتت شملها نزلت حِسْمى والبـــلاد الواقعة بين الحجاز وفلسطين ومصر ، قبيلة جُذام التي كانت بطونها عند ظهور الإسلام منتشرة في معان وأَيلَة — العقبة — وحِسْمى ووادي القرى وحـــول تبوك وفي سيناء .

وكانت لجذام رياسة في « معان » ومـــا حولها . وكان « فَرْوَة بن عمرو النافري الجذامي » عـــاملاً للروم على الناحية المذكورة . فلـــا علم بالدعوة الإسلامية أعلن إسلامه وأهدى الرسول عليه السلام بغلة بيضاء وأقمصة كتانية وعباءة حريرية . ولما بلـغ الروم ذلك أخذوه وصلبوه على مياه عفرى[2] . فكانـ فَرْوَة الجُذامي أول عربي استشهد في بلاد الشام بسبب إسلامه .

وفي عام ٧ هـ . : ٦٢٨ م. أتت وفود جذامية برياسة « رفاعة بن زيد » على رسول الله بالمدينة المنورة ودخلوا في الإسلام .

وقبيلة جذام هذه سكنت مصر قبل الإسلام[3] ونزلتها جماعة منهم في الفتح

١ — العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ص ١٦٣ .

٢ — مياه معدنية يؤمها الناس للاستحمام . تقع في شمال الطفيلة في شرقي الأردن .

٣ — يظهر من اقوال هيرودوتس (٤٨٤—٤٢٢ ق . م .) أن الاقسام الشرقية من مصر، والمناطق المتصلة بسيناء كانت مأهولة بقبائل عربية. و«سيناء» كفلسطين موطن قديم من مواطن العرب. وقد ذكر استرابو وبلينوس من المؤرخين الذين ظهروا في القرن الأول للميلاد : « ان =

مع عمرو بن العاص[١] .

ومن جذام فخذ نزل مما يلي طبرية الى اللجُّون واليامون[٢] الى ناحية عكا[٣].
ونزل من جذام « بنو الثّعل» عريش مصر وقرية « عبسان » من أعمال غزة[٤].
ومنهم قوم نزلوا « بيت جبرين[٥] » و « بيت زمّاراء[٦] » .

ومن جُذام أيضاً « بنو مَهْدي » بالبلقاء ، وبنو عُقبَة ، وبنو زُهير بالشوبك ، ومنهم جماعة ببلاد الغور وجماعة ببلاد البربر من السودان[٧] .

وينسب الى جُذام اليوم عرب بني صخر[٨] وغيرهم في الأردن ، وعرب البواسل وغيرهم في مصر و « الجبارات[٩] » في بلاد بئر السبع ، وآل الحاج محمد في جبال نابلس وعرب العائذ في « سيناء » وفي محافظة الشرقية بمصر وكان

= العرب تكاثروا في أيامها على العدوة الغربية من البحر الأحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيل في أعلى الصعيد » – العرب قبل الاسلام لزيدان ١٦١ .

وفي نحو منتصف القرن الثاني للميلاد وجدت قرى متناثرة في مصر كان سكانها يتألفون من العرب الذين استبدلوا بحياتهم الصحراوية التي كانوا يعيشونها في الصحراء الشرقية حياة الاستقرار الزراعية .

١ – نهاية الأرب للقلقشندي : ٢٠٦ القاهرة ١٩٥٩ .

٢ – قرية تقع للشمال الغربي من جنين وعلى مسيرة ٩ كيلومترات منها .

٣ – صفة جزيرة العرب : ١٢٩ للهمداني، ليدن ١٨٨٤ م .

٤ – صفة جزيرة العرب : ١٢٩ . وبنو الثعل . (بكسر الثاء المشددة) من (بني جرى) – بفتح الجيم والراء – الذين كانوا ينزلون بالرمل من (الفرما) بفتح الفاء والراء – بسيناء.وهم بطن من حشم – بكسر أوله وسكون ثانيه– ابن جذام . والفرما : بلدة ساحلية كانت تقع على بعد ٢٣ ميلاً جنوب شرقي بور سعيد. وعبسان قرية تقع للشرق من خان يونس . وغزة نفسها ذكرت بأنها موضع بديار جذام (معجم ما استعجم ٣/٩٩٧) .

٥ – بلدانية فلسطين العربية : ٢٦ .

٦ – بيت زماراء : بفتح الزاي، وتشديد الميم وفتح الراء المهملة والمد.– معجم ما استعجم ١/٢٨٩ – لعلها «زمارين» من أعمال حيفا وعلى مسيرة ٣٠ كم للجنوب منها .

٧ – صبح الاعشى : ١/٣٣٤ .

٨ – نهاية الأرب ٣٦٣ .

٩ – نزل قسم من هذه القبيلة « قرية حجة » من أعمال نابلس . واليه ينسب « آل بيدس » في « الشيخ يونس » ويافا و « البطة » في خان يونس و « السعيد » في يافا .

عليهم درك الحج حتى « العقبة [١] » . وعائلة « هيكل » في يافا تعود بنسبها الى « العائذ » هؤلاء .

وعلى رأي بعضهم ان « آل مُرَّة » إحدى قبائل نجـد الكبيرة بطن من « جُذام » .

وبعضهم يرجع نسب « جـذام » الى « المَدْيَنِيّين » الذين تقدم ذكرهم . والله أعلم .

(٤) عاملة : من القحطانية . كانت تنزل المنطقة الجنوبية الشرقيـة للبحر الميت[٢]. ثم نزلت فيما بعد الجبل الذي نسب اليها في جنوب الجمهورية اللبنانية. وما زالت احفادهم تقيم فيه الى يومنا هذا . قال الهمداني: (ديار عاملة ، مجاورة للأردن ، وجبل عامـلة مشرف على عكاء ، من قبـل البحر يليها ويطل على الاردن)[٣] .

(٥) لخم : ولخم هـذا أخو جذام وعاملة . وبنوه كانوا يقيمون في الشام والعراق والبادية الفاصلة بينهما وفي مواضع متعددة من فلسطين[٤] .

وفي أواخر القرن الثاني للمسيح قدمت فرقـة من بني لخم الى جنوبي فلسطين وامتدوا في غربي البحر الميت[٥] .

وكثير من سليح ولخم وكلب — الآتي ذكرها — دخلوا في جيوش « زنوبيا » ملكة تدمر وحاربوا « غاليانس ٢٥٣ — ٢٦٨ م. » امبراطور روما وانتصروا عليه .

« وكان غسان وجذام وكلب ولخم وغيرهم قد استجلبهم هرقل لما سمع ان

١ — نهاية الأرب ؛ ٣٣٣ .
٢ — تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ ٢٧٨/٤ .
٣ — صفة جزيرة العرب ، ١٣٢ .
٤ — تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ ٢٨٠/٤ .
٥ - المجلد الأول لمجلة « المشرق » ص ٨٢٣ و ٨٢٤. المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٨ م . وخطط الشام : ٩٩/١ .

المسلمين فتحوا فلسطين والاردن وصاروا الى البثنية[1] » .[2]

واللخميون «حضروا فتح مصر واختطوا بها،هم ومن خالطهم من جذام»[3].

قال الهمداني : (والمغار[4] مــنزل للخم . وديار لخم من حدّ المغـــار ثم « الدّاروم[5] » ثم الجفار ، والجفار رمال الى حد الفرَما . وما خلف الفرَما الى مصر للقبط . واما ما تياسر نحو البحر من بلد القبط فهو يماني ، فيه بَلِي ولخم ومن قيس ولفائف من الناس . ثم للخم وما يخالطها من كنانة ما حول الرملة ثم الى نابلس . ولهم أيضاً ما جاز تَبوك الى زُغر ، وهو بــلد النخل ومنها التمر الزُغري ، ثم البحيرة المنتنة التي يرمي فيهـا وادي اليرموك والاردن . وللخم أيضاً الجولان وما يليها من البلاد ، نوَى والبثنيّة وشفص من ارض حوران ويخالطهم في هذه المواضع جُهَيْنَة وذُبيان ومن القَيْن وعن أيسر جبال الشراة مدائن قوم لوط منها منزل « ذو خُشُب » و « الغمْر » وهي غمرَة[6]) .

وينسب الى لخم مــلوك الحيرة في العراق و « دولة بني عَبّاد — ١٠٣١ — ١٠٩١ م. — » بأشبيلية[7] في الاندلس .

ومن أحفاد اللخميين في فلسطين اليوم « المساعيد » في الغور و « بنو نبهان »

---

١ — مدينتها « اذرعات » وهي « درعا » اليوم .

٢ — خطط الشام ؛ ١/٦٧ .

و « البثنية » بفتح أوله وثانيه وكسر النون وياء مشددة . و « البثنة » بفتح الباء وكسرها، الأرض السهلة .

٣ — نهاية الأرب للقلقشندي ٤١١ .

٤ — قرية من أعمال الرملة وقد تقدم ذكرها .

٥ — دير البلح اليوم . والسهول المحيطة بها كانت تعرف باسم « سهول الداروم » .

٦ — صفة جزيرة العرب ١٣٠ — ١٣١ .

٧ — اشبيلية ؛ بالكسر ثم السكون ، وكسر الباء الموحدة ، ولام ، وياء خفيفة . ينسب اليها خلق كثير من أهل العلم . تسمى « حمص » أيضاً . كان الأمويون الذين تملكوا الأندلس ، بعد زوال دولتهم من الشرق لحبتهم للشام سموا عدة بلاد بالأندلس باسماء بلدان الشام . فسموا (شذونة — Sedo-na) التي كثر فيها الجذاميون الفلسطينيون باسم « فلسطين » و « رية — Raiya » باسم الأردن وغيرها .

في قضاء بئر السبع و « التميميون » رهط الصحابي تمـيم الداري الذي سكن فلسطين وتوفي في بيت جبرين . والتميميون منتشرون في بلاد الخليل ونابلس وبئر السبع والكرك « الجالي » وغيرها .

ويقال إن « الغنيات » في منطقة مأدبا هم بطن من بني غنيم من لخم[1] .

ومن اللخميين في لبنان « آل أرسلان » نسبة الى جدهم « أرسلان بن مالك: ١٠٩ — ١٧٠ هـ : ٧٢٧ — ٧٨٧ » رأس الأسرة الارسلانية في لبنان .

ومن لخم « بنومر » في مصر[2]. وينسب الى البلدة الريفية الصغيرة التي تحمل اسم « بنومر » من أعمال أسيوط عائلة الرئيس جمال عبدالناصر .

و « السهول » التي تقيم في نجد تنسب الى لخم .

والنسابون يعدون القبائل الثلاث — جذام وعامـلة ولخم — أبناء « عدي ابن الحارث » من كهلان من القحطانية . واسماؤهم الاصلية على التوالي : « عمرو » و « الحارث » و « مالك » .

(٦) القين[3] بن جسْر[4] : بطن من قضاعة من القحطانية[5] . النسبة اليه « قيني » . لعلهم من أحفاد « القينيين » الذين تقدم ذكرهم بين الاقوام العربيـة التي استقرت في فلسطين في فجر تاريخها .

كانت منازلهم في أطراف الشام بين حوران وتيماء[6] . نزلت أقـوام منهم غور البلاونة وغور الوهادنة حيث كان بقيـة من جديس اخوة طسم[7] . نزل

---

١ — تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ١١٤ لفردريك بيك ترجمة بهاء الدين طوقان. القدس ١٩٣٤ .

٢ — نهاية الأرب للقلقشندي ٤١٥ .

٣ — بفتح القاف وسكون الياء ونون في الآخر . والقين في الاصل اسم لضارب الحديد .

٤ — بفتح الجيم وسكون السين وراء في الآخر .

٥ — نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٧١ .

٦ — واحة تقع في شمالي الحجاز . أقام بها السموأل بن عـاديا الشاعر المعروف . كانت على طريق عظيم قديم يربط العقبة والبتراء بالخليج العربي . وهي وسطى بـين مكة والشام ، وفي منتصف الطريق بين بابل ومصر .

٧ — خطط الشام ؛ ٦٥/١ .

عندهم « النعمان بن بشير[1] » . ومن مشاهير بني القين « ابو عبـــد الرحمن ذو الشكوة » قاتل مع أبي عبيـــدة يوم « أَجنَادِين » و « حُبَيْش بن دَلَجَة » القيني الأردني بين قادة الجيوش في العصر الأموي . توفي عام ٦٨٥ م : ٦٥ هـ .

قال جواد علي : [وكان للقين جمع عظيم وثروة في أكناف الشام . فكانوا يناهضون « كَلْب بن وَبَرَة » ثم ضعف أمرهم ووهـــن حتى ما يكاد أن يعرف][2] .

(٧) بنو كلب : هم كلب بن وَبَرَة من قُضاعة من القحطانية . والنسبة اليهم كلبي . كانوا ينزلون في الجاهلية « دَوْمَة الجندل – الجوف » وتبوك وأطراف الشام[3] . والجماعـــة التي نزلت اطراف الشام نزلوا سهل البقاع و « حوّارين » – من جبل الشيخ – وجبل قلمون ووادي التيم وغوطة دمشق[4] . وقـد نسب اليهم سهل البقاع ودعي « بقاع كلب » كما ذكرنا ذلـك في فصل سابق . ومنهم « بنو عامر » الذين نزلوا المرج الفلسطيني المنسوب اليهم .

وقد انتشرت النصرانية بين « كلب » كما انتشرت بين اكثر القبائل النـازلة بديار الشام – . وينسب اليهم حارثة الكلبي ، ابو زيد بن حارثـة مولى رسول الله ﷺ[5] . و « دحية الكلبي » الصحابي وقد مر ذكره .

وفي الاسلام كانت الرياسة لبني بحدل من كلب . ولما ولي معاوية الخلافـــة بالشام تزوج «ميسون بنت بحدَل بن أنيف » الكلبية ، وهي أم يزيد . وهم الذين ساعدوا مروان بن الحكم الأموي يوم مرج راهط[6] عام ٦٨٤ م. ومن عقب بني

---

١ – معجم البلدان ٢٧٧/٢. و « النعمان » هذا مرّ ذكره. وهو والد «هند» زوجة «روح ابن زنباع » الجذامي الفلسطيني .

٢ – تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤٤/٤ .

٣ – صبح الأعشى ٣٦١/١ .

٤ – خطط الشام ٦٤/١و٦٦ .

٥ – صبح الأعشى ٣١٦/١ .

٦ – سهل على ٢٥ كم للجنوب من دمشق .

كلب بنو منقذ ملوك شيزَر[1]. وذكر اليعقوبي المتوفي بعد عام ٢٩٢ هـ : ٩٠٥م. أن في السويداء من حوران قوماً من كلب[2] .

ومن أحفـــاد بني كلب في فلسطين اليوم « عشيرة السراحين » في قضاء بئر السبع ، و « المديبات » في جبل الخليل ومنهم جماعات مـــا زالت تقيم في شمالي الأردن وفي الجوف من أعمال المملكة العربية السعودية وغيرها .

(٨) جَرْم بن رَبّان [3] : من قضاعة . كانت منازلهم في جنوبي فلسطين ما بين غزة وجبال الشراة في شرقي الأردن . والراجح ان تكون فرقة منهم نزلت بقعة « وادي حنين [4] » في الجنوب الشرقي من يافا ودعتها بهذا الإسم نسبة إلى واديها الذي كانت تقيم فيه في موطنها الأول : حضرموت.

والعزازمة من قبائل بئر السبع ، الذين تمتد أراضيهم من مدينة بئر السبـع الى حدود سيناء ووادي عَرَبة يذكرون انهـــم من قضاعة من حمير من أحفاد « جرم بن رَبّان » المــذكور . ويرى بعضهم أن آل عزام ، في الجيزة بمصر ، وبني عزام الدروز في حوران من عزازمة فلسطين . وبهذه المناسبة نذكر أن عدد قبيلة العزازمة الفلسطينية ، في الإحصاء الدقيـق الذي قام به البريطانيون في عام ١٩٤٦ م ، بلغ ١٦،٣٧٠ نسمة بينهـم ٢٢٠ رجلاً فقط يحسنون القراءة والكتابة .

(٩) ذبيان : بضم الذال وكسرهـا . كانت منـــازلهم بين « تـــيماء » و « حوران »[5] . نزلت جماعة منهم الغور الفلسطيني في جوار القسّين .

---

١ – تاريخ ابن خلدون ٢/٢٣ .

٢ – بلدانية فلسطين العربية ص ٢٣ .

٣ – هو جرم بن ربان واسمه علاف–بكسر العين –بن حلوان – بضم الحاء – بن عمران ابن الحافي بن قضاعة.ربان : كشداد ، كذا ضبطه الذهبي وابن حجر وابن الجواني النسابة وليس في العرب بالراء غيره . وما سواه بالزاي – عن تاج العروس – .

٤ – من المؤلم ان يتمكن اليهود من اقامة مستعمرة «نس زيونا – Nes - Zione» على هذه البقعة العريقة . وقد تقدم ذكر ذلك .

٥ – خطط الشام : ١/٦٤ .

(١٠) بنو عُذْرَة : من قُضاعة . كانت ديارهـــا في « وادي القرى » و « تبوك » . ثم امتدت حتى بلغت العقبة[1] وجنوب فلسطين . وقـــد عُرف العذريون برقة عواطفهم وطهارة عشقهم .

(١١) بنو ضَبَّة : بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء . عدنانيون من قبائل طابخة . نزلوا مع بني كلب جبل الشيخ ووادي التيم [2] وغـــيرها من مشارف فلسطين . كانت منازلهم في الجاهلية بالناحية الشمالية من نجد ثم نزحوا إلى الشام . كما انتقلت طائفة منهم ، في الاسلام ، الى العراق . وهم الذين قتلوا المتنبي الشاعر [3].

(١٢) بنو بَهْراء : بفتح البـاء الموحدة وسكون الهـــاء والف بعد الراء المهملة . من قضاعة . النسبة اليهـــم « بهرائي » . وتنصرت بهراء ، كما تنصرت غسان وسليح ولخم وجذام وعاملة . كانت منـــازلهم من الينبع الى العقبة ثم جاور منهم البحر الأحمر خلق كثير [4] . ومن بهراء « المقداد بن الأسود » أحد صحابة رسول الله [5]. وفي حوران وشرقي الأردن والبقاع وطولكرم وحمامة — من أعمال غزة — وصير — من أعمال جنين — وغيرها عائلات تذكر أنهـــم من أحفاد هذا الصحابي .

وغيرهم من القبائل . ويقال أن العرب الذين كانوا في الشام في نهاية القرن الأول الهجري بلغوا ربع مليون شخص . كان معظمهم من الجند والموظفين ومن القبائل العربية التى كانت تسكن تلك البقاع قبل الاسلام .

وكان يسكن فلسطين ، عنـد الفتح العربي الاسلامي ، فضلاً عن القبـــائل العربية المتقـدم ذكرها ، السوريون (الآراميون — السريان) وبعض من الروم والسامريين والفرس والقليل القليل من بقـايا الأمم القديمة التي كان لها عـــلاقة بفلسطين كاليهود وغيرهم .

---

١ — تاريخ العرب قبل الاسلام ٤/٢٠٠ .
٢ — خطط الشام : ١/٦٦ .
٣ — صبح الأعشى : ١/٣٤٨ .
٤ — نفس المصدر ١/٣١٧ .
٥ كان في الجاهلية من سكان حضرموت . شهد بدراً وغيرها . توفي بالمدينة عام ٣٣ هـ : ٦٥٣ م . بعد ان عاش ٦٦ سنة .

قائمة بأهم الوقائع التي حدثت في فلسطين
حسب ترتيبها الزمني

أولاً :

قبل التاريخ المدوّن :

العام	الوقائع
في نحو ٢٠٠،٠٠٠ ق.م. :	سكن البشر فلسطين . وكانو صيادين.
في نحو ١٥٠،٠٠٠ ق.م. :	معرفة الفلسطينيين للنار .
في نحو ١٢،٠٠٠ – ٦٠٠٠ ق.م. :	دجّن الفلسطينيون الكلب وغيره من الحيوانات وأخذوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد والرعي . وفي الفترة الأخيرة زرعوا القمح وغيره وابتدأوا ينشئون المدن .
في نحو ٦٠٠٠ ق.م. :	نزل بعض سكان الجزيرة العربية فلسطين واستقروا فيها .
في نحو ٥٠٠٠ ق.م. :	اخترع الفلسطينيون صناعة الخزف .
في نحو ٤٠٠٠ ق.م. :	استعمل الفلسطينيون النحاس .

ثانياً :

بعد التاريخ المدون حتى الفتح العربي الاسلامي :

العام		الوقائع
في نحو ٣٠٠٠ — ٢٥٠٠ ق.م.	:	استقرار القبائل الآمورية — الكنعانية العربية في فلسطين .
في نحو ١٨٠٥ ق.م.	:	هجرة النبي ابراهيم من العراق الى فلسطين .
في نحو ١٦٥٦ ق.م.	:	نزوح أحفاد ابراهيم من فلسطين الى مصر .
في نحو ١٥٠٠ ق.م.	:	استقرار القبائل الآرامية في شمالي الشام وجنوبه الشرقي .
في نحو ١٦٧٥ — ١٥٨٠ ق.م.	:	حكم الهكسوس لمصر .
في نحو ١٥٧٠ ق.م.	:	سقوط « شاروحين » المدينة الفلسطينية بيد القوات المصرية .
في نحو ١٤٧٩ ق.م.	:	سقوط « مَجِدُّو » بيد المصريين ؛ وتثبيت الحكم المصري في فلسطين .
في نحو ١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق.م.	:	تعرضت فلسطين لغارات البدو (الخابيري) .
في نحو ١١٨٦ ق.م.	:	غارة اليهود على فلسطين وسقوط أريحا بأيديهم .
في نحو ١١٨٤ ق.م.	:	نزول الفلسطينيين ، الآتون من كريد ، الساحل الجنوبي الغربي لبلادنا ؛ وادخلوا معهم اليها صناعة الحديد .
في نحو ١١٥٠ ق.م.	:	تقلص النفوذ المصري عن فلسطين .
في نحو ١٠٢٠ ق.م.		انتخاب طالوت (شاول) ملكاً على

اليهود .

في نحـو ٩٢٣ ق.م.	:	انتـهاء حكم الملك « سليمان بن داود » وانقسام المملكة اليهودية .
في ٨٥٣ ق.م.	:	معركة « قرقر » بين الآشوريين ودول الشام .
في ٧٣٢ ق.م.	:	خضوع فلسطين للحكم الآشوري .
في ٧٢٢ ق.م.	:	زوال المملكة الإسرائيلية .
في ٦٠٨ ق.م.	:	عودة الحكم المصري لفلسطين .
في ٦٠٥ ق.م.	:	خضوع بلاد الشام للكلدانيين .
في ٥٨٦ ق.م.	:	زوال المملكة اليهودية وخراب القدس.
في ٥٣٨ ق.م.	:	فتح الفرس لفلسطين .
في ٣٣٢ ق.م.	:	فتح الإسكندر المكدوني لفلسطين .
في ٣٠١ ق.م.	:	ابتدأ حكم البطالسة .
« ١٩٨ ق.م.	:	ابتدأ حكم السلوقيين .
« ١٦٧ ق.م.	:	ثورة المكابيين .
« ٦٣ ق.م.	:	دخول الرومان لفلسطين .
« ٤٠ ق.م.	:	استيلاء الفرس على فلسطين .
« ٣٨ ق.م.	:	عودة الحكم الروماني للبلاد .
« ٣٧ ق.م.	:	القضاء على المكابيين وابتداء حكم الهرادسة في فلسطين .
« ٤ ق.م.	:	وفاة هيرودوس الكبير وولادة سيدنا عيسى عليه السلام .
« ٧٠ م.	:	خراب القدس على يد طيطوس الروماني
« ١٠٠ م.	:	انتهاء حكم الهرادسة .
« ١٣٥ م.	:	اخماد ثورة « بركوكب » اليهودي ضد

			الرومان وتشتت اليهود في أقطار العالم .
في	٣٩٥ م.	:	انقسام الإمبراطورية الرومانية . ودخول فلسطين تحت حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية .
»	نحو ٢٦٧ م.	:	احتلال زنوبيا، ملكة تدمر، لفلسطين.
»	» ٢٧٢ م.	:	إنتهاء مملكة تدمر وعودة الحكم الروماني للبلاد .
»	٦١٤ م.	:	احتلال الفرس لفلسطين .
»	٦٢٧ م .	:	عودة الحكم الروماني للبلاد .
»	٦٣٦ م .	:	استيلاء العرب المسلمين على فلسطين .



اهم المراجع

اولا : المراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ الاحاديث النبوية الشريفة .
٣ ـ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ابراهيم اللواتي الطنجي ، **مهذب رحلة ابن بطوطة ، الجزء الاول** . القاهرة ، المطبعة الاميرية ببولاق ، ١٩٣٤ .
٤ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن . **كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، الاول والثاني** . مطبعة النهضة . القاهرة ، ١٩٣٦ .
٥ ـ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر . **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، الجزء الثاني** . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .
٦ ـ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر . **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان** ، ٣ و ٤ . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ .
٧ ـ ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر . **وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، السادس** . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .
٨ ـ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي . **تاريخ مختصر الدول** . بيروت . المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ .
٩ ـ ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين . **التاريخ الكبير ، المجلد الاول** . دمشق ، مطبعة روضة الشام ، ١٣٢٩ هـ .
١٠ ـ ابن النديم . **الفهرست** . القاهرة : المكتبة التجارية ، ١٣٤٨ هـ .

١١ ـ الاصطخري ، ابي اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري . **المسالك والممالك** . القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٦١ .

١٢ ـ الدر ، جون . **الاحجار تتكلم** . تعريب دكتور عزت زكي . القاهرة.

١٣ ـ الامين ، محسن . **خطط جبل عامل ، الجزء الاول** . بيروت ١٩٦١

١٤ ـ باقر ، طه . **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . القسم الاول . تاريخ العراق القديم** . بغداد ١٩٥٥ .

١٥ ـ البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم . **صحيح البخاري . الجزء ٢ و ٥** . المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق . القاهرة ١٣١٤ هـ .

١٦ ـ برستيد ، جايمس هنري . **تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي** . ترجمة حسن كمال . طبع وزارة المعارف العمومية بالقاهرة ١٩٢٩ .

١٧ ـ برستيد ، جايمس هنري . **العصور القديمة** . ترجمة داود قربان. المطبعة الاميركانية . بيروت ، ١٩٣٠ .

١٨ ـ البكري ، ابي عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكري . **معجم ما استعجم ١ ، ٢ ، ٣** . مطبعة لجنة التاليف والترجمة . القاهرة . ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ .

١٩ ـ بوست ، جورج . **قاموس الكتاب المقدس ١ ، ٢** . المطبعةالاميركانية بيروت ١٨٩٤ ، ١٩٠١ .

٢٠ ـ بوست ، جورج . **نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها. المجلد الاول** . بيروت . ١٨٨٤ .

٢١ ـ بيك ، فردريك ج. **تاريخ شرقي الاردن وقبائلها** . تعريب بهاءالدين طوقان . القدس . ١٩٣٤ .

٢٢ ـ بينز ، نورمان . **الامبراطورية البيزنطية** . تعريب حسين مؤنس ومحمود زايد . القاهرة ، ١٩٥٠ .

٢٣ ـ تاج ، الشيخ عبد الرحمن . **الاسراء والمعراج** . القاهرة ، ١٣٧٥ هـ: ١٩٥٦ م .

٢٤ ـ تشيلدرز ، ارسكين . **الطريق الى السويس** . تعريب خيري حماد. القاهرة ١٩٦٢ .

٢٥ ـ **تقرير اللجنة الملكية لفلسطين** . القدس .

٢٦ ـ التميمي والكاتب . محمد رفيق ومحمد بهجت . **ولايه بيروت ،(١) القسم الجنوبي** . مطبعة الاقبال . بيروت . ١٩١٧ م : ١٣٣٥ هـ .

٢٧ ـ جامعة القاهرة . **دراسات في العالم العربي** . القاهرة . ١٩٥٨ .

٢٨ ـ الجمعية العربية بدمشق . **مؤامرات حول مياه نهر الاردن** . مطابع دار الوحدة . دمشق ، ١٩٦٠ .

٢٩ ـ الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس . **كتاب الوزراء والكتاب** . مطبعة البابي واولاده . القاهرة . ١٩٣٨ .

٣٠ ـ حتي ، فيليب . **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الاول** . ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق . بيروت . ١٩٥٨ .

٣١ ـ حتي ، فيليب . **تاريخ العرب (مطول) الجزء الاول** . ترجمة ادورد جرجي وجبرائيل جبور . بيروت . ١٩٤٩ .

٣٢ ـ حتي ، فيليب . **لبنان في التاريخ** . ترجمة انيس فريحة . بيروت . ١٩٥٩ .

٣٣ ـ حسن ، سليم . **مصر القديمة** . ١ ، ٢ . مطبعة كوثر بمصر .

٣٤ ـ حسن ، سليم . **مصر القديمة** . ٤ ، ٥ . مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨ .

٣٥ ـ حسن ، سليم . **مصر القديمة** . ٧ ، ٩ . مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٢ .

٣٦ ـ حكومة فلسطين : **جدول المواقع التاريخية والابنية الاثرية.الملحق رقم ٢ للعدد الممتاز ١٣٧٥ من الوقائع الفلسطينية المؤرخ في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤** .

٣٧ ـ حمادة، سعيد . **النظام الاقتصادي في فلسطين** . المطبعةالاميركانية بيروت . ١٩٣٩ . منشورات جامعة بيروت الاميركية .

٣٨ ـ حموي ، ياقوت . **معجم البلدان ، ١ ـ ٥** . دار بيروت ـ دار صادر بيروت . ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ .

٣٩ ـ حموي ، ياقوت . **المشترك وضعا والمفترق صقعا** . طبع غوتنغن باوروبا . ١٨٤٦ .

٤٠ ـ الحنبلي ، مجير الدين قاضي القضاة . **الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل** . النسخة الخطية الموجودة عند المؤلف .

٤١ ـ الخازن ، الشيخ نسيب وهيبه . **اوغاريت** . دار الطليعة . بيروت . ١٩٦١ .

٤٢ ـ الخازن ، الشيخ نسيب وهيبه . **من الساميين الى العرب** . دار مكتبة الحياة . بيروت . ١٩٦٢ .

٤٣ ـ الخوري ، شحادة ونقولا . **خلاصة تاريخ كنيسة اورشليم**

الارثوذكسية . القدس . ١٩٢٥ .
٤٤ – الدبس ،المطران يوسف . **كتاب تاريخ سورية ، الجزء الاول – المجلد الاول** . بيروت . المطبعة العمومية الكاثوليكية . ١٨٩٣ .
٤٥ – الدبس، المطران يوسف . **كتاب تاريخ سورية ، الجزء الاول – المجلد الثاني** . بيروت . المطبعة العمومية الكاثوليكية . ١٨٩٥ .
٤٦ – الدبس ، المطران يوسف . **كتاب تاريخ سورية ، الجزء الثاني – المجلد الثالث** . بيروت . المطبعة العمومية المارونية . بيروت ١٨٩٨
٤٧ – الدبس ، المطران يوسف . **كتاب تاريخ سورية . الجزء الثاني – المجلد الرابع** . بيروت . ١٨٩٩ .
٤٨ – الدومنيكي ، الاب أ.س. مرمرجي . **بلدانية فلسطين العربية** . مطبعة جان دارك . بيروت ١٩٤٨ .
٤٩ – ديورانت ، ول . **قصة الحضارة . الجزء الثاني . الشرق الادنى** . ترجمة محمد بدران . القاهرة ، ١٩٥٠ .
٥٠ – ديورانت ، ول . **قصة الحضارة . الجزء الاول من المجلد الرابع** . ترجمة محمد بدران . القاهرة . ١٩٥٦ .
٥١ – الربعي ابو الحسن علي بن محمد . **فضائل الشام ودمشق** . دمشق ، ١٩٥٠ .
٥٢ – رستم ، اسد . **الروم ، الاول** . بيروت . ١٩٥٥ .
٥٣ – رستم ، اسد . **آباء الكنيسة ، الاول** . بيروت . ١٩٦١ .
٥٤ – رستم ، اسد . **آباء الكنيسة ، الثاني** . بيروت . ١٩٦٢ .
٥٥ – رستوفتزف ، م. **تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي . الجزء الاول** . ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية .
٥٦ – رضا ، محمد رشيد . **الجزء السادس من تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** . مطبعة المنار . القاهرة ، ١٣٣٠ هـ.
٥٧ – روبنصون ، ادوارد . **يوميات في لبنان ، الجزء الاول** . تعريب اسد شيخاني . منشورات دار المكشوف . بيروت . ١٩٤٩ .
٥٨ – روبنصون ، ادوارد . **يوميات في لبنان . الجزء الثاني** . تعريب اسد شيخاني . منشورات دار المكشوف . بيروت ، ١٩٥٠ .
٥٩ – الريحاني ، امين . **قلب لبنان** . بيروت . ١٩٥٨ .
٦٠ – الزركلي ، خير الدين . **الاعلام . عشرة اجزاء** . القاهرة ١٩٥٤ – ١٩٥٩ .

٦١ ـ زكريا ، احمد وصفي . **عشائر الشام . الجزء الثاني** . دمشق ١٩٤٧

٦٢ ـ زكي ، عزت . **فلسطين كما عرفها المسيح** . مطبعة النيل المسيحية القاهرة .

٦٣ ـ زيادة ، نقولا . **العالم القديم . الجزء الاول** . يافا ١٩٤٧ .

٦٤ ـ زيدان ، جرجي . **العرب قبل الاسلام** . . طبعة الهلال . القاهرة ١٩٣٩

٦٥ و ٦٦ ـ سارتون ، جورج . **تاريخ العلم . الجزء الاول والثاني** . ترجمة جماعة من الاساتذة . القاهرة ١٩٥٧ و ١٩٥٩ .

٦٧ ـ السلمي ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام . **ترغيب اهل الاسلام في سكنى الشام** . القدس ، ١٩٤٠ .

٦٨ ـ سمبسون ، السرجون هوب . **فلسطين : تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران** . القدس ، ١٩٣٠ .

٦٩ ـ سيدل مارتين ، **صافي الينبوع في زمن يسوع** . ترجمة بشارة بارودي . المطبعة الاميركانية . بيروت . ١٩١٨ .

٧٠ ـ الشطي ، جميل . **مختصر طبقات الحنابلة** . دمشق . مطبعة الترقي . ١٣٣٩ هـ .

٧١ ـ شقير ، نعوم . **تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها** . القاهرة ١٩١٦ .

٧٢ ـ صايغ ، انيس . **سورية في الادب المصري القديم** . بيروت ١٩٥٧ .

٧٣ ـ الطاهر ، علي نصوح . **شجرة الزيتون** . مطبعة الاردن . عمان ١٩٤٧

٧٤ ـ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير . **تاريخ الرسل والملوك . الجزء الاول** . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٠ .

٧٥ ـ العابدي محمود . **القصور الاموية** . عمان . ١٩٥٨ .

٧٦ ـ العابدي محمود ، **الحفريات الاثرية في الاردن وفلسطين خلال ١٩٠٠ ـ ١٩٥٩** . عمان . ١٩٦٢ .

٧٧ ـ العابدي محمود . **الحفريات الاثرية في شرقي الاردن ١٩٢٧ ـ ١٩٦٢** . عمان . ١٩٦٤ .

٧٨ ـ العارف ، عارف . **تاريخ القدس** . دار المعارف بمصر . ١٩٥١ .

٧٩ ـ العارف ، عارف . **النكبة ، الجزء الثالث** . المطبعة العصرية . صيدا

٨٠ ـ العارف ، عارف . **النكبة ، الجزء السادس** . المطبعة العصرية . صيدا . ١٩٥٨ .

٨١ ـ عبد الملك ، طمسن ، مطر (بطرس ، جون الكساندر وابراهيم) . **قاموس الكتاب المقدس . الجزء الاول** . بيروت . ١٩٦٤ .

٨٢ ـ عز الدين ، نجلاء . **العالم العربي** . ترجمة جماعة من الاساتـذة . دار احياء الكتب العربية . القاهرة .
٨٣ ـ العزاوي ، عباس . **عشائر العراق . الثالث** . بغداد . ١٩٥٥ .
٨٤ ـ علي ، جواد . **تاريخ العرب قبل الاسلام . الاجزاء ١،٢،٣،٤،٦** . بغداد . ١٩٥١ ـ ١٩٥٦ .
٨٥ ـ علي ، محمد علي . **اسرائيل والشرق الاوسط** . الدار القوميـة للطباعة والنشر . القاهرة .
٨٦ ـ علي ، محمد علي . **نهر الاردن والمؤامرة الصهيونية** . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة .
علي ، محمد علي وابراهيم المحمصاني . **اسرائيل قاعدة عدوانية** . الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٦٤ .
٨٧ ـ العمري ، ابو العباس شهاب الدين بن فضل الله . **مسالك الابصار في ممالك الامصار . الجزء الاول** . دار الكتب المصرية . القاهرة . ١٩٢٤ .
الغزي ، الشيخ نجم الدين . **الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، الجزء الاول** . بيروت . ١٩٤٥ .
٨٨ ـ الغزي ، الشيخ نجم الدين . **الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، الجزء الثاني** . جونيه (لبنان) . ١٩٤٩ .
٨٩ ـ فخري ، احمد . **دراسات في تاريخ الشرق القديم** . مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة . ١٩٥٨ .
٩٠ ـ فريحة ، انيس . **اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها** . بيروت . ١٩٥٦ .
٩١ ـ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود . **اثار البلاد واخبار العباد** دار صادر ـ دار بيروت : ١٩٦٠ .
٩٢ ـ القلقشندي ، الشيخ ابي العباس احمد . **صبح الاعشى ، الجـزء الاول** . مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . ١٩٢٢ .
٩٣ ـ القلقشندي ، الشيخ ابي العباس احمد . **صبح الاعشى ، الجـزء الرابع** . مطبعة دار الكتب الخديوية . القاهرة . ١٩١٤ .
٩٤ ـ القلقشندي ، الشيخ ابي العباس احمد . **نهاية الارب فـي معرفة انساب العرب** . القاهرة . ١٩٥٩ .
٩٥ ـ القيصري ، يوسابيوس . **تاريخ الكنيسة** . ترجمة القس مـرقس داود . القاهرة ، ١٩٦٠ .

٩٦ ـ **الكتاب السنوي لرابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الادنى** . ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ . القاهرة .

٩٧ ـ الكتاب المقدس : **العهد القديم ، العهد الجديد** .

٩٨ ـ كحالة ، عمر رضا . **معجم قبائل العرب ١ ـ ٣** . دمشق . ١٩٤٩

٩٩ ـ كرد علي ، محمد . **خطط الشام ١ ، ٤ ، ٥** . دمشق . ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ .

١٠٠ ـ كمال ، محرم . **اثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية** . القاهرة ١٩٥٦ .

١٠١ ـ كنت ، تشارلس فوستر . **جغرافية الكتاب وتاريخه** . ترجمة نقولا يعقوب غبريل . بيروت . ١٩٢٣ .

١٠٢ ـ لوبون ، غوستاف . **اليهود في تاريخ الحضارات الاولى** . ترجمة عادل زعيتر . القاهرة ، ١٩٥٠ .

١٠٣ ـ ليلنتال ، الفريد . **ثمن اسرائيل** . ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري . بيروت . ١٩٥٤ .

١٠٤ ـ الماضي وموسى ، منيب الماضي وسليمان الموسى . **تاريخ الاردن في القرن العشرين** . عمان . ١٩٥٩ .

١٠٥ ـ متحف الاثار الفلسطيني . **وصف معروضات قاعة العصر الحجري والعصر البرونزي** . القدس . ١٩٣٧ .

١٠٦ ـ المحبي ، محمد . **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ،الاول** المطبعة الوهبية . القاهرة . ١٢٨٤ هـ.

١٠٧ ـ المحبي ، محمد . **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ،الثاني والثالث** .

١٠٨ ـ المحبي ، محمد . **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، الرابع** المطبعة الوهبية . القاهرة . ١٢٨٤ هـ.

١٠٩ ـ المديرية العامة للمطبوعات والاعلام والنشر . **الاردن الحديث** .عمان

١١٠ ـ المرادي ، محمد خليل . **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، الاول** . القاهرة .

١١١ ـ المرادي ، محمد خليل . **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، الثاني** . القاهرة . ١٢٩١ هـ.

١١٢ ـ المرادي ، محمد خليل . **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، الثالث** .

١١٣ ـ المرادي ، محمد خليل . **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر** .

الرابع . المطبعة الاميرية ببولاق مصر . القاهرة ١٣٠١ هـ.
١١٤ ـ المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهر ١ ، ٢ . القاهرة . ١٩٥٨ .
١١٥ ـ المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد . احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم . ليدن . مطابع بريل . ١٨٧٧ .
١١٦ ـ المملكة الاردنية الهاشمية ، وزارة الاقتصاد الوطني . النشرة الاحصائية السنوية ١٩٦١ . العدد الثاني عشر .
١١٧ ـ المملكة الاردنية الهاشمية ، دائرة الاحصاءات العامة . التعداد العام الاول للسكان والمساكن . التقرير الاول ويحتوي على عشرة تقارير ١٩٦٢ و ١٩٦٣ .
١١٨ ـ منصور ، اسعد . تاريخ الناصرة . مطبعة الهلال . القاهرة .
١١٩ ـ المنيني ، احمد بن علي بن عمر بن صالح . الاعلام بفضائل الشام القدس .
١٢٠ ـ موسل ، ا. شمال الحجاز . ترجمة عبد المحسن الحسيني . الاسكندرية . ١٩٥٢ .
١٢١ ـ المولى ، ابراهيم ، البجاوي ، شحاته (محمد احمد جاد ، محمد ابو الفضل ، علي محمد ، السيد) . قصص القرآن . القاهرة . ١٩٣٩ .
١٢٢ ـ ميرز ، فيليب فان نس . التاريخ العام للكليات والمدارس العالية . الجزء الاول . الترجمة العربية . بيروت . ١٩٢٨ .
١٢٣ ـ النابلسي ، الشيخ عبد الغني . الحضرة الانسية في الرحلة القدسية القاهرة . ١٩٠٢ .
١٢٤ ـ النجار ، عبد الوهاب . قصص الانبياء . القاهرة . ١٩٥٣ .
١٢٥ ـ نصحي ، ابراهيم . تاريخ مصر في عهد البطالسة . الجزء الثاني . القاهرة . ١٩٤٦ .
١٢٦ ـ نولدكه ، تيودور . امراء غسان . تعريب بندلي الجوزي وقسطنطين زريق . بيروت . ١٩٣٣ .
١٢٧ ـ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري . نهاية الارب في فنون الادب . السفر الاول . دار الكتب المصرية . القاهرة . ١٩٢٣ .
١٢٩ ـ نيوتن ، فرنسيس املي . خمسون عاما في فلسطين . ترجمة وديع البستاني . مطابع صادر ـ ريحاني . بيروت . ١٩٤٧ .
١٢٩ ـ الهروي ، ابو الحسن علي بن ابي بكر . الارشادات الى معرفة

الزيارات . دمشق . ١٩٥٣ .
١٣٠ ـ الهمداني ، ابو محمد الحسن احمد بن يعقوب . **صفة جزيرة العرب** ليدن . ١٨٨٤ .
١٣١ ـ وزارة التخطيط ، مديرية الاحصاء . **المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦١** الجمهورية العربية السورية . دمشق . ١٩٦٢ .
١٣٢ ـ ولسون ، جون . **الحضارة المصرية** . ترجمة احمد فخري . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٥٥ .
١٣٣ ـ اليسوعي ، الاب مرتين . **تاريخ لبنان** . نقله الى العربية رشيد الخوري . مطبعة الاباء اليسوعيين . بيروت ١٨٨٩ .
١٣٤ ـ اليسوعي ، الاب هنري لامنس . **تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الاثار . الجزء الثاني** . المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين . بيروت . ١٩١٤ .
١٣٥ ـ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب . **تاريخ اليعقوبي ١ ، ٢** . دار صادر ـ دار بيروت . بيروت ، ١٩٦٠ .

المجلات والجرائد

١ ـ مجلة **المشرق** ، السنة الاولى ١٨٩٨ . للاب لويس شيخو اليسوعي . بيروت .
٢ ـ مجلة **المقتطف** . القاهرة . عدد تموز ١٩٤٤ .
٣ ـ **الابحاث** . عدد ديسمبر ١٩٤٨ ، بيروت : الجامعة الامريكية .
٤ ـ **الرائد العربي** . العدد الحادي عشر ، ايلول ١٩٦١ . بيروت .
٥ ـ **الاهرام** : السنة ٨٨ . العدد ٢٧٦٧٨ ـ ٢١ ايلول ـ سبتمبر ١٩٦٢ القاهرة .
الاهرام : السنة ٨٩ . العدد ٢٨٠٤٠١١ ـ ٢٠ أب ـ اغسطس ١٩٦٣ القاهرة .

ثانيا : المراجع الاجنبية

1 - Albright, w.F. , **The Archeology of Palestine.** London : Penguin, 1954.

2 - Baedeker, Karl, **Palestine and Syria,** 5th. ed. , Leipzig. 1912.

3 - Davis, John, **The Westminister Dictionary of the Bible** , 5th. ed. Philadelphia. Westminister Press, 1944.

4 - Glueck, Nelson, **The River Jordan,** Philadelphia, Westminister Press, 1945.

5 - Government of Palestine, **General Monthly Bulletin of Current Statistics,** Vol. XIII, Nos. 1 - 2. Jerusalem, 1948.

6 - Government of Palestine, **Road Distances for Palestine.** Jerusalem, 1943

7 - G. of P. **Roman Palestine. Jerusalem.**

8 - G. of P. **Statistical Abstract of Palestine, 1944 - 45. Jerusalem. 1946.**

9 - G. of P. **Village Statistics 1945.** Jerusalem. 1945.

10 - Hammond, **Atlas of the Bible Land.** Maplewood.

11 - Harding, A. J. and Gent, G.E.J. , **The Dominions Office and Colonial Office List.** London. Waterlow and Sons, 1935.

12 - Hoade, Eugene, **Guide to the Holy Land.** Jerusalem. Franciscan Press, 1946.

13 - **Israel Government Yearbook 1951 - 52.** Jerusalem.

14 - Keller, Werner, **The Bible as History,** translated by William Neil London : Hodder and Stougton. 1956.

15 - Luke, Harry Charles and Keith-Roach, Edward, **The Handbook of Pa-**

lestine and Transjordan, 2nd. ed. , London : Macmillan. 1930.

16 - May, Herbert, **Oxford Bible Atlas.** London : Oxford University Press, 1962.

17 - Meistermann, **Guide de terre Sainte,** 3ème. ed. , Paris. Editions Franciscaines, 1935.

18 - Smith, George A. , **The Historical Geography of the Holy Land,** 4th. ed. London. Hodder and Stoughton, 1897.

19 - United Nations, **Statistical Yearbook - 1959.** New York. 1959.

20 - **The World Almanac and Book of facts - 1963.** New York : New York World Telegram. 1963.

21 - wright, G.E. , and Filson F. V. , **The Westminister Historical Atlas to the Bible.** Philadelphia. Westminister Press. 1945.

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥١	١٦	٢،٥	١،٥
٩١	١	وادي الداله	وادي الواله
٩١	١	جنوبي الزرقاء	جنوبي زرقاء معين
٩٦	١٤	الرز	الموز
١١٧	١	شرقي الشوبك	غربي الشوبك
١٢٠	١١	١١٤	١٤١
١٤٤	١٠	دير القاضي	دير القاسي
١٥٤	١	السهل الجنوبي	الجليل الجنوبي
١٧٦	٢٠و٢١	رامات يشاي	ذكرت سهوا . اطلبها في ص ٢٠٥ رقم ٢١
١٩٧	١٠	ينسب اليها	ينسب الى اجزم
٣٣٠	١٤	(وادي موسى)	(الشوبك)
٣٧١	١١	١٩ قرنا	٢٨ قرنا
٤٣٠	٢و٣	(٣٧) يوطة...الخ.	ذكرت هنا سهوا . ومكانها بعد السطر الثامن من صفحة ٤٣٣
٤٣٩	١٧	للكلدانيين	للكنعانيين
٤٤٠	٢٣	سوكور	سوكوه
٤٤٦	٢٢	آرب	آراب
٤٤٨	١٨	وقد خيمت عليه	وقد خيمتعلى التلالمذكور
٤٨٦	٢٣	لون	لوز
٤٩٤	٢١	الروم ، على	الروم ، واقع على
٥٩٢	٤ من الهامش	الاسكندر (والذي	الاسكندر به والذي
٦٢٩	٢ من الهامش	ولد وتوفيفي عهد	ولد في عهد

وغلطات اخرى لا تخفى على القارىء الكريم

محتويات الكتاب

فهرست اعلام

بلادنا فلسطين ـ الجزء الاول ـ القسم الاول

ان اسماء « فلسطين » و « الاسلام » و « مسلمون » و «نصارى» و « مسيحيون » و « عرب » و « عروبة » و «بلاد الشام» و«سورية» و « يهود » و « اسرائيليون » ... لم نذكرها في هذا الفهرس لكثرة ورودها في صفحات الكتاب .

ب

ت

ث

ح

خ

د

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ك

ن

هـ

ي

من كتب المؤلف المطبوعة :

***

التاريخ القديم للوطن العربي : القدس : ١٩٥١

الوجيز في تاريخ فلسطين : عمان : ١٩٥٦

قطر ماضيها وحاضرها : بيروت : ١٩٦١

الجزيرة العربية
جزآن : بيروت : ١٩٦٢

بلادنا ـ فلسطين
الجزء الاول ـ القسم الاول : بيروت : ١٩٦٥









موسوعة بلادنا فلسطين

موسوعة تعرض للقارئ صورة حية لمعالم بلادنا فلسطين، ذاكرة جميع أسماء مدنها وقراها وخلفها بقاعها ودونوا جميعها بأسمائها العربية، التي عمل الأعداء على تبديلها وتغييرها وتسميتها بأسماء أخرى، حتى يزيلوا عنها صبغتها العربية ويهودوها! ففلسطينيون والعرب والناس أجمعين.

وهذه الموسوعة تعرض إلى ذلك عرضاً مستفيضاً لماضي فلسطين قبل تاريخها المدون وبعده.

وتبرهن على أن زعم اليهود الزائف بأن فلسطين هي حق تاريخي لهم هو أكذب بل وخرافة البشر. فاليهود كانوا من الطارئين عليها وقد طردوا منها منذ ألفي سنة. وأن العرب نزلوها في عصور ما قبل التاريخ واستقروا فيها وحكموها بعد تلك العصور دون أن ينقطعوا عنها على مر السنين.

وهذه الموسوعة مستقاة من شتى المراجع التاريخية والجغرافية العربية والأجنبية عن فلسطين، فضلاً عن الدراسات والتحقيقات الميدانية التي قام بها المؤلف خلال إقامته بين الناس، وهي جديرة بأبناء العروبة أن يقرأوها ويهتموا بالمطالعة فيها وتدقيقها.

المؤلف